دار الكتب المصرية
القســم الأدبى



تأليف

أبى الفـرج الأصـفهانى

الجـزء الأول



القاهرة
مطبعة دار الكتب المصرية
١٣٧١ هـ — ١٩٥٢ م

الطبعة الثانية بمطبعة دار الكتب المصرية

أخرجت دار الكتب المصرية هذه الطبعة للجزء الأوّل
من كتاب الأغانى فى عهد حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم

"فاروق الأوّل"

ومن طلائع اليمن أن يقترن ظهور الكتاب بمولد ولى العهد
المحبوب حضرة صاحب السموّ الملكى

"الأمير أحمد فؤاد"

أمير الصعيد

فى شهر ربيع الثانى سنة ١٣٧١ هجرية

بيان

حينما نفد هذا الجزء المطبوع فى سنة ١٩٢٨ ميلادية ، واشتدت حاجة الأدباء إليه ، رأت الدار أن تعيد طبعه ، فعهدت إلى الأستاذ المحقق المرحوم عبد الرحيم محمود بالقيام على تحقيق تجاربه ، وإعادة النظر فيه ، فقام بهذه المهمة ، بما عرف عنه — رحمه الله — من دقة وأمانة ، وظهرت هذه الطبعة ، تحوى المميزات الآتية :

١ — أدرجت التصويبات التى استدركت على الطبعة الأولى .

٢ — شرحت الألفاظ اللغوية التى تبين أنها فى حاجة إلى شرح وإيضاح .

٣ — عدل عن الطريقة التى اتبعت فى إخراج الطبعة الأولى ، من الاعتماد على رواية ديوان الشاعر وإثباتها فى صلب الكتاب — وإن خالفت رواية الأصول — إلى إثبات الأصول فى الصلب ، مع التنبيه على رواية الديوان فى الهامش ، طبقا لأصول قواعد النشر .

٤ — أشير فى الهامش إلى صفحات طبعة بلاق وأجزائها ، تمشيا مع ما اتبع فى نظام الأجزاء الأخرى .

٥ — حققت هذه الطبعة على بعض نسخ خطية لم تكن موجودة بالدار عند تحقيق الطبعة الأولى .

القسم الأدبى
بدار الكتب المصرية

القاهرة فى ربيع الثانى سنة ١٣٧١
يناير سنة ١٩٥٢

موضوعات هذا الجزء

(*) الرقم في ذيل الصفحة .

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

الحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على سيد رسله وخاتم أنبيائه محمد صلى الله عليه وسلم . وبعد فإن كتاب الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى يعدّ بحق من أمّهات كتب الأدب العربىّ ؛ فقد ترجم صاحبه لأكثر شعراء العرب من جاهليين ومخضرمين وإسلاميين ومحدثين ، كما ترجم لكثير من المغنين فى الدولتين الأموية والعباسية ، وجمع فيه الأغانى العربية قديمها وحديثها ، وجعل مبناه على مائة الصوت المختارة للرشيد ، وبدأ فيه بذكر الأصوات الثلاثة المختارة من جميع الغناء ، ونسب كل ما ذكره منها الى قائل شعره وصانع لحنه وطريقته ، على شرح لذلك وتفسير للمشكل من الغريب وبيان عروض الشعر وضربه . و « أتى فى كل فصل من ذلك بنتف تشاكله ، وملع تليق به ، وفقر إذا تأمّلها قارئها لم يزل متنقلا بها من فائدة الى مثلها ، ومتصرّفا فيها بين جدّ وهزل ، وآثار وأخبار ، وسير وأشعار متصلة بأيام العرب المشهورة وأخبارها المأثورة ، وقصص الملوك فى الجاهلية والخلفاء فى الإسلام ، تجمُل بالمتأدّبين معرفتها ، وتحتاج الأحداث الى دراستها ، ولا يرتفع مَنْ فوقهم من الكهول عن الاقتباس منها ؛ إذ كانت منتخلة من غرر الأخبار ومنتقاة من عيونها ومأخوذة من مظانها ومنقولة عن أهل الخبرة بها » .

غير أن هـذا الكتاب الجليل القدر الذى يُعَدّ مصدرا للأدب العربى وينبوعا يغترف منـه كل متأدّب ولا يستغنى عنه أديب ، قد طبع مرتين : الطبعة الأولى بمطبعة بولاق الأميرية سـنة ١٢٨٥ هـ ، والطبعة الثانيـة بمطبعة التقـدّم بمصر سنة ١٣٢٣ هـ .

وكلتا الطبعتين مملوءة تحريفا وخالية من كل نظام أو ترتيب .

ولهذا توافرت رغبة حضرة السرىّ النبيل السيد على راتب — وله شغف عظيم بإحياء الأدب العربىّ ورغبة فى إعلاء شأنه — على إعادة طبعه بمطبعة دار الكتب المصرية . وهذا كتابه الذى بعث به الى مدير الدار فى هذا الشأن ناطق بذلك . وقد تولى القسم الأدبى بها ضبطه وتصحيحه وشرح غريبه بما هو جدير بمنزلته عند أهل العلم والأدب ، وأدخل فيـه من التحسينات زيادة عن الطبعتين السابقتين ما تراه مفصلا بعد ذلك . وهذا نص الكتاب :

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة صاحب العزة مدير دار الكتب المصرية

أما بعد السلام عليك فإنى أستعينك اليوم لتحقيق فكرة طالما جالت بخاطرى الى أن آختمرت اليوم وآستقرّت .

ذلك أنى نظرت الى اللغة فوجدتها أداة للتفاهم ، ومن ثمة كانت عاملا للاتحاد والعصبية . ثم هى تكتب فتكون الصلة بين الغابر والحاضر . وتبينت اللغات فإذا العربية تفضُلُهنّ معانىَ كما أنها تبذّهنّ ألفاظا وتراكيب . فلله الحمد الذى شرّفنا بتلك الميزة وخصّنا بتلك المعونة .

بَيْدَ أن أحدنا لا يزال يشكو تركيبا أعجميا تستعصى عليه ترجمته، أو معنى مستحدثا دقيقا يسبق الى ذهنه أن ليس فى لغتنا ما يعبر به عنه، فيُحدث له تركيبا أو يصطنع له لفظا فيشيع . وقل أن يكون يومئذ موفَّقا اللهم إلا إن كان ممن استظهروا اللغة أو راجعوا الكلمة التى أحدثوا ؛ وكلا الأمرين بعيد .

نضرب لذلك مثلا قولهم : "شقة حياد" وهى ترجمة لفظية للتركيب الإفرنجى تسطع منه ريح العجمة . وقد وُفقت للعثور على عربيتها فاذا هى "رفوض الأرض". ومن الألفاظ قولهم : "عاطل" للتردّد بلا عمل؛ والعاطل صفة مقصورة على النساء، وشتان ما معناها العربىّ والمعنى الذى يستعملونه له ؛ وإنما تسميه العرب "باهلا". وأظهر ما يكون ضرر هذا الحدس عند علمك بأن كتّاب هذا الجيل إنما يفهمون من قولك : فلان "عرضة للأمراض" أنها تغلب عليه بسهولة، والحقيقة عكس ذلك .

وما أكثر ما يكتب الناس "حاجب أزجّ" و "عين نجلاء" وهم لا يعلمون من معانى تلك الصفات إلا أنها نعوت جميلة فحسب . وسواد الناس يكتب "زاده ضِغْثًا على إبَّالة" و "يحرُق عليه الأُرَّم" فلا يستقيم له ضبطهما ، ولا يفهم لكلتيهما معنى .

فإن هممنا بمعالجة هذا الخطب فلا يثبطنّ من همتنا قول المستكينين : "خطأ مشهور خير من صواب مهجور" . فبالله إذا جاء بعدنا جيل فقرأ تلك الكلمات المستعملة فى غير وجهها هل كان له غيرَ المعاجم مرجع لفهمها ! وهناك يجد معنى مباينا لمراد الكاتب فيُغلق عليه الفهمُ .

ولا يستصغرن أحدنا شأن النطق صوابا ؛ فها هو ذا أثره، أننا أصبحنا ولا نفهم كلام إخواننا الشاميين والمغاربة .

ثم أليس الأفضل أن يتعـلم المتكلم بالعربيـة كلمة "مَسْهَك"[1] مثلا بدلا من "كران دير" وليست هى بأصعب من تلك مخارج بل إنها أقل أحرفا .

هـذا ، ولمـا رأيت أن اللغة لا تنقاد للرء إلا بالمَـرَانة لا باستظهار المعاجم ، وقلّ أن راجع المطالع كلمة شك فى ضبطها أو معناها ، استقر عندى أن ضبط الكتب ضبطا كاملا يعوّد الناس النطق بالصواب ، وأن تفسير بعض الكلمات التى يغيب معناها عن جمهور الناس يرفع عنهم مشقة البحث عنها ، كما أنه حَرِىٌّ بوقفهم على المعنى الصحيح فيعلَق بأذهانهم .

وقد وقع اختيارى للبدء فى تحقيق تلك الأمنية — أمنية إحياء اللغة العربيـة الشريفة — على كتاب الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى ؛ فإن أحاديثه شيّقة وأسلوبه السهل الممتنع . فالمتأدّب يقرؤه للدّرس ، والمتعالل يقرؤه فيلتذّ وتصح لغته .

فإن اقتنعتم برأيى الذى أدليت ونفعِه الذى أمّلت ، أمرتم مَن عندكم من المصححين بمراجعته وتصحيحه وضبطه وتفسير مُغْلَقه كاملا كما وضعه مصنفه من غير حذف ولا إبدال ، وأنا المتكفل بنفقة الطبع . وعسى ألّا تضنّوا علىّ بكلمة أعرف بها صَيُّوركم[2] ، لنتفاوض فى الأمر . ولكم منى جزيل الشكر والسلام ما

يوم الثلاثاء لخمس خلون من شوّال سنة ١٣٤٣ هـ .

السيد على راتب

(١) المسهك : ممرّ الريح ، وهو معنى "كران دير" بالفرنسية .

(٢) صيور المرء : ما يصير إليه من رأى .

وقد شكرته دار الكتب على هذه الأريحية بكتاب بعث به اليه وزير المعارف ورئيس المجلس الأعلى لدار الكتب المصرية، وهذا نص الكتاب :

حضرة الحسيب النسيب السيد على راتب

أتشرّف بإبلاغ سيادتكم أنه قد عُرِض على المجلس الأعلى لدار الكتب المصرية فى جلسته المنعقدة بتاريخ ٧ مايو سنة ١٩٢٥ كتابكم الكريم الخاص بإعادة طبع كتاب الأغانى فى مطبعة دار الكتب المصرية ونزولكم عن نسخه لها بعد الطبع .

فرأى المجلس، إزاء هذه المأثرة الخالدة بنشر كتاب منقطع النظير فى تاريخ الأدب العربىّ وتبرعكم بنسخه بعد ذلك لدار الكتب التى تقوم هى من جانبها بنشر أمّهات الكتب الأخرى لخدمة العلم والأدب، أن يقدّم لكم خالص الشكر على هذه الأريحية المزدوجة .

وسيباشر القسم الأدبىّ بدار الكتب مراجعته وتصحيحه، فيضبط غريبه وجميع أعلامه وما ورد فيه من شعر، مع شرح ما غمض فى ثنايا الكتاب، وتصويب ما وقع من التحريف فى طبعتيه السابقتين ، حتى يظهر طبق رغبتكم وعلى وَفْق آقتراحكم وتسهل على المتأدّبين طريقة الاستفادة منه .

وإنى مع تبليغ سيادتكم شكر حضرات أعضاء المجلس أنتهز هذه الفرصة لأبدى لكم تقديرى لهذه العاطفة النبيلة وإعجابى بهذا العمل الجليل .

وتفضلوا بقبول التحية والاحترام ،،

٢٨ مايو سنة ١٩٢٥ — رئيس المجلس الأعلى لدار الكتب المصرية

وزير المعـارف

(على ماهر)

وقد رأينا أن ننقل عن العـــلامة ٱبن خلدون فصـــلا فيما كتبه فى مقدمته عن صناعة الغناء وتاريخها لمـــا له من الصلة بموضوع الكتاب . قال :

فصل فى صناعة الغناء

”هذه الصناعة هى تلحين الأشعار الموزونة بتقطيع الأصوات على نِسَبٍ منتظمة معروفة ، يوقع على كل صوت منها توقيعا [1] عند قطعه فتكون نغمة ، ثم تؤلف تلك النغم بعضها إلى بعض على نسب متعارفة ، فيلذ سماعها لأجل ذلك التناسب وما يحدث عنه من الكيفية فى تلك الأصوات . وذلك أنه تبين فى علم الموسيقى أن الأصوات تتناسب فيكون صوت نصف صوت وربع آخر وخمس آخر وجزءا من أحد عشر من آخر . وٱختلاف هـذه النسب عند تأديتها الى السمع يخرجها من البساطة الى التركيب . وليس كل تركيب منها ملذوذا عند السماع ، بل تراكيب خاصة هى التى حصرها أهل علم الموسيقى وتكلموا عليها ، كما هو مذكور فى موضعه . وقد يُساوق [2] ذلك التلحين فى النغمات الغنائية بتقطيع أصوات أخرى من الجمادات إما بالقرع أو بالنفخ فى الآلات تُتخذ لذلك ، فيزيدها لذة عند السماع . فمنها لهذا العهد بالمغرب أصناف : منها ما يسمونه الشَّبّابة [3] ، وهى قصبة جوفاء بأبخاش [4] فى جوانبها معدودة ينفخ فيها فتصوّت ، ويخرج الصوت من جوفها على سدادة من تلك الأبخاش ، ويقطّع الصوت بوضع الأصابع من اليدين جميعا على تلك الأبخاش وضعا متعارفا حتى تحدث النسب بين الأصوات فيه وتتصل كذلك متناسبة ، فيلتذ السمع بإدراكها للتناسب الذى ذكرناه .

(١) يستعمل ٱبن خلدون « التوقيع » فى الموسيقى . والصواب « الإيقاع » .

(٢) المساوقة : المتابعة . (٣) الشبابة : نوع من المزمار مولدة .

(٤) يراد بالأبخاش الثقوب . ولم نجد مادة « بخش » فى كتب اللغة ، فلعلها مولدة .

ومن جنس هذه الآلة المزمار الذى يسمى الزُّلامىّ[1]، وهو شكل القصبة منحوتة الجانبين من الخشب جوفاء من غير تدوير لأجل ائتلافها من قطعتين منفردتين كذلك بأبخاش معدودة ينفخ فيها بقصبة صغيرة توصل فينفذ النفخ بواسطتها اليها، وتصوّت بنغمة حادّة ويجرى فيها من تقطيع الأصوات من تلك الأبخاش بالأصابع مثل ما يجرى فى الشبّابة .

ومن أحسن آلات الزمر لهذا العهد البوق، وهو بوق من النحاس أجوف فى مقدار الذراع يتسع إلى أن يكون انفراج مخرجه فى مقدار دون الكف فى شكل برى القلم ، ويُنفخ فيه بقصبة صغيرة تؤدّى الريح من الفم إليه، فيخرج الصوت ثخينا دويا، وفيه أبخاش أيضا معدودة، وتقطّع نغمه منها كذلك بالأصابع على التناسب فيكون ملذوذا .

ومنها آلات الأوتار، وهى جوفاء كلها إمّا على شكل قطعة من الكرة مثل البَرْبط[2] والرباب ، أو على شكل مربع كالقانون، توضع الأوتار على بسائطها مشدودة فى رأسها إلى دساتين[3] جائلة ليتأتى شدّ الأوتار وإرخاؤها عند الحاجة اليه بإدارتها، ثم تقرع الأوتار إما بعود آخر أو بوتر مشدود بين طرفى قوس، يمرّ عليها بعد أن يطلى

(١) الزلامىّ : تصحيف الزنامى بلغة العامة . والزنامىّ منسوب الى زنام (كغراب) وهو زمار حاذق كان للرشيد . انظر شرح القاموس . مادة "زنم" .

(٢) البربط : طنبور ذو ثلاثة أوتار، كذا فى شفاء الغليل . وقال صاحب اللسان : البربط : العود، أعجمىّ ليس من ملاهى العرب، فأعربته حين سمعت به .

(٣) قال فى المخصص ج ١٣ ص ١٢ : « يقال للتى يسميها الفرس الدساتين العَتَب . قال الأعشى :

وثنى الكف على ذى عتب * يصل الصوت بذى زير أبحّ »

بالشمع والكُنْدُر[1]، ويقطّع الصوت فيه بتخفيف اليـد فى إمراره أو بنقله من وتر إلى وتر. واليد اليسرى مع ذلك فى جميع آلات الأوتار توقع بأصابعها على أطراف الأوتار فيما يقرع أو يُحَكّ بالوتر، فتحدث الأصوات متناسبة ملذوذة. وقد يكون القرع فى الطسوت بالقضبان أو فى الأعواد بعضها ببعض على توقيع متناسب يحدث عنه التذاذ بالمسموع .

... ...[2] والحسن فى المسموع أن تكون الأصوات متناسـبة لا متنافرة . وذلك أن الأصوات لها كيفيات من الهمس والجهر والرخاوة والشدّة والقلقلة والضغط وغير ذلك، والتناسب فيها هو الذى يوجب لها الحسن . فأوّلا : ألا يخرج من الصوت الى ضدّه دفعة بل بتدريج ثم يرجع كذلك، وهكذا الى المثل، بل لا بدّ من توسط المغاير بين الصوتين . وتأمل هذا من آفتاح أهل اللسان التراكيب من الحروف المتنافرة أو المتقاربة المخارج فإنه من بابه . وثانيا : تناسبها فى الأجزاء، كما مر أوّل الباب، فيخرج من الصوت إلى نصفه أو ثلثه أو جزء من كذا منه على حسب ما يكون التنقل مناسبا على ماحصره أهل صناعة الموسيقى . فإذا كانت الأصوات على تناسب فى الكيفيات ، كما ذكره أهل تلك الصناعة ، كانت ملائمة ملذوذة .

ومن هذا التناسب ما يكون بسيطا، و يكون الكثير من الناس مطبوعين عليه لا يحتاجون فيـه الى تعليم ولا صـناعة، كما نجـد المطبوعين على الموازين الشعرية وتوقيع الرقص وأمثال ذلك . وتسمى العامة هذه القابلية بالمضمار . وكثير من القرّاء بهذه المثابة يقرءون القرآن فيجيدون فى تلاحين أصواتهم، كأنها المزامير، فيطربون

(١) الكندر: اللبان . (٢) هذه النقط وضعت إشارة الى ترك مالا علاقة له بالغناء وتاريخه فى هذا الفصل .

بحسن مساقهم وتناسب نغماتهم . ومن هــذا التناسب ما يحدث بالتركيب ، وليس كل الناس يستوى فى معرفته ، ولا كل الطباع توافق صاحبها فى العمل به إذا علم .

وهــذا هو التلحين الذى يتكفل به علم الموسيقى ، كما نشرحه بعــد عند ذكر العلوم ... ...

و إذ قد ذكرنا معنى الغناء فاعلم أنه يحدث فى العمران إذا توافر وتجاوز حدّ الضرورىّ الى الحاجىّ ثم الى الكمالىّ ، وتفننوا فيه ، فتحدث هذه الصناعة ؛ لأنه لا يستدعيها إلا من فرغ عن جميع حاجاته الضرورية والمهمة من المعاش والمنزل وغيره ، فلا يطلبها إلا الفارغون عن سائر أحوالهم تفننا فى مذاهب الملذوذات .

وكان فى سلطان العجم قبــل الملة منها بحر زاخر فى أمصارهم ومدنهــم ، وكان ملوكهم يتخذون ذلك و يولعون به ؛ حتى لقد كان لملوك الفرس اهتمام بأهــل هذه الصناعة ، ولهم مكان فى دولتهم ، وكانوا يحضرون مشاهدهم ومجامعهم و يغنّون فيها . وهذا شأن العجم لهذا العهد فى كل أفق من آفاقهم ومملكة من ممالكهم .

وأما العرب فكان لهم أوّلا فنّ الشــعر يؤلفون فيه الكلام أجزاء متساوية على تناسب بينها فى عدّة حروفها المتحرّكة والساكنة ، و يفصّلون الكلام فى تلك الأجزاء تفصيلا يكون كل جزء منها مستقلا بالإفادة لا ينعطف على الآخر ، و يسمونه البيت ، فيــلائم الطبع بالتجزئة أوّلا ، ثم بتناسب الأجزاء فى المقاطع والمبــادئ ، ثم بتأدية المعنى المقصود وتطبيق الكلام عليها ، فلهجوا به ، فامتاز من بين كلامهم بحظ من الشرف ليس لغيره ، لأجل اختصاصه بهذا التناسب ؛ وجعلوه ديوانا لأخبارهم وحكمهم وشرفهم ، ومِحَكًّا لقرائحهم فى إصابة المعــانى و إجادة الأساليب ، واستمرّوا على ذلك .

وهذا التناسب الذى من أجل الأجزاء والمتحرك والساكن من الحروف، قطرة من بحر من تناسب الأصــوات، كما هو معروف فى كتب الموسيقى؛ إلا أنهــم لم يشعروا بمــا سواه ؛ لأنهــم حينئذ لم ينتحلوا علمــا ، ولا عرفوا صناعة، وكانت البداوة أغلب نحلهم . ثم تغنّى الحداةُ منهم فى حداء إبلهم، والفتيان فى فضاء خلواتهم، فرجّعوا الأصوات وترنّموا . وكانوا يسمون الترنم إذا كان بالشــعر غناء، و إذا كان بالتهليل أو نوع القراءة تغبــيرا (بالغين المعجمة والباء الموحدة) . وعللها أبو إسحاق الزجاج بأنها تذكّر بالغابر، وهو الباقى، أى بأحوال الآخرة[1] . وربمــا ناسبوا فى غنائهم بين النغمات مناســبة بسيطة، كما ذكره ابن رشيق آخر كتاب العمدة وغيرُه . وكانوا يسمونه "السنــاد" ، وكان أكثر ما يكون منهم فى الخفيف الذى يرقص عليــه ويمشى بالدف والمزمار، فيُطرب ويستخف الحلوم، وكانوا يسمون هذا "الهزج". وهذا البسيط كله من التلاحين هو من أوائلها، ولا يبعد أن تتفطن له الطباع من غير تعليم، شأن البسائط كلها من الصنائع . ولم يزل هــذا شأن العرب فى بداوتهــم وجاهليتهم .

فلما جاء الإسلام واستولوا على ممالك الدنيا وحازوا سلطان العجم وغلبوهم عليه، وكانوا من البداوة والغضاضة على الحال التى عرفت لهم، مع غضارة الدين وشدّته فى ترك أحوال الفراغ وما ليس بنافع فى دين ولا معاش، هجروا ذلك شيئا ما ، ولم

(١) هــذا رأى الزجاج . وقال الأزهرى : سموا ما يطرّبون فيه من الشعر فى ذكر الله تغبيرا ، كأنهــم إذا تناشدوها بالألحان طربوا فرقصــوا وأرهجوا (أثاروا الرهج وهو الغبار) ، فسموا مغبّرة لهذا المعنى . قال الأزهرى : وروينا عن الشافعى قال : أرى الزنادقة وضعوا هذا التغبير ليصدّوا عن ذكر الله وقراءة القرآن .

يكن الملذوذ عندهم إلا ترجيع القراءة والترنم بالشعر الذى كان ديدنهم ومذهبهم . فلما جاءهم الترف وغلب عليهم الرفه بما حصل لهم من غنائم الأمم، صاروا إلى نضارة العيش ورقّة الحاشية واستحلاء الفراغ، فافترق المغنّون من الفرس والروم فوقعوا إلى الحجاز، وصاروا موالى للعرب، وغنّوا جميعا بالعيدان والطنابير والمعازف[1] والمزامير، وسمع العرب تلحينهم للأصوات فلحّنوا عليها أشعارهم، وظهر بالمدينة نشيط الفارسىّ وطُوَيْس وسائب خاثر مولى عبد الله بن جعفر، فسمعوا شعر العرب ولحنوه وأجادوا فيه، وطار لهم ذكر، ثم أخذ عنهم مَعْبَد وطبقته وآبن سُرَيج وأنظاره .

وما زالت صناعة الغناء تتدرّج إلى أن كملت أيام بنى العباس عند إبراهيم بن المهدى وإبراهيم الموصلىّ وآبنه إسحاق وآبنه حمّاد، وكان من ذلك فى دولتهم ببغداد ما تبعه الحديث به وبمجالسه لهذا العهد . وأمعنوا فى اللهو واللعب، وآتخذت آلات الرقص فى الملبس والقضبان والأشعار التى يترنم بها عليه، وجعل صنفا وحده . وآتخذت آلات أخرى للرقص تسمى بالكُرّج[2] — وهى تماثيل خيل مسرجة من الخشب معلّقة بأطراف أقبية يلبسها النسوان، ويحاكين بها آمتطاء الخيل — فيكرّون

---

(١) المعازف: الملاهى والملاعب التى يضرب بها، يقولون للواحد: عزف، والجمع معازف (على غير قياس) فاذا أفرد المعزف فهو ضرب من الطنابير ويتخذه أهل اليمن . وغيرهم يجعل العود معزفا . لسان العرب (مادة «عزف») .

(٢) الكرّج: فارسىّ معرب وهو ما يتخذ مثل المهر يلعب عليه؛ قال جرير:

لبست سلاحى والفرزدق لعبة ✽ عليها وشاحا كرّج وجلاجله

وقال أيضا:

أمسى الفرزدق فى جلاجل كرّج ✽ بعد الأخيطل ضرّة لجرير

ويفرّون ويثاقفون[1]، وأمثــال ذلك من اللُّعَب المعــدّة للولائم والأعراس وأيام الأعياد ومجالس الفراغ واللهــو . وكثر ذلك ببغداد وأمصار العراق ، وانتشر منها إلى غيرها . وكان للمَوْصِليين غلام آسمه زِرْيَاب أخذ عنهم الغناء فأجاد، فصرفوه إلى المغرب غيرةً منــه ، فلحق بالحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل أمير الأندلس، فبالغ فى تكرمتــه وركب للقائه وأسنى له الجوائز والإقطاعات والجرايات ، وأحلّه من دولته وندمائه بمكان، فأورث بالأندلس من صناعة الغناء ما تناقلوه إلى أزمان الطوائف ، وطما منها بإشبيليَّة بحر زاخر، وتناقل منها بعد ذهاب غضارتها[2] إلى بلاد العدوة بإفريقية والمغرب، وآنقسم على أمصارها . وبها الآن منها صُبَابة على تراجع عمرانها وتناقص دولها .

وهذه الصناعة آخر ما يحصل فى العمران من الصنائع؛ لأنها كمالية فى غير وظيفة من الوظائف إلا وظيفة الفراغ والفرح . وهى أيضا أوّل ما ينقطع من العمران عند آختلاله وتراجعه، والله أعلم » .

(١) يثاقفون : يخاصمون ويجالدون ، ومصدره الثقاف والمثاقفة وهى العمل بالسيف ، ومنه :

وكأنــ لمــع بروقهــا * فى الجــو أسياف المثاقف

(٢) غضارتها : بهجتها وجدّتها .

ترجمـــة
أبى الفرج الأصفهانى مؤلف كتاب الأغانى[1]

نسـبه :

هو أبو الفرج علىّ بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم بن عبد الرحمن بن مروان ابن عبـد الله بن مروان بن محمـد بن مروان بن الحكم بن أبى العـاص بن أميـة ابن عبد شمس بن عبد مناف، القرشى الأموىّ الكاتب الأصبهانىّ صاحب كتاب الأغانى . ومنه ترى أن نسبه ينتهى إلى مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أمية .

مولده ومنشؤه :

ولد بأصبهان سنة ٢٨٤ أربع وثمانين ومائتين، فى خلافة المعتضد بالله أبى العباس أحمد بن الموفق، وهى السنة التى مات فيها البحترى الشاعر. ونشأ ببغداد واستوطن بها، وكانت داره ببغداد واقعة على دجلة فى المكان المتوسط بين درب سليمان ودرب دجلة وملاصقة لدار أبى الفتح البريدى .

شيوخه وتلاميذه :

روى أبو الفرج عن عالَم كثيرٍ يطول تَعْدادهم، وسمع من جماعة لا يحصون : منهم

(١) المصادر التى أخذنا منها هذه الترجمة هى :
معجم الأدباء لياقوت ، وفيات الأعيـان لابن خلكان ، عيون التـواريخ لابن شاكر ، الفهرست لابن النـديم ، الكامل لابن الأثـير ، نفح الطيب ، مقدّمة ابن خلدون ، النجوم الزاهرة فى أعيان مصر والقاهرة ، الجمهرة لابن حزم ، المنتظم فى تاريخ المـلوك والأمم لابن الجوزى ، يتيمة الدهر ، كشف الظنون ، كتاب رنّات المثالث والمثانى فى روايات الأغانى .

أبو بكر بن دريد (١) وأبو بكر بن الأنبارى (٢) والفضل بن الحُبَاب الجُمَحى (٣) وعلىّ بن سليمان الأخفش (٤) وإبراهيم نِفْطَوَيْه (٥) ومحمد بن جرير الطبرى (٦) وأحمد بن جعفر جَحْظة (٧)

(١) هو أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد إمام عصره فى اللغة والأدب والشعر، ولد بالبصرة فى سنة ثلاث وعشرين ومائتين ونشأ بها وتعلم فيها وانتقل الى عمان ثم الى فارس ثم الى بغداد، وتوفى بها سنة إحدى وعشرين وثلثمائة . (انظر ابن خلكان ج ١ من ص ٧٠٩ — ٧١٣ طبع بولاق) .

(٢) هو محمد بن القاسم بن محمد بن بشار الأنبارى، روى عن أبيه وعن أبى جعفر أحمد بن عبيد، وأخذ النحو عن أبى العباس ثعلب، وكان فى نهاية الذكاء والفطنة وجودة القريحة وسرعة الحفظ وكان يضرب به المثل فى حضور البديهة وسرعة الجواب، وأكثر ما كان يمليه من غير دفتر ولا كتاب، ولم يمت من سنّ عالية مات عن دون الخمسين وتوفى سنة ثمان وعشرين وثلثمائة ودفن بداره بالأنبار . (الفهرست لابن النديم طبع ليبزج ص ٧٥) .

(٣) هو أبو خليفة الفضل بن الحباب بن محمد بن شعيب بن صخر الجمحى البصرى من رواة الأخبار والأشعار والأنساب، ولى قضاء البصرة، وتوفى سنة خمس وثلثمائة . (الفهرست ص ١١٤) .

(٤) هو أبو الحسن على بن سليمان بن الفضل المعروف بالأخفش الأصغر . قرأ على ثعلب والمبرد واليزيدى وأبى العيناء وروى عنه المرزبانى، وكان ثقة . وهو غير الأخفش الأكبر أبى الخطاب عبد الحميد ابن عبد المجيد من أهل هجر، والأخفش الأوسط أبى الحسن سعيد بن مسعدة صاحب سيبويه . وقد هجاه ابن الرومى بأهاج كثيرة لأنه كان كثير التطير منه . توفى ببغداد سنة خمس عشرة وثلثمائة ويقال سنة ست عشرة . (ابن خلكان ص ٤٧٢ ج ١ وبغية الوعاة للسيوطى) .

(٥) هو إبراهيم بن محمد بن عرفة بن سليمان بن المغيرة بن حبيب بن المهلب بن أبى صفرة الملقب بنفطويه لشبهه بالنفط لدمامته وأدمته . كان عالما بالعربية واللغة والحديث، أخذ عن ثعلب والمبرد وكان صادقا فيما يرويه حافظا للقرآن فقيها على مذهب داود الظاهرىّ مسندا فى الحديث حافظا للسير وأيام الناس والتواريخ . ولد بواسط سنة أربع وأربعين ومائتين وسكن بغداد وتوفى بها سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة . (ابن خلكان ج ١ ص ١٥ وبغية الوعاة للسيوطى) .

(٦) هو أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبرى وقيل : يزيد بن كثير بن غالب، صاحب التفسير الكبير والتاريخ الشهير، كان إماما فى فنون كثيرة : منها التفسير والحديث والفقه والتاريخ وكان إماما مجتهدا وكان ثقة فى نقله أصح التواريخ وأثبتها . ولد سنة أربع وعشرين ومائتين بآمل طبرستان وتوفى ببغداد سنة عشر وثلثمائة . (ابن خلكان ج ١ ص ٦٥١) .

(٧) هو أبو الحسن أحمد بن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد بن برمك . شاعر مغن مطبوع فى الشعر =

وعمد بن خلف بن المرزُبان[1] وجعفر بن قُدَامة[2] وأبى أحمد يحيى بن على بن يحيى المنجم[3] وعمه الحسن بن محمد[4] وغيرهم، وروى عنه الدارقطنىّ[5] وغيره .

= حاذق بصناعة غناء الطنبور حسن الأدب بارع فى معناه . وكان من ظرفاء عصره . وهو من ذرّية البرامكة . وقد جمع أبو نصر بن المرزبان أخباره وأشعاره . ولد سنة أربع وعشرين ومائتين وتوفى بواسط سنة ست وعشرين وثلثمائة وقيل سنة أربع وعشرين وثلثمائة . (ابن خلكان ج ١ ص ٥٧ وفهرست ابن النديم ص ١٤٥) .

(١) هو أبو عبد الله محمد بن خلف بن المرزبان . كان حافظا للأخبار والأشعار والملح . وله من الكتب كتاب الحاوى فى علوم القرآن كبير سبعة وعشرون جزءا وكتاب أخبار ابن قيس الرقيات ومختار شعره وكتاب المتيمين المعصومين وغير ذلك . (فهرست ابن النديم ص ١٤٩) .

(٢) هو أبو القاسم جعفر بن قدامة بن زياد الكاتب أحد مشايخ الكتّاب وعلمائهم . وكان وافر الأدب حسن المعرفة . وله مصنفات فى صنعة الكتابة وغيرها . حدّث عن أبى العيناء الضرير وحماد بن إسحاق الموصلى والمبرد ومحمد بن عبد الله بن مالك الخزاعى ونحوهم . وروى عنه أبو الفرج الأصبهانى . وله شعر جيد رواه ياقوت فى معجم الأدباء . مات سنة تسع عشرة وثلثمائة (انظر الجزء الثانى من معجم الأدباء ص ٤١٢) .

(٣) هو أبو أحمد يحيى بن على بن يحيى بن أبى منصور . ولد سنة إحدى وأربعين ومائتين ومات سنة ثلثمائة . ونادم الموفق ومن بعده من الخلفاء . وكان متكلما معتزلىّ المذهب ، وكان له مجلس يحضره جماعة من المتكلمين بالحضرة . وله كتاب الباهر فى أخبار شعراء مخضرمى الدولتين لم يتمه وأتمه من بعده ابنه أبو الحسن أحمد بن يحيى . (فهرست ابن النديم ص ١٤٣) .

(٤) يروى أبو الفرج عن عمه كثيرا ، وهو الحسن بن محمد ، وكان من كبار الكتّاب بسرّ من رأى ، أدرك أيام المتوكل . ويروى كذلك عن عم أبيه عبد العزيز بن أحمد بن الهيثم وهو من كبار الكتّاب أيضا أيام المتوكل . (الجمهرة لابن حزم ص ١٠٣ من النسخة التيمورية) .

(٥) هو أبو الحسن على بن عمر بن أحمد بن مهدى البغدادى الدارقطنى . كان عالما حافظا فقيها أخذ الفقه عن أبى سعيد الإصطخرى الفقيه الشافعى . وقد انفرد بالإمامة فى علم الحديث ، وتصدّر فى آخر أيامه للإقراء ببغداد . وكان عارفا باختلاف الفقهاء ، ويحفظ كثيرا من دواوين العرب . وصنف كتاب السنن والمختلف والمؤتلف وغيرهما . وكان متفننا فى علوم كثيرة ، إماما فى علم القرآن . ولد سنة ست وثلثمائة وتوفى سنة خمس وثمانين وثلثمائة ببغداد .

ثنـاء العلمـاء عليـه

ذكره ياقوت فى معجمه فقال : « العلامة النساب الإخبارى الحُفَظَةُ الجامع بين سعة الرواية والحذق فى الدراسـة ، لا أعلم لأحد أحسن من تصانيفه فى فنها وحسن استيعاب ما يتصدّى لجمعه، وكان مع ذلك شاعرا جيدا » .

وذكره ابن خلكان فى الوفيات فقال : « كان من أعيان أدبائها (بغداد) وأفراد مصنفيها . روى عن عالم كثير من العلماء يطول تعدادهم ، وكان عالما بأيام الناس والأنساب والسير . قال التنوخى : ومن المتشيعين الذين شاهدناهم أبو الفرج الأصبهانى كان يحفظ من الشعر والأغانى والأخبار والآثار والأحاديث المسندة والنسب ما لم أر قطّ من يحفظ مثله ، ويحفظ دون ذلك من علوم أخر : منها اللغة والنحو والخرافات والمغازى والسير ، ومن آلة المنادمة شيئا كثيرا مثل علم الجوارح والبيطرة ونتف من الطب والنجـوم والأشربة وغير ذلك ، وله شـعر يجمع إتقان العلماء و إحسان ظرفاء الشعراء » .

وذكره أبو منصور الثعالبى فى يتيمة الدهر فقال :

«وكان من أعيان أدبائها (بغداد) وأفراد مصنفيها . وله شعر يجمع إتقان العلماء و إحسان ظرفاء الشعراء» .

وذكره ابن النديم فى الفهرست فقال :

« كان شاعرا مصنفا أديبا ، وله رواية يسيرة ، وأكثر تعويله كان فى تصنيفه على الكتب المنسوبة الخطوط أو غيرها من الأصول الجياد » . ويؤيد هذا أنه فى كتابه الأغانى يروى كثيرا من الأخبار بقوله : «نسخت من كتاب فلان» .

قدح بعض العلماء فى صحة روايته

ذكره ابن الجوزى فى كتابه "المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم" فقال :

«إنه كان متشيعا ومثله لا يوثق بروايته فإنه يصرح فى كتبه بما يوجب عليه الفسق، ويهوى شرب الخمر وربما حكى ذلك عن نفسه ، ومن تأمل كتاب الأغانى رأى كل قبيح ومنكر» .

ونقل ابن شاكر فى كتابه "عيون التواريخ" أن الشيخ شمس الدين الذهبي قال:

«رأيت شيخنا تقي الدين بن تيمية يضعفه ويتهمه فى نقله ويستهول ما يأتى به، وما علمت فيه جرحا إلا قول ابن أبى الفوارس : خلط قبل ما يموت» .

شىء من أوصافه

لم يكن لأبى الفرج الأصفهانى عناية بنظافة جسمه وثيابه؛ فقد حدّث الرئيس أبو الحسين هلال بن المحسن بن إبراهيم بن هلال الصابئ فى الكتاب الذى ألفه فى أخبار الوزير المهلبي قال: كان أبو الفرج الأصفهانى وسخا قذرا لم يغسل له ثوبا منذ فصّله إلى أن قطعه، وكان النـاس على ذلك يحذرون لسانه ويتقون هجاءه ويصبرون فى مجالسته ومعاشرته ومؤاكلته ومشاربته على كل صعب من أمره؛ لأنه كان وسخا فى نفسه ثم فى ثوبه وفعله ، حتى إنه لم يكن ينزع دراعة يقطعها إلا بعد إبلائها وتقطيعها، ولا يعرف لشىء من ثيابه غسلا ولا يطلب منه فى مدّة بقائه عوضا.

وحكى القاضى أبو على المحسن بن على التنوخى فى كتاب نشوار[1] المحاضرة «أن أبا الفرج كان أكولا نَهِمًا، وكان إذا ثقل الطعام فى معدته تناول خمسة دراهم فلفلا

(١) النشوار فى الأصل بكسر النون : ما تبقيه الدابة من علفها فارسى معرّب . وهذا الكتاب قد طبع بالقاهرة سنة ١٩٢١ م وقام بتصحيحه المستشرق الانكليزى المعروف د . س مرجليوث .

مدقوقا ولا يؤذيه ولا تدمع منه عيناه ، وهو مع ذلك لا يستطيع أن يأكل حمصة واحدة أو يصطبغ[1] بمرقة قدر فيها حمص ، وإذا أكل شيئا يسيرا من ذلك شرى[2] بدنه كله من ذلك ، وبعد ساعة أو ساعتين يفصد وربما فصد لذلك دفعتين » . قال : وأسأله عن سببه فلا يكون عنده علم منـه . ويقال : إنه لم يدع طبيبا حاذقا على مرور السنين إلا سأله عن سببه فلا يجد عنده علما ولا دواء . فلما كان قبل فالجه[3] بسنوات ذهبت عنه العادة فى الحمص فصار يأكله ولا يضرّه ، وبقيت عليه عادة الفلفل .

اتصاله بالوزير المهلبىّ

كان أبو الفرج منقطعا الى الوزير المهلبىّ — وهو الحسن بن محمد بن هارون من ولد المهلّب بن أبى صُفْرة ووزير معز الدولة بن بويه الديلمى — ومن ندمائه الخصيصين به ؛ وله فيه غرر ومدائح . ومع ما كان يصنعه الوزير بأبى الفرج لم يخل من هجوه ، قال فيه :

أبعين مفتقرٍ إليـك رأيتَنى * بعد الغنى فرميتَ بى من حالق[4]
لستَ الملومَ أنا الملومُ لأننى * أمّلت للإحسان غيرَ الخالق[5]

---

(١) يصطبغ : يأتدم .

(٢) الشرى : شىء يخرج على الجسد أحمر كهيئة الدراهم ، وقيل : هو شبه البثر يخرج فى الجسد أو هو خراج صغار لها لذع شديد ، يقال : شرى جلده شرى فهو شر .

(٣) الفالج : داء معروف يسترخى منه أحد شق البدن .

(٤) الحالق : الجبل المرتفع .

(٥) نقل ابن خلكان فى كتابه وفيات الأعيان (طبع بولاق ج ١ ص ٥٠) : أن الشيخ تاج الدين الكندى روى للنبى هذين البيتين بالإسناد الصحيح المتصل به ، وقال ابن خلكان : إنهما لا يوجدان فى ديوانه . ونقل ابن شاكر فى عيون التواريخ كلام ابن خلكان ثم قال : والصحيح أن هذين البيتين لأبى الفرج الأصبهانى .

وحدّث أبو الفرج عن نفسه قال: سكر الوزير المهلبيّ ليلة ولم يبق بحضرته من ندمائه غيرى فقال لى: يا أبا الفرج، أنا أعلم أنك تهجونى سرّا، فآهجنى الساعة جهرا، فقلت: اللهَ اللهَ أيها الوزير فىّ! إن كنتَ قد مَللْتنى انقطعت، وإن كنتَ تؤثر قتلى فبالسيف إذا شئت؛ قال: دع ذا، لا بدّ أن تهجونى، وكنت قد سكِرت فقلت:

* أيْرُ بغلٍ بلولبِ *

فقال فى الحال مجيزا:

* فى حِرِ أمِّ المهلّبى *

هات مصراعا آخر؛ فقلت: الطلاقُ لازم للأصفهانىّ إن زاد على هذا وإن كان عنده زيادة.

قال الرئيس أبو الحسين المهلبيّ: وحدّثنى جدّى، وسمعت هذا الخبر من غيره لأنه متفاوض متعاود، أن أبا الفرج كان جالسا فى بعض الأيام على مائدة أبى محمد المهلبيّ فقدّمت سكباجة (1) وافقت من أبى الفرج سعلة فبدرت من فمه قطعة من بلغم فسقطت وسط الغَضَارة (2)، فتقدّم أبو محمد برفعها، وقال: هاتوا من هذا اللون فى غير هذه الصحفة؛ ولم يَبِنْ فى وجهه إنكار ولا استكراه، ولا داخل أبا الفرج فى هذه الحال استحياء ولا انقباض. هذا الى مايجرى هذا المجرى على مضىّ الأيام. وكان أبو محمد عزوف (3)

(1) قال فى شرح القاموس (مادة سكبج): السكباج بالكسر: معرب سركه باجه، وهو لحم يطبخ بخل. وفى كتاب الأطعمة الفتوغرافى المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥١ علوم معاشية فى وصف صنع هذا الطعام ما نصه: "يؤخذ من اللحم قدر الحاجة ويقطع من الأوساط ويغسل نظيفا ويضاف إليه حوائجه مثل الجوز والبصل والكراث وشىء من اللفت ويعدّل بالخل والدبس ويصبغ بالزعفران ويعدل ملحه وأبازيره ويغطى رأس القدر ويجعل فى التنور طول الليل على نار معتدلة الى بكرة ثم يرفع".

(2) عبارة اللسان: "الغضار: الطين الحرّ. ابن سيده وغيره — الغضارة: الطين الحرّ. وقيل الطين اللازب الأخضر والغضار: الصحفة المتخذة منه".

(3) يقال: عزفت نفسه عن الشىء أى عافته وكرهته.

النفس بعيدا من الصبر على مثل هذه الأسباب، إلا أنه كان يتكلف احتمالها لورودها من أبى الفرج . وكان من ظرفه فى فعله ونظافته فى مأكله أنه كان إذا أراد أكل شيء بملعقة كالأرز واللبن وأمثاله، وقف من جانبه الأيمن غلام معه نحو ثلاثين ملعقة زجاجا مجرودا[1] — وكان يستعمله كثيرا — فيأخذ منه ملعقة يأكل بها من ذلك اللون لقمة واحدة ثم يدفعها الى غلام آخر قام من الجانب الأيسر، ثم يأخذ أخرى فيفعل بها فعل الأولى حتى ينال الكفاية، لئلا يعيد الملعقة إلى فيه دفعة ثانية . فلما كثر على المهلبىّ استمرار ما قدّمنا ذكره جعل له مائدتين : إحداهما كبيرة عامة، وأخرى لطيفة خاصة، وكان يؤاكله عليها من يدعوه إليها .

وكانت صحبته للمهلبىّ قبل الوزارة و بعدها إلى أن فرّق بينهما الموت .

تشـــيّعه

كان أبو الفرج الأصبهانىّ، مع كونه من صميم بنى أُمية، على مذهب الشيعة . فقد قال التنوخىّ عنه : ومن المتشيعين الذين شاهدناهم أبو الفرج الأصفهانى . وقال ابن شاكر فى عيون التواريخ عنه : إنه كان ظاهر التشيع . وقال ابن الأثير فى كتاب الكامل : وكان أبو الفرج شيعيا، وهذا من العجب .

شـــعره وأدبه

كان أبو الفرج كاتبا لركن الدولة حظيا عنده محتشما لديه . وكان يتوقع من الرئيس أبى الفضل بن العميد أن يكرمه ويبجّله ويتوفّر عليه[2] فى دخوله وخروجه، وعدم ذلك منه فقال :

مالَكَ موفـورٌ فما بالُه * أكسبك التيهَ على المُعدمِ

(١) مجرودا : مجلوا . (٢) توفر على صاحبه : رعى حرمانه .

ولِمْ إذا جئتَ نهضنا وإنْ * جئنـا تطاولتَ ولم تُحْشَـم
وإن خرجنا لم تقـل مثـلَ ما * نقـــول " قَدِّمْ طِرْفَه قدّم "
إن كنت ذا علمٍ فمَنْ ذا الذى * مثـــلَ الذى تعـــلم لم يعـــلم
ولستَ فى الغـارب من دولةٍ * ونحن من دونك فى المَنْسِـم (١)
وقـــد وَلِينـا وعُزِلنـا كما * أنت فـلم نصـغُرْ ولم نعظُـم
تـكافأت أحـــوالُنا كلُّهـا * فَصِلْ على الإنصاف أو فاصرِم

✣

وكتب أبو الفرج الى المهلبى يشكو الفأر ويصف الهر :

يا لَحُدْبِ الظهور قُصْع الرقاب * لِدِقاق الأنيـاب والأذنا بِ
خُلِقتْ للفساد مذ خُلق الخلـ * ـقُ وللعَيْث والأذى والخراب
ناقبات فى الأرض والسقف والحيـ * ـطان نقبـا أعيـا على النقّاب
آكلات كلّ المآكل لا تأ * مَنُهـا شاربات كلّ الشراب
آلفات قَرْضَ الثياب وقد يعـ * ـدل قرضَ القلوب قرضُ الثياب
زال هَمِّى منهن أزرقُ ترك * ىٌّ السِّبالين أنمـرُ الجلبـاب (٢) (٣) (٤)
ليثُ غابٍ خَلْقًا وخُلْقا فمن لا * ح لعينيــه خالَه ليثَ غاب
ناصـب طـرفَه إزاءَ الزوايا * وإزاء السـقوف والأبـواب
ينتضى الظفر حين يظفر للصيـ * ـد وإلا فظفـره فى قِـراب

---

(١) الغارب : ما بين العنق والسنام من البعير . والمنسم : خفه .
(٢) زال : فرق . (٣) السبالان : الشاربان .
(٤) الأنمر : ما فيه نمرة بيضاء وأخرى سوداء .

لا ترى أخبثيـه عينٌ ولا يعـ * ـلم ما جنّتـاه[1] غـير الـتراب

قرطـوه[2] وشـنّفوه[3] وحـلّو * ه أخـيراً وأوّلاً بالخضـاب

فهو طورًا يمشي بحَلْي عَرُوسٍ * وهو طـورا يخطو على عُنّاب

حبذا ذاك صاحبًا هو فى الصحـ * ـبة أوفَى من أكثر الأصحاب

وقال من قصيدة فى المهلّب عِيديّة :

إذا ما عَلَا فى الصدر للنهى والأمر * وبيّنهـما فى النفع منـه وفى الضر

وأجرى ظُبَـا[4] أقلامـه وتدفّقتْ * بديهتـه كالمستمدّ من البحر

رأيت نظامَ الدرّ فى نظـم قـوله * ومنثورَه الرقـراقَ فى ذلك النـثر

ويقتضب المعنى الكثير بلفظـةٍ * ويأتى بما تحوى الطوامير[5] فى سطر

أيا غرّة الدهر ائتنف غُرّةَ الشهر * وقابِلْ هلال الفطر فى ليلة الفطر

بأيمـنِ إقبـالٍ وأسـعد طـائرٍ * وأفضل ما ترجوه فى أفسح العمر

مضى عنك شهر الصوم يشهد صادقا * بطهـرك فيـه واجتنابك للـوزر

فأكْرِمْ بمـا خطّ الحفيظان منهما * وأثنَى به المثنى وأطرى به المطرى

وزكّاك أوراق المصاحف وانتهى * الى الله منها طولُ درسك والذكر

وقبضُك كفَّ البطش عن كل مجرمٍ * وبَسْطُكَها بالعُرف فى الخير والبِرّ

وله فيـه :

وهـذا الشـتاء كما قـد ترى * عسـوفٌ[6] عـلىّ قبيـحُ الأثَرْ

---

(١) جن الشيء : أخفاه وستره .
(٢) قرطوه : ألبسوه القرط .
(٣) شنفوه : جعلوا له شنفا وهو القرط .
(٤) الظبا : جمع ظبة ، وهى فى الأصـل حدّ السيف أو السنان ونحوه .
(٥) جمع طومار أو طامور وهو الصحيفة .
(٦) العسوف : الجائر الظلوم .

يُغـادى بصرٍّ[1] من العاصـفا * ت أو دَمَقٍ[2] مثـــل وَخْز الإبر
وسكّان دارك ممن أعـــو * ل يلقَيْنَ من برده كلَّ شرّْ
فهـــذى تحِنّ وهذى تئنّ * وأدمعُ هاتيـــك تجـــرى دِرَر[3]
إذا ما تململن تحت الظـلام * تعلّلن منـــك بحسن النظـــر
ولاحظن ربعـــك، كالمحليـــــن شاموا الـــبروق رجاء المطـر
يؤمّلن عَــوْدى بمـا ينتظـرن * كما يُرتجَى آئبٌ من ســـفر
فأنعـــمْ بإنجاز ما قد وعدتَ * فما غيرُك اليـــومَ من ينتظـــر
وعش لى وبعدى فأنت الحيـا * ة والسـمع من جسدى والبصر

وقال من قصيدة يهنئه بمولود من سُرِّية روميّة :

اسـعَدْ بمولودٍ أتاك مبـاركا * كالبـدر أشرق جنحَ ليـلٍ مقمرِ
سـعد لوقت سـعادةٍ جاءت به * أمٌّ حَصانٌ[4] من بنات الأصفر
متبحبح[5] فى ذروتى شرف العُـلا * بين المهلّب منتماه وقيصر
شمس الضحى قُرنت الى بدر الدُّجَى * حتى اذا آجتمعا أتت بآلمشـترى

ولما تولّى أبو عبد الله البريدى الوزارة هجاه أبو الفرج بقصيدة طويلة أوّلها :

ياسماء آسقُطى ويا أرض ميدِى * قد تولّى الوزارة آبنُ البريدى

ومنهـا :

يالَقَومى لِحَرّ صدرى وعَوْلِى * وغليـــلى وقلـــبيَ المعمود[6]
حين سار الخميس[7] يوم خميس * بالبريدىّ فى ثيـابٍ ســـود

(١) ريح صرّ : شديدة الصوت أو البرد. (٢) الدمق : الريح والثلج . (٣) درر : جمع درّة، والدرّة فى الأمطار أن يتبع بعضها بعضا . (٤) الحصان : العفيفة. (٥) متبحبح : متمكن . (٦) المعمود : من عمده أى أضناه وأوجعه . (٧) الخميس : الجيش لأنه خمس فرق : المقدّمة والقلب والميمنة والميسرة والساقة .

قد حباه بهـا الإمام اصطفاءً * واعتمادا منـه لغـير عميـد
خِلَعٌ تخلع العــلا ولــواءٌ * عَقْــدُه حلّ عُقْـدَةَ المعقود

وقال أبو الفرج الأصبهانى : بلغ أبو الحسن جحظة أن مدرك بن محمد الشيبانى الشاعر ذكره بسوء فى مجلس كنت حاضره، فكتب إلىّ :

أبا فرج أُهجَى لديك ويُعتَدَى * علىّ فلا تَحْمَى لذاك وتغضب

فكتبت إليه :

لعمـرك ما أنصفتَنى فى مودّتى * فكن مُعتبا إنّ الأكارم تُعتِبُ
عجبتُ لمـا بُلِّغتَ عـنِّىَ باطـلاً * وظنّـك بى فيـه لعمرك أعجبُ
ثَكِلتُ إذًا نفسى وعِرْسى وأُسرتى * بفَقْدى ولا أدركتُ ما كنتُ أطلبُ
فكيف بمن لاحَظَّ لى فى لقـائه * وسِـيّانِ عندى وصلُه والتجنُّبُ
فثِـقْ بأخٍ أصـفاك مَحْضَ مودّةٍ * تَشَاكَل منهـا ما بدا والمُغَيَّبُ

وقال من قصيدة يرثى بها ديكا وهى من أجود ما قيل فى مراثى الحيوان :

خطبٌ طُرِقتُ به أمَرُّ طُـروقِ * فَظُّ الحُـلولِ علىّ غيرُ شـفيق
فكأنمـا نُوَبُ الزمانِ محيطةٌ * بى راصـداتٌ[(1)] لى بكلّ طـريق
حـتى متى تُنْحِى[(2)] علىّ صـروفُها * وتُغِصّـنى بِجُرَعاتِهـا بالريق
ذهبتْ بكل مصاحبٍ ومناسبٍ * ومُــوافق ومُرافق وصــديق
حتى بديكٍ كنتُ آلَفُ قربَه * حسنٍ إلىّ من الديوك رشـيق

ومنهـا :

لهفى عليـك أبا النـذير لَـوَ انّه * دَفَعَ المنـايا عنك لَهْفُ شـفيق

(١) راصـدات : راقبات .   (٢) تنحى : تقبل .

وعلى شمـائلك اللـواتى ما نمتْ * حتى ذَوَتْ من بعد حسن سُمُوق[1]

لمـا بَقِعتْ[2] وصرتَ عِلْقَ[3] مَضِنَّةٍ * ونشأتَ نَشْءَ المقبـل المومُوق[4]

وتكاملت جُمَـلُ الجمـال بأسْرها * لك من جليـلٍ واضحٍ ودقيـق

وكُسِيتَ كالطاوُس ريشا لامعا * متـلألئـا ذا رَوْنـقٍ وبريق

من حُمْـرةٍ فى صُفرةٍ فى خضرةٍ * تخييلُهـا يُغنى عن التحقيق

عَرَضٌ يَجِلّ عن القياس وجوهرٌ * لَطُفتْ معانيـه عن التدقيـق

وخطرتَ ملتحفًا ببُرْدٍ حَـبَّرتْ[5] * منه بديعَ الوَشْيِ كفٌّ أنيق

كالجُلَّنـارة[6] أو صفـاءِ عَقيقـةٍ * أو لمـع نارٍ أو وميـض بُروق

أو قَهْـوةٍ[7] تختـالُ فى بَـلُّورةٍ * بتألُّق الـترويق[8] والتصـفيق[9]

وكأنّ سالفتيـكَ[10] تِبرٌ سـائلٌ * وعلى المَفـارق[11] منك تاجُ عقيق

وكأنّ مَجْرَى الصوتِ منك إذا نبتْ * وجَفتْ عن الأسماع بُحُّ[12] حُلوق ،

نايٌ[13] دقيـقٌ ناعـمٌ قُرِنتْ به * نَغَمٌ مؤلَّفـة من المُوسـيق

ومنهـا :

أبكى إذا أبصرتُ رَبْعَك مُوحِشًا * بتحزُّنٍ وتأسُّـفٍ وشهيـق

---

(١) سموق : علو وارتفاع . (٢) يقال : بقع الطير : أى اختلف لونه فهو أبقع . (٣) العلق : النفيس من كل شىء . ويقال : هذا الشىء علق مضنة أى يضنّ به . (٤) الموموق . المحبوب . (٥) حبرت : حسنت . (٦) الجلنار : زهر الرمان ، معرّب كلنار . (٧) القهوة : الخمر . (٨) الترويق : التصفية . (٩) التصفيق يقال : صفق فلان الشراب إذا حوّله من إناء الى إناء ليصفو . (١٠) السالفتان : صفحتا العنق . (١١) المفارق : جمع مفرق ، وأصله وسط الرأس الذى يفرق فيه الشعر . والمراد هنا أعالى الرأس . (١٢) بح : جمع أبح من البحة وهى خشونة وغلظ فى الصوت . (١٣) الناى من آلات اللهو أعجمى معرّب ، وعربيه زَمْخَر ومزمار .

ويزيدنى جَزَعاً لفقــدك صادحٌ[1] * فى منزلٍ دانٍ الىّ لصيق
قَرِعَ[2] الفــؤادَ وقــد زَقَا فكأنّه * نادَى ببَيْنٍ أو نَعِىٍّ شــقيق
فتأسّــفِى أبدًا عليك مُواصَــلٌ * بسواد ليــلٍ أو بيــاض شُروق
وإذا أفاق ذوُو المصائب سَلْوةً * وتصــبّروا أمسيتُ غيرَ مُفيق

قال أبو الفرج : كنت انحدرت الى البصرة، ولمّا وردتها أصعدت الى سكّة قريش أطلب منزلا أسكنه؛ لأنى كنت غريبا لا أعرف أحدا من أهلها إلا من كنت أسمع بذكره، فاستأجرت بيتا فى خان، وأقمت فى البصرة أياما ثم خرجت عنها طالبا حصن مهدى؛ وكتبت هذه الأبيات على حائط البيت الذى أسكنه :

الحمــــد لله على ما أَرَى * من صَنْعتى من بين هذا الوَرَى
أصــارنى الدهـــرُ الى حالةٍ * يعدَمفيها الضيفُ عندى القِرَى
بُدِّلْتُ من بعــد الغِنَى حاجةً * الى كلابٍ يلبَسون الفِرا[3]
أَصبح أُدْم السُّوق لى مأكلًا * وصار خبزُ البيت خبزَ الشّرا
وبعـــد ملكى مــنزلًا مُبْهِجًا * سكنتُ بيتا من بيوت الكِرا
فكيف أُلْفَى لاهيًا ضاحكا * وكيف أحظَى بــلذيذ الكَرَى
سبحانَ مَن يعلم ما خلفَنا * وبين أيدينــا وتحت الثرى
والحمـــد لله على ما أرى * وانقطع الخَطْبُ وزَالَ المِــرَا

(١) صادح : وصف، من قولهم : صدح الديك أى رفع صوته .

(٢) قرع الفؤاد : بخأه .

(٣) الفرا : مقصور الفــراء جمع فروة، وهى جلود حيوان تدبغ وتخاط وتبطن بها الثياب فتلبس اتقاء البرد .

وقال من قصيدة :

وإذا رأيت فتًى بأعلى رتبــةٍ * فى شامخٍ من عزِّه المترفِّع
قالت لِيَ النفس العَزُوفُ بفضلها * ما كان أولانى بهـذا الموضع

وقال :

الدهر يلعب بالفتى فيهيضُـه * طـورًا و يجبُرُ عظمَه فيُراش[1]
وكذا رأينا الدهرَ فى إعراضه * يُنحى وفى إقبـاله يَنتـاش[2]

ومما قال فى النسيب :

أَدَلَّ[3] فيا حبّذا من مُدِلٍّ * ومِن ظالم لدمى مُستَحِلِّ
إذا ما تعــزّزَ قابلتُـه * بذلٍّ وذلك جهدُ المقلّ

وقال من أبيات :

مرّتْ بنا تَخطِر فى مَشْيها * كـأنمـا قامتُهـا بانَهْ
هبّت لنـا ريح فمالت بهـا * كما تثنّى غصنُ ريحانهْ
فتيّمتْ قـلبى وهاجت له * أحزانَه قِــدْمًا وأشجانَهْ

قال ابن عبد الرحيم : حدّثنى أبو نصر الزجاج قال : كنت جالسا مع أبى الفرج الأصبهانى فى دكّان فى سوق الورّاقين ، وكان أبو الحسن على بن يوسف بن البقّال الشاعر جالسا عند أبى الفتح بن الخزّار الورّاق وهو يُنشد أبيات إبراهيم بن العبّاس الصُّولىّ التى يقول فيها :

رأى خَلّتى من حيث يخفَى مكانُها * فكانت قَـذَى عينيه حتى تَجَلَّتِ

---

(١) يراش : أى يصير له ريش ، والمراد اليسار وحسن الحال . و يقال : راشه بريشه إذا أحسن إليه ؛ وأصله من الريش ؛ لأن الفقير المملق لا ينهض كالمقصوص الجناح من الطير . (٢) ينتاش : ينقذ ؛ يقال : انتاشنى فلان من التهلكة ، أى أنقذنى . (٣) يقال : أدل عليه ، إذا وثق بمحبته فأفرط عليه . و يقال : هى تُدِلّ عليه أى تجترئ عليه .

فلما بلغ إليـه استحسنه وكرره ؛ ورآه أبو الفرج فقـال لى : قم إليـه فقل له : قد أسرفت فى استحسان هذا البيت ، وهو كذلك ، فأين موضع الصنعة فيـه ؟ فقلت له ذاك؛ فقال : قوله « فكانت قذى عينيه » فعدت إليه وعرّفته ، فقال : عد إليه فقل له : أخطأت ، الصنعةُ فى قوله «من حيث يخفى مكانها» . قال ياقوت : وقد أصاب كل واحد منهما حافة من الغرض ؛ فان الموضعين معًا غاية فى الحسن وإن كان ما ذهب إليه أبو الفرج أحسن .

مـــؤلفـاته

لأبى الفرج الأصفهانى مصنفات كثيرة عدا كتاب الأغانى ، منها : كتاب مجرّد[1] الأغانى ، وكتاب أخبار القيان ، وكتاب الإماء الشواعر ، وكتاب المماليك الشعراء ، وكتاب أدب الغرباء ، وكتاب الديارات ، وكتاب تفضيل ذى الحجة ، وكتاب الأخبار والنوادر ، وكتاب مقاتل الطالبيين[2] ، وكتاب أدب السماع ، وكتاب أخبار الطفيليين ، وكتاب مجموع الأخبار والآثار ، وكتاب الخمّارين والخمّارات ، وكتاب الفرق والمعيار فى الأوغاد والأحرار[3] ، وهى رسالة عملها فى هارون بن المنجم ، وكتاب دعوة التجار ، وكتاب أخبار جحظة البرمكى ، وكتاب نسب بنى عبد شمس ، وكتاب نسب بنى شيبان ، وكتاب نسب المهالبة ، وكتاب نسب بنى تَغْلِب ، وكتاب نسب بنى كلاب ، وكتاب

(١) أشار الى هـذا الكتاب فى أوّل مقـدّمته فى كتاب الأغانى حيث قال فى الصفحة الأولى : ولم يستوعب كل ما غنى فى هذا الكتاب ولا أتى بجميعه ؛ إذ كان قد أفرد لذلك كتابا مجرّدا من الأخبار ومحتويا على جميع الغناء المتقدّم والمتأخر .

(٢) طبع هذا الكتاب بطهران فى سنة ١٣٠٧ هـ .

(٣) ذكر صاحب الفهرست هذا الكتاب ، وذكر له كتابا آخر باسم كتاب « صفة هارون » .

الغلمان المغنين ، وكتاب مناجيب الخصيان عمله للوزير المهلبى فى خصيين مغنيين كانا له ، وكتاب الحانات ، وكتاب التعديل والانتصاف فى أخبار القبائل وأنسابها[1] وهو كتاب جمهرة أنساب العرب[2] ، وكتاب أيام العرب : ألف وسبعمائة يوم ، وكتاب دعوة الأطباء ، وكتاب تحف الوسائد فى أخبار الولائد . وجمع ديوان أبى تمام ولم يرتبه على الحروف بل على الأنواع كما هو الآن فى نسخة مصر ، وجمع ديوان أبى نواس ، وجمع ديوان البحترى ولم يرتبه على الحروف بل على الأنواع كما فعل بديوان أبى تمام . وله أيضا كتاب فى النغم[3] ، ورسالة فى الأغانى[4] .

وفاتـــه

توفى أبو الفرج فى ١٤ ذى الحجة سنة ٣٥٦هـ فى بغداد ، وكان قد خلّط قبل أن يموت . ومات فى هذه السنة عالمـان كبيران ، وثلاثة ملوك كبار . فالعالمـان : أبو الفرج ، وأبو علىّ القالى . والملوك : سيف الدولة بن حمدان ، ومعز الدولة بن بويه ، وكافور الإخشيدى . هذا ما عليه الأكثر فى تاريخ وفاته ، وقال ابن خلكان : إنه الأصح . وقيل توفى سنة ٣٥٧هـ . وفى الفهرست لابن النديم أنه توفى سنة نيف وستين وثلثمائة . وفى معجم الأدباء طبع مصر ، بعـد ذكر تاريخ وفاته سـنة ٣٥٦ ، حديث يقتضى أن أبا الفرج عاش الى ما بعد سنة ٣٦٢ ؛ وقد وضع هذا الحديث بين قوسين ونصه : [وجدت على الهامش بخـط المؤلف تجـاه وفاته ما صورته : وفاته هـذه فيها نظر

(١) كذا فى معجم الأدباء وتاريخ ابن شاكر . وفى تاريخ ابن خلكان « فى مآثر العرب ومثالبها » .

(٢) نبه على ذلك المؤلف فى كتاب الأغانى جزء ١٩ ص ٥٣ (طبعة بولاق) .

(٣) ورد ذكر هذا الكتاب فى كتاب الأغانى ج ٩ ص ٤٩

(٤) ورد ذكر هذه الرسالة فى كتاب الأغانى ج ٥ ص ٥٣ (طبعة بولاق) .

وتفتقر الى تأمل؛ لأنه ذكر فى كتاب أدب الغرباء من تأليفه: حدّثنى صديق قال: قرأت على قصر معزّ الدولة بالشماسيّة «يقول فلان بن فلان الهروى: حضرتُ هذا الموضع فى سماط معزّ الدولة والدنيا عليه مقبلة وهيبة الملك عليه مشتملة، ثم عدت إليه فى سنة ٣٦٢ فرأيت ما يعتبر به اللبيب» يعنى من الخراب. وذكر فى موضع آخر من كتابه هذا قصة له مع صبى كان يحبه ذكرتها بعد هذا، يذكر فيه موت معز الدولة وولاية ابنه بختيار، وكان ذلك فى سنة ٣٥٦، ويزعم فى تلك الحكاية أنه كان فى عصر شبابه؛ فلا أدرى ما هذا الاختلاف. آخر ما كان على الهامش].

كتاب الأغانى

وثناء أهـــل العـــلم والأدب عليـــه

قال أبو محمد المهلبى: سألت أبا الفرج فى كم جمعت هـذا الكتاب؟ فقال: فى خمسين ســنة، وإنه كتبه مرة واحدة فى عمره، وهى النسخة التى أهداها إلى سيف الدولة بن حمدان فأعطاه ألف دينار. وبلغ ذلك الصاحب بن عبّاد فقال: "لقد قصّر سيف الدولة، وإنه ليستحق أضعافها؛ إذ كان مشحونا بالمحاسن المنتخبة والفقر الغريبة، فهو للزاهد فكاهة، وللعالم مادّة وزيادة، وللكاتب والمتأدّب بضاعة وتجارة، وللبطل رُجْلةٌ وشجاعة، وللمضطرب (١) رياضة وصناعة، وللملك طيبة ولذاذة. ولقد اشتملت خزانتى على مائة ألف وسبعة عشر ألف مجلد ما فيها سميرى غيره. ولقد عُنيت بامتحانه فى أخبار العرب وغيرهم فوجدت جميع ما يعز (٢) عن أسماع من قَرَفه (٣) بذلك قد أورده العلماء فى كتبهم، ففاز بالسبق فى جمعه وحسن وضعه وتأليفه".

(١) كذا بالأصل. وصوابه "وللتظرف" عن كتاب تجريد الأغانى. (٢) كذا بالأصل. ولعلها "يعزب" بمعنى يغيب ويختفى. (٣) قرفه بكذا: اتهمه به.

وذكر ابن خلكان أن الصاحب بن عباد كان يستصحب فى أسفاره حمل ثلاثين جمــلا من كتب الأدب، فلما وصل اليه هــذا الكتاب لم يكن بعــد ذلك يستصحب غيره لاستغنائه به عنها .

وقال أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف كاتب عضد الدولة : لم يكن كتاب الأغانى يفارق عضد الدولة فى سفره ولا حضره، وإنه كان جليسه الذى يأنس إليه وخدينه الذى يرتاح نحوه .

وقال ياقوت : ولعمرى إن هذا الكتاب جم الفوائد عظيم العلم، جامع بين الجدّ البحت، والهزل النحت .

وقال أبو جعفر محمد بن يحيى بن شيرزاد : اتّصل بى أن مُسَوَّدَة كتاب الأغانى، وهى أصل أبى الفرج، أُخرجت الى سوق الورّاقين ببغداد لتباع، فأنفذت الى ابن قرابة، وسألته إنفاذ صاحبها لأبتاعها منه لى، فجاءنى وعرّفنى أنها بيعت فى النداء بأربعة آلاف درهم، وأن أكثرها فى ظهور وبخط التعليق، وأنها اشتريت لأبى أحمد ابن محمد بن حفص؛ فراسلت أبا أحمد، فأنكر أنه يعرف شيئا من هذا؛ فبحثت كل البحث فمــا قدرت عليها .

قال ياقوت : قرأت على ظهر جزء من نسخة لكتاب الأغانى لأبى الفرج : حدّث ابن عرس الموصلى، وكان المترسل بين عز الدولة وبين أبى تغلب بن ناصر الدولة وكان يخلف أبا تغلب بالحضرة، قال : قال كتب الىّ أبو تغلب يأمرنى بابتياع كتاب الأغانى لأبى الفرج الأصبهانى، فابتعته له بعشرة آلاف درهم من صرف ثمانية عشر درهما بدينار، فلما حملته اليه ووقف عليه ورأى عظمة وجلالة ما حوى قال : لقد ظُلم ورّاقه المسكين، وإنه ليساوى عندى عشرة آلاف دينار، ولو فُقد لمــا قدرت عليه

الملوك إلا بالرغائب ، وأمر أن تكتب له نسخة أخرى ويخلد عليها اسمه ، فابتـدأ بذلك ، فما أدرى أتمت النسخة أم لا .

وروى صاحب نفح الطيب : أن الحكم المستنصر أحد خلفاء بنى أمية بالأندلس بعث فى كتاب الأغانى الى مصنفه أبى الفرج الأصفهانى ، وكان نسبه فى بنى أمية ، وأرسل اليه فيه بألف دينار من الذهب العين ، فبعث اليه نسخة منه قبل أن يخرجه بالعـــراق .

وقال ابن خلدون فى مقدّمته : وقد ألّف القاضى أبو الفرج الأصبهانى ، وهو ماهو ، كتابه فى الأغانى ، جمع فيه أخبار العرب وأشعارهم وأنسابهم وأيامهم ودولهم ، وجعل مبناه على الغناء فى مائة الصوت التى اختارها المغنون للرشيد ، فآستوعب فيه ذلك أتم استيعاب وأوفاه . ولعمرى إنه ديوان العرب ، وجامع أشتات المحاسن التى سلفت لهم فى كل فن من فنون الشعر والتاريخ والغناء وسائر الأحوال ، ولا يعدل به كتاب فى ذلك فيما نعلمــه ، وهو الغاية التى يسمو اليها الأديب ويقف عنـدها ، وأنّى له بها .

نقد كتاب الأغانى

قال ياقوت : وقد تأملت هـذا الكتاب وعُنيت به وطالعتـه مرارا وكتبت منه نسخة بخطى فى عشر مجلدات ، ونقلت منه الى كتابى الموسوم بأخبار الشـعراء فأكثرت ، وجمعت تراجمه فوجدته يَعِدُ بشىء ولا يفى به فى غير موضع منه ؛ كقوله فى أخبار أبى العتاهية : «وقد طالت أخباره ها هنا وسنذكر خبره مع عتبة[1] فى موضع

(١) الذى فى الأغانى : « ولم أذكر هاهنا مع أخبار أبى العتاهيــة أخباره مع عتبة وهى من أعظم أخباره لأنها طويلة وفيها أغان كثيرة وقد طالت أخباره هاهنا فأفردتها » (جزء ٣ ص ١٨٣ طبعة بولاق) .

آخر » ولم يفعل. وقال فى موضع آخر : « أخبار أبى نواس مع جنان إذ كانت سائر أخباره قد تقــدمت[١] » ولم يتقدم شيء، الى أشباه لذلك . والأصوات المــائة هى تسعة وتسعون، وما أظنّ إلا أن الكتّاب قد سقط منه شيء أو يكون النسيان غلب عليه، والله أعلم .

مختصرات كتاب الأغانى

اختصر كتاب الأغانى جماعة : منهم الوزير الحسين بن على بن حسين أبو القاسم المعروف بابن المغربى المتوفى سنة ٤١٨ هـ .

ومنهم القاضى[٢] جمال الدين محمد بن سالم المعروف بآبن واصــل الحموى المتوفى سنة ٦٩٧ هـ .

ومنهم أبو القاسم عبد الله المعروف بآبن باقيا الكاتب الحلبى المتوفى سنة ٤٨٥هـ. قال عنه آبن خلكان : واختصر الأغانى فى مجلد واحد .

ومنهم الأمير عز الملك محمد بن عبــد الله بن أحمد الحرّانى المسـبّحى الكاتب المتوفى سنة ٤٢٠ هـ .

---

(١) الذى فى الأغانى جزء ١٨ ص ٢ : « إذ كانت أخباره قد أفردت خاصة » .

(٢) وسمى كتابه تجريد الأغانى من ذكر المثالث والمثانى . وقال فى مقدمته إنه جرد الأغانى من ذكر الأصوات وما احتوت عليه من أنواع النغم والإيقاعات مما لا فائدة من ذكره كما جرده من الأسانيد والمكررات والأخبار والأشعار المشتركة ، واقتصر فيه على غرر فوائده ودرر فرائده ، وأضاف اليه فوائد أخرى تتعلق به وشرح بعض المستغلق من ألفاظه . ويوجد منــه بدار الكتب المصرية الجزء الأوّل فى ثلاثة مجلدات برقم ٥٠٧١ أدب مأخوذة بالتصوير الشمسى عن نسخة خطية محفوظة بمكتبة أيا صوفية بالآستانة برقم ٤٠٠١ مكتوبة بخط محمد بن محمد النصيبى كتبها بمحروسة حماة وفرغ من كتابتها سنة ٦٦٦ هـ وجعلها برسم خزانة السلطان أبى الفتح محمود بن الملك المنصور محمد بن الملك المظفر أبى الفتح عمر بن شاهنشاه بن أيوب .

ومنهم الإمام اللغوى جمال الدين محمد بن المكرم الأنصارى صاحب "لسان العرب" المتوفى سنة ٧١١ هـ ومختاره مرتب على حروف الهجاء سماه «مختار الأغانى فى الأخبار والتهـانى» [(١)] .

ومنهم الرشيدى أبو الحسين أحمد بن الرشيد بن الزبير .

وقد اختصر أيضا كتاب الأغانى حضرة أستاذنا الفاضل الشيخ محمد الخضرى بك المفتش بوزارة المعارف وحذف منــه الأسانيد وما لم يستحسن ذكره من الفحش والمخل بالأدب ، وروى الشعر كما قاله الشعراء لا كما غنى به المغنون فتمم بعض القصائد المنقوصة ، ورتب بعض القطع المشوشة بعد الرجوع الى أصولها ، وجعله فى قسمين : فى القسم الأوّل الشعراء ، وفى الثانى المغنون . ورتب الشعراء ثلاث طبقات : الأولى طبقة الشعراء الجاهليين ، والثانية طبقة الشعراء الإسلاميين ، والثالثة طبقة الشعراء المحدَثين ، وجعل المخضرمين بين كل طبقتين مع الأولى منهما ، ونظم فى سلكٍ شعراء كل قبيلة من كل طبقة ، فبدأ بشعراء قحطان ثم ثنّى بشعراء عدنان ، وبدأ الأوّلين بشعراء حمير

(١) ويوجد منه بدار الكتب المصرية الجزء الثانى أوّله حرف الباء : وقعة بدر وينتهى الى أثناء الكلام على ترجمة حمزة بن بيض الحنفى الشاعر من حرف الحـاء ، فى ثلاثة مجلدات برقم ٤٦٤٦ أدب مأخوذة بالتصوير الشمسى من النسخة الخطية المحفوظة بمكتبة كوبريلى بالآستانة .

ثم الجزء الثانى أيضا يبتدئ من بقية حرف الألف بترجمة أبى عطاء أفلح السندى وينتهى الى أثناء حرف الجيم مأخوذ بالتصوير الشمسى عن النسخة المحفوظة بمكتبة المجلس البلدى بالإسكندرية المخطوطة بخط ولده عبد الله على بن محمد بن المكرم ، فرغ من كتابته فى الرابع من شهر ربيع الأوّل سنة ٦٨٣ هـ فى ١٧٥ لوحة وكل لوحة تشتمل على صفحتين فى الربع فى مجلدين ، برقم ٧٤٢١ أدب .

ثم ثلاثة مجلدات تبتدئ من أوّل حرف الحاء الى حرف الميم آخره المغيرة الأقيشر ، مأخوذة بالتصوير الشمسى من نسخة خطية محفوظة بمكتبة الأزهر وهما برقم ٥٥٠٣ أدب .

وقد طبع منه الجزء الأوّل هذا العام بالمطبعة السلفية بمصر وينتهى الى آخر أخبار اسحاق الموصلى .

وأثنى بشعراء كهلان ، و بدأ الآخرين بشعراء ربيعــة وأثنى بشــعراء مضر . وقد طبع الكتاب فى ثمانية أجزاء: الأول والثانى فى الطبقة الأولى من الشعراء الجاهليين والمخضرمين ، والثالث والرابع فى الطبقة الثانية من الشـعراء الإسلاميين ومخضرمى الدولتين ، والخامس والسادس فى الطبقــة الثالثة من الشعراء المحـدَثين، والسابع فى المغنين وفيه مقدّمة فى الغناء العربى، والثامن فيه الفهارس والملحوظات .

كتب الأغانى المؤلفة قبل هذا الكتاب

والمسماة باسمـــه

ليس كتاب الأغانى لأبى الفرج الأصبهانى أوّل كتاب أُلِّف فى هذا الفنّ؛ فقد أَلَّف قبله عدّةُ كتب فى الغناء سميت باسمه . ونعرف من هذه الكتب :

(١) كتاب أغانى إسحاق التى غنى بها .

(٢) كتاب الأغانى الكبير — وقد اختلف فى نسبة هذا الكتاب إلى إسحاق. قال ابن النديم فى الفهرست ص ١٤١ :

” قرأت بخط أبى الحسن على بن محمد بن عبيد بن الزبير الكوفى الأسدىّ ، حدّثنى فضل بن محمد اليزيدىّ قال : كنت عنـد إسحاق بن إبراهيم الموصلىّ فجاءه رجل فقال : يا أبا محمد ، أعطنى كتاب الأغانى؛ فقال : ما كتاب الأغانى : الذى صنفته أو الكتاب الذى صُنِّف لى ؟ يعنى بالذى صنفه كتاب أخبار المغنين واحدا واحدا ، و بالكتاب الذى صُنِّف له أخبار الأغانى الكبير الذى فى أيدى الناس .

ثم ذكر حكاية أخرى لتأييد ذلك وهى[1] :

حدّثنى أبو الفرج الأصـفهانى" قال حدّثنى أبو بكر محمـد بن خلف وكيع قال سمعت حماد بن إسحاق يقول: ما ألّف أبى هذا الكتاب قط — يعنى كتاب الأغانى الكبير— ولا رآه . والدليل على ذلك أن أكثر أشعاره المنسوبة إنما جُمعت لمـا ذكر معها من الأخبار وما يجىء فيها إلى وقتنا هذا، وأن أكثر نسبه الى المغنين خطأ. والذى ألّفه أبى من دواوين غنائهم يدلّ على بطلان هذا الكتاب؛ وإنما وضعه ورّاق كان لأبى بعد وفاته سوى" الرخصة " التى هى أوّل الكتاب، فإنّ أبى ألفها؛ لأن أخباره كلها من روايتنا . وقال لى أبو الفرج : هذا ما سمعته من أبى بكر وكيع حكايةً فحفظته واللفظ يزيد وينقص. وأخبرنى جحظة أنه يعرف الورّاق الذى وضعه، وكان يسمى سندى بن على ، وحانوته فى طاق الزبل ، وكان يورّق لإسحاق، فاتفق هو وشريك له على وضعه . وهذا الكتاب يعرف فى القديم بكتاب الشركة ، وهو أحد عشر جزءا لكل جزء أوّل يعرف به؛ فالجزء الأوّل من الكتاب : الرخصة، وهو تأليف إسحاق لا شك فيه ولا خُلْف .

(٣) كتاب الأغانى لحسن بن موسى النصيبى، وهو مرتب على حروف المعجم. قال ابن النديم فى كتاب الفهرست ص١٤٥ : "ألفه للتوكل، وذكر فى هذا الكتاب أشياء من الأغانى لم يذكرها إسحاق ولا عمرو بن بانة، وذكر من أسماء المغنين والمغنيات فى الجاهلية والإسلام كل طريف وغريب " .

(٤) كتاب الأغانى، هو أيضا لحسن بن موسى المذكور آنفا . قال ابن النديم فى الفهرست بعد أن عزا إليه الكتاب السالف: "وله كتاب الأغانى على الحروف".

(١) ستأتى هذه الحكاية فى خطبة كتاب الأغانى على نحو ما حكاها صاحب الفهرست .

الكلمات الاصطلاحية الواردة فى كتاب الأغانى

جاء فى مقال نشر فى المجلد الخامس من مجلة المقتبس صفحة ٢٠٨ تحت عنوان «مصطلحات آلات الطرب وأغانى العرب» بحث فى اصطلاح الأصوات وأنواع الألحان الواردة فى كتب الأغانى . وهو مأخوذ من كتاب مخطوط اسمه « نيل السعود فى ترجمة الوزير داود » كتب سنة ١٢٣٢ هـ كما ذكر فى وصفه فى المجلد الثانى من مجلة المقتبس ص ٣٨٥ . وعنوان البحث فى هذا الكتاب : « العود ومصطلحاته » .

وإذ كانت الأصوات الواردة أسماؤها فى كتاب الأغانى غير معروفة على كثرة بحث العلماء عنها ، رأينا نقل ما له تعلق ببيان اصطلاحها من هذا المقال إفادة للقرّاء . وهو :

قال صاحب الكتاب (العود ومصطلحاته) فى الصفحة ٢٢١ من المخطوط وما يليها :

" كثيرا ما كنت أطالع فى كتاب الأغانى ألفاظا فى مصطلح الغناء وما كنت أتوصل إلى فهمها ، حتى ظفرت أخيرا برسالة لعبد القادر بن غيبي الحافظ المراغى المشهور بعلم الألحان ، فأخذت عنه ما يتعلق بفتح مغلق الكلام الخاص بهذا العلم فأقول :

اِعلم أن الألفاظ الواردة فى كتاب الأغانى تتعلق كلها بالعود العربىّ ، فإذا علمت تركيب هذه الآلة هان عليك فهم ما أشكل عليك من مصطلحها. فهذه الآلة طولها مثل عرضها مرّة ونصف مرة ، وغورها كنصف عرضها، وعنقها كربع طولها فى الراحة وثخن الورقة من خشب خفيف . ووجهها أصلب ، وتمدّ

عليه أربعة أوتار أغلظها البم بحيث يكون غلظه مثل المثلث الذى يليه مرة وثلثا، والمثلث إلى المثنى كذلك، والمثلث مثــل الزير كذلك[1]. وقد ضبطوها بطاقات الحرير فقالوا :

يجب أن يكون البم أربعا وستين طاقة، والمثلث ثمــانيا وأربعــين، والمثنى ســتا وثلاثين، والزير سبعا وعشرين. وتجعل رءوسها من جهة العنق فى ملاوٍ، والأخرى كمشط فتتساوى أطوالها. ثم يقسم الوتر أربعة أقسام طولا ويشــد على ثلاثة أرباعه مما يلى العنق، وهذا دستان الخنصر. ثم ينقسم الآخر تسعة ويشد على تسعه مما يلى العنق، وهذا دستان السبابة. ثم يقسم ما تحت دستان السبابة إلى المشط أتساعا متساوية ويشد على التسع مما يلى المشط، ويسمى دستان البنصر، فيقع فوق دستان الخنصر مما يلى دستان السبابة. ثم يقسم الوتر من دستان الخنصر مما يلى المشط ثمانية أقسام، وضعّف إليها جزءا مثل أحدها مما بقى من الوتر وشُــدَّه فهو دستان الوسطى، ويكون وقوعه بين السبابة والبنصر. فهذه الاصطلاحات هى المصححة للنسب. فإذا جذب وتر منها إلى غاية معلومة سمى الزير، فيجذب المثنى على نسبة تليه فى الانحطاط، وهذا مع الجنس[2] بالخنصر والضرب حتى يقع التساوى.

وتكلم بعــد هذا على مناسبة أنواع الوتر للعناصر والطباع. ثم قال: قوانين الغناء لا تخرج عن ثمــانية :

ثقيــــل أول، ورسمه :

تَنَّ تَنَّ تَنَّ . تَنَّ تَنَّ تَنَّ .

(١) كذا فى المجلة المنقول عنها هذا الموضوع. ولعله والمثنى الى الزير كذلك. (٢) لعله «الجسّ».

وهو مركب من تسع نقرات هى ثلاث متواليات وواحدة كالسكون فخمس مطوية الأول .

وثقيل ثان ، وهذا رسمه :

تَنّ تَنّ تَنْ ٠ تَنّ تَنّ تَنْ ٠

وهو مركب من إحدى عشرة وهى ثلاث متواليات فواحدة ساكنة فثقيلة فأربع مطوية الأول .

وخفيف الثقيل الثانى ويسمى الماخورى ، وهذا رسمه :

تَنْ تَنْ تَنّ تَنْ تَنْ تَنّ ٠

وهو مركب من ست : ثلاث متواليات فسكون ثم ثلاث .

ورمل ويسمى ثقيل الرمل ، وهذا رسمه :

تَنّ تَنْ تَنْ ٠ تَنّ تَن تَنْ ٠

وهو مركب من سبع وهى ثقيلة أولى فمتواليتان فسكون وهكذا الى آخره .

وخفيفه ، وهذا رسمه :

تَنْ تَنْ ٠ تَنْ تَنْ ٠ تَنْ تَنْ ٠ تَنْ تَنْ ٠

وهو مركب من ثلاث نقرات متوالية متحركة .

وخفيف الخفيف ، ورسمه :

تَنْ تَنْ تَنْ ٠ تَنْ تَنْ تَنْ ٠

وهو مركب من نقرتين بينهما سكون قدر واحدة .

وهزج ، ورسمه :

تنْ تنْ تنْ . تنْ تنْ تنْ تنْ .

وهو مركب من نقرة كالسكون ثم سكون قدر نقرة ثم بين كل آثنين سكون .

فهذه أصول التراكيب وإنما تكرر بحسب آستيفاء الأدوار .

وتكلم بعد هذا على أنواع أخرى من الأغانى ثم قال :

واعلم أن اللحن يسمى مطلقا إذا لم يكن مقيدا بلفظة تدل على وصفه كالثقيل والخفيف وخفيف الخفيف . ويذكر بعد اللحن موقع الأصبع الذى يبتدأ به ليهتدى الى قراره، فيقال مثلا : ثانى ثقيل مطلق أو ثانى ثقيل بالوسطى أو بالخنصر فى مجرى البنصر أو خفيف رمل بالبنصر أو خفيف ثقيل أول بالبنصر إلى غير ذلك، وهو المعروف عند أصحاب هذا الفن بمواقع الأصابع من الدساتين .

نســـخ الأغانى

نسخ الأغانى الموجودة بدار الكتب والتى روجعت عليها هذه الطبعة هى :

(١) نسخة ت

وهى النسخة التيمورية المرموز إليها بالحرف «ت». وليس لدينا منها سوى الجزء الأول آستعرناه من حضرة صاحب السعادة أحمد تيمور باشا عندما بدأنا فى تصحيح كتاب الأغانى. وقد أخبرنا سعادته أن ليس لديه من هذه النسخة سوى هذا الجزء. وهو جزء مخطوط يقع فى ٢٤٦ ورقة تنتهى بآخر أخبار المجنون (قيس بن الملوح).

وقد كتب على الصفحة الأولى منه عنوان الكتاب واسم مؤلفه وفهرس لما فيه من التراجم، بخط واضح بيّن. وفى أعلى الصفحة جملة لم يبن منها سوى هذه الكلمات :

«فى ملك ... العلى ... الحنبلى عفا الله عنه وعافاه» . وفى وسط الصفحة كتب بخط كبير كلمات شطب عليها ولم تتبين منها بعــد الشطب بمنتهى الصعوبة سوى : «شرى من دار السلام أحد وعشرون جزءا من كتب العبد الفقير الى الله تعالى ... بن يوسف ابن عمر ... بن رسول عفا الله عنه» . وفى جانبها الأيمن من الأسفل خط مشطوب لم نتبين منه بعد الجهد سوى هــذه الكلمات : «حاز النسخة الشيخ العالم ... من تركة ... العبد الفقير الى ربه الغنىّ الغفار سـنة ٩٣٧» . وفى الجانب الآخر كتب بحبر أحمر لم نتبينه كله وهو : «هذا خط ملك اليمن ... الملك ... رحمـة الله عليهم أجمعين ... وكل منهما ترجم عثمان وأنشد لشيخ الإسلام [1] :

مذ مدّ مجـــد الدّين فى أيامه * من بعض أبحر علمه القاموسا

نسخت صحاح الجوهرىّ كأنها * سحر المدائن حين ألقى موسى

ويبلغ طول الصفحة منها ٢٤ سنتيمترا وعرضها ١٦ سنتيمترا وطول ما رسم منها ١٩ سنتيمترا بعرض ١١ سنتيمترا وفى كل صفحة ١٥ سطرا .

وليس بهوامشها سوى بعض كلمات أو جمل سقطت من الأصـل فاستدركها الناسخ ويكتب فى نهايتها كلمة «صح» إشارة الى سقوطها من الأصـل، أو روايات مختلفة عن نسخ أخرى ويكتب فوقها الحرف «خ» إشارة الى روايتها بهذا النص فى نسخة أخرى .

أما خطها فهو الخط النسخىّ ، ويرجع عهده الى ما قبل القرن العاشر بدليل تملكها فى هذا التاريخ كما كتب فى أوّل صفحة منها، وإن كنا لم نستطع الحكم بالضبط

(١) نسب هــذين البيتين السـيد مرتضى فى شرح خطبة القاموس لنور الدين على بن محمـد العفيف المكى المعروف بالعليفى .

عن سنة نسخها؛ لأنه لم يتبين فيها سنة نسخها بالضبط ولا الخزانة التى كتبت برسمها ولا موضع كتابتها ولا مقابلتها بنسخة أخرى ولا شىء من ذلك .

والنسخة مضبوط أكثر كلماتها بالحركات، وتغلب عليها الصحة . وقد وجدنا بها زيادة نحو سبع صفحات ليست فى نسخة أخرى فأثبتناها فى هذه الطبعة، وهى الموجودة بين قوسين مربعين من ابتداء السطر الثالث من صفحة ١٥٦ الى السطر الخامس من صفحة ١٦٣

(٢) نســخة ا

لم نجد بها مناسبة لحرف من الأحرف ولذلك اصطلحنا على تسميتها بالحرف «ا»، وهى نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٣١٨ أدب، تقع فى أربعة عشر مجلدا، ينقص منها الجزء الرابع والثامن والحـادى عشر والثانى عشر مكتوبة بخطوط مختلفة .

والجزء الأوّل منها يقع فى ٢٣١ ورقة وينتهى بآخر أخبار قيس بن الملوّح .

وليس فى الصفحة الأولى منها سوى اسم الكتاب .وكتب فى أحد جوانبها جملة لا علاقة لهـا بشىء من ذلك، وهى «عورك اسمه الحسن بن عتبة اللهبىّ فى ترجمة معبــد» .

ويبلغ طول الصفحة منها ٢٦ سنتيمترا وعرضها ١٨ سنتيمترا وطول ما رسم من الكتابة فى الصفحات ١٦ سنتيمترا بعرض ١١ سنتيمترا وفى كل صفحة ١٧ سطرا. وليس على هوامشها سوى بعض تعليقات سقطت من الأصل فاستدركها الناسخ ويكتب فى نهايتها غالبـا لفظ «صح» إشارة الى سقوطها من الأصل، أو روايات

مختلفة عن نسخ أخرى ويكتب فوقها الحرف «خ» إشارة إلى روايتها بهذا النص في نسخة أخرى .

وفي أول هذا الجزء ورقتان مكتوبتان بخط مخالف لخط الكتاب، أما بقيـة الكتاب فمكتوب بخطين مختلفين: أحدهما قديم كتب قبل سنة ٦٩٣ هـ إذ وجد في الجزأين الثاني والسابع عشر هذه العبارة في الورقة الأولى منهما وهي: «تملكه شرعا علي بن الأمير الدلقيدي» سنة ٦٩٣ هـ. وأما الخط الآخر فهو خط موسى الشعراني وقد كتب في سنة ١١٥٥ كما ورد في آخر الجزء المتم العشرين من الكتاب .

أما نوع الخط فهو في كلا الخطين الخط النسخي المعهود. والخط القديم مضبوط أكثر كلماته بالحركات، غير أننا لم نعتمد عليه في ضبط نسختنا هذه؛ لأن فيه كثيرا من الكلمات لم يضبط على وجهه الصحيح .

أما الخط الحديث فعار عن الضبط إلا قليلا، ولم نعتمد أيضا في نسختنا هذه عليـــه .

ولم تتبين في النســخة الخزانة التي كتبت برسمها ولا موضع كتابتها ولا مقابلتها بنسخة أخرى. وإن في آخر الكتاب ما يفيد أن الشيخ حسنا العطار طالعها، وناهيك بمقدار علمه وأدبه ؛ فقد كان من أدباء عصره وله مؤلفات مشهورة .

(٣) نســـخة ج

لم نجد بها مناسبة لحرف من الأحرف فاصطلحنا على تسميتها بالحرف «ج» . وهي نسخة في مجلدين كبيرين بالمجلد الأول ٦٣٦ ورقة وبالثاني ٧٦٥ ورقة وهي كلها بخط موسى الشعراني ، صرح بهذا في آخر الجزء الثاني وأنه تم نسخها في يوم الجمعة

٢٠ شعبان سـنة ١١٤٢ هـ. وأما المجلد الأول فلم يذكر فيه آسم الناسخ و إنما ذكر أنه تم فى يوم الخميس ١٨ محرم الحرام سنة ١١٤٣هـ. ومكتوب بجانب هذا مانصه : «تملكت هذه النسخة وطالعتها وصححتها بقـدر آستطاعتى وأنا الفقير عثمان المورورى عفا الله عنه وعن والديه» . والصفحة الأولى من هذه النسخة ليس بها شىء خاص بعنوان الكتاب أو آسم مؤلفه، وليس بها سوى هذه الجملة مكتوبة بخط واضح وهى : « استصحبه العبـد الفقير شفيق الحسين أصلح الله تعالى شانه ، وصانه عما شانه فى سنة ٢٣٤» . وهذه الجملة مكتوبة بشكل مثلث على رأس زوايته الحرف«م» . وفى الصفحة الثانيـة ختم « صالح نائلى » . ويبلغ طول الصفحة منها ٣٢ سنتيمترا تقريبا وعدد سطورها ٤٥ سـطرا . وبحواشيها بيان معانى بعض الكلمات اللغوية أو استدراك ما سقط من الأصل ويكتب فى آخرها كلمة « صح » إشارة إلى ذلك، أو بيان بعض الروايات المختلفة عن نسخة أخرى ويكتب فى آخرها الحرف «خ» . والنسخة عارية عن الضبط إلا فى الشعر فانه مضبوط فى كثير من كلماته .

ونوع الخط فيها هو الخط النسخى .

ولم نتبين فى النسخة آسم الخزانة التى كتبت برسمها ولا موضع كتابتها ولا مقابلتها بنسخة أخرى .

(٤) نســخة م

وهى نسخة فى ثلاثة مجلدات، تشتمل على أكثر الكتاب . وهى إحدى نسخ المكتبة القيمة التى أهداها المرحوم مصطفى فاضل باشا لدار الكتب . وقد آستحسنا أن نسميها بالحرف «م» تنبيها الى ذلك ولأن كتبه بدار الكتب تعطى الرقم الخاص بها ملحقا بها هذا الحرف .

وبالمجلد الأول ٢٧٠ ورقة وبالثانى ٢٣٧ ورقة وبالثالث ٣٣٣ ورقة .

وليس فى الصفحة الأولى ولا الأخيرة من هـذه النسخة شىء خاص بعنوان الكتاب ولا آسم مؤلفه ولا من تملك هـذه النسخة ولا الخـزانة التى كتبت برسمها ولا سنة نسخها ولا آسم ناسخها ولا موضع كتابتها أو مقابلتها بنسخة أخرى . وطول صفحتها ٣٣ سنتيمترا وعرضها ٢١ سنتيمترا . وطول مارسم من الكتابة ٢٦ سنتيمترا بعرض ١٦ سنتيمترا . وعدد الأسطر ٢٥ سطرا . وليس بحواشيها شىء من التعليقات . وهى عارية عن الضبط . ولا يوثق بصحتها كثيرا لكثرة ما فيها من التحريف .

(٥) نســخة د

وهى نسخة بها عشرة مجلدات ، الثمانية الأولى بها من أوّل الجزء الأوّل إلى آخر الثامن وبالمجلدين التاسع والعاشر الجزآن الرابع عشر والخامس عشر .

ولم نجد مناسبة لتسميتها بحرف من الحروف فسميناها بالحرف «د» . وبالجزء الأوّل ١٧٦ ورقة كتبها حسن بن محمد الشماوى ، صرح بهذا فى الجزء الرابع منها . وليس فى هذه النسخة ما يدل على الخزانة التى كتبت برسمها ولا من تملكها ولا سنة نسخها ولا موضع كتابتها أو مقابلتها بنسخة أخرى .

وهذه النسخة تغلب عليها الجدة . وهى عارية عن الضبط ، ولا يوثق بها لكثرة ما فيها من التحريف .

وطول الصفحة منهـا ٢٤ سنتيمترا وعرضها ١٧ سنتيمترا وطول ما رسم من الكتابة ١٨ سنتيمترا بعرض ١٠ سنتيمترات . وعدد سطورها ٢١ سطرا .

(٦) نســـخة ر

وهذه النسخة طبعت فى أوربا (الجزء الأوّل) ولذلك سميناها بالحرف «ر»، وهى مطبوعة فى مدينـــة جريبزڤولد ســنة ١٨٤٠ م نقلها عن مخطوطات عربية ومعها ترجمة لاتينية وملاحظات « المسيو روز جارتن ».

وينتهى هـذا الجزء قبل آخر أخبار ٱبن محرز ونسبه . وكل كلماتها مضبوطة بالحركات .

(٧) نســـخة ب

وقد ٱصطلحنا على تسميتها بالحرف «ب» وهى نسخة كاملة رقمها بالدار ١٤٤ أدب ش فى ٢٠ جزءا مطبوعة بمطبعة بولاق الأميرية ســنة ١٢٨٥ هـ وهى نســخة العلامة المرحوم الشيخ محمد محمود بن التلاميد التركزى الشنقيطى . وقد صحح بعض ما بها من تحريف تبينه أثناء مطالعة الكتاب، وكان أحيانا يكتب صواب الكلمة بالهامش وطورا يكشطها ثم يكتب صوابها بغاية الدقة فى موضعها الأصلىّ، أو يصلح الحرف المحرَّف بالحرف الصحيح كالدال فى موضع الراء، ومرة يكشط نقطة أو يضيف على الموجودة أخرى أو يعجم الحرف المهمل أو يهمل المعجم ، وذلك كله فى نفس الكلمة المطبوعة وبطريقة لا تكاد تظهر إلا بإنعام النظر وكثرة التأمل .

ولا يغيب عن القارئ أن الأستاذ الشنقيطىّ لم يتعمد تصحيح كتاب الأغانى، وإنمـا كان يعنّ له أثناء مطالعته فى نسخته الخاصة بعض تحريفات فيصححها ، وإلا فالكتاب مملوء تحريفا أكثر بكثير ممـا أصلحه بنسخته، كما يتبين ذلك من مراجعة هذه الطبعة ومقارنتها بطبعتى بولاق والساسى، وبعضه تحريف ظاهر . وعدم تنبه الأستاذ الشنقيطى لتصويبه فى نسخته يدل على أنه لم يقرأه .

(٨) نســـخة س

وهى نســخة الساسى ، وقــد اصطلحنا على تســميتها بالحــرف « س » ، وهى نسخة طبعها المرحوم الحــاج محمد أفندى ســاسى المغربى وأضاف إليهــا الجزء الحادى والعشرين .

(٩) نســـخة ط

قد اصطلحنا على تسميتها بالحرف « ط » لأن كاتبهــا هو محمد بن أبى طالب البدرى وذلك فى شهور سنة ٦١٤ هـ . ولم نرمز لها بالحرف «م» من محمد أو «ب» من البدرى ، لأننا رمزنا بهذين الحرفين لنسختين أخريين .

أما هــذه النسخة فالموجود منها بدار الكتب المصرية أربعة أجزاء فى أربعة مجلدات وهى :

(١) الجزء الثانى، أوله فى الصفحة الأولى ذكر عدىّ بن زيد، ثم مايلى هذه الصفحة مخروم ، والخرم يستغرق كل أخبار عدى ثم جزءا من أخبار الحطيئة و يبلغ مقداره نحو ٢٨ صفحة ونصف صفحة من طبعة بلاق. وتبتدئ الصحف الموجودة بهذا البيت :

باستك إذ خلفتنى خلف شــاعر * من النــاس لم أكفئ ولم أتنحل

وتنتهى بآخر أخبار بشار بن برد الشاعر ونسبه .

ورسم بوجه الصــفحة الأولى صــورة ملوّنة بالأحمر والأخضر والأســود واللازوردى ، وفيها بعض التذهيب، وهى تمثل مجلسا من مجالس الرقص والغنــاء وقد ضم عددا من الجوارى والقيــان . وفى هامش ظهر هــذه الصفحة طبع خاتم لم يظهر منــه إلا « أبو الحسن على الشريف » وبدائرته « لا إله إلا الله وحــده

صدق وعده » . ويقع هـذا الجزء فى ١٧٣ صفحة ، ويبلغ طول الصـفحة منه ٣٢ سنتيمترا ، وعرضها ٢٣ سنتيمترا ، وطول ما كتب منها ٢٤ سنتيمترا بعرض ١٦ سنتيمترا ، وفى كل صفحة ١٥ سطرا .

وليس بهوامشه سوى بعض كلمـات أو جمل سقطت من الأصل فاستدركها الناسخ وكتب فى نهايتها كلمة « صح » إشـارة إلى سقوطها من الأصل ، أو روايات مختلفة عن نسخ أخرى ، ويكتب فوقها الحرف «خ» إشارة إلى روايتها بهذا النص فى نسخة أخرى .

أما خط الجزء فهـو النسخ المعهود . وهو واضح متقن ، وأوله محلى بالذهب وتراجمه كذلك ، وقد ضبطت ألفاظه بالحركات . وورد بآخره هذه العبارة :

« الحمـد لله وحده . طالعـه الفقير حسن بن محمد العطار الأزهرى ، غفر الله له » . وهو عالم جليل ومؤلف معروف ، تولى مشيخة الأزهر الشريف سنة ١٢٤٦ هـ .

كما ورد أيضا : « طالعه الفقير درويش سنة ١٠١٦ » .

(٢) الجزء الرابع ، وأوله أخبار طويس ونسبه ، وينتهى إلى آخر نسب إبراهيم الموصلى وأخبـاره . وفى أول هذا الجزء ورقة مكتوبة بخط مخالف للخط الأصلى تشمل أسماء من ترجم لهم صاحب الأغانى فى هذا الجزء ثم كتبت فيها هذه العبارة بخط مخالف لهذا الخط أيضا وهى : « الحمد لله وحده . قد دخل هذا الجزء الذى هو الرابع من الأغانى فى نوبة عبد الله ابن الفقير إليه محمد بن محمود الجزائرى الشهير بابن العتابى - كان الله له - بثمن قدره تسع ريالات صغيرة جزائرية وربع واحدها ، وذلك بتـاريخ أواخر شعبان سـنة خمس عشرة واثنى (كذا) عشر (كذا) مائة أحسن الله عاقبتها بحمده إليه » .

وقد رسم بوجه الصحيفة الأولى منه صورة بالألوان كالسابقة إلا أنها تخالفها فى الوضـع . وهى تمثـل أميرا وحوله الغوانى والقيان وفى أيديهنّ العـود والدف والقيثارة .

وأوصافه من جهة الخط والمقيـاس تنطبق على أوصاف المجـلد السابق لأنه مخطوط بخط الناسخ المتقدّم، و يقع فى ٢٠٥ صفحة، وبه خروم فى الوسط .

وقد كتب بآخره : « الحمد لله . طالعه الفقير حسن بن محمد العطار الأزهرى سامحه الله . طالعه محمد أحمد السروجى المـالكى فى ثانى ذى القعدة سنة سبع وسبعين وثمـانمـائة غفر الله له وللمسلمين وصلى الله على محمد وآله وسلم » .

(٣) الجزء الحـادى عشر ، وأوله خبر أساقفة نجران مع النبى صلى الله عليه وسـلم ، و ينتهى إلى أخبار سويد بن أبى كاهل ونسبه ، وهو مخطوط بخط الناسخ المتقدّم أيضا وأوصافه كأوصاف سابقيه ويقع فى ٢٠٨ صفحة .

وقد كتب بآخره : « الحمد لله . طالعه الفقير حسن بن محمد العطار الأزهرى سامحه الله » و « الحمد لله . طالعه فقير [إلى] رحمة ربه الغنى محمد أحمد السروجى المـالكى فى حادى عشر محرم الحرام سنة ثمـان وسبعين وثمـانمـائة ... وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم » و « الحمد لله وحده . وصلى الله على سيدنا محمد، طالع فى هذا الكتاب المبارك الفقير سليمان جاويش الشهير بالأخرس و بابن أزدمر غفر الله له بمنـه . وذلك فى أوائل شهر المحرم الحرام سنة ثلاثة (كذا) عشر بعد ألف » و « طالع فى هـذا الكتاب المفتقر إلى رحمة ربه ومغفرته ورضوانه الحقير رمضان أغا ابن المرحوم سليمان جاويش الخدم العالية غفـر الله لها ولوالديهما ولمن طالع فيه وأهدى ثواب لا إله إلا الله محمد رسول الله لها مع الفـاتحة فى شهر

ذى القعدة سنة ١٠١٥ » و « الحمد لله . تعلق به نظر الفقير أحمد بن محمد بن محمد بن محمد الهوانى » .

(٤) الجزء الثالث عشر وهو مخروم من الأول والأثناء والآخر، وأول ما فيه من أثناء أخبـار عبد الله بن الزبير، وينتهى إلى أثناء أخبار عمرو بن بانة، وهو مخطوط بخط الناسخ المتقدّم أيضا، وأوصافه كأوصاف الأجزاء السابقة . والموجود منه ١٧٢ صفحة .

الجزء الحادى والعشرون من الأغانى

طبع كتاب الأغانى بالمطبعة الأميرية فى عشرين جزءا تنتهى بأخبار عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير بن عطية الخطفى، وبتمام هذه الترجمة تمام الجزء المتم العشرين وهو آخر كتاب الأغانى . وقد نشر المستشرق رودلف برونو الأمريكى جزءا طبعه فى مدينة ليدن سنة ١٣٠٥ هـ — ١٨٨٨ م وقال عنه : إنه الجزء الحادى والعشرون من الأغانى . ونحن نشك فى أن هذا الجزء من الكتاب للأسباب الآتية :

(١) أنه لم يصدّره بمقدمة يبين فيها أصل النسخة التى نشره عنها ولا فى أىّ المكتبات عثر على هذه الزياده .

(٢) أن أسلوبه ضعيف، لا يشـبه أسلوب أبى الفرج فى العشرين جزءا المتقـــدمة .

(٣) أنه يشرح فى كثير من الأحيان الألفاظ الغريبـة التى ترد فى أبيات الشعر وهى طريقة غير معهودة فى الكتاب؛ فالجزء الأوّل مثلا على كثرة ما فيه من الألفاظ الغريبة لم يشرح إلا القليل النادر، وقد لا يعدو ما شرح فى هذا الجزء من هذا القبيل أربع كلمات أو خمس كلمات[1] .

(١) انظر صفحات ٥٦ و ١٨٨ و ١٩٢ و ١٩٣ و ١٩٨ و ١٩٩ و ٢٠٠ و ٢٠١

(٤) أنه فى هذا الجزء يشرح أحيانا المعـانى التركيبية لبعض الأبيـات ولم نعهد مثل ذلك فى الأجزاء المـاضية[1] .

(٥) أنه يكتب كثيرا كلمة «صوت» على شعر لم يغنّ فيه . وطريقة الكتاب ألا تكتب هذه الكلمة إلا على الشعر الذى يتحدّث بعد أنه وقع فيه غناء[2] .

ولولا خوف الإطالة لأتينا لك بجملة أمثلة تؤيد ما ذهبنا إليه .

طريقة تصحيح هذا الكتاب

روجعت هذه النسخة على هذه النسخ المبينة آنفا . وقد امتازت هذه الطبعة بهذه المميزات :

(١) ترقيم الكتاب — اتبعنا فى ترتيب هذا الكتاب أن نضع كل ترجمة على حدتها ، وقد قسمنا كل ترجمة منها الى المسائل التى تكلم عليها أبو الفرج فى هذه الترجمة ، وعنونا لهـا بهامش الكتاب بعنوان حاولنا على قدر الجهد أن يكون وافيا للعنون عنه فى صلب الكتاب . ومن ذلك يتكوّن الفهرس الذى سميناه فهرس الموضوعات . وقد جعلنا كل مسألة مبتدئة بسطر جديد .

ووضعنا الأسانيـد مبتدئة بلفظ « أخبرنى » أو « حدّثنى » أو « حدّثنـا » أو « نسخت من كتاب فلان » أو غير ذلك ، مكتوبة بخط أكبر من خط الكتاب ليميز القارئ هذه الأسانيد ويمرّ عليها مرا إن كان فى غنية عنها . وقد أردنا بادئ بدء أن نكتب هذه الأسانيد بخط أصغر من خط الكتاب لولا أنه حال دون ذلك أن المطبعة لم يتوفر فيها الشكل اللازم لضبط الأعلام من هـذا الحجم الصغير . وضبط الأعلام لم نستطع الاستغناء عنه بحال ، بل كان يأخذ منا مجهودا كبيرا . و يعلم الله كم

(١) انظر صفحات ١٩٨ و ١٩٩ و ٢٠٠ و ٢٠١ و ٢٠٣

(٢) انظر صفحات ٧٣ و ١١٢ و ١١٤

قاسينا من العناء فى ضبط الأعلام مستندين فى ذلك إلى أوثق المصادر مع التنبيه على ذلك فى الحاشية إن كان العلم غير مشهور أو لا يتيسر لكثير من القراء الاهتداء إليه .

و بعد أن ينتهى ذكر السند نبتدئ الحكاية المروية من أول السطر حتى تنتهى ، فاصلين جملها بعضها عن بعض بنقطة إن انتهت الجملة ، أو بالعلامة (،) التى اصطلح على تسميتها بالشولة ، فى الجملة ذات المعانى الكثيرة المرتبط بعضها ببعض ، أو بشولة تحتها نقطة بين الجملتين التى يكاد ينقطع المعنى بينهما ولم ينقطع تماما . وقد وضعنا الآيات القرآنية بين قوسين ﴿ ﴾ كما وضعنا الأحاديث بين هاتين العلامتين " " ووضعنا الأمثال بين هاتين العلامتين « » . ووضعنا الزيادات التى آستحسنا وضعها عن إحدى نسخ الأغانى أو عن كتاب آخر بين قوسين مربعين هكذا [ ] .

وفى ظننا أن هذا الترتيب يسهل على القراء كثيرا فهم تراكيب فى الكتاب قد لا يتيسر فهمها لكثير من القراء بدونها .

(٢) ضبط الأعلام — ضبطنا الأعلام الواردة فى الكتاب . وقد وصلنا إلى ضبط أكثر أعلامه اللهم إلا القليل النادر الذى لم نتوصل إلى ضبطه بعد البحث عنه فى المظان الكثيرة . على أنا نعتقد أنه ببحث أطول من بحثنا قد يوفق القارئ لضبطه أو قد يراه أحد القراء مضبوطا فى كتاب لم نصل إليه أو لم يخطر لنا أنه مضبوط فيه . وإنا نرجو كل من يصل إلى ضبط علم من الأعلام لم نهتد إليه أن يكتب لنا عنه وعن المصدر الذى ضبطه منه ، لنصدر ملحقا بذلك للكتاب أو لنضبطه فى الأجزاء الآتية حين وروده فيها .

(٣) ضبط الغريب والشعر — وقد ضبطنا أيضا ما ورد فى الكتاب من الألفاظ الغريبة . وقد أردنا أن ينتفع بالكتاب طبقات كثيرة ، فضبطنا كثيرا

من ألفـاظه ، وتركنا الألفاظ الظاهرة التى لا تستعصى على كثير من الناس .
وكذلك ضبطنا الشعر ضبطا يكاد يكون كاملا بحيث لا يخطئ فى قراءته من توافر له حظ قليل من العلم . وشرحنا الكلمات الغريبة فى أسفل الصفحات ليكون القارئ مستغنيا عن الكشف فى كتب اللغة أو الأدب أو غيرها وقد لا يصل إلى شرحها إلا بعد وقت غير قليل . وقد التزمنا كذلك شرح ما فى الشعر من غريب وشرح معناه التركيبى إن ظننا أنه ليس فى قدرة كثير من الناس فهمه أو إدراك كنهه .

(٤) بيان الأماكن — وكذلك ضبطنا أسماء الأماكن والبلدان مع بيان مواقعها ، مسترشدين فى ذلك بالكتب المؤلفة فى هذا الباب .

(٥) بيان الألفاظ الاصطلاحية أو الدخيلة — وكذلك شرحنا ما ورد فى الكتاب من أسماء مولدة أو معربة مما لا يوجد فى كتب اللغة المقصورة على بيان ذكر الألفاظ العربية الفصيحة : كأسماء الأطعمة وغيرها من المعانى المحدثة فى عهد الأمويين أو العباسيين فمن بعدهم .

(٦) الروايات المختلفة فى نسخ الأغانى — إذا اختلفت نسخ الأغانى الموصوفة آنفا ننظر إلى ما هو الصحيح أو الأنسب بالمقام فنضعه فى الصلب ، وننبه على باقى النسخ فى أسفل الصفحة .

وربما وجدنا النسخ كلها متفقة على خطأ فى بعض الكلمات ونجد صوابها فى بعض كتب اللغة أو الأدب ، فنضع الكلمة فى الأصل على وجهها الصحيح وننبه فى أسفل الصحيفة على مأخذها ، ثم نذكرها بالحال التى وردت عليها فى نسخ الأغانى .

المـــراجع

وقد استعنا بالكتب الآتية[1] فى تصحيح هـذا الكتاب نذكرها مرتبة حسب الحروف الهجائية :

(ا)

أخبار أبى نواس طبع مصر — الاشـتقاق لابن دريد — الأمالى والنـوادر لأبى على القالى — الأنساب للسمعانى .

(ب)

بدائع الزهور لابن إياس — بغية الوعاة للسيوطى .

(ت)

التـاج للجاحظ — تاريخ ابن جرير الطبرى — تقـريب التهذيب فى أسمـاء الرجال للحافظ بن حجر العسقلانى — تهذيب التهذيب فى أسماء الرجال له أيضا .

(ح)

الحماسة الصغرى لأبى تمـام المعروفة بالوحشيات .

(خ)

خزانة الأدب للبغدادى — الخصائص لابن جنى — خلاصة تذهيب تهذيب الكمال فى أسماء الرجال لصفىّ الدين الخزرجى .

(د)

ديوان أبى تمـام — ديوان جرير — ديوان الحمـاسة لأبى تمـام الطائى — ديوان عمر بن أبى ربيعة — ديوان الفرزدق — ديوان النابغة الذبيانى .

(١) هذا غير معاجم اللغة وكتب النحو والصرف .

(ز)

زهر الآداب للحصرى .

(س)

سبائك الذهب فى معرفة قبائل العرب للشيخ محمد أمين البغدادى .

(ش)

شرح الأشعار الســتة للأعلم الشنتمرى ــ شرح ديوان الحماسة للتبريزى ــ شفاء الغليل للشهاب الخفاجى .

(ص)

صبح الأعشى للقلقشندى .

(ط)

طبقات النحاة البصريين لأبى سعيد السيرافى .

(ع)

العقد الثمين فى دواوين الشعراء الستة الجاهليين ــ العقد الفريد لابن عبد ربه ــ العمدة لابن رشيق القيروانى .

(ف)

فهرست ابن النديم .

(ك)

الكامل لابن الأثير ــ الكامل للمــبرد ــ كتاب البخلاء للجـاحظ ــ كتاب الحيوان للجاحظ ــ كتاب سيبويه .

**

(ل)

اللآلئ المصـنوعة فى الأحاديث الموضوعة للسـيوطى — لطائف المعارف لأبى منصور الثعالبى .

(م)

ما يعوّل عليه فى المضاف والمضاف اليه للمحبّى — المثل السائر لابن الأثير الجزرى — مجمع الأمثال للميدانى — المحاسن والمساوى للبيهقى — المخصص لابن سيده — مسالك الأبصار لابن فضـل الله العمرى — المسالك والممالك لابن خرداذبه — المشتبه فى أسماء الرجال للحافظ الذهبى — المعارف لابن قتيبة — معاهد التنصيص لعبـد الرحيم العباسى — معجم الأدباء لياقوت — معجم البلدان لياقوت — معجم ما استعجم لأبى عبيد البكرى — المعرّب للجواليقى — المغنى فى أسماء الرجال للشيخ محمد طاهر الهندى المطبوع بهامش تقريب التهذيب — مفردات ابن البيطار — الملل والنحل للشهرستانى — الموشح لأبى عبيد الله المرزبانى .

(ن)

نفح الطيب للمقرّى — النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير — نهاية الأرب للنـويرى .

(و)

وفيات الأعيان لابن خلكان .

اللجنة المؤلفة لتصحيح الكتاب

تألفت لهـذا العمل لجنة مكوّنة منى ومن حضرة الأستاذ الشيخ محمد الخضر المصحح بالدار وأحد علماء الأزهر وجامع الزيتونة ، ومن حضرة الأستاذ الشيخ أحمد عبـد الرحيم . وقد كانت هـذه اللجنة تقوم بعمل هذا التصحيح وتطلب من المطبعة عمل التجارب الكثيرة، وهى التى تعتمد طبعها بعد ذلك .

وكان يطلع عليها، حضرات السيد محمد البيلاوى مراقب إحياء الآداب العربية بالدار، وصاحب العزة شاعر مصر الكبير حافظ ابراهيم بك، وحضرة الشاعر القدير أحمد نسيم أفندى المصحح بها، ويبدون ملاحظات قيمة .

وكانت تعرض بعد ذلك على حضرات : أحمد تيمور باشا، وجعفر ولى باشا ، والأستاذ الفاضل الشيخ محمد الخضرى بك المفتش بوزارة المعارف العمومية والأستاذ الشيخ أحمد أمين المدرس بالجامعة المصرية لإبداء ملاحظاتهم عليها، وكانت ترد منهم مشفوعة بملاحظات جديرة بالاعتبار. وكنا نثبتها بعدما يتبين لنا رجحانها عما أثبتناه.

ومما هو جدير بالذكر تلك العناية السامية التى بذلها حضرة صاحب العزة الأستاذ المربى الكبير محمد أسعد برادة بك مدير دار الكتب المصرية، فقد كان يتفضل بتعهدنا من آن لآخر بإرشاداته القيمة وآرائه السديدة .

وإنا نقدّم لحضراتهم أخلص الشكر على ما تكرّموا به من هذا العمل الجليـل الذى خدموا به العلم والأدب أجل خدمة .

أحمد زكى العدوى
رئيس قسم التصحيح بدار الكتب المصرية
(من سنة ١٩٢١ — ١٩٤٨)

بسم الله الرحمن الرحيم

[مقـــدّمة]

نهج أبي الفرج في تأليف الكتاب

٢
―
١

هذا كتاب ألّفه علىُّ بنُ الحُسين بن محمد القُرَشىّ الكاتب المعروف بالأَصْبهانىّ ، وجَمع فيه ما حضَره وأمكنه جمعُه من الأغانى[1] العربية قديمِها وحديثِها، ونسَب كلَّ ما ذكَره منها الى قائلِ شعرِه وصانعِ لحْنِه وطريقتِه من إيقاعه وإصبعَه التى يُنسب اليها من طريقته ، وآشتراكِ إن كان بين المغنِّين فيه ، على شرحٍ لذلك وتلخيص وتفسيرٍ للمُشْكِل من غريبه وما لا غِنًى عن علمه من عِلَل إعرابه وأَعَاريِض شعره التى تُوصِّل الى معرفة تجزئته وقسمة ألحانه .

٥

ولم يَستوعب كلَّ ما غُنِّىَ به فى هـذا الكتاب ولا أتى بجميعه؛ إذ كان قد أفرد لذلك كتابا مجرَّدا من الأخبار ومحتويا على جميع الغناء المتقدّم والمتأخّر. وآعتمد فى هذا [الباب][2] على ما وجَد لشاعره أو مغنِّيــه أو السبب الذى من أجله قيل الشعرُ أو صُنع اللحنُ خبرًا يُستفاد ويَحْسُن بذكره ذكرُ الصوت معه، على أَقْصرِ ما أمكنَه وأبعدِه من الحَشْو والتكثير بما تقِلُّ الفائدة فيه. وأتى فى كل فصل من ذلك بنُتَفٍ تُشاكله، ولُمَعٍ تليق به، وفِقَرٍ إذا تأمّلها قارئُها لم يزل متنقِّلا بها من فائدة الى مثلها،

١٠

(١) الأغنية (بضم الهمزة وكسرها ، وتشديد الياء وقد تخفف) : ما يُترنم ويُتغنى به من الشعر ونحوه والجمع أغانىُّ وأغانٍ .

١٥

(٢) زيادة فى أ ، ء ، م .

ومتصرِّفا[١] فيها بين جِدٍّ وهزلٍ، وآثارٍ وأخبار، وسِيَرٍ وأشعار، متصلةٍ بأيام العرب المشهورة وأخبارها المأثورة، وقصص الملوك فى الجاهلية والخلفاء فى الإسلام، تجمُل بالمتأدِّبين معرفتُها، وتحتاج الأَحْداث الى دِراستها، ولا يرتفع مَنْ فوقهم من الكهول عن الآقتباس منها، إذ كانت مُنتخَلةً[٢] من غُرَر الأخبار، ومُنتقاةً من عيونها، ومأخوذةً من مَظَانِّها، ومنقولةً عن أهل الخِبْرة بها . فصدَّر كتابَه هذا وبدأ فيه بذكر المائة الصوتِ المختارةِ لأمير المؤمنين الرشيد — رحمه الله تعالى — وهى التى كان أمَر إبراهيمَ المَوْصِلىّ وإسماعيلَ بن جَامِع وفُلَيْحَ بن العَوْراء باختيارها له من الغناء كلِّه؛ ثم رُفعت[٣] الى الواثق بالله — رحمة الله عليه — فأمَر إسحاق بن إبراهيم بأن يَخْتار له منها ما رأى أنه أفضل ممــا كان آخْتِير متقدّما، ويُبْدِلَ ما لم يكن على هذه الصفة بما[٤] هو أعلى منه وأولى بالآختيار؛ ففعل ذلك . وأَتْبَع هــذه القطعةَ بما آختاره غيرُ هؤلاء من متقدِّمى المغنِّين وأهل العلم بهذه الصناعة من الأغانى، وبالأصوات التى تجمع النَّغَمَ العشرَ المشتملة على سائر نغم الأغانى والملاهى، وبالأَرْمَال الثلاثة المختارة، وما أشبه ذلك من الأصوات التى تتقدّم غيرَها فى الشهرة كَمُدُن مَعْبَــد وهى سبعة أصوات، والسبعةِ التى جُعلت بإزائها من صَنْعة آبن سُرَيْج وخُيِّر بينهما فيها، وكأصوات معبد المعروفة بألقابها، وزَيَانِب يُونُسَ الكاتب؛ فإن هذه الأصوات من صُدُور الغناء وأوائله وما لا يَحْسُن تقديمُ غيرِه أمامَه . وأتبع ذلك بأغانى الخلفاء وأولادهم، ثم بسائر الغناء الذى عَرَف له قصةً تُستفاد وحديثا يُستحسن؛ إذ ليس لكلِّ الأغانى خبرٌ [نعرفه][٥]، ولا فى كلِّ ما له خبر فائدةٌ، ولا لكلِّ مافيه بعضُ الفائدة رَوْنَقٌ يَرُوقُ الناظرَ ويُلْهِى السامعَ .

(١) كذا فى أ، م، ى . وفى ب، سـ، حـ، ر : «متصرفا بها» . (٢) كذا فى حـ . وقد صوّبه الأستاذ الشنقيطى فى نسخته بوضع نقطة فوق الحاء . وفى الأصول كلها : «متحلة» بالحاء المهملة، وهو تصحيف . (٣) كذا فى أ، م، ى . وفى سائر النسخ : «وقعت» . (٤) كذا فى جميع النسخ بتعدية الفعل إلى المتروك بنفسه وإلى غير المتروك بالباء، وهو على غير المعروف من أن الباء تدخل على المتروك . (٥) زيادة فى ت .

ووَقَّع على أوّل كلّ شعرٍ فيه غناءٌ صوتًا (١) ليكون عَلَامةً ودَلَالةً عليه يتبيَّنُ بها ما فيه صنعةٌ من غيره . وربمــا أَتَى فى خِلَال هــذه الأصوات وأخبارها أشــعارٌ قيلتْ فى تلك المعانى وغُنِّىَ بها وليست من الأغانى المختارة ولا من هذه الأجناس المرتَّبة ، فلا يوجد من ذكرها معها بُدٌّ ؛ لأنهــا إذا أُفْرِدت عنها كانت إمّا منقطعةَ الأخبار غيرَ مُشَاكِلةٍ لنظائرها أو مُعَادةَ أخبارُها ، وفى كِلْتَا الحالتين خلافٌ لمـا يجىء به هذا الكتاب . وقد يأتى أيضا منها الشىءُ الذى تَطولُ أخبارُه وتَكْثُرُ قِصَصُ شاعرِه مع غيره من الأصوات والأخبار ، فلا يمكن شرحُها جَمْعاء (٢) فى ذلك الموضع لئلّا تنقطعَ الأخبار المذكورة بدخوله بينها (٣) ، فيؤخَّرُ ذكره الى مواضعَ يحسُن فيهــا ، ونظائرَله يُضَاف اليها ، غيرَ قاطعٍ اتِّسَاقَ غيرِه منها ولا مُفْرِدٍ للقرائن بتوسُّطِه لهــا ، ويكونُ ذِكرُه على هذه الحال أَشْكَلَ وأَلْيَقَ .

عدم ترتيبه على طرائق الغناء أو طبقات المغنين

قال مؤلف هذا الكتاب : ولعلّ [بعضَ] (٤) مَنْ يتصفّح ذلك يُنكر تَرْكَنَا تَصْنيفَه أبوابا على طرائق الغناء أو على طبقات المغنِّين فى أزمانهم ومراتبهم أو على ما غُنِّىَ به من شعر شاعر . والمـانع من ذلك والباعثُ على ما نَحَوْناه عِلَلٌ :

منها : أنّا لمّـا جعلنا ابتداءَه الثلاثةَ الأصوات المختارة كان شعراؤها من المتأخرين (٥) ، وأوّلهم أبو قَطِيفَةَ وليس من الشعراء المعدودين ولا الفحول ، ثم عُمَرُ بن أبى رَبِيعة ، ثم نُصَيبٌ . فلما جَرَى أوّلُ الكتاب هذا المَجْرَى ولم يمكن ترتيبُ الشعراء فيه ، أُلحِق آخرُه بأوّله وجُعِل على حَسَبِ (٦) ما حضَر ذِكرُه . وكذلك سائرُ المـائة الصوت المختارة ؛ فإنها جارية على غير ترتيب الشعراء والمغنين . وليس المَغْزَى فى الكتاب

(١) كذا فى ت . وفى سائر النسخ : « ووقَّع ... صوت » . (٢) فى ت : « أجمع » وفى سائر النسخ : « جمعا » . (٣) كذا فى ت . وفى ب ، س ، ح ، ر : « لدخوله فيها » وفى أ ، م ، ء : « لدخولها فيها فيؤخر ذلك الخ » . (٤) زيادة فى ت . (٥) كذا فى ت . وفى سائر النسخ : « المهاجرين والأنصار » . (٦) كذا فى ت . وفى ب ، س ، ح ، ر : « على نسب » وفى أ ، م ، ء : « سبب » .

ترتيبَ الطبقات، وإنما المغزَى فيه ما ضُمِّنَهُ من ذكر الأغانى بأخبارها، وليس هذا مِمَّـا يضرُّ فيها[(١)] .

ومنها : أن الأغانىَ قلَّما يأتى منها شىء ليس فيه ٱشتراكٌ بين المغنّين فى طرائقَ مختلفةٍ لا يمكن معها ترتيبُها على الطرائق ؛ إذ ليس بعض الطرائق ولا بعض المغنّين أولى بنسبة الصوت اليه من الآخر .

ومنها : أن ذلك لو لم يكن كما ذكرنا لم يَخْلُ فيها — إذا أتينْا بغناء رجلٍ [رجلٍ][(٢)] وأخباره وما صنَّف إسحاقُ وغيره — من أن نأتىَ بكلِّ ما أَتَى به المصنِّفون والرواةُ منها على كثرة حَشْوه وقلّة فائدته ، وفى هذا نقضُ ما شرَطناه من إلغاء الحشو ، أو أن[(٣)] نأتىَ ببعض ذلك فيُنسَبَ الكتابُ الى قصورٍ عن مَدَى غيره . وكذلك تجرى أخبارُ الشعراء . فلو أتينا بما غُنِّىَ به شعر شاعرٍ منهم ولم نتجاوزه حتى نَفْرُغ منـه ، لجرَى هذا المجْرى ، وكانت للنفس عنه نَبْوة ، وللقلب منـه مَلَّة ، وفى طباع البشر محبةُ الآنتقال من شىء الى شىء ، والآستراحةُ من معهود إلى مستجَدٍّ . وكلُّ منتقَلٍ اليه أَشْهَى الى النفس من المنتقَل عنه ، والمنتظَرُ[(٤)] أغلبُ على القلب من الموجود . وإذا كان هذا هكذا ، فما رتَّبْناه أَحْلَى وأحسنُ ، ليكونَ القارئُ له بانتقاله من خبر إلى غيره ، ومن قصـة إلى سواها ، ومن أخبار قديمة إلى مُحْدَثة ، ومَلِيك إلى سُوقةٍ ، وجِدٍّ إلى هَزْلٍ ، أنشطَ لقراءته وأشهى لتصفُّح فنونه ، لا سيَّما والذى ضَمَّنَّاهُ إيّاه أحسنُ جنسِه ، وصَفْوُ ما أُلِّف فى بابه ، ولُبَابُ ما جُمع فى معناه .

وكلُّ ما ذكرْنا فيه من نِسَب الأغانى الى أجناسها فعلى مذهبِ إسحاق بن إبراهيم المَوْصلىّ وإن كانت روايةُ النسبة عن غيره ؛ إذ كان مذهبُه هو المأخوذَ به اليوم دون

(١) كذا فى ت ، حـ ، ر ، ء . وفى سائر النسخ : « بها » . (٢) زيادة عن ت . والمراد : بغناء واحدٍ واحدٍ . (٣) فى الأصول : « وأن » تحريف .
(٤) فى م ، ء ، أ : « والمبتكر » .

[مذهب](١) مَنْ خالفه، مثل إبراهيم بن المَهْدِىّ ومُخَارِق وعَلُّويَة وعَمْرو بن بَانَةَ ومحمد ابن الحارث بن بُسْخُنَّر(٢) ومن وافقهم؛ فإنهم يسمُّون الثَّقِيلَ الأوّل وخفيفَه الثقيلَ الثانىَ وخفيفَه، ويسمّون الثقيلَ الثانىَ وخفيفه الثقيلَ الأوّل وخفيفه، وقد اُطُّرِح ماقالوه الآن وتُرِك، وأُخِذ الناس بقول إسحاق.

الباعث لأبى الفرج على تأليف الكتاب

٥ قال مؤلف هذا الكتاب: والذى بعثنى على تأليفه أنّ رئيسا من رؤسائنا كلّفنى جمعه له، وعرّفنى أنه بلَغه أن الكتاب(٣) المنسوب إلى إسحاق مدفوعٌ أن يكون من تأليفه، وهو مع ذلك قليل الفائدة، وأنه شاكٌّ فى نسبته(٤)؛ لأن أكثر أصحاب إسحاق يُنكرونه، ولأن ٱبنــه حمّادا أعظمُ الناس إنكارا لذلك. وقد لَعَمْرِى صدَق فيما ذكره، وأصاب فيما أنكره.

١٠ أخبرنى محمد بن خلَف وَكِيعٌ قال: سمِعت حمّادا يقول: ماألَّف أبى هذا الكتابَ قطُّ ولا رآه. والدليل على ذلك أنّ أكثر أشعاره المنسوبة التى جُمِعَتْ فيه إلى ماذُكِر معها من الأخبار ماغَنّى فيــه أحدٌ قطُّ، وأنّ أكثر نسبه إلى المغنّين خطأ؛ والذى ألّفه أبى من دواوين الغناء(٥) يدلّ على بُطْلان هذا الكتاب، وإنمـا وضَعه وَرّاقٌ كان لأبى بعد وفاته، سوى الرُّخْصة(٦) التى هى أوّل الكتاب؛ فإن أبى ـــ رحمه الله ـــ ألّفها؛

١٥ (١) زيادة فى ت. (٢) كذا ورد هذا الاسم فى نسخة ط التى سيأتى وصفها فى الجزء الثانى. وقـد صححه كذلك بهـذا الضبط الأستاذ الشنقيطى بهامش نسخته. وفى ت، حـ، ر: "بشخير" وفى سائر النسخ: "شخير". (٣) هو كتاب الأغانى الكبير كما فى فهرست ابن النديم طبع ليبزج ص ١٤١. (٤) كذا فى ب، سـ. وفى سائر النسخ: «نسبه». (٥) كذا فى أ، م، ء وفيهما عن نسخة أخرى «الشعراء». وفى ت: «غنائهم». وفى باقى النسخ: «غنائه».

٢٠ (٦) قال فى الفهرست: «وهذا الكتاب (يريد كتاب الأغانى الكبير) يعرف فى القديم بكتاب الشركة، وهو أحد عشر جزءا لكل جزء أوّل يعرف به؛ فالجزء الأول من الكتاب «الرخصة» وهو تأليف إسحاق لاشك فيه ولا خلف».

لأن أخبارها كلّها من رواياتنا . هذا ما سمِعتُه من أبى بكر حكايةً [لحفظته][1] واللفظ يزيد وينقُص .

وأخبرنى أحمدُ بن جعفرٍ جَحْظَةُ أنه يعرِف الورّاقَ الذى وضَعه ، وكان يسمّى بسندٍ الورّاق[2]، وحانوتُه فى الشَّرْقية فى خان الزِّبْل[3] ، وكان يُورِّق لإسحاق بن إبراهيم؛ فاتفق هو وشريك له على وضعه . وليست الأغانى التى فيه أيضا مذكورةَ الطَّرائق ، ولا هى بمُقْنِعةٍ من جُمْلة ما فى أيدى الناس من الأغانى، ولا فيها من الفوائد ما يبلُغ الإرادة؛ فتكلَّفتُ ذلك له على مشقّةٍ آحتملتُها منه ، وكراهةَ أن يُؤْثَر عنّى فى هذا المعنى ما يبقَى على الأيام مخلَّدا ، وإلىّ على تطاولها منسوبا ، وإن كان مَشُوبا بفوائدَ جَمّةٍ ومعانٍ من الآداب شريفةٍ . ونعوذ بالله مما أَسْخَطه من قول أو عمل ، ونستغفره من كلِّ مُوبِقةٍ وخَطِيئةٍ وقولٍ لا يوافق رضاه ، وهو ولىّ العِصْمة والتوفيق ، وعليه نتوكّل وإليــه نُنِيب . وصلى الله على محمد وآله عند مُفْتَتَح كل قول وخاتمته وسلّم تسليما . وحسبُنا الله ونعم الوكيل كافيًا ومُعينا .

---

(١) هذه الكلمة ساقطة من ب ، س ، حـ ، ر . (٢) فى "فهرست آبن النديم" طبع ليبزج : « سندى بن على » . (٣) فى ت عن نسخة أخرى و "الفهرست" : « طاق الزبل » . وأصل الطاق البناء المعقود . والخان : المكان الذى ينزله المسافرون .

ذكر المائة الصوت المختارة

إجماع المغنين على اختيار الأصوات الثلاثة الشاملة لجميع نغم الغناء

أخبرنا أبو أحمدَ يحيى بنُ عليّ بن يحيى المنجّم قال حدّثنى أبى قال :

حدّثنى إسحاق بن إبراهيم المَوْصِلىّ أنّ أباه أخبره أنّ الرشيد — رحمة الله عليه — أمر المغنّين ، وهم يومئذ متوافِرون ، أن يختاروا له ثلاثة أصوات من جميع الغناء، فأجمعوا على ثلاثة أصوات أنا أذكرها بعد هذا إن شاء الله . قال ٥
إسحاق : فجَرَى هذا الحديثُ يومًا وأنا عند أمير المؤمنين الواثق بالله، فأمرنى باختيار أصوات من الغناء القديم ، فاخترتُ له من غِنَاء أهل كل عصر ما آجتمع علماؤهم على بَرَاعته و إحكام صَنْعته ، ونسبته الى من شَدَا به ، ثم نظرتُ الى ما أحدثَ الناسُ بعدُ ممّن شاهَدْناه فى عصرنا وقُبَيْل ذلك ، فاجتبيت منه ما كان مُشبِها لما تقدّم أو سالكا طريقَه ، فذكرتُه ولم أَبْخَسْه ما يجب له و إن كان قريبَ العهد؛ لأن الناس ١٠
قد يتنازعون الصوتَ فى كلّ حين وزمان ، و إن كان السَّبْقُ للقدماء إلى كل إحسان .

وأخبرنى أحمدُ بنُ جعفر جحظة قال حدّثنى هارونُ بن الحَسَن[1] بن سَهْل وأبو العُبَيْس[2] بن حَمْدُون وآبن دُقَاق وهو محمد بن أحمد بن يحيى المعروفُ بابن دقاق بهذا الخبر، فزعَم :

أنّ الرشيد أمر هؤلاء المغنّين أن يختاروا له مائة صوت فاختاروها ، ١٥
ثم أمرهم باختيار عشرة منها فاختاروها ، ثم أمرهم أن يختاروا منها ثلاثة ففعلوا .
وذكَرَ نحوَ ماذكره يحيى بن علىّ ، ووافقه فى صوت من الثلاثة الأصوات ،

---

(١) كذا فى ت ، حـ ، ر . وفى سائر النسخ : « الحسين » . وقد صححه الشنقيطى بهامش نسخته ، وهو الوزير المعروف فى خلافة المأمون وصهره فى آبنته بُوران . (انظر تاريخ آبن جرير الطبرى طبع مدينة لَيْدَن قسم ٣ ج ٤ ص ١٠٢٩ فى حوادث سنة ٢٠٢ هـ) . (٢) راجع الحاشية الرابعة ص ٩٦ ٢٠

وخالفه فى صوتين . وذكر يحيى بن علىّ بإسناده المذكور أنّ منها لحن مَعْبَد فى شعر أبى قَطِيفة وهو من خَفِيف الثَّقِيل الأوّل :

القَصْرُ فالنَّخْلُ فالجَمَّاءُ بينهما * أَشْهى الى القلب من أبواب جَيْرُونِ[1]

ولحْن ٱبنِ سُرَيج فى شعر عُمَر بن أبى رَبيعة ، ولحنُه من الثَّقيل الثانى :

تَشَكَّى الكُمَيْتُ الجَرْىَ لمّا جَهَدْتُه * وبَيَّن لو يَسْطِيعُ أن يتكلَّما

ولحَن ٱبنِ مُحْرِز فى شعر نُصَيْب ، وهو من الثَّقيل الثانى أيضا :

أهَاجَ هواكَ المنزلُ المتقادمُ ؟ * نَعَمْ ، وبه ممّن شَجَاكَ[2] مَعَالِمُ

وذكر جحظةُ عمن روَى عنه أن من الثلاثة الأصوات لحنَ ٱبنِ مُحْرِز فى شعر المجنون ، وهو من الثقيل الثانى :

اذا ما طَوَاكِ الدهرُ يا أُمَّ مالك * فشأنَ المنايا القاضياتِ وشانيا

ولحنَ إبراهيم الموصلىّ فى شعر العَرْجىّ ، وهو من خَفِيف الثقيل الثانى :

إلى جَيْداء قد بَعثوا رسولًا * ليُحْزِنَها ، فلا صُحِب الرسولُ

ولحنَ ٱبنِ محرز فى شعر نُصَيْب ، وهو على ماذكر هَزَج :

أهاج هواك المنزل المتقادمُ ؟ * نعم ، وبه ممن شجاك معالمُ

وحكى عن أصحابه أنّ هذه الثلاثة الأصوات على هذه الطرائق لا تَبْقَ نَغْمَةً فى الغناء إلّا وهى فيها .

رواية أن المغنين أجمعوا على صوت واحد من هذه الثلاثة وتفنيد أبى الفرج لهذه الرواية

أخبرنى الحَسَن بن علىّ الأَدَمِىّ[3] قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويَة قال حدّثنا عبد الله بن أبى سعد الوَرّاق[4] قال حدّثنى أبو تَوْبة صالح بن محمد قال حدّثنى محمد ٱبن جبر[5] المغنّى قال حدّثنى إبراهيم بن المهدىّ :

(١) فى ت ، أ ، م ، ء : «النفس» . (٢) فى ت ، ر : «مما شجاك» . (٣) من يبيع الجلود ، نسبة الى الأدم وهو الجلد (انظر تاج العروس مادة «أدم») . (٤) فى حـ ، ر : «سعيد» . (٥) كذا فى ت ، حـ . وفى ر : «جبير» وفى سائر النسخ : «جرير» وكلاهما تحريف . وقد ورد هذا الاسم فى الأغانى طبع بولاق ج ١٤ ص ٩٢ هكذا : «محمد بن جبر» .

أنّ الرشيد أمر المغنّين أن يختاروا له أحسن صوت غُنِّيَ فيه، فاختاروا له لحنَ آبن مُحْرِز فى شعر نُصَيب :

* أهاج هواكَ المنزل المتقادمُ ؟ *

قال : وفيه دَوْرٌ كثير، أى صَنْعة كثيرة. والذى ذكره أبو أحمدَ يحيى بن علىّ أصحّ عندى . ويدلّ على ذلك تَبَايُنُ ما بين الأصوات التى ذكرها والأصواتِ الأُخَر فى جَوْدة الصنعة و إتقانها و إحكام مباديها ومَقَاطِعها وما فيها من العمل ، وأن الأخرى ليست مثلَها ولا قريبةً منها . وأُخرى هى أن جَحْظَةَ حكَى عمن روَى عنه أنّ فيها صوتا لإبراهيم المَوْصِلىّ ، وهو أحد من كان آختار هذه الأصواتَ للرشيد، وكان معه فى آختيارها إسماعيل بن جامع وفُلَيح بن العوراء، وليس أحد منهما دونه إن لم يَفُقْه ، فكيف يمكن أن يقال : إنهما ساعدا إبراهيم على آختيار لحنٍ من صَنْعته فى ثلاثة أصوات آختيرتْ من سائر الأغانى وفُضِّلَتْ عليها ! ألم يكونا لو فعلا ذلك قد حكَمَا لإبراهيم على أنفسهما بالتقدّم والحِذْق والرِّياسة وليس هو كذلك عندهما ؟

ولقد أخبرنا يحيى بن علىّ بن يحيى المنجِّم عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه :

أنه أتى أباه إبراهيمَ بن مَيْمون يوما مسلِّما ، فقال له أبوه : يا بُنَيّ ، ما أعلم أحدًا بلَغ من بِرِّ ولده ما بلغتَه من برّك ، و إنى لأستقلّ ذلك لك ، فهل من حاجة أَصير فيها الى محبّتك ؟ قلت : قد كان — جُعِلتُ فداك — كلُّ ما ذكرتَ فأطال الله لى بقاءك ، ولكنّى أسألك واحدةً : يموت هذا الشيخ غدًا أو بعد غد ولم أسمَعه ، فيقول الناس لى ماذا وأنا أَحُلُّ منك هذا المَحَلَّ . قال لى : ومن هو ؟ قلت : آبن جامع . قال : صدقتَ يا بُنَيّ ، أَسْرِجُوا[1] لنا . فجئنا آبنَ جامع ، فدخل عليه أبى وأنا معه ، فقال : يا أبا القاسم ، قد جئتك فى حاجة ، فإن شئتَ فاشتُمْنى ، و إن شئت فاقذفْنى ، غيرَ أنه لا بدّ لك من قضائها . هذا عبدك وآبن أخيك إسحاقُ قال لى كذا وكذا ، فركبت معه أسألك أن

(١) أسرجوا لنا أى شدوا على الخيل سروجها لنركبها .

تُسْعِفَه فيما سأل . فقــال : نعم ، على شَرِيطةٍ : تقيمان عنــدى أُطْعِمكما مَشْوشةً[١] وقَلِيّةً[٢] وأَسقيكما من نَبِيذِى التَّمْرِىّ وأُغَنِّيكما ، فإن جاءَنا رســولُ الخليفة مضَيْنا اليه وإلّا أَقَمْنــا يومَنا . فقال أبى : السمع والطاعة ، وأمَر بالدوابّ فرُدَّتْ . فجاءنا آبن جامع بالمشوشة والقليّــة ونبيذه التمــرىّ فأكلنا وشربنا ، ثم آندفع فغنّانا ، فنظرتُ الى أبى يَقِلُّ فى عينى و يعظُم آبن جامع حتى صار أبى فى عينى كلا شىء . فلما طَرِبْنا[٣] غاية الطَّرَب جاء رسول الخليفة فركبا وركبتُ معهما . فلما كنا فى بعض الطريق قال لى أبى : كيف رأيتَ آبنَ جامع يا بنىّ ؟ قلت له : أَوَ تُعْفِينى جُعِلتُ فِدَاك ! قال : لستُ أُعْفيك فقل . فقلت له : رأيتُك ولا شىءَ أكبرُ عندى منك قد صغُرت عندى فى الغناء معــه حتى صرتَ كلا شىء . ثم مضَيا الى الرشــيد ، وآنصرفتُ الى منزلى؛ وذلك لأنى لم أكُنْ بعدُ وصلت الى الرشيد . فلما أصبحتُ أرسل إلىّ أبى فقال : يا بنىّ ، هذا الشتاء قد هجَم عليك وأنت تحتاج فيه الى مُؤُونة[٤] ، وإذا مالٌ عظيمٌ بين يديه ، فآصرِفْ هذا المــال فى حوائجك . فقمت فقبَّلت يده ورأسه وأمرتُ بحمل المــال واتَّبعته ، فصوَّت بى : يا إسحاق آرجع ، فرجعت . فقال لى : أتدرى لِمَ وهبتُ لك هذا المــال ؟ قلت : نعم ، جُعِلتُ فداك ! قال : لِمَ ؟ قلتُ : لِصِدْق فيك وفى آبن جامع . قال : صدقتَ يا بُنَىّ ، امْضِ راشدا . ولهما فى هذا الجنس أخبار كثيرة تأتى فى غير هذا الموضع متفرقةً فى أماكنَ تحسُن فيها و[لا] يُستغنى بما ذكر هاهنا عنها . فإبراهيمُ يُحِلّ آبنَ جامع هذا المحلَّ مع ما كان بينهما

---

(١) زيت يضرب مع بياض البيض فيصنع منه طعام دسم اهـ عن قاموس ستينجاس المطبوع فى لندن .

(٢) "القلية كغنية : مرَقة تُتخذ من أكباد الجزور ولحومها ، وقد قلَيتها قَلْيا : أنضجتها فى المِقْلاة ، والقَلّاء : من حرفته ذلك" . انظر "تاج العروس" للسيد مرتضى (مادة قلى) و "المخصص" لابن سيده ج ٤ ص ١٢٦

(٣) فى ت : « فلما طربنا عليه الطرب الكثير » .

(٤) كذا فى ت ، ح ، م . وفى سائر النسخ : « معونة » .

من المُنَافسة والمفاخرة ثم يُقْدِم على أن يختار فيما هو معه فيه صوتًا لنفسه يكون مقدَّما على سائر الغناء، ويطابقه هو وفُلَيح عليه ! هذا خطأ لا يُتَخَيَّل. وعلى ما به فإنّا نذكر الصوتين اللذين رويناهما عن جحظة المخالفين لرواية يحيى بن عليّ، بعد ذكرنا ما رواه يحيى، ثم نُتبعهما باقيَ الاختيار[1]. فأوّل ذلك من رواية أبي الحسن عليّ بن يحيى.

الكلام على أحد هذه الأصوات الثلاثة

صوت فيه لحنان

القَصْرُ فالنَّخْلُ فالجَمَّاءُ بينهما * أَشْهَى الى القلب من أبواب جَيْرُونِ
الى البَلاط فما حازت قَرَائِنُه * دُورٌ نَزَحْن عن الفَحْشاء والهُونِ
قد يَكْتُمُ الناسُ أسرارًا فأعلمُها * ولا يَنَالون حتى الموتِ مَكْنونِي

عَرُوضه من أوّل البَسيط. القصرُ الذى عَنَاه هاهنا: قصرُ سَعيد بن العَاص بالعَرْصة. والنخل الذى عناه: نخل كان لسعيد هناك بين قصره وبين الجَمَّاء وهي أرض كانت له، فصار جميع ذلك لمعاوية بن أبي سفيان بعد وفاة سعيد، ٱبتاعه من ٱبنه عمرٍو باحتمال دَيْنه عنه؛ ولذلك خبرٌ يُذْكر بعدُ. وأبواب جَيْرونَ بدِمَشْق. ويُروَى: «حاذت قرائنه» من المحاذاة. والقَرَائنُ: دورٌ كانت لبني سعيد بن العاص متلاصقة؛ سُمِّيتْ بذلك لاقترانها. ونزحن: بَعُدن، والنازح: البعيد؛ يقال: نَزَح نُزُوحا. والهُون: الهَوَان. قال الراجز:

لم يُبْتَذَلْ مثلُ كريمٍ مَكْنونْ * أبيضَ ماضٍ كالسِّنانِ المَسْنون
* كان يُوَقِّي نفسَه من الهُونْ *

والمكنون: المستور الخفيّ، وهو مأخوذ من الكِنّ. الشعر لأبي قَطِيفة المُعَيْطيّ، والغناء لمَعْبد، وله فيه لحنان: أحدهما خفيفُ ثقيلٍ أوّلُ بالوُسْطى في مَجْراها من رواية إسحاق وهو اللحن المختار، والآخر ثقيلٌ أوّلُ بالوُسْطى على مذهب إسحاق من رواية عَمْرو بنِ بانَةَ.

(١) في ت: «الاخبار».

خــبر أبى قَطِيفة ونسبه

نسب أبى قطيفة

هو عَمْرو بن الوَلِيد بن عُقْبة بن أبى مُعَيط. وآسم أبى معيط أَبَانُ بن أبى عمرو آبن أميّــة بن عبد شمس بن عبد مَنَاف بن قُصَىّ بن كِلَاب بن مُرَّة بن كَعْب آبن لُؤَىّ بن غالب . هذا الذى عليه النسّابون .

٥ وذكر الهَيْثم بن عَدِىّ فى "كتاب المَثَالب" أنّ أبا عمرو بن أُمية كان عبدا لأُمية اسمه ذَكْوان فآستلحقه. وذكر أن دَغْفَلا النّسّابةَ دخل على معاوية فقال له : مَنْ رأيت من عِلْيةِ قُرَيش ؟ فقال: رأيت عبد المطلب بن هاشم وأمية بن عبد شمس. فقال : صِفْهما لى . فقال : كان عبد المطلب أبيضَ مَديد القامة حسنَ الوجه ، فى جبينه نور النبوّة وعزّ الملك، يُطِيفُ به عشرةٌ من بَنِيه كأنهم أُسْدُ غاب. قال: فصِفْ أُمَيّة. قال : رأيته شيخا قصيرا نحيف الجسم ضَريرا يَقُوده عبدُه ذكوان . ١٠

٨/١

فقال : مَهْ ، ذاك آبنــه أبو عمرو . فقال : هــذا شيء قُلتموه بعــدُ وأحدثتموه ، وأمّا الذى عرَفتُ فهو الذى أخبرتُك به. ثم نعود الى سِيَاقَةِ النَّسَب من لؤىّ بن غالب ابن فِهْر بن مالك بن النَّضْر بن كِنَانة . والنضر عند أكثر النسّابين أصل قريش ، فَمَنْ ولَده النضرُ عُدَّ منهم ، ومن لم يَلِدْه فليس منهم . وقال بعض نسّابى قريش: بل فِهْر بن مالك [أصل][1] قريش، فمن لم يلده فليس من قريش. ثم نعود للنسب الى النضر ١٥ آبن كنانة بن خُزَيمة بن مُدْرِكة بن إلْيَاس بن مُضَر بن نِزَار . ووَلدُ إلياس يقال لهم خِنْدِفُ، سُمُّوا بأُمّهم خندفَ وهو لقبها[2]، وآسمها لَيْلَى بنتُ حُلوان بن عِمْران بن الحَافِ آبن قُضَاعة، وهى أُمّ مُدْرِكة وطَابِخَة وقَمَعَة بنى إلياس بن مُضَر بن نِزَار بن مَعَدّ بن

(١) التكملة من ت . (٢) كان إلياس خرج فى نُجعة فنفرت إبله من أرنب، فخرج اليها عمرو فأدركها وخرج عامر فتصيّدها وطبخها وآنقمع عمير فى الخباء، وخرجت أمهم تسرع ، فقال لها إلياس : ٢٠ أين تخندفين (تسرعين) فقالت : مازلت أخنــدف فى أثركم؛ فلقّبوا مدركة وطابخة وقمعة وخنــدف . انظر القاموس (مادة خندف) .

عدْنان بن أُدّ بن أُددَ بن الهَمَيْسَع بن يَشْجُب — وقيل : أَشْجُب — بن نَبْت ابن قَيْدار بن إسماعيل بن إبراهيم . هذا النسب الذى رواه نسّابو العرب وروى عن ابن شِهَاب الزُّهرىّ وهو من علماء قريش وفقهائها .

وقال قوم آخرون من النسّابين ممن أخذ — فيما يزعُم — عن دَغْفَل وغيره : مَعَدّ بن عدنان بن أُدَد بن آمين (١) بن شَاجِيب بن نَبْت بن ثَعْلبة بن عَنْز بن سَرِيح (٢) ابن محلم (٣) بن العَوّام بن المُحْتمل بن رَائمة بن العِقْيان بن علّة (٤) بن شحدود (٥) بن الضرب (٦) بن عيفر (٧) بن إبراهيم بن إسماعيل بن رزين (٨) بن أعوج بن المطعم بن الطمح بن القسور بن عتود (٩) بن دعدع بن محمود بن الرائد (١٠) بن بدوان بن أُمَامة (١١) بن دَوْس بن حصين (١٢) بن النّزّال ابن الغمير (١٣) بن محشر بن معذر بن صَيْفِىّ بن نَبْت بن قَيْدار بن إسماعيل ذَبيح الله ابن إبراهيم خليل الله صلى الله عليهما وعلى أنبيائه أجمعين وسلم تسليما . ثم أجمعوا أن إبراهيم بنُ آزَر وهو اسمه بالعربية كما ذكره الله تعالى فى كتابه ، وهو فى التوراة بالعِبْرانية تَارَح بن نَاحُور ، وقيل : النّاحر بن الشّارِع (١٤) وهو شَارُوع بن أَرْغُو وهو الرامح بن فَالَغ (١٥) — وهو قاسم الأرض الذى قسمها بين أهلها — بن عَابِر بن شَالَخ بن أَرْفَخْشَذ وهو الرافد بن سَام بن نوح صلى الله عليه وسلم ابن لَامَك وهو فى لغة العرب مِلْكان ابن المَتُوشَلَخ وهو المنوف بن أَخْنُخ وهو إدريس نبىّ الله عليه السلام بن يارد (١٦) وهو الرائد

(١) فى ب، سـ، حـ : «أمين» . (٢) فى ت، حـ، ر : «بريح» .
(٣) فى ى : «ملحم» . (٤) فى ت، م، ى : «عله» بالهاء . (٥) فى ت، حـ : «سحدود» . (٦) فى ت : «الصريب» . (٧) فى ت، حـ، ر : «عبقر» .
(٨) فى ت، حـ، ر : «رزن» . (٩) فى ت : «عبود» وفى حـ : «عبد» .
(١٠) فى م، ى، ر : «الزائد» وفى ت : «الرابد» . (١١) فى م، ى : «أسامة» .
(١٢) فى حـ : «خضر» . (١٣) فى ت، م، ى، ر : «القمير» . (١٤) فى أ : «الشارع وهو شاروغ ...» ورواه فى سبائك الذهب بالعين المهملة وبالخاء وبالغين . (١٥) ويقال فيه فالخ بالخاء المعجمة، وفى ب، سـ : «قانع» وهو تحريف . (١٦) فى الأصول كلها : «برد» وهو تحريف .

آبن مَهْلَايِل بن قَيْنان وهو قنان بن أَنُوش وهو الطاهر بن شِيث وهو هبة الله و يقال له أيضا : شَاثُ بن آدم أبى البشر صلى الله عليه وعلى سائر الأنبياء وعلى نبينا محمد خاصة وسلم تسليما . هذا الذى فى أيدى الناس من النَّسَب على آختلافهم فيه .

وقد روى عن النبىّ صلى الله عليه وسلم تكذيبٌ للنسّابين ودفعٌ لهم . ورُوى أيضا خلافٌ لأسماء بعض الآباء . وقد شرحت ذلك فى كتاب النسب شرحًا يُستَغْنَى به عن غيره .

ذكر العنابس والأعياص من بنى أمية وأن أبا قطيفة من الأوّلين

وأبو قطيفة وأهله من العنابِس من بنى أمية . وكان لأمية من الوَلَد أحدَ عشرَ ذكرا ، كلُّ واحد منهم يُكْنَى باسم صاحبه ، وهم العاص وأبو العاص ، والعِيص وأبو العيص ، وعمرو وأبو عمرو ، وحَرْب وأبو حرب ، وسُفْيان وأبو سفيان ، والعُوَيص لا كُنَى له [1] . فمنهم الأَعْيَاص فيما أخبرَنا حَرَمِىٌّ بن أبى العَلَاء — وآسمه أحمد بن محمد آبن إسحاق — ، والطُّوسِىّ — وآسمه أحمد بن سليمان — قالا : حدّثنا الزُّبير بن بكّار عن محمد بن الضَّحّاك الحِزَامىّ عن أبيه قال : الأعياص : العاص وأبو العاص والعيص وأبو العيص والعُويص . ومنهم العنابس وهم حرب وأبو حرب وسفيان وأبو سفيان وعمرو وأبو عمرو . و إنما سُمُّوا العنابسَ لأنهم ثبَتوا مع أخيهم حَرْب آبن أُمية بعُكَاظ وعقَلوا أنفسَهم وقاتَلوا قِتالا شديدا فشُبِّهوا بالأُسْد ، والأُسْدُ يقال لها العنابِسُ ، واحدها عَنْبَسة . وفى الأعياص يقول عبد الله بن فَضَالةَ الأَسَدىّ :

مِنَ ٱلأعياص أو مِن آل حربٍ * أَغَرَّ [2] كغُرة الفرس الجَوَادِ

والسبب فى قوله هذا الشعرَ ما أخبرَنا به أحمد بن عبدالعزيز الجَوْهرىّ قال : حدّثنا عمرُ بن شَبّة ، وحدّثنا محمد بن العباس اليَزِيدىّ قال : حدّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز [3] ، قال : حدّثنا المَدَائنىّ وآبنُ غَزَالة ، قالوا :

(١) كذا فى ت . وفى حـ ، س : «لا كنى لهم» . وفى سائر النسخ : «لا يكنى بهم» . (٢) أغر صفة لسميدع فى البيت السابق (انظر هذه القصيدة فى التعليق رقم ٣ ص ١٥) . (٣) فى ت : «الخزاز» بزايين معجمتين .

خبر عبد الله بن فضالة مع ابن الزبير وما هجاه به من الشعر

أتى عبدُ الله بنُ فَضَالةَ بن شَرِيك الوَالِبيّ ثم الأَسَدِيّ من بني أَسَد بن خُزَيمة عبدَ الله بن الزُّبير، فقال له : نَفِدتْ نَفَقتي ونَقِبتْ راحلتي[1] . قال : أحضِرْها ، فأحضَرها . فقال : أقبِلْ بها ، أدبِرْ بها ، ففعل . فقال : ٱرقَعْها بِسِبْتٍ[2] وٱخْصِفْها بهُلْبٍ وأَنْجِدْ بها يَبْرُدْ خُفُّها وسِرِ البَرْدَيْنِ تَصِحّ . فقال ٱبن فضالة : إنّي أتيتُك مُسْتَحمِلاً ولم آتِكَ مُسْتَوْصِفا ، فلعَن الله ناقةً حملتْني إليك ! قال ٱبن الزبير : إنّ وراكبَها . فٱنصرف عنه ٱبنُ فضالةَ وقال[3] :

٥

---

(١) نقب البعير بكسر القاف : رقّتْ أخفافُه .

(٢) السبت (بكسر السين وسكون الموحدة) : جلود البقر المدبوغة بالقرظ تُحذى منها النعال السبتية . والخصف : أن يُظاهر الجلدين بعضهما الى بعض ويَخرزهما ؛ ولذلك قيل للخرز المخصف . والهلب بضم الهاء : شعر الخنزير الذى يخرز به ، الواحد هلبة . وأنجد : اذا أخذ فى بلاد نجد ؛ ونجد موصوف بالبرد . والبردان : الغداة والعشىّ (انظر اللسان فى هذه المواد والبغدادىّ فى الخزانة طبع بولاق ج ٢ ص ١٠٠ و ١٠١) .

١٠

(٣) نسب البغدادىّ هذا الشعر لعبد الله بن الزَّبِير الأسدىّ ، ونقل عن الحصرىّ فى زهر الآداب ما يؤيده . وأورد الأصبهانىّ عن ٱبن حبيب أن هذا الشعر لفضالة بن شريك ورواه :

شكوت اليه أن نعبت قلوصى * فردّ جواب مشدود الصفاد

يضنّ بنـاقة ويروم ملكا * محـال ذلكم غير السـداد

١٥

وليت إمارة فبخلت لما * وليتهـم بملك مسـتفاد

فان وليت أمية أبدلوكم * بكل سميـدع وارى الزناد

من الأعياص أومن آل حرب * أغرّ كغرة الفرس الجواد

اذا لم ألقهـم بمـنى فانى * ببيت لا يهش له فؤادى

سـيدنينى لهم نصّ المطـايا * وتعليقُ الأداوى والمـزاد

٢٠

وظهـر معبّد قـد أعلمته * مناسمهن طلاع النجاد

وعين الحمض حمض خناصرات * وما بالعرف من سيل الفؤاد

فهن خواضع الأبدان قود * كأن رءوسهن قبـور عاد

كأن مواقع الغـربان فيها * منارات بنيـن على عماد

فلما ولى عبد الملك بعث الى فضالة يطلبه فوجده قد مات ، فأمر لورثته بمائة ناقة تحمل أوقارها بُرًّا وتمرا . (انظر البغدادىّ ج ٢ ص ١٠٠ — ١٠٣ والأغانىّ طبع بولاق ج ١٠ ص ١٧٣) .

٢٥

أقول لغلمتى شُـدُّوا رِكابِى * أُجَاوِزْ بَطْنَ مكةَ فى سَـوَادِ

فمالِى حينَ أَقْطَع ذاتَ عِرْقٍ (١) * الى ٱبن الكَاهليَّـة من معَاد

سيُبْعِدُ بينَنا نَصُّ المَطَـايا (٢) * وتعليقُ الأَدَاوَى والمَــزادِ

وكلُّ مُعبَّـدٍ قد أَعْلَمَتْه (٣) * مَنَاسِمُهن طِـلَاعَ النِّجَادِ

أَرَى الحاجاتِ عندأبى خُبَيْبٍ * نُكِدْنَ (٤) ولا أُميَّـةَ بالبِـلادِ

من الأَعْياص أومن آل حربٍ * أغرَّ كغُرَّة الفرس الجـوادِ

أبو خُبَيب : عبد الله بن الزُّبير، كان يكنى أبا بكر. وخبيب : ٱبن له هو أ كبر ولده، ولم يكن يَكنيه به إلا من ذمَّه (٥)، يجعله كاللقب له. قال : فقال ٱبن الزبير لمَّـا بلغه هذا الشعر : علِم أنها شرُّ أُمهاتى فعيَّرنى بها وهى خيرُ عمَّاته (٦). قال اليَزِيدىّ : "إنّ" هاهنا بمعنى نعمْ، كأنه إقرارٌ بما قال. ومثله قول ٱبن قيس الرُّقَيَّات :

وَيَقُلْنَ شَيبٌ قـد علا * كَ وقد كَبِرتَ فقلتُ إنَّهْ (٧)

عود الى نسب أبى قطيفة

وأُم أبى مُعيطٍ آمنــةُ بنت أَبَانَ بن كُلَيب بن رَبيعة بن عامر بن صَعْصعة بن معاوية بن بَكْر بن هَوَازِنَ، ولها يقول نابغةُ بنى جَعْدَةَ :

---

(١) ذات عرق مُهَلّ أهل العراق وهو الحدّ بين نجد وتهامة (ياقوت). والكاهلية : زهراء بنت خثراء آمرأة من بنى كاهل بن أسد وهى أم خو يلد بن أسد بن عبد العُزّى (انظر الأغانى ج ١٠ ص ١٧٣ طبع بولاق).

(٢) نص المطايا : استخراج أقصى ما عندها من السير. والأداوى : جمع إداوة وهى وعاء الماء. والمزاد : جمع مزادة وهى الراوية يحمل فيها الماء. قال أبو عبيدة : ولا تكون إلا من جلدين توصل بثالث بينهما لتتسع. (انظر اللسان فى هذه المواد). (٣) المعبد : الطريق المذلل. وأعلمته مناسمهن : أثّرت فيه بأخفافها. والنجاد : جمع نجد وهو ما غلظ من الأرض وآرتفع. (٤) يقال : نكده حاجته إذا منعه إياها ولم يقضها. وفى ب، حـ : «نكرن» وهـو تحريف. (٥) قال الثعالبى فى لطائف المعارف : كان لآبن الزبير ثلاث كنى : أبو خبيب وأبو بكر وأبو عبد الرحمن، وكان اذا هُجِى كنى بأبى خبيب. (انظر الخزانة ج ٢ ص ١٠١). (٦) روى البغدادى أنه قال : لو علم أن لى أمّا أخس من عمته الكاهلية لنسبنى اليها. (انظر الخزانة ج ٢ ص ١٠٠). (٧) يرى سيبويه أن هذه الهاء للسكت، ويرى أبو عبيدة أنها آسم إن، أى إنه كذلك. (انظر المغنى طبع بولاق ج ١ ص ٥١).

وشارَكْنا قريشًا فى تُقاها * وفى أنسابها شِرْكَ العِنَانِ(١)

بما وَلدتْ نساءُ بنى هِلَالٍ * وما ولدت نساءُ بنى أَبَانِ

وكانت آمنة هذه تحت أُميّةَ بن عبد شمس، فولدتْ له العاصَ وأبا العاص وأبا العِيص والعُوَيصَ وصَفيّةَ وتَوْبةَ وأَرْوَى بنى أُميّة. فلما مات أُميّةُ تزوّجها بعده ٱبنه أبو عمرو – وكان أهلُ الجاهلية يفعلون ذلك، يتزوّج الرجلُ آمرأةَ أبيه بعده – فولدتْ له أبا مُعَيط، فكان بنو أُميّة من آمنة إخوةَ أبى مُعَيط وعُمُومتَه؛ أخبرنى بذلك كلِّه الطوسىّ عن الزُّبَير بن بكّار.

قال الزُّبير: وحدّثنى عمّى مُصعَب قال: زعَموا أنّ ٱبنها أبا العاص زوّجها أخاه أبا عمرو، وكان هذا نِكَاحا تَنكِحُه الجاهليةُ، فأنزل الله تعالى تحريمه؛ قال الله تعالى: (وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ ٱلنِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا)؛ فسُمِّى نكاحَ المَقْت.

مقتل عقبة بن أبى معيط والنضر بن الحارث وما قالته قتيلة بنت الحارث من الشعر ترثى أخاها

وأُسِر عُقْبةُ بن أبى مُعَيط فى يوم بَدْر، فقتله رسول الله صلى الله عليه وسلم صبرًا(٢). حدّثنا بذلك محمد بن جَرير الطَّبرىّ قال حدّثنا محمد بن حُمَيد الرّازىّ قال حدّثنا سَلَمةُ ٱبن الفَضْل عن محمد بن إسحاق فى خبرٍ ذَكَره طويلٍ، وحدّثنى به أحمد بن محمد بن الجَعْد قال حدّثنا محمد بن إسحاق المُسَيَّبى قال حدّثنا محمد بن فُلَيح عن موسى بن عُقْبة عن ٱبن شِهَاب الزُّهرىّ، قالوا جميعا:

قَتَله رسول الله صلى الله عليه وسلم صبرا. فقال له – وقد أمَر بذلك فيه –: يا محمد، أأنا خاصّةً من قريش؟ قال نعم. قال: فمَنْ لِلصِّبْيَة بعدى؟ قال: النارُ.

(١) فى اللسان: «وفى أحسابها». والأصل فى شرك العنان وشركة العنان: اشتراك شخصين فى شىء خاص دون سائر أموالهما، كأنه عنّ لهما شىء فاشتركا فيه. (انظر اللسان مادة عنّ). (٢) أى حبسا. وفى الحديث أنه نهى عن قتل شىء من الدواب صبرا، وكل من حبس لقتل أو يمين قيل له قتل صبرا وحلف صبرا.

فلذلك يُسَمَّى بنو أبى مُعَيط صِبيةَ النــار . وٱختُلِف فى قاتله ، فقيل : إنّ علىّ بن أبى طالب — صلوات الله عليه — تولَّى قتلَه . وهذا من رواية بعض الكوفيين ، حدّثنى به أحمد بن محمد بن سعيد بن عُقْدة[1] قال : أخبرنى المُنْذِر بن محمد اللَّخْمىّ قال حدّثنا سليمان بن عَبَّاد قال حدّثنى عبد العزيز بن أبى ثابت المدنىّ[2] عن أبيه عن محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن[3] عن أبيه عن جدّه عن علىّ بن أبى طالب عليهم السلام :

أنّ النبى صلى الله عليه وسلم أمر عليّا يومَ بَدْر فضرب عُنُقَ عُقْبةَ بنِ أبى مُعَيط والنَّضْرِ بن الحارث . ورَوى[4] ٱبن إسحاق أن عاصم بن ثابت بن أبى الأَقْلَح[5] الأنصارىّ قتله ، وأنّ الذى قتله علىّ بن أبى طالب عليه السلام النضرُ بنُ الحارث بن كَلَدَةَ .

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ قال حدّثنا عمرُ بن شَبّة قال حدّثنى الحسن ٱبن عُثْمان قال حدّثنى ٱبن أبى زائدةَ عن محمد بن إسحاق عن أصحابه ، وحدّثنا محمد بن جرير قال حدّثنا [أحمد][6] بن حُمَيد قال حدّثنا سَلَمة عن ٱبن إسحاق عن أصحابه ، قالوا :

قتَل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بَدْرٍ عُقْبةَ بن أبى مُعَيط صَبْرا : أمر عاصمَ ٱبن ثابت فضرب عنقَه ، ثم أقبل من بدر حتى إذا كان بـ"الصَّفْراء"[7] قتَل النَّضْرَ بن

---

(١) كذا فى ب ، ر ، م . وفى أ ، ء : «عقبة» . وفى سائر النسخ "عفرة" بالفاء وكلاهما تحريف إذ هو لقب والد أبى العباس أحمد بن محمد بن سعيد بن عبد الرحمن المعروف بٱبن عقدة الحافظ الكوفىّ . (انظر تاج العروس فى مادة "عقد") . (٢) فى أ ، م ، ء : "المدينى" وهو تحريف إذ هو عبد العزيز بن عمران بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف الزهرىّ المدنىّ الأعرج المعروف بٱبن أبى ثابت (راجع الخلاصة فى أسماء الرجال وتهذيب التهذيب وتقريب التهذيب) . (٣) فى أ ، م ، ء : "حسين" وهو تحريف . (٤) فى أ ، م ، ء : «وروى عن ابن إسحاق» . (٥) كذا فى ر . وفى سائر النسخ : «الأفلح» بالفاء وهو تحريف ؛ إذ هو عاصم بن ثابت بن أبى الأقلح بالقاف ، وهو صحابىّ كان يضرب الأعناق بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم . (انظر تاج العروس مادة "قلح") . (٦) زيادة فى أ ، م ، ء ، وهو أحمد بن حميد الطُّرَيْثِيثىّ أحد حفّاظ الكوفة . (٧) الصفراء : واد من ناحية المدينة كثير النخل والزرع ، وهو على مرحلة من بدر .

الحارث بن كَلَدَة أحدَ بنى عبد الدار ، أمر عليًّا عليه السلام أن يضرب عنقَه . قال عمر بن شَبّة فى حديثه : "الأُثَيل"[1] ؛ فقالت أُختُه قُتَيلة[2] بنتُ الحارث ترثيه :

يا راكبًا إنّ الأُثَيْلَ مَظِنّةٌ * من صُبْحِ خامسةٍ وأنتَ مُوفَّقُ

أَبلِغْ به مَيْتًا بأنّ تحيّةً * ما إن تَزالُ بها النجائبُ تَخفِقُ[3]

منّى إليك وعَبْرةً مسفوحةً * جادتْ بِدِرَّتها وأُخرى تَخنُقُ[4]

هل يسمعَنّ النضرُ إن ناديتُه * إن كان يسمعُ هالكٌ لا يَنطِقُ[5]

ظَلّتْ سيوفُ بنى أبيه تنوشُه * للهِ أرحامٌ هناكَ تُشَقَّقُ

صبرًا يُقادُ الى المنيّة مُتعَبًا * رَسْفَ المقيَّدِ وهو عانٍ مُوثَقُ[6]

أَمحمدٌ ولأنتَ نَسْلُ نجيبةٍ * فى قومها والفحلُ فحلٌ معرِقُ[7]

ما كان ضَرَّكَ لو مَنَنْتَ وربّما * مَنَّ الفتى وهو المَغيظُ المُحنَقُ

أو كنتَ[8] قابلَ فِديةٍ فَلَيأتِيَنْ * بأعزِّ ما يَغلو لديكَ ويُنفَقُ

والنضرُ أقربُ مَنْ أخذتَ بِزَلّةٍ * وأحقُّهم إن كان عِتقٌ يُعتَقُ[9]

فبلغنا أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم قال : "لو سمعتُ هذا قبل أن أقتلَه ما قتلتُه" .

فيقال : إن شعرها أكرمُ شعرِ موتورةٍ[10] وأعفُّه وأكفُّه وأحلمُه . قال ابن إسحاق : وحدّثنى أبو عُبيدةَ بنُ محمد بنِ عمّار بن ياسر أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم لمّا كان بعِرْقِ

(١) الأثيل : موضع قرب المدينة بين بدر ووادى الصفراء . (٢) فى ياقوت فى مادة «الأثيل» أنها ابنته . (٣) فى ديوان الحماسة وياقوت و أ : «بلغ به ميتا فإن تحية» . وفى ت ، ح ، ر : «الركائب» . (٤) فى أ وديوان الحماسة : «منى اليه» ويروى فيه : «جادت لمائحها» نعنى أباها لأنه هو الذى يستبكيها ويستنزف دمعها . (٥) روى «فليسمعنّ النضر إن ناديته» . وروى الشطر الثانى : «إن كان يسمع هالك أو ينطق» . (٦) رسف المقيد : مشيه . (٧) روى : «أمحمد ولأنت ضنء نجيبة» وروى «أمحمد يا خير ضنء كريمة» . والضنء : النسل . (٨) صححه الشنقيطى : «لو كنت قابل فدية ...» وروى فى ب : «إن كنت ...» وفى سائر النسخ كما فى الصلب ، وهو مستقيم وصحيح . (٩) روى : «والنضر أقرب من أصبت وسيلة» . (انظر شرح ديوان الحماسة للتبريزى طبع بولاق ج ٣ ص ١٤ و ١٥) .
(١٠) الموتور : من قتل له قتيل فلم يدرك بدمه .

الظُّبْيَة[(١)] قتلَ عُقبةَ بن أبى مُعَيط . قال حين أمرَ به أن يُقتَل : فمن للصِّبْيةِ يامحمدُ ؟ قال : النارُ . فقتله عاصمُ بنُ ثابت بن أبى الأَقْلَح أحدُ بنى عمرو بن عَوْف .

حدّثنى أحمد بن الجَعْد قال حدّثنا عبد الله بن محمد بن إسحاق الأَدَمِىّ قال حدّثنا الوليدُ بنُ مسلم قال حدّثنى الأوزاعىّ قال حدّثنى يحيى بن أبى كَثِير عن محمد ٥
ابن إبراهيم التَّيْمىّ قال حدّثنى عُرْوة بن الزُّبير قال :

سألت عبد الله بن عمرو فقلت : أَخبِرْنى بأشدّ شىءٍ صنَعه المشركون برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال : بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلّى فى حِجْرِ الكعبة إذ أقبل عُقبةُ بنُ أبى مُعَيط فوضع ثوبَه فى عُنق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فخنَقه به خَنْقًا شديدا ، فأقبل أبو بكر — رحمة الله عليه — حتى أخذ بمَنْكِبه فدفَعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : أتقتلون رجلا أن يقولَ ربِّىَ اللهُ ! ١٠

ولاية الوليد بن عقبة الكوفة فى خلافة عثمان ثم عزله عنها

وكان الوليد بنُ عُقبة أخا عثمانَ بنِ عَفّان لأُمّه ، أُمُّهما أَرْوَى بنتُ عامر بن كُرَيز ، وأمّها أُمُّ حَكيم البَيْضاءُ بنتُ عبد المطلب بن هاشم بن عبد مَنَاف . والبيضاءُ وعبدُ الله أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم تَوْءَمانِ . وكان عُقبةُ بنُ أبى مُعَيط تزوج أَرْوَى بعد وفاة عفّان ، فولدتْ له الوليدَ وخالدًا وعُمَارةَ وأُمَّ كُلْثوم ، كلّ هؤلاء إخوةُ عثمانَ لأمّه . وولّى عثمانُ الوليدَ بن عُقبةَ فى خلافته الكوفةَ ، فشرِبَ الخمرَ وصلّى بالناس ١٥
وهو سكرانُ فزاد فى الصلاة ، وشُهِدَ عليه بذلك عند عثمانَ فجَلَده الحدَّ . وسيأتى خبره بعد هذا فى موضعه .

وأبو قَطِيفةَ عمرُو بنُ الوليد يُكْنَى أبا الوليد . وأبو قطيفةَ لقبٌ لُقِّبَ به . وأمّه بنتُ الرَّبيع بنِ ذى الخِمَار من بنى أَسَد بن خُزَيمة .

(١) عرق الظبية (بضم الظاء وسكون الباء) : موضع ، قال الواقدىّ هو من الرَّوحاء على ثلاثة أميال مما يلى المدينة . وبه مسجد للنبى صلى الله عليه وسلم . (ياقوت) . ٢٠

نفى ابن الزبير أبا قطيفة فيمن نفاه عن المدينة فى وقعة الحرة

وقال أبو قطيفة هذا الشعرَ حين نفاه ٱبنُ الزُّبير مع بنى أُميّة عن المدينة ، مع نظائرِه[1] تشوُّقًا إليها. حدّثنى بالسبب فى ذلك أحمد بن محمد بن شَبِيب بن أبى شَيْبة البَزّار[2] قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخَرّاز[3] عن المَدائنىّ ، وأخبرنى ببعضه أحمد ٱبن محمد بن الجَعْد قال حدّثنا أحمد بن زُهَير بن حَرْب قال حدّثنى أبى قال حدّثنى وَهْب بن جَرير عن أبيه فى كتابه المسمَّى "كتابَ الأزارِقة" ، ونَسختُ بعضَه من كتاب منسوبٍ إلى الهَيْثم بن عَدِىّ . واللفظُ للمَدائنىّ فى الخبر ما ٱتّسق ، فاذا ٱنقطع أو ٱختلف نَسبتُ الخلافَ إلى راويه . قال الهَيْثم بن عَدِىّ أخبرَنا ٱبن عَيّاش عن مُجالد عن الشَّعْبىّ وعن ٱبن أبى الجَهْم[4] ومحمد بن المُنْتَشِر :

خروج ابن الزبير على بنى أمية ووفد يزيد بن معاوية له

أنّ الحسين بن علىّ بن أبى طالب ـ عليه وعلى أبيه السلام ـ لمّا سار إلى العراق ، شمّر ٱبنُ الزُّبير للأمر الذى أراده ولبِس المَعافِرىّ[5] وشَبَرَ بطنَه وقال : إنما بطنى شِبْرٌ وما عسى أن يَسع الشِّبرُ[6] ! وجعل يُظهر عيبَ بنى أُميّة ويدعو إلى خلافهم . فأمهله يزيدُ سنةً ، ثم بَعَث إليه عشرةً من أهل الشأم عليهم النُّعمان بن بَشِير . وكان أهل الشأم يسمُّون أولئك العشرةَ النَّفرَ الرَّكْبَ ، منهم عبدالله بن عِضاه الأشْعرىّ ، ورَوْح ابن زِنْباع الجُذَامىّ ، وسعد بن حَمْزة الهَمْدانىّ ، ومالك بن هُبَيْرة السَّكُونىّ[7] ، وأبو كَبْشة السَّكْسَكِىّ ، وزِمْلُ بن عَمْرو العُذْرىّ ، وعبدالله بن مسعود ، وقيل : ٱبن مَسْعَدةَ الفَزارىّ ، وأخوه عبد الرحمن ، وشَرِيك بن عبد الله الكِنانىّ ، وعبد الله بن عامر الهَمْدانىّ ، وجعل عليهم ، النعمانَ بن بَشير ، فأقبلوا حتى قدِموا مكةَ على عبد الله ٱبن الزُّبير ، وكان النعمان

(١) النظائر : الأشباه جمع نظيرة بالتاء ؛ لأن فعائل يطرد فى فعالة وشبهه بتاء أو بغير تاء . والمراد أنه قال هذا الشعر مع قصائد نظائر له . وأما جمع النظير مذكرا بمعنى المناظر وهو المقابل والمماثل فنظراء .

(٢) فى ب ، حـ : «البزاز» بزايين معجمتين . (٣) فى ب ، س : «الخزاز» بزايين معجمتين .

(٤) فى أ ، م ، ء : «أبى الجهم» بسقوط لفظة «ابن» . (٥) نسبة إلى معافر : اسم قبيلة من اليمن تنسب إليها هذه الثياب . (٦) يريد أنه إنما يخرج على بنى أمية لمصلحة الأمة لا لمطامع مادية . (٧) فى جميع الأصول : «السلولى» . والتصويب من تهذيب التهذيب والخلاصة فى أسماء الرجال ، والطبرى ، والكامل لابن الأثير . والسكونى : نسبة الى سكون وهى قبيلة من كندة .

يَخْلُو به فى الحِجْر كثيرا . فقال له عبد الله بن عِضَاه يوما : يا بن الزُّبير، إنّ هذا الأنصارىّ والله ما أُمِرَ بشىء إلا وقد أَمَرْنا بمثله إلا أنه قد أُمِّرَ علينا ، إنى والله ما أدْرى ما بين المهاجرين والأنصار . فقال ٱبن الزبير : يا ٱبن عِضَاه، مالى ولك ! إنما أنا بمنزلة حمامةٍ من حمام مكةَ، أفكنتَ قاتلًا حماماً من حمام مكةَ؟ قال : نعم، وما حرمةُ حمام مكةَ ! ياغلام، ائتنى بقَوْسى وأَسْهُمى، فأتاه بقوسه وأسهمه، فأخذ سهما فوضعه فى كَبِد القوس ثم سدّده نحوَ حمامة من حمام المسجد وقال : يا حمامةُ، أيشربُ يزيدُ ٱبن معاويةَ الخمرَ؟ قُولِى : نعم، فوالله : لئن فعلتِ لأرمينّكِ . يا حمامةُ، أتَخْلَعين يزيدَ ٱبن معاويةَ وتُفارقينَ أمّةَ محمد صلى الله عليه وسلم، وتُقِيمينَ فى الحرم حتى يُستحَلّ بكِ؟ والله لئن فعلتِ لأرمينّكِ . فقال ٱبن الزُّبير : وَيْحَكَ ! أوَ يتكلم الطائر؟ قال : لا ! ولكنك يا بن الزبير تتكلم . أقسِمُ بالله لتُبايِعَنّ طائعا أو مُكْرَهًا أو لتَتعرَّفَنّ رايةَ الأشعريّين فى هــذه البَطْحاء، ثم لا أُعَظِّم من حقّها ما تُعظِّم[1] . فقال ٱبن الزبير : أوَ تَسْتحِلّ الحرَمَ[2] ! قال : إنما يَستَحِلُّه من أَلْحَدَ فيه . فحبسهم شهراً ثم ردّهم إلى يزيدَ ٱبن معاويةَ ولم يُجبه إلى شىء . وفى رواية أحمد بن الجَعْد : وقال بعض الشعراء — وهو أبو العباس الأعمى، وٱسمه السائبُ بن فَرُّوخَ يذكر ذلك وشِبْرَ ٱبن الزبير بطنَه — :

ما زال فى سُورة الأعراف يدرُسها * حتى بدا لىَ مثلَ الخزّ فى اللِّين[3]

لو كان بطنُكَ شِبْراً قد شَبِعتَ وقد * أَفْضَلتَ فضلًا كثيرا للساكين[4]

قال الهيثم : ثم إنّ ٱبنَ الزُّبَير مضى إلى صَفيّة بنت أبى عُبيد[5] زوجة عبد الله ٱبن عمر، فذكرلها أنّ خروجه كان غضبًا لله تعالى ورسوله — عليه السلام — والمهاجرين

(١) فى أ، ت، م، ء : «ما يعظم» . (٢) هكذا فى ت . وفى سائر الأصول : « أو يستحل الحرم، قال إنما يحله الخ » . (٣) كذا فى أ، ء . وفى سائر النسخ : « فؤادى » .
(٤) فى أ، ت، م، ء : «فى المساكين» . (٥) كذا فى ت، حـ، ر . وفى سائر النسخ : « عبيد الله » . والذى فى كتب التراجم أن زوجة ٱبن عمر هى صفية بنت أبى عبيد بن مسعود الثقفية .

والأنصار من أَثَرَة معاويةَ وآبنه [وأهـلِه][1] بالفَىْء[2]، وسألهـا مسألتَه أن يُبايِعَـه . فلما قدّمتْ له عَشاءه ذكرت له أمرَ آبن الزبير وآجتهادَه، وأثنَتْ عليه وقالت : ما يدعو إلّا إلى طاعة الله جلّ وعزّ ، وأكثرت القولَ فى ذلك . فقال لها : أمَا رأيتِ بَغَـلاتِ معاويةَ اللواتى كان يُحَجّ عليهنّ[3] الشُّهْبَ ، فإنّ آبنَ الزبير ما يريد غيرَهنّ ! قال المدائنىّ فى خبره : وأقام آبنُ الزبير على خَلْع يزيدَ ومالأه[4] على ذلك أكثرُ النـاس . فدخل عليه عبد الله بن مُطيع وعبـد الله بن حَنْظلة وأهـلُ المدينـة المسجدَ وأتَوا المِنْبَر فخلَعوا يزيدَ . فقال عبـد الله بن أبى عمرو بن حَفْص آبن المُغيرة المَخْزُومىّ : خلَعتُ يزيدَ كما خلعت عِمَامتى، ونزَعها عن رأسه وقال : إنى لأقول هذا وقد وصَلنى وأحسن جائزتى ، ولكنّ عدوّ الله سِكِّيرٌ خِمِّيرٌ . وقال آخر : خلعته كما خلعتُ نعلى . وقال آخر : خلعتُه كما خلَعتُ ثوبى . وقال آخر : قد خلعته كما خلعت خُفِّى، حتى كثُرت العمائمُ والنِّعال والخِفاف، وأظهروا البراءةَ منه وأجمعوا على ذلك، وآمتنع منه عبد الله بن عمر، ومحمد بن علىّ بن أبى طالب — عليهما السلام — وجرى بين محمدٍ خاصّةً وبين أصحابِ بنِ الزبير فيه قولٌ كثير، حتى أرادوا إكراهَه على ذلك، فخرج إلى مكة؛ وكان هذا أوّلَ ما هاج الشرّ بينَه وبين آبن الزبير .

وقعة الحرة

قال المدائنىّ : واجتمع أهلُ المدينـة لإخراج بنى أُميّة عنها ، فأخذوا عليهـم العهودَ ألّا يُعينوا عليهم الجيشَ، وأن يردّوهم عنهم؛ فإن لم يقدِروا على ردّهم لا يرجعوا إلى المدينة معهم . فقال لهم عثمان بن محمد بن أبى سُفْيان : أَنْشُدكم اللهَ فى دمائكم وطاعتكم ! فإنّ الجنود تأتيكم وتَطَؤُكم، وأُعْذِر لكم ألّا تُخْرِجوا أميرَكم؛

(١) زيادة فى ب ، س ، ح . (٢) الفىء : ما أفاء الله من أموال المشركين على المسلمين من غير حرب ولا جهاد مثل الجزية وما صولحوا عليه ؛ إذ أصل الفىء الرجوع ، كأنه كان لهم فرجع إليهم . والغنيمة : ما آغتنم فى الحرب . والنَّفَل مثلها . (٣) فى ت : «التى كان يحجّ عليها» وفى النسخ جميعا : «فإن آبن الزبير ما يريد غيرهن» . (٤) كذا فى ت . وفى سائر النسخ : «ومالأ» بدون الضمير .

إنكم إن ظَفِرتُم وأنا مقيمٌ بين أَظْهُرِكم فما أَيْسَرَ شأنِى وأقدرَكم على إخراجى! وما أقول هذا إلّا نظرًا لكم أُريد به حَقْنَ دمائكم . فشتَموه وشتَموا يزيدَ ، وقالوا : لا نَبْدأُ إلّا بك، ثم نُخْرِجُهم بعدك . فأتى مَرْوانُ[1] عبدَ الله بنَ عمر فقال: يا أبا عبدالرحمن، إنّ هؤلاء القومَ قد رَكِبونا بما تَرَى، فضُمَّ عِيالَنا. فقال : لستُ من أمرِكم وأمرِ هؤلاء فى شىء. فقام مروان وهو يقول : قبّح الله هذا أمرًا وهذا دِيناً . ثم أَتَى علىَّ آبن الحسين — عليهما السلام — فسأله أن يضُمَّ أهلَه وثَقَلَه[2] ففعل ، ووجَّههم وآمرأتَه أمَّ أَبَانَ[3] بنتَ عثمانَ إلى الطائف ومعها آبناه : عبدُ الله ومحمدٌ . فعَرَضَ حُرَيْثٌ رَقَّاصَةُ — وهو مولًى لبنى بَهْزٍ[4] من سُلَيم كان بعضُ عمّال المدينة قطع رِجْلَهُ، فكان إذا مشَى كأنه يَرْقُص ، فسُمِّىَ رَقَّاصَةَ — لثَقَلِ مروانَ وفيه أُمُّ عاصم بنتُ عاصم بن عمر بن الخطاب، فضربتْه بعَصًا فكادتْ[5] تدُقُّ عنقَه، فولَّى ومَضى . ومضَوْا إلى الطائف وأُخْرِجُوا بنى أُميّة . فحَسَّ[6] بهم سليمانُ بن أبى الجَهْم العَدَوىّ وحُرَيثٌ رَقَّاصَةُ، فأراد مَرْوانُ أن يصلّىَ بمن معه فمنَعُوه، وقالوا : لا يُصلِّى[7] والله بالناس أبدًا، ولكن إن أراد أن يصلِّىَ بأهله فلْيُصَلِّ، فصلَّى بهم ومضَى . فمرّ مروانُ بعبد الرحمن آبن أَزْهَرَ الزُّهْرىّ، فقال له : هَلُمَّ إلىّ يا أبا عبد الملك، فلا يَصِل إليك مكروهٌ ما بَقِىَ رجلٌ من بنى زُهْرةَ. فقال له : وصلتْكَ رَحِمٌ، قومُنا على أَمْرٍ[8] فأكرَهُ أن أُعرِّضَكَ لهم . وقال آبن عمرَ بعد ذلك — لمّا أُخْرِجُوا وندِم على ما كان قاله لمروان — : لو وجدتُ

---

(١) هو مروان بن الحكم وكان إذ ذاك فى المدينة أخرجوه مع عثمان بن محمد بن أبى سفيان فى وقعة الحرّة . (انظر العقد الفريد ج ٢ ص ٣١١) . (٢) الثقل : متاع المسافر وحشمه . (٣) قال السيد مرتضى : أبان كسحاب مصروف، ثم قال : وأكثر النحاة والمحدّثين على منعه من الصرف للعلمية والوزن (انظر تاج العروس مادة أبن) . (٤) فى ت : «لبنى نهد» وهو تحريف .

(٥) فى ت : «بعصا كادت» . (٦) يقال : حس بالشىء وأحس به وأحسه إذا شعر به .

(٧) كذا فى ب ، س ، حـ ، ر . وفى ت : « لا تصلى والله بالناس أبدا » وفى أ ، م ، ء : « لا نصلى والله أبدا » . (٨) أى بيت قومنا على أمر فأكره الخ ، أو أن المراد الإمر بالكسر وهو الأمر العظم الشنيع ؛ ومنه قوله تعالى : (لقد جئت شيئا إمرا) .

سبيلًا الى نَصْر هؤلاء لفعلتُ؛ فقد ظلموا وبُغِيَ عليهم. فقال ٱبنُه سالم: لو كلّمتَ هؤلاء القوم! فقال: يا بنيّ، لا يَنْزِعُ هؤلاء القومُ عمّا هم عليه، وهم بعَيْن الله، إن أراد أن يُغَيِّر غيّر. قال: فمضَوْا "الى ذى خُشُب"[1]، وفيهم عثمان بن محمد ٱبن أبى سفيان والوَليد بن عُتْبَة بن أبى سفيان، وٱتّبعهم العَبِيدُ والصِّبْيانُ والسَّفِلةَ يرمُونهم. ثم رجع حُرَيثٌ رَقّاصَةُ وأصحابُه الى المدينة، وأقامتْ بنو أُميّة بـ"ذى خُشُب" عشرةَ أيام، وسرّحوا حَبيبَ بن كرّة[2] الى يزيدَ بن معاوية يُعْلِمونه، وكتبوا اليه يسألونه الغَوْثَ[3]. وبلغ أهلَ المَدينة أنهم وجّهوا رجلًا الى يزيدَ، فخرج محمد بن عمرو بن حَزْم ورجل من بنى سُلَيم من بهز[4] وحُرَيثٌ رَقّاصَةُ وخمسون راكبًا فأزْعَجُوا بنى أُميّة منها، فنخَس حريثٌ بمروان[5] فكاد يسقُط عن ناقته، فتأخّر عنها وزجَرها وقال: اعْلِى وٱسْلَمِى. فلما كانوا "بالسُّوَيداء"[6] عرَض لهم مَوْلًى لمروانَ، فقال: جُعِلْتُ فِدَاكَ! لو نَزَلْتَ فَأَرَحْتَ وتغدّيْتَ! فالغَداءُ حاضر كثير قد أَدْرَكَ[7]. فقال: لا يَدَعُني رقّاصةُ وأشباهُه، وعسى أن يُمَكِّن اللهُ منه فتُقْطَعَ يدُه. ونظر مروانُ الى ماله بـ"ذى خُشُب" فقال: لا مالَ إلا ما أحرزتْه العِيَابُ[8]. فمضَوْا فنزلُوا "حَقِيلًا"[9] أو "وادِىَ القُرَى"؛ وفى ذلك يقول الأَحْوَصُ:

---

(١) خشب بجنب: واد على مسيرة ليلة من المدينة له ذكر كثير فى الحديث والمغازى (ياقوت) ويقال له ذو خشب (انظر تاج العروس مادة خشب). (٢) كذا فى ب، س، حـ غير مضبوط. وفى سائر النسخ: «كره» بالهاء غير مضبوط أيضا. ولم نجد ضبطه فى كتب اللغة. وضبط فى تاريخ ٱبن جرير الطبرى طبع ليدن قسم ٢ ص ٤٠٨ بضم الكاف وتشديد الراء المفتوحة. ولعل ضبطه «كَرّة» بفتح الكاف وتشديد الراء المفتوحة، سمى بالمرة من الكرّ. (٣) كذا فى ب، س، حـ، ر. وفى سائر النسخ: «وكتبوا اليه الغوث الغوث». (٤) فى ب، س، حـ، ر: «سليم بن بهز» وهو تحريف. (٥) فى ت: «مروان» من عيرباء. (٦) السويداء: موضع على ليلتين من المدينة على طريق الشأم. (ياقوت). (٧) أى حان إناه وٱنتهى نضجه. (٨) العياب: جمع عيبة وهى وعاء من أدم يكون فيها المتاع. (٩) حقيل: موضع. ووادى القرى: واد بين المدينة والشأم من أعمال المدينة كثير القرى، واليه ينسب عمر الوادى (ياقوت).

لا تَرْثِيَنَّ لِحَزْمِىٍّ رأيتَ بــه * ضُرًّا ولو سقط الحزمىُّ فى النارِ
الناخسينَ بمَرْوانٍ بذى خُشُبٍ * والمُقْحِمينَ علــى عثمانَ فى الدارِ

قال المدائنىّ : فدخَل حبيبُ بن كُرَةَ على يزيدَ — وهو واضعٌ رِجلَه فى طَسْتٍ لوَجَعٍ كان يجدُه — بكتاب بنى أُميّةَ وأخبرَه الخبرَ. فقال : أمَا كان بنو أميّة ومَوَاليهم ألفَ رجل ؟ قال : بَلَى ! وثلاثةَ آلاف. قال : أفعجَزوا أن يُقاتِلوا ساعةً من نهار؟ قال : كَثَرَهُم[1] الناسُ ولم تكنْ لهم بهم طاقةٌ. فندَبَ الناسَ وأمّرَ عليهم صَخْرَ بن أبى الجَهْم القَيْنىّ ، فمات قبل أن يَخْرُجَ الجيشُ ، فأمّرَ مُسْلِمَ بن عُقْبةَ الذى يسمَّى مُسْرِفا . قال : وقال ليزيد : ما كنتَ مُرْسِلًا الى المدينة أحدًا إلا قصّر وما صاحبُهم غيرى ؛ إنّى رأيتُ فى منامى شجرةَ غَرْقَدٍ[2] تَصيحُ : على يَدَىْ مسلمٍ ، فأقبلتُ نحوَ الصوتِ فسمعتُ قائلا يقول : أدرِكْ ثَأْرَكَ[3] أهلَ المدينةِ قَتَلةَ عُثْمانَ . فخرجَ مُسْلِمٌ وكان من قِصّة الحَرّة ما كان على يده ، وليس هــذا موضعَه . فقال أبو قَطِيفة فى ذلك — لما أُخْرِجوا عن المدينة — :

صوت من غير المــائة فيه لحنان

شعر أبى قطيفة فى تشوّقه الى المدينة

بَكَى أُحُــدٌ لمّا تَحَمّــل أهـــلُهُ * فكيفَ بذِى وَجْدٍ من القوم آلِفِ
مِنَ آجْلِ أبى بكرٍ جَلَتْ عن بلادها * أُميّـــةُ ، والأيامُ ذاتُ تَصــارُفِ

عَرُوضُه من الطويل ، وفيه ثَقيلٌ أوّلُ[4] . والغناءُ لسائبِ خاثِرٍ ، خَفيفُ ثَقيلٍ أوّل بالوُسْطى ، ذكر ذلك حَمّادٌ عن أبيه ، وذكر أن فيه لَحْنًا آخرَ لأهل المدينة لا يُعرَف صاحبُه . قال الهَيْثَم فى خبره : وقال أبو العباس الأعمى فى ذلك :

(١) أى غلبوهم بكثرتهم . (٢) الغرقد : الشجر العظيم . (٣) ثأرك : الرجل الذى أصاب حميمك ؛ ومنه : * قتلت به ثأرى وأدركت ثؤرتى * (٤) كذا فى الأصول .

قَـدْ حَلَّ فى دار البَـلَاطِ مُجَوَّعٌ[1] * ودارِ أبى العَاصِ التَّميمىُّ حَنْتَفُ[2]

فـلم أَرَ مثـلَ الحىّ حين تحمَّـلوا * ولا مثلَنا عن مثلِهم يَتَنَكَّفُ[3]

وقال أبو قَطِيفةَ أيضا :

صوت من غير المـائة فيه ثلاثة ألحان

٥ بَكَى أُحُـدٌ لمّـا تحمَّـــل أهــلُه * فسَلْعٌ فدارُ المـال أمستْ تَصَدَّعُ

وبالشأم إخوانى وجُلُّ عَشـيرتى * فقـد جَعَلَتْ نفسى اليهـم تَطَلَّعُ

عَرُوضُه من الطويل. غنّى فيه دَحْمَانُ، ولحنُه ثَقيلٌ أوّلُ بإطلاق الوَتَر فى مَجْرى البِنْصر من رواية إسحاق . وفيه لمَعْبَد ثقيلٌ أوّلُ بالوُسْطى من رواية حَبَش. وذكر إسحاق أن فيه لحنا فى خَفيف الثَّقيل الأوّل بالخِنْصر فى مَجْرى البِنْصر مجهولَ الصَّانع .

١٠ وقال أبو قَطِيفة أيضا :

١٥ / ١

صوت من غير المـائة المختارة

ليتَ شِعْرى : هَلِ البَلَاطُ كعَهْدى * والمُصَـلَّى الى قصـور العَقيـقِ؟

لَامَـنِى فى هَـوَاكِ يا أمَّ يحيـى * مِنْ[4] مُبِـينٍ بغشِّـه أو صَـدِيقِ

عَرُوضُه من الخَفِيف . غنَّاه مَعْبد ويقال دَحْمان، ولحنه ثَقيلٌ أوّلُ بالسَّـبَّابة

١٥ فى مَجْرى الوُسْطَى، وذكر إسحاق أنه لا يُعرَف صاحبُه .

(١) البلاط : موضع بالمدينة بين المسجد والسوق مبلّط (قاموس) . (٢) هو الحنتف بن السجف ابن سعد بن عوف بن زهير بن مالك ، كان يكنى أبا عبدالله وكان دينا شريفا ، وله منزلة من عبيدالله بن زياد . ولما وقعت فتنة ابن الزبير سار حبيش بن دلجة القينى من قضاعة الى المدينة يريد قتال ابن الزبير ، فعقد الحارث ابن عبدالله المخزومى وهو أمير البصرة للحنتف لواءه فسار فى سبعمائة ، وخرج اليه حبيش من المدينة فلقيهم بالربذة

٢٠ فقتل الحنتف حبيشا وعبدالله بن الحكم أخا مروان بن الحكم وانهزم الحجاج بن يوسف وأبوه يومئذ ، ثم سار الحنتف نحو الشام ، حتى اذا كان بوادى القرى سم بطعامه فمات هناك (انظر المعارف لابن قتيبة ص ٢١٢ — ٢١٣ وابن جرير الطبرى طبع أوربا قسم ٢ ص ٥٧٨ — ٥٧٩ وشرح القاموس مادة حتف) .
(٣) من نكف عن الشيء إذا عدل عنه . ولم نعثر على هذه الصيغة من هذه المادة فى المظان . وفى ب ، س : «يتكنف» . (٤) قد تزاد «من» فى الإثبات ؛ وحمل عليه قوله تعالى :

٢٥ (يغفر لكم من ذنوبكم) ، وقول عمر بن أبى ربيعة : وينمى لها حبها عندنا * فما قال من كاشح لم يضر

حدّثنى أحمد بن عُبَيد الله بن عَمَّار قال حدّثنى محمدُ بنُ يُونُسَ بن الوليد قال :

كان ٱبن الزُّبَير قد نفى أبا قَطيفةَ مع من نفاه من بنى أميّـة عن المدينـة الى الشأم؛ فلما طال مُقَامُه بها قال :

ألا ليتَ شِعْرِى هـل تغيَّر بعدَنا * قُبَاءٌ وهـل زَالَ العقيقُ وحاضِرُه؟
وهـل بَرِحَتْ بَطْحاءَ قبرِ محمـدٍ * أَرَاهِـطُ غُرٌّ من قُرَيش تُبَاكِرُه؟ ٥
لهم منتهى حُبِّى وصَـفْوُ مـودّتى * ومَحْضُ الهـوى منِّى وللناسِ سائِرُه

قال وقال أيضا :

صوت من غير المـائة المختارة

ليتَ شِـعْرِى وأينَ مـنِّىَ لَيْـتُ * أعَـلَى العَهْـد يَلْبَنٌ فَـبَرَامُ؟
أم كعَهْـدِى العَقيـقُ أم غَـيَّرتْهُ * بَعْــدِىَ الحـادثاتُ والأيـامُ؟ ١٠
و بأهــلى بُـدِّلْتُ عَـكًّا ولَخْـمًا * وجُـــذَامًا ، وأينَ منِّى جُـذَامُ[1]!
وتبــدَّلْتُ مِنْ مساكِنِ قَـوْمِى * والقُصُـورِ الـتى بهـا الآطَـامُ،
كلَّ قَصْـرٍ مُشَـيَّدٍ ذى أَوَاسٍ * يتغـــنَّى عـــلى ذُرَاهُ الحَمَـامُ
اِقْرَ منِّى السَّلامَ إن جئتَ قومى * وقليــلٌ لهـمْ لَدَىَّ الســـلامُ

عَرُوضُه من الخفيف، غنّاه مَعْبد، ولحُنه ثقيلٌ أوّلُ بالخنصر فى مَجْرَى البِنْصر. ١٥

و "يَلْبَنٌ" و "بَرَامُ"[2]: موضعان. والآطَامُ: جمع أُطُم، وهى القُصُور والحصون. وقال الأَصمعىّ: الآطام: الدُّورُ المسطَّحة السُّقُوف. وفى رواية ٱبن عمار: «ذى أَوَاشِ» بالشين معجمةً؛ كأنه أراد به أنّ هذه القصور مَوْشِيَّةٌ أى منقوشة. ورواه إسحاق: «أواس» بالسين غيرَ معجمة، وقال: واحدها آسِىٌّ، وهو الأصل. قال و يقال: فلانٌ فى آسِيِّه، أى فى أصله. والآسِىّ والأساس واحد. وذُرَا كلِّ شىء: أعاليه، ٢٠
وهو جمعٌ، واحدته ذِرْوَة. و يروى : * أَبْلِغَنَّ السَّلامَ إن جئتَ قَوْمِى *

(١) عك بفتح أوّله : قبيلة يضاف اليها مخلاف باليمن (ياقوت)، ولخم وجذام: قبيلتان معروفتان .

(٢) يلبن : جبل قرب المدينة . و برام (بفتح أوّله وكسره والفتح أكثر): جبل فى بلاد بنى سُلَيم عند الحرّة من ناحية البقيع . (ياقوت) .

وروى الزُّبير بن بكّار هذه الأبيات لأبى قَطيفةَ ، وزاد فيها :

أَقْطَعُ الليـلَ كلَّه باكتئابٍ * وزَفِـيرٍ فما أكـادُ أَنَامُ

نحوَ قَوْمِى إذ فرَّقَتْ بيننا الدا * رُ وحادتْ[1] عن قَصْدها الأحلامُ

خشيةً أن يُصيبهم عَنَتُ الدهـ * ـر وحربٌ يَشِيبُ منها الغلامُ

٥ فلقدْ حَانَ أن يكونَ لهذا الـ * ـدَّهرِ عنّا تَباعُـدٌ وٱنْصِـرَامُ

عفوابن الزبير عن أبى قطيفة وعودته الى المدينة وموته حين وصوله اليها

١٦/١

رجع الخبر إلى سِيَاقَتِه من رواية ٱبن عَمَّار . وأخبرَنا بمثله من هذا الموضع الحُسَينُ بن يحيى عن حَمَّاد بن إسحاق عن أبيه عن الحِزَامىّ ، وهو إبراهيم بنُ المنذر، عن مُطَرِّف بن عبد الله المدنىّ[2] قالا : إن ٱبنَ الزُّبَير لمّا بلغه شعرُ أبى قَطيفة هذا قال : حَنَّ[3] واللهِ أبو قطيفة وعليه السلام ورحمة الله ، مَنْ لَقِيه فليُخبِرْه أنه آمنٌ

١٠ فليرجِـعْ . فأُخبر بذلك فانكفأ إلى المدينة راجعا ، فلم يصلْ إليها حتى مات . قال ٱبن عمّار : فحُدِّثت عن المدائنىّ أنّ ٱمرأةً من أهل المدينة تزوّجها رجل من أهل الشأم ، فخرج بها إلى بلده على كُرْهٍ منها ، فسمعتْ مُنْشِدا يُنشِد شعرَ أبى قَطيفةَ هذا ، فشَهَقتْ شَهْقةً وخرّتْ على وجهها ميّتةً ؛ هكذا ذكر ٱبنُ عمّار فى خبره .

وأخبرنى الحسينُ بن يَحْيَى قال قال حمّاد : قرأتُ على أبى عن أيُّوبَ بن عَبَايَةَ

١٥ قال قال حدثنى سعيدُ بن عائشةَ مولَى آل المُطَّلب بن عبد مَنَاف قال :

---

(١) فى ت : « وجارت » . (٢) كذا فى م ، د . وفى سائر النسخ : « المذلى » وهو خطأ ؛ إذ الذى ورد فى كتب التراجم أنه مطرِّف بن عبد الله بن مطرف المدنىّ الفقيه شيخ البخارىّ ، وأنه روى عنه إبراهيم بن المنذر . (٣) فى ب ، س : « أحسن » .

خرجتِ آمرأة من بنى زُهْرة فى خِفٍّ (١)، فرآها رجل من بنى عبـد شمس من أهل الشأم فأعجبتْه ، فسأل عنهـا فنُسبتْ له ، فخطَبها إلى أهلها فزوّجوه [إياها] بكُرْهٍ منها ، فخرج بها إلى الشأم . [وخَرَجَتْ مُخْرَجًا (٢)] ، فسمعتْ متمثّلا يقول :

صوت من غير المـائة المختارة

ألا ليتَ شعرى هل تغيّر بعدنا * جَبوبُ (٣) المصلَّى أم كعهدى القرَائنُ؟

وهل أَدْؤُرٌ (٤) حولَ البَلَاطِ عَوَامِرٌ * من الحَىِّ أم هل بالمدينة ساكنُ؟

إذا برَقتْ نحـوَ الحِجاز سحـابةٌ * دعا الشوقَ منّى برقُها المتيامِنُ

فلَمْ أَتْرُكْنها رَغْبةً عن بلادها * ولكنّه ما قـدَّر اللهُ كائنُ

— عَرُوضه من الطويل، يقال : إن لمعبد فيه لحنا — قال : فتنفّستْ بينَ النساء فوقعتْ ميّتـة . قال أيّوب (٥) : فحدّثتُ بهـذا الحديث عبدَ العزيز بن أبى ثابت الأعرج فقـال : أتعرِفُها ؟ قلتُ لا . قال : هى والله عمّتى حميـدةُ بنت عمر بن عبد الرحمن بن عَوْف .

أخبرنا محمـد بن العبّاس اليَزيدى قال حدّثنا الرِّيَاشى قال أخبرنى آبنُ عائشةَ قال : لمـّا أَجْلَى آبنُ الزُّبير بنى أُميّةَ عن الحجاز قال أَيْمَنُ بنُ خُرَيم الأَسَدى :

كأنّ بنى أُميّةَ يومَ رَاحُوا * وعُرِّىَ عن منازلهم صِرارُ (٦)

شَمَارِيخُ الجبالِ إذا تردّتْ * بزينتِهـا وجادتْهـا القِطارُ (٧)

(١) كذا فى ب، سـ . وفى ر : «حى» وفى سائر النسخ : «حق» وكلاهما تحريف؛ يقال : خرج فلان فى خِف من أصحابه أى فى جماعة قليلة . (٢) هذه العبارة ساقطة من أ ، م ، ء . والمراد أنها خرجت مرة . (٣) فى جميع الأصـول : « جنوب » بالنون وهو تصحيف . والتصويب عن ياقوت . والجبوب : الحجارة والأرض الصلبة . (٤) كذا فى أ ، سـ . وفى سائر النسخ من غير همز، وكلاهما صحيح . (٥) كذا فى ت . وفى سائر النسخ : « أبو أيوب » .

(٦) فى ب ، سـ ، م ، أ : « صـدار » بالدال . وصدار كغراب : موضع قرب المدينة . وصرار : جبل ، وقد أورده ياقوت وذكر فيه هذا الشعر .

(٧) شماريخ الجبال : رءوسها ، واحدها شمراخ . والقطار : جمع قطر وهو المطر .

وأخبرنى الحسن بن علىّ الخفّاف قال حدّثنا محمد بن سعد الكُرَانىّ قال حدّثنا العُمَرىّ[1] عن العتبىّ قال :

كتب أبو قَطيفة عَمْرو بن الوَليد بن عُقْبة إلى أبيه وهو متولّى الكوفة لعثمانَ بن عفّان :

مَنْ مُبْلِغٌ عنّى الأميرَ بأننى * أَرِقٌ بلا داءٍ سوى الإنْعاظِ

٥ إن لم تُغْنِنى خفتُ إثمَك أو أُرَى * فى الدار محدودًا[2] بزُرْقِ لِحاظِ

يعنى دارَ عثمانَ التى تُقَام فيها الحدود. فابتاع له جارية بالكوفة وبعث بها إليه.

أخبرنى عبد الله بن محمد الرّازى قال حدّثنا الخرّاز عن المدائنىّ قال :

كان أبو قطيفة من شعراء قريش، وكان ممن نفاه ابن الزبير مع بنى أُمية إلى الشأم، فقال فى ذلك :

١٠ وما أَخرجتْنا رَغْبةٌ عن بلادنا * ولكنّه ما قدّر اللهُ كائنُ

أَحِنُّ إلى تلك الوجوه صَبابةً * كأنّى أسيرٌ فى السّلاسلِ راهنُ

وكان يَتَحرّق[3] على المدينة، فأتى عَبّادُ بنُ زِياد ذاتَ يوم عبدَ الملك فقال له : إنّ خاله أخبره أن العِراقَيْن قد فُتِحا . فقال عبدُ الملك لأبى قَطيفةَ لِمَا يعلمُه من حُبّه المدينة : أمَا تسمعُ ما يقولُه عبّادٌ عن خاله ؟ قد طابَتْ لك المدينةُ الآن. فقال أبو قطيفةَ :

١٥ إنّى لأَحمقُ[4] مَنْ يَمْشِى على قَدَمٍ * إن غَرّنى من حياتى خالُ عبّاد

أَنْشَا يقول لنا المِصْرانِ قد فُتِحا * ودونَ ذلك يومٌ شَرُّه بادى

قال : وأَذِنَ له ابنُ الزُّبير فى الرجوع، فرجَع فمات فى طريقه .

قصر سعيد بن العاص بالعرصة وشىء من أخباره

وأمّا خبرُ القَصْر الذى تقدّم ذكرُه وبيعُه من معاويةَ، فأخبرنى الحُسَين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال ذكر مُصْعَب بن عمّار[5] بن مُصْعَب بن عُرْوَة بن الزُّبير:

٢٠
(١) فى ت، ح، س : «الضّبّى» . (٢) مقاما علىّ الحد . (٣) يتلهف شوقا اليها .
(٤) فى ت، أ، م، ح، ر : «لأجبن» . (٥) كذا فى أكثر النسخ . وفى ت، ح : «عثمان» وفى ر : «مصعب بن عثمان بن عروة» . وعثمان بن عروة ذكره ابن قتيبة فى المعارف ص ١١٤

أنّ سَعيد بن العاص لمّا حضَرتْه الوفاةُ وهو فى قَصْره هذا، قال له ٱبنُه عمرو: لو نزلتَ الى المدينة ! فقال : يا بنىّ، إنّ قومى لن يَضَنُّوا علىّ بأن يحملُونى على رِقَابِهم ساعةً من نهار، وإذا أنا مُتُّ فآذِنْهم[1]، فإذا وَارَيْتَنِى فانطلقْ الى معاوية فٱنْعَنِى له، وٱنظُرْ فى دَيْنِى؛ وٱعلمْ أنه سيَعْرِض عليك قضاءَه فلا تفعلْ، وٱعرِضْ عليه قَصْرى هذا؛ فإنّى إنما ٱتخذتُه نُزْهَةً وليس بمال. فلما مات آذَنَ به الناسَ، فحَمَلُوه من قصره حتى دُفِن بالبَقيع، ورواحلُ عَمْرِو بن سعيد مُنَاخَةٌ، فعزّاه الناسُ على قبره وودّعوه، فكان هو أوّلَ مَنْ نَعَاه لمعاوية[2]؛ فتوجّع له وترحّم عليه، ثم قال: هل تَرَكَ دَيْنا؟ قال نعم. [قال: كم هو؟ قال][3] ثلثمائة ألف [درهم][3]. قال: هى علىّ. قال: قد ظَنَّ ذلك وأمَرَنى ألّا أقبلَه منك، وأن أَعْرِضَ عليك بعضَ ماله فتَبْتَاعَه فيكونَ قضاءُ دينه منه. قال: فاعرِضْ [علىّ][4]. قال: قصرَه بالعَرْصَة. قال: قد أخذتُه بدَيْنه. قال: هو لكَ على أن تَحمِلَها إلى المدينة وتجعلَها بالوافِيَة[5]. قال نعم. فحمَلها له إلى المدينة وفرّقها فى غُرَمَائه، وكان أكثرُها عِدَاتٍ[6]. فأتاه شابٌّ من قُرَيش بصَكٍّ فيه عشرون ألفَ درهم بشهادة سعيدٍ على نَفْسه وشهادة مولًى له عليه. فأرسل إلى المولى فأقرأه الصَّكَّ؛ فلما قرأه بكى وقال: نعمْ هذا خطُّه وهذه شَهَادتى عليه. فقال له عمرو: مِنْ أين يكون لهذا الفتى عليه عشرون ألفَ درهم وإنما هو صُعلوكٌ من صَعاليك قريش؟ قال: أُخْبِرُك عنه، مرّ سعيدٌ بعد عَزْله، فٱعترَض له هـذا الفتى ومشى معه حتى صار إلى منزله، فوقف له سـعيد فقال: ألكَ حاجةٌ؟ قال: لا، إلّا أنّى رأيتُك تمشى وحدَك فأحببتُ أن أَصِلَ جَنَاحَك. فقال لى: ائْتِنى بصحيفة، فأتيتُه بهذه، فكتب له على نفسه هـذا الدَّينَ وقال: إنك لم تُصَادِفْ[7] عنـدنا شيئا فخُـذْ هذا،

(١) آذنهم: أعلِمهم. (٢) فى أ، م، ى، ب، س: «الى معاوية» وكلاهما صحيح. (٣) زيادة فى ت. (٤) زيادة فى ب، س، حـ، ر. (٥) الدرهم الوافى درهم وأربعة دوانق، والدانق: سدس الدرهم. (٦) عطايا وعد بها. (٧) كذا فى ت، حـ، ر. وفى سائر النسخ: «لن» وهو لا يناسب المقام.

فإذا جاءنا شيء قَأْتِنا. فقال عمرو : لاجَرَمَ واللهِ لا يأخذُها إلا بالوافية ، أعطِه إيّاها ؛ فدفَع إليه عشرين ألفَ درهم وافيةً .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجَوْهَرِيّ قال حدّثنا عُمَر بن شَبَّة قال حدّثنا الصَّلْتُ بن مَسْعود قال حدّثنا سُفْيان بن عُيَينة قال حدّثنا هارون المدائنيّ[1] قال :

٥ كان الرجل يأتي سَعِيدَ بن العاص يسألُه فلا يكونُ عنده ، فيقول : ما عندي ، ولكن آكتُبْ عليّ به ، فيكتُبُ عليه كتابًا ، فيقول : تُرَوْني[2] أخذتُ منه ثمنَ هذا؟ لا ، ولكنه يجيء فيَسْأَلُني فيَنْزُو[3] دمُ وجهِه في وجهي فأكرهُ ردّه. فأتاه مَوْلًى لقُرَيش بابن مَوْلاه وهو غلام فقال : إنّ أبا هذا قد هلَك وقد أرَدْنا تزويجَه. فقال : ما عندي، ولكن خذ ما شئت في أمانتي. فلما مات سعيدُ بن العاص جاء الرجل إلى

١٠ عمرو بن سعيد فقال : إنّي أتيتُ أباك بآبن فلان، وأخبَره بالقصّة. فقال له عمرو : فكم أخذتَ ؟ قال : عشرةَ آلاف . فأقبل عمرو على القوم فقال : مَنْ رأى أَعْجَزَ من هذا ! يقول له سعيدٌ : خُذْ ما شئتَ في أمانتي فيأخذُ عشرةَ آلاف ! لو أخذتَ مائةَ ألفٍ لأدّيتُها عنك .

18/1

اعتداد أبي قطيفة بنسبه وهجوه عبد الملك بن مروان

أخبرني عَمّي قال حدّثنا الكُرَانيّ قال حدّثنا العُمَريّ عن آبن الكَلْبيّ قال :

١٥ قال أبو قَطِيفة — وكانت أمُّه وأمُّ خالدِ بن الوليد بن عُقْبة عَمّةَ أَرْوَى بنتِ أبي عَقِيل بن مَسْعود بن عامر بن مُعتِّب[4] — :

(١) في ت ، حـ ، م : «أبو هارون» ولم نعثر في كتب التراجم على هارون أو أبي هارون المدائنيّ حتى نرجّح إحدى الروايتين . وما عثرنا عليه فيها هو أن موسى بن أبي عيسى الغفاريّ أبا هارون المدنيّ الحنّاط روى عنه سفيان بن عيينة ، وهو مشهور بكنيته ؛ فلعله هو . (٢) في ب ، س ، حـ ، م :

٢٠ «أتروني» بذكر همزة الأستفهام . (٣) كأن دم وجهه يثب في وجهي لشدّة احمراره خجلا من ذل السؤال . وفي ب ، س : «فيتردّد وجهه في وجهي ...» . (٤) في حـ ، م : «عمرو بن معتب» وفي ب ، س : «عامر بن قعنب» .

أنا ٱبن أبى مُعَيْط حينَ أُنْمَى * لأَكْرَم ضِئْضِئٍ[١] وأعزّ جِيلِ
وأُنْمَى للعَقَائل من قُصَىٍّ * ومَخْزُومٍ فما أنا بالضَّئِيلِ
وأَرْوَى من كُرَيْزٍ قد نَمَتْنِى * وأَرْوَى الخيرِ بنتُ أبى عَقِيلِ
كِلَا الحَيَّيْنِ من هذا وهذا * لعمرُ أبيك فى الشَّرَف الطويلِ
فعَدِّدْ مثلهن أبا ذُبَابٍ * ليَعْلَمَ ما تقولُ ذوو العقولِ
فما الزَّرْقاءُ لى أمًّا فأَخْزَى * ولا لِىَ فى الأَزَارِقِ مِنْ سبيلِ

قال: يَعْنِى بأبى الذُّبَابِ عبدَ الملك . والزَّرْقاءُ: إحدى أُمهاتِه من كِنْدَةَ، وكان يُعَيَّرُ بها .

أخبرنى الحسن بن علىٍّ قال أخبرنى محمد بن زكريا قال حدّثنا قَعْنَبُ بن المُحْرِزِ قال حدّثنا المدائنىّ قال :

بلغ أبا قَطِيفة أنّ عبد الملك بن مروان يتنقَّصُه، فقال :

نُبِّئْتُ أنّ ٱبنَ العَمَلَّس[٢] عابَنِى * ومَنْ ذا من الناس البَرِىءُ المسلَّمُ؟
مَنَ ٱنتم مَنَ ٱنتم خبِّرونا مَنَ ٱنتمُ[٣] * فقد جَعَلَتْ أشياء تبدو وتُكْتَمُ !

فبلغ ذلك عبدَ الملك فقال : ما ظننت أنّا نُجْهَل، والله لولا رِعَايَتِى لحُرْمَته لألحقتُه بما يعلم، ولقطَّعْتُ جلدَه بالسِّيَاط .

شعر أبى قطيفة فى ٱمرأته بعد طلاقه‌ها

أخبرنى أحمد بن جعفر جَحْظَةُ قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن العُتْبىّ قال :

(١) الضئضئ : الأصل والمعدن . (٢) فى ت ، م : « القلمس » . والقلمس فى اللغة : الرجل الداهية المنكر البعيد الغور . والعملس : الذئب الخبيث أو كلب الصيد الخبيث ؛ وقد رجحناه لمناسبته لمقام الهجاء . وقد ورد هذا الشعر فى تاريخ ٱبن جرير الطبرى طبع ليدن قسم ٢ ص ١١٧٥ « القلمس » وفى تعليقاته عن نسخة أخرى : « العملس » . (٣) فى تاريخ ٱبن جرير الطبرى ص ١١٧٦ * فمَنْ أنتمُ ها خبِّرونا مَنَ ٱنتمُ *

طلَّق أبو قَطيفةَ آمرأتَه، فتزوّجها رجلٌ من أهل العراق، ثم نَدِم بعدَ أن رحَل[1] بها الرجلُ وصارتْ له، فقال :

فيا أَسَفا لفُرْقة أُمّ عمرٍو * ورِحْلةِ أهلِها نحوَ العِراقِ

فليس إلى زيارتها سبيلٌ * ولا حتَّى القيامةِ من تَلاقِي

وعَلَّ اللهَ يَرْجِعُها إلينا * بموتٍ من حَليلٍ أو طلاقِ

فأَرْجِعَ شامتًا وتَقَرَّ عيني * ويُجْمَعَ شملُنا بعدَ آفتراقِ

مقتل سعيد بن عثمان بالمدينة

أخبرني عمِّي ومحمد بن جعفر قالا حدّثنا الحسن بن عُلَيل العَنَزِيّ قال حدّثنا محمد بن عليّ بن أبي[2] حسّان عن هِشَام بن محمد[3] عن خالد بن سعيد عن أبيه قال :

استعمَل معاويةُ سعيدَ بنَ عثمانَ على خُرَاسان، فلمّا عزَله قَدِم المدينةَ بمالٍ وسلاحٍ وثلاثين عبدًا من السُّغْد[4]، فأمرهم أن يَبْنُوا له دارا. فبينا هو جالسٌ فيها ومعه آبنُ سَيْحَانَ وآبنُ زِينَةَ وخالدُ بن عُقْبة وأبو قَطيفة إذ تآمروا[5] بينهم فقتلوه؛ فقال أبو قطيفة يرثيه — وقيل إنها لخالد بن عُقْبة — :

ياعينُ جُودِي بدمعٍ منكِ تَهْتانَا * وآبْكِي سعيدَ بنَ عثمانَ بنِ عفّانا

إن آبنَ زِينَةَ لم تَصْدُقْ مودّتُه * وفرّ عنه آبنُ أَرْطَاةَ بنِ سَيْحانا[6]

(١) كذا في ت . وفي سائر النسخ : «دخل» . (٢) في أ ، م ، ء : «بن حسان» بسقوط لفظة «أبي» . (٣) انفردت نسخة ت بزيادة « عن أبيه » . وفي كتب التراجم أنّ هشام ابن محمد يروي عن خالد بن سعيد . فلعل هذه الزيادة غير صحيحة . (٤) السغد (بضم أوّله وسكون ثانيه) : ناحية كثيرة المياه نضرة الأشجار مؤنقة الرياض تمتد مسيرة خمسة أيام لاتقع الشمس على كثير من أراضيها ولا تبين القرى من خلال أشجارها ، وقصبتها «سمرقند» ، وربما قيلت بالصاد . (ياقوت) . (٥) مرجع الضمير فيه هم هؤلاء العبيد . قال آبن قتيبة : كان سعيد بن عثمان أعور بخيلا وقُتل ، وكان سبب قتله أنه كان عاملا لمعاوية على خراسان فعزله معاوية فأقبل معه برُهُن كانوا في يديه من أولاد الصغد الى المدينة وألقاهم في أرض يعملون له فيها بالمساحي (المجارف) ، وأغلقوا يوما باب الحائط ووثبوا عليه فقتلوه ، فطلبوا فقتلوا أنفسهم . (انظر المعارف لآبن قتيبة طبع أوربا ص ١٠١) . (٦) في حـ : * وفرّ عنه آبن سيحان بن أرطانا *

ذكر معبد وبعض أخباره

نسب معبد ونشأته ووفاته

هو مَعْبَدُ بن وَهْب ، وقيل ٱبن قَطَنِىٍّ (١) مَوْلى ٱبن قطر (٢) ، وقيل ٱبن قَطَن مولى العَاصِ بنِ وَابِصَةَ المَخْزُومىّ ، وقيل بل مولى معاويةَ بن أبى سفيان .

أخبرنى الحَرَمىُّ بن أبى العَلَاء قال حدّثنا الزُّبَير بن بَكَّار قال حدّثنى عبد الرحمن ٱبن عبد الله الزُّهْرِىّ قال : معبدٌ المغنِّى ٱبن وَهْب مولى عبد الرحمن بن قطر . ٥

وأخبرنى الحسين بن يحيى عن حَمَّاد عن أبيه قال قال ٱبن الكَلْبىّ : معبدٌ مولى ٱبن قطر ، والقطريون موالى معاوية بن أبى سفيان .

وأخبرنى إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عُمَرُ بن شَبَّةَ قال حدّثنا أبو غَسَّان قال : مَعْبَد بن وَهْب مولى ٱبن قَطَن وهم مَوَالى آل وَابِصَةَ من بنى مخزوم ، وكان أبوه أسودَ وكان هو خِلَاسِيًّا (٣) مَدِيدَ القامة أَحْوَل . ١٠

وذكر ٱبن خُرْدَاذْبَه (٤) أنه غنَّى فى أوّل دولة بنى أُمية ، وأدرك دولةَ بنى العباس ، وقد أصابه الفَالِجُ وٱرْتَعَش وبطَل ، فكان إذا غنَّى يُضْحَك منه ويُهْزأ به . وٱبن خُرْدَاذْبَه قليلُ التصحيح (٥) لما يَرْويه ويُضَمِّنه كُتُبَه . والصحيح أن معبدا مات فى أيام الوليد بن يزيد بدِمَشْق وهو عنده . وقد قيل : إنه أصابه الفالجُ قبل موته وٱرتعش وبطَل صوتُه . فأمّا إدراكه دولةَ بنى العباس فلم يَرْوِه أحد سوى ٱبن خُرْدَاذْبَه ولا قاله ولا رَواه عن أحد ، وإنما جاء به مُجَازفةً . ١٥

(١) لعل ضبطه بفتح القاف والطاء والنون المكسورة والياء المشدّدة ؛ إذ أنه سمّى كثيرا بقطن بهذا الضبط ، ولعل ذلك نسبة اليه . (٢) لم نعثر له على ضبط ولعله بفتح القاف و إسكان الطاء . (٣) الخلاسىّ بالكسر : الولد بين أبوين أبيض وأسود . (٤) كذا ضبط بالقلم فى كتابه « المسالك والممالك » المطبوع فى ليدن سنة ١٣٠٧ هجرية ص ٣ ، وضبطه شارح القاموس بالعبارة مادة روم بقوله : ٢٠
« بضم الخاء وسكون الراء وفتح الدال بعدها ألف وكسر الذال المعجمة وسكون الباء التحتية وآخره هاء » . وكذا وجد مضبوطا بالقلم فى ت . (٥) فى ت « التحصيل » .

أخبرنى محمد بن العبّاس اليَزيدىّ قال حدّثنا عُمَر بن شَبَّة قال حدّثنى أيّوبُ ابن عُمَر أبو سَلَمة المَدينىّ قال حدّثنا عبد الله بن عِمْران بن أبى فَرْوة قال حدّثنى كَرْدَمُ بن مَعْبد المغنّى مولى ابن قَطَنٍ قال :

مات أبى وهو فى عسكر الوَليد بنِ يزيدَ وأنا معه، فنظرتُ حين أُخرِجَ نعشُه إلى سَلّامَةِ القَسّ (جاريةِ يزيدَ بنِ عبد الملك) وقد أَضْرب الناسُ عنه ينظرون إليها وهى آخذة بعمود السَّرير، وهى تَبْكى[1] أبى وتقول :

قد لَعَمْرِى بِتُّ لَيْلِى * كأخى الدّاءِ الوَجِيعِ

ونَجِىُّ[2] الهَمِّ مِنّى * باتَ أدنى من ضَجِيعِى

كلّما أبصرتُ ربعاً * خالياً فاضتْ دموعى

قد خَلاَ من سيّدٍ كا * ن لنا غيرَ مُضِيعِ

لا تَلُمْنا إن خَشَعْنا * أو هَمَمْنا بخُشُوعِ

قال كَرْدَم : وكان يزيدُ أمَر أبى أن يعلّمها هذا الصوتَ، فعلّمها إياه فندبتْه به يومئذ. قال : فلقد رأيتُ الوليدَ بنَ يزيدَ والغَمْرَ أخاه متجرِّدَيْنِ فى قميصين ورِداءين يَمْشِيان بين يدَىْ سريره حتى أُخرِجَ من دار الوليد؛ لأنه تولّى أمرَه وأخرجه من داره الى موضع قبره .

فأمّا نسبةُ هذا الصوت، فإنّ الشعرَ للأَحْوص، والغِناءَ لمَعْبد، ذكره يونس ولم يُجَنِّسه . وذكر الهِشَامىّ أنه ثانى ثَقِيلٍ بالوُسْطى، قال : وفيه لِحَبابة[3] خفيفُ ثقيل، ولابنِ المَكّىّ ثقيلُ أوّلُ نَشِيد . وفيه لسَلّامَةِ القَسّ عن إسحاق لَحْنٌ من القَدْر الأوسط من الثَّقيل الأوّل بالوُسْطى فى مَجْراها .

(١) فى ت، حـ، ر : «وهى تندب» أى تبكيه وتذكره بحسن فعاله وجميل خصاله . (٢) النجىّ : المناجى، من النجوى وهى الحديث سرّا . (٣) فى م ، ب، س : «لحنان» وهو تحريف .

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال قال أبو عُبَيدة :

ذكَرَ مولًى لآل الزُّبير — وكان منقطِعا إلى جَعْفَرٍ ومحمد ٱبنَىْ سليمانَ بن علىّ — :
أنّ معبدًا عاش حتى كَبِر وٱنقطع صوتُه، فدعاه رجل من ولد عثمان، فلمّا غنّى الشيخُ
لم يَطْرَب القومُ، وكان فيهم فِتْيَان نُزُولٌ[1] من ولد أَسِيد بن أبى العِيص بن أُمَيّة،
فضحِكوا منه وهَزِئُوا به، فأنشأ يُغَنّى[2] :

فضَحتم قريشًا بالفِرار وأنتمُ * قُمُدُّونَ[3] سُودَانٌ[4] عِظَامُ المَنَاكِبِ

فأمّا القتالُ لا قتالَ لديكمُ * ولكنّ سيرًا فى عِرَاضِ المَوَاكِبِ

— وهذا شعرٌ هُجُوا به قديمًا — فقاموا إليه ليتناولوه، فمنَعهم العثمانىّ من ذلك وقال :
ضَحِكتُم منه حتى إذا أَحْفَظْتُموه[5] أردتُم أن تَتناولوه، لا واللهِ لا يكونُ ذلك ! قال
إسحاق : فحدّثنى ٱبن سَلّام قال أخبرَنى من رآه على هذه الحالِ فقال له : أصِرْتَ
إلى ما أَرَى ؟ فأشار إلى حَلْقِه وقال : إنّما كان هذا، فلما ذهَب ذهب كلُّ شىء .

اعتراف المغنين لمعبد بالتفوق والسبق فى صناعة الغناء

قال إسحاق : كان مَعْبد من أحسن الناس غِناء، وأجودِهم صَنْعةً، وأحسنِهم
حَلْقًا[6]؛ وهو فَحْلُ المغنّين وإمام أهل المدينة فى الغِناء، وأخَذ عن سائب خاثِرٍ،
ونَشِيطٍ مولَى عبد الله بنِ جَعْفَر، وعن جَمِيلَةَ مَوْلاةِ بَهْزٍ (بَطْنٍ من سُلَيم) ، وكان
زوجُها مولًى لبنى الحارث بن الخَزْرَج؛ فقيل لها مَوْلاةُ الأنصار لذلك . وفى معبد
يقول الشاعر :

أجاد طُوَيسٌ والسُّرَيجِىُّ بعدَه * وما قَصَبَاتُ السَّبْقِ إلا لِمَعْبَدِ

(١) هذه الكلمة ساقطة من ت، ح، ر . (٢) كذا فى ت، ح، ر . وفى سائر النسخ :
« يقول » . (٣) فى جميع الأصول : « تمدّون » بالتاء، وهو تحريف . والتصويب عن خزانة الأدب
للبغدادىّ . والقمدّ (بضم القاف والميم وتشديد الدال) : القوىّ الشديد . (٤) سودان : جمع سود وهو
جمع أسود، من السيادة . والشعر للحارث بن خالد المخزومىّ . (انظر البغدادى طبع بولاق ج ١ ص ٢١٧) .
(٥) أغضبتموه . (٦) كذا فى ت بالحاء المهملة، وفى سائر النسخ : « خلقا » بالخاء المعجمة .

قال إسحاق قال ٱبن الكلْبيّ عن أبيه : كان ٱبنُ أبى عَتيقٍ خرَج إلى مكةَ فجاء معــه ٱبنُ سُرَيْجٍ إلى المدينة، فأسْمَعُوه غناءَ مَعْبَدَ وهو غلام ، وذلك فى أيام مُسْلِم ٱبن عُقْبَةَ المُرّىّ، وقالوا : ماتقولُ فيه ؟ فقال : إن عاش كان مُغَنِّىَ بلاده . ولمَعْبدٍ صَنعةٌ لم يسبِقْه إليها مَنْ تقدّم، ولا زاد عليه فيها مَنْ تأخّر . وكانت صِناعتُه التجارةَ فى أكثر أيام رِقّه، وربّما رَعَى الغنمَ لمَوَاليه،وهو مع ذلك يختلِفُ الى نَشيطٍ الفارسىّ وسَائِبِ خَاثِرٍ مَوْلَى عبــد الله بن جَعْفر ، حتى ٱشتَهَر بالحِذْق وحسن الغناء وطِيبِ الصَّوْتِ . وصَنَع الألحانَ فأجاد واعْتُرِفَ له بالتقدُّم على أهل عَصْره .

أخبرنى الحسينُ بن يحيى قال قال حَمّاد قرأتُ على أبى :

قال الجُمَحِىّ : بلَغنى أن مَعْبدًا قال : والله لقد صنعتُ ألحانا لا يقدِر شَبْعانُ ممتلئٌ ولا سَقَّاءٌ يحمِل قِرْبةً على الترنُّم بها، ولقد صنعتُ ألحانا لا يقدِر المتّكئُ أن يترنّم بها حتى يقعُدَ مُسْتَوفِزًا[(١)]، ولا القاعدُ حتى يقوم .

قال إسحاقُ : وبَلَغنى أن مَعْبدا أتى ٱبنَ سُرَيْجٍ وٱبنُ سريج لايعرفه، فسمع منه ماشاء، ثم عرَض نفسَه عليه وغنّاه وقال له : كيف كنتَ تسمع جُعِلْتُ فداءك ؟ فقال له : لو شئتَ كنتَ قد كُفِيتَ بنفسكَ الطلبَ من غيْرك . قال : وسمعتُ من لا أُحْصِى من أهل العلم بالغِناء يقولون : لم يكن فيمَنْ غنّى أحدٌ أعلمُ بالغناء من مَعْبــد . قال : وحدّثنى أيّوبُ بن عَبَايَةَ قال : دخلتُ على الحَسَن بن مُسْــلِم أبى العَرَاقيب وعنده جاريتُه عَاتِكَةُ ، فتحدّث فذكَرَ معبدًا فقال : أدركتُه يلبَس ثوبين مُمَشَّقين[(٢)]، وكان إذا غنّى عَلَا مَنْخَراه[(٣)] . فقالت عاتكةُ : ياسيِّدى أَوَ أَدْرَكْتَ معبدًا ؟ قال : إِى والله وأَقْدَمَ من معبد. فقالت : ٱستحييتُ لك من هذا الكِبَر[(٤)] .

(١) قِعْدة المستوفز ، هى قعدة الجالس على هيئة كأنه يريد القيام .

(٢) مصبوغين بالمشق بالكسر والفتح ، وهو المغرة وهى صبغ أحمر . (٣) المنخر : ثقب الأنف .

(٤) فى ت، حـ ، ر: « من هذه الكبرة » .

علوّ كعبه فى صناعة الغناء

٢١
١٠

أخبرنى الحسين بن يحيى قال نسختُ من كتاب حمّاد : قرأت على أبى أخبرنى محمدُ بن سلّام قال حدّثنى جرير قال : قال معبد : قَدِمْتُ مكة فقيل لى : إنّ ٱبنَ صَفْوانَ قد سبّق بين المغنّين جائزةً[1]، فأتيتُ بابَه فطلبتُ الدخولَ؛ فقال لى آذِنُه : قد تقدّم إلىّ ألّا آذَنَ لأحدٍ عليه ولا أُوذِنَه به[2] . قال فقلت : دَعْنى أدْنُو[3] من الباب فأُغَنّى صوتا . قال : أمّا هذا فنَعَمْ . فدنوتُ من الباب، فغنّيتُ [صوتا][4]، فقالوا : مَعْبَد ! وفتحوا لى، فأخَذْتُ الجائزةَ يومئذٍ .

أخبرنى الحسين قال نسخت من كتاب حمّاد : قال أبى : وذكر عَوْرَكُ — وهو الحَسَنُ بن عُتْبَة اللَّهَبِيّ — أن الوليدَ بن يزيدَ كان يقول : ما أَقْدِرُ على الحجّ . فقيل له : وكيف ذاك ؟ قال : يستقبِلُنى أهلُ المدينة بصوتَىْ معبد :

* القصرُ فالنخلُ فالجَمّاءُ بينهما *

و "قُتَيْلَةَ[5]" يعنى لحنَه :

يومَ تُبْدِى لنا قُتَيْلَةُ عن جيـ * ـدٍ تَلِيعٍ[6] تَزِينُه الأَطْواقُ

قال إسحاق : قيل لمعبد : كيف تصنَع إذا أردت أن تَصُوغَ الغناء ؟ قال : أرْتَحِلُ قَعُودِى وأُوقِـعُ بالقَضِيب على رَحْلى وأترنّم عليه بالشِّعر حتى يستوِىَ لى الصوتُ . فقيل له : ما أَبْيَنَ ذلك فى غنائك !

---

(١) يقال : سبّق إذا أخذ السَّبَق أو أعطاه فهو من الأضداد . (انظر اللسان فى مادة سبق) .
(٢) أى أمرنى ألا أُدخل عليه أحدا ولا أعلمه به . (٣) فى ت، حـ، ر : «أدن» بغير واو وكلاهما صحيح . (٤) زيادة فى ت . (٥) كذا فى ت . وفى حـ، ر : «وقتيلة يعنى لحنه فى» وهو قريب من الأول . وفى سائر النسخ : «وقتيلة تغنّى فى لحنه : فى يوم تبدى لنا الخ» وهو تحريف ظاهر .
(٦) تليع : طويل . والبيت للأعشى . (انظر التاج فى مادة تلع) .

قال إسحاق : وقال مُصْعَبٌ الزُّبَيْرِيّ قال يحيى[1] بن عَبَّاد بن حَمْزة بن عبد الله ابن الزُّبَير حدّثني أبي قال :

قال معبد : كنتُ غلاماً مملوكا لآل قَطَن مَوْلى[2] بني مَخْزُومٍ، وكنت أتلقَّ الغَنَم بظَهْر الحَرَّة، وكانوا تجارًا أُعالِجُ لهم التجارةَ في ذلك، فآتي صخرةً بالحَرَّة مُلْقاةً بالليل فأستندُ إليها[3]، فأسمع وأنا نائم صوتًا يجري في مَسَامِعِي، فأقومُ من النوم فأَحْكِيه؛ فهذا كان مبدأ غنائي .

اعتراف مالك بن أبي السمح لمعبد بالتفوّق عليه في صنعة الغناء

أخبرني الحسين بن يحيى قال : نسختُ من كتاب حَمّاد : قال أبي قال محمد بن سَعيد الدَّوْسِيّ عن أبيه ومحمدُ بنُ يزيدَ عن سَعِيد الدوسيّ عن الرَّبيع بن أبي الهَيْثَم قال :

كنّا جُلوسًا مع عبد الله بن جَعْفر بن أبي طالب، فقال إنسانٌ لمالك : أَنْشُدكَ اللهَ، أنت أحسنُ غناءً أم معبدٌ ؟ فقال مالك : واللهِ ما بلغتُ شِراكَه قطُّ ، والله لو لم يُغَنِّ معبدٌ إلا قولَه :

لَعَمْرُ أبيها لا تقولُ حَليلَتِي * أَلَا فَرَّ عَنِّي مالكُ بن أبي كَعْبِ
وهُمْ[4] يضربون الكَبْشَ تبرُقُ بيضُه * تَرَى حَوْلَه الأبطالَ في حَلَقٍ شُهْبِ

لكان حَسْبَه ! . قال : وكان مالك إذا غنَّى غِناء معبدٍ يُخَفِّفُ[5] منه، ثم يقول : أطال الشعرَ معبدٌ ومطَّطَه ، وحذفتُه أنا . وتمام هذا الصوت :

---

(١) كذا في جميع النسخ . وقد ذكر في «تقريب التهذيب» : «يحيى بن عباد بن حمزة بن عبد الله بن الزبير . وصوابه : عن عباد بن حمزة، وما ليحيى مدخل في ذلك» . يعني أن يحيى يروى عن عباد بن حمزة، وليس ابنا له . (٢) في ب، س : «موالى بني مخزوم» . (٣) كذا في ت . وفي سائر النسخ : «بها» . (٤) الكبش : سيد القوم وقائدهم . والبيض : واحدتها بيضة وهي الخوذة توضع على الرأس وقت الحرب، أو هي البيض بكسر الباء، جمع أبيض، وهي السيوف . والحلق : واحدته حلقة، وهي الدرع . (٥) في ب، م : «تَخَفَّفَ منه» .

صوت من غير المائة المختارة

لعمر أبيها لا تقول حليلتى * ألا فرّ عنّى مالكُ بن أبى كعب
وهم يضربون الكبش تبرق بيضه * ترى حوله الأبطال فى حلق شهب
إذا أنفدوا الزقّ الروىّ وصرّعوا * نشاوى فلم أقطع بقولى لهم حسبى
بعثت إلى حانوتها فسبأتها * بغير مكاس فى السّوام ولا غصب[1]

عروضه من الطويل. والشعر لمالك بن أبى كعب بن القين الخزرجىّ أحد بنى سلمة. هكذا ذكر إسحاق، وغيره يذكر أنه من مراد. ولهذا الشعر خبر طويل يذكر بعد هذا. والغناء فى البيتين الأوّلين لمعبد ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى، ومن الناس من ينسبه الى ٱبن سريج. ولمالك فى الثالث والرابع من الأبيات لحنٌ من الثقيل الأوّل بالسّبابة فى مجرى البنصر عن إسحاق، ومن الناس من ينسب هذا اللحن إلى معبد ويقول: إنّ مالكا أخذ لحنه فيه فحذف بعض نغمه وٱنتحله، وإن اللحن لمعبد فى الأبيات الأربعة. وقد ذكر أنّ هذا الشعر لرجل من مراد، وروى له فيه حديثٌ طويل. وقد أخرج خبره فى ذلك وخبر مالك بن أبى كعب الخزرجىّ أبى كعب بن مالك[2] صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله فى موضع آخر أفرد له؛ إذ كانت له أخبارٌ كثيرة، ولأجله لا تصلح أن تذكر هاهنا.

رجع الخبر إلى معبد — أخبرنى إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا أبو غسّان عن يونس الكاتب قال:

(١) سبأ الخمر وٱستبأها: اشتراها. وماكسه مماكسة ومكاسا: شاحّه. والسوام (بالضم) كالسوم: عرض السلع وتقدير أثمانها من البائع أو من المشترى. (٢) فى ب، سـ: «أبىّ بن كعب بن مالك» وهو تحريف ظاهر.

معبد وابن محرز

أقبلتُ من عند معبد، فلقيني ابنُ مُحْرِز ببُطْحَانَ[1]، فقال: من أين أقبلتَ؟ قلتُ: من عند أبي عَبّاد[2]. فقال: ما أخذتَ عنه؟ قلت: غنّى صوتاً فأخذتُه. قال: وما هو؟ قلت:

ماذا تأمّلَ واقفٌ جَمَلاً * في رَبْعِ دارٍ عابَه قِدَمُهْ

— الشعر لخالد بن المهاجر بن خالد بن الوليد — فقال لي: ادخُلْ معي دارَ ابنِ هَرْمَةَ وأَلْقِه عليّ، فدخلتُ معه، فما زلتُ أردّده عليه حتى غنّاه، ثم قال: ارجع معي الى أبي عَبّاد، فرجَعْنا فسمعه منه، ثم لم نفترِقْ[3] حتى صنَع فيه ابنُ مُحْرِز لحنا آخر.

نسبة هذا الصوت

صوت

ماذا تأمّل واقفٌ جَمَلاً * في رَبْعِ دارٍ عابَه قِدَمُهْ
أَقْوَى وأَقْفَرَ غيرَ منتَصِبٍ * لُبَدِ الرَّمادَةِ[4] ناصعٍ حُمَمُهْ

غنّاه معبدٌ، ولحنُه ثقيلٌ أوّلُ بالسَّبّابة في مَجْرى الوُسْطى. وفيه خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالوُسْطى يُنْسَب الى الغَرِيض والى ابن مُحْرِز. وذكر عمرو بنُ بانَةَ أنّ الثقيل الأوّل للغريض. وذكر حَبَشٌ أن فيه لمالكٍ ثانيَ ثقيلٍ بالوُسْطى. وفيه رَمَلٌ بالوُسْطى يُنسَب الى سائِبِ خاثرٍ، وذكر حبشٌ أنه لإسحاق.

(١) بضم فسكون، كذا يقوله المحدّثون أجمعون. وحكى أهل اللغة: بطحان كقَطِران، وقيل فيه بطحان بفتح فسكون. وهو أحد أودية المدينة الثلاثة، وهي العقيق و بطحان وقناة. (انظر التاج مادة بطح).
(٢) كذا في جميع النسخ. وفي ب، س: «من أين أقبلت؟ قلت من عند معبد، فلقيني ابن أبي عباد فقال الخ» وهي زيادة مخلة بالمعنى.
(٣) كذا في ت، ح، ر. وفي سائر النسخ: «فسمعته منه ثم لم نعترف» وهو تحريف.
(٤) لبد الرمادة: متلصّقها؛ يقال: تلبد الشعر والصوف إذا تلصّق، وتلبد التراب والرمل كذلك، ولبّده المطر. وهو وصف لربع في البيت السابق. والحمم: واحدته حُمَمَة، وهي الرماد والفحم وكل ما احترق من النار.

قدوم ٱبن سريج والغريض المدينة ثم ٱرتدادهما عنها بعد سماعهما صوت معبد

أخبرنى الحسين بن يحيى قال نسخت من كتاب حمّاد: قال أبى قال ٱبن الكلبىّ:

قدِم ٱبنُ سُرَيج والغَرِيضُ المدينة يتعرّضان لمعروف أهلها، ويزُوران مَنْ بها من صَديقهما[1] من قريش وغيرهم. فلما شارفاها[2] تقدّما ثَقَلَهما ليرتادا منزلًا، حتى إذا كانا بالمَغْسَلة[3] — وهى جَبّانةٌ على طَرَف المدينة يُغْسَلُ فيها الثيابُ — إذا هما بغلامٍ مُلْتحِفٍ بإزارٍ وطَرَفُه على رأسه، بيده حِبَالةٌ يتصيّد بها الطيرَ وهو يتغنّى و يقول:

القصرُ فالنخلُ فالجَمّاء بينهما * أشْهَى الى النفسِ من أبواب جَيْرونِ

وإذا الغلام مَعْبَد. قال: فلمّا سمِع ٱبنُ سُرَيج والغَرِيضُ معبدًا مالَا اليه وٱستعاداه الصوتَ فأعَادَه، فسمِعَا شيئا لم يَسْمَعا بمثله قطُّ. فأقبل أحدُهما على صاحبه فقال: هل سمعتَ كاليوم قطُّ؟ قال: لا والله! فما رأيُك؟ قال ٱبنُ سُرَيج: هذا غِنَاءُ غلامٍ يَصيدُ الطير، فكيف بمَنْ فى الجَوْبَة[4]! — يعنى المدينة — قال: أمّا أنا فثَكِلَتْه والدتُه إن لم أرجعْ. قال: فكرّا راجعَيْن.

قدوم معبد مكة وما وقع بينه وبين الغريض

قال: وقال معبد: قدمت مكّةَ، فذَهب بى بعضُ القُرَشيّين إلى الغَرِيض، فدخلنا عليه وهو مُتَصبِّح[5]، فانتبه من صُبْحَتِه وقعَد، فسلّم عليه القرشىّ، وسأله فقال له: هـذا معبدٌ قد أتيتُك به، وأنا أُحِبُّ أن تسمَع منه. قال: هاتِ، فغنّيتُه أصواتا. فقال بمِدْرًى[6] معَه فى رأسه، ثم قال: إنك يا معبدُ لَمليح الغناء. قال:

(١) الصديق: يقال للواحد والجمع؛ قال تعالى: (فما لنا من شافعين ولا صديق حميم). (٢) شارف الشىء: دنا منه وقرب. (٣) ضبطه فى القاموس كمنزلة. (٤) كذا فى الأصل. وقد ذكر ياقوت للمدينة تسعة وعشرين ٱسما لم يذكر من بينها هذا الآسم. وأقرب الأسماء اليه «المَحُومة». فلعل ما هنا محرّف عنه، أو أنه هو الذى أطلق هذا الاسم على المدينة؛ لأن الجوبة هى الموضع ينجاب فى الحرّة، والمدينة بين حرّتين تكتنفانها. (٥) التصبّح: النوم بالغداة. (٦) قال ٱبن الأثير: العرب تجعل القول عبارة عن جميع الأفعال وتطلقه على غير الكلام واللسان، فتقول: قال بيده أى أخذ، وقال برجله أى مشى * وقالت له العينان سمعا وطاعة * أى أومأت؛ ومنه الحديث «قال بالماء على يده» أى قلب، و «قال بثوبه هكذا» أى رفعه، وكل ذلك على المجاز والآتساع. فهو هنا من هذا القبيل. والمراد أنه حكّ رأسه بهذه المدرى، وهى حديدة يُحَكُّ بها الرأس.

فأحفظنى ذلك، فجثوت على ركبتى، ثم غنيته من صنعتى عشرين صوتا لم يُسمع بمثلها قط، وهو مُطرِق واجمٌ قد تغير لونه حسدا وخجلا .

ما وقع بين معبد وبين حكم الوادى

قال إسحاق : وأُخبرتُ عن حَكَم الوادى قال : كنت أنا وجماعةٌ من المغنين نختلف الى معبد نأخذ عنه ونتعلم منه، فغنانا يوما صوتا من صنعته وأُعجِب به، وهو :

٥ * القصرُ فالنخلُ فالجمّاء بينهما *

فاستحسناه وعجبنا منه . وكنتُ فى ذلك اليوم أوّلَ من أخذه عنه واستحسنه منّى فأعجبتنى نفسى . فلما انصرفتُ من عند معبد عملتُ فيه لحنا آخر وبكّرتُ على معبد مع أصحابى وأنا معجبٌ بلحنى . فلما تغنينا أصواتا قلتُ له : إنّى قد عملت بعدك فى الشعر الذى غنّيتناه لحنا، واندفعتُ فغنيته صوتى؛ فوجم معبدٌ ساعة

١٠ يتعجّب منّى ثم قال : قد كنتُ أمس أرجى منّى لك اليومَ، وأنت اليوم عندى أبعدُ من الفلاح . قال حكم : فأُنسيت — يعلم الله — صوتى ذلك منذ تلك الساعة فما ذكرته الى وقتى هذا .

ما وقع بين معبد وهو فى طريقه الى بعض أمراء الحجاز وبين العبد الأسود

قال إسحاق : وقال معبد : بعث إلىّ بعضُ أمراء الحجاز — وقد كان جُمِع له الحرمان — أن اشخَصْ الى مكة ، فشخصتُ . قال : فتقدمتُ غلامى فى بعض

١٥ تلك الأيام، واشتدّ علىّ الحرّ والعطش ، فانتهيتُ الى خباء فيه أسودُ واذا حِبابُ[1] ماء قد بُرِّدت ، فملتُ اليه فقلت : ياهذا ، اسقنى من هذا الماء . فقال لا . فقلتُ : فأذن لى فى الكِنّ[2] ساعة . قال لا . فأنختُ ناقتى ولجأتُ الى ظلّها فاستترتُ به ، وقلت : لو أحدثتُ لهذا الأمير شيئا من الغناء أقدَمُ به عليه ، ولعلّى إن حرّكتُ لسانى أن يبُلّ حلقى ريقى فيخفّف عنّى بعضَ ما أجده من العطش ! فترنّمتُ بصوتى :

٢٠ * القصرُ فالنخلُ فالجمّاء بينهما *

(١) جمع حُب (بالضم) وهى الجرّة صغيرة كانت أو كبيرة . (٢) الكِنّ : ما وقاك من حرّ أو برد ، أى ائذن لى فى أن أستظلّ بكنّك ساعة من جهد الحرّ والعطش .

فلما سَمِعَنِى الأسودُ ، ما شعَرْتُ به إلا وقد ٱحتَمَلَنِى حتى أدْخَلَنى خِبَاءَه ، ثم قال: أَىْ ، بأبى أنت وأمى ! هل لك فى سَوِيق السُّلْت[1] بهذا المـاء البارد ؟ فقلت : قد منعتَنِى أقلَّ من ذلك ، وشَرْبَةُ ماءٍ تُجْزِئُنى . قال : فَسَقَانِى حتى رَوِيتُ ، وجاء الغلام فأقمتُ عنده الى وقت الرَّوَاح . فلما أردتُ الرِّحْلَةَ قال : أَىْ ، بأبى أنت وأمى ! الحرُّ شديدٌ ولا آمَنُ عليك مثلَ الذى أصابكَ ، فأْذَنْ لى [فى][2] أن أحمِلَ معكَ قِرْبَةً من ماءٍ على عُنُق وأسعَى بهـا معَك ، فكلَّما عَطِشْتَ سَقَيتُك صَحْنًا وغنَّيْتَنِى صوتا ! قال : قلتُ ذاك لك . فوالله ما فَارَقَنِى يَسْقِينِى وأُغَنِّيه حتى بلغتُ المنزل .

نسختُ من كتاب جَعْفَرِ بنِ قُدَامةَ بخطِّه : حدّثنى حَمّادُ بن إسحاق عن أبيه عن الزُّبير[3] عن جَرِير قال :

معبد وابن سريج ، التقاؤهما عفوا ببطن مرّ ثم تعارفهما بصوتيهما

كان معبدٌ خارجا الى مكة فى بعض أَسْفَاره ، فسمع فى طريقه غِنـاءً فى « بَطْن مَرٍّ[4] » فقصَـد الموضع ، فإذا رجلٌ جالسٌ على حَرْفِ بِرْكةٍ فارِقٌ شـعرَه حسنُ الوجه ، عليـه دُرَّاعةٌ[5] قد صبغَها بزَعْفَرانٍ ، و إذا هو يتغنَّى :

صـــوت

حَنَّ قلبِى من بعد ما قد أَنَابَا * ودَعا الهَـمَّ شَجْـوُه فأَجَابا

ذاكَ مِنْ منزلٍ لسَلْمَى خَلَاءٍ * لَابِسٍ من خَلائه جِلبـابا

عُجْتُ فيه وقلتُ للرَّكْبِ عُوجُوا[6] * طَمَعًا أن يرُدّ ربعٌ جوابا

فاسْتَثَارَ المنسىَّ من لَوْعـة الحب وأَبْدَى الهمـومَ والأَوْصَابَا

(١) قال الليث : السُّلْت : شعير لا قشر له أجرد ؛ زاد الجوهرىّ كأنه الحنطة ، يكون بالغور والحجاز ، يتبردون بسويقه فى الصيف . والسويق : ما يتخذ من الحنطة والشعير . (٢) زيادة فى ت . وفى أ ، م ، ء : «بأن» . (٣) فى حـ ، ر : «الزبيرى» . (٤) بطْن مَرٍّ (بفتح الميم وتشديد الراء) : من نواحى مكة عنده يجتمع وادى النخلتين فيصيران واديا واحدا (ياقوت) . وقال فى القاموس : إنه موضع على مرحلة من مكة ويقال له : « مرّ الظهران » . (٥) الدُّرَّاعة : جبة مشقوقة المقدّم . (٦) فى الديوان :

* ظلت فيه والركب حولى وقوف * . وعجت فيه : وقفت به وأقمت .

٢٤
١

فقرَع مَعْبدٌ بعصاه وغنّى :

منع الحياةَ من الرجالِ ونَفْعَها * حَدَقٌ تُقلّبُها النسـاءُ مِرَاضُ
وكأنّ أفئدةَ الرجالِ اذا رأَوْا * حَدَقَ النساءِ لنَبْلِها أغْرَاضُ

فقال له آبنُ سُرَيج : بالله أنت معبد ؟ قال : نعم ، و بالله أنت آبنُ سُرَيج ؟ (١)
٥ قال : نعمْ ، ووالله لو عرفتُك ما غنّيتُ بين يديك .

نسبة هذين الصوتين وأخبارهما

صـــوت

حَنَّ قلبي من بعد ما قد أنابا * ودعا الهـمَّ شَجْوُه فأجابا
فاستثار المنسيَّ من لوعة الحـ * ـبِّ وأَبْـدَى (٢) الهمومَ والأوصابا
١٠ ذاك من منزلٍ لسَلْمى خَلَاءٍ * مُكْتَسٍ من عَفَائه جِلْبابا
عُجْتُ فيه وقلت للرَّكْب عُوجُوا * طمعًا أن يَرُدَّ رَبْعٌ جوابا
ثانيـًا من زِمَامٍ وَجْنَاءَ عَنْسٍ * قَانِيـًا لونُها يُخَـال خِضَابا (٣)
جَدُّها الفَالِجُ الأَشَمُّ من البُخْـ * ـتِ وخَالَاتُهـا آنْتُخِبْنَ عِرَابا (٤)

---

(١) فى أ ، ب ، سـ ، م ، ء : «قال نعم ، فسأله أأنت ابن مريج الخ » . (٢) فى حـ ،
١٥ ر : «وسوى» وفى ت : «وسر» وهما محرفان عن «شرى» التى فى الديوان . (٣) روى فى الديوان :

ثانيا من زمام وجناء حرف عاتك لونها يحاكى الضبابا

والوجناء : الناقة الشديدة . وآشتقاقه من الوَجين وهى الأرض الصلبة أو الحجارة . والعنس هنا : الناقة الصـلبة القوية . والحرف من الإبل : النجيبة المـاضية التى أنضتها الأسفار، شبهت بحرف السـيف فى مضائها ونجائها ودقتها . وقنأ كمنع قُنُوءًا وقنا قنوًا : اشتدّت حمرته . والعاتك : الأحمر، يقال : عتكت القوس
٢٠ إذا احمرّت من القدم وطول العهد . (٤) قال الجوهرىّ فى الصحاح : الفالج : الجمل الضخم ذو السنامين يحمل من السند للفحلة . والبُخْت والبُخْتية : الإبل الخراسانية تُنتَج من بين عربية وفالج . والعِراب : العربية وهى خلاف البراذين والبخاتى ، جمع عربى وهو جمع خاص بالخيل والإبل ، يقال فى الناس : عرب وأعراب ، وفى الخيل والإبل : عراب . قال فى اللسان : وقد قالوا : خيل أُعْرُبٌ و إبل أعرب . وقد روى فى ت : « من النجب » وهى مستقيمة أيضا .

الشعر لعمرَ بن أبى رَبِيعةَ . والغناءُ لاَبن سُرَيج ، وله فيه لحنان : رَمَلٌ بالسَّبَّابَةِ فى مَجْرَى البِنْصر عن إسحاق ، وخَفِيفُ ثَقِيل أَوّل[1] بالبِنْصَر عن عمرو .

صـــــوت

مَنَع الحياةَ من الرجال ونَفْعَها * حَدَقٌ تُقلِّبهـا النساءُ مِرَاضُ

وكأنَّ أفئدةَ الرجال إذا رأَوْا * حَدَقَ النساء لنَبلِها أغراضُ

الشعر للفرزدق، والغناء لمعبدٍ ثقيلٌ أوّلُ عن الهِشَامىّ .

أخبرنى محمد بن مَزْيَد[2] بن أبى الأَزْهر قال حدّثنا حَمَّاد بنُ إسحاقَ عن أبيه عن سِيَاطٍ قال حدّثنى يونُس الكاتب قال :

رحلة معبد الى الأهواز وما وقع بينه وبين الجوارى المغنيات بالسفينة

كان معبد قد علَّم جاريةً من جَوارى الحجاز الغناءَ تُدْعَى «ظَبية»[3] وعُنِىَ بتخريجها، فاشتراها رجلٌ من أهل العراق فأخرجها الى البصرة وباعها هنـاك ، فاشتراها رجلٌ من أهل الأهواز، فأُعْجِب بها وذهبتْ به كلَّ مذهب وغلَبَتْ عليه ، ثم ماتت بعد أن أقامت عنده بُرْهةً[4] من الزمان وأخذ جَوارِيه أكثرَ غنائها عنهـا ؛ فكان لمحبّته إيّاها وأسَفه عليها لا يزالُ يَسْألُ عن أخبار معبدٍ وأين مُسْتَقَرُّه، ويُظْهِر التعصُّبَ له والميلَ اليه والتقديمَ لغنائه على سائر أغانى أهل عصره الى أن عُرِف ذلك منه . وبلغَ معبدًا خبرُه ، فخرج من مكة حتى أتى البصرةَ ، فلمـا وردَها صادَفَ الرجلَ قد خرج عنها فى ذلك اليوم الى الأهواز فآكترَى سفينةً . وجاء معبدٌ يلتمسُ سفينةً ينحدِر فيهـا الى الأهواز، فلم يجِد غيرَ سفينة الرجل، وليس يعرفُ أحدٌ منهما صاحبَه، فأمَر الرجلُ المَلّاحَ أن يُجلِسَه معه فى مُؤخَّر السفينة ففعل وآنحدَرُوا . فلما صاروا فى فَم نهر الأُبُلَّةِ[5]

(١) هذه الكلمة ساقطة من ت ، ح ، م (٢) فى ح ، ب ، سـ : « يزيد » ولم نعثر على هذا الاسم حتى نرجح إحدى الروايتين . (٣) فى ت : « طيبة » . (٤) قال آبن السكيت : البرهة بالفتح والضم : الزمان الطويل ، وقال غيره : الزمان مطلقا . (٥) الأُبُلَّة : بلدة على شاطئ دجلة البصرة العظمى فى زاوية الخليج الذى يدخل الى مدينة البصرة . ويقال فيه : الأَبَلة بفتح الهمزة والباء (ياقوت) .

تغدَّوْا وشرِبُوا ، وأمَر جواريَه فغنَّيْنَ، ومعبدٌ ساكتٌ وهو فى ثياب السَّفر، وعليه فَرْوٌ وخُفَّانِ غَليظانِ وزِىٌّ جافٍ من زِىّ أهل الحجاز، إلى أن غنَّت إحدى الجَوارِى : ٢٥/١

صــــوت

بانت سُعادُ وأَمْسى حبلُهــا آنْصَرما * وآحْتَلَّتِ الغَوْرَ فالأَجْزاعَ من إِضَمَا(١)

إِحْدَى بَلِىٍّ وما هام الفــؤادُ بهــا * إلّا السَّفَاهَ وإلّا ذِكْرَةً حُلُمــا(٢)

ــ قال حمّاد: والشعر للنابغة الذُّبيانىّ. والغناء لمعبد، خفيفُ ثقيل أوّل بالبِنْصر، وفيه لغيره ألحانٌ قديمة ومُحْدَثة ــ فلم تُجِدْ أداءَه، فصاح بها معبد: يا جارية، إنّ غناءك هــذا ليس بمستقيم . قال : فقــال له مولاها وقــد غضِب : وأنت ما يُدْرِيكَ الغناء ما هو ؟ أَلَا(٣) تُمْسِك وتَلْزَم شأنَك! فأَمْسَكَ. ثم غنَّت أصواتاً من غناء غيره وهو ساكتٌ لا يتكلّم، حتى غَنَّتْ :

(١) كذا فى حـ ، م ، وب، سـ : «الغور فالأجراع» بالراء المهملة . وفى أكثر النسخ الخطية : «الغور والأجزاع» . و«الغور» : المطمئن من الأرض . و«الأجراع» : جمع جَرَع وهو مفرد أو هو جمع جَرَعة، وهى الرملة الطيبة المنبت لا وعوثة فيها. و«إضم» بكسر ففتح: واد بجبل تهامة، وهو الوادى الذى فيه المدينة . وقد ورد هذا البيت فى ديوان النابغة المطبوع بباريس هكذا :

بانت سعاد وأمسى حبلها آنجذما * وآحتلت الشَّرع فالأجزاع من إضما

و«شَرْع» : قرية على شرقىّ ذَرَةَ فيها مزارع ونخيل على عيون، وواديها يقال له : رَخِيم . و«الأجزاع» : جمع جزع بالكسر ــ وقال أبو عبيدة : اللاتى به أن يكون مفتوحا ــ : منعطف الوادى . وفى التاج مادة «أضم»

* واحتلت الشرع فالجبتين من إضما *

والجبت : المتسع من بطون الأرض . (انظر ياقوت والقاموس وشرحه فى هذه المواد) . (٢) «بلىّ» كغنىّ : اسم قبيلة . والسفاه : الطيش وخفة الحلم . والذكرة (بالكسر والضم) : نقيض النسيان . وفى ت :

* إلا السفاه وإلا ذكرها حلما *

(٣) فى ت : «لم لا تمسك الخ» .

صـــوت

يابنةَ الأَزْدِىّ قلبى كَئِيبُ * مُسْتَهامٌ عنـدها ما يُنيبُ
ولقد لاموا فقلتُ دَعُونى * إنّ مَنْ تَنْهَوْنَ عنه حَبِيبُ
إنّما أَبْلَى عِظَامِى وجِسْمِى * حُبُّها والحبُّ شىءٌ عَجِيبُ
أيُّها العائبُ عندى هَوَاها * أنتَ تَفْدِى مَنْ أَرَاكَ تَعِيبُ ٥

— والشعر لعبد الرحمن بن أبى بكر، والغناء لمَعْبد ثقيلٌ أوّلُ بالسَّبّابة فى مَجْرَى البِنْصر — قال: فأخَلَّتْ ببعضه. فقال لها مَعْبدٌ: يا جاريةُ، لقد أخللتِ بهذا الصوت إخلالًا شديدًا. فَغضِبَ الرجلُ وقال له: ويلَك! ما أنت والغناءَ! ألا تَكُفُّ عن هذا الفُضُول! فأمسك. وغنَّى الجَوَارِى مَلِيًّا، ثم غنَّتْ إحداهنّ:

صـــوت ١٠

خَلِيلَىَّ عُوجَا فابْكِيَا[1] ساعةً معى * على الرَّبْعِ نَقْضِى حاجةً ونُوَدِّعِ
ولا تُعْجِلَانِى أنْ أُلِمَّ بِدِمْنَةٍ * لِعَزَّةَ لَاحتْ لى بِبَيْدَاءَ بَلْقَعِ
وقُولَا لِقلبٍ قد سَلَا: راجِعِ الهوَى * ولِلعَيْنِ: أَذْرِى من دموعِك أو دَعِى
فلا عَيْشَ إلا مثلُ عيشٍ مضَى لنا * مَصِيفًا أَقَمْنا فيـه مِن بعد مَرْبَعِ

— الشعر لكُثَيِّر، والغناء لمعبد خفيفُ ثقيلٍ بالسبّابة فى مجرى الوسطى، وفيه رَمَلٌ للغَرِيض — قال: فلم تصنعْ فيه شيئا. فقال لها معبد: يا هذه، أمَا تَقْوَيْنَ[2] على أداء صوت واحد؟! فغضِبَ الرجلُ وقال له: ما أراك تَدَعُ هذا الفضولَ بوجهٍ ولا حيلةٍ! وأُقْسِم بالله لئن عاودتَ لأُخْرِجَنَّك من السفينة، فأمسَك معبدٌ، حتى إذا سكَتَت ١٥

(١) فى جميع الأصول: «عوجا منكا». والتصويب من نسخة «مسالك الأبصار» المخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٩٩ تاريخ م. (٢) فى ا، ت، ء، م: «أما تقومين». ٢٠

الجوارى سَكْتَةً آندفع يُغَنِّى الصوتَ الأوّل حتى فرَغ منه، فصاح الجوارى: أحسنتَ
والله يا رجل ! فأعِده . فقال : لا والله ولا كرامةَ . ثم آندفع يُغَنِّى الثانىَ ، فقُلْنَ
لسيدهنّ : وَيْحَكَ ! هذا والله أحسنُ الناس غناءً ، فسَلْه أن يُعيده علينا ولو مرّةً
واحدة لعلّنا نأخذُه عنه ، فإنه إن فاتنا لم نَجِدْ مثلَه أبدا . فقال : قد سمعتُنّ سوءَ ردِّه
٥ عليكنّ وأنا خائف مثلَه منه ، وقد أَسْلَفْناه الإساءةَ ، فاصبِرْنَ حتى نُدَارِيَه . ثم غنّى
الثالثَ ، فزَلْزَلَ عليهم الأرضَ . فوثَب الرجلُ فخرَج اليه وقبّل رأسَه وقال : يا سيِّدى
أخطأنا عليك ولم نعرِف موضعَك . فقال له : فهَبْكَ لم تعرِف موضعى ، قد كان ينبغى لك ٢٦/١
أن تتثبّت ولا تُسْرِعَ إلىّ بسوء العِشْرة وجَفَاء القول . فقال له : قد أخطأتُ وأنا
أعتذر اليك مما جرى ، وأسألك أن تنزِل الىّ وتختلطَ بى . فقال : أمّا الآنَ فلا .
١٠ فلم يزل يرفُق به حتى نزل إليه . فقال له الرجل[1] : ممن أخذتَ هذا الغناءَ ؟ قال : من
بعض أهل الحجاز ، فمِنْ أينَ أخذه جواريكَ ؟ فقال : أخذْنَه من جارية كانت لى
آبتاعها رجل من أهل البصرة من مكة ، وكانت قد أخذتْ عن أبى عَبّاد معبدٍ
وعُنِىَ بتخريجها ، فكانت تَحُلُّ منّى محلَّ الروح من الجسد ، ثم آستأثر الله عزّ وجلّ
بها ، وبقى هؤلاء الجوارى وهنّ مِنْ تعليمها ، فأنا الى الآن أتعصَّب لمعبد وأُفَضِّله
١٥ على المغنّين جميعا وأُفضِّل صنعتَه على كل صنعة . فقال له معبد : أوَ إنك[2] لأنت هو !
أفتعرِفنى ؟ قال لا . قال : فصَكَّ[3] معبدٌ بيده صَلْعتَه ثم قال : فأنا والله معبدٌ ، وإليك
قَدِمْتُ من الحجاز ، ووافيتُ البصرةَ ساعةَ نزلتَ السفينةَ لأقصِدَك بالأهواز ، ووالله
لا قصَّرْتُ فى جواريكَ هؤلاء ، ولأَجعَلَنّ لك فى كلّ واحدة منهنّ خَلَفاً من الماضية .
فأكبَّ الرجلُ والجوارى على يديه ورجليه يُقَبِّلونها و يقولون : كتمتَنا نفسَك طولَ

٢٠ (١) فى ت : «فقال : أيها الرجل» . (٢) فى ت : «وإنك لأنت هو» بغير همزة الآستفهام .
(٣) صكّ : ضرب .

هذا [اليوم][1] حتى جَفَوْناكَ فى المخاطبة، وأَسَأْنا عِشْرَتَك، وأنت سيِّدُنا ومَنْ نتمنّى على الله أن نَلْقاه. ثم غيّر الرجل زِيَّه وحالَه وخلَع عليه عِدّةَ خِلَع، وأعطاه فى وقته ثلثمائة دينـار وطِيباً وهدايا بمثلها، وآنحدر معه إلى الأهواز، فأقام عنده حتى رَضِىَ حِذْقَ جواريه وما أخذْنَه عنه، ثم ودّعه وآنصرف إلى الحجاز.

غناء معبد للوليد ابن يزيد

أخبرنى الحسن بن علىّ الخَفّاف وعبد الباقى بن قانِع قالا: حدّثنا محمد بن زكَرِيّا الغَلَابِىّ[2] قال حدّثنى مهدىُّ بن سَابِق قال حدّثنى سليمان بن غَزْوانَ مولى هِشَام قال حدّثنى عمر القَارِى بن عَدِىّ[3] قال:

قال الوليدُ بنُ يزيدَ يوما: لقد آشتقتُ إلى معبد، فوجّهَ البَرِيدَ إلى المدينة فأَتَى بمعبد، وأَمَر الوليدُ بِبِرْكةٍ قد هُيِّئت له فمُلِئت بالخمر والمـاء، وأُتِىَ بمعبد فأَمَر به فأُجْلِس والبِرْكةُ بينهما، وبينهما سِتْر قد أُرْخِىَ؛ فقال له غنِّنِى يا معبد:

صـــوت

لَهْفِى على فِتْية ذَلَّ الزمانُ لهمْ * فمـا أصابهُمُ إلا بمـا شاءوا
مازال يَعْدُو عليهم رَيْبُ دَهْرِهِمُ * حتى تَفَانَوْا ورَيبُ الدهرِ عَدّاءُ
أَبْكَى فِرَاقُهُـمُ عَيْنِى وأَرّقها * إنّ التفـرّق للأحبـاب بَكّاءُ

— الغناء لمعبد خفيفُ ثقيلٍ، وفيه ليحيى المكّىّ رَمَلٌ، ولسليمانَ هَزَجٌ، كلّها رواية الهِشَامىّ — قال: فغنّاه إيّاه، فرفَع الوليدُ السِّترَ ونزَع مُلَاءةً مُطيَّبة كانت عليه

(١) زيادة فى ت.
(٢) فى ت: «العلائى» وهو تحريف؛ إذ هو أبو بكر محمد بن زكريا بن دينار الغلابىّ البصرى. كذا أورده السيد مرتضى فى مادة غلب فى كلامه على من سمى بغلاب كسحاب. وضبطه السمعانى بفتح الغين المعجمة واللام. وأورده ابن النديم فى الفهرست وقال: إنه أبو عبد الله محمد بن زكريا بن دينار الغلابى أحد الرواة للسِّيَر والأحداث والمغازى وغير ذلك، وذكر له أسماء مؤلفات عدّة (انظر الفهرست طبع ليبزج ص ١٠٨).
(٣) كذا فى ا، ء. وفى حـ، ر، ب، سـ: «عمرو بن القارى ابن عدى». وفى ت: «عمر بن القارى بن عدى» وفى م: «عمر القادرى بن عدى». ولم نعثر على هذا الاسم حتى نرجح بعضها. وقد ورد هذا الاسم فى الصفحة الآتية: «القارى بن عدى».

وقذف نفسه فى تلك البركة، فنهل فيها نَهْلةً، ثم أُتِىَ بأثوابٍ غيرِها وتلقَّوْه بالمجامر[1] والطِّيب، ثم قال غنِّنى :

صــــوت

يا رَبْعُ مالكَ لا تُجيبُ متيَّما * قد عاج نحوكَ زائراً ومُسَلِّما

٥ جادتْكَ كلُّ سحابةٍ هَطَّالةٍ[2] * حتى تُرَى عن زَهْرةٍ[3] متبسِّما

— الغناء لمعبدٍ ثانى ثقيلٍ بالوُسْطى والخِنْصر عن ابن المكىّ . وفيه لعَلُّوية ثانى ثقيلٍ آخر بالبِنْصر فى مَجْراها عنه — قال : فغنَّاه فدعا له بخمسة عشرَ ألفَ دينارٍ فصَبَّها بين يديه، ثم قال : انصرِفْ إلى أهلك واكتُمْ ما رأيتَ .

٢٧ / ١

وأخبرنى بهذا الخبر عمِّى فجاء ببعض معانيه وزاد فيه ونقص، قال : حدّثنى

١٠ هارون بن محمد بن عبد الملك الزّيات قال حدّثنى سليمان بن سَعْد الحَلَبىّ[4] قال :

سمعتُ القارى بنَ عَدِىّ يقول : اشتاق الوليدُ بنُ يزيدَ الى معبد، فوجَّه اليه الى المدينة فأُحْضِر . و بلغ الوليدَ قدومُه، فأمر ببركةٍ بين يدَىْ مجلسه فمُلئت ماءَ وردٍ قد خُلِط بمِسْك وزَعْفران، ثم فُرِش للوليد فى داخل البيت على حافَة البركة، و بُسِط لمعبد مُقابِلَه على حافة البركة، ليس معهما ثالثٌ، وجىء بمعبد فرأى سِتْراً مُرْخًى ومجلسَ رجلٍ واحد .

١٥ فقال له الحُجّاب : يا معبد، سلِّم على أمير المؤمنين واجلِسْ فى هذا الموضع، فسلَّم فردَّ عليه الوليدُ السلامَ من خَلْفِ السِّتْر، ثم قال له : حيَّاك الله يا معبد ! أتدرى لِمَ وَجَّهتُ

(١) المجامر : جمع مجمرة (بكسر الميم) وهى المِبْخَرة . والمجمر بحذف الهاء : ما يبخر به من عود وغيره، وقد يراد به ما يراد بالمجمرة أيضا . (٢) فى ح : «سحية» بالحاء وهى محرّفة عن «سحّية» .

(٣) الزَّهرة : البهجة والنضارة والحسن . وقد صوّبه الشنقيطىّ : * حتى يُرَى عن زهره متبسما *

٢٠ بالالتفات من الخطاب الى الغيبة . (٤) فى ت : «سعيد» وفى ح، م : «سعيد الخير» . ولم نعثر على هذا الاسم حتى نرجح إحدى ما فى الأصول .

إليك ؟ قال : الله أعلم وأميرُ المؤمنين . قال : ذكرتُك فأحببتُ أن أسمع منك . قال معبد : أَأُغَنِّى ما حضر أم ما يقترحُه أمير المؤمنين ؟ قال : بل غنِّى :

ما زال يَعْدُو عليهم ريبُ دهرِهمُ * حتى تفانَوْا وريبُ الدهر عَدّاءُ

فغنَّاه ، فما فرَغ منه حتى رفَع الجَوَارى السِّجْفَ ، ثم خَرج الوليُد فألقى نفسَه فى البركة فغاص فيها ثم خرج منها ، فاستقبله الجوارى بثيابٍ غيرِ الثياب الأولى ، ثم شرِب وسقَى معبدا ، ثم قال له : غنِّى يا معبد :

يا رَبْعُ مالك لا تُجيبُ متيَّما * قد عاج نحوَك زائرا ومسلِّما

جادتكَ كلُّ سحابةٍ هطَّالة * حتى تُرَى عن زَهْرةٍ متبسِّما

لوكنتَ تَدْرِى مَنْ دعاك أجبتَه * وبكيتَ من حُرَقٍ عليه إذًا دما

قال : فغنَّاه ، وأقبل الجوارى فرفعْنَ السِّتْرَ ، وخرج الوليد فألقى نفسَه فى البركة فغاص فيها ثم خرج ، فلبِس ثيابا غير تلك ، ثم شرِب وسقى معبدا ، ثم قال له : غنِّى . فقال : بماذا يا أمير المؤمنين ؟ قال غنِّى :

عَجِبَتْ لمّا رأتنِى * أندُب الربعَ المُحيلا (١)

واقفًا فى الدار أبكى * لا أرى إلا الطُّلولا

كيف تَبكِى لأُناسٍ * لا يَمَلُّونَ الذَّميلا (٢) ؟

كلّما قلتُ اطمأنّتْ * دارُهم قالوا الرَّحيلا (٣)

قال : فلمّا غنَّاه رمَى نفسَه فى البركة ثم خرج ، فردُّوا عليه ثيابَه ، ثم شرب وسقَى معبدا ، ثم أقبل عليه الوليد فقال له : يا معبد ، من أراد أن يزداد عند الملوك حُظْوةً

---

(١) المحيل : الذى أتت عليه أحوال فغيّرته . (٢) الذميل كأمير : السير الليِّن ما كان أو هو فوق العَنَق . (٣) فى ت : «صاحوا» وفى «نهاية الأرب» ج ٤ ص ٢٨١ : «جدُّوا» .

فليكتُم أسرارَهم . فقلت : ذلك ما لا يحتاج أميرُ المؤمنين الى إيصائى به . فقال : يا غلام ، احمِل الى معبدٍ عشرة آلاف دينار تُحَصَّلُ[(١)] له فى بلده وألفَىْ دينار لنفقة طريقه ، فحُمِلتْ اليه كلُّها[(٢)]، وحُمِل على البريد من وقته الى المدينة .

خبر معبد مع الرجل الشامىّ الذى لم يستحسن غناءه

قال إسحاق : وقال معبد : أرسلَ إلىّ الوليد بن يزيدَ فأُشْخِصتُ اليه . فبينا أنا يوما فى بعض حمّامات الشأم إذ دخل علىّ رجل له هَيْبة ومعه غِلْمانٌ له ، فاطّلَى[(٣)] وآشتغلَ به صاحبُ الحمّام عن سائر النـاس . فقلتُ : والله لئن لم أُطْلِع هذا على بعض ما عنـدى لأكونَنَّ بمَزْجَرِ الكلب ؛ فاستدْبَرتُه حيث يرانى ويسمَعُ منّى، ثم ترنّمت ، فالتفتَ إلىّ وقال للغِلْمان : قدِّموا اليـه [جميع][(٤)] ما هاهنا ، فصار جميعُ ما كان بين يديه عندى . قال : ثم سألنى أن أَسِيرَ معه الى منزله فأجبته ، فلم يَدَعْ من البِرّ والإكرام شيئا إلا فعَله ، ثم وضَع النبيذَ، فجعلتُ لا آتى بحَسَنٍ إلّا خرجتُ الى ما هو أحسنُ منـه وهو لا يرتاح ولا يَحْفِلُ[(٥)] لما يَرَى منّى . فلما طال عليه أمرِى قال : يا غلامُ، شيخَنا شيخَنا، فأُتِىَ بشيخ؛ فلما رآه هَشَّ إليه، فأخذ الشيخُ العودَ ثم آندفع يُغنّى :

سِلّورٌ فى القِدْرِ وَيْلِى علُوهْ[(٦)] * جاء القِطُّ أكلَهْ وَيْلِى علُوهْ[(٦)]

---

(١) أى تُدفع وتُسلّم . (٢) البريد : مسافة تقدّر باثنى عشر ميلا ، و يطلق على الرسول المرتّب لنقل الرسائل . وقد قال الخليل بن أحمد : إنه عربىّ مشتق من بردت الحديد إذا أرسلت ما يخرج منه ، أو من برد إذا ثبت لأنه يأتى بما تستقرّ عليه الأخبار . وذهب آخرون الى أنه فارسىّ معرّب . قال ابن الأثير فى «النهاية» : إن أصله «بريده دم» ومعناه مقصوص الذنب . وذلك أن ملوك الفرس كان من عادتهم أنهم إذا أقاموا بغلا فى البريد قصّوا ذنبه ليكون علامة على أنه من بغال البريد .

وقد كان البريد موجودا فى عهد الأكاسرة من ملوك الفرس والقياصرة ملوك الروم . أما فى الإسلام فقد ذكر أبو هلال العسكرىّ فى كتابه «الأوائل» : أن أوّل من وضعه فى الاسلام معاوية بن أبى سفيان وأحكمه بعده عبد الملك بن مروان ا ﻫ باختصار عن «صبح الأعشى» ج ١٤ ص ٣٦٦ — ٣٧٢ (٣) اطّلى : لطخ نفسه بنورة أو نحوها . (٤) زيادة فى ت . (٥) الذى فى اللسان : حفله وحفل به ، مثل بالاه وبالى به . (٦) لعلّ هذه لهجة شامية إذ ذاك فى كلمة «عليه» .

— السِّلَّوْرُ: السَّمَكُ الجِرِّىُّ(١) بلغة أهل الشأم — قال: فجعَل صاحبُ المنزل يُصَفِّق ويضرب برِجْله طربًا وسرورا . قال: ثم غنّاه:

وتَرمِينى حَبِيبــةُ بالدُّرَاقِنْ(٢) * وتَحْسَبُنِى حبيبــةُ لا أَرَاها

— الدُّراقِن: اسم الخَوْخ بلغة أهل الشأم — قال: فكاد أن يخرُجَ من جلده طربا . قال: وآنسَلَلْتُ منهم فانصرفتُ ولم يُعْلَمْ بى . فمــا رأيتُ مثلَ ذلك اليوم قطُّ غناءً أضيعَ ، ولا شيخا أجهلَ !

معبد وآبن عائشة

قال إسحاق: وذكر لى شيخٌ من أهــل المدينة عن هارونَ بن سَعْد: أن آبنَ عائشةَ كان يُلْقِى عليــه وعلى رُبَيْحَةَ(٣) الشَّمَّاسِيَّة ، فدخَل معبدٌ فألْقَى عليهما صوتًا ، فاندفع آبنُ عائشةَ يُغنِّيه وقد أخذه منه ؛ فغضِب معبد وقال: أحسنتَ يآبنَ عاهِرةِ(٤) الدّارِ ، تُفَاخِرُنى! فقال: لا والله — جعَلنِى الله فِداءك يا أبا عبَّاد — ولكنِّى أقتبِسُ منك ،

(١) الجِرِّىّ كذِمِّىّ: حوت يكون بنيــل مصر طويل أملس ليس له فصوص ولا ريش وله رأس الى الطول وفم مستطيل كالخرطوم ، وسماه ديسقوريدوس « سلورس » . وقال إسحاق بن سليمان: أهل مصر يسمون الجِرِّىّ "السِّلَّوْرَ" (انظر مفردات آبن البيطار مادة ..ى) . وقد ضبطه صاحب القاموس فى مادّة «صلور» بأنه كسِنَّور . وذكره آبن الأثير فى النهاية فى حديث عمّار: «لا تأكلوا السلور والأنقَلِيس» وفسر الصلور بالجِرِّىّ ، والأنقَلِيس بالمارماهى ، وقال: إنهما نوعان من السمك كالحيات .

(٢) الدُّراقن كعلابط وقد تشدّد الراء ، قال السيد مرتضى: وهــو المشهور على الألسنة ، وقد فسره صاحب القاموس بأنه المشمش . وذكر السيد مرتضى قول آبن دريد: إن عرب الشأم يسمون الخوخ « الدراقن » وقال: إن تفسيره بالمشمش غير معروف . (انظر تاج العروس مادة دراقن) .

(٣) لم نعثر على ضبطه وقد ضبطناه قياسا على تسميتهم « ربيح » بالتصغير . (٤) كذا فى ر . وفى أ م ، : « يآبن عائشة » وفى سائر النسخ: « يآبن عاهة الدار » .

٥
١٠
١٥
٢٠

وما أخذتُه إلّا عنك، ثم قال : أنشُدُكَ اللهَ[1] يآبن شَمّاس، هل قلتُ لك : قد جاء أبو عَبّاد فآجْمَعْ بيني وبينَه أقتبس منه؟ قال : اللهمّ نعمْ .

أخبرنى الحُسين بن يحيى عن حمّاد[2] عن أبيه قال :

قيل لآبن عائشةَ، وقد غنّى صوتاً أحسنَ فيه فقال: أصبحتُ أحسنَ الناس غناءً، فقيل له : وكيف أصبحتَ أحسنَ الناس غناءً؟ قال : وما يمنَعُنى من ذلك وقد أخذتُ من أبى عَبّاد أحدَ عشرَ صوتاً، وأبو عبّادٍ مُغنِّى أهلِ المدينة والمقدَّمُ فيهم[3]!

أخبرنا وَكيعٌ قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق قال حدّثنى أبى قال حدّثنى أيّوب ابن عَبَايَةَ عن رجل من هُذَيْل قال :

قال معبد : غنّيتُ فأَعْجَبنِى غنائى وأعجبَ الناسَ وذهَب لى به صِيتٌ[4] وذِكْرٌ، فقلت : لآتِيَنّ مكّةَ فلأَسْمَعَنّ من المغنّين بها ولأُغَنِّيَنّهم ولأتعرَّفَنّ إليهم، فآبتعتُ حمارا فخرجتُ عليه الى مكّة . فلمّا قَدِمتُها بِعْتُ حمارى وسألتُ عن المغنّين أين يجتمعون؟ فقيل : بقُعَيْقِعانَ[5] فى بيت فلان؛ فجئتُ الى منزله بالغَلَس[6] فقرعْتُ البابَ؛ فقال : مَنْ هذا ؟ فقلت : انظرْ عافاك الله ! فدنا وهو يُسبِّح ويستعيذُ كأنه يخاف، ففتَح فقال : من أنت عافاك الله ؟ قلتُ : رجلٌ من أهل المدينة . قال:

قدومه مكة والتقاؤه بالمغنين بها

(١) فى حـ ، ر : « أنشدك بالله » وكلاهما صحيح . (٢) فى سـ : « أخبرنى الحسين عن آبن حماد عن أبيه » وفى ب ، ر : « أخبرنى الحسين بن حماد عن أبيه » وفى حـ : « أخبرنى الحسن بن حماد عن أبيه » وكلها أسانيد مضطربة . وقد آعتمدنا ما أثبتناه فى الصلب وقد تقدّم مرارا .
(٣) كذا فى حـ ، ر . وفى ت : « ومتقدّمهم » وفى سائر النسخ : « والمقدّم منهم عليهم » .
(٤) فى ت ، حـ ، ر : «صوت» . والصوت والصَّات والصِّيت : الذكر . (٥) قعيقعان : اسم قرية بها مياه وزروع ونخيل قرب مكة بينها وبين مكة آثنا عشر ميلا (ياقوت) . (٦) الغلس : ظلمة آخر الليل اذا آختلطت بضوء الصباح .

فما حاجتُك ؟ قلتُ : أنا رجلٌ أَشْتَهِى الغناءَ ، وأزعُم أنى أعرِف منه شيئا ، وقد بلغنى أنّ القوم يجتمعون عندك،[1] وقد أحببتُ أن تُنْزِلَنى فى جانب منزلك وتَخْلِطَنى بهم ؛ فإنه لا مئونةَ عليكَ ولا عليهم منّى.[2] فَلَوى شيئًا[3] ثم قال : انْزِلْ على بَرَكَةِ الله. قال : فنقلتُ مَتاعى فنزلتُ فى جانب حُجْرته . ثم جاء القومُ حينَ أَصْبَحُوا واحدًا بعد واحد[4] حتى ٱجتمعُوا ، فأَنْكَرُونى وقالوا : مَنْ هذا الرجل؟ قال : رجلٌ من أهل المدينة خفيفٌ يشتهِى الغناءَ و يَطْرَبُ عليه ، ليس عليكم منــه عناءٌ[5] ولا مكروهٌ . فرحَّبوا بى وكلَّمتهم ، ثم ٱنْبَسَطُوا وشَرِبُوا وغَنَّوْا ، فجعلتُ أُعْجَبُ بغنائهم وأُظْهِرُ ذلك لهم و يُعجِبهم منّى ، حتى أقمنا أيّاما ، وأخذتُ من غنائهم وهم لا يدرون أصواتا وأصواتا وأصواتا.
ثم قلت لٱبْنِ سُرَيج : أَىْ[6] فديتك ! أَمْسِكْ علىّ صوتَك :

قُــلْ لهنــدٍ وتِربِهــا[7] * قبلَ شَحْطِ[8] النَّوَى غَدَا

قال : أَوَ تُحْسِنُ شيئا؟ قلتُ : تَنَظَّرْ،[9] وعسى أن أصنع شيئا ، وٱندفعتُ فيه فغنّيتُه ، فصاح وصاحوا وقالوا : أحسنتَ قاتَلَك اللهُ ! قلتُ : فأَمْسِــكْ[10] علىّ صوتَ كذا فأَمْسَكُوه علىّ ، فغنيتُه ، فٱزدادوا عَجَباً وصِيَاحًا . فمـا تركتُ واحدا منهــم إلا غنّيتُه من غنائه أصواتا قد تخيَّرتُها . قال : فصاحوا حتى عَلَتْ أصواتُهم وهرَفوا[11] بى وقالوا :

(١) فى ت : «المغنّين» . (٢) فى ت : « فى ذلك » . (٣) أى تمكّث قليلا .
(٤) فى ت « واحدا واحدا » . (٥) فى ت : « غبن » وفى بعض النسخ « عين أو غين » وهمـا مصحفان عنها . (٦) كذا فى ت ، ح ، ر يريد : يامولاى ، أو ياسيدى ، فأى للنداء ، والمنادى محذوف وفى سائر الأصول : « إنى فديتك » . (٧) التِّرب : اللِّدة وهو من يماثلك فى ســنّك ، وأكثر ما يستعمل التّرب فى الإناث . (٨) الشّحط : البعد .
(٩) تنظّر : تأنّ وتريَّثْ . (١٠) فى ح ، ر : « وأمسك » . (١١) هرف بفلان (من باب ضرب) هنا : مدحه حتى جاوز القدر فى الثناء والإطراء .

لأنت أحسنُ بأداء غنائنا عنّا منّا . قال : قلت : فأمسكوا عليّ [ولا تضحكوا بي(١)
حتى تسمعوا من غنائي] ،(٢) فأمسكوا عليّ ، فغنّيتُ صوتا من غنائي فصاحوا بي ، ثم غنّيتهم
آخرَ وآخرَ فوثبوا إليّ وقالوا : نحلف بالله إن لك لصيتاً وآسماً وذكراً ، وإن لك فيما
هاهنا لسهماً عظيماً ، فمن أنت؟ قلت : أنا معبد . فقبّلوا رأسي وقالوا : لفّقت(٣) علينا
وكنّا نتهاون بك ولا نعدّك شيئا وأنت أنت . فأقمتُ عندهم شهرًا آخُذُ منهم ويأخذون ٥
منّي ، ثم انصرفت الى المدينة .

نسبةُ هــذا الصوت

صــوت

قُــلْ لهندٍ وتِرْبِهــا * قبلَ شحْطِ النّوَى غدَا
إنْ تجُــودِى فطالمــا * بتُّ ليْــلِى مُسهَّدَا ١٠
أنتِ فى وُدِّ بيننــا * خــيرُ ما عنــدَنا يدَا
حينَ تُدْلِى مُضَــفَّرًا * حالكَ اللّــونِ أسْودا

الشعر لعُمَر بن أبى رَبيعة ، والغِناءُ لآبن سُرَيج عن حمّــاد ولم يُجنِّسه . وفيه
لمــالك خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالبنصر فى مجْراها عن إسحاق . وقال الهِشامىّ : فيه لآبن مُحْرِز
خفيفُ ثقيلٍ بالوُسْطى . ١٥

---

(١) يقال : ضحك به ومنه بمعنى . (٢) هذه الجملة ساقطة من ت ، حـ ، ر .
(٣) أى سترتَ علينا أمركَ حتى لم نعرفك .

ثانى الثلاثة الأصوات المختارة

ومن الثلاثة الأصوات المختارة

صوت فيه أربعةُ ألحانٍ من رواية علىّ بن يحيى

تَشَكَّى الكُمَيتُ الجَرْىَ لمّا جَهَدْتُهُ * وبَيَّنَ لو يَسْطِيعُ أن يتكلّما
لذلك أُدْنِى دونَ خَيْلى مكانَهُ(1) * وأُوصى به ألَّا يُهانَ ويُكرَما(2)
فقلتُ له : إنْ ألقَ للعين قُرَّةً * فهانَ علىّ أن تَكِلَّ وتَسْأَمَا
عَدِمتُ إذًا(3) وَفْرِى وفارقتُ مُهجتى * لئن لم أَقِلْ قَرْنًا إنِ اللهُ سَلَّما

عروضه من الطويل . قوله : «لئن لم أَقِلْ قَرْنا» ، يعنى أنه يَجِدُّ فى سَيْره حتى يَقِيلَ بهذا الموضع، وهو قَرْنُ المَنَازل، وكثيراً مايذكره فى شعره .

الشعر لعُمَر بن أبى ربيعة المخزومىّ، والغناءُ فى هذا اللَّحن المختارِ لابن سُرَيج، ثانى ثقيلٍ مطلقٍ فى مَجْرَى الوُسْطَى . وفيه لإسحاق أيضا ثانى ثقيلٍ بالبِنصر عن عمرو ابن بانَة . وفيه ثقيلٌ أوّلُ يقال إنه ليحيى المكّىّ . وفيه خفيفُ رملٍ يقال إنه لأحمد ابن موسى المنجِّم . وفيه للمعتضد ثانى ثقيلٍ آخر فى نهاية الجَوْدة . وقد كان عمرو ابن بانة صنَع فيه لحنًا فسقَط لسقوط صَنْعته .

أخبرنى جَحْظَة قال حدّثنى أبو عبد الله الهِشَامىّ قال :

صنَع عمرو بن بانة لحنًا فى «تَشَكَّى الكميتُ الجرىَ» فأخبرنى بعضُ عجائزنا بذلك، قالت ، فأردنا أن نَعرِضَه على مُتَيَّم لنعلَمَ ما عندها فيه ، فقلنا لبعض مَنْ أخذَه عن عمرو : غنِّ «تشكَّى الكميتُ الجرىَ» فى اللحن الجديد، فقالت متيَّمُ : أَيْشِ(4) هذا اللحنُ

(١) فى ديوانه « رباطه » . (٢) ورد هذا البيت فى الديوان بعد البيت : « عدمت إذا وفرى ... » . (٣) فى ديوانه « إذا » . (٤) منحوتة من « أىّ شىء » .

الجديد والكُمَيْت المحدَث؟ قلنا: لحنٌ صنعه عمرو بن بانة . فغنّته الجارية، فقالت متيَّمُ لها: اقطَعِي اقطَعِي، حسبُكِ حسبُكِ هذا! والله لحِمارُ حُنَيْنٍ المكسورُ أشبهُ منه بالكُمَيْت .

ذكر خبر عمر بن أبي ربيعة ونسبه

نسب عمر بن أبي ربيعة

٥ هو عُمَر بن عبد الله بن أبي رَبيعةَ . وٱسم أبي ربيعة : حُذَيفةُ بنُ المُغيرة بن عبد الله ٱبن عمر بن مَخْزوم بن يَقَظَةَ بن مُرَّةَ بن كَعْب بن لُؤَيّ بن غَالِب بن فِهْر . وقد تقدّم باقي النسب في نسب أبي قَطِيفة . ويُكْنَى عمر بن أبي ربيعة « أبا الخَطَّاب » . وكان أبو ربِيعةَ جَدُّه يسمَّى « ذا الرُّمْحَيْن »؛ سُمِّي بذلك لطُوله، كان يقال : كأنه يمشي على رُمْحَيْن .

١٠ أخبرني بذلك الحَرَميّ بن أبي العَلَاء قال حدّثنا الزُّبير بن بَكَّار قال حدّثني عمِّي ومحمد بن الضَّحَّاك عن أبيه الضَّحَّاك عن عثمانَ بن عبد الرحمن اليَرْبُوعيّ . وقيل : إنه قاتَلَ يومَ عُكَاظ برُمْحَيْن فسُمِّي « ذا الرُّمْحَيْن » لذلك .

وأخبرني بذلك أيضا عليّ بن صالح بن الهَيْثَم قال حدّثني أبو هَفَّانَ عن إسحاقَ ٱبن إبراهيمَ المَوْصِليّ عن مُصْعَبٍ الزبيريّ والمَدَائنيّ والمُسَيَّبيّ ومحمد بن سَلَّام[1]، قالوا :

١٥ وفيه يقول عبد الله بن الزِّبَعْرَى :

---

(١) قال في « كتاب المغني » المطبوع بهامش « تقريب التهذيب » طبع الهند : سلام كله بالتشديد إلا عبد الله بن سلام وأبا عبد الله محمد بن سلام شيخ البخاريّ . ثم قال : وشدّده جماعة والمختار فيه التخفيف . اهـ بشيء من التصرّف . وقد جاء بعده في ب ، س : « والعسيبي » وهي زيادة لم تستند إلا إلى نسخة حـ المخطوطة . ولعله ذكر فيها هذا الاسم محرّفا عن المسيبيّ لاتفاق أكثر النسخ على ذلك .

ألَا للهِ قــومٌ وَ * لَدَتْ أُختُ بنى سَهْمِ
هِشَــامٌ وأبو عَبْــدِ * مَنَافٍ مِدْرَهُ(1) الخَصْمِ
وذو الرُّمْحين أَشْبَاكَ(2) * على القــوّة والحَزْمِ
فهذان يَذُودَان * وذا مِنْ كَثَبٍ يَرْمِى
أُسُودٌ تَزْدَهِى الأقرا(3) * نَ مَنَّــاعُونَ للهَضْمِ
وهم يومَ عُكَاظ مـ * ـنعوا الناسَ من الهَزْمِ
وهم مَنْ وَلَدُوا أَشْبَوْا(4) * بسِرِّ الحَسَبِ الضَّخْمِ
فإن أحلِفْ وبيتِ اللـ * ـه لا أحلفْ على إثْمِ
لَمَــا مِنْ إخوَةٍ بين(5) * قصورِ الشأم والرَّدْمِ
بأزْكَى من بنى رَيْطَـ * ـةَ أو أَوْزَنَ فى الحِلْمِ

أبو عبد مَناف: الفَاكِهُ بن المُغِيرة. ورَيْطة هذه التى عَنَاها هى أُمُّ بنى المُغيرة، وهى بنتُ سعيد بن سَعْد بن سَهْم، ولدتْ من المغيرة هِشَاما وهاشماً وأبا رَبيعة والفاكِهَ .

---

(1) المدره : زعيم القوم وخطيبهم والمتكلم عنهم ، وقد أطلق تجوّزا الآن على المحامى .

(2) فى جميع النسخ : «أشبال» وهو تحريف . والتصويب عن «أمالى القالى» طبع دار الكتب المصرية ج ٣ ص ٢٠٨ قال : ويقال أشباك بفلان كما يقال حسبك بفلان ، وأنشد هذا البيت . وقد ضبطه الشنقيطى بهامش نسخته بضمتين فوق الكاف وهو خطأ . (3) تزدهى الأقران : تستخفّ بهم وتتهاون .

(4) يقال: أشبى فلان إذا وُلد له ولد كيِّس . (5) ورد هذا البيت والذى بعد فى «الأمالى» هكذا:

ما إن إخوة بين * قصور الشأم والردم
كأمثال بنى ريطـ * ـة من عرب ولا عجم

وفى ب ، س : « تبنى * قصور الشأم » وهو تحريف .

وأخبرني أحمدُ بن سُلَيمان بن داود الطُّوسيّ والحَرَميّ بن أبي العلاء قالا: حدّثنا الزُّبير بن بَكَّار قال حدّثنا محمد بن يحيى عن عبد العزيز بن أبي ثابت قال أخبرني محمد ابن عبد العزيز عن ابن أبي نَهْشَلٍ (١) عن أبيه قال:

قال لي أبو بكر بنُ عبد الرحمن بن الحارث بن هِشَام — وجئتُه أطلبُ منه مَغْرَمًا — يا خال، هذه أربعةُ آلاف درهم وأَنْشِدْ هذه الأبياتَ الأربعةَ وقل: سمعتُ حَسَّانَ يُنْشِدها رسولَ الله صلى الله عليه وسلم. فقلت: أعوذُ بالله أن أَفْتَرِيَ على الله ورسوله، ولكن إن شئتَ أن أقولَ: سمعتُ عائشةَ تُنْشِدها فعلتُ. فقال: لا، إلّا أن تقولَ: سمعتُ حسّانَ يُنْشِدها رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم جالسٌ، فأَبَى عليّ وأَبَيْتُ عليه، فأَقَمْنا لذلك لا نتكلّمُ عِدّةَ ليالٍ. فأرسل إليّ فقال: قل أبياتا تمدح بها هِشَاماً — يعني ابنَ المُغيرة — وبني أُمَيَّة. فقلت: سَمِّهم لي، فسمّاهم وقال: اجْعَلْها في عُكَاظ واجْعَلْهَا لأبيك. فقلت:

ألا لله قــومٌ و * لدتْ أُختُ بني سَهْمِ

... الأبيات. قال: ثم جئتُ فقلتُ: هذه قالها أبي. فقال: لا، ولكن قل: قالها ابنُ الزِّبَعْرَى. قال: فهي إلى الآنَ منسوبةٌ في كتب الناس الى ابن الزِّبَعْرَى.

قال الزبيرُ: وأخبرني محمد بن الحَسَن (٢) المَخْزوميّ قال: أخبرني محمد بن طَلْحة أنّ عمرَ بن أبي ربيعة قائلُ هذه الأبيات:

ألا لله قــومٌ و * لدتْ أُختُ بني سهمِ

(١) كذا في ت، ر. وفي ب، س، حـ: «عبد العزيز بن أبي نهشل» وفي م، ى، أ: «[illegible] العزيز [illegible] الله [illegible]ل» وكلاهما تحريف. وقد تكرر كما في الصلب قريبا في الصفحة التالية.

(٢) [illegible] حـ، ر. وفي سائر النسخ: «الحسين» وهو تحريف؛ إذ هو محمد بن الحسن ابن زبالة المخزومي المدني.

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجَوْهرىّ وحَبِيبُ بْنُ نَصْر المُهَلَّبىّ قالا : حدّثنا عمرُ بن شَبَّة قال حدّثنى محمد بن يحيى قال حدّثنى عبد العزيز بن عمران قال حدّثنى محمد بن عبد العزيز عن آبن أبى نَهْشَلٍ عن أبيه بمثل ما رواه الزُّبير عنه . وزاد فيه عمر بن شبّة : قال محمد بن يحيى : وأُختُ بنى سَهْم التى عَنَاها رَيْطةُ بنت سَعيد بن سَهْم بن عَمْرو بن هُصَيص بن كَعْب بن لُؤَىّ بن غَالِب ، وهى أُمُّ بنِى المُغيرة بن عبد الله بن عمر بن مَخْزوم وهم : هِشَام وهاشمٌ وأبو رَبِيعةَ والفاكِهُ ، وعِدّةٌ غيرُهم لم يُعْقِبوا [1] ، وإيّاهم يعنى أبو ذُؤَيبٍ بقوله :

صَخِبُ الشَّوارِبِ لا يزالُ كأنه * عبــدٌ لآل أبى رَبِيعةَ مُسْبَعُ [2]

ضَرب بعزِّهم المَثَل . [قال] [3] : وكان آسم عبد الله بن أبى ربيعةَ فى الجاهلية بَحِيراً [4] ، فسمّاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عبدَ الله ؛ وكانت قريش تُلقِّبه « العِدْلَ » ؛ لأنّ قريشا كانت تَكْسُو الكعبةَ فى الجاهلية بأجمعها من أموالها سنةً ، ويكسوها هو من ماله سنةً ، فأرادوا بذلك أنه وحدَه عِدْلٌ لهم جميعا فى ذلك . وفيه يقول آبن الزِّبَعْرَى :

بَحِيرُ بْنُ ذى الرُّمْحين قرّب مجلسى * وراح علىّ خيرُه غيرَ عاتِمِ [5]

وقد قيل : إن العِدْل هو الوليد بن المُغيرة .

وكان عبدُ الله بن أبى ربيعةَ تاجرًا مُوسِراً ، وكان مَتْجَرُه إلى اليمن ، وكان من أكثرِهم مالًا . وأُمّه أسماء بنت مُخَرِّبة [6] ، وقيل : مُخَرِّمة ، وكانت عَطّارةً يأتيها

---

(١) لم يعقبوا : لم يجيئوا بنسل . (٢) هذا وصف لحمار الوحش . وفى لسان العرب : يقال حمار صخب الشوارب : يردّد نُهاقه فى شواربه . والشوارب : مجارى الماء فى الحلق . وعبد مسبع : مهمل جرىء ترك حتى صار كالسبع . (انظر اللسان فى مادتى صخب وسبع) (٣) زيادة عن تجريد

(٤) كذا فى أ ، ء . وفى سائر النسخ : « بَجير » بالجيم وهو تحريف ؛ إذ هو بحير بن ربيعة المخزومىّ (انظر تاج العروس مادة بحر) . (٥) عاتم : مبطئ . (٦) مخرِّبة كمحدِّثة (قاموس) .

العِطْرُ من اليَمَن . وقد تزوّجها هشامُ بن المُغيرة أيضا، فولدتْ له أبا جَهْل والحارثَ ٱبنَىْ هِشَام؛ فهى أُمُّهما وأُمُّ عبدِ الله وعَيَّاش ٱبنَىْ أبى رَبيعةَ .

أخبرنى الحَرَمِىُّ والطُّوسىُّ قالا : حدّثنا الزُّبَير قال حدّثنى عمّى عن الوَاقدىّ قال :

٥ كانت أسماءُ بنتُ مُخَرِّبَةَ تبيع العِطْر بالمدينة . فقالت الرُّبَيِّعُ بنتُ مُعَوِّذ بنِ عَفْرَاءَ الأَنْصاريّة — وكان أبوها قتل أبا جَهْلِ بنَ هِشَام يومَ بَدْر وٱحتزّ رأسه عبدُ الله بنُ مسعود — وقيل : بل عبدُ الله بن مسعود هو الذى قتله — فذكَرتْ أنّ أسماءَ بنتَ مُخَرِّبة دخلتْ عليها وهى تبيع عِطْرًا لها فى نِسْوَةٍ، قالت : فسألتْ عنّا، فانتسَبْنَا لها . فقالتْ : أأنتِ ٱبنةُ قاتلِ سيِّده ؟ تعنى أبا جَهْل . قلت :

١٠ بل أنا بنتُ قاتلِ عَبْدِه . قالت : حَرَامٌ علىّ أن أبيعكِ من عِطْرى شيئا . قلت : وحرامٌ علىّ أن أشترىَ منه شيئا؛ فما وجدتُ لعطْرٍ نَتْناً غيرَ عطرِكِ، ثم قمت؛ ولا والله ما رأيت عِطْرًا أطيبَ من عطرها، ولكنّى أردتُ أن أَعيبَه لأَغِيظَها .

وكان لعبد الله بن أبى ربيعة عبيدٌ من الحَبَشة يتصرّفون فى جميع المِهَن، وكان عددهم كثيرا؛ فرُوِىَ عن سُفْيانَ بن عُيَيْنةَ أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلّم

١٥ حين خرج الى حُنَيْن : هل لك فى حَبَش بنى المُغيرة تستعينُ بهم ؟ فقال : "لا خيرَ فى الحَبَشِ إن جاعُوا سَرَقُوا وإن شَبِعُوا زَنَوْا، وإنّ فيهم لخَلَّتَيْنِ[(١)] حسنتَيْن إطْعامَ الطعام والبأسَ يومَ البأس". وٱستعمل رسول الله صلى الله عليه وسلّم عبدَ الله ٱبن أبى رَبيعةَ على الجَنَد[(٢)] ومَخَالِيفِها، فلم يزل عاملاً عليها حتى قُتِل عمرُ بن الخطّاب

(١) الخلة : الخصلة وزنا ومعنى . (٢) الجند (بالتحريك) : ولاية إسلامية من ولايات اليمن الثلاث، وهى الجَنَد وصنعاء وحضرموت . وبالجَنَد مسجد بناه معاذ بن جبل رضى الله عنه . والمخاليف : جمع مِخلاف، وهو الكورة والرستاق (القرية والسواد) .

رضى الله عنـه . هذا من رواية الزُّبَير عن عمِّـه . قال : وحدّثنى آبن المَـاجُشُونِ[(١)] عن عمّه أنّ عثمانَ بن عفّانَ — رحمه الله — آستعمله أيضا عليها .

أمّ عمر بن أبى ربيعة وأخوه الحارث الملقب بالقباع

وأُمُّ عمر بن أبى ربيعة أُمّ ولدٍ يقال لها "مَجْدُ"، سُبِيتْ من حَضْرَمَوْتَ، ويقال من حِمْيَر. قال أبو مُحَلِّمٍ[(٢)] ومحمدُ بن سَلّام : هى من حِمْيَر، ومن هناك أتاه الغَزَلُ؛ يقال : غَزَلٌ يمانٍ، ودَلٌّ حِجازِىٌّ .

وقال عمرُ بن شَبّة : أُمُّ عمر بن أبى ربيعةَ أُمُّ ولدٍ سوداءُ من حَبَشٍ يقال لهم : فرسان[(٣)] . وهذا غلطٌ من أبى زيد[(٤)] ، تلك أُمّ أخيه الحارث بن عبد الله الذى يقال له : "القُبَاعُ"، وكانت نَصْرانيّةً . وكان الحارثُ بن عبدالله شريفا كريما ديِّنا وسيِّدا من سادات قريش .

قال الزُّبَير بن بَكّار : ذكَره عبد الملك بن مَرْوان يوما وقد ولّاه عبدُ الله آبن الزُّبير، فقال : أَرْسَلَ عَوْفًا وقَعَد[(٥)] ! « لا حُرَّ بوادِى عَوْف[(٦)] » . فقال له يحيى

(١) معرّب ماه كون أى لون القمر (قاموس) . وهو مثلث الجيم كما فى « تاج العروس » . وقال السيد مرتضى : إن النووىّ فى « شرح مسلم » والحافظ بن حجر فى « التقريب » آقتصرا على كسر الجيم وضم الشين . (٢) لم نعثر له على ضبط . وقد جاء فى اللسان فى مادة حلم « محلِّم آسم رجل ومن أسماء الرجال محلِّم » . فلعل ضبطه كذلك .

(٣) فى أ ، م ، ى . « مرسان » ولم نعثر عليه . وفى ياقوت : فرسان بالفتح والتحريك وآخره نون . ثم قال : وقال آبن الحائك : من جزائر اليمن جزائر فرسان . وفرسان قبيلة من تغلب كانوا قديما نصارى ولهم فى جزائر فرسان كنائس قد خربت ... ويحملون التجار الى بلد الحبش اهـ .

(٤) أبو زيد : كنية عمر بن شبة ، وآسم أبيه زيد . وإنما قيل له آبن شبة لأن أمه كانت ترقصه وتقول :

يا بأبى يا شـبّا * وعاش حتى دبّا * شيخا كبيرا خبّا

اهـ من « بغية الوعاة » للسيوطىّ . (٥) فى ب ، س : « أرسل عوفا وقعد وقال : لاحر بوادى عوف » الخ والمراد أنه آعتمد على عظيم وآستراح . (٦) هو عوف بن محلّم بن ذهل بن شيبان ، وقد طلب منه عمرو بن هند أن يسلم اليه مروان القرظ وكان قد أجاره ، فمنعه وأبى أن يسلمه ؛ فقال الملك : « لا حرّ بوادى عوف » أى إنه يقهر من حلّ بواديه ، فكلّ من فيه كالعبيد له لطاعتهم إياه . يضرب مثلا للرجل يسُود الناس فلا ينازعه أحد منهم فى سيادته . (انظر أمثال الميدانىّ ج ٢ ص ١٥٧) .

آبن الحَكَم : ومَنِ الحارثُ آبنُ السَّوْداء ! فقال له عبد الملك : ما ولَدتْ والله أمَةٌ خيراً ممـا ولدتْ أمُّه !

وأخبرنى علىّ بن صالح عن أبى هَفَّان عن إسحاقَ بن إبراهيمَ عن الزُّبَير والمَدَائنىّ والمُسَيَّبِىّ : أن أُمّه ماتتْ نصرانيةً وكانت تُسِرُّ ذلك منه، فحضر الأشرافُ جَنازتَها، وذلك فى عَهْد عمرَ بن الخَطّاب — رحمة الله عليه — فسمع الحارثُ من النسـاء لَغَطًا(١)، فسأل عن الخـبر، فعُرِّف أنها ماتتْ نصرانيّةً وأنه وُجِدَ الصليبُ فى عُنُقِها، وكانت تَكْتُمه ذلك، فخرج إلى الناس فقال : آنصرِفُوا رحمكم الله، فإنّ لها أهلَ دينٍ هم أولى بها منّا ومنكم؛ فآستُحْسِن ذلك منه وعَجِبَ الناسُ من فعله .

الغناء فى «ألا لله قوم»... الأبيات

نسبة ما فى هذه الأخبار من الغناء

صـــوت

١٠

أَلَا للهِ قــــومٌ و * لدتْ أُختُ بنى سَهْـمِ

هِشَـامٌ وأبـو عَبْـدِ * مَنَـافٍ مِـدْرَهُ الخَصْمِ

وذو الرُّمْحَـين أَشْـبَاكَ * عـلى القـوّة والحَـزْمِ

فهـذان يَذُودانِ * وذا من كَثَبٍ يَرْمِى

١٥

عروضُه من مَكْفوف الهَزَج(٢) . الغناء لمَعْبَد خَفِيفُ رَمَلٍ مِنْ رواية حَمّاد .

رأى يزيد بن عبد الملك فى غناء معبد وآبن سريج

أخبرنى محمد بن خَلَف وَكِيعٌ قال قال إسماعيل بن مُجَمِّع أخبرنا المدائنىّ عن رُسْتَمَ آبن صالح قال :

(١) فى ب، س، حـ : «لفظا» وهو تحريف . (٢) فى جميع نسخ الأصل : «مكفوف الرمل»، وهو خطأ وصوابه «مكفوف الهزج» . وتقطيع الهزج : مفاعيلن مفاعيلن مرتين . والكف : حذف السابع

٢٠

الساكن . ومطلع هذه القصيدة وأكثر أبياتها حذفت فيها نون مفاعيلن الثانية، فصارت بذلك من مكفوف الهزج .

٣٣ / ١

قال يزيدُ بن عبد الملك يوماً لمَعْبد: يا أبا عبّاد، إنى أُريد أن أخْبِرَك عن نفسى وعنك ، فإن قلتُ فيه خِلافَ ما تَعْلمُ فلا تتَحَاشَ أن تَرُدَّه علىّ، فقد أذنتُ لك . قال : ياأميرَ المؤمنين، لقد وضَعك ربُّك بموضع لا يَعْصِيك إلا ضالٌّ، ولا يَرُدُّ عليك إلا مُخْطِئ. قال : إن الذى أَجِدُه فى غِنائك لا أجده فى غِناء ٱبن سُرَيج : أجدُ فى غنائك مَتَانَةً، وفى غنائه ٱنْخِنَاثاً[1] ولِيناً. قال معبد: والذى أكْرَمَ أميرَ المؤمنين بخلافته، وٱرْتَضاه لعِبَاده، وجعَله أَمِيناً على أُمَّة نبيّه صلى الله عليه وسلّم، ما عَدَا[2] صِفَتِى وصِفَةَ ٱبنِ سُرَيج، وكذا يقول ٱبنُ سريج وأقول؛ ولكن إنْ رأَى أميرُ المؤمنين أن يُعلِمنى هل وَضَعَنى[3] ذاك عنده فَعَل[4]. قال : لا والله، ولكنِّى أُوثِر الطَّرَب على كلّ شىء. قال : يا سيِّدى فإذا كان ٱبنُ سريج يذهَبُ إلى الخَفِيف من الغِناء وأذهبُ أنا الى الكامل التامّ، فأُغَرِّبُ أنا ويُشرِّقُ هو، فمتَى نَلتقِى ؟ قال : أفتقدِرُ أن تَحْكِىَ رقيقَ ٱبن سُرَيج ؟ قال نعمْ ؛ فصنع من وقته لحْنا من الخَفِيف فى :

أَلَا لله قــومٌ و * لَدَتْ أُختُ بنى سَهْـمِ

الأَرْبعَةَ الأَبياتِ. فغنَّاه، فصَاحَ يزيدُ : أحسنتَ والله يامَوْلاى ! أعِدْ فِدَاكَ أبِى وأُمّى، فأعاد، فردّ عليه مثلَ قولِه الأوّل، فأعادَ. ثم قال: أعِدْ فداك أبى وأمّى، فأعاد، فاستَخَفَّه الطَّرَبُ حتى وثَبَ وقال لجَوارِيه : ٱفعلْنَ كما أفعلُ، وجعل يدُور فى الدار ويَدُرْنَ معه وهو يقول :

يا دارُ دَوِّرِينى * يا قَرْقَرُ ٱمْسِكِينى

(١) فى ا ، م ، ء : « أنحانا » وفى ب ، سـ : « انحناء» وكلاهما تحريف . (٢) أى ما جاوز ما قلت صفتى وصفة ٱبن سريج . (٣) وضعنى : حطّ من قدرى . (٤) كذا فى تـ . وفى سائر النسخ : « فليفعل » .

آلَيْتِ مُنْذُ حينٍ * حقًّا لَتَصْرِمِينى
ولا تُوَاصِلِينى * بالله فَارْحَمِينى
* لَمْ تَذْكُرِى يَمِينِى ! *

قال : فلم يزل يَدُورُ كما يَدُورُ الصِّبْيان ويَدُرْنَ معه، حتى خَرَّ مَغْشِيًّا عليه ووَقَعْنَ فوقَه ما يَعْقِلُ ولا يَعْقِلْنَ؛ فابتدره الخَدَمُ [فأقاموه](١) وأقاموا مَنْ كان على ظهره من جواريه، وحَمَلوه وقد جاءت نفسه أو كادتْ .

سيرة جوان بن عمر بن أبى ربيعة

رجع الخبر الى ذكر عمر بن أبى ربيعة — وكان لعمر بنِ أبى ربيعةَ ٱبنٌ [صالحٌ](٢) يقال له "جُوَان"، وفيه يقول العَرْجِىّ :

شَهِيدى جُوَانٌ على حبِّها * أليس بعَدْلٍ عليها جُوَان

فأخبرنى الحَرَمِىّ قال حدّثنا الزُّبَير بن بَكَّار قال حدّثنى يحيى بن محمد بن عبد الله ٱبن ثَوْبَانَ قال :

جاء جُوَانُ بن عمر بن أبى ربيعة الى زِيَاد بن عبد الله الحَارِثىّ وهو إذ ذاك أميرٌ على الحجاز، فشَهِدَ عنده بشَهَادةٍ؛ فتمثّل :

شَهِيدى جُوَانٌ على حبها * أليس بعدلٍ عليها جُوَان

— وهذا الشعر للعَرْجِىّ — ثم قال: قد أجزنا شهادتَك، وقَبِلَه . وقال غيرُ الزُّبير: إنه جاء الى العَرْجِىّ فقال له : يا هذا ! مالى ومالك تُشَهِّرنى(٣) فى شِعْرك ! متى أَشْهدتَنى على صاحبتك هذه ! ومتى كنتُ أنا أَشْهَدُ فى مثل هذا ! قال : وكان ٱمرأً صالحا .

(١) زيادة فى ت . (٢) زيادة فى ب ، س ، حـ . (٣) فى ب ، س ، حـ : « تشهدنى » بالدال .

وأخبرنى الحَرَمِىّ قال حدّثنا الزُّبَير قال حدّثنى بكّار بن عبد الله قال: استعمَل بعضُ وُلَاةِ مكّة جُوَانَ بنَ عُمَرَ على تَبَالَة[1]، فحَمَل على خَثْعَم فى صَدَقَاتِ أموالهم حَمْلًا شَدِيدًا، فجعلتْ خثعمُ سنةَ جُوَانٍ تاريخا؛ فقال ضُبَارَةُ بن الطُّفَيْل :

٣٤ / ١

أَتَلْبَسُنا[2] ليــلَى على شَعَثٍ بنــا * من العــامِ أو يُرمَى بنــا الرَّجَوَانِ

٥

صـــوت

رأتنى كأَشْــلَاءِ[3] اللِّجام ورَاقَها * أخو غَزَلٍ ذو لِمَّــةٍ ودِهَانِ

ولو شَهِدَتْنِى فى ليــالٍ مَضَيْنَ لى * لِعَامَيْن مَرًّا قبــلَ عامِ جُوَانِ

رأتنا كريمَى معشرٍ حُمَّ[4] بينَنــا * هَــوًى فحفِظْنَــاه بحُسْنِ صِيَانِ

تَذُودُ النفوسَ الحائِمَاتِ[5] عن الصِّبا * وهُنَّ بأعنــاقٍ إليــه ثَوَانِى

ذكر حَبَشٌ أنّ الغناءَ فى هذه الأبيات للغَرِيض ثانى ثقيــلٍ بالبِنْصر، وذكر الهشامىّ أنه لقَرَارِيطَ .

١٠

أمة الواحد بنت عمر بن أبى ربيعة

قالوا : وكان لعمرَ أيضاً بنتٌ يقال لهــا : «أَمَةُ الوَاحِد»، وكانت مُستَرضَعَةً فى هُذَيل، وفيها يقول عمر بن أبى ربيعة — وقد خرج يطلبها فضَلَّ الطريقَ — :

(١) تَبالة : بلدة مشهورة من أرض تهامة فى طريق اليمن . قال المهلّبىّ : تبالة فى الإقليم الثانى عرضها تسع وعشرون درجة ا ه . بينها وبين مكّة آثنان وخمسون فرسخا . وكانت أوّل عمل وليه الحجاج، فسار اليها، فلما قرب منها قال للدليل : أين تَبالة؟ وعلى أىّ سَمْتٍ هى؟ فقال : ما يسترها عنك إلا هذه الأكمة . فقال : لا أرانى أميرا على موضع تستره عنّى هــذه الأكمة . أَهْوِن بها ولاية! وكرّ راجعا . ولذلك قيل فى مثل : «أهون من تَبالة على الحجاج» .

(٢) يقال : لبستُ قوما، أى تمليت بهم دهرا، ولبست فلانة عمرى أى كانت معى شبابى، وآلبس الناس على قدر أخلاقهم أى عاشرهم . والرجوان : مثنّى رجا، وهو جانب البئر . وقد أورد الميدانىّ المثل : «حتى متى يرمى بى الرَّجوان» . ورُمِى به الرَّجوان : استهين به كما يستهان بالدلو يرمى به رَجَوا البئر .

(٣) أشلاء اللجام : حدائده بلاسيور .

(٤) حُمَّ : قُضِى وقُدِّر .

(٥) فى ا، م، ى : «الحاميات» .

١٥

٢٠

لم تَدْرِ ولْيَغْفِرْ لها ربُّها * ما جَشَّمَتْنا أَمَةُ الواحدِ
جَشَّمَتِ الهَوْلَ بَرَاذِينَنا[(١)] * نسألُ عن بيتِ أبي خالدِ
نسألُ عن شيخ بني كاهلٍ[(٢)] * أَعْيا خَفَاءً نِشْدَةَ الناشدِ

مولد عمر يوم قتل عمر بن الخطاب ووفاته وقد قارب السبعين

أخبرني بذلك محمد بن خلف بن المَرْزُبان عن أبي بكر العامريّ أخبرنا أحمد ابن عبد العزيز الجَوْهريّ وحَبيبُ بن نَصْر المُهلَّبيّ قالا : حدّثنا عمر بن شَبَّة قال حدّثني يعقوبُ بن القاسم قال حدّثنا أُسَامةُ[(٣)] بن زيد بن الحَكَم بن عَوَانة عن عَوَانة بن الحَكَم — قال : أُراه عن الحَسَن[(٤)] — قال :

وُلد عمرُ بن أبي رَبيعة ليلةَ قُتِل عمرُ بن الخطّاب — رحمة الله عليه — فأيُّ حقٍّ رُفع، وأيُّ باطلٍ وُضع ! . قال عَوَانةُ : ومات وقد قارب السبعين أو جاوزها .

أخبرني الجَوْهريّ والمُهَلَّبيّ قالا : حدّثنا عمر بن شَبَّة قال حدّثني يعقوبُ بن القاسم قال حدّثني عبد الله بن الحارث عن ابن جُرَيج عن عَطَاء قال :

كان عمرُ بن أبي رَبيعة أكبرَ منّي كأنّه وُلد في أوّل الإسلام .

عمر بن أبي ربيعة في مجلس ابن عباس بالمسجد الحرام وإنشاده شعره

أخبرني الجوهريّ والمهلّبيّ قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني هارون بن عبد الله الزُّهريّ[(٥)] قال : حدّثنا ابن أبي ثابت، وحدّثني به عليّ بن صالح[(٦)] بن الهَيْثم عن أبي هَفّان عن إسحاق عن المُسَيَّبيّ والزُّبَيريّ والمدائنيّ ومحمد بن سَلّام ، قالوا : قال أيُّوبُ

---

(١) البراذين : جمع برذون وهو خلاف العراب من الخيل ، وأكثر ما تجلب من بلاد الروم .
(٢) كذا في الديوان . وفي جميع الأصول : « أبي كاهل » . (٣) في ت : « الهيثم » وقد ورد ذكره في السند الآتي بعد : « يعقوب بن القاسم » في جميع النسخ . (٤) في ت : « قال حدّثنا أسامة ابن زيد بن الحكم قال أراه عن الحسن الخ » وفي م : « حدّثنا أسامة بن زيد بن الحكم بن عوانة بن الحكم قال أراه عن عوانة عن الحسن » . (٥) في ت : « الزبيري » . (٦) في ب، س، حـ، ر : « بن أبي صالح » . وقد تكرر ذكره كثيرا « علي بن صالح » .

آبن سَيَّار، وأخبرنى به الحَرَمىّ بن أبى العلاء قال حدّثنا الزُّبَير بن بكّار قال حدّثنى محمد بن الحَسَن المَخزومىّ عن عبد العزيز بن عِمْرَان عن أيُّوبَ بنِ سَيَّار عن عُمَر الرَّكاء[1] قال:

بَيْنا آبنُ عَبَّاس فى المسجد الحرام وعنده نافعُ بن الأَزْرَق وناسٌ من الخوارج يسألونه، إذ أقبل عمرُ بن أبى رَبيعةَ فى ثوبين مَصْبوغين مُوَرَّدين أو مُمَصَّرَيْن[2] حتى دخل وجلس، فأقبل عليه آبنُ عباس فقال أنشِدْنا فأنشَده : ٥

أمِنْ آل نُعْمٍ أنت غَادٍ فمُبْكِرُ * غَداةَ غَدٍ[3] أم رائحٌ فمُهَجِّرُ

حتى أتى على آخرها . فأقبل عليه نافعُ بن الأَزْرَق فقال : اللهَ يآبنَ عباس ! إنّا نضرب إليك أكبادَ الإبل[4] من أقاصى البلاد نسألك عن الحلال والحرام فتتثاقلُ عنّا ، و يأتيك غلام مُتْرَفٌ[5] من مُتْرَفِى قريش فيُنشدك :

رأتْ رَجُلًا أمّا إذا الشمسُ عارضتْ * فيَخْزَى وأمّا بالعشىِّ فيَخْسَرُ ١٠

فقال : ليس هكذا قال . قال : فكيف قال ؟ فقال : قال :

رأتْ رجُلًا أمّا إذا الشمسُ عارضتْ * فيَضْحَى وأمّا بالعَشىِّ فيَخْصَرُ[6]

فقال : ما أُراك إلا وقد حَفِظْتَ[7] البيتَ ! قال : أَجَلْ ! و إن شئت أن أُنشدَك القصيدةَ أنشدتُك إيّاها . قال فإنّى أشاء ؛ فأنشَده القصيدةَ حتى أتى على آخرها . وفى غير رواية عمر بن شَبَّة : أنّ آبن عباس أنشَدها من أوّلها الى آخرها ، ١٥

٣٥ / ١

---

(١) لم نعثر على هذا الآسم . ولعله مضاف الى آسم موضع . وهو كما فى ياقوت ــ بوزن كَتاب ــ . وضع عن آبن دريد ، وآبن فارس بفتح الراء . أو لعله وصف له من ركا الأرض رَكْوًا اذا حفرها . (٢) قال أبو عبيد : الثياب المصّرة : التى فيها شىء من صفرة ليست بالكثيرة . (٣) فى م، ء، أ، ب : «أو» .
(٤) فى ت ، حـ : « المطىّ » . (٥) لم توجد هذه الكلمة إلا فى حـ ، ب .
(٦) يضحى : يظهر للشمس . وعارضت : قابلت . والضمير فيه محذوف أى عارضته . ويخصر : يبرد . (٧) كذا فى ت . وفى سائر النسخ : « إلا قد كنت حفظت ... » . ٢٠

ثم أنشدها من آخرها إلى أوّلها مقلوبةً، وما سمعها قطّ إلا تلك المرّة صَفْحاً[1] . قال : وهــذا غاية الذكاء . فقال له بعضهم : مارأيتُ أذْكى منك قطّ . فقال : لكنّني مارأيتُ قطّ أذكى من علىّ بن أبي طالب — عليه السلام — . وكان ابن عباس يقول : ماسمعتُ شيئا قط إلا رويْتُــه ، وإني لأسمَع صوتَ النائحــة فأسُدُّ أُذُنيّ كراهةَ أن أحفَظ ماتقول . قال : ولامَه بعضُ أصحابه في حفظ هذه القصيدة : «أمن آل نُعْم...» فقال : إنّا نَسْتَجيدُها[2] . وقال الزُّبير في خبره عن عمّه : فكان ابن عباس بعد ذلك كثيرا مايقول : هل أحدَث هذا المُغِيرىُّ شيئاً بَعْدَنا ؟

قال : وحدّثني عبد الله بن نافع بن ثابت قال :

كان عبد الله بن الزُّبير إذا سمع قول عمرَ بن أبي ربيعة :

* فيَضْحَى وأمّا بالعَشِىّ فيَخْصَر *

قال : لا ، بل

* فيَخزَى وأمّا بالعشِىّ فيَخسَرُ *

قال عمرُ بن شَبَّة وأبو هَفّان والزُّبير في حديثهم : ثم أقبلَ على ابنِ أبي ربيعةَ فقال : أنْشِدْ ، فأنشَده :

* تَشُــطُّ غدًا دارُ جيرانِنــا *

وسكَت ؛ فقال ابن عباس :

* ولَلدّارُ بعــدَ غدٍ أبعــدُ *

فقــال له عمرُ : كذلك قلتُ — أصلحك اللهُ — أفسمعتَــه ؟ قال : لا ، ولكن كذلك ينبغى .

(١) أى مرورا ؛ يقال : صفحت الجيش على الأمير إذا أمررته عليــه . (٢) كذا فى ت . وفى سائر النسخ : « فقال : إنها أمن آل نعم ، يستجيدها » .

شعره وخلقه وشهادة الشعراء فيه

أخبرنا الحَرَمىّ بن أبى العَلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بَكّار قال حدّثنى يعقوبُ بن إسحاقَ قال :

كانت العربُ تُقِرّ لقريشٍ بالتقدّم فى كلّ شىء عليها إلا فى الشعر ؛ فإنها كانت لا تُقِرّ لها به ، حتى كان عمرُ بن أبى ربيعة ، فأقرّت لها الشعراء بالشعر أيضا ولم تُنازِعْها شيئا .

٥

قال الزُّبير : وسمعتُ عمّى مُصْعَبًا يُحدّث عن جدّى أنه قال مِثْلَ هذا القول . قال : وحدّثنى عِدّةٌ من أهل العلم أن النُّصَيْب قال : لَعُمَرُ بنُ أبى ربيعةَ أَوْصَفُنا لرَبّاتِ الحِجَال .

قال المدائنىّ قال سليمان بن عبد الملك لعمرَ بن أبى ربيعةَ : ما يَمنعكَ من مَدْحِنا ؟ قال : إنى لا أمدحُ الرجالَ ، إنما أمدح النساء . قال : وكان ٱبن جُرَيْج يقول : مادخَل على العَوَاتِق (١) فى حِجَالهنّ شىءٌ أضرُّ عليهنّ مِنْ شعر عمرَ بن أبى ربيعة .

١٠

قال الزُّبير وحدّثنى عمّى عن جدّى ــ وذكره أيضا إسحاقُ فيما رويناه عن أبى هَفّانَ عنه عن المَدَائنىّ ــ قال قال هشام بن عُرْوَةَ : لا تُرَوُّوا (٢) فَتَيَاتِكم (٣) شعرَ عمرَ بنِ أبى ربيعةَ لا يَتَوَرّطْنَ فى الزِّنا تورُّطا ، وأنشد :

لقـــد أرسلتُ جاريتى * وقلتُ لها خُذِى حَذَرَكْ
وقُـولِى فى مُلاطفـــةٍ * لزينبَ : نَوِّلى عُمَـرَكْ

١٥

(١) جمع عاتق ، وهى الفتاة التى قد أدركت وخُدِّرت فى بيت أهلها ولم تتزوّج ؛ سميت بذلك لأنها عتقت عن خدمة أبويها ولم يملكها زوج بعدُ . (٢) أى لا تحملوهنّ على روايته ؛ يقال : روّيته الشعر وأرويته إياه ، إذا حملته على روايته . (٣) فى ، حـ ، ر ، م : «فتيانكم... لا يتورّطوا» .

أخبرنا علىّ بن صالح قال حدّثنى أبو هَفَّانَ عن إسحاق عن الزُّبيرىّ[١] قال حدّثنى أبى عن سَمُرَةَ الدُّومَانِىّ[٢] من حِمْيَرَ قال :

إنّى لأَطُوف بالبيت فإذا أنا بشيخ فى الطَّوَاف ، فقيل لى : هذا عمرُ بن أبى ربيعةَ . فقبَضْتُ على يده وقلت له : يا بنَ أبى ربيعة . فقال : ماتشاء ؟ قلت : أَكُلّ ماقلتَه فى شعركَ فعلتَه ؟ قال : إليكَ عنِّى . قلتُ : أسألك بالله ! قالَ : نعمْ وأستغفرُ الله .

٣٦
١

قال إسحاق وحدّثنى الهَيْثَمُ بن عَدِىّ عن حَمَّادٍ الرَّاوِيَةِ : أنه سُئِل عن شِعْر عمر ابن أبى ربيعة فقال : ذاك الفُسْتُقُ المُقَشَّر[٣] .

أخبرنى الحَرَمِىّ قال حدّثنا الزُّبَير عن عمّه قال :

سمع الفرزدق شيئا من نَسِيب[٤] عمرَ فقال : هذا الذى كانت الشعراء تَطْلُبه فأخطأته وبكَتِ الديارَ، ووقَع هذا عليه . قال : وكان بالكوفة رجلٌ من الفقهاء تجتمع اليه الناسُ فيتذاكرون العلمَ ؛ فذُكِرَ يوما شعرُ عمرَ بن أبى ربيعة فهَجَّنَه . فقالوا له : بمن ترضَى ؟ ومرّ بهم حَمَّادٌ الراوِيةُ فقال : قد رَضِيتُ بهذا . فقالوا له :

(١) كذا فى ب ، س ، ح ، ر : وفى سائر النسخ : « الزبير » ولعله تحريف ؛ إذ هو مصعب بن ثابت بن عبد الله الزبيرىّ ، وهو يروى عن أبيه . (٢) نسبة إلى « دومان » (بضم أوّله وميم مفتوحة بعدها ألف وفى آخره نون) : بطن من همدان . وهمدان : قبيلة باليمن . كذا ضبطه السمعانىّ فى الأنساب . وقد ضبط بالقلم فى القاموس فى الطبعة الثالثة الأميرية « دومان » بفتح أوّله وسكون ثانيه . (٣) فى أ ، م ، ء : « الفاسق المفسد » وهو تحريف ؛ بدليل قول حماد نفسه فى الحكاية التالية . (٤) فى ب ، س ، م ، ء ، أ : « تشبيب » ، والنسيب والغزل والتشبيب كلها بمعنى واحد .

ما تقول فيمن يزعُم أنّ عمرَ بن أبى ربيعة لم يُحْسِنْ شيئا ؟ فقال : أين هذا ؟ اذهَبُوا بنا اليه . قالوا: نصنَع به ماذا؟ قال : نَنْزُو على أُمّه لعلّها تأتى بمن هو أَمْثَلُ من عمر .

قال إسحاق: وقال أبو المقوّم الأَنْصارىّ : ما عُصِىَ اللهُ بشىء كما عُصِىَ بشعر عمرَ آبن أبى ربيعة .

قال إسحاق : وحدّثنى قَيْس بن داود[1] قال حدّثنى أبى قال : سمعت عمرَ بن أبى ربيعة يقول : لقد كنتُ وأنا شابٌّ أُعْشَق ولا أَعْشَق ، فاليوم صرتُ الى مُدَاراة الحِسَانِ الى المَمَات . ولقد لَقِيَتْنِى فتاتانِ مرّةً فقالت لى إحداهما : اُدْنُ منّى يا آبن أبى ربيعة أُسِرَّ اليك شيئا . فدنوتُ منها ودنَتِ الأخرى فجعلتْ تَعَضُّنِى ، فما شعَرتُ بعَضِّ هذه من لَذّة سِرَار هذه .

قال إسحاق: وذكر عبدُ الصَّمد بن المُفَضَّل[2] الرَّقَاشىّ عن محمد بن فلان الزُّهْرىّ — سقط اسمُه — عن إسحاقَ عن عبد الله بن مَسْلَمة[3] بن أَسْلَمَ قال : لقيتُ جريرا فقلت له : يا أبا حَزْرَةَ ، إنّ شعرَك رُفِع الى المدينة وأنا أُحِبّ أن تُسْمِعَنى منه شيئا . فقال : إنكم يا أهلَ المدينة يُعْجِبكم النَّسيبُ ، و إنّ أَنْسَبَ الناسِ المَخْزُومىُّ . يَعْنِى آبنَ أبى ربيعةَ .

قال إسحاق : وذكرَ محمدُ بن إسماعيلَ الجَعْفَرىّ عن أبيه عن خاله عبد العزيز[4] آبن عبد الله بن عَيَّاش بن أبى ربيعة قال : أشرف عمرُ بن أبى ربيعة على أبى قُبَيْس ، و بنو أخيه معه وهم مُحْرِمون ، فقال لبعضهم : خُذْ بيدى فأخَذ بيده ؛ وقال :

(١) فى ب ، س ، حـ : «رافد» وفى ر: « راقد » . (٢) فى ب ، س ، م : «الفضل» . (٣) فى ت ، حـ ، ر: «سلمة» . (٤) فى ت : «عن خاله عن عبد العزيز» .

ورَبِّ هذه البَنِيَّة[1] ما قلتُ لامرأةٍ قطُّ شيئا لم تَقُلْه لى ، وما كشَفْتُ ثوبًا عن حرام قطُّ . قال : ولمّا مرِض عمرُ مرضَه الذى مات فيه جزِع أخوه الحارثُ جزَعا شديدا . فقال له عمر : أحسَبُك إنما تجزَع لما تَظُنُّه بى ، واللهِ ما أعلم أنّى ركبتُ فاحشةً قطُّ ! فقال : ما كنتُ أُشفِق عليك إلّا من ذلك ، وقد سلَّيْتَ عنّى .

٥ قال إسحاق : حدّثنى مُصعَبٌ الزُّبَيرى قال قال مُصْعَب بن عُرْوَة بن الزُّبير : خرجت أنا وأخى عثمانُ الى مكة مُعتَمِرَيْن أو حاجَّيْن ؛ فلما طُفْنا بالبيت مضَيْنا الى الحِجْر نُصلِّى فيه ، فإذا شيخٌ قد فرَج بينى و بين أخى فأوْسَعْنا له . فلما قضَى صلاتَه أقبل علينا فقال : مَنْ أنتما ؟ فأخبرناه . فرحّب بنا وقال : يا ٱبنَىْ أخى ، إنى مُوَكَّل بالجَمَال أتْبَعُه ، وإنى رأيتُكما فراقَنِى حُسْنُكما وجمالُكما ، فٱستَمْتِعا بشبابكما قبل أن تَنْدَما

١٠ عليه ، ثم قام ؛ فسألْنا عنه فإذا هو عمرُ بن أبى ربيعة .

أخبرنا الحَرَمىُّ قال حدّثنا الزُّبَير قال حدّثنى محمد بن الضَّحّاك قال :

عاش عمرُ بن أبى ربيعة ثمانين سنة ؛ فتكَ منها أربعين سنةً ، ونسَك أربعين سنة .

قال الزُّبير وحدّثنى إبراهيم بن حمزة ومحمد بن ثابت عن المُغيرة بن عبد الرحمن

١٥ عن أبيه قال :

حَجَجْتُ مع أبى وأنا غلامٌ وعلَىَّ جُمَّةٌ[2] . فلما قَدِمتُ مكةَ جئتُ عمرَ بن أبى ربيعة ، فسلَّمتُ عليه وجلستُ معه ، فجعل يَمُدُّ الخُصْلةَ من شعرى ثم يُرسِلُها فترجعُ على ما كانت عليه ، ويقول : واشباباه ! حتى فعَل ذلك مِرارًا . ثم قال لى : يا ٱبن أخى ، قد سمِعتَنى أقولُ فى شعرى : قالتْ لى وقلتُ لها ، وكلُّ مملوكٍ لى حُرٌّ إن كنتُ كشَفْتُ عنها

٢٠ (١) فى ت ، أ ، م ، ء : «الكعبة» وهما ٱسمان لها . (٢) الجمة بالضم : مجتمع شعر

عن فَرْجٍ حرامٍ قطُّ ! فقمت وأنا مُتشكِّكٌ فى يمينه، فسألتُ عن رقيقه فقيل لى : أمّا فى الحوك[1] فله سبعون عبدًا سوى غيرهم .

أخبرنى الحَرَمىُّ بن أبى العَلَاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكَّار قال حدّثتنى ظَبْيةُ[2] مولاة فاطمةَ بنتِ عمرَ بنِ مُصْعب قالت :

مررتُ بجَدِّك عبدِ الله بن مُصْعَب وأنا داخلةٌ منزلَه وهو بفنائه ومعى دفتر، ٥ فقال : ما هذا معكِ ؟ ودعانى . فجئتُه وقلت : شعرُ عمرَ بنِ أبى ربيعة . فقال : وَيْحَكِ ! تَدْخُلين على النساء بشعر عمرَ بن أبى ربيعة ! إنّ لشعره لَمَوْقِعًا من القلوب ومَدْخَلا لطيفا، لو كان شِعْرٌ يَسْحَر لكان هو ، فارجعى به . قالتْ : ففعلتُ .

[قال إسحاق][3]: وأخبرنى الهَيْثَم بن عَدىّ قال :

قَدِمتِ امرأةٌ مكةَ وكانت من أجمل النساء . فبينا عمرُ بن أبى ربيعة يطُوف ١٠ إذ نظَر اليها فوقَعت فى قلبه؛ فدنا منها فكلّمها، فلم تَلتفت اليه . فلما كان فى الليلة الثانية جعل يطلُبها حتى أصابها . فقالت له : إليكَ عنِّى يا هذا؛ فإنك فى حَرَم الله وفى أيامٍ عظيمةِ الحُرْمة . فألحّ عليها يُكلِّمها حتى خافت أن يُشَهِّرها . فلما كان فى الليلة الأخرى قالت لأخيها : اُخرُجْ معى يا أخى فأَرِنى المَنَاسكَ؛ فإنّى لستُ أعرفها ، فأقبلتْ وهو معها . فلما رآها عمرُ أراد أن يَعْرِض لها ، فنظر إلى أخيها ١٥ معها فعدَل عنها؛ فتمثّلت المرأةُ بقول النابغة[4] :

---

(١) فى ت : « الحول » وفى م ، ى : « الحوك » ولم نعثر عليه . ولعله اسم موضع .

(٢) فى ت : « طبية » . (٣) هاتان الكلمتان ساقطتان من أ ، م ، ى . (٤) كذا فى ت . وفى سائر النسخ : « جرير » تحريف . وقد ورد هذا البيت فى كتاب « شرح الأشعار الستة » للأعلم الشنتمرى المخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٨١ أدب ش ضمن قصيدة ميمية للنابغة ، مطلعها : ٢٠

(١) قالت بنو عامر خالوا بنى أسد * يا بؤس للجهل ضرّارا لأقوام

« الفضل » لوا بنى أسد . قاطعوهم ، من خالاه مخالاة وخلاء : فارقه .

تَعْدُو الذئابُ على مَنْ لا كِلاَبَ له * وتَتَّقِي صَـوْلَةَ المُسْتَأْسِدِ الحامى[1]

قال إسحاق: فحدّثنى السِّنْدِيُّ[2] مولى أمير المؤمنين أن المنصور قال — وقد حُدِّث بهذا الخبر —: وَدِدْتُ أنه لم تَبْقَ فتاةٌ من قريش فى خِدْرِها إلاّ سمعتْ بهذا الحديث.

قال إسحاق: قال لى الأصمعيّ: عمرُ حُجَّةٌ فى العربية، ولم يُؤْخَذْ عليه إلا قولُه:

٥ ثم قالوا تُحِبُّهـا قلتُ بَهْـرًا[3] * عَدَدَ الرَّمْلِ[4] والحَصَى والتُّرَابِ

وله فى ذلك مَخْرَجٌ[5]، إذ قد أتى به على سبيل الإخبار. قال: ومن الناس من يزعم أنه إنما قال:

* قيل لى هل تُحِبُّها قلت بَهْراً *

نسبة ما مضى فى هذه الأخبار

شعر عمر الذى غنّى فيه المغنّون

١٠ من الأشعار التى قالهـا عمر بن أبى ربيعة وغنَّى فيها المغنّون

إذ كانت لم تُنْسَب هناك لطول شرحها

منها ما يُغنَّى فيه من قوله:

صـــوت

أَمِنْ آلِ نُعْمٍ أنتَ غادٍ فمُبْكِرُ * غداةَ غـدٍ أم رائحٌ فمهجِّـرُ

١٥ لحاجةِ نفسٍ لم تَقُلْ فى جَوَابِهـا[6] * فتُبْلِـغَ عُـذرًا والمقـالةُ تَعْـذِرُ

(١) فى جميع الأصول: «الضارى» وهو من قصيدة ميمية، كما سبق. وأورده فى اللسان (مادة ثفر) «المستثفر الحامى». يقال: استثفر الكلب، إذا أدخل ذنبه بين فخذيه حتى يلزقه ببطنه. (٢) فى أ، م، ء: «المسندى». (٣) أى أحبها حبا بهرنى بهرا أى غلبنى غلبة. وقيل: معناه عجبا. (عن المغنى). (٤) فى ت: «القطر» وفى ديوانه: «النجم». (٥) وقد خرّج أيضا على أنه استفهام بتقدير الهمزة. والأخفش يجيز حذف الهمزة فى الاختيار، وغيره لا يجيزه إلا فى الضرورة.

٢٠ (راجع المغنى مع حاشية الأمير ج ١ ص ١٢). (٦) يريد: فى جواب سؤالها، أى فى جواب السؤال عنها. وتعذر هنا: تبدى العذر. يريد: لحاجة نفس كتمتها فلم تقل فى جواب سؤال عنها شيئا يبلغ سائليك عذرك؛ فإن التصريح بما تنويه، يكشف عذرك ويبديه.

أشارتْ بمِدْرَاها[1] وقالت لأُخْتِها * أهــذا المُغِيرِىُّ الذى كان يُذْكَرُ؟

فقالتْ : نعمْ لا شــكَّ غيَّر لونَه * سُرَى الليــلِ يَطوِى نَصَّه[2] والتهجُّرُ

رأتْ رجلاً أمّا إذا الشمسُ عارضتْ * فيَضْــحَى وأمّا بالعشىّ فيَخْصَرُ

أخا سفرٍ جَوَّابَ أرضٍ تقاذفتْ * به فَلَواتٌ فَهْــوَ أَشْــعَثُ أَغْبَرُ

وليلةَ ذى دَوْرانَ[3] جَشَّمْتِنِى السُّرَى[4] * وقــد يَجْشَمُ الهولَ المُحِبُّ المغــرَّرُ ٥

فقلتُ : أُبَادِيهــمْ[5] فإمَّا أفُوتُهــم * و إمّا يَنالُ الســيفُ ثأرًا فَيثْأَرُ

هذه الأبياتُ جُمِعتْ على غير تَوَالٍ؛ لأنه إنمــا ذُكِر منها ما فيــه صَنْعةٌ . غنّى فى الأوّل والثانى من الأبيات ٱبنُ سُرَيج خفيفَ رَمَلٍ بالبِنْصَر عن أحمدَ بن المكىّ، وذَكَر حبشٌ أن فيهما لمَعبَدٍ لحنًا من الثَّقِيلِ الأوّل بالبِنْصَر . وغنّى ٱبنُ سُرَيج فى الثالث والرابع أيضا خفيفَ ثقيــلٍ بالوُسْطى ، وذَكَر حَبَشٌ أن فيهمــا لحنا من ١٠ الهَزَج بالوُسْطى لِحَكَم[6] . وغنّى ٱبنُ سريج فى الخامس والسادس لحنًا من الرَّمَل بالوُسْطى عن عمرو بن بَانَه . وذكر يونسُ أن فى السّــابع والثامن لابن سُرَيج لحنا ولم يَذْكُر طريقتَه ، وذكر حبشٌ أن فيهما لمــالك لحنا من الثقيل الثانى بالبِنْصر .

---

(١) فى ديوانه : * قفى فأنظرى أسماء هل تعرفينه * والمدرى والمدراة : حديدة يُحك بها الرأس . (٢) نص السرى : إسراعه . وأصل النص : حث الدابة واستخراج أقصى ما عندها من السير . ١٥

(٣) ذو دوران (بفتح أوّله و بعد الواو راء مهملة وآخره نون) : موضع بين قديد والجحفة (ياقوت) .

(٤) أى كلفتنى السير ليلا . (٥) أجاهرهم وأظهر لهم . ومرجع الضمير فيه ظاهر فى قوله من القصيدة :

فلما تقضى الليــــل إلا أقله * وكادت توالى نجمــــه تتغوّر

أشارت بأن الحىّ قد حان منهم * هبوب ولكن موعد منك عَزْوَرُ

فما راعنى إلا مناد : ترحّلوا * وقد لاح معروف من الصبح أشقر ٢٠

فلما رأت من قد تنبه منهم * وأيقاظهم قالت : أشر كيف تأمر

(٦) فى ب ، سـ : «عن الحكم» .

أخبرنى محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان[1] قال أخبرنى محمد بن إسحاق قال أخبرنى محمد بن حَبِيب[2] عن هِشَام بن الكَلْبيّ :

أنّ عمر بن أبى ربيعة أتَى عبد الله بن عباس وهو فى المسجد الحرام فقال : متّعنى اللهُ بك! إنّ نفسى قد تاقَتْ إلى قول الشِّعر ونازعتْنى إليه، وقد قلتُ منه شيئا أحببْتُ أن تَسمَعَه وتستره علىّ . فقال : أَنشِدْنى، فأنشَدَه :

* أمِن آلِ نُعْمٍ أنتَ غادٍ فمُبْكِرُ *

فقال له : أنت شاعرٌ ياَبنَ أخى ، فقُلْ ما شئتَ . قال : وأنشَد عمرُ هذه القصيدةَ طَلْحةَ بنَ عبد الله بنِ عَوْف الزُّهْرِىّ وهو راكبٌ، فوقَف وما زال شانِقاً[3] ناقتَه حتى كُتبتْ له .

أخبرنى محمد بن خلف بن المرزُبان قال حدّثنى الحُسَينُ بن إسماعيل قال حدّثنا آبنُ عائشةَ عن أبيه قال :

كان جرير إذا أُنشِدَ شعرَ عمر بن أبى ربيعة قال : هذا شعرٌ تِهَامِىٌّ إذا أَنْجَد[4] وَجَد البردَ ، حتى أُنشِد قولَه :

(١) المرزبان، بفتح الميم وسكون الراء وضم الزاى وفتح الباء الموحدة وبعد الألف نون، وهو يطلق فى اللغة الفارسية على الرجل العظيم القدر، ومعناه بالعربية حافظ الحدّ؛ قاله آبن الجواليقىّ فى كتابه «المعرّب» . (انظر آبن خلكان ج ١ ص ٧٢٥) . (٢) كذا فى ت . وفى سائر النسخ : «محمد بن أبى حبيب» وهو تحريف؛ إذ هو محمد بن حبيب أبو جعفر . قال ياقوت : من علماء بغداد باللغة والشعر والأخبار والأنساب وكان ثقة مؤدّبا، ولا يعرف أبوه، وإنما نسب الى أمّه . قال السيد مرتضى : «ومحمد بن حبيب نسّابة، وحبيب هذه أمّه أو جدّته» . وكُتُبُه صحيحة، وله مصنفات فى الأخبار، منها كتاب المحبر والموشّى وغيرهما . مات بسامرّا فى ذى الحجة سنة ٢٤٥ فى أيام المتوكل (راجع ترجمته فى معجم الأدباء لياقوت وبغية الوعاة للسيوطىّ) . (٣) يقال : شنق البعير (من بابى ضرب ونصر) إذا جذبه بالشناق حتى يرفع رأسه . والشناق كالزمام وزنا ومعنى . (٤) كذا فى ت، ح، ر وكتاب الموشح للرزبانى المخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٣٢٩٣ أدب . وفى سائر النسخ «أنشد» .

رأتْ رجُلاً أمّا إذا الشمسُ عارضَتْ * فيَضْحَى وأمّا بالعشىّ فيَخْصَرُ

قليلاً على ظَهر المطيّة ظِلُّه * سِوى ما نَفَى عنه الرداءُ المُحَبَّرُ[1]

وأعجبَها من عَيشها ظِلُّ غُرفةٍ * ورَيّانُ مُلتفُّ الحدائقِ أخضَرُ

ووَالٍ كَفاها كلَّ شىءٍ يهُمُّها * فليستْ لشىءٍ آخرَ الليلِ تَسهَرُ

فقال جرير : ما زال هذا القُرَشىّ يَهْذِى حتى قال الشعر . ٥

أخبرنى محمد بن خَلَف قال أخبرنى أبو عبد الله اليَمامىّ قال حدّثنى الأصمعىّ قال :

قال لى الرشيدُ : أَنشِدْنى أحسنَ ما قيل فى رجل قد لوّحه السَّفَرُ[2]؛ فأنشدته قولَ عمر بن أبى ربيعة :

رأتْ رجلاً أمّا إذا الشمسُ عارضت * فيضحَى وأمّا بالعشىّ فيَخْصَرُ ١٠

أخا سَفَرٍ جَوّابَ أرضٍ تقاذفتْ * به فَلَواتٌ فهو أَشْعَثُ أغبرُ

... الأبياتَ كلَّها . قال : فقال لى الرشيد : أنا واللهِ ذلك الرجلُ . قال : وهذا بعَقِب قدومه من بلاد الرُّوم .

أخبرنى الفضلُ بن الحُباب الجُمَحِىّ أبو خَليفةَ فى كتابه إلىّ : قال حدّثنا محمد ابن سَلّام قال أخبرنى شُعَيبُ بن صَخْر قال : ١٥

كان بين عائشةَ بنت طلحةَ وبين زوجِها عمرَ بن عبيد الله بن مَعْمَرٍ كلامٌ، فسَهِرتْ ليلةً فقالت : إن ٱبنَ أبى ربيعة لجاهلٌ بليلتى هذه حيث يقول : ٣٩/١

ووالٍ كَفاها كلَّ شىءٍ يهُمُّها * فليستْ لشىءٍ آخرَ الليل تَسْهَرُ

أخبرنى علىّ بن صالح قال حدّثنا أبو هَفّانَ قال حدّثنى إسحاقُ عن المدائنىّ قال :

(١) المحبّر : المزيّن المحسّن . (٢) لوّحه السفر : غيّره . ٢٠

عرَض يزيدُ بن معاويةَ جيشَ أهل الحَرَّة ، فمرّ به رجلٌ من أهل الشأم معه تُرْسٌ خَلَقٌ سَمْجٌ[١]، فنظر إليه يزيدُ وضحك وقال له : وَيْحَك ! تُرْسُ عمرَ بن أبى ربيعة كان أحسنَ من تُرْسك . يريد قولَ عمر :

فكان مِجَنِّى دونَ مَنْ كنتُ أتّقى * ثلاثُ شُخُوصٍ كاعِبَانِ ومُعْصِرُ[٢]

٥ أخبرنا جعفر بن قُدَامةَ قال حدّثنى محمد بن عبد الله بن مالك الخُزَاعىّ قال : سمِع أبو الحارث جُمَيْزٌ[٣] مغنّيةً تغنّى :

أشارت بِمِدْراها وقالت لأُختها * أهذا المُغِيرىّ الذى كان يُذْكَرُ ؟

فقال جُمَيْز : امرأتُه طالق إن كانت أشارتْ إليه بمِدْرَاها إلا لتَفْقَأَ بها عينَه ، هلّا أشارت إليه بنقانق[٤] مُطَرَّفٍ بالخَرْدَل[٥] ، أو سَنْبُوسَجَةٍ[٦] مغموسةٍ فى الخَلّ ، ١٠ أو لَوْزِينَجةٍ[٧] شَرِقَةٍ[٨] بالدُّهْن ! فإنّ ذلك أنفعُ له ، وأطيبُ لنفسه ، وأدلُّ على مودّة صاحبته .

---

(١) الترس : صفحة من الفولاذ مستديرة تُحمل للوقاية من السيف ونحوه . والخلق (بالتحريك) : البالى ، يقال للذكر والمؤنث ؛ يقال : ثوب خلق وجبّة خلق . والسمج (بسكون الميم وكسرها) : القبيح .

(٢) المجن : الترس . وحذفت هاء التأنيث من العدد حملا على المعنى ؛ لأنه أراد بالشخص المرأة . ١٥ والكاعب : التى تهد ثديها . والمعصر : التى دخلت فى عصر شبابها .

(٣) ورد فى الأصول التى بأيدينا «جمين» . قال فى القاموس فى مادة جمن : "وأبو الحارث جُمَيْن كقُبَيْط المدنىّ ضبطه المحدّثون بالنون ، والصواب بالزاى المعجمة ؛ أنشد أبو بكر بن مقسم :

إن أبا الحارث جُمَيْزا * قد أُوتى الحكمةَ والمَيْزا"

وهو صاحب النوادر والمزاح (راجع تاج العروس مادة جمن)

(٤) جاء فى شفاء العليل : لقانق (باللام بدل ٢٠ النون الأولى) : اسم لأحد الأمعاء ؛ وبه سمى مِعَى الغنم المحشوّ المقلىّ .

(٥) لعل المراد أنه محسّن بالخردل يوضع عليه . ولم نجد فى كتب اللغة ما يساعد على التثبت من هذا المعنى . والخردل : حب شجر معروف ، كما فى القاموس . قال ابن البيطار : إذا دق كان داخله أصفر وفيه نداوة اهـ وهو المعروف الآن باسم (La moutarde) .

(٦) السَّنْبُوسَج — وورد بالقاف والكاف بدل الجيم — : ما يحشى بقدر (قطع) اللحم والجوز ونحوه من الرُّقاق المعجون بالسمن أو الشَّيْرج . (أقرب الموارد) .

(٧) اللَّوْزِينَج : من الحلواء شبه ٢٥ القطائف يؤدم بدهن اللوز . (أقرب الموارد) .

(٨) شرقة : غاصّة ممتلئة .

أخبرنى الحَرَمىّ قال : حدّثنا الزُّبَير قال حدّثنى عبد العزيز بن أبى أُوَيْس عن عَطّاف بن خالد الوابِصىّ[١] عن عبد الرحمن بن حَرْمَلَة قال :

أُنشد سَعيدُ بنُ المُسَيَّب قولَ عمر بن أبى رَبيعةَ :

وغابَ قُمَيرٌ كنتُ أرجو غُيوبَه[٢] * ورَوّحَ رُعْيانٌ ونَـوَّم سُمَّـرُ[٣]

فقال : ماله قاتله الله ! لقد صغّر ما عظّم الله ! يقول الله عزّ وجل : ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ[٤] ٱلْقَدِيمِ﴾ .

شعر عمر فى فاطمة بنت محمد بن الأشعث الكندية

ومنها ما فيه غِناء لم يُنْسَبْ فى موضعه من الأخبار فنُسِب هاهنا :

صــــوت

تَشُـطُّ[٥] غدًا دارُ جيراننا * ولَلدّارُ بعـدَ غدٍ أبعـدُ

إذا سلَكتْ غَمْرَ[٦] ذى كِنْدَةٍ * مع الصُّبحِ[٧] قَصْدٌ لها الفَرْقَدُ[٨]

عِراقِيّـةٌ ، وتِهامِى الهَوَى * يَغُـورُ بمكّةَ أو يُنْجِـدُ[٩]

وحَثَّ الحُداةُ بهـا عِيرَها[١٠] * سِراعًا إذا ما وَنَتْ تَطْـرُدُ[١١]

---

(١) فى ب ، س ، ح ، ر : « الواصبىّ » . وفى ت : « الواقصىّ » وكلاهما تحريف ؛ إذ هو عطاف بن خالد بن عبد الله بن العاص بن وابصة ، كما فى تهذيب التهذيب . (٢) فى ديوانه : « أهوى » . (٣) نوّم : نام ، والتضعيف فيـه للمبالغة . (٤) العرجون : أصل العذق الذى يعوجّ وتقطع منه الشماريخ فيبقى على النخل يابسا ؛ سمّى بذلك لانعراجه . (٥) تشط : تبعد . (٦) غمـر ذى كندة : موضع وراء وَجْرة بينـه وبين مكة مسيرة يومين . (٧) فى ديوانه . « مع الركب » . (٨) الفرقد : نجمان فى السماء من نجوم الدب الأصغر وهى فى الشمال ، ويقال الفرقد بالافراد ، والفرقدان بالتثنية . ولعـله يريد أنها تسير جهته ؛ لأن العراق التى تقصده فى الشمال الشرقىّ من مكة . وفى ت : « القرقد » بقافين . ولعله تحريف ؛ إذ لم نجد فى هذه المـادة سوى « قرقد » هكذا بدون أداة التعريف اسم جبل قرب مكة . (٩) يأتى الغور والنجد . والغور : المطمئن من الأرض . والنجد : ما غلظ وارتفع منها . والمراد أنه لايريم أغوار مكة ونجادها ومحبوبته عراقية لا يمكن أن يصل اليها . (١٠) العير : الإبل ، ولا واحدله من لفظه . (١١) الحداة : جمع حاد ، وأصله المغنّى للإبل لتنشط فى السير ، وقد يراد به الزاجر والسائق . وونت : ضعفت وتباطأت . وتطرد : تساق .

هُنالكَ إمّا تُعزِّى الفؤادَ * وإمّا على إثْرِها تَكْمَدُ

وليستْ بِبِدْعٍ[1] إذا دارُها[2] * نأتْ والعَزاءُ إذًا أَجْلَدُ

صَرَمْتُ وواصلتُ حتّى علمـ * ـتُ أينَ المَصادرُ والمَوْرِدُ

وجَرَّبْتُ من ذاك حتّى عرفـ * ـتُ ما أتوقّى وما أحْمَدُ

٥ فلما دَنَوْنا لِجَرْسِ[3] النُّبا * حِ والضوءِ، والحيُّ لم يَرْقُدُوا[4]

[نأَيْنا[5] عن الحيِّ حتّى إذا * تَوَدَّعَ[6] من نارِها المَوْقِدُ]

بَعَثْنا لها باغيًا ناشِدًا[7] * وفى الحيِّ بُغْيَةُ مَنْ يَنْشُدُ

أَتَتْنا تَهادَى[8] على رِقْبةٍ[9] * من الخوف أحشاؤها تُرْعَدُ

تقول وتُظْهِرُ وَجْدًا[10] بنا * ووَجْدِى وإنْ أظهرتْ أوْجَدُ

١٠ لِمَا شَقائى تعلّقتُكم * وقد كان لى عندكم[11] مَقْعَدُ

وكفّتْ سَوابِقَ من عَبْرةٍ * على الخدِّ يجرى بها الإثْمِدُ[12]

(١) فى ت « تروع » . (٢) كذا فى ت . وفى سائر النسخ والديوان : « لئن » .

(٣) الجرس : الصوت . (٤) فى الديوان :

فلما دنونا لجرس النباح * إذا الضوء، والحىّ لم يرقدوا

١٥ (٥) أثبتنا هذا البيت عن ديوانه لتوقف المعنى عليه ؛ وليلاحظه مكانه فى الأغانى ؛ فالتاسع صار به العاشر، وهكذا . (٦) تودّع : سكنت ناره وانطفأت . (٧) فى الديوان : « وناموا بعثنا لها ناشدا » .

(٨) تهادى : تمشى فى تمايل وسكون . (٩) الرقبة : التحفّظ والفَرَق . (١٠) الوجد : الشغف والشوق الشديد . (١١) كذا فى أكثر النسخ والديوان . والمراد : من شقائى أنى تعلقتكم وقد كان لى عندكم مكانة ومنزلة . وفى ت : « عنكم » . ومعناه : وقد كان لى منأى عنكم .

٢٠ (١٢) فى ديوانه المطبوع بأوربا : « جال » . والإثمد : حجر للكحل . وقد ورد هذا البيت فى الديوان بعد قوله « أتتنا تهادى ... البيت » والسياق يقتضيه . وقد أبقيناه كما هو فى الأصل؛ لأن البيان الآتى بعد يتبع هذا الترتيب .

٤٠
١

فإنّ الّتى شَيَّعْتَنَا الغَداةَ * مع الفجرِ قلبى بها مُقْصَدُ(١)
[كأنّ أَقَاحِىّ مَوْلِيَّةٍ(٢) * تَحَدَّرُ من ماء مُزْنٍ نَدى(٣)]

غنَّى مَعبَدٌ فى الأوّل والثانى والثالث من الأبيات خَفيفَ ثَقِيلٍ من أصواتِ قليلاتِ الأَشْبَاهِ عن إسحاق . وغنَّى فيها أَشْعَبُ(٤) [المعروف بالطامع] ثانىَ ثقيلٍ بالوُسْطى عن الهشامىّ . وللغَرِيض فى الأبيات الأربعة الأُوَل ثانى ثقيلٍ بالوُسْطَى(٥) عن عمرو . ولابن سُرَيج فى الرابعَ عشرَ وهو : * وكفَّت سوابقَ من عَبْرة * ثم الأوّل والتاسع رَمَلٌ بالوسطى عن ابن المكىّ . ولمالك — ويقال إنه لمَعْبد — خَفِيفُ ثَقِيلٍ فى الرابعَ عشرَ والثالثَ عشرَ والأوّلِ عن الهشامىّ . وفى السابع والثامن والأوّل لابن جامع ثقيلٌ أوّلُ بالوُسْطَى عن الهشامىّ . وفى الأوّلِ والحادىَ عشرَ لابن سُرَيج رَمَلٌ بالبِنْصر فى مَجْراها عن إسحاق ، وفيهما(٦) ثانى ثقيلٍ بالسَّبَّابة فى مَجْرى البِنْصر عن إسحاقَ ولم ينسُبْه إلى أحد ، وذكر أحمد بن المكّىّ أنه لأبيه . وفى الرابع والخامس رَمَلٌ لمعبد عن ابن المكىّ ، وقيل : إنه من مَنْحُولِ أبيه إلى معبد . وفى الثالثَ عشرَ والسادسِ ليونُسَ خفيفُ رَمَلٍ عن الهشامىّ . وفى الأوّل والثانى عشرَ ثانى ثقيلٍ تشترك فيه الأصابعُ عن ابن المكىّ ، وقال أيضا : فيه للأَبْجَرِ لحنٌ آخر من الثَّقيل الثانى . ولمعبد فى الرابع والسادس ثانى ثقيل آخر عنه ، وفيهما

٥
١٠
١٥

---

(١) فى ديوانه :

فتلك التى شيعتها الفتاة * إلى الخدر قلبى بها مقصد

ومقصد : مقتول . (٢) وُليت الأرضُ وَلْيا إذا مُطرت بالوَلْىّ أو الوَلْى بالتسكين ، وهو المطر يأتى بعد المطر ؛ سمىّ بذلك لأنه يلى الوَسْمىّ . والوسمىّ : مطر الربيع الأوّل . (٣) لم يرد هذا البيت بتلك القصيدة فى ديوانه . ولعله مدسوس على شعره لاختلاف رويه . (٤) زيادة فى ت . (٥) فى ت : « ثانى خفيف بالبنصر » وفى حـ ، ر : « ثانى ثقيل بالبنصر » . (٦) كذا فى ت . وفى سائر النسخ : « وفيها » .

٢٠

أيضا رَمَلٌ لابن سُرَيج عنه وعن حَبَش . ولإسحاق في الأول والثاني رَمَلٌ من كتابه . ولِعُلَيَّةَ بنتِ المَهْدِيّ في الثالث عشر والأوّل ثقيلٌ أوّل . ولابن مِسْجَح[1] في الثاني عشر والأوّل رَمَلٌ ، ويقال إنه للرَّطَّاب ، وذكر حَبَش أنه لابن سُرَيْج . وفي الخمسة الأبيات الأولى متواليةً خَفيفُ رَمَلٍ بالوُسْطى يُنسَب إلى معبد وإلى يحيى المكيّ ، وزعم حَبَشٌ أنّ فيها رَمَلًا بالوسطى لابن مُحْرِز . والذي ذكره يونُس في كتابه أنّ في :

* تَشُطُّ غدًا دارُ جيرانِنا *

خمسةَ ألحانٍ : اثنان لمعبد ، واثنان لمالك ، وواحد ليُونُس . وذكر أحمد بنُ عبيد أنّ الذي عُرِف صحّتُه من الغناء فيه سبعةُ ألحانٍ : ثقيلٌ أوّلُ ، وثاني ثقيلٍ ، وخفيفُ ثقيلٍ ، ورَمَلٌ ، وخَفيفُه[2] .

أخبرني بعضُ أصحابنا عن أبي عبد الله بن المَرْزُبان أنّ الذي أحْصَى فيه إلى وقته ستةَ عشرَ لحنًا . والذي وجدتُه فيه مما جمعتُه هاهنا ـ سوى ما لم يَذْكُرْ يونُس طريقتَه ـ تسعةَ عشرَ لحنًا : منها في الثقيل الأوّل لحنان ، وفي خفيف الثقيل لحنان ، وفي الثَّقيل الثاني ستة ، وفي الرَّمل سبعة ، وفي خفيف الرَّمل لحنان .

وهذا الشعر يقوله عمرُ بن أبي ربيعة في امرأةٍ من ولد الأشْعَث بن قيس حَجَّتْ فهويَها وراسلها ، فواصلتْه ودخل إليها وتحدّث معها وخطَبها ، فقالت : أمّا هاهنا فلا سبيل إلى ذلك ، ولكن إن قَدِمْتَ إلى بلدي خاطبًا تزوّجتُك ، فلم يفعل .

أخبرني بهذا الخبر الحَرَميّ بن أبي العَلاء قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنا محمد بن الحَسَن المخزوميّ عن مُحْرِز بن جَعْفر مولى أبي هُريرة عن أبيه قال :

(١) في ت : «ولابن سريج ... وذكر حبش أنه لابن مسجح» . (٢) كذا ورد في جميع النسخ عدا نسخة ت ، م ، ى . والمذكور منها خمسة ألحان لا سبعة ، ولكن ورد في ت : «وثانيا ثقيل» بدل «وثاني ثقيل» ، وورد في م ، ى : «وخفيفا ثقيل» بدل : «وخفيف ثقيل» ؛ وبذلك تكون الألحان سبعة لا خمسة كما ورد في أكثر النسخ .

سمعت بُدَيحًا يقول : حَجّتْ بنتُ محمد بن الأشعث الكِنْدِيَّةُ ، فراسلها عمرُ ابن أبى ربيعةَ ووعدها أن يتلقّاها مَسَاءَ الغَدِ، وجعَل الآيةَ بينه وبينها أن تسمع ناشدًا يَنْشُد — إن لم يمكنه أن يُرسِل رسولًا — يُعلِمُها بمصيره إلى المكان الذى وعَدها . قال بُدَيْح : فلم أشعُر به إلا مُتَلثّمًا، فقال لى : يابديح، آئت بنتَ محمد بن الأشعث فأخبِرْها أنّى قد جئتُ لمَوْعدها؛ فأبيْتُ أن أذهبَ وقلت : مِثْلى لا يُعِين على مثل هذا . فغيَّب بَغْلَتَه عنّى ثم جاءنى فقال لى : قد أَضْلَلْتُ بغلتى فانشُدْها لى فى زُقاقِ الحاجِّ.(1) فذهبتُ فنشَدْتُها؛ فخرجتْ علىَّ بنتُ محمد بن الأشعث وقد فَهِمتِ الآيةَ، فأتته لموعده؛ وذلك قولُه :

وآيةُ ذلك أن تسمَعى * إذا جئتُكم ناشدًا يَنْشُد

قال بُدَيح : فلمّا رأيتُها مقبلةً عرفتُ أنه قد خدَعنى بنَشْدِى البغلةَ ، فقلت له : ياعمر ، لقد صَدَقَتِ الّتى قالت لك :

فهذا سِحْرُكَ النِّسْوا * نَ، قد خَبَّرْنَنِى خبرَكْ(2)

قد سَحَرْتَنِى وأنا رجل ! فكيف برِقَّة قلوب النساء وضَعْف رأيهنّ ! وما آمَنُكَ بعدَها، ولو دخلتَ الطَّوافَ ظننتُ أنك دخلتَه لبَليَّة. قال : وحَدّثها بحَديثى ، فما زالا ليلتَهما يَفْصِلان حديثَهما بالضحك منّى .

قال الزبير : فحدّثنى أبو الهِنْدام(3) مولى الرَّبَعِيِّين عن أبى الحارث بن عبد الله الرَّبَعىّ قال :

---

(1) فى ت ، حـ : « رقاق » . (2) يجوز أن يُقرأ هذا البيت هكذا :

فهذا سحرك، النسوا * نُ قد خبرننى خبرك

(3) فى ت : « الهيذام » . وقد ذكر ابن النديم فى الفهرست طبع ليبزج ص ٨٢ أبا الهندام وقال إن آسمه كلاب بن حمزة من أهل حرّان وقد أقام بالبادية وقيل إنه كان معلما ، وكان عالما شاعرا ، وله من الكتب كتاب النحو وكتاب ما تلحن فيه العامة اه بتصرّف . ولم ندر أهو هذا أم غيره . والهيذام فى اللغة : الرجل الشجاع أو الأكول .

لَقِيَ ابنُ أبي عَتِيق بُدَيحا فقال له : يابُدَيح، أخَدَعَكَ[1] ابنُ أبي ربيعةَ أنه قُرَشيّ؟ فقال بُدَيح : نعمْ! وقد أخطأه ذلك عند القَسْريّ[2] وصَواحبه . فقال ابن أبي عَتِيق : وَيْحَك يابُدَيح ! إنّ من تَغَابَى لك لِيَغْبَى عنكَ ، فقد ضُمّتْ عليه قَبْضَتُك إن كان لك ذهنٌ ، أمَا رأيتَ لِمَنْ كانتِ العاقبةُ ؟ والله ما بَالَى ابنُ أبي ربيعةَ أوَقَع عليهنّ أم وقَعْنَ عليــــه ! .

أخبرني عَمِّي قال حدّثنا محمد بن سَعْد الكُرَانيّ قال حدّثنا العُمَرِيّ عن كَعْب ابن بكر المُحَارِبيّ[3] : أنّ فاطمةَ بنتَ محمد بن الأشْعَث حَجّتْ ، فراسلها عمرُ بن أبي ربيعة فواعدتْه أن تزورَه ، فأعْطَى الرسولَ الذي بشَّره بزيارتها مائةَ دينار .

أخبرني عليّ بن صالح عن أبي هَفّان عن إسحاق عن رجاله المذكورين، قالوا : حَجّتْ بنتٌ لمحمد بن الأشْعث [— هكذا قال إسحاق وهو عندي الصحيحُ —][4] وكانت معها أمُّها وقد سَمِعتْ بعمر بن أبي ربيعة فأرسلتْ إليه، فجاءها فاستنشدتْه ، فأنشدها :

تَشُطُّ غدًا دارُ جيرانِنا * ولَلدّارُ بعدَ غدٍ أبعَــدُ

وذكر القصــة[5] بطولها . قال : وقد كانت لمـّا جاءها أرسلتْ بينها وبينه سترًا رقيقا تراه من ورائه ولا يراها، فجعل يُحَــدثها حتى آستنشدَتْه ، فأنشدها هذه القصيدةَ ،

(١) كذا في ت . وفي ب ، س ، أ ، م ، ء : « أحدّثك » وفي حـ ، ر . « أخذك » .

(٢) يراد به — فيما يظن صاحب الأغاني — خالد بن عبد الله القسريّ المعروف بالخريت . وقد روى عنه أنه نشأ بالمدينة ، وكان في حداثته يخنّث ويتبع المخنّثين والمغنّين ويمشي مع عمر بن أبي ربيعة ويترسل بينه وبين النساء (انظر ج ١٩ من الأغاني طبعة بولاق في أخبار خالد بن عبد الله) .

(٣) كذا في ت . وفي سائر النسخ : « بكير » ولعله تحريف ؛ إذ الغالب أنه أخو القرظ بن بكر المحاربيّ الآتي بعدُ في صفحة ٩٩ من هذا الجزء . (٤) هذه الجملة ساقطة في أ ، م ، ء .

(٥) كذا في ب ، حـ ، ر . وفي سائر النسخ : « القصيدة » .

فاستخفّها الشعرُ فرفَعتِ السِّجْف، فرأى وجهًا حسَنًا فى جسمٍ ناحلٍ، فخطَبها وأرسل إلى أمّها بخمسمائة دينار، فأبتْ وحَجبتْه وقالت للرسول: تعود إلينا[1]. فكأنّ الفتاةَ غمّها ذلك، فقالت لهـا أُمُّها: قد قتَلكِ الوَجْدُ به فتزوّجيه. قالت: لا والله لا يتحدّثُ أهلُ العراق عنّى[2] أنّى جئتُ ٱبنَ أبى ربيعة أخطُبه، ولكن إن أتانى إلى العراق تزوّجته. قال: ويقال: إنها راسلتْه وواعدتْه أن تزوره، فأَجْمَر[3] بيتَه وأعطى المبشِّرَ مائةَ دينار، فأتته وواعدته إذا صدَر[4] الناسُ أن يُشَيِّعها، وجعلتْ علامةَ ما بينهما أن يأتيَها رسولُه ينشُدها ناقةً له[5]. فلما صدَر الناسُ فعل ذلك عمرُ. وفيه يقول وقد شيّعها:

صـــوت

٤٢ / ١

قال الخَليطُ[6] غدًا تَصَدُّعُنا[7] ✽ أو بعدَه[8]، أفلا تُشَيِّعُنا

أمّا الرَّحيلُ فدونَ بعد غد ✽ فمتى تقولُ[9] الدارَ تجمعُنا

لِتَشُوقَنا هندٌ وقد علمتْ[10] ✽ علمًا بأنّ البين يَفزَعنا[11]

(١) فى ت: «لا تعود إلينا». (٢) كذا فى ت. وفى سائر النسخ: «خلفى».
(٣) أجمر بيته: بخّره بعود ونحوه. (٤) صدر الناس: انصرفوا ورجعوا.
(٥) فى ب، سـ: «ناقة له ضلت». (٦) الخليط: القوم المختلطون الذين أمرهم واحد. وقد كثرت هـذه الكلمة فى الشعر العربى؛ لأنهم كانوا ينتجعون أيام الكلأ فتجتمع منهم قبائل شتى فى مكان واحد فيتآلفون ويتحابّون، فاذا ٱفترقوا ساءهم ذلك، وقال شعراؤهم فى هذا المقام ما شاءت لهم فصاحتهم وبلاغتهم. (٧) تصدّع القوم: تفرّقوا. (٨) فى ديوانه، ت، أ، م، ء: «شَيْعَه»؛ يقال: أقام فلان شهرا أو شَيْعَه، أى مقداره أو قريبا منه.
(٩) تقول هنا: تظن. (١٠) فى ديوانه: «قتلت».
(١١) فى ب، سـ، حـ: «يقرعنا». وفى ديوانه، ت، أ، م، ء: «فاجعنا».

عجبًا لمَوْقفنا وموقفها * وبسَمْع ترْبَيْها(١) تُرَاجِعُنَا !

ومَقالِها سِرْ ليلةً معَنا * نَعْهَـدْ(٢) فإنّ البينَ فاجِعُنا(٣) !

قلتُ العيـونُ كثيرةٌ معكم * وأظنُّ أنّ السَّيْرَ مانِعُنا

لا بل نَزورُكُم بأرضِـكُمُ * فيُطاعُ قائلُكم وشافِعُنا

قالتْ أشيءٌ أنت فاعِـلُه * هذا لَعَمْرُكَ أم تُخَادِعُنا ؟ ٥

بالله حَـدِّثْ ما تُؤمِّـلُه * وٱصدُقْ فإنّ الصِّدْقَ واسِعُنا

اِضْرِبْ لنا أجلًا نَعُدُّ له(٤) * إخْلافُ مَوْعِـدِه تَقَاطُعُنا(٥)

الغناء لابن سُرَيج ثقيلٌ أوّلُ مطلَقٌ في مَجْرى البِنْصر عن إسحاق، وذكر عَمْرو أنه للغَرِيض بالوُسْطى. وفيه لابن سُرَيج خفيفُ رملٍ عن الهشاميّ، وذكر حَبَشٌ أنه لموسى شَهَوات. ١٠

شعره في زينب بنت موسى الجمحية

ومنها ممّا لم يُنسب أيضا:

صـــوت

لقـد أرسلتُ جاريتي * وقلتُ لها: خُذِي حَذَرَكْ

وقُـولِي في مُلاطفـةٍ * لزينبَ: نَوِّلي عُمَـرَكْ

فهـزّتْ رأسها عجبًا * وقالت: مَنْ بِذا أمَرَكْ ١٥

أهـذا سِحْـرُكِ النِّسوا * نَ، قد خبّرنَني خَـبَرَكْ(٦)

(١) في الأصول التي بأيدينا: «تربتها». والتصويب عن الديوان. (٢) نأخذ عليك العهد والميثاق أن تلقانا بعد افتراقنا. (٣) في ديوانه، ت: «شاقعنا» أي متعبنا وملازمنا. (٤) أي نحسب الأيام والليالي في انتظاره. وفي ت: «نعـدّ لكم» وفي أ، م، ى: «نعدّ لكم». (٥) كذا في ت، حـ، ر. وفي سائر النسخ: «يقاطعنا». (٦) كذا في حـ، ر، س. وفي سائر النسخ: «خدعك». ٢٠

غنّى فيها[1] ٱبن سُرَيج خفيفَ رمَلٍ[2] بالبِنصر عن عمرو ، وقال قومٌ : إنه للغَريض. وفيها لمالكٍ خفيفُ ثقيلٍ عن ٱبن المكّىّ. وفى هذا الشعر ألحانٌ كثيرةٌ، والشعرُ فيها على غير هذه القافية؛ لأنّ هذه الأبيات لعُمرَ من قصيدةٍ رائيّةٍ موصولة[3] الرّاءات بألفٍ، إلّا أنّ المغنّين غيّروا هذه الأبياتَ فى هـذين اللّحنَيْن، فجعلوا مكانَ الألِف كافًا ؛ وإنّما هى :

لقــد أرسلتُ جاريتى * وقلتُ لها : خُذى حَذَرَا

وأوّل القصيدة :

صـــوت

تَصَابَى القلبُ وٱدَّكَرَا * صِباهُ ولم يكن ظَهـرا

لزينبَ إذ تُجِـدُّ لنـا * صـفاءً لم يكن كَدِرا

أليســتْ بالتى قالتْ * لمـولاةٍ لهـا ظُهُـرَا

أَشِـيرى بالسَّـلامِ له * إذا هُـوَ نحوَنا خَطَـرا[4]

(١) فى ح ، ر ، ب ، س : « فيه » ، والضمير عائد على الشعر أو الصوت ، وهو فى « فيها » عائد على الأبيات . (٢) كذا فى ب ، ح ، ر . وفى سائر النسخ : « خفيف ثقيل » .

(٣) كذا فى ت . وفى سائر النسخ : «مردفة» . وحرف الوصل فى ٱصطلاح علماء العروض هو الذى يقع بعد الروىّ ، وهو على ضربين : أحدهما ما كان بعده خروج (وهى الألف التى بعد الصلة فى القافية) كقوله :

* عفت الديار محلها فمقامها *

والثانى ألّا يكون بعده خروج ، كقوله :

ألا طال هذا الليل وٱزورّ جانبه * وأرّقنى أن لا حبيب ألاعبــه

وهو يقع بحروف اللين أو الهاء تأتى عقب الروىّ . والردف : حرف ساكن من حروف المدّ واللين يقع قبل حرف الروىّ ليس بينهما شىء وهو إن كان ألفا لم يجز معها غيرها ، وإن كان واوا جاز معه الياء (انظر اللسان فى مادتى «وصل» و «ردف») . وبذلك تكون النسخ صحيحة إذا أريد المعنى اللغوىّ ، وأما إذا أريد المعنى الاصطلاحىّ فلا تصح إلا نسخة ت . (٤) فى ديوانه : «نظرا» .

[لقد أرْسلتُ جاريتى * وقلتُ لها: خُذى حَذَرا] [1]
وقُولِى فى مُلاطفـــةٍ * لزينبَ : نوِّلى عُمَــرا [1]
فهــزَّتْ رأسَها عجبًــا * وقالت : مَنْ بِذَا أمَرا!
أهــذا سِحْرُكَ النسوا * نَ ، قد خبَّرْننى الخـبَرا

٥ غنى ابنُ سُرَيج فى الثالث والرابع والخامس والأول [2] خفيفَ ثقيلٍ أوّل بإطلاق الوتر فى مجرى البِنْصر من رواية إسحاق . وذكر عمرو بن بَانَةَ فى نسخته الأولى أنه لابن سُرَيج، وأبو إسحاق ينسبُه فى نسخته الثانية إلى دَحْمانَ . وللغَرِيض فى الأوّل من الأبيات لحن من القَدْر الأَوْسَط من الثقيل الأول بالوُسْطى فى مجْراها، أضاف إليه بيتين ليسا من هذه القصيدة وهما :

٤٣ ١

١٠ طَرِبتَ ورَدَّ مَنْ تهوَى * جِمالُ الحَىِّ فابتَكرا
فقــلْ للــالكيَّةِ [3] لا * تلومى القلبَ إن جَهـرا [4]

وذكر يونسُ أنّ لمعبدٍ فى هذا الشعر الذى أوّله :

* تَصابَى القلبُ وآدّكرا *

لحنين لم يذكر جنسَيْهما، وذكر الهشامىُّ [5] : أنّ أحدَهما خفيفُ ثقيلٍ والآخر رمَلٌ.

١٥ وفى الأبيات التى غنّى فيهــا الغريضُ رَمَلٌ لدَحْمانَ عن الهشامىّ، قال : و يقال إنه لابنــة الزُّبَير . وزينبُ التى ذكرها عمرُ بنُ أبى ربيعةَ هاهنا، يقال لهــا : زينبُ بنتُ موسى أختُ قُدامةَ بن موسى الجُمَحِىّ .

---

(١) نقلنا هــذا البيت من الديوان ووضعناه فى مكانه من ترتيب الشــعر لتوقف السياق عليــه .
(٢) صار الآن السادس بالبيت الذى أثبتناه من الديوان . وكلمة : «والأوّل» بعده ليست فى ت .
٢٠ (٣) فى ت ، أ ، م ، ء : «للبربرية» . (٤) فى حـ ، س : «جرا» . (٥) هذه الكلمة ليست فى ت ، م ، ء .

أخبرنى بذلك محمدُ بنُ خَلَف بن المَرزُبانِ عن أبى بكر العامرىّ . وأخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العَلاء قال حدّثنا الزُّبَير بن بكّار قال حدّثنى عبدُ الرحمن بنُ عبد الله ابن عبد العزيز الزُّهْرىّ قال حدّثنى عمّى عمرانُ(1) بنُ عبد العزيز قال :

شبّب عمرُ بن أبى ربيعة بزينبَ بنتِ موسى الجُمَحيّة فى قصيدته التى يقول فيها :

صـــوت

يا خَليلَىَّ مِنْ مَلامٍ(2) دَعَانِى * وأَلِمَّا الغَداةَ بالأَظْعانِ

لا تلوما فى آلِ زينبَ إنّ الـ * ـقلبَ رَهْنٌ بآلِ زينبَ عانِى

ما أَرَى مابقيتُ(3) أنْ أذكُرَ المو * قفَ منها بالخَيْفِ(4) إلّا شجانِى

— غنّى فى هذه الأبيات الغريضُ خفيفَ رملٍ بالبِنْصر عن عمرو —

لم تَدَعْ للنساءِ عندِىَ حظًّا(5) * غيرَ ما قلتُ(6) مازحًا بلسانى

هى أهلُ الصَّفاء والوُدِّ منّى * وإليها الهَوَى فلا تَعْذُلانِى

حين قالت(7) لأُختها(8) ولأُخرى * من قَطينٍ(9) مُوَلَّدٍ : حَدِّثانى

كيفَ لى اليومَ أن أرَى عُمَرَ المرْ * سِلَ سرًّا فى القول أن يَلْقَانِى(10) ؟

---

(1) كذا فى ت ، حـ . وفى سائر النسخ : « حدّثنى عمى أن عمران بن عبد العزيز » ، وزيادة « أن » غير صحيحة كما هو ظاهر من السند نفسه . (2) فى حـ : «مِلْمَلَامِ» بحذف نون «مِنْ» .
(3) فى ديوانه « ما حييت » . (4) الخيف : ما آرتفع عن مجرى السيل وآنحدر عن غِلَظ الجبل . قال آبن سيده : وخيف مكة موضع فيها عند منى ؛ سمّى بذلك لآنحداره عن الغلظ وآرتفاعه عن السيل .
(5) فى ديوانه : «نصيبا» . (6) فى ديوانه : « كنت » . (7) فى ديوانه : «ثم قالت» .
(8) فى ديوانه ، ت ، أ ، م ، ء : « لتربها » . (9) القطين : الخدم والأتباع والحشم . والمولد من العبيد والإماء : من ولد بين العرب ونشأ مع أولادهم . (10) فى الديوان : « ... المر سل بالهجر قبل أن يلقانى » .

قالتـا : نَبْتَـــغِى رسولاً إليـــه * ونُميتُ الحــــديثَ بالكِتمانِ
إنّ قلبي بعــدَ الذى نِلْتُ منهــا * كالمُعَمَّى عن سائرِ النِّسْوانِ[١]

قال : وكان سببُ ذكره لهـا أنّ آبنَ أبى عتيق ذَكرها عنده يوماً فأطْراها، ووصَــفَ من عقلها وأدبها وجمالهـا ما شغَل قلبَ عُمَرَ وأماله إليها ، فقال فيهـا الشعرَ وشبَّب بهـا ؛ فبلغ ذلك آبنَ أبى عَتِيق ، فلامه فيه وقال له : أتَنطِقُ الشعرَ فى آبنةِ عمّى ؟ فقال عمرُ :

صـــــوت

لا تَلُمْنِى عتيقُ حَسْبِى الذى بى * إنّ بى يا عتيقُ ما قــد كفانى
لا تَلُمْـــنِى وأنتَ زَيَّنْتَهـا لى * أنتَ مثلُ الشيطانِ للإنســانِ
إنّ بى داخلًا من الحبّ قد أبْـ * ـلَى عِظامِى مكنونُه وبَرانى
لو بعينيـــكَ يا عتيقُ نَظَـرْنا * ليلةَ السَّـفْحِ قَرّتِ العينــانِ
إذ بدا الكَشْحُ والوِشاحُ من الدُّ * رِّ وفَصْلٌ فيــه من المَرْجانِ[٢]
قد قَلَى قلبيَ النســاءَ سواهـا * غــيرَ ما قلتُ مازحًا بلســانى[٣]

٤٤
١

(١) فى ديوانه : «كالمعنّى» أى المأسور المحبوس عن غيرها . (٢) لم يرد هذا البيت بتلك القصيدة فى ديوانه . والكشح : ما بين الحجبة — وهى رأس الورك الذى يشرف على الخاصرة — إلى الإبط . والوشاح : شبه قلادة ينسج من أديم عريض ، يرصع بالجواهر تشده المرأة بين عاتقيها .

(٢) ذكر فى ديوانه صدر هذا البيت لبيت آخر وعجزه لبيت ثان هكذا :

لم تدع للنساء عندى نصيبا * غير ما كنت مازحا بلسانى
وقلى قلبى النساء سواها * بعد ما كان مغرما بالغوانى

وأوّل هذه القصيدة :

إنّنى[1] اليـومَ عاد لى أحزانى * وتَذكَّرتُ ما مضَى من زمانى

وتَذكَّرتُ ظبيةً أُمَّ رِئمٍ[2] * هاج لى الشوقَ ذِكرُها فشجانى[3]

غنَّى أبو العُبَيْس[4] بنُ حَمْدون فى « لا تلمنى عتيق ... » لحنًا من الثقيل الأوّلِ المُطلَق، وفيه رَمَلٌ طُنبورِىٌّ مجهولٌ . ٥

---

(١) فى ديوانه :

إننى اليـوم عادنى أحزانى * وتذكّرتُ مَيْعـتى فى زمانى

والميعة : أوّل الشباب وأنشطه (٢) الرئم : ولد الظبية . (٣) فى ديوانه :

* صدع القلب ذكرُها فشجانى *

(٤) كذا فى ت ، حـ ، ر . وفى سائر النسخ : «أبو العنبس» . وقد تكرر ذكر هذين الاسمين كثيرا فى الأغانى فى أجزاء مختلفة ، وذكرهما السنيور جويدى مرتب فهرس الأغانى على أنهما علمان لشخصين مختلفين ، وذكر عمن ظنه أبا العبيس أنه غنى إبراهيم بن المدبّر، وعمن حسبه أبا العنبس أنه أثنى على ألحان عبد الله ابن طاهر . والحقيقة أنهما علمان لشخص واحد ذكر فى الأصل الذى نقلت عنه النسخة الأولى مرة أبا العنبس ومرة أبا العبيس . ولا يبعـد أن يكون اسمـه أبا العنبس نودى به مصغرا تصـغير ترخيم أبا العبيس . وكذلك تختلف النسخ التى بين أيدينا فى أكثر المواضع التى ورد فيها هذا الاسم ؛ ففى الموضع الواحد يذكره بعضها أبا العبيس و بعضها أبا العنبس كاهنا . ومما يدل على أنهما علمان لشخص واحد أنه ورد ذكره فى الأغانى ج ٩ فى أخبار إبراهيم بن العباس ونسبه أبا العبيس وأنه غنى فى هذين البيتين : ١٠ ١٥

فلو كان للشكر شخص يبين * إذا ما تأمـله الناظـرُ

لمثلتـه لك حـتى تراه * فتعـلم أنى امرؤٌ شـاكر

قال أبو الفرج : « الغناء لأبى العبيس ثقيل أوّل وفيه لرذاذ ثانى ثقيل . حدّثنى أبو يعقوب إسحاق بن يعقوب النو بختى قال : حدّثنى جماعة من عمومتى وأهلنا أن رذاذا صنع فى هذين البيتين لحنا أعجب به الناس واستحسنوه ، فلما كثر ذلك صنع فيه أبو العبيس لحنا آخر فسقط لحن رذاذ واختار الناس لحن أبى العبيس » اه وذكر أبو الفرج فى ج ١٢ فى أخبار العتابى ونسبه هذين البيتين وذكر أن الغناء فيهما لأبى العنبس (هكذا) ابن حمدون ثقيل أوّل ولرذاذ خفيف ثقيل (هكذا) ، وذكر القصة المتقدّمة بنصها أو قريب منه . ٢٠

وما أشار اليه السنيور جويدى من أن أبا العبيس غنى إبراهيم بن المدبر وأن أبا العنبس أثنى على ألحان عبدالله بن طاهر لا ينهض دليلا على مازعم ؛ فقد كانا متعاصرين تقريبا . فأما عبدالله بن طاهر فقد كان = ٢٥

أخبرنى الحَرَمىُّ قال حدّثنا الزُّبَيرُ قال أخبرنى عبدُ الملك بنُ عبد العزيز عن يوسفَ بن الماجُشون قال :

أنشد عمرُ بنُ أبى ربيعة قوله :

يا خليلىَّ من ملامٍ دعانى * وألِمّا الغداةَ بالأَظْعانِ

لا تلوما فى آل زينبَ إنّ الـ * ـقلبَ رَهْنٌ بآل زينبَ عانى ٥

... القصيدةَ . قال : فبلغ ذلك أبا وداعةَ السَّهْمِىّ فأنكره وغضب . وبلغ ذلك ٱبنَ أبى عَتِيقٍ وقيل له : إنّ أبا وَدَاعةَ قد ٱعترض لٱبنِ أبى ربيعةَ من دون زينبَ بنت موسى ، وقال : لا أُقِرُّ لٱبنِ أبى ربيعة أن يذكُرَ ٱمرأةً من بنى هُصيْص فى شعره . فقال ٱبنُ أبى عتيق : لا تلوموا أبا وَدَاعَةَ أن يُنْعِظَ مِنْ سَمَرْقَنْدَ على أهل عَدَنَ ! ١٠

= فى عصر المأمون ، وكان المأمون كثير الاعتماد عليه حسن الالتفات إليه ، وكان واليا على الدينور ثم ولى الشام ومصر . وكان عبد الله أديبا ظريفا جيد الغناء ، نسب إليه صاحب الأغانى أصواتا كثيرة أحسن فيها ونقلها أهل الصنعة عنه . وله شعر مليح ورسائل ظريفة . توفى بمرو فى سنة ٢٣٠ هـ

وأما إبراهيم بن المدبر فقد كان فى عصر المتوكل ، وكان كاتبا مقدما من وجوه كتاب أهل العراق ومتقدميهم وذوى الجاه والمتصرفين فى كبار الأعمال ، وكان المتوكل يقدمه ويؤثره ويفضله . وكانت بينه ١٥ وبين عريب حال مشهورة ، كان يهواها وتهواه ، ولهما فى ذلك أخبار كثيرة وأشعار جيدة ذكرها صاحب الأغانى فى أخبار عريب فى ج ١٨ وفى أخبار ابن المدبر فى ج ١٩

وقد ورد هذا الاسم بهذا الاختلاف فى مسالك الأبصار ؛ فكان يذكر باسم أبى العنبس فى سرد أحاديث الغناء ، ولكنه حين أفرد بالترجمة ذكر باسم أبى العيس . وقد يكون فى هذا ترجيح لاختيار الاسم ٢٠ الأخير ؛ لأن الناسخ عادة يكون أكثر تنبها عند تقييد التراجم ؛ إذ كان يكتبها فى سطر واحد وبلون خاص ، وليست كذلك حاله وهو يسرد الأحاديث . وقد أثبتناه فى هذه الطبعة « أبا العيس » وسننبه فى كل موضع يرد فيه على اختلاف النسخ فى رسمه .

قال الزُّبير : وحدّثنى عبدُ الرحمن بنُ عبد الله بن عبد العزيز الزُّهْرِىّ قال حدّثنى عَمّى عِمْرانُ بنُ عبد العزيز قال : شبّب عمرُ بن أبى ربيعة بزينبَ بنتِ موسى فى أبياته التى يقول فيها :

لا تلوما فى آل زينبَ إنّ الـ * ـقلبَ رهنٌ بآل زينبَ عانى

فقال له ٱبنُ أبى عتيق : أمّا قلبُك فقد غُيِّبَ عنّا ، وأمّا لسانُك فشاهدٌ عليك .

قال عبدُ الرحمن بنُ عبد الله قال عِمرانُ بنُ عبد العزيز : عَذَلَ ٱبنُ أبى عتيق عمرَ فى ذكره زينبَ فى شعره ؛ فقال عمرُ :

لا تَلُمْنى عتيقُ حَسْبِى الذى بى * إنّ بى يا عَتيقُ ما قد كفانى

لا تَلُمْنى وأنت زيّنتها لى *

قال : فبدَره ٱبنُ أبى عَتيق ، فقال :

* أنتَ مثلُ الشيطان للإنسانِ

فقال ٱبن أبى ربيعة : هكذا وربِّ البيتِ قلتُه . فقال ٱبنُ أبى عَتيق : إنّ شيطانَك وربِّ القَبْر[(١)] ربّما ألَمَّ بى ، فيَجِدُ عندى من عِصْيانه خلافَ ما يجد عندك من طاعته ، فيُصيبُ منّى وأُصيبُ منه .

أخبرنى الحرمىّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنى عبد الملك بن عبد العزيز قال حدّثنى قُدَامة بن موسى قال :

خرجتُ بأُختى زينبَ إلى العُمْرة ، فلما كنتُ[(٢)] بسَرِفٍ[(٣)] لقينى عمرُ بن أبى ربيعة على فرس فسلَّم علىّ . فقلت له : إلى أينَ أَرَاك متوجِّها يا أبا الخَطّاب ؟ فقال :

---

(١) فى ت : «البشر» . ومن عادة أهل المدينة القسم بالقبر وصاحب القبر . يريدون قبر النبى صلى الله عليه وسلم .
(٢) فى الأصول : «فلما كانت» .
(٣) سَرِف ككتف : موضع على عشرة أميال من مكة قرب التنعيم وبه تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ميمونة بنت الحارث الهلالية رضى الله عنها سنة تسع من الهجرة فى عمرة القضاء وهناك بنى بها وهناك توفيت وهو مصروف ، وبعضهم ترك صرفه ، جعله آسما للبقعة . (ياقوت وشرح القاموس) .

ذُكِرتْ لى ٱمرأةٌ من قومى بَرْزةُ الجمال، فأردتُ الحديثَ معها، فقلت : هل علمتَ أنها أختى ؟ فقال : لا ! وٱستَحْيا وثنَى عُنُقَ فرسه راجعا إلى مكة .

أخبرنى محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حدّثنا أحمد بن الهيثم قال حدّثنا العُمَرىّ عن لَقِيط بن بكر[1] المُحَارِبىّ قال :

أنشدنى ٱبنُ أبى عَتِيق قولَ عمر :

صــــوت

مَنْ[2] لسَقِيمٍ يكتُمُ الناسَ ما به * لزينبَ نَجْوَى صدرِه والوَساوِسُ

أقولُ لمن يَبْغِى الشِّفاءَ متى تَجِئْ * بزينبَ تُدرِكْ بعضَ ما أنتَ لامِسُ

فإنّكَ[3] إن لم تَشْفِ من سَقَمِى بها * فإنّى مِنْ طِبِّ الأطِبّاء آيِسُ

ولستُ بناسٍ ليلةَ الدار مجلسًا * لزينبَ حتى يَعْلُوَ الرأسَ رامِسُ[4]

خَلاءً بَدَتْ[5] قَمْراؤُه وتكشَّفَتْ * دُجُنَّتُه وغابَ مَنْ هو حارِسُ

وما نِلتُ منها مَحْرَمًا غيرَ أننا * كِلانا من الثوب المورَّد لابسُ[6]

نَجِيَّيْنِ نَقْضِى اللهوَ فى غير مَأْثَمٍ * وإن رَغِمتْ مِ ٱلكاشحين المَعاطِسُ

(١) كذا فى ت . وفى سائر النسخ : «بكير» وهو تحريف ؛ إذ هو أبو هلال لقيط بن بكر المحاربىّ الكوفىّ ، كان من الرواة للعلم المصنفين للكتب عاش الى سنة ١٩٠ هـ (انظر فهرست ابن النديم طبع مدينة ليبزج سنة ١٨٧٢ ص ٩٤) .

(٢) كذا فى الديوان ، ت . وفى سائر الأصول : «ومن لسقيم» بالواو . وقد دخل عليه الخرم وهو حذف الفاء من فعولن ؛ والخرم جائز فى مطلع القصيدة .

(٣) فى ديوانه :

* فإنك إلا تأت يوما بزينب *

(٤) الرامس : الدافن فى الرَّمس وهو القبر .

(٥) كذا فى ديوانه . وفى الأصول كلها : «فلما بدت» .

(٦) فى ت ، ا ، م ، ء : «الثوب المطارف» . والمطارف : جمع مطرف بالضم والكسر ، وهو رداء من خز مربع ذو أعلام . قال الفرّاء : وأصله الضم لأنه فى المعنى مأخوذ من أُطرف أى جعل فى طرفيه العلمان ، ولكنهم استثقلوا الضمة فكسروه . والمورّد : الذى صبغ على لون الورد .

قال : فقال آبنُ أبى عَتِيق : أمِنّا يسخَرُ[1] آبن أبى رَبيعة ! فأىُّ مَحْرَم بقِىَ ! ثم أتى عمرَ فقال له : يا عمرُ، ألم تُخبرنى أنّك ما أتيتَ حرامًا قطُّ ؟ قال بَلَى ! قال : فأخبرنى عن قولك :

* كِلَانا من الثّوبِ المورَّد لابسُ *

ما معناه ؟ قال : والله لأُخبِرنّك ! خرجتُ أُريد المسجدَ وخرجتْ زينبُ تريده ، فالتقينا فآتعدْنا[2] لبعض الشِّعَاب، فلما توسّطْنا الشِّعْبَ أخذتْنا السماءُ، فكرِهتُ أن يُرى بثيابها بَلَلُ المطر، فيقالَ لها : ألَا آستترتِ بسَقَائف المسجد إن كنتِ فيه ! فأمرتُ غِلْمانى فستَرُونا بكساء خَزٍّ كان علىّ ؛ فذلك حين أقول :

* كلانا مِنَ الثوب المَطَارِف[3] لابسُ *

فقال له آبنُ أبى عتيق : ياعاهِرُ ! هذا البيت يحتاج إلى حاضِنة !

الغناء فى هذه الأبيات التى أوّلها :

* مَنْ[4] لِسَقِيم يكتُمُ النّاسَ ما به *

لِرَذَاذٍ ثقيلٌ أوّلُ، وكان بعض المحدَثين ممن شاهدناه يدّعى أنه له ، ولم يُصَدَّق .

أخبرنى الحَرَمِىُّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنى عبد الملك بن عبد العزيز عن يوسفَ بن الماجُشُونِ قال :

قال عمر بن أبى ربيعة فى زينب بنت موسى :

---

(١) كذا فى ت . وفى سائر النسخ : «أبنا سخر أخ» . وفى اللسان فى مادة سخر : « الجوهرى ، حكى أبو زيد سخرت به وهو أردأ اللغتين » . (٢) اتعدنا : تواعدنا . (٣) فى ب ، س : « من أثواب المطارف » . (٤) كذا فى ت . وفى سائر النسخ : « ومن » .

صـــوت

طال من آل زينبَ الإعراضُ * للتعـدِّى وما بهـا الإبغـاضُ (١)

ووَليدَيْنِ كان عُلَّقَهـا القلـ * ـبُ إلى أن علا الرءوسَ بياضُ

حبلُها عنـدَنا متينٌ وحَبْـلى * عندها واهِنُ القُـوَى أَنْقاضُ (٢)

الغناء فى هذه الأبيات لابن مُحْرِز خَفيفُ رَمَلٍ بالبِنْصر عن عمرو . وقال الهِشامىّ : فيه لابن جامع خَفيفُ رَمَلٍ آخر .

أخبرنى الحَرَمىُّ بن أبى العَلَاء قال حدّثنا الزُّبَير قال قال عبد الرحمن بن عبد الله وحدّثنى إبراهيم بن محمد بن عبد العزيز عن أبيه قال :

لمّا قال عمر بن أبى ربيعة فى زينب :

لم تَدَعْ للنساء عندى نصيباً * غيرَ ما قلتُ مازحاً بلسانى

قال له ابن أبى عَتِيق : رَضِيتَ لها بالمودّة، وللنساء بالدَّهْفَشَة (٣) . قال : والدّهفشة : التَّجْميش (٤) والخَديعةُ بالشىء اليسير. [وقال (٥) غير الزُّبَيْر فى هذا الخبر : الدهقشة، مكان الدهفشة (٦)] .

---

(١) كذا فى ديوانه ، س ، ت ، أ . وفى ب ، سـ ، م : « للصغيرى وما بها الإبغاض » وهو تحريف . وفى سائر النسخ : «للغيرى وما بها الإبغاض» . وهذه رواية جيدة ، غير أن «أعرض» إنما تتعدى بعن لا باللام . (٢) أنقاض : جمع نِقْض بالكسر ، وهو الحبل الذى لم يُجوّد فتْلُه ولم يُبرم . (٣) فى ب ، سـ ، حـ ، س ، ى : « وللنساء الدهشة » . وفى ت : « وللنساء بالدهنشة » بالنون . وفى م ، ى : « وللنساء الدهشة » . وكل ذلك محرّف عن «الدهفشة» بالفاء . (٤) التجميش : المداعبة والمغازلة . (٥) زيادة فى ت .

(٦) فى هذه النسخة كذا : « الدهفشة مكان الدهنشة » وهو محرّف عما أثبتناه . قال السيد مرتضى : «ومما يستدرك عليه الدهقشة بالقاف لغة فى الفاء ، أورده صاحب اللسان وأهمله الجماعة » .

ومما قاله عمرُ فى زينبَ وغُنِّىَ فيه قولُه :

٤٦
١

صـــوت

أيها الكاشحُ المعيِّر بالصُّـرْ(١) * مِ تزحزحْ فما لها الهجرانُ(٢)

لا مُطاعٌ فى آل زينبَ فارجِعْ * أو تكلَّمْ حتّى يَمَلَّ(٣) اللّسانُ

نجعلُ الليلَ موعدًا حين نُمْسِى * ثم يُخْفِى حديثَنا الكِتمانُ ٥

كيف صبرِى عن بعض نفسى وهل يَصْـ * ـبِرُ عن بعض نفسه الإنسانُ!

ولقد أشهَدُ المحدَّثَ عند الـ * ـقَصْر فيه تعفُّفٌ وبيانُ(٤)

فى زمانٍ من المعيشة لَدْنٍ(٥) * قد مضى عصرُه(٦) وهذا زمانُ

الغناء فى هذه الأبيات لابن سُرَيج رَمَلٌ بالوُسْطى عن عمرٍو ودَنَانيرَ. وذكر يونسُ أنّ فيه لحنًا لابن مُحْرِز ولحنًا لابن عَباد الكاتب، أوّل لحن ابن عبّاد الكاتب : ١٠

* لا مُطاعٌ فى آل زينبَ ... ... *

وأوّل لحن ابن مُحرِز :

* ولقد أشهد المحدَّث ... ... *

ومما غُنِّىَ فيه لابن مُحْرِز من أشعار عمرَ بن أبى ربيعة فى زينبَ بنتِ موسى قولُه :

(١) فى ديوانه : «المعرّض». (٢) الكاشح : عدوّك الذى يوليك كشحه ويعرض عنك بوجهه. والصرم : الهجر. (٣) فى ت : «يكلّ». (٤) كذا فى أكثر النسخ والديوان. ولعله يريد بالمحدّث مكان التحدّث أو التحدّث نفسه. يعنى أنه وإياها كانت لهما عند القصر أحاديث فيها التعفف والبيان فى زمان الخ. وفى حـ : ١٥

ولقد أشهد المحدَّث عنها الـ * ـقَسِّ فيه تعفف وبيان

والقس (بالفتح) هنا : رئيس من رؤساء النصارى فى الدين والعلم. ولعله يريد أن القس إذا ذكرها أفصح فى بيان محاسنها وعفّ فى حديثه عن خلقها وفضائلها. (٥) كذا فى أ، م، ء. واللدن : اللين. وفى سائر النسخ «لذّ» واللذ : اللذيذ؛ قال تعالى : (من خمر لذة للشاربين). ٢٠

(٦) فى ب، سـ : «عسره» وهو تحريف.

صـــوت

يا مَنْ لقلبٍ مُتَيَّمٍ كَلِفٍ * يَهْذِى بخَوْدٍ[1] مَرِيضةِ النَّظَرِ
تمشى الهُوَيْنَى إذا مشتْ فُضُلًا[2] * وهْىَ كمثل العُسْلُوجِ[3] فى الشَّجَرِ

ــ للغَرِيض فى هذين البيتين خَفِيفُ رَمَلٍ بالوُسْطى، ولابن سُرَيج رَمَلٌ بالبِنْصر عن الهِشَامىّ وحَبَش ــ

ما زال طَرْفِى يحَارُ إذ بَرَزَتْ[4] * حتى رأيتُ النقصانَ فى بَصَرِى
أبصرتُها ليلةً ونِسْوَتَها * يَمْشِينَ بين المَقَامِ والحَجَرِ
ما إن طَمِعْنَا بها ولا طَمِعَتْ * حتّى ٱلتقينا ليلًا على قَدَرِ[5]
بِيضًا حِسَانًا خَرائِدًا قُطُفًا[6] * يَمْشِينَ هَوْنًا كَمِشْيَة البَقَرِ
قد فُزْنَ بالحسن والجَمال معًا * وفُزْنَ رِسْلًا[7] بالدَّلِّ والخَفَرِ
يُنْصِتْنَ يومًا لها إذا نطقتْ * كيْما يُشَرِّفْنَها على البَشَرِ
قالت لِتِرْبٍ لها تُحَدِّثُها * لَنُفْسِدَنَّ الطَّوافَ فى عُمَرِ
قُومِى تَصَدَّىْ له ليعرِفَنا * ثم ٱغْمِزِيه يا أُخْتِ فى خَفَرِ

---

(١) الخَوْد: الفتاة الحسنة الخلق الشابة ما لم تصر نَصَفًا، وهى المرأة بين الحدثة والمسنّة.
(٢) كذا فى ديوانه، ح، ر. والفضل بضمتين: المختالة التى تُفضل من ذيلها. وفى سائر النسخ: «قطفا» تحريف.
(٣) العسلوج: الغصن اللين الأخضر.
(٤) فى ديوانه، ح، ر: «نظرت».
(٥) على قدر: على غير موعد. يريد أن التقاءهما كان مقدرا فى الأزل لا علم له به ولا سعى إليه؛ كما قيل:

جاء الخلافة أو كانت له قدرا * كما أتى ربه موسى على قدر

(٦) جمع قَطوف، وهى البطيئة فى السير.
(٧) الرسل بالكسر هنا: الرفق والتؤدة. والخفر: شدّة الاستحياء.

قالت لهــا قــد غمــزتُه فأبى * ثم ٱسْبَطَرَّتْ[1] تسعَى على أَثَرِى
من يُسْقَ بعــد المنــام ريقتَها[2] * يُسْــقَ بمِسْــكٍ وباردٍ خَصِر[3]

[غنَّى فى هــذا الشعر الغَريضُ خفيفَ رمل بالوسطى عن عمرو . وغنّى فيه ابن سُرَيج رَمَلًا بالبنصر عن الهشامىّ وحَبَش[4]] .

[ومنها[5]] :

صـــــوت

ألا يا بَكْرُ قــد طَرَقا * خيالٌ هاج لى الأَرَقا
لزينبَ[6] إنهــا همِّى * فكيفَ بحبلِها خَلَقــا
خَدَلَّجَةٌ[7] إذا ٱنصرفتْ * رأيتَ وِشَاحَها قَلِقــا[8]
وسَــاقًا تمْــلأُ الخَلْخا * لَ فيــه تَراه مُخْتَنِقــا
إذا ما زينبٌ ذُكِرَتْ * سكَبتُ الدمعَ متَّسقا
كأنَّــ سحابةٌ تَهْمِى * بمــاءٍ حُمِلتْ غَــدَقا[9]

الغناء لِحُنَين رَمَلٌ عن الهشامِىّ . وفيــه لأبن عبَّاد[10] خَفِيفُ ثَقِيــل، ويقال : إنه ليونسَ . وممــا قاله [فيها[11]] أيضا وغنَّى فيه :

---

(١) اسبطرت : أسرعت . (٢) كذا فى الديوان . وفى جميع النسخ : * من يسق بعدى الكرى بريقتها *
(٣) كذا فى ديوانه . وفى الأصول : * يسق بكأس ذى لذة خصر * والكأس مؤنثة . والخصر : البارد . (٤) زيادة فى ٮ . (٥) زيادة فى حـ ، ا ، ى ، م . ومرجع الضمير فيه الأشعار التى قالها عمر فى زينب بنت موسى وغنى فيها . (٦) كذا فى حـ ، ر . وفى سائر النسخ والديوان : «بزينب» بالباء . (٧) الخدلجة (مشدّدة اللام) : المرأة الممتلئة الذراعين والساقين .
(٨) كذا فى الديوان ، ٮ ، ا ، ى ، م . وفى سائر النســخ : « ألفت السهد والأرقا » .
(٩) الغدق : الماء الكثير . (١٠) هو محمد بن عباد أبو جعفر مولى بنى مخزوم ، مكىّ من كبار المغنين . ستأتى ترجمته فى الجزء السادس (طبعــة بولاق) . (١١) زيادة فى ٮ .

صــــوت

أَلِمْ بزينبَ إنّ البَيْنَ قد أَفِدا[(١)] * قَلَّ الثَّوَاءُ لَئِن كان الرَّحِيلُ غَدَا
قد حَلَفتْ ليلةَ الصَّوْرَيْنِ[(٢)] جاهدة * وما على المرء إلا الحَلْفُ[(٣)] مجتهِدَا
لأُختها ولأخرى من مَنَاصِفها[(٤)] * لقد وجَدتُ به فوقَ الذى وجَدَا
٥ لو جُمِّعَ النــاسُ ثم آختير صَفْوُهُمُ * شخصًا من الناس لم أَعدِلْ به أحدَا

الغناء لآبن سُرَيج رَمَلٌ بالسَّبَّابة والبِنْصر فى الأوّل والثانى عن يحيي المكّيّ، وله فيه أيضا خَفِيفُ رَمَلٍ بالوُسْطى فى الثانى والثالث والرابع عن عَمْرو . ولِمَعْبَد ثقيلٌ أوّلُ فى الأوّل والثانى عن الهِشَامِيّ[(٥)] . وفيه خفيفُ ثَقِيلٍ يُنْسَبُ إلى الغَرِيض ومالك .

١٠ أخبرنى علىّ بن صالح قال حدّثنا أبو هَفَّانَ عن إسحاق عن مُصْعَبٍ الزُّبَيْرِىّ قال :

اِجتمع نِسْوَةٌ فذ كرْنَ عمرَ بنَ أبى رَبيعةَ وشعرَه وظَرْفَه ومجلسَه وحديثَه، فتَشَوَّقْنَ إليه وتَمَنَّيْنَه . فقالت سُكَيْنَةُ : أنا لَكُنّ به ؛ فبَعَثتْ إليه رسولاً أن يُوافِيَ الصَّوْرَيْنِ ليلةً سَمَّتْها، فوافاهُنَّ على رَوَاحِله، فحدّثهنّ حتى طلَع الفجرُ وحان آنصرافُهنّ . فقال لهنّ : والله إنى لمحتاجٌ إلى زيارة قبر النبىّ صلى الله عليه وسلم والصلاةِ فى مسجده،

١٥ ولكنّى لا أَخْلِط بزيارتكنّ شيئًا[(٦)] . ثم آنصرف إلى مكة وقال فى ذلك :

* أَلِمْ بزينبَ إنّ البينَ قد أفدا *

وذكر الأبيات المتقدّمة .

---

(١) أفد كفرح هنا : دنا وحضر . (٢) الصوران : موضع بالمدينة بالبقيع . وقد ذكره ياقوت وآستشهد بالبيت . (٣) فى ديوانه : «الصبر» . (٤) المنصف (كمنبر ومقعد) : الخادم،
٢٠ والأنثى بالهاء، جمعه مناصف . (٥) فى ت : « وفى الأبيات الأربعة خفيف ثقيل الخ » .
(٦) فى ت : « غيرها » .

عود إلى شهادة جرير والنصيب وغيرهما فى شعر عمر

أخبرنى عمّى قال حدّثنا الكُرَانىّ قال حدّثنا العُمَرىّ عن لَقِيط قال : أنشد جَرِيرٌ قولَ عمرَ بنِ أبى ربيعةَ :

صوت

سَائِلَا الربعَ بالبُلَىِّ[1] وقُولا * هِجْتَ شوقًا لِىَ[2] الغَداةَ طويلا

أين حَىٌّ حلُّوكَ إذ أنت محفو * فٌ بهم آهِلٌ أراكَ جَمِيلا ؟

٥

قال سارُوا فأمْعَنُوا وٱستقلُّوا[3] * وبِرَغْمِى لَو ٱستطعتُ سبيلا

سَئِمُونا وما سئمنا مُقامًا * وأحبُّوا دَمَاثةً وسُهُولا

فقال جَرير : إنّ هذا الذى كنّا نَدُورُ[4] عليه فأخطأناه وأصابه هذا القُرشىّ . وفى هذه الأبيات رَمَلانِ : أحدهما لابن سُرَيج بالسَّبَّابة فى مَجْرى الوُسْطى ، والآخر لإسحاق مطلَقٌ فى مَجْرى البِنْصَر جميعًا من روايته . وذكر عمرو : أن فيها رَملا ثالثا بالوُسْطى لابن جَامِع . وقال الهشَامىّ : فيها[5] ثلاثة أرمال لابن سُرَيْج ، وابن جَامِع ، وإبراهيم . ولأبى العُبَيْس[6] بن حَمْدُون فيها ثانِى ثَقِيلٍ . وفيها هَزَجٌ لإبراهيم المَوْصلىّ من جامع أغانيه .

١٠

أخبرنى الحَرَمىّ قال حدّثنا الزُّبير قال : وجدتُ كتابا بخطّ محمد بن الحَسَن ذُكِر فيه أنّ فُلَيحَ بنَ إسماعيلَ حدّثه عن مُعاذٍ[7] صاحب الهَرَوىّ أن النُّصَيْب[8] قال : عمر بن أبى ربيعة أوْصَفُنا لربّات الحِجَال .

١٥

(١) البُلَىّ (بضم ففتح وياء مشدّدة) : تل قصير أسفلَ حاذَةَ بينها وبين ذات عرق (ياقوت) .
(٢) فى ديوانه : « لنا » . (٣) استقلوا : واصلوا السير وجدّوا فى الارتحال . (٤) يقال : دار عليه وبه وحوله ، إذا طاف . والمراد : أن هذا الذى كنا نبحث عنه لنصل إليه . (٥) فى جميع النسخ : « فيه » . وما أثبتناه هو المناسب لما ورد من الضمائر قبله وبعده . (٦) كذا فى ت ، ح ، ر . وفى سائر النسخ : « ولأبى العنبس » . (٧) فى ح ، ر ، أ : « معاضد » . وفى م ، ء هكذا : « معاذ » .
(٨) سيأتى فى ترجمته فى هذا الجزء أن أهل البادية كانوا يدعونه النصيب (بزيادة أل) تفخيما له .

٢٠

أخبرنى الطُّوسِىّ : قال حدّثنا الزُّبَير قال حدّثتنى ظَمْيَاءُ مولاةُ فاطمةَ بنتِ عمر بن مُصْعَب[١] قالت : سمعت جَدَّك يقول — وقد أُنْشِدَ قولَ عمر بن أبى ربيعة :

٤٨/١

صــــوت

يا ليتنى قد أَجَزْتُ الجبــلَ نَحْوَكُمُ * حَبْلَ المُعَرَّفِ أو جاوزتُ ذا عُشَرِ[٢]

إنّ الثَّوَاءَ بأرضٍ لا أراكِ بها * فاسْتَيْقِنيه ثَوَاءٌ حَــقُّ ذِى كَدَرِ

وما مَلِلْتُ ولكن زاد حُبَّكُمُ * وما ذَكَرْتُكِ إلا ظَلْتُ كالسَّــدِرِ[٣]

ولا جَذِلْتُ بشىءٍ كان بعــدَكُمُ * ولا مَنَحْتُ سواكِ الحبَّ من بَشَرِ

الغناء فى هــذه الأربعة الأبيــات لسَلّام بن الغَسَّانِىّ رَمَلٌ بالسَّبَّابة فى مجرى الوُسْــطَى عن إسحاق . وفيــه لابن جَامِع وقَفَا النجار[٤] لحْنان من كتاب إبراهيم ولم يُجَنِّسهما . وتمام الأبيات :

أَذْرِى الدموعَ كذى سُقْمٍ يُخَامِرُه * وما يُخامِرنى سُقْمٌ سوى الذِّكَرِ

كم قد ذكرتُكِ لو أَجْدَى تذكُّرُكم[٥] * يا أشبهَ الناسِ كلِّ الناسِ بالقمرِ

— قالت : فقال جَدّك : إن لشعرِ عمرَ بن أبى ربيعة لَمَوْقِعًا فى القلب ، ومخالطةً للنفس ليسا لغيره ، ولو كان شعرٌ يَسْحَرُ لكان شعرُه سحرًا .

---

(١) كذا فى حـ ، ر . وفى ت : « عم مصعب » . وفى سائر النسخ : « عمرو بن مصعب » .
(٢) أجزت : جاوزت . والحبل : حبل عرفة ، وهو موضع بعرفات . يقال عَرَّف القومُ ، إذا وقفوا بعرفة . والمعرَّف : موضع الوقوف بها . وذو عشر (بوزن زفر) : واد بين البصرة ومكة . (٣) السدر ككتف : المتحير . (٤) كذا فى ت ، ب ، سـ ، حـ . وفى ر : «قفى النجار» . وفى م : «مبشر النجار» . وفى أ ، ء : «بشر النجار» . ولم نعثر على أحد هذه الأسماء علما لمغنٍّ . فلعل هذا الأخير محرّف عن « نقش النضار » ، وهو لقب لنافع بن طنبورة المغنّى (وسيأتى ذكره فى الأغانى فى الجزء الثامن) .
(٥) فى ديوانه والأمالى (الطبعة الأميرية ج ١ ص ١٩٩) : « أُجْزَى بذكركم » .

أخبرنى الحَرَمىّ قال حدّثنا الزُّبَير قال حدّثنى عِمَامَةُ بن عُمَر[1] قال: رأيت عامر ابن صالح بن عبد الله بن عُرْوة بن الزُّبَير يسأل المِسْوَرَ بن عبد الملك عن شعر عمر ابن أبى ربيعة، فجعَل يذكُر له شيئا لا يعرِفه، فيسألُه أن يُكْتِبَهُ[2] إيّاه فيفعلُ، فرأيته يكتُبُ ويدُه تُرْعَدُ من الفرح.

المفاضلة بين شعره وبين شعر الحارث ابن خالد

أخبرنى الحَرَمىّ قال حدّثنا الزُّبَير قال حدّثنى عبد الملك بن عبد العزيز بن الماجُشُون عن عمّه يوسف قال:

ذُكِر شعرُ الحارث بن خالد وشعرُ عمر بن أبى ربيعة عند ابن أبى عَتِيق فى مجلِس رجل من ولَد خالد بن العَاصِى[3] بن هِشَام، فقال: صاحِبُنا – يعنى الحارثَ ابنَ خالد – أشعرُهما. فقال له ابن أبى عتيق: بعضَ قولك يا بنَ أخى، لِشعْرِ عمر بن ربيعة نَوْطَةٌ[4] فى القلب، وعُلوقٌ بالنفس، ودَرَكٌ للحاجة ليست لشِعْرٍ، وما عُصِىَ اللهُ جلّ وعزّ بشعر أكثَرَ ممّا عُصِىَ بشعر ابن أبى ربيعة، فخُذْ عنّى

(١) فى ت: «غمامة بن عمرو». وفى م: «غمامة بن عمر». (٢) الإكتاب: الإملاء؛ يقال: أكتبنى هذه القصيدة أى أمْلِها علىّ. (٣) كذا فى ح، ب، س. وفى سائر النسخ: «العاص» بحذف الياء. والمبرد يقول: هو العاصى بالياء لا يجوز حذفها وقد لهجت العامة بحذفها. وقال غيره: إنه من الأسماء المنقوصة يجوز فيه إثبات الياء وحذفها اهـ باختصار عن شرح القاموس. وقال ابن دريد فى كتاب الاشتقاق المطبوع فى مدينة جوتنجن سنة ١٨٥٤ ص ٣٤ فى الكلام على عثمان بن عفان بن أبى العاص ابن أمية ما نصه: "والعاص اشتقاقه من قولهم عصى يعصى عصيانا ومعصية، أو من قولهم فصيل عاص إذا لم يتبع أمه، واعتاصت الناقة إذا نفرت من الفحل، وكل مستصعب معتاصٌ والمصدر الاعتياص الخ". وقد روى بالروايتين فى ابن جرير الطبرى طبع أوربا قسم ١ ص ٣٢٥٧ قوله:

لأصبحَنّ العاصىَ بن العاصى   سبعين ألفا عاقدى النواصى
مجنّبين الخيــل بالقِلاص   مستحقبين حَلَقَ الدِّلاص

هكذا بإثبات الياء، كما روى «لأصبحنّ العاصَ وابن العاص» بحذفها. (٤) النوطة: التعلّق. وفى ت، ح، م: «لوطة بالقلب»: أى لصوق به.

ما أصفُ لك: أشعرُ قريش مَنْ دقّ معناه، ولطُف مَدْخَلُه، وسَهُل مَخْرَجه، ومتُن حَشْوه، وتعطّفت حَوَاشيه، وأنارتْ معَانيه، وأعْرَب عن حاجته. فقال المفضّل للحارث: أليس صاحبُنا الذى يقول:

إنّى وما نَحَـرُوا غَـدَاةَ مِـنًى * عنـد الجِمَـار يَئُـودها العَقْل[1]

٥ لو بُـدِّلَتْ أعلى مساكِنِهـا * سُفْلًا وأصـبح سُفْلُها يعْـلُو

فيَكَادُ يعـرِفها الخَبِيرُ بهـا * فَـيرُدُّه[2] الإقْوَاءُ والمَحْـلُ[3]

لعرفتُ مَغْنَاها بمـا ٱحتَمَلتْ * منّى الضـلوعُ لأهلها قَبْـلُ

فقال له ٱبن أبى عَتِيق: يأبن أخى، ٱسترْ على نفسك، وٱكتُمْ على صاحبك، ولا تُشاهِد المحافلَ بمثل هذا؛ أمَا تَطَيَّر الحارثُ عليها حين قلَب ربعَها فجعل عاليَه سافلَه! ما بقِىَ إلا أن يسأل اللهَ تبارك وتعالى لها حِجَارةً من سِجِّيل[4]. ابنُ أبى ربيعة ١٠ كان أحسنَ صُحْبةً للربع من صاحبك، وأجملَ مخاطبةً حيث يقول:

سائلَا الربعَ بالبُـلَىِّ وقـولَا * هِجْتَ شوقًا لِىَ الغـداةَ طويلا

وذكر الأبيات المـاضية. قال: فانصرف الرجل خَجِلًا مُذْعِنا.

٤٩/١

شىء من أخبار الحارث بن عبد الله ابن أبى ربيعة الملقب بالقباع

أخبرنى علىّ بن صالح قال حدّثنى أبو هَفَّان عن إسحاق عن رجاله المسمَّيْن، ١٥ وأخبرنى به الحَرَمىّ عن الزُّبَير عن عمّه عن جدّه، قالوا:

---

(١) كذا فى ت، حـ، ر. ومعناه يثقلها. وفى سائر النسخ: «يؤدّها» من أدّه الأمر يؤدّه ويئده إذا دهاه. والعقل: الحبس. (٢) فى ت، أ، م، ء: «ينكرها». وهى لا تستقيم مع الشطر الثانى. (٣) أقوت الدار: أقفرت وخلت من أهلها. والمحل: الجدب.

(٤) السجيل: الطين المتحجر، وهو فارسى معرّب؛ وأصله سنك أى حجارة وكل أى طين.

كان الحارثُ بن عبد الله بن أبى ربيعة أخو عمرَ بن أبى ربيعة رجلاً صالحا دينًا من سَرَوَاتِ قريش؛ وإنما لُقِّب القُبَاعَ لأن عبد الله بن الزُّبير كان ولّاه البصرةَ، فرأى مكيالا لهم فقال: إنّ مكيالكم هذا لَقُبَاعٌ — قال: وهو الشىء الذى له قَعْر — فلُقِّب بالقُبَاع .

وأخبرنى محمد بن خَلَف بن المَرْزُبَانِ وأحمد بن عبدالعزيزالجَوْهَرِىّ وحَبِيب ابن نَصْر المُهَلَّبِىّ قالوا حدّثنا عمرُ بن شَبَّة قال حدّثنى عبد الله بن محمد الطائىّ قال حدّثنا خالد بن سَعيد قال : ٥

استعمل ابنُ الزبير الحارثَ بن عبد الله بن أبى ربيعة على البصرة، فأتَوْه بمكيال لهم ، فقال لهم : إنّ مكيالكم هذا لَقُبَاعٌ، فغلَب عليه . وقال أبو الأسود الدُّؤَلِىّ — وقد عتَب عليه — يَهْجُوه ويُخاطِب ابنَ الزبير : ١٠

أميرَ المؤمنين جُزِيتَ خيرًا * أَرِحْنا من قُبَاع بنى المُغيرهْ
بَلَوْناه ولُمْنَاه فأَعْيَا * علينا ما يُمِرُّ لنا مَرِيرَهْ[1]
على أنّ الفتى نَكِحٌ أكولٌ * ووَلّاجٌ مذاهبُه كثيرهْ

شعر عمر فى تشوّقه إلى مكة بعد أن خرج منها إلى اليمن

قالوا : وكان الحارث يَنهَى أخاه عن قول الشعر فيأبَى أن يقبلَ منه، فأعطاه ألف دينار على ألّا يقول شعرا ؛ فأخذ المال وخرج إلى أخواله بلَحْجٍ وأَبْيَنَ[2] مخافة أن يَهِيجَه مُقَامُه بمكة على قول الشعر؛ فطَرِبَ يوما فقال : ١٥

(١) كذا فى ت . وفى سائر النسخ : « فأتمر فينا » وهو تحريف . والمريرة والمرير : الحبل الجيد الفتل . وأمره : أحكمه وأبرمه . والمراد أنه لا يحسن أن يسوسهم .

(٢) لحج وأبين : مخلافان باليمن .

صــــوت

هيهاتَ من أَمَـةِ الوَهّاب منزلُنـا * اذا حَلَلْنا بسِيفِ[1] البحرِ من عَدَنِ
وآحتـلَّ أهلُكِ أَجْيادًا[2] وليس لنـا * إلا التـذكُّرُ أو حظٌّ من الحَزَنِ
لو أنّهـا أبصرتْ بالجِـزْع عَبْرَتَه * من أنْ يُغَـرِّدَ قُمْـرِىٌّ على فَنَنِ[3]
٥ اذًا رأتْ غـير ما ظنّتْ بصاحبهـا * وأيقنتْ أنّ لَحْجًـا ليس من وَطَنِي
ما أَنْسَ لا أَنْسَ يومَ الخَيْفِ موقفَها[4] * وموقِـفِى وكلانـا ثَمَّ ذو شَجَنِ
وقولَهـا للـثُّرَيَّا وهى باكيةٌ[5] * والدمعُ منهـا على الخدّين ذو سَـنَنِ[6]
بالله قُـولِى له فى غـير مَعْتَبَـةٍ * ماذا أردتَ بطول المُكْث فى اليمنِ
إن كنتَ حاولتَ دنيا أو ظَفِرتَ بها[7] * فمـا أخذتَ بتَرْك الحجّ من ثَمَنِ

١٠ قال : فسارتِ القصيدة حتى سمعها أخوه الحارث ، فقال : هذا والله شعر عمر ، قد فتَك وغدَر . قال : وقال آبن جُرَيْج : ما ظننتُ أنّ الله عزّ وجلّ ينفع أحدًا بشعر عمر بن أبي ربيعة حتى سمعت وأنا باليمن مُنشِدًا يُنشد قولَه :

---

(١) سيف البحر : ساحله . (٢) أجياد : موضع بمكة ؛ سمى بذلك لأن تُبّعا لما قدم مكة ربط خيله فيه ، فسمى بذلك . وهما موضعان : أجياد الكبير وأجياد الصغير . (٣) كذا فى ت .
١٥ وقد مزج هذا البيت والذى بعده فى سائر النسخ بيتا واحدا هكذا :

لو أنها أبصرت بالجـزع عبرته * ظنت بصاحبها أن ليس من وطنى

وهو تحريف شنيع . وفى ديوانه .

فلو شـهدن غداة البين عبرتنا * لأن تغرد قـمرىّ على فنن
لآستيقنت غير ما ظنت بصاحبها * وأيقنت أن عَكًّا ليس من وطنى

٢٠ وعك : قبيلة يضاف اليها مخلاف باليمن :
(٤) فى ديوانه : * بل ما نسيت ببطن الخيف موقفها * والخيف : موضع بمنى ؛ وبه سمى مسجد الخيف . (٥) فى ديوانه : * وقولها للثريا يوم ذى خُشُب *
(٦) ذو سنن : ذو طرائق . (٧) كذا فى ت . وفى ديوانه : «نَعِمْتَ» . وفى سائر النسخ : «رضيتَ» .

بالله قولى له فى غير معتبة * ماذا أردتَ بطول المكث فى اليمن

إن كنتَ حاولتَ دنيا أو ظفرت بها * فما أخذتَ بترك الحج من ثمن

فحرّكنى ذلك على الرجوع إلى مكة ، فخرجتُ مع الحاجِّ وحججت .

غَنَّى فى أبيات عمرَ هذه ٱبن سُرَيج ، ولحنُه رَمَلٌ بالبِنْصر فى مَجْراها عن إسحاق. وفيها للغَرِيض ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن عمرو .

٥٠/١

طلب الوليد من يخبره عن الطائف فدل على عمر

أخبرنى علىّ بن صالح قال حدّثنا أبو هَفَّان قال حدّثنى إسحاق عن السَّعْدِىّ[(١)] قال : قَدِم الوَلِيدُ بن عبد الملك مكّةَ ، فأراد أن يأتىَ الطائفَ فقال :

هل [لى][(٢)] فى رَجُلٍ علمٌ بأموال[(٣)] الطائف فيُخبِرَنى عنها؟ فقالوا : عمرُ بن أبى ربيعةَ. قال : لا حاجةَ لى به . ثم عاد فسأل فذكروه له فردّه . ثم عاد فسأل فذكروه [له ثم ردّه . ثم عاد فسأل فذكروه له][(٤)] ؛ فقال : هاتوه . فركب معه يحدّثه ، ثم حرّك عمرُ رداءه ليُصْلِحه على كَتِفه ، فرأى على مَنْكِبه أثرًا . فقال : ما هذا الأثر ؟ فقال : كنتُ عند جارية إذ جاءتنى جاريةٌ برسالة من عند جارية أخرى ، فجعلتْ تُسَارُّنى ، فغارَتِ التى كنتُ أُحَدّثها فعضّتْ مَنكِبى ؛ فما وجدتُ ألَمَ عَضّها من لذّة ما كانت تلك تَنْفُث فى أذنى ، حتى بلغتْ ما ترى ، والوليد يضحك . فلمّا رجع عمر قيل له : ما الذى كنتَ تُضْحِكُ أمير المؤمنين به[(٥)] ؟ فقال : ما زِلْنا فى حديث الزِّنَا حتى رجَعْنا .

(١) فى ء ، م ، أ ، ء : « السعيدى » . (٢) زيادة فى ت . وفى ء ، ب : « أن يأتى الطائف فقال : من يخبرنى عنها فقالوا عمر الخ » . (٣) كذا فى الأصول . ولعله « بأحوال » . (٤) زيادة فى ت . (٥) فى ث : « ما الذى كنت تحدث به أمير المؤمنين فأضحكه » .

المفاضلة بينه وبين عبد الله بن قيس الرقيات

أخبرنى الحَرَمىّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنى محمد بن عبد الله البَكْرىّ[١] وغيره عن عبد الجَبَّار بن سَعيد المُسَاحِقِىّ عن أبيه قال :

دخلتُ مسجدَ رسول الله صلى الله عليه وسلم مع نَوْفَل بن مُسَاحِق؛ فإنه لَمعتمدٌ على يدى ، إذ مررنا بسَعِيد بن المسيِّب فى مجلسه وحولَه جلساؤه ، فسلَّمنا عليه فردَّ علينا ، ثم قال لنَوْفل : يا أبا سَعِيد ، مَنْ أَشْعَرُ : صاحبُنا أم صاحبُكم ؟ يريد : عبدَ الله بنَ قَيْس ، أو عمرَ بن أبى ربيعةَ[٢] . فقال نَوْفَلٌ : حينَ يقولان ماذا يا أبا محمد ؟ قال : حين يقولُ صاحبُنا :

خليـــلىّ ما بالُ المَطَايا كأنَّمـا * نَرَاها على الأَدْبار بالقوم تَنْكُصُ[٣]

وقد قُطِعَتْ أعناقُهن صَبَابَةً * فأنفُسُـنا ممـا يُلاقِينَ شُخَّصُ

وقد أتعبَ الحادى سُراهُنَّ وٱنْتَحَى * بِهِنّ فمـا يَألُو عَجولٌ مُقَلِّصُ[٤]

يَزِدْنَ بنـا قـرباً فيزدادُ شَـوْقُنا * إذا زاد طولُ العهد والبعدُ يَنْقُصُ

ويقولُ صاحبُك ما شئتَ . فقـال له نَوفلٌ : صاحبُكم أشعرُ فى الغَزَل ، وصاحبُنا أكثرُ أفَانِينَ شعرٍ . فقال سَعِيد : صدقتَ . فلما ٱنقضى ما بينهما من ذِكْر الشعر ، جعل سَـعيدٌ يستغفر اللهَ ويَعْقِد[٥] بيده حتى وفَّى مائةً . فقال البَكْرىّ فى حديثه عن عبد الجَبَّار : قال مُسْلِم: فلما ٱنصرفْنا قلت لنَوْفل: أَتُرَاه ٱستغفرَ اللهَ من إنشاد الشعر

---

(١) كذا فى ت ، أ ، ء . وفى سائر النسخ : «محمد بن عمر بن عبد الله ...» . (٢) كذا فى حـ ، ر . وفى ت : «يريد عبـد الله بن قيس أم عمر بن أبى ربيعة» . وفى سائر النسـخ : «يريد عبد الله بن قيس أو عمر بن أبى ربيعة» . وكله صحيح . (٣) تنكص : ترجع وتولّى وتُحجم . (٤) مقلص : مشمِّر جادّ فى السير . (٥) يعقد : يحسُب ؛ يقال : عقـد الحاسب يعقد عقدا أى حسَب .

فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : كَلَّا ! هو كثيرُ الإنشادِ والآستنشاد للشعر فيه ، ولكن أحسَبُ ذلك للفخر بصاحبه .

المفاضلة بينه وبين جميل بن معمر العذرى

أخبرنى أحمد بن عبدالعزيز قال حدّثنا عُمَرُ بن شَبَّة قال قال أبو عُبَيدة حدّثنا عَوَانةُ بن الحَكَم وأبو يَعْقُوبَ الثَّقَفِىّ : أنّ الوليدَ بنَ يزيدَ بنِ عبدالملك قال لأصحابه ذاتَ ليلة : أىُّ بيتٍ قالتْه العربُ أغْزَلُ ؟ فقال بعضهم : قولُ جَمِيل :

يموتُ الهوى منِّى إذا ما لَقِيتُها * ويَحْيا إذا فارقتُها فيعودُ

وقال آخر : قولُ عمرَ بن أبى ربيعة :

كأنّنى حينَ أمْسِى لا تُكَلِّمُنِى * ذو بِغْيةٍ يَبْتَغِى ما ليس موجودَا

فقال الوليدُ : حسبُك والله بهذا !

أخبرنى الحَرَمِىّ قال حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدّثنى محمد بن إسماعيل بن إبراهيم آبن عبد الحميد[1] عن شيخ من أهله عن أبى الحارث مَوْلَى هِشَام بن الوليد بن المُغيرة — قال : وهو الذى يقول فيه عمر بن أبى ربيعة :

يا أبا الحارثِ قلبى طائرٌ * فأْتَمِرْ أمرَ رشيدٍ مُؤْتَمَنْ[2] —

قال : شهِدتُ عمرَ بنَ أبى ربيعةَ ، وجَمِيلَ بنَ عبد الله بن مَعْمَر العُذْرِىّ ، وقد آجتمعا بالأَبْطَح ؛ فأنشد جميلٌ قصيدتَه التى يقول فيها :

لقد فَرِحَ الوَاشُونَ أنْ صَرَمَتْ حبلِى * بُثَيْنةُ أو أبدتْ لنا جانبَ البُخْلِ

يقولون مَهْلا يا جميلُ وإنّنى * لأُقْسِمُ مالى عن بُثَيْنةَ من مَهْلِ

(١) فى ت : « محمد بن إسماعيل بن عبد الحميد » . وفى س : « محمد بن إسماعيل بن إبراهيم آبن عبد الله بن عبد الحميد » . (٢) كذا فى ت . وفى سائر النسخ : « مؤتمر » بالراء وهو تحريف ؛ إذ أن هذه القصيدة نونيّة مطلعها فى ديوانه :

من رسوم باليات ودِمَنْ * عاد لى همّى وعاودتُ دَدَنْ

وفى هذا الجزء ص ١٥٧ :

أمن الرسم وأطلال الدمن * عاد لى وجدى وعاودت الحزن

حتى أَتَى على آخرِها ، ثم قال لعمرَ : يا أبا الخطّاب ، هل قلتَ فى هـذا الرَّوِىّ شيئا؟ قال نعم . قال : فأنْشِدْنيه؛ فأنشدَه قولَه :

جَرَى ناصحٌ بالوُدِّ بينى وبينَها * فقرَّبنى يومَ الحِصَابِ[1] إلى قَتْلِى

فطارتْ بحَدٍّ من فؤادى وقارنتْ[2] * قرينتُها[3] حبلَ الصَّفاء إلى حبلى

فلمّا تَواقَفْنا عرفتُ الذى بها * كمثلِ الذى بى حَذْوَكَ النعلَ بالنعلِ

فقُلْنَ[4] لها هـذا عِشاءٌ وأهلُنا * قريبٌ أَلَمَّا تَسْأَمِى مَرْكَبَ البَغْلِ

فقالتْ فما شئتُنّ قلن لها آنزِلى * فَلَلأرضُ خيرٌ من وقوفٍ على رَحْلِ[5]

نُجومٌ دَرارِىٌّ[6] تَكَنَّفْنَ صورةً * من البدرِ وافتْ غيرَ هُوجٍ[7] ولا عُجْلِ

فسلّمتُ وآستأنستُ خِيفةَ أن يَرَى * عدوٌّ مُقَامِى أو يَرَى كاشحٌ فِعْلِى

فقالتْ وأَرْخَتْ جانبَ السِّترِ إنّما * معى فتكلَّمْ غيرَ ذى رِقْبَةٍ أَهْلِى

فقلتُ لها ما بى لهم من تَرَقُّبٍ * ولكنّ سِرِّى ليس يَحْمِلُه مثلِى

فلمّا آقتصرْنا دونهنّ حديثَنا * وهُنّ طَبِيباتٌ[8] بحاجة ذى الشَّكْلِ

عَرَفْنَ الذى تَهْوَى[9] فقلنَ آئذَنِى لنا * نَطُفْ ساعةً فى بَرْدِ ليلٍ وفى سَهْلِ

---

(١) الحصاب كالمحصَّب : موضع رمى الجمار. (٢) كذا فى ديوانه . وفى الأصول : « مهامى » . (٣) فى ديوانه : « ونازعت قرينتَها » . وفى ت ، م ، ى : « وقربت قرينتَها » . (٤) كذا فى ديوانه و ت . وفى سائر النسخ : « فقلت » وهو تحريف . (٥) كذا فى ديوانه و ا ، ر . وفى سائر النسخ : « رِجْل » . (٦) درارى ، ممنوعة من الصرف ، ونونت لضرورة الشعر . (٧) هوج : جمع هوجاء وهى المتعجلة فى السير كأن بها هوجا وحمقا . (٨) كذا فى ت . وفى ديوانه : « وهنّ طبيبات بحاجة ذى التبل » . وفى سائر النسخ :

* وهنّ ظنينات بحاجة ذى الشكل *

وهو تحريف . والشِّكل : دلّ المرأة وغزلها . والتبل : أن يسقم الهوى صاحبه و يغلب عليه . (٩) فى ت ، ر ، ح : « نهوى » .

فقالتْ فلا تَلْبَثْنَ قُلْنَ تَحَدَّثِى * أتيناكِ، وٱنْسَبْنَ ٱنسيابَ مَهَا الرَّمْلِ
وقُمْنَ[1] وقد أفهمْنَ ذا اللُّبِّ أنما * أَتَيْنَ[2] الذى يأْتِينَ من ذاك من أَجْلى

فقال جَميلٌ : هيهاتَ يا أبا الخَطَّاب ! لا أقولُ واللهِ مثلَ هذا سَجِيسَ[3] الليالى ، والله ما يُخاطِبُ النساءَ مخاطبتَك أحدٌ . وقام مُشَمِّرًا .

قال أبو عبد الله الزُّبَير قال عمى مُصْعَب : كان عمرُ يُعارِض جَميلًا ؛ فاذا قال هذا قصيدة قال هذا مثلَها . فيقال : إنه فى الرائيّة والعَيْنيّة أشعرُ من جميل ، وإنّ جميلا أشعر منه فى اللاميّة ، وكلاهما قد قال بيتًا نادرا ظريفا ؛ قال جميل :

خليلىَّ فيما عِشْتُما هل رأيْتُما * قتيلًا بكى من حبِّ قاتِله قبلى

وقال عمر :

فقالتْ وأرختْ جانبَ السِّتْرِ إنّما * معى فتكلّم غيرَ ذى رِقْبةٍ أهلى

كلمة الفرزدق وقد سمع شعر عمر

أخبرنى علىّ بن صالح قال حدّثنا أبو هَفَّان عن إسحاق عن المَدائنىّ قال : سمِع الفرزدقُ عمرَ بن أبى ربيعةَ يُنْشِد قولَه :

جَرَى ناصحٌ بالوُدِّ بينى وبينها * فقرّبنى يوم الحِصَابِ إلى قتلى

ولمّا بلغ قولَه :

فَقُمْنَ وقد أفهمنَ ذا اللبّ أنما * أَتَيْنَ الذى يأتينَ من ذاك من أجلى

صاح الفرزدق : هذا والله الذى أرادته الشعراءُ فأخطأتْه ، وبكتْ على الديار .

٥٢/١

(١) فى الديوان : « فقمن » بالفاء . وقد ذكره المؤلف بعد فى هذه الصفحة كرواية الديوان .
(٢) فى ديوانه : * فعلن الذى يفعلن فى ذاك من أجلى *
(٣) هذه كلمة تستعمل للتأبيد ؛ يقال : لا آتيك سجيس الليالى ، أى لا آتيك أبدا .

نسبة ما في هذه الأشعار من الغناء

الغناء في قصيدتي جميل وعمر اللاميتين

منها في قصيدة جَمِيل التي أنشدها عمرَ، واستنشده ما لَه في وزنها :

صــــوت

خليــلَيَّ فيما عِشْتُما هل رأيتُمـا * قتيلًا بكى من حبِّ قاتلِه قبــلى

أَبِيتُ مع الهُـلَّاكِ[1] ضيفًا لأهلها * وأهلى قريبٌ مُوسِعُون ذوو فضلِ

أَفِق أيها القلبُ اللَّجُوجُ عن الجَهْلِ * ودَعْ عنك "جُمْلًا" لا سبيلَ إلى جُمْلِ

فلو تركتْ عقــلى معى ما طلبتُهــا * ولكنْ طِلَابِيها[2] لِمــا فات من عقْلِى

الغناء للغَرِيض ثانى ثَقِيلٍ بالوُسْطى عن عمرو فى الأوّل والثانى من الأبيات .
وذكر الهِشَامىّ الأبياتَ كلَّها ووصف أنّ الثَّقيلَ الثانىَ الذى يُغَنَّى به فيها لمَعْبَـد .
وذكر يحيى المكّىّ: أن لابن مُحْرِز فى الثالث وما بعده من الأبيات ثانىَ ثَقِيلٍ بالخِنْصَر والبِنْصَر. وفى هذه الأبيات التى أوّلها الثالثُ هَزَج بالبِنْصر يمانٍ عن عمرو. وفى الرابع والخامس لابن طُنْبُورَةَ خَفِيفُ رَمَلٍ عن الهِشَامىّ . وفيهـا لإسحاق ثقيلٌ أوّلُ عن الهِشَامىّ أيضا. وذكر حَمَّادٌ عن أبيه: أن لنافع الخَيْرِ مَوْلى عبد الله بن جعفر فى هذه الأبيات لحنًا، ولم يُجَنِّسْه . وذكر حَبَشٌ أنّ الثقيل الأوّلَ لابن طُنْبورةَ .

ومنهـا فى شعر جميل أيضا :

صــــوت

لقد فَرِح الواشونَ أنْ صَرمتْ حبلى * بُثَيْنةُ أو أبدتْ لنـا جانبَ البخلِ

فلو تركتْ عقــلى معى ما طلبتُهـا * ولكن طِلَابِيها لِمـا فات من عقلى

الغناء لابن مِسْجَح ثقيلٌ أوّل بالوسطى عن الهشامىّ .

(١) الهلّاك هنا : الصعاليك الذين ينتابون الناس ابتغاء معروفهم . (٢) طِلَابيها : مطالبتى إياها .

ومنها فى شعر عمر بن أبى ربيعة المذكور فى أوّل الخبر :

صـــوت

فقالتْ وأَرْخَتْ جانبَ السِّترِ إنّما * معى فتحدّثْ غيرَ ذى رِقْبةٍ أهلِى

فقلتُ لها ما بى لهم من تَرَقُّبٍ * ولكنّ سرّى ليس يحمله مثلِى

جرى ناصحٌ بالوُدّ بينى و بينها * فقرّبنى يوم الحِصَاب إلى قتلِى ٥

غنّى فى هذه الأبيات ٱبنُ سُرَيج، ولحنه رَمَلٌ مُطْلَقٌ[1] فى مَجْرَى البِنْصر عن إسحاق وعمرو[2]. وذكر يونس: أنّ فيه لحنا لمالك لم يُجنِّسه[3]، وذكر الهشامىّ: أنّ لحنَ مالك خَفِيفُ ثقيلٍ. وذكر حَبَشٌ[4]: أن لمَعْبَد فيه لحنا من الثّقيل الأوّل بالبِنْصر، ولٱبن سُرَيج ثانى ثقيل بالوُسْطى. [وليس حبشٌ ممن يُعتمَد فى هذا على روايته][5] .

استحسان الناس شعر عمر وتفضيله على شعراء عصره

أخبرنى الحَرَمىُّ بن أبى العَلَاء قال حدّثنا الزُّبَير بن بكّار قال : ١٠

أدركتُ مَشْيَخَةً[6] من قُرَيْش لا يَزِنُونَ بعمر بن أبى ربيعة شاعرًا من أهل دهره فى النَّسيب، و يستحسنون منه ما كانوا يستقبحونه من غيره من مدح نفسه، والتّحلّى بمودّته، والٱبتِيَارِ فى شعره . والٱبتيارُ : أن يفعل الإنسانُ الشىءَ فيذكُرَه و يَفخَر به . والٱبتهارُ : أن يقولَ ما لم يفعل .

٥٣ / ١

نقد ٱبن أبى عتيق أبيات عمر الرائية

أخبرنى محمد بن خَلَف قال أخبرنى عبد الله بن عمر[7] وغيره عن إبراهيم بن المُنْذِر الحِزَامىّ[8] عن عبد العزيز بن عِمْران قال : قال ٱبن أبى عَتِيق لعمر وقد أنشده قولَه : ١٥

(١) فى ت : «بإطلاق الوتر» . (٢) هذه الكلمة ساقطة من ت . (٣) فى ء، م، أ : «وذكر عمرو» . (٤) فى ت : «حبش بن موسى» . (٥) هذه الجملة ساقطة من أ، م، ء . (٦) مشيخة : جمع لشيخ . (٧) فى حـ، س : «عمرو» . (٨) فى ت : «الحرامى» . وفى ب، س : «الخزامى» وكلاهما تصحيف؛ إذ هو ابراهيم بن المنذر بن عبد الله بن المنذر بن المغيرة ٱبن عبد الله بن خالد بن حِزام الأسدى الحِزامى . (انظر تقريب التهذيب) . ٢٠

صـــوت

بينَما يَنْعَتْنَنِي أبْصَـرْنَنِي * دونَ قِيدِ المِيلِ[1] يَعْدُو بِي الأَغَرّْ
قالتِ الكبرى أتَعْـرِفْنَ الفَتَى * قالتِ الوُسْطَى نعمْ هـذا عُمَرْ
قالتِ الصغرى وقد تَيَّمْتُهـا[2] * قد عرفناه وهـل يَخْفَى القمرْ

— الغناء في هـذه الأبيات لآبن سُرَيج خَفيفُ رَمَلٍ بالبِنْصر — فقال له آبن أبي عَتِيق : — وقد أنشدها — أنت لم تَنْسُب بها، و إنما نَسَبْتَ بنفسك؛ كان ينبغي أن تقول : قلتُ لها فقالتْ لي، فوضعتُ خَدِّي فوطِئتْ عليه .

عود إلى سيرته وخلقه

أخبرني الحَرَمِيّ قال حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال :

لم يَذْهَبْ على أحدٍ من الرُّواة أنّ عمـرَ كان عَفِيفًا يَصِف ولا يَقِف[3]، ويَحُوم ولا يَرِد .

أخبرني محمد بن خَلَف قال حدّثنا أحمد بن منصور عن آبن الأعرابيّ، وحدّثني عليّ بن صالح قال حدّثنا أبو هَفَّانَ عن إسحاقَ المَوْصِليّ عن رجاله، قالوا :

كان آبن أبي ربيعـة قد حَجَّ في سنة من السنين . فلمّا آنصرف من الحج أَلْفَى الوليـدَ بن عبد الملك وقد فُرِشَ له في ظهر الكعبة وجلَس ، فجاءه عمرُ فسلّمَ عليـه وجلس إليه . فقال له : أَنْشِدْنِي شيئا من شعرك . فقال : يا أمير المؤمنين، أنا شيخ كبير وقد تَرَكْتُ الشعر، ولي غلامان هما عندي بمنزلة الولد، وهما يَرْوِيَان كلَّ ما قلتُ وهما لك . قال : آئْتِني بهما ففعل؛ فأنشداه قولَه :

* أمِنْ آلِ نُعْمٍ أنتَ غادٍ فمُبْكِرُ *

فطرب الوليدُ وآهتزّ لذلك، فلم يزالا يُنْشِدانه حتى قام، فأجزل صلتَه وردَّ الغلامين إليه.

(١) قيد الميل : قدره . (٢) تيمتها : استوليتُ عليها وشغلت قلبها .
(٣) في ت : « يصف و يقف » والمراد على روايتها أنه يقف عند الوصف لا يجاوزه .

ميزات شعره

حدّثنى علىّ بن صالح بن الهَيْثَم الأنْبارىّ الكاتب الملقّب "كِيلَجة"[1] قال حدّثنى أبو هَفَّانَ قال حدّثنا إسحاق بن إبراهيم الموصلىّ عن مُصْعَب بن عبد الله الزُّبَيْرى، وأخبرنى الحَرَمِىُّ بن أبى العَلَاء قال حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار عن عمه مصعَب أنه قال:

راق عمرُ بن أبى ربيعة الناسَ وفاق نظراءَه وبَرَعهم بسهولة الشعر وشدّة الأَسْر، وحسن الوصف، ودقّة المعنى وصواب المَصْدَر، والقَصْد للحاجة، وٱستنطاق الربع، وإنطاق القلب، وحُسْن العَزَاء، ومخاطبة النساء، وعفّة المقال، وقلّة الأنتقال، وإثبات الحُجَّة، وترجيح الشكّ فى موضع اليقين، وطَلَاوة الٱعتذار، وفَتْح الغَزَل، ونَهْج العِلَل، وعَطْف المَسَاءة[2] على العُذّال، وأَحْسَنَ التفجّع، وبَخّل المنازلَ، وٱختصر الخبرَ، وصَدَق الصَّفَاء؛ إن قَدَح أَوْرى، وإن ٱعتذر أَبْرا، وإن تَشَكّى أَشْجى، وأَقْدَم عن خِبْرة ولم يعتذر بغِرّة، وأَسَر النومَ، وغَمّ الطَّيْر، وأَغَذّ السَّيْر، وحيّر ماءَ الشَّبَاب، وسَهّل وقَوّل، وقاس الهوى فأَرْبى، وعَصَى وأَخْلَى، وحَالَف بسَمْعه وطَرْفه، وأَبْرم[3] نَعْتَ الرسل وحَذّر، وأَعْلَن الحبَّ وأَسَرّ، وبطَن به وأَظْهر، وأَلَحّ وأَسَفّ، وأَنْكح النومَ، وجَنَى الحديثَ، وضربَ ظهرَه لبَطْنه، وأذلّ صعبَه، وقنِع بالرَّجَاء من الوَفَاء، وأَعْلَى قاتِلَه، وٱستبكى عاذِلَه، ونَفَّض النومَ، وأَغْلَق رَهْن مِنّى وأَهْدَر قَتْلاه؛ وكان بعد هذا كلّه فَصِيحا.

---

(١) ورد فى «تهذيب التهذيب» أنه لقب محمد بن صالح بن عبد الرحمن البغدادى أبى بكر الأنماطى. ثم قال: ويقال اسمه أحمد اه ولم يضبطه. ولعل كيلجة لقب لعلى بن صالح كما هو لقب لمحمد هذا. وفى القاموس: «كيلجة لقب محمد بن صالح» وضبطه بالفتح. وضبطه السيد محمد مرتضى بكسر الكاف وفتح اللام، ثم قال: ومثله فى «المصباح» و«المغرب» و«شرح التقريب» للحافظ السخاوى.

(٢) فى ت: «المسألة».

(٣) فى ر: «وأبرم وبعث». وفى ب، س: «وأبرص ينعت». وفى أ، ء، م: «وأنذر وبعث». وفى ت: «وأبرض نعت». وفى حـ: «وأبرص وبعث»، وكلها تحريف. وقد أثبتنا ما فى الصلب لما سيرد بعدُ فى صفحة ١٣٩ نقلا عن نسخة ء: «ومن إبرامه نعت الرسل قوله ... الخ».

فمن سُهولة شعرِه وشِدّة أَسْرِه[1] قولُه :

فن سهولة شعره وشدة أسره

صــــوت

فلمّا تَوَاقَفْنا وسلّمتُ أشرقَتْ[2] * وجوهٌ زهاها الحسنُ أن تَتقنّعا

تَبَالَهْنَ بالعِرْفان لمّا رأيْنَنِي * وقُلْنَ امرؤٌ باغٍ أَكَلَّ وأَوْضَعا[3]

الغناء لابن عَبّادٍ رَمَلٌ عن الهشامىّ . وفيه لابن جامع لحنٌ غيرُ مُجنَّس عن إبراهيم .

ومن حسن وصفه قولُه :

ومن حسن وصفه

لها من الرِّيم عيناه وسُنّتُه[4] * ونَخْوةُ[5] السابق المُختال إذ صَهَلا[6]

ومن دقّة معناه وصواب مَصْدره قولُه :

ومن دقة معناه وصواب مصدره

صــــوت

عُوجا نُحَىِّ الطَّلَلَ المُحْوِلَا[7] * والرَّبْعَ مِنْ أسماء والمنزلَا

بسابِغ البَوْباةِ[8] لم يَعْدُه * تَقَادُمُ العهدِ بأن يُؤْهَلَا

الغناء لابن سُرَيج ثانى ثَقيلٍ بالسَّبّابة فى مَجْرى الوُسْطى عن إسحاق . قال إسحاق بن إبراهيم : يعنى أنه لم يُؤْهَل فيَعْدُوه تقادمُ العهد . وقال الزبير : قال بعض المدنيّين : يُحيِّيه بأن يُؤْهَل، أى يدعو له بذلك .

(١) الأسر فى كلام العرب : الخلق ؛ وفى التنزيل العزيز: (نحن خلقناهم وشددنا أسرهم) أى شددنا خلقهم ، كما فى اللسان . والمراد من شدة الأسر هنا إحكام النسج ومتانة التركيب . (٢) كذا فى الديوان ، ت . وفى ر ، حـ : « أقبلت » . وفى بقية النسخ : « أشرفت » بالفاء . (٣) أكلّ : أعيا . وأوضع : أسرع فى السير . (٤) سنته : صورته . وفى النسخة المخطوطة التيمورية من ديوانه : « ولفتته » . (٥) كذا فى م ، ى ، أ ، ت والديوان . وفى بقية النسخ : « وغرّة » . (٦) فى حـ ، ر : « إن » . (٧) المحول والمحيل : الذى أتت عليه أحوال كثيرة فغيرته . (٨) البوباة : الفلاة واسم لصحراء بأرض تهامة إذا خرجتَ من أعالى وادى النخلة اليمانية ، وهى بلاد بنى سعد بن بكر بن هوازن (ياقوت) . وفى اللسان (مادة « حول ») : * بجانب البوباة لم يَعْفُه *

ومن قصده للحاجة

ومن قَصْده للحاجة قولُه :

صـــوت

أيّها المُنْكِحُ الثُّرَيَّا سُهَيْلاً[1] * عَمْرَكَ اللهَ كيف يلتقيانِ

هى شاميّةٌ إذا ما اسْتَقَلَّتْ * وسُهَيْلٌ إذا ٱستقلَّ يمانِى

ويُرْوَى: «هى غَوْرِيَّة»[2]. الغناءُ للغَرِيض خَفيفُ ثَقيلٍ بالبِنصر عن عمرو وٱبن المكىّ.

ومن استنطاقه الربع

ومن ٱستِنْطاقِه الربعَ قولُه :

صـــوت

سائلا الرَّبْعَ بالبُلَىّ وقُـولا * هِجتَ شوقاً لىَ الغداةَ طويلا

أين حىٌّ حلُّوكَ إذ أنت محفو[3] * فٌ بهم آهـلٌ[4] أراكَ جميـلا

قال ساروا فأمعَنوا[5] وٱستقلُّوا * وبِرَغْمِى لو قد وجدتُ[6] سبيلا

ويروى : * وبِكُرْهِى لوٱستطعتُ سبيلا *

سئِمُـونا وما سَئِمْنا جِـوارا[7] * وأحبُّـوا دَمَاثَةً[8] وسُـهولا

فيه رَمَلان: أحدهما لٱبن سُرَيج بالسَّبَّابة فى مَجْرى الوُسْطى عن إسحاق، والآخر لإسحاق مطلقٌ فى مَجْرى البِنْصر. وفيـه لأبى العُبَيس[9] بن حَمْدون ثانى ثقيلٍ. وقد

(١) هى الثريا بنة على بن عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر ٱبن عبد شمس بن عبد مناف الأموية. وقال السهيلىّ فى «الروض الأنف» : هى الثريا بنة عبد الله، ولم يذكر عليا. ثم قال: وقتيلة بنت النضر جدّتها؛ لأنها كانت تحت الحارث بن أمية، وعبد الله ولدها هو والد الثريا، تزوّجها سهيل بن عبد الرحمن ابن عوف الزهرىّ رضى الله عنه ونقلها إلى مصر، فقال عمر هذا الشعر يضرب المثل بالثريا وسهيل النجمين المعروفين (راجع ٱبن خلكان ج ١ ص ٥٣٨). (٢) غورية : نسبة الى غَوْر الأردنّ بالشام بين بيت المقدس ودمشق (ياقوت). (٣) كذا فى الديوان وأكثر النسخ. وفى ر، حـ : «مسرور». (٤) فى الديوان، ت : «آهلا» أى أراك آهلا جميلا. (٥) فى الديوان : «بأجمع» أى ساروا بأجمعهم. (٦) كذا فى ر، حـ. وفى سائر الأصول : «ولو وجدت». (٧) فى حـ، ر : «سقاما». وفى ديوانه «ببين». (٨) يقال : دَمِثَت الأرض دماثة، إذا سهلت ولانت. (٩) كذا فى حـ، ت، ر. وفى سائر النسخ : «لأبى العنبس».

شرحتُ نسبتَه مع خبره فى موضع آخر[1] . قال إسحاق: أنشَدَ جريرٌ هذه الأبياتَ فقال: إنّ هذا الذى كنّا نَدو رُ عليه فأخطأناه .

ومن إنطاقه القلب

ومن إنطاقه القلبَ قولُه :

قال لى فيهـا عَتِيقٌ مقـالًا * فجـرتْ ممـا يقولُ الدموعُ
قال لى وَدِّعْ سُلَيْمَى ودَعْهـا * فأجاب القلبُ : لا أسـتطيعُ

٥

الغناء للهُذَلِىّ ثانى ثقيلٍ بالوُسْطى عن الهِشَامى. قال: وفيه ليحيى المكىّ ثقيلٌ أوّل نُسِبَ إلى مَعْبَدَ وهو من مَنْحوله .

ومن حسن عزائه

ومن حسن عَزَائه قولُه :

[صـــوت][2]

٥٥/١

١٠

أألحقَّ إنْ[3] دارُ الرَّباب تباعدتْ * أو ٱنْبَتَّ حبـلٌ أنّ قلبَك طائرُ
أَفِقْ قد أفاق العاشقون وفارقوا الـ * ـهوى وٱستمرّتْ بالرِّجال المرائرُ[4]
زَعِ[5] النفسَ وٱستبقِ الحياءَ فإنّما * تُباعِدُ أو تُدنِى الرَّبابَ المَقَادرُ
أمِتْ حُبَّها واجعلْ قديمَ وِصَالها * وعِشْرَتَها كمثـلِ مَن لا تُعاشِرُ
وهَبْهـا كشىءٍ لم يكن أو كنازحٍ * به الدارُ أو مَنْ غيّبتْه المقـابرُ
وكالناسِ عُلِّقْتَ[6] الرَّبابَ فلا تكن * أحاديثَ مَن يَبْدُو ومَن هو حاضرُ[7]

١٥

الغناء فى بعض هذه الأبيات وأوّلُه "زَعِ النفسَ" لٱبن سُرَيج ثقيلٌ أوّلُ بالبِنْصَر عن عمرو . وفيه لعمرَ الوَادِىّ رَمَلٌ بالبنصر عن ٱبن المكّىّ . وفيه لـ"قُدَارٍ"[8] لحنٌ من

(١) فى ت : «ولهذا الشعر أخبار قد كتبت فى موضع آخر لئلا ينقطع ما هاهنا» . (٢) زيادة فى ت ، ر . (٣) فى الديوان : «أحقا لئن دار» . (٤) كذا فى الديوان ، ح ، ر . والمراد أنّ الرجال قد أفاقوا واستحكمت عزائمهم . ينصح قلبه أن يسلو سلوّهم . وفى سائر النسخ : «بالرحيل» .

٢٠

(٥) أى آزجرها وكُفّها عن هواها . (٦) وفى الديوان : «فان كنت علقت» . (٧) أى من يقيم فى البَدْو ومن يقيم فى الحضر . (٨) فى القاموس أنه سمى بقدار كغراب . وفى م ، ء : «قرار» براءين .

كتاب إبراهيمَ غيرُ مُجَنَّس. وهذه الأبيات يَرْويها بعض أهل الحجاز لكُثَيِّر، ويرويها الكوفيون للكُمَيت بن مَعْروف الأَسَدِىّ، وذكر بعضَها الزُّبيرُ بن بكّار عن أبى عُبَيدة لكُثَيِّر فى أخباره[1].

ومن حسن غزله فى مخاطبة النساء

ومن حسن غَزَله فى مخاطبة النساء — قال مُصعَبٌ الزُّبَيرىّ: وقد أَجْمَع أهلُ بلدنا ممن له علمٌ بالشعر أنّ هذه الأبيات أغزلُ ماسمعوا — قولُه :

صــــوت

تقولُ غَـــداةَ ٱلتقَينا الرَّبَابُ * أيا ذا أَفَلْتَ أفـــولَ السِّماكِ

وكَفَّتْ ســوابقَ من عَبْرةٍ * كما ٱرْفَضَّ[2] نظمُ ضعيفُ السِّلاكِ

فقلتُ لها مَنْ يُطِعْ فى الصَّديـ * ـقِ أعداءَه يَجْتَنِبْــه[3] كذاكِ

أغَرَّكِ أنّى عصيتُ المَــلَا * مَ فيكِ وأنّ هَوَانا هواكِ

وألّا أرى لَذّةً فى الحيــاةِ * تَقَرُّ بهـا العينُ حتى أراكِ

فكان من الذنب لى عندكم * مُكَارَمتى وٱتِّبــاعى رِضَــاكِ

فليتَ الذى لَامَ فى حُبّكم * وفى أن تُزارى[4] بقَرْنٍ[5] وَقَاكِ

هُمُــومَ الحيــاةِ وأسقامَهــا * وإن كان حَتْفٌ جَهِيزٌ[6] فَدَاكِ

الغناء لأبن سريج ثانى ثقيلٍ بالوسطى. وذكر إبراهيمُ أنّ فيه لحنًا لحَكَم. وقيل: إن فيه لحنًا آخر لأبن جامع.

---

(١) كذا فى ت. وفى سائر النسخ: «وهذه الأبيات تنسب إلى كُثَيِّر أيضا وإلى الكميت بن معروف الأسدىّ، ولكلّهم فيها أخبار قد ذكرتها فى مواضعها». (٢) كذا فى ديوانه، س بالراء. وفى سائر النسخ: «انفضّ» بالنون. والسلاك، لعله جمع سلك، ولم نجده فى كتب اللغة؛ على أن القياس لا يأباه لأن فِعالا يطرد فى فَعْــل كذئب وذئاب وقِــدح وقداح (انظر الأشمونى طبع بولاق ج ٣ ص ١٧٢). (٣) فى ت: «نجتنبه» بالنون. (٤) فى الديوان: «تزارى برغم». وفى م، ء، ب، أ: «توازى». (٥) المراد به قرن المنازل، وكثيرا مايذكره عمر فى شعره. (٦) جهيز: سريع.

ومن عفة مقاله

ومن عِفّة مَقاله قولُه :

صـــوت

طَالَ لَيْلِي وَٱعتادَنِي اليومَ سُقْمُ * وأصابتْ مَقَاتِلَ القلبِ نُعْمُ

حُرَّةُ الوجهِ والشمائلِ والجو * هرِ تكليمُها لمن نال غُنْمُ

وحديث بمثله تُنْزَلُ العُصْـ(١) * ـمُ رَخِيم يَشُوبُ ذلك حِلْمُ

هكذا وَصْفُ ما بدا لِيَ منها * ليس لي بالذى تَغَيَّبَ عِلْمُ

إن تَجُودى أو تَبْخَلى فبِحَمْدٍ * لستِ يا نُعْمُ فيهما مَنْ يُذَمُّ(٢)

الغناء لابن سُرَيج رَمَلٌ عن الهِشَامِيّ .

ومن قلة انتقاله

ومن قلة ٱنتقاله قولُه :

صـــوت

أيها القائلُ غيرَ الصوابِ * أَمْسِكِ النُّصْحَ وأَقْلِلْ عِتَابِى

وٱجتَنِبْنى وٱعلَمَنْ أن ستُعْصَى * ولَخَيْرٌ لك طولُ ٱجتنابى

٥٦
١

إن تَقُلْ نُصْحًا فعن ظهرِ غِشٍّ * دائمِ الغِمْرِ(٣) بعيدِ الذَّهابِ

ليس بى عِيٌّ بما قلتَ إنّى * عالمٌ أفقهُ(٤) رَجْعَ الجوابِ

إنما قُرَّةُ عينى هواها * فدَعِ اللَّومَ وكِلْنى لِمَا بى

(١) العُصْم : جمع أعصم، وهو من الظباء والوعول ما فى ذراعيه بياض، وهى تعتصم غالبا بقُنَن الجبال .

(٢) فى ت : * ليس فيما أتيته لك ذمّ * (٣) الغمر (بالكسر) : الحقد والغل .

(٤) كذا فى ديوانه . وفى جميع النسخ :

ليس لى علم بما قلت إنى * عالم أفهم رجع الجواب

لا تَلُمْنِى فى الرَّبابِ وأمستْ * عَدَلَتْ(١) للنفس بَرْدَ الشَّرابِ
هى واللهِ الذى هــو رَبِّى * صادقًا أحلِفُ غيرَ الكِذّابِ
أكرمُ الأحياء طُـرًّا علينا * عنـد قُرْبٍ منهـمُ واجتنابِ(٢)
خاطبتْنى ساعةً وهى تبـكى * ثم عَزَّتْ(٣) خُلَّتِى فى الخِطابِ
وكَفِى(٤) بى مِـدْرَهًا لخُصُـومٍ * لِسوَاها عنــد حَدِّ تَبَـابِ(٥)

٥

الغناء لكَرْدَمٍ ثقيلٌ أوّلُ بالسَّبّابة فى مَجْـرى الوُسْطى عن إسحاقَ فى الأوّل والخامس ثم الثانى والثالث . وفيه لمَعْبَد خَفِيفُ ثَقِيلٍ بالبِنْصرعن يحيى المكىّ .

ومن إثباته الحجة

ومن إثباته الحُجَّةَ قولُه :

خليلىَّ بعضَ اللوم لا تَرْحَلا به(٦) * رفيقَكما حتى تَقُـولا على عِلْمِ
خليلىَّ مَنْ يَكْلَفْ بآخَرَ كالذى * كَلِفْتُ به يَدْمُلْ(٧) فؤادًا على سُقْمِ
خليلىَّ ما كانت تُصابُ مَقاتِلِى * ولا غَرَّتِى(٨) حتى وَقَعْتُ على نُعْمِ
خليلىَّ حتى لُفَّ حَبْلِى(٩) بخادعٍ * مُوَقًّى إذا يُرْمَى صَيُودٍ إذا يَرْمِى

١٠

(١) عدلت : ساوت . (٢) فى الديوان : « واغتراب » . (٣) عزّت هنا : غلبت ؛ ومنه قوله تعالى : (وعزّنى فى الخطاب) . (٤) كذا فى ت . وفى سائر النسخ والديوان : «وكفانى» . (٥) كذا فى الديوان . وقد اضطربت الأصول كلها فى هذه الكلمة وهى محرّفة ؛ ولذلك عدلنا عنها إلى ما فى الديوان . يريد : حسبى أن أكون غالبا لكل خصم سواها إلى حدّ هلاكى . (٦) يقال : رحل فلان فلانا بما يكره ، إذا أثقله باسماعه إياه . وفى ت : «لا توجعا» .
(٧) يدمل : يطوى . قال فى اللسان : ويقال : آدمُل القوم ، أى آطوهم على ما فيهم .
(٨) فى الديوان « دُلّت » . (٩) يكنى بهذا عن الوقوع فى شَرَكها .

١٥

خليلىّ لو يُرْقَى خليلٌ من الهوى * رُقيتُ بما يُدْنِى النَّوارَ من العُصْمِ (١)

خليلىّ إن باعدتُ لانَتْ و إن أَلِنْ * تُبَاعِدْ فلم أَنْبُلْ بحَرْبٍ ولا سَلْمِ (٢)

ومن ترجيحه الشكّ في موضع اليقين قوله :

ومن ترجيحه الشك في موضع اليقين

صوت

نظرتُ إليها بالمُحَصَّب من مِنًى * ولى نظرٌ لولا التَّحَرُّجُ عارِمُ (٣)

فقلتُ : أشمسٌ أم مصابيحُ بِيعَةٍ * بدتْ لك خَلْفَ السَّجْفِ أم أنت حالمُ

بعيدةُ مَهْوَى الْقُرْطِ إمّا لنَوْفَلٍ * أبوها و إمّا عبدُ شمسٍ وهاشمُ (٤)

ومَدَّ عليها السَّجْفَ يومَ لَقِيتُها * على عَجَلٍ تُبَّاعُها والخَوادمُ

فلم أَسْتَطِعْها غيرَ أنْ قد بدا لنا * عَشيّةَ راحتْ وجهُها والمعاصمُ

معاصمُ لم تَضرِبْ على البَهْمِ بالضُّحَى * عَصاها ووجهٌ لم تَلُحْهُ السَّمائمُ (٥)

نُضارٌ تَرى فيه أَساريعَ مائه * صَبِيحٌ تُغاديه الأَكُفُّ النَّواعمُ (٦) (٧)

إذا ما دَعتْ أترابَها فاكْتَنَفْنَها * تَمايَلْنَ أو مالتْ بهنّ المآكمُ (٨)

طَلَبْنَ الصِّبا حتى إذا ما أَصَبْنَه * نَزَعْنَ وهنّ المُسْلِمَاتُ الظَّوالمُ

الغناء لمَعْبَد ثقيلٌ أوّلُ بالسبابة فى مجرى البنصر عن إسحاق وابن المكىّ (٩) . وفيها لابن سُرَيج رَمَلٌ بالسبابة فى مجرى البنصر عن إسحاق أيضا . وفيها للغريض [خَفيفُ] (١٠) ثقيلٍ بالوسطى عن الهشامىّ .

(١) النوار : النافرة . والعصم : الظباء التى فى أذرعها بياض . (٢) لم أنبل : لم أصب ، أولم أحسن الرمى . وفى ديوانه : « فما ترتجى لحرب ولا سلم » . وفى حـ ، ر : « فلم أبلل بحرب ولا سلم » . وفى م : «فلم أبتل» . (٣) عارم : شرس . وفى الديوان ، أ ، ب ، م ، حـ : «عازم» .

(٤) هذا كناية عن طول العنق ؛ و به فسر فى المثل السائر (طبع بولاق ص ٣٨٣) . (٥) البهم : جمع بهمة ، وهى الصغير من أولاد الضأن والمعز والبقر . (٦) فى الديوان : « نضير » . (٧) أساريع الماء : طرائقه . والمراد أنه يترقرق فيه ماء الشباب . (٨) المآكم : جمع مأكمة وهى العجيزة . (٩) كذا فى ر ، حـ . وفى سائر النسخ : «بالسبابة والبنصر» . (١٠) زيادة فى ت ، حـ .

ومن طلاوة اعتذاره

ومن طُلاوة آعتذاره قولُه

٥٧
١

صـــــــوت

عاودَ القلبَ بعضُ ماقــد شجَاهُ * مِن حبيبٍ أمسى هَوانَا هــواه
يالقَومي فكيف أصـــبِرُ عمّنْ * لا ترَى النفسُ طِيبَ عيشٍ سِواهُ
أرسَلتْ إذ رأتْ بِعادِيَ ألّا * يَقْبَلَنْ بى مُحرِّشًا[1] إن أتاه
دونَ أن يســمَع المقــالَةَ مِنّا * ولْيُطِعْنِي فإنّ عنــدى رضاه
لا تُطِعْ بى فَدَتْك نَفسي عدوًّا * لحــديثٍ على هَــواهُ آفتَرَاه
لا تُطِعْ بى مَنْ لو رآنى وإيَّا[2] * كَ أَســيرَىْ ضَرُورةٍ ما عَنَاه
ما ضِرارِى نفسى بهَجْرِى[3] مَنْ ليـ * ـس مُسيئًا ولا بعيــدًا ثَرَاه[4]
وآجتنابى بيتَ الحبيبِ وما الخُلْـ * ـدُ بأَشْهَى إلىّ من أن أَرَاه

الغناء لمَعْبَد خَفِيفُ ثَقِيلٍ بالخِنْصَر[5] فى مجرى الوسطى عن إسحاق. وفيه لآبن جامع ثانى ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو . وقال عمرو : فيه خَفِيفُ ثَقِيلٍ بالوسطى للهُذَلِىّ. وفيه لآبن مُحْرِز ثانى ثقيل بالوسطى عن عمرو، وآبتداؤه نشيدٌ أوّله : « ما ضرارى نفسى» . وقال الهشامىّ : وفيه لعُلَيّةَ بنتِ المَهْدِىّ وسَعيد بن جابر لَحْنانِ من الثقيل الثـانى .

---

(١) المحرِّش : المُغْرِى ، من التحريش وهو الإغراء والإفساد. (٢) كذا فى ت . وفى سائر النسخ : « يرانى » . (٣) فى ت ، حـ ، ر والديوان : « بهجرة » . (٤) الثرى : الخبر . وفى الديوان ، ت : « نواه » والنوى هنا : الدار. وفى حـ ، ر : « ثواه » والثواء ممدود اوقصر لضرورة الشعر : الإقامة . (٥) فى ت : « بالبنصر » .

ومن نهجه العلل

ومن نهجه العِلَلَ قولُه :

وآيةُ ذلك أنْ تســمَعى * إذا جئتكم ناشدًا يَنْشُــدُ[1]

فرُحْنا سِرَاعًا وراح الهوى * دليــلاً إليها بنا يقصِــدُ

فلمّــا دَنَوْنا لِجَرْس النُّبَا * حِ والصوتِ، والحىُّ لم يرقُدوا

٥ بَعَثْنا لهــا باغيًا ناشــدًا * وفى الحىّ بُغْيَــةُ من يَنْشُدُ

وقد نُسِبتْ هذه الأبيات إلى مَنْ غَنّى فيها مع :

* تَشُطّ غدًا دارُ جيراننا *

ومن فتحه الغزل

ومن فتحه الغزلَ قولُه :

إذا أنت لم تَعْشَقْ ولم تَدْرِ ما الهوى * فكُنْ حجرًا من يابس الصَّخْر جَلْمَدا[2]

ومن عطفه المساءة على العذال

١٠ ومن عطفه المساءةَ على العُذّال قولُه :

صــوت

لا تَلُمْنى عَتِيقُ حسْبى الذى بى * إنّ بى يا عَتِيقُ ما قــد كَفَانى

لا تَلُمْــنى وأنت زيَّنْتَهــا لى * أنت مثــلُ الشيطان للإنسان

الغناء لأبى العُبَيْس[3] بن حَمْدُون ثقيلٌ أوّلُ مطلقٌ من مجموع أغانيه . وفيه رملٌ

١٥ طُنْبُورِىّ مُحْدَث . وفيه هَزَجٌ لأبى عيسى بن المتوكّل .

(١) فى ب ، س ، م ، ى : «منشدا ينشد» . (٢) فى ت ، أ : «فكن حجرا بالحزن من صخرة أصم» . وقد ورد هــذا البيت فى صفحة ٢٣٠ موافقا لما فى الصلب ، وورد بعد مثله فى صفحة ٦٧ فى قصيدته التى مطلعها «هجرت الحبيب اليوم من غير ما اجترم» هكذا :

إذا أنت لم تعشق ولم تتبع الهوى * فكن صخرة بالجزع من جُر أصم

٢٠ (٣) كذا فى ح ، ر ، ب . وفى سائر النسخ : «العنبس» .

ومن حسن تفجعه

ومن حسن تفجّعه قولُه :

صـــوت

هَجرتَ الحبيبَ اليومَ من غير ما اجْتَرَمْ * وقَطَّعْتَ من ذى وُدِّكَ الحبلَ فانصرمْ

أطعتَ الوُشاةَ الكاشحين ومن يُطِعْ * مَقالةَ واشٍ يَقْرَعِ السِّنَّ مِنْ نَدَمْ

أتانى رسولٌ[1] كنتُ أحسَبُ أنه * شَفيقٌ علينا ناصحٌ كالذى زَعَمْ[2]

فلما تباثَثْنا[3] الحديثَ وصَرَّحتْ * سَرائرُه عن بعض ما كان قد كَتَمْ

تَبيَّنَ لى أنّ المُحَرِّشَ[4] كاذبٌ * فعندى لكِ العُتْبَى على رَغْمِ مَنْ رَغِمْ

فلَآنَ[5] لُمْتُ[6] النفسَ بعدَ الذى مَضَى * وبعد الذى آلتْ وآليتُ مِنْ قَسَمْ

ظلمْتَ ولم تُعْتِبْ وكان رسولُها * إليكَ سريعًا بالرِّضا لكَ إذ ظَلَمْ

(١) كذا فى ديوانه . وفى الأصول : «عدوّ» . (٢) ترتيب هذه الأبيات فى النسخة المخطوطة التيمورية من ديوانه هكذا :

أتانى رسول كنت أحسب أنه * شفيق علينا ناصح كالذى زعم

فلما تباثثنا الحديث و بينت * سريرته أبدى الذى كان قد كتم

تخبرنى أن المحرّش كاذب * ومن يطع الواشين أو زعم من زعم

يصرّم بظلم حبله من خليله * وشيكا و يجذم قوّة الحبل ما جذم

وقلت لها لما خشيت لجاجة * من الصرم منها تورث الحزن والألم

فان كنت للعتبى عتبت لجاجة * فعندى لك العتبى على رغم من رغم

ظلمت ولم تعتب وكان رسولها * إليك سريعا بالرضا لك إذ ظلم

فلآن لمت النفس بعد الذى مضى * و بعد الذى آلت وآليت من قسم

إذا أنت لم تعشق ولم تدع الهوى * فكن صخرة بالجبر من حجر أصم

وقد آثرنا أن ننقل هذه الأبيات كاملة من ديوانه ؛ لأن المعنى المراد غير واضح فى رواية الأصول ولا فى رواية الديوان المطبوع . (٣) بثّ الحديث وبثّه : أفشاه . (٤) المحرّش : المغرى ؛ يقال : حرّش بين القوم ، اذا أفسد بينهم . (٥) أصله فن الآن . و يرى الخليل أن «الآن» مبنىّ على الفتح . و يرى بعضهم أنه يجرّ بالكسرة ؛ وأنشد : * كأنهما ملآن لم يتغيرا *

(٦) كذا فى ديوانه ، ت . وفى سائر النسخ : « فلم أر لوم النفس » .

الغناء لابن سُرَيج رَمَلٌ مطلقٌ فى مجرى البنصر عن إسحاق . وقال يونس : فيه لابن سُرَيج لحنان، وذكر الهشامىّ أن لحنه الآخر ثقيلٌ أوّلُ ، وأن لعَلُّويَةَ فيه رملًا آخر .

ومن تخيله المنازل

ومن تخيله المنازلَ قولُه :

صوت

عَرَفْتُ مَصِيفَ الحىِّ والمُتَرَبَّعا[1] * ببطنِ حُلَيَّاتٍ[2] دوارِسَ بَلْقَعا

إلى السَّرْحِ[3] من وادى المُغَمَّسِ[4] بُدِّلَتْ * مَعالِمُها وَبْلًا ونَكْباءَ[5] زَعْزَعا[6]

فيَبْخَلْنَ أو يُخْبِرنَ بالعلم بعد ما * نَكَأْنَ[7] فؤادًا كان قِدْمًا مُفَجَّعا

الغناء للغريض ثانى ثقيلٍ بالوسطى .

---

(١) الذى فى الديوان : * ألم تسأل الأطلال والمتربعا * . وما فى الديوان أصح . قال أبو على القالى فى أماليه ج ٢ ص ٥١ الطبعة الأميرية — بعد أن أورده بمثل ما فى الديوان — : وأملى علينا أبو عبد الله : «عرفت مصيف الحىّ والمتربعا» ، وهو غلط ؛ لأن «عرفت مصيف الحىّ» أوّل قصيدة جميل . (٢) حليات (بضم الحاء المهملة وفتح اللام وتشديد الياء) : اسم موضع ذكره البكرى و ياقوت ولم يبيناه . ولعله موضع قرب مكة بقرينة ذكره مع المغمس الوارد فى البيت بعده .

(٣) السرح : موضع . (٤) المغمّس (بتشديد الميم وفتحها كما فى ياقوت ، وضبطه البكرى فى معجمه بكسر الميم وتشديدها) : موضع قرب مكة فى طريق الطائف ، مات فيه أبو رِغَال وقبره يُرجم ؛ لأنه كان دليل أبرهة صاحب الفيل . وفى حـ : «إلى السرح من وادى العقيق تبدّلت» . وفى ديوانه : «إلى الشَّرْى من وادى المغمس» . والشرى كما قال ياقوت : موضع يذكره ابن أبى ربيعة كثيرا فى شعره . وسيرد فى صفحة ١٧٦ من هذا الجزء . « إلى السفح من وادى المغمس ... » فى جميع النسخ . (٥) النكباء : الريح التى تَنكُب عن مهابِّ الرياح . (٦) يقال : ريح زعزع أى شديدة ، وكذلك زَعْزاع وزُعزوع . (٧) نكأ الجرحَ : قشره قبل أن يلتئم .

ومن اختصاره الخبر

ومن ٱختصاره الخبرَ قولُه :

صـــوت

أَمِن آلِ نُعْمٍ أنت غادٍ فَمُبكِرُ * غَـداةَ غدٍ أم رائحٌ فمُهَجِّـرُ
بحاجةِ نفسٍ لم تَقُلْ فى جوابها * فتُبلِغَ عذرًا والمقـالةُ تُعـذِرُ
أشارت بِمِدْراها وقالت لتِرْبِها(1) * أهذا المُغِيرىُّ الذى كان يُذكَرُ
لئن كان إيّاه لقـد حال بعدَنا * عن العهـد والإنسانُ قد يَتَغَيَّرُ

الغناء لٱبن سُرَيج رَمَلٌ بالسبّابة فى مجرَى البِنصر، وله فى بيتين آخرين من هذه القصيدة ، وهما :

وليلةَ ذى دَوْرانَ جَشّمتِنى السُّرَى * وقد يَجْشَمُ الهولَ المحبُّ المُغَـرِّرُ(2)
فقلتُ أبادِيهم(3) فإمّا أفوتُهـم * وإمّا ينـالُ السَّيفُ ثأرًا فيثأرُ

رَمَلٌ آخرُ بالوسطى عن عمرو . قال الزُّبَير حدّثنى إسحاقُ الموصلى قال: قلتُ لأعرابىّ ما معنى قولِ ٱبنِ أبى ربيعة :

بحاجةِ نفسٍ لم تَقُلْ فى جوابها * فتُبلِغَ عُذْراً والمقالةُ تُعـذِرُ

فقال : قام كما جلَس .

ومن صدقه الصفاء

ومن صِدْقه الصفاءَ قولُه :

كلُّ وصلٍ أمسى لديك لأُنثَى * غـيرِها وصلُها إليهـا أداءُ
كلُّ أُنثَى وإن دنتْ لوصالٍ * أو نأتْ فهْىَ للرَّباب الفِـداءُ

---

(1) فى ديوانه : «فقى فانظرى أسماء هل تعرفينه» . (2) غرّر بنفسه : عرّضها للهلكة وحملها على غير ثقة . (3) أباديهم : أجاهرهم وأظهر لهم .

وقولُه :

صوت

أُحِبُّ لحبِّك مَن لم يكنْ * صَفِيًّا لنفسي ولا صاحبَا
وأَبذُلُ مالي لمَرْضاتِكم * وأُعْتِبُ مَنْ جاءكم عاتبَا[1]
وأرغَبُ في وُدِّ مَنْ لم أكن * إلى وُدّه قبلَكم راغبَا
ولو سَلَكَ الناسُ في جانبٍ * من الأرضِ واعتزلتْ جانبَا
لَيَمَّمْتُ طِيَّتَها[2] إنّني * أرى قُرْبَها العجبَ العاجبَا

الغناء لابن القَفّاص رمَلٌ عن الهشاميّ ويحيى المكّيّ ، وفيه للرِّبعيّ لحنٌ من كتاب إبراهيمَ غيرُ مُجَنَّس .

٥٩ / ١

وممّا قدح فيه فأورى

وممّا قَدَحَ فيه فأَوْرَى قولُه :

صوت

طالَ لَيْلي وتعنّاني[3] الطَّرَبْ[4] * واعتراني طولُ هَمٍّ ووَصَبْ
أرسلتْ أسماءُ في مَعْتَبةٍ * عَتَبَتْها وهي أحلَى مَنْ عَتَبْ
أَنْ أَتَى منها رسولٌ مَوْهِنًا[5] * وجَدَ الحيَّ نِيامًا فانقلبْ
ضربَ البابَ فلم يَشْعُرْ به * أحدٌ يفتح بابًا إذ ضَرَبْ[6]
قال: أيقاظٌ، ولكن حاجةٌ * عَرَضَتْ تُكتَمُ منّا فاحتجبْ

---

(١) في ديوانه المخطوط : «جاءني» . (٢) طيتها : ناحيتها وقصدها . (٣) تعناني : أوقعني في العناء ؛ قال الشاعر :

فقلت لها الحاجات يطرحن بالفتى * وهمٌّ تعنّاني مُعَنًّى ركائبه

(٤) الطرب : خفة تعترى الانسان عند شدّة الفرح أو الحزن والهمّ . (٥) الموهن : نحو من نصف الليل . (٦) في الديوان وء ، ت ، م ، أ : * أحد يفتح عنه إذا ضرب * .

ولعَمْدًا ردَّنى، فاجْتَهِـدَتْ * بيَمِينٍ حَلْفَـةً عنـد الغضبْ
يشهد[1] الرحمنُ لا يجمعُنا * سَقْفُ بيتٍ رَجَبًا بعد رجبْ
قلتُ حِـلًّا فاقْبَلى مَعْـذرتى * ما كذا يجْزِى مُحِبٌّ مَنْ أحبّْ
إنّ كَفِّى لكِ رَهْنٌ بالرِّضـا * فاقْبَلى ياهندُ، قالتْ قد وجَبْ

الغناء لمـالكٍ خفيفُ ثقيلٍ بالسبّابة فى مَجْرَى الوُسْطَى عن إسحاقَ . وفيه لدَحْمانَ ثقيلٌ أوّلُ بالبِنْصَر عن عمرو . وفيه لمَعْبَدٍ لحنٌ من كتابِ يونسَ لم يُجَنِّسه ، وذكر الهِشَامىُّ أنه خفيفُ ثقيلٍ . وفيه لابن سُرَيْجٍ رَمَلٌ عن الهِشَامىّ .

قال مَنْ حكينا عنـه فى صدر أخبار عمر روايتَـه التى رواها علىٌّ بن صالح عن أبى هَفَّانَ عن إسحاقَ عن رجاله والحَرَمىُّ عن الزُّبير عن عمّه :

كان عمر بن أبى ربيعـة يهوَى آمرأةً يقال لهـا " أسماءُ " ، فكان الرسـولُ يختلف[2] بينهما زمانًا وهو لا يقدر عليها . ثم وعَدَتْه أن تزورَه ، فتأهّبَ لذلك وانتظرها ، فأبطأتْ عنـه حتى غلبته عينُه فنام ، وكانت عنـده جاريةٌ له تخدُمه ، فلم تَلْبَثْ أن جاءت ومعها جاريةٌ لهـا ، فوقفتْ حَجْرةً[3] وأمرتِ الجاريةَ أن تضْرِبَ البـابَ ، فضربتْه فلم يستيقظ . فقالت لهـا : تطلَّعى فآنظرى ما الخبر؟ فقالت لهـا : هو مُضطجعٌ وإلى جنبه آمرأةٌ ، فحلَفَتْ لا تزورُه حَوْلا ؛ فقال فى ذلك :

* طال لَيلى وتعنّانى الطَّرَبْ *

قال أبو هَفَّانَ فى حديثه : وبعث إليها آمرأةً كانت تختلفُ بينه وبين مَعارفه ، وكانت جَزْلَةً[4] من النساء ، فصدَقَتْها عن قِصَّتِه وحلفتْ لهـا أنه لم يكن عنـده إلا جاريتُه ، فرضِيَتْ . وإيّاها يَعْنِى عمرُ بقوله :

(١) فى ت : « شهد » . وفى حـ ، ر : « تُشهد الرحمَن » . (٢) يختلف : يتردّد .
(٣) حجرة : ناحية . (٤) الجزلة من النساء : العاقلة الأصيلة الرأى .

فأتتها طَبَّةٌ[1] عالمةٌ * تَخلِطُ الجِدَّ مِراراً باللَّعِبْ

تُغلِظُ القولَ إذا لانتْ لها * وتُراخِى عندَ سَوْراتِ الغضبْ

لم تَزَلْ تَصرِفُها عن رأيِها * وتأنَّاها[2] برِفْقٍ وأدبْ

قال إسحاقُ فى خبره : وحدّثنى آبنُ كُنَاسَةَ[3] قال أخبرنى حَمّادٌ الروايةُ قال :
٥ استنشدنى الوليدُ بنُ يزيدَ، فأنشدتُه نحوًا من ألفِ قصيدةٍ، فما استعادنى إلا قصيدةَ عمرَ بن أبى ربيعةَ :

* طال لَيلِي وتعنَّانى الطربْ *

فلما أنشدتُه قولَه :

فأتتها طَبَّةٌ عالمةٌ * تَخلِطُ الجِدَّ مِراراً باللَّعِبْ

١٠ إلى قوله :

إنّ كفّى لكِ رَهْنٌ بالرِّضا * فاقبَلِى ياهندُ قالت قد وجبْ

فقال الوليد : وَيْحَكَ ياحَمّاد ! اُطلُبْ لى مثلَ هذه أُرسِلْها إلى سَلْمَى . يعنى آمرأتَه سلمى بنتَ سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان ، وكان طَلَّقها ليتزوّج أُختَها ثم تَتَبَّعتْها نفسُه .

٦٠ / ١

١٥ قال إسحاقُ وحدّثنى جماعةٌ منهم الحَرَمىُّ والزُّبيرىُّ[4] وغيرُهما : أنّ عمر أنشدَ آبنَ أبى عتيقٍ هذه القصيدةَ؛ فقال له آبنُ أبى عتيقٍ : الناسُ يطلبون خليفةً [مذ قُتِل عثمان[5]] فى صِفَةِ قَوّادتِك هذه يدبّرُ أمورَهم فما يجدونه !

(١) طبة : حاذقة رفيقة . (٢) تأناها (بحذف إحدى تاءيه) : تمهل عليها ؛ يقال : تأنيتك حتى لا أناة بى . (٣) هو أبو يحيى محمد بن عبد الله بن عبد الأعلى الأسدى ، و يعرف بآبن كناسة ،
٢٠ قيل : إن كناسة لقب جدّه ، وقيل : لقب أبيه ؛ وهو آبن أخت إبراهيم بن أدهم من أهل الكوفة ، كان عالما بالعربية وأيام الناس والشعر ، سمع هشام بن عروة وسليمان الأعمش ، وروى عنه أحمد بن حنبل ومحمد بن إسحاق الصاغانى . مات بالكوفة سنة سبع ومائتين (راجع أنساب السمعانى فى مادة الكناسى) . (٤) كذا فى ت ، ب ، س . وفى سائر النسخ : « الزبير » وهو تحريف ؛ إذ هو مصعب بن عبد الله الزبيرى ، و إسحاق بن ابراهيم الموصلى يروى عنه كثيرا . (٥) زيادة فى ت .

رَجْعٌ(١) إلى خبر عمر الطويل

ومن شعره الذى اعتذر فيه فأبرأ

قالوا : ومن شعره الذى ٱعتذرَ فيه فأبرأ قولُه :

فالتقينا فَرَحَّبَتْ حين سلَّمـ * ـتُ وكَفَّتْ دمعًا من العين مارا(٢)
ثم قالتْ عند العِتَابِ رَأَيْنا * منـكَ عنّا تَجَلُّدًا وٱزْوِرارا(٣)
قلتُ كَلَّالاهِ(٤) ٱبنُ عمِّك بل خِفْـ * ـنا أُمورًا كُنّا بهـا أَغْمـارا(٥)
فجعلْنا الصُّدُودَ لمّـا خَشِينا * قَالَةَ الناسِ للهوى أَسْـتَارا
ليس كالعهدِ إذ عَهِدْتِ(٦) ولكن * أوقَـدَ النـاسُ بالنميمة نارا
فلذاكَ الإعراضُ عنكِ وما آ * ثَرَ قلبى عليكِ أُخْرَى اختيارا
ما أُبَالِى إذا النَّوَى قَرَّبَتْـكم * فدَنَوْتُم مَنْ حَلَّ أومَنْ سارا
فاللَّيـالى إذا نَأَيتِ طِوَالٌ * وأَراها إذا قَرُبْتِ قِصَـارَا

ومن تشكيه الذى أشجى فيه

ومن تَشَكِّيه الذى أشجى فيه قولُه :

صـــوت

لَعَمْرُكِ ما جاورتُ غُمْـدانَ(٧) طائعًا * وقَصْرَ شَعُوبٍ أن أكونَ به صَـبًّا

---

(١) فى جـ : «نرجع» . (٢) مار : جرى وسال . وفى أ ، ب ، س ، م ، ء : «ثارا» أى هاج وٱنبعث . (٣) الازورار : الإعراض . (٤) لاه ابن عمك ، أى لله ابن عمك ؛ ومنه قول ذى الإصبع العدوانى :

لاه ٱبن عمك لا أفضلت فى حسب * عنى ولا أنت ديانى فتخزونى

(٥) الغمر (بضم الغين وفتحها مع سكون الميم ، وبفتحتين ، وبفتح فكسر) : الغرّ الجاهل الذى لم يجرّب الأمور .
(٦) أى ليس الأمر كما تعهدين من قبل . (٧) غمدان كعثمان : قصر باليمن بناه «يَشْرَخ بن يحصب» (وقال السيد مرتضى : وفى بعض النسخ بالمهملات وفى بعضها بزيادة اللام على التحتية) بأربعة وجوه : أحمر وأبيض وأصفر وأخضر ، وبنى داخله قصرا بسبعة سقوف بين كل سقفين أربعون ذراعا (قاموس مادة «غمـد») . وقصر شعوب : قصر عال مرتفع باليمن أيضا .

ولكنّ حُمّى أضرعتني ثلاثةً (١) * مُجَـرَّمةً (٢) ثم آستمرّت بنا غِبّا (٣)

وحتّى لو آن الخُلْد تَعرِضُ إن مشت * إلى الباب رِجْلي ما نقلتُ لها إربا (٤)

فإنّكِ لو أبصرتِ يومَ سُوَيْقَةٍ (٥) * مُنَاخِي وحَبْسِي العِيسَ دامِيةً حُدْبا (٦)

ومَصْرَعَ إخوانٍ (٧) كأنّ أنينهم * أنينُ المَكاكِي (٨) صادفتْ بلدًا خصْبا

٥ إذًا لاقْشَعَرَّ الرأسُ (٩) منك صَبابةً (١٠) * ولاستفرغتْ عيناكِ من سَكْبةٍ غَرْبا (١١)

غَنّى في الأوّل والثاني من هذه الأبيات مَعْبَدٌ ولحنُه خَفِيفُ ثَقِيلٍ أوّلَ بالوسطى عن عمرو . وفيهما لمالكٍ ثقيلٌ أوّلُ عن الهشاميّ ، ونسبه يونس إلى مالك ولم يُجنِّسه .

ومن إقدامه عن (١٢) خُبْرة ولم يعتذرْ بغرّة قولُه :

ومن إقدامه عن خبرة ولم يعتذر بغرة

١٠ صَرَمْتُ وواصلتُ حتّى عرفـ * ـتُ أين المَصادرُ والمَوْرِدُ

وجَرَّبْتُ من ذاك حتّى عرفـ * ـتُ ما أتوقّى وما أعْمِدُ

(١) أضرعتني : أضعفتني وأذلّتني . (٢) مجرّمة كمعظمة : تامة . يريد ثلاثة كاملة .
(٣) الغبّ من الحمى : ما تأخذ يوما وتدع يوما . (٤) أي ما حرّكت لها عضوا . وفي الأصول : «يعرض» . (٥) سويقة : موضع . (٦) حدبا : جمع أحدب وحدباء . وأصل الحدب :
١٥ ما آرتفع من الأرض ؛ ومنه قيل : حدب الانسان حدبا من باب تعب ، اذا خرج ظهره وآرتفع من الاستواء ، فهو أحدب والأنثى حدباء . يريد أنه أعياها السير فهي دامية متقوّسة الظهور هُزالا . وفي أ ، م ، ء : «جربا» جمع أجرب وجرباء . (٧) كذا في ح ، ر . وفي سائر النسخ : «إخواني» بياء المتكلم .
(٨) كذا في الأصول . وهو يستقيم لو كان هكذا : «صادفت بلدا جدبا» . وفي ديوانه : المطبوع بليبزج :
* أنين مكاك فارقت بلدا خصبا *
٢٠ والمكاكي : جمع مُكّاء . والأصل في الجمع تشديد الياء ؛ إذ هو على وزن «فعاليل» ، غير أنه حذفت الياء في الجمع هنا للتخفيف ، كما يقال في مفاتيح مفاتح ؛ ولذلك حذفت الياء في رواية الديوان لأنه صار منقوصا مثل جوار . والمكاء : طير يشبه القُبَّرة إلا أن في جناحيه بَلَقا ، وهو حَسَن الصوت في تغريده .
(٩) في ت : «الجلد» . (١٠) كذا في الديوان . وفي جميع النسخ : «عجابة» .
(١١) في الديوان : «من عبرة سكبا» . (١٢) في ت : «على» وكلاهما صحيح .

ومن أسره النوم

ومن أَسْره النومَ قولُه :

نامَ صَحْبِي وبات نومى أسـيرَا * أرقُب النّجمَ مُوهِنًا أن يغُورَا

ومن غمه الطير

ومن غَمِّه الطيرَ قولُه :

فَرُحْنا وقلنا للغلام اقضِ حاجةً * لنـا ثم أَدْرِكْنا ولا نتغــبّرِ

سِراعًا نَغُمُّ[1] الطيرَ إن سَنَحَتْ لنا * وإن تَلْقَنـا الرُّكْبانُ لا نتخـبّرِ[2]

٦١ / ١

نتغبر ، من قولهم : غبر فلانٌ أى لبِث .

ومن إغذاذه السير

ومن إغْذاذه[3] السيرَ قولُه :

قلتُ سِـيرَا ولا تُقيمَا بِبُصْرَى[4] * وحَفِـيرٍ[5] فمـا أُحِبّ حَفِـيرَا

وإذا ما مررتُمـا بِمَعَانٍ[6] * فأقِـلّا به الثَّـواءَ وسِـيرَا

إنّمـا قَصْـرُنا[7] إذا حَسَّر[8] السيـ * ـرُ بعيـرًا أن نَسـتجِدَّ بَعِـيرَا

(١) لعله يريد : نحزنها بالسبق ، أو نبهرها ونغلبها ؛ من قولهم غمّ القمر النجوم ، إذا بهرها وكاد يستر ضوءها . وفى هامش النسخة التيمورية المخطوطة من ديوانه : « ويروى نعيف الطير » . وعيافة الطير : زجرها وهى التفاؤل أو التطيّر بأسمائها وأصواتها وممرّها . وهى رواية جيدة يستقيم بها معنى البيت ، ولولا أن أبا الفرج آعتمد الرواية الأولى وعنون الشعر بها لأثبتناها فى الأصل . (٢) التخبُّر : السؤال عن الخبر . (٣) أغذ السير وأغذ فيه : أسرع . (٤) بصرى : بلد بالشأم . (٥) حفير : نهر بالأردنّ ببلاد الشأم . (٦) فى ت : « مغان » بالغين ، ولعله محرّف عن « معان » بالعين . ومعان (بالفتح ، والمحدّثون يقولونه بالضم) : مدينة فى طرف بادية الشأم تلقاء الحجاز من نواحى البلقاء . وفى سائر النسخ : « بعمان » ولعله تحريف لعدم آتفاقه مع أسماء المواضع فى البيت السابق . وفى ديوانه : * فاذا ما مررتما بحفير * . (٧) قصرنا أى قصارانا وغايتنا . (٨) حسّر السير بعيرا : أجهده وأعياه .

ومن تحييره ماء الشباب

ومن تحييره ماءَ الشباب قولُه :

صـــوت

أبرزوها مثل المهاة تهادى * بين خمس كواعب أتراب

ثم قالوا تحبها قلت بهرا[١] * عدد القطر والحصى والتراب

٥ وهى مكنونة تحيّر منها * فى أديم الخدين ماء الشباب

الغناء لمحمد بن عائشة خفيف ثقيل بالبنصر . وفيه لمالك خفيف ثقيل آخر عن الهشامىّ ، وقيل : بل هو هذا .

ومن تقويله وتسهيله

ومن تقويله وتسهيله قولُه :

قالت على رقبة يوما لجارتها * ما تأمرين فإن القلب قد تبلا[٢]

١٠ وهل لى اليوم من أخت مواخية * منكن أشكو إليها بعض ما فعلا

فراجعتها حصان[٣] غير فاحشة * برجع قول ولب لم يكن خطلا[٤]

لا تذكرى حبه حتى أراجعه * إنى سأكفيكه إن لم أمت عجلا

فاقنى[٥] حياءك فى ستر وفى كرم * فلست أول أنثى علقت رجلا

وأما ما قاس فيه الهوى

وأما ما قاس فيه الهوى فقولُه :

١٥ وقربن أسباب الهوى لمتيم * يقيس ذراعا كلما قسن إصبعا

ومن عصيانه وإخلائه

ومن عصيانه وإخلائه قولُه :

وأنص المطى يتبعن بالركـ * ـب سراعا نواعم الأظعان[٦]

فنصيد الغرير[٧] من بقر الوحـ * ـش ونلهو بلذة الفتيان

(١) يزاد على ما فى الحاشية الرابعة ص ٧٩ أنه قيل : إن معنى «بهرا» هنا : جمًّا أى كثيرا . (٢) المتبول : من أسقمه الهوى وغلبه الحب على أمره . وفى ديوانه : «شغلا» . (٣) حصان : عفيفة . والخطل : الفاسد

٢٠ المضطرب . (٤) كذا ؟ وفى الديوان : «وأمر» . (٥) اقنى حياءك : لا تفرطى فيه . (٦) فى ديوانه :

وأنص المطىّ بالركب يطلبـ * ـن سراعا بواكر الأظعان

(٧) الغرير هنا : الغافل .

فى زمانٍ لو كنتِ فيه ضجيعِى * غيرَ شكٍّ عرفتِ لى عِصْيانِى

وتقلّبتِ فى الفِراش ولا تَدْ * رِينَ إلا الظُّنونَ أين مكانى

ومن مخالفته بسمعه وطرفه

ومن مخالفته بسمعه وطرفه قولُه :

سَمْعِى وطَرْفِى حَلِيفَاهَا على جسدى * فكيف أصْبِرُ عن سَمْعِى وعن بَصَرِى

لـو طاوعانى على ألّا أُكلِّمَها * إذاً لقَضَّيْتُ من أوْطَارِها وَطَرِى

ومن إبرامه نعت الرسل

ومن إبرامه[1] نعتَ الرسلِ قولُه :

فبعثتُ كاتمةَ الحديـ * ـثِ رَفِيقةً[2] بجوابِها

وحْشِيّةً إنسِيّةً * خَرّاجةً من بابِها

فَرَقَتْ فسهّلتِ المَعَا * رِضَ من سبيل نِقابِها

٦٢ / ١

ومن تحذيره

ومن تحذيره قولُه :

صـــوت

لقـد أرسلتُ جاريتى * وقلتُ لها خُذِى حَذَرَكْ

وقُـولِى فى مُلاطَفـةٍ * لزينبَ نَوِّلِى عُمَـرَكْ

فإنْ داويتِ ذا سَقَمٍ * فأخزَى اللهُ مَنْ كَفَرَكْ

فهـزّتْ رأسَها عَجَبًا * وقالتْ مَنْ بذَا أمرَكْ

أهـذا سِحْـرُكِ النِّسْوا * نَ ، قد خبّرْننى خَبَرَكْ

وقُلْنَ إذا قضَى وَطَـراً * وأدْرَكَ حاجةً هجَـرَكْ

(١) كذا فى ى . وفى ر : « إبرامه ببعث » . وفى ب ، س ، م ، ت : « إبراصه بعث » . وفى حـ : « إبراضه ببعث » . وإبرام النعت : إحكامه . (٢) فى أ ، ى ، م : « رقيقة » .

غنّى ٱبن سُرَيج في هذه الأبيات، ولحنُه خَفيفُ ثَقيلٍ. ولابن المكّيّ فيها هَزَجٌ بالوسطى. وفيها رَمَلٌ ذكر ذُكاءُ وَجْهُ الرُّزَّة[1] عن أحمدَ بن أبي العَلاء عن مُخارِق أنه لابن جَامِع، وذكر قُمْريٌّ أنه له وأنّ ذُكَاءَ أَبْطَلَ[2] في هذه الحكاية.

قال الزُّبَيْر[3]: حدّثني عمّي قال حدّثني أبي قال: قال شيخ من قريش: لا تُرَوُّوا نساءكم شعرَ عمر بن أبي ربيعة لا يتورّطْنَ في الزِّنا تورُّطا؛ وأنشد:

لقــد أرسلتُ جاريتي * وقلتُ لها خُذِي حَذَرَكْ

... الأبيات

ومن إعلانه الحبَّ وإسراره قولُه:

شكوتُ إليها الحبَّ أُعْلِنُ بعضَه * وأخفيتُ منه في الفؤاد غَليلَا

ومما بطن به[4] وأظهر قولُه:

حُبُّــكم يا آل لَيْــلَى قاتِلِي * ظهرَ الحبُّ بجسمي وبَطَنْ

ليس حُبٌّ فوقَ ما أحببتُكُمْ * غيرَ أَنْ أَقتُلَ نفسي أو أُجَنّْ

ومما أَلَحَّ فيه وأَسَفَّ قولُه:

ليت حظِّي كطَرْفة العين منها * وكثيرٌ منها القليلُ المُهَنّا

أو حديثٌ على خَلاءٍ يُسَلِّي * ما يُجِنُّ الفؤادُ منها ومنّا

كَبُرَتْ رَبِّ نعمةً منك يوماً * أنْ أراها قبل المماتِ ومَنّا

(١) كذا في ت، ا، م، ى. وفي سائر النسخ: «وجه الرزة» ولم نتثبت منه غير أنه غلام أحمد بن يوسف (انظر الأغاني ج ١٤ في ذكر هاشم بن سليمان وبعض أخباره). وذكاء: اسم للشمس. (٢) كذا في ت. وفي ا، م، ى: «وإن كان ذكاء أبطل الخ». وفي سائر النسخ: «وإن كان ذكاء أبطن الخ» وهو تحريف. (٣) كذا في ت. وفي حـ: «ابن الزبير». وفي سائر النسخ: «الزبيرى» ولعلهما تحريف؛ إذ قد تكرر أن الزبير بن بكار يروى عن عمه، وعمه يروى عن أبيه. (٤) في كل النسخ هنا: «بطن فيه».

ومن إنكاحه النوم

ومن إنكاحه النومَ قولُه :

صـــــوت

حتّى إذا ما الليلُ جنّ ظلامُه * ونظرتُ غَفْلةَ كاشحٍ(١) أن يَعقِلا(٢)

واَستنكح النومُ الذين نخافهم * وسَقَى الكَرَى بوّابَهم فاَستُثْقِلا(٣)

خرجتْ تَأَطَّرُ فى الثياب كأنّها * أَيْمٌ يَسِيبُ على كَثيبٍ أَهْيَلا(٤) ٥

الغناء لمَعْبَد خَفيفُ ثَقيلٍ مطلقٌ فى مجرى الوسطى عن إسحاق . وفيــه ألحانٌ لغيره وقد نُسِبَتْ فى غير هذا الموضع مع قوله(٥) :

* ودِّعْ لُبَابةَ(٦) قبل أن تترحّلا *

ومن جنيه الحديث

ومن جَنْيِه الحديثَ قولُه :

وجَوارٍ مُسَاعِفَاتٍ على اللّهْـ * ـوِ مُسِرّاتٍ باطنَ الأضْغَانِ(٧) ١٠

صُيَّدٍ للرجال يَرْشُقْن بالطَّرْ * فِ حِسَانٍ كخُــذَّلِ(٨) الغِزْلانِ

قد دَعَانِى وقد دَعَاهنّ لِلّهـ * ـوِ شُجُونٌ مَهِيمةُ(٩) الأشجانِ ٦٣ / ١

فاجتَنَينا من الحديث ثِمَارًا * ما جَنَى مثلَها لعَمْرُك جانِى

---

(١) فى ح ، ر : « حارس » . (٢) كذا فى أ ، ء . وفى سائر النسخ : « يغفلا » وفى ديوانه : * ورقبت غفلة كاشح أن يمحلا * من المحل وهو المكر والكيد . (٣) يقال : ١٥ أثقله النوم فهو مستثقل ، بصيغة المفعول . وفى ديوانه : « فتخبلا » . (٤) أصله تتأطر ، فحذفت إحدى تاءيه ، ومعناه تثنى . والأيم : الأفعى . ويسيب : يمشى . والكثيب الأهيل : الرمل المنهال . وفى ديوانه المخطوط : * رئم تسيب عن كثيب أهيلا * وفى ديوانه المطبوع : « تسيب » وليس له معنى مناسب . (٥) هذه الجملة : « مع قوله... ترحلا » غير موجودة فى ح ، ر . وفى ب ، س ، م : ذكرت هــذه الجملة من غير لفظ « مع » . (٦) كذا فى س . وفى سائر النسخ : ٢٠ « لبانة » بالنون ، وهو تحريف ؛ إذ هى لبابة بنت عبد الله بن العباس امرأة الوليد بن عتبة بن أبى سفيان .

(٧) فى ديوانه : * وجوار مستفتلات إلى اللهـ * ـو حسان كناضر الأغصان

(٨) الخذل : جمع خاذل ، وهى الظبية تخلف عن صواحباتها أو أولادها . (٩) أى مثيرة الأشجان . وفى ديوانه : « من أعجب الأشجان » .

ومن ضربه الحديث ظهره لبطنه

ومن ضَرْبِه الحديثَ ظهرَه لبطنه قولُه :

في خَلَاءٍ من الأَنِيسِ وأَمْنٍ * فَبَثَثْنَا غَلِيلَنَا وٱشْتَفَيْنَا

وضربْنا الحديثَ ظهرًا لبطنٍ * وأتينا من أمرِنا ما ٱشْتَهَيْنَا [1]

فمكثنا بذاك عَشْرَ ليالٍ * في قضاءٍ لِدَيْنِنَا وٱقتضَيْنَا [2]

ومن إذلاله صعب الحديث

٥ ومن إذلاله صعبَ الحديث قولُه :

فلما أَفَضْنَا في الهوى نستبينُه * وعاد لنا صعبُ الحديث ذَلُولَا

شكوتُ إليها الحبَّ أُظْهِرُ بعضَه * وأخفيتُ منه في الفؤاد غَلِيلَا

ومن قناعته بالرجاء من الوفاء

ومن قَنَاعتِه بالرجاء من الوفاء قولُه :

فَعِدِي نائلًا وإن لم تُنِيلِي * إنه ينفع [3] المُحِبَّ الرجاءُ

١٠ قال الزبير : هذا أحسن من قول كُثَيِّر :

ولستُ براضٍ من خليلٍ بنائلٍ * قليلٍ ولا أرضى له بقليلِ

ومن إعلانه قاتله

ومن إعلانه قاتلَه قولُه :

فبعثتُ جاريتي وقلتُ لها ٱذهبي * فٱشْكِي إليها ما علمتِ وبُثِّي

قُولِي يقولُ تَحَرَّجِي [4] في عاشقٍ * كَلِفٍ بكم حتى المماتِ مُتَيَّمِ

---

١٥ (١) كذا في ديوانه . وفي الأصول : « هوينا » . وفيه السِّناد وهو أن يخالف بين الحركات التي تلي الأرداف في الرويّ ؛ كقوله :

شربنا من دماء بني تميم * بأطراف القنا حتى روينا

ألم تر أن تغلب بيت عـز * جبال معاقل ما يُرْتَقَيْنَا

(٢) في ديوانه : * فقضينا ديوننا وٱقتضينا * (٣) كذا في جميع النسخ والديوان .

٢٠ ويحتمل أن يكون « يُقْنع » . (٤) أي كفّي عن الحرج والإثم .

ويقول إنّك قد علمتِ بأنّكمْ * أصبحتمُ يا بِشْرُ أوجهَ ذى دمِ[١]

فُكّى رَهِينَتَه فإنْ لم تفعلى * فأعِلى[٢] على قتلِ ابنِ عمّكِ وآسلَمى

فتضاحكتْ عَجَباً وقالتْ حقُّه * ألّا يُعَلِّمَنا بما لم نَعلَمِ

علمى به — واللهُ يَغْفِرُ ذنبَه — * فيما بدا لى، ذو هَوًى متقسِّمِ[٣]

طَرِفٌ[٤] يُنازِعه إلى الأدْنَى[٥] الهوى * ويَبُتُّ خُلّةَ ذى الوِصالِ الأقْدَمِ

ومن تنفيضه النوم

ومن تنفيضه النومَ قولُه :

فلمّا فَقَدْتُ الصوتَ منهم وأُطفِئتْ * مَصابيحُ شُبَّتْ بالعِشاء وأنْوُرُ[٦]

وغاب قُمَيْرٌ كنتُ أرجو غُيوبَه * وروَّح[٧] رُعْيانٌ ونَوَّمَ سُمَّرُ

ونَفَّضْتُ عنّى النومَ أقبلتُ مِشْيَةَ الـ * ـحُبابِ وركْنى[٨] خَشْيَةَ القومِ أزْوَرُ

ومن إغلاقه رهن منى وإهداره قتلاه

ومن إغلاقه رَهْنَ مِنًى وإهداره قَتْلاه قولُه :

فكم من قَتِيلٍ ما يُباءُ[٩] به دمٌ * ومن غَلِقٍ[١٠] رَهْناً إذا لَفَّه مِنًى[١١]

(١) أى أحقّ إنسان أُخِذَ منه بدمٍ. (٢) يقال: علا يعلو كسما يسمو، وعلِى يعلَى (رضى يرضى). (٣) على تقدير: علمى به أنه ذو هوى متقسم. (٤) الطَّرِف: من لا يثبت على امرأة ولا صاحب. (٥) كذا فى ت، ح، ر. وفى سائر النسخ: «أدنى» وهو تحريف. (٦) فى ديوانه: «أنؤر» وكلاهما جمع نار، يهمز ولا يهمز، كما فى الكامل للمبرّد طبع ليبزج ص ٣٨٣ (٧) روّح: من الرواح وهو وقت العشىّ. والرعيان: جمع راع كالرُّعاة والرِّعاء والرُّعاء. ونوّم الرجل تنويما: مبالغة فى نام. (٨) فى ب، س، أ: «ولكن» بدل «وركنى». والحباب: الحية. وأزور: مائل. وفى ديوانه:

* وشخصى خشيةَ الحىّ أزور *

(٩) يقال: أباء القاتلَ بالقتيل، إذا قتله به. والمراد هنا: فكم من قتيل يطلّ دمه ولا يؤخذ له بثأر. (١٠) يقال: غَلِق الرهن فى يد المرتهن يَغلَق غَلَقا، إذا لم يقدر الراهن على افتكاكه فى الوقت المشروط. يريد: وكم من قلوب أسيرة لا يقدر أصحابها على افتكاكها. (١١) فى الديوان: «صبه».

ومن مالِئٍ عينيــه من شيءِ غيره[1] * إذا راح نحو الجَمْرةِ البيضُ كالدُّمَى[2]

وكان بعد هذا كلِّه فصيحًا شاعرا مِقْوَلاً[3] .

أخبرنى الحَرَمىُّ بن أبى العَلَاء قال حدّثنا الزبير قال حدّثنى عمّى، وأخبرنا به علىّ ابن صالح عن أبى هَفَّانَ عن إسحاقَ عن رجاله :

٥ أنّ عمر بن أبى ربيعة نظَر إلى رجل يكلِّم آمرأة فى الطَّوَاف، فعاب ذلك عليه وأنكره . فقال له : إنها آبنة عمّى . قال : ذاك أشنعُ لأمرك . فقال : إنّى خطَبْتُها إلى عمّى، فأبَى علىّ إلا بصَدَاقٍ أربعمائة دينار، وأنا غير مُطِيق ذلك، وشكا إليه من حبِّها وكَلَفِه بهـا أمرًا عظيما، وتَحَمَّلَ[4] به على عمّه . فسار معه إليه فكلّمه . فقال له : هو مُمْلِق، وليس عندى ما أُصْلِحُ به أمرَه . فقال له عمر : وكم الذى تريده منه؟

١٠ قال : أربَعمائة دينار . فقال له : هى علىّ فزوِّجْه، ففعل ذلك .

وقد كان عمر حين أَسَنَّ حلَف ألّا يقولَ بيتَ شعر إلّا أعتق رقبةً . فانصرف عمرُ الى منزله يحدِّث نفسَه، فجعلتْ جاريةٌ له تكلِّمه فلا يردّ عليها جوابا . فقالت له : إنّ لك لأمرًا، وأراك تريد أن تقول شعرا، فقال :

صـــــوت

١٥ تقــولُ وَليــدتِى لمّـا رأتْنِى * طَرِبْتُ وكنتُ قد أقصرتُ حِينَا

أراكَ اليومَ قد أحدثتَ شوقًا[5] * وهاج لك الهــوى داءً دَفِينَــا

وكنتَ زعمتَ أنّك ذو عَزَاءٍ * إذا ماشئتَ فارقتَ القَرِينَــا

(١) فى م : « من شىء عبرة » يريد : من فيض عبرة . (٢) الدمى : جمع دمية وهى الصورة المنقّشة من العاج ونحوه . (٣) المقـول : الحسن القول المفصح المبين . (٤) يقال : تحمل بفلان على فلان، إذا آستشفع به لديه . (٥) فى ح، م : « أمرا » .

٦٤ / ١

بربّكَ هل أتاك لهـا رسـولٌ * فشاقَك أم لَقِيتَ لها خَدِينَـا (١)

فقلتُ شـكا إلىّ أخٌ مُحِبٌّ * كبَعْض زَمانِنـا إذ تَعْلَمِينَـا

فقصّ علىّ ما يَلْـقى بهنـد * فذكّر بعضَ ما كنّا نَسِينـا (٢)

وذو الشّوْقِ القديم وإنْ تَعَزّى (٣) * مَشُوقٌ حين يلـقَى العاشقينَـا

وكم من خُـلّةٍ (٤) أعرضتُ عنها * لغير قِـلًى (٥) وكنتُ بهـا ضَنِينَـا

أردتُ بِعادَها فصَدَدْتُ عنها (٦) * ولو جُنّ الفـؤادُ بها جنـونَا

ثم دعا تسعةً من رقيقه فأعتقهم لكلّ بيتٍ واحدٌ (٧) . الغناء لآبن سُرَيج رَمَلٌ بالبنصر عن عمرو والهشامىّ . وفيـه ثقيلٌ أوّلُ يقـال : إنه للغَرِيض . وذكَر عبـدُ الله آبن موسى أن فيه لدَحْمَانَ خَفيفَ رَمَلٍ .

عمر بن أبى ربيعة وعروة بن الزبير

أخبرنى الحَرَمىّ قال حدّثنا أحمد بن عُبَيد أبو عَصِيدةَ (٨) قال :

ذكَر آبنُ الكَلْبىّ أنّ عمر بن أبى ربيعة كان يُساير عُرْوةَ بن الزُّبَير ويُحادثه، فقال له : وأين زينُ المواكب ؟ يعنِي آبنَه محمدَ بن عُرْوة ، وكان يسمّى بذلك لجماله .

(١) الخدين : الصديق الذى يُخادنك فيكون معك فى كل أمر ظاهر و باطن ؛ ومنه خِدْن الجارية : محدِّثها . وكان العرب فى الجاهلية لا يمتنعون من خدن يحدِّث الجارية ، فجاء الإسلام بهدمه . وفى التنزيل العزيز : (اليـوم أحل لكم الطيبات) الى قوله : (والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتموهنّ أجورهنّ محصنين غير مسافحين ولا متخذى أخدان) . الآية . (٢) فى ديوانه :

* فوافق بعض ماقـد تعرفينا * وفى ت : * فذكر بعض ما كنا لقينا *

(٣) فى ديوانه : « وذو القلب المصاب ولو تعزى » . (٤) الخلة : الخليلة .

(٥) فى الديوان : « من آجلكُم » . (٦) فى ديوانه : « أردت فراقها وصبرت عنها » .

(٧) كذا فى ت . وفى سائر النسخ : « واحدا » على تقدير : أعتق لكل بيت واحدا . وهـذه الجملة : «لكل بيت واحد» ساقطة من أ ، م ، ى . (٨) كذا فى ت ، ح . وفى سائر الأصول : « أبو عبيدة » ، وهو تحريف ؛ فإن الموجود فى كتب التراجم أنّ أحمد بن عبيد يكنى أبا عصيدة .

فقال له عُرْوة : هو أمامَك ؛ فركَض يطلبُه . فقال له عروة : يا أبا الخطّاب ، أوَلَسْنا أكفاءً كِراما لمحادثتك ومسايرتك ؟ فقال : بَلَى بأبي أنت وأمّي ! ولكنّي مُغْرًى بهذا الجمال أَتْبَعُه حيث كان . ثم التفت إليه وقال :

إنّي امرؤٌ مُولَعٌ[1] بالحسن أتبعُه * لاحظَّ لي فيه إلا لَذّةُ النَّظَرِ

ثم مضى حتى لحِقَه فسار معه، وجعَل عروةُ يضحَك من كلامه تعجّبا منه .

عمر بن أبي ربيعة ومالك بن أسماء ابن خارجة

أخبرني محمد بن خَلَف بن المَرْزُبَان قال حدّثنا أحمد بن زُهَير قال حدّثنا مُصْعَب ابن عبد الله قال :

رأى عمرُ بن أبي ربيعة رجلًا يَطُوف بالبيت قد بهَر الناسَ بجماله وتمامه ، فسأل عنه فقيل له : هذا مالكُ بن أسماءَ بنِ خارجة . فجاءه فسلّم عليه وقال له : يابنَ أخي، ما زلتُ أتشوّقك منذُ بلغني قولُك :

إنّ لي عند كلِّ نَفْحَةِ بستا * نٍ من الوَرْدِ أو من الياسمينا[2]

نظرةً والتفاتةً أتمنّى * أنْ تكوني حلَلْتِ فيما يَلِينا

ويروى : « ... أترجّى * أن تكوني حللت ... »

عمر وأبو الأسود الدؤلي وقد عرض لامرأته في الطواف

أخبرني محمد بن خَلَف بن المَرْزُبَان قال حدّثنا عبد الله بن محمد قال حدّثنا العباس بن هِشَام عن أبيه قال أخبرني مولًى لزِيَاد قال :

حَجّ أبو الأسود الدُّؤَلِيّ[3] ومعه امرأته وكانت جميلةً . فبينا هي تَطُوف بالبيت إذ عرَض لها عمرُ بن أبي ربيعة ، فأتت أبا الأسود فأخبرته ، فأتاه أبو الأسود

(١) في ت : «موزع» . (٢) في المصباح : الياسمين بكسر السين، وبعضهم يضمها . (٣) في ت، م : «الديلي» . والنسبة إلى «الدئل» بضم الدال وكسر الهمزة ، وهي قبيلة من كنانة «الدؤلي» بضم الدال وفتح الهمزة . وإنما فتحت الهمزة لئلا تتوالى الكسرات كما قالوا في النسبة إلى نمرة نمري بالفتح ، وهي قاعدة مطردة . ويقال فيها : الدُّوَلي (بواو غير مهموزة) ، والدُّئلي (بضم الدال وكسر الهمزة) وهي نادرة . وأما الديلي (بكسر الدال) والدولي (بضمها) فنسبتان لقبيلتين أخريين . (انظر القاموس وشرحه مادة دأل) .

فعاتبه . فقال له عمر : مافعلتُ شيئا . فلما عادتْ إلى المسجد عاد فكلّمها، فأخبرتْ أبا الأسود، فأتاه فى المسجد وهو مع قومٍ جالسٌ فقال له :

وإنّى ليَثْنِينى عن الجهل والخنَا * وعن شَتْمِ أقوامٍ خلائقُ أربعُ
حيـاءٌ وإسـلامٌ وبقيا[1] وأنّنى * كريمٌ ومثلى قد يَضُرّ وينفـعُ
فشَـتّانَ ما بينى و بينَـك إنّنى * على كل حالٍ أستقيمُ وتَظْلَـعُ[2]

فقال له عمر : لستُ أعودُ ياعمّ لكلامها بعد هذا اليومِ . ثم عاود[3] فكلّمها، فأتتْ أبا الأسود فأخبرتْه، فجاء إليه فقال له :

أنت الفتى وابنُ الفتى وأخو الفتى * وسَـيّدُنا لولا خَلائِقُ أربـعُ
نُكُولٌ عن الجُلّى وقُرْبٌ من الخنَا * وبُخْلٌ عن الجَدْوَى وأنك تُبَّـعُ[4]

ثم خرجتْ وخرج معها أبو الأسود مُشْتَمِلاً على سيف. فلما رآهما عمرُ أعرض عنها، فتمثّل أبو الأسود :

تَعْدو الذِّئابُ على من لا كِلابَ له * ونتّـقِى صَوْلَةَ المستأسِـدِ الحامى[5]

رأى الفـرزدق فى شـعر ابن أبى ربيعة

أخبرنى ابن المَرْزُبان قال حدّثنا أحمد بن الهَيْثَم الفِرَاسِىّ[6] قال حدّثنا العُمَرِىّ[7] قال أخبرنا الهَيْثَمُ بن عَدِىّ قال :

(١) أبقيت عليه بقيا : أشفقت عليه ورحمته . (٢) يقال : ظلع يظلع ظَلْعاً من باب نفع، إذا عرج وغمز فى مشيه . (٣) فى ت، ح : «عاودت» . (٤) يقال : هو تُبّع نساء وتُبّعهنّ، إذا جدّ فى طلبهنّ . (٥) كذا فى ت، ح، ر . وفى سائر النسخ : «الضارى» . (انظر الحاشية رقم ٤ ص ٧٨ والحاشية رقم ١ ص ٧٩ من هذا الجزء) . (٦) كذا فى جميع النسخ عدا نسخة ت، ولم نعثر عليه . ولعله نسبة إلى بنى فراس بن غَنْم بن مالك بن كنانة . وفى ت : «الفراشى» بالشين المعجمة، ولعله نسبة الى فراشة بفتح الفاء والراء : قرية بين بغداد والحلّة، أو موضع بالبادية، كما فى القاموس . ويجوز أن يكون «الفراشى» بكسر الفاء وفتح الراء نسبة إلى بنى فراشة بن سلمة بن عبد الله المَرْوزى الفراشى، كما فى أنساب السمعانى وشرح القاموس . (انظر القاموس وشرحه وأنساب السمعانى فى هاتين المادتين) . (٧) كذا فى ت، ح . وفى سائر النسخ : «الغمرى» بالغين المعجمة، وهو تصحيف؛ إذ لم نجد هذه النسبة فى كتب الأنساب، على أنه قد ورد ذكره كثيرا فى الأسانيد «العُمَرى» بالعين المهملة .

قَدِم الفَرَزْدَقُ المدينةَ وبها رجلان يقال لأحدهما صُرَيْمٌ[١]، وللآخر آبنُ أسماء، وُصِفَا له فقصَدهما، وكان عندهما قِيَانٌ[٢]؛ فسلَّم عليهما وقال لهما: من أنتما؟ فقال أحدهما: أنا فِرْعون، وقال الآخر: أنا هَامانُ. قال: فأين منزلُكما فى النار حتى أَقْصِدَكما؟ فقالا: نحن جِيرانُ الفرزدق الشاعر! فضحِك ونزَل، فسلَّم عليهما وسلَّما عليه وتعاشروا مدّة. ثم سألَهما أن يَجْمَعَا بينه وبين عمرَ بنِ أبى ربيعةَ ففعلا، وآجتمعا وتحادثا وتناشدا إلى أن أنشد عمرُ قصيدتَه التى يقول فيها:

فلمّا آلتقَيْنا وآطمأنّتْ بنا النَّوى[٣] * وغُيِّب عنّا مَنْ نخافُ ونُشْفِقُ

حتى آنتهى إلى قوله:

فقُمْنَ لكى يُخْلِيَنَنَا[٤] فترقرقتْ * مَدَامعُ عَيْنَيْها وظَلَّتْ تَدَفَّقُ

وقالت أمَا ترحَمْنِى! لا تَدَعْنِى * لَدَى غَزِلٍ جَمِّ الصَّبابة يَخْرُقُ[٥]

فقلنَ آسْكُتِى عنّا فلَسْتِ مُطَاعةً * وخَلُّكِ منّا ــ فاعلمى ــ بك أَرْفَقُ[٦]

فصاح الفرزدق: أنت والله يا أبا الخَطَّاب أغزلُ الناس! لا يُحسن والله الشعراءُ أن يقولوا مثلَ هذا النَّسيب ولا أن يَرْقُوا مثلَ هذه الرُّقْيَة! وودّعه وآنصرف.

---

(١) كذا فى ت، ح، ر. وفى سائر النسخ: «صويم» بالواو. ولم نرجحه إذ لم نقف على أنه سمِّى به. (٢) فى ت: «فتيان». (٣) فى ديوانه المطبوع والمخطوط: «لما» بدون الفاء. وهو الصواب؛ لأن هذا البيت مطلع هذه القصيدة، وقد دخله الخرم.

(٤) يخلينا: يجعلننا فى خلوة منهن. (٥) يخرُق: يحمق. والبيت فى ديوانه:

وقالت أما ترحمنى أن تدعنى * لديه وهُو فيما علمتنّ أخرق

(٦) فى ديوانه:

... ... فغير مطاعة * لهُو بك منا ــ فاعلمى ذاك ــ أرفق

عمر وعبد الرحمن بن الحارث بن عبد الله ابن عياش بن أبى ربيعة

أخبرنى الحرمىّ قال حدّثنا الزّبير قال حدّثنى عبد الجبّار بن سعيد[1] المُساحِقىّ عن المُغيرة بن عبد الرحمن عن أبيه :

أنه حجّ مع أبيه[2] الحارث بن عبد الله بن عيّاش بن أبى ربيعة، فأتى عمرَ بنَ أبى ربيعة وقد أسنّ وشاخ، فسلّم عليه وساءله ثم قال له : أىّ شىء أحدثتَ بعدى يا أبا الخطّاب؟ فأنشده :

يقولون[3]: إنّى لستُ أصدُقُكِ الهوى * وإنّىَ لا أرعاكِ حين أَغيبُ

فما بالُ طَرْفى عفّ عما[4] تَساقطتْ * له أعينٌ من معشرٍ وقلوبُ

عشيّةَ لا يستنكفُ القومُ أن يَروْا * سَفَاهَ امرئٍ ممن[5] يقال لبيبُ

ولا فتنةً من ناسكٍ أَوْمَضتْ[6] له * بعين الصِّبا كَسْلَى القيامِ لَعُوبُ

تَروّحَ يرجو أن تُحَطّ ذنوبُه * فآبَ وقد زِيدتْ عليه ذنوبُ

وما النُّسْكُ أَسْلانى ولكنّ[7] للهوى * على العين منّى والفؤادِ رقيبُ

عمر والنسوة اللاتى واعدهنّ بالعقيق

أخبرنى هاشم بن محمد الخُزاعىّ قال حدّثنا عيسى بن إسماعيل عن القَحْذَمىّ قال :

واعد عمرَ بن أبى ربيعة نِسْوةٌ من قريش إلى العَقِيق ليتحدّثن معه؛ فخرج إليهنّ ومعه الغَرِيضُ، فتحدّثوا مَلِيًّا ومُطِروا، فقام عمر والغَرِيضُ وجاريتان للنسوة فأظلّوا

---

(١) كذا فى ت ، ح ، ر . وفى سائر النسخ : « سعد » وهو تحريف . (انظر أنساب السمعانى فى مادة المساحق) . (٢) فى جميع النسخ عدا نسخة ت : « معه ابنه » . وفى ت : « مع ابنه » وكلاهما تحريف . ولعل الأخيرة محرّفة عن « مع أبيه » ؛ إذ أن أبا عبد الرحمن هو الحارث بن عبد الله بن عياش بن أبى ربيعة . (انظر تقريب التهذيب فيمن اسمه المغيرة) . (٣) فى ت : « تقولين » . (٤) فى ت : « قلبى » . (٥) كذا فى الديوان . وفى الأصول : «مما» . (٦) أومضت له : سارقته النظر . (٧) كذا فى جميع النسخ والديوان . ولعل اسم « لكن » ضمير الشأن والجملة بعده خبر . على أنه يستقيم لو كان : « ولكنه الهوى » أو « ولكنا الهوى » .

عليهنّ بمِطْرَفه وبُرْدَيْن له حتى ٱستتَرْنَ من المطر إلى أن سكن، ثم ٱنصرَفْنَ.
فقال له الغَرِيض: قل فى هذا شعرًا حتى أُغَنِّى فيه؛ فقال عمر:

صـــوت

ألم تسألِ المـنزلَ المُقْـفِرا * بيـانًا فيكـتمَ أو يُخْـبِرا
ذكرتَ به بعض ماقد شَجاكَ[1] * وحُقّ لذى الشَّجْو أن يَذْكُرَا
مُقَامَ الحُبَيِّنِ[2] قـد ظاهرا[3] * كِسَاءً وبُرْدَيْنِ أن يُمْطَـرَا
ومَمْشى الثلاثِ به مَوْهِنـًا * خرجن إلى زائـرٍ زُوَّرَا
إلى مجلسٍ من وراء القِبَـا * بِ سَهْلِ الرُّبا طيِّبٍ أعْفَرا[4]
غَفَلْنَ عن اللَّيل حتّى بدتْ * تَباشـيرُ من واضحٍ أسْـفَرا[5]
فقُمْنَ يُعفِّينَ آثارَنا * بأكسية الخزِّ أن تُقْفَرا[6]
مَهَاتانِ شـيَّعتا جُؤْذُراً[7] * أسِـيلاً مُقَـلَّدُه[8] أحْـورا[9]
وقُمْنَ وقُلْنَ لَو انّ النها * رَ مُدَّ له اللَّيـلُ فاستأخَرا
قَضَـيْنا به بعضَ أشْجانِنا[10] * وكان الحـديثُ به أجْدَرا

(١) فى الديوان: * ذكرت به بعض ما قد مضى * (٢) فى الديوان: «مبيت الحبيبين». (٣) يقال: ظاهر بين الثوبين، إذا لبس أحدهما على الآخر. (٤) أعفر: ذى رمل أحمر. (٥) فى ديوانه: «أشقرا». (٦) يقال: قفر الأثر قفرا، إذا اقتفاه وتبعه. (٧) كذا فى الديوان. وفى الأصول: «ربربا». والجؤذر (بضم أوله وضم الذال وفتحها): ولد البقرة. والربرب: القطيع من بقر الوحش وقيل من الظباء، ولا واحد له من لفظه. (٨) المقلد: موضع القلادة، ويراد به الجيد. (٩) ورد هذا البيت فى ديوانه بعد قوله: «ومَمشى الثلاث» البيت. (١٠) فى ديوانه:

* لقينا به بعض ما نشتهى *

ذكر ابنُ المكىّ أنّ الغناء فى الخمسة الأبيات الأولى لابن سُرَيج ثانى ثقيل بالسبابة فى مجرى البنصر، وذكر الهشامىّ أنّ هذا اللحنَ للغريض، وأنّ لحنَ ابنِ سُرَيج رَمَلٌ بالوسطى . قال : ولدحمانَ فيه أيضا ثانى ثقيلٍ آخر بالوسطى . وفيها لابن الهرْبِذ خفيفُ رَمَلٍ بالسبابة فى مجرى الوسطى . وقال حَبَش : فيها لمَعْبَد خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى . ٥

عمر وابن أبى عتيق

أخبرنا محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حدّثنى أبو العبّاس المَدِينىّ (١) قال أخبرنا ابنُ عائشةَ قال :

حضر ابنُ أبى عَتِيق عمرَ بنَ أبى ربيعة وهو يُنْشِد قولَه :

وَمَنْ كان مَحْزوناً بإهراق عَبْرةٍ * وَهَى غَرْبُها (٢) فَلْيأتِنا نُبْكِه غَدَا

نُعِنْه على الإثكال إنْ كان ثاكِلاً * وإن كان محروباً (٣) وإن كان مُقْصَدا (٤) ١٠

قال : فلمّا أصبح ابنُ أبى عَتِيق أخذ معه خالدًا الخِرِّيتَ وقال له : قُمْ بنا إلى عمر . فَمَضَيا (٥) إليه ، فقال له ابن أبى عتيق : قد جئناك لموعدك . قال : وأىُّ موعدٍ بيننا ؟ قال : قولُك : «فليأتِنا نُبْكِه غدا» . قد جئناك، والله لانبرحُ أوتَبْكِىَ إن كنت صادقا فى قولك، أو ننصرف على أنك غير صادق . ثم مضَى وتركه . قال ابن عائشة : خالدٌ الخِرِّيت هو خالد بن عبد الله القَسْرى . ١٥

٦٧ / ١

(١) كذا فى أكثر النسخ المخطوطة . وفى حـ ، ر : «المدنىّ» . وفى ب ، سـ : «المدائنىّ» . (٢) وهى غربها ، يريد : ضعف دمعها . ونبكه هنا نعنه فى البكاء ، مثل أحلبه ، إذا أعانه فى الحلب . ولم نجد «أبكاه» بهذا المعنى فى كتب اللغة . (٣) كذا فى الديوان . والمحروب : من سُلِب ماله . وفى الأصول : «محزونا» . (٤) المقصد : مَنْ طُعِنَ أو رُمِى بسهم فلم يخطئ مقاتله . (٥) فى جميع الأصول : «فضينا» . ٢٠

عود إلى خلق عمر

أخبرني هاشم بن محمد الخُزَاعِيّ قال حدّثنا دَماذ[1] عن الهَيْثَم بن عَدِيّ[2] عن عبدالله ابن عَيَّاش الهَمْدَانِيّ قال :

لَقِيتُ عمرَ بن أبي ربيعة فقلت له : يا أبا الخَطّاب، أكُلُّ ماقلتَـه في شِعْرك فعلتَه؟ قال : نعمْ، وأستغفرُ الله .

قدوم عمر الكوفة ونزوله على عبدالله ابن هلال

٥ أخبرني عليّ بن صالح عن أبي هَفَّانَ عن إسحاق عن عبد الله بن مُصْعَب قال:

قدِم عمرُ بن أبي ربيعةَ الكُوفةَ، فنزَل على عبد الله بن هِلَالٍ الذي كان يقال له صاحبُ إبليس، وكان له قَيْنَتانِ حاذقتان، وكان عمر يأتيهـما فيسمَع منهما؛ فقال في ذلك :

يأهـلَ بَابِلَ ما نَفِسْتُ عليكُمُ[3] * من عَيْشِكم إلّا ثلاثَ خِلَالِ

١٠ ماءَ الفُرَاتِ وطِيبَ ليلٍ باردٍ * وغِناءَ مُسْمِعَتَيْنِ لٱبْن هِـلَالِ

---

(١) في ت : «ذماد» . وفي حـ : «دماوذ» . وفي م : «دماد» .وفي أ، ء : «دمار» . وفي ر : «حماد» ولعلها محرّفة عن «دماذ» ، ولم نعثر على ضبطه . وقد ورد ذكره في الأمالي الطبعة الأميرية ج ٣ ص ١٨ و ١٠٨ و١٨٩ ، وضبط في الصفحة الأخيرة بالقلم بفتح الدال والميم ، وذكر فيها أنه رفيع بن سلمة العبدي المعروف بدماذ وذكر له قصيدة . وذكره ٱبن النديم في الفهرست طبع أوربا ص ٥٤ ١٥ وضبط هكذا «دمَاذ» ، وذكر أن كنيته أبو غسان وٱسمه رفيع بن سلمة بن مسلم بن رفيع العبدي ، روى عن أبي عبيدة وكان يورّق كتبه وأخذ عنه الأنساب والأخبار والمآثر . وذكره أبو الفرج في الأغاني ج ٣ ص ٥٥ وج ١٢ ص ٣٣ طبعة بولاق ، وقال عنه في الأخيرة : إنه من رواة البصرة . وذكره السيوطي في «بغية الوعاة» ص ٢٤٨ طبع مصر سنة ١٣٢٦ هـ ، فقال : إنه رفيع بن سلمة المعروف بدماث (هكذا) — ولعله محرّف عن دماذ — ونقل أنه كان كاتب أبي عبيدة وأوثق الناس عنه ، ومنه سمع المازنيّ . (٢) في م ، ء :
٢٠ « عبيد الله بن العباس » . وفي ت : «عبد الله بن عباس» . وفي أ : «عبد الله بن العباس» .
(٣) نفس عليه كذا : حسده عليه .

وصف الشعراء للبرق وما قاله عمر فى ذلك

أخبرنى علىّ بن صالح عن أبى هَفَّانَ عن إسحاق عن رجاله :

أنّ عمرَ بن أبى ربيعة والحارثَ بن خالد وأبا رَبيعةَ المُصْطَلِقِىّ ورجلًا من بنى مَخْزُوم وٱبنَ أُخت الحارث بن خالد، خرجوا يُشَيِّعونَ بعضَ خلفاء بنى أمية . فلمّا ٱنصرفوا نزلوا « بَسِرِف » فلاح لهم بَرْقٌ، فقال الحارث : كلُّنا شاعر، فهلُمُّوا نَصِف البرقَ . فقال أبو ربيعة :

أَرِقْتُ لبرقٍ آخِرَ الليلِ لامِعٍ[1] * جَرَى من سَنَاه ذو الرُّبَا فيُنَابِعُ[2]

فقال الحارث :

أرِقتُ له ليلَ التِّمَامِ[3] ودونَه * مَهَامِهُ مَوْمَاةٍ وأرضٌ بَلاقِعُ[4]

فقال المخزومىّ :

يُضِيءُ عِضاهَ[5] الشَّوْكِ حتّى كأنّه * مَصَابِيحُ أو فَجْرٌ من الصُّبْح ساطِعُ

فقال عمر :

أيا ربِّ لا آلُو المودَّةَ جاهِدًا * لأسماءَ فاصْنَعْ بى الذى أنتَ صانعُ

ثم قال : مالى وللبرق والشوك !

بقية خبر ٱجتماع عمر والنسوة اللاتى واعدهنّ بالعقيق

أخبرنى عمّى قال حدّثنا الكُرانىّ قال حدّثنا العُمَرىّ عن الهَيْثَم بن عَدِىّ قال :

كان عمرُ بن أبى ربيعة وخالدٌ القَسْرىّ معه — وهو خالد الخِرِّيتُ — ذاتَ يوم يمشيان، فإذا هما بهند وأسماءَ اللتين كان يُشَبِّبُ بهما عمر بن أبى ربيعة تتماشيان،

(١) فى حـ ، س : «لاح فى الليل» . (٢) كذا فى ت . و«ينابع» : اسم مكان أو جبل أو واد فى بلاد هذيل . وفى سائر النسخ : «فيتابع» بالتاء، وهو تصحيف . (٣) ليل التمام : أطول ليالى الشتاء . (٤) المهامه : جمع مهمه وهو المفازة البعيدة . والموماة : الفلاة الواسعة الملساء . والبلاقع : جمع بلقع وهى الأرض القفراء ؛ قال فى اللسان (مادة «بلقع») : وأرض بلاقع ، جمعوا لأنهم جعلوا كل جزء منها بلقعا . (٥) العضاه : كل شجر يعظم وله شوك ، وهو كثير الأنواع .

فقصداهما وجلسا معهما مَلِيًّا ، فأخذَتْهم السماءُ ومُطِروا . ثم ذكر مثلَ خبرٍ تقدّم ، ورويتُه آنِفًا عن هاشم بن محمد الخُزَاعىّ ، وذكر الأبياتَ الماضيةَ ، ولم يذكر فيها خبرَ الغَرِيض . وحكَى أنه قال فى ذلك :

صـــوت

أَفِى رَسْمِ(1) دارٍ دَمْعُكَ المُتَرَقْرِقُ(2) * سَفَاهًا ! وما آستنطاقُ ما ليس يَنْطِقُ !

بحيث آلتقَى "جَمْعٌ" ومُفْضَى "مُحَسِّرٍ"(3) * مَغَانِىَ قد كادتْ على العَهْد تَخْلَقُ

ذكرتُ به ما قد مضى من زماننا * وذِكْرُكَ رَسْمَ الدار ممّا يُشَوِّقُ(4)

مَقَامًا لنا عند العِشاء(5) ومجلسًا * به لم يُكَدِّرْه علينا مُعَوِّقُ(6)

ومَمْشَى فتاةٍ بالكِساء تَكُنُّنا(7) * به تحت عينٍ بَرْقُها يتألّقُ

يَبُلُّ أعالى الثوب قَطْرٌ وتحته * شُعَاعٌ بدا يُعْشِى العيونَ ويَشْرَقُ

فأحسنُ شىءٍ بَدْءُ أوّلِ ليلنا(8) * وآخرُه حُزْنٌ إذا نتفرّقُ

---

(١) فى ديوانه : «أمن» . (٢) ترقرق الدمع : سال . (٣) فى ب : «ومفضى مجمر» . و«مغانى» نصب على القطع . ولعل صوابه : «مغانيه قد كادت ...» . ورواية البيت فى الديوان :

بحيث التقى جمع وأقصى محسّر * مغانيه كادت على العهد تخلق

وجمع : المزدلفة . ومحسر : موضع بين منى والمزدلفة . والمجمّر : موضع رمى الجمار . ويقال : خلق الشىء (من بابى كرم وفرح) وأخلق وآخلولق ، كل ذلك بمعنى بلى . (٤) فى ديوانه :

ذكرت به ما قد مضى وتذكر الـ * ـحبيب ورسم الدار مما يشوّق

(٥) فى ديوانه : «ذات العشاء» . (٦) معوّق : عائق ومانع . وقبل هذا البيت فى ديوانه :

ليالى من دهر إذ الحىّ جيرة * وإذ هو مأهول الخميلة مونق

(٧) كذا بالديوان . وفى الأصول : «يكنّها» . والعين هنا : السحاب . (٨) كذا فى ديوانه . وفى الأصول :

* فأحسن شىء بدء أوّل ليلة *

٦٨/١

ذكر يحيى بن المكىّ أنّ الغنـاء فى سـتة أبيات متواليةٍ من هـذا الشعر لمَعْبَدٍ خَفيفُ ثقيلٍ بالسبابة والوسطى ، وذكر الهشامىّ أنه من منحول يحيى .

عمرو وليلى بنت الحارث البكرية وما قاله فيها من الشعر

[أخبرنا الحَـرَمىّ[1] بن أبى العَـلَاء قال حدثنا الزُّبَير بن بَكَّار قال أخبرنى مُصْعَب قال :

لَقِىَ عمرُ بن أبى ربيعة ليلَى بنتَ الحارث بن عمرو البَكْرِيّةَ وهى تَسِير على بغلة لها ، وقد كان نَسَب بها ، فقال : جعلنى الله فِدَاكِ ! عَرِّجى ها هنا أُسْمِعْكِ بعضَ ما قلتُه فيك . قالت : أَوَ قد فعلت ؟ قال نعم ! فوقفتْ وقالت : هاتِ . فأنشدها :

صـــوت

أَلَا يالَيْلُ إنّ شِـفَاءَ نفسى * نَوَالُكِ إن بَخِلْتِ فَنَـوِّلِينَا

وقد حضر الرَّحِيلُ وحان منّا * فِرَاقُكِ فانْظُرِى ما تأمُرِينَا[2]

فقالت : آمُرك بتقوى الله و إيثار طاعتِه وتَرْكِ ما أنت عليـه . ثم صاحتْ ببغلتها ومضتْ .

وفى هـذين البيتين لآبن سُرَيج خفيفُ ثَقيلٍ بالوسطى عن يحيى المكىّ ، وذكر الهِشَامىّ أنه من مَنْحُولِه إلى آبن سُرَيج . وفيهما رملٌ طُنْبُورِىٌّ لأحمدَ بن صَـدَقةَ .

(١) هـذه الزيادة المبدوءة بهذا القـوس والمختومة بمثله فى صفحة ١٦٣ لم توجد إلا فى النسخة التيمورية فأثبتناها عنها . (٢) فى ديوانه المطبوع بليبزج ذكر هذا البيت بعد بيت آخر هكذا :

أحنّ إذا رأيت جمـال سـعدى * وأبكى إن رأيت لها قرينا

وقـد أفد الرحيـل فقل لسعدى * لعمـرك خـبّرى ما تأمرينا

أخبرني بذلك جَحْظَةُ عنه. وأخبرني بهذا الخبر عبد الله بن محمد الرَّازيّ قال:
حدّثنا أحمدُ بن الحارث الخَرَّازُ عن ابن الأعرابيّ : أنّ ليلى هـذه كانتْ جالسةً
في المسجد الحرام ، فرأتْ عمرَ بن أبي ربيعة ، فوجّهتْ إليه مَوْلًى لها فجاءها به .
فقالت له : يابنَ أبي ربيعـة ، حتَّى متى لا تزال سادرًا[1] في حَرَم الله تُشَبِّبُ بالنساء
٥ وتُشيد بذكرهنّ ! أمَا تخاف الله ! قال : دعيني من ذاك واسمعي ما قلتُ . قالت:
وما قلتَ ؟ فأنشدها الأبياتَ المذكورة . فقالت له القول الذي تقدَّم أنها أجابتْه
به . قال : وقال لها : اسمعي أيضا ما قلتُ فيك ، ثم أنشدها قولَه :

أمِنَ الرَّسْمِ وأَطْلالِ الدِّمَنْ * عاد لي وَجْدي وعاودتُ الحَزَنْ[2]
إنّ حُـبِّي آلَ ليـلَى قاتـلي[3] * ظهـر الحبُّ بجسمي وبَطَنْ[4]
١٠ يا أبا الحـارث قلـبي طـائرٌ[5] * فأْتَمِـرْ أمرَ رشـيدٍ مؤتَمَنْ
الْتَمِسْ للقلب وصـلاً عنـدها[6] * إنّ خيرَ الوَصْـل ما ليس يُمَنّ[7]
عَلِقَ القلبُ ، وقد كان صَحًا ، * من بني بَكْرٍ غزالاً قد شَـدَنْ[8]
أحورَ المُقْـلة كالبـدر، إذا * قـلّد الدرّ فقلـبي مُمْتَحَنْ[9]

(١) السادر : الذي لا يهتم ولا يبالي ما صنع . (٢) رواية هذا البيت في ديوانه :
١٥ من رسـوم باليـات ودمن * عاد لي همّـي وعاودتُ دَدَنْ
والددن كبدن : اللهو واللعب ، ومثله الدَّدُ . (٣) كذا في ديوانه ، وفي الأصل : * حبكم يا آل نُعْم قاتلي *
(٤) في الأصل : «بقلبي» . وقد تقدّمت روايته في صفحة ١٤٠ كما أثبتناه. (٥) في ديوانه :
* يا أبا الخطاب قلبي هائم * (٦) في ديوانه : * اطلبن لي صاح وصلا عندها *
(٧) كذا في الديوان . ومعناه ما ليس يُقطع ؛ ومنه قوله تعـالى : (وإنّ لكَ لأجرا غيرَ ممنون) .
٢٠ وفي الأصل : « يعنّ » . (٨) روايه هذا البيت في ديوانه :
علق القلب غـزالا شـادنا * يالقـوم لغزال قـد شـدن
وشدن : شبّ وترعرع . (٩) ممتحن : واقع في محنة .

ليس حُبٌّ فوقَ ما أحببتُكم * غيرَ أنْ أقتُلَ نفسى أو أُجَنّْ
خُلِقَتْ للقلب مِنِّى فِتْنَةً * هكذا يُخْلَقُ معروضُ الفِتَنْ

قال : وفيها يقول :

إنّ ليلَى وقد بلغتُ المَشِيبا * لم تَدَعْ للنساء عندى نصيبَا
هاجِرٌ بيتَها لأنْفِىَ عنها * قولَ ذى العيب إن أرادَ عيوبَا

نسبة ما فى هذين الشعرين من الغناء

الغناء فى الأبيات الأولى النونية لابن سُرَيْج ثانى ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو . وفيها لابن عائشة ثقيلٌ أوّلُ، يقال : إنه أوّلُ ثقيلٍ غنّاه، كان يُغَنِّى الخفيفَ، فعِيبَ بذلك فصنع هذا اللحن . وفيه لعبد الله بن يونس الأُبُلِّىّ رَمَلٌ عن الهشامىّ .

والغناء فى :

* إنّ ليلَى وقد بلغتُ المشيبا *

لابن سُرَيج رَمَلٌ بالوسطى عن عمرو . وفيه لكَرْدَمٍ ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن عمرو أيضا . وذكر إبراهيم أنّ فيه لحنا لعَطَرَّدٍ، ولم يُجَنِّسه .

حديثه مع النوار وما قاله فيها من الشعر

أخبرنى محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حدّثنى محمد بن منصور الأَزْدىّ قال حدّثنى أبى عن الهَيْثَم بن عدىّ قال :

بينا عمر بن أبى ربيعة منصرفٌ من المُزْدَلِفَة يريد مِنًى إذ بَصُر بامرأة فى رِحالة[1] ففُتِن، وسمع عجوزًا معها تُناديها : يا نَوَارُ استترى لا يَفْضَحْك ابن أبى ربيعة . فاتّبعها عمر وقد شَغَلَتْ قلبَه حتى نزلت بمِنًى فى مِضْرَب[2] قد ضُرِب لها، فنزل إلى

(١) الرحالة : مركب للنساء يوضع على البعير . (٢) ضبطه السيد مرتضى شارح القاموس كمِنبر، قال : وضبطه شيخنا كمجلس، والعامة ينطقون به كمقعد، وهو الفسطاط العظيم .

جنب المِضْرَب ، ولم يزل يَتَلَطَّفُ حتى جلس معها وحادثها ، وإذا أحسنُ الناس وجهًا وأحلاه مَنْطِقًا [1] ، فزاد ذلك فى إعجاب عمرَ بها . ثم أراد معاودتَها فتعذّر ذلك عليه ، وكان آخرَ عهده؛ فقال فيها :

صـــوت

عَلِق النَّــوارَ فُؤادُهُ جَهْلَا * وصَبَا فــلم تترك له عقــلا
وتعرّضتْ لى فى المَسِير فما * أمسى الفؤادُ يَرى لها مِثْلا [2]
ما نعجةٌ [3] من وحش ذى بقرٍ [4] * تَغْذُو بسَقْط صَرِيمةٍ طِفْلا [5]
بألذَّ منهــا إذ تقول لنــا * وأردتُ كَشْفَ قناعها : مَهْلا
دعْنــا فإنك لا مُكارمــةً * تَجزِى ولستَ بواصلٍ حَبْلا
وعليكَ مَنْ تَبَلَ الفؤادَ وإن [6] * أمسَى لقلبك ذِكرُهُ شُغْلا
فأجبتُها إنّ المحبّ مُكَلَّفٌ [7] * فدَعِى العِتابَ وأحدِثِى بَدْلا

(١) فى لسان العرب (مادة «حنا») : «وروى أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "خير نساء ركبن الإبل خيار نساء قريش أحناه على ولد فى صغره وأرعاه على زوج فى ذات يده" . قوله أحناه أى أعطفه . وقوله أرعاه على زوج : إذا كان لها مال واست زوجها . قال ابن الأثير : «وإنما وحّد الضمير ذهابًا إلى المعنى ، تقديره أحنى من وجد أو من خلق أو من هناك ؛ ومنه أحسن الناس خلقا وأحسنه وجها ، يريد أحسنهم ، وهو كثير من أفصح الكلام» . اهـ (٢) فى ديوانه : «شكلا» .
(٣) فى الديوان وياقوت : «ما ظبية» . (٤) ذو بقر : موضع . (٥) سقط الصريمة : منتهاها . والصريمة : الرملة المصرمة من الرمال ذات الشجر . (٦) كذا فى الأصول والديوان . ولعلها : «ومن أمسى ...» . (٧) مكلّف لَهِجٌ بالحب ؛ يقال : كلِف بالشيء كَلَفًا أى لهج به فهو كلف ومكلَّف . والأبيات من الكامل الأحذّ ، وهو ما حذف من عروضه وضربه الوتد المجموع «علن» من «متفاعلن» . وقد جاء عروض هــذا البيت تاما على خلاف بقية الأبيات . ومنا هى أن حذف الوتد فى اصطلاح علماء العروض علة . والعلة إذا لحقت عروض أو ضرب لزم استعمالها فى سائر الأبيات . ولو كان : * فأجبتها إنى بكم كَلِفٌ * خلت القصيدة من هذا العيب .

الغناء لآبن مُحْرِز خفيفُ ثَقِيــلٍ بالسبابة فى مجـرى البنصر عن إسحاق . وفيه ثانى ثقيلٍ بالنصر ينسب إلى آبن عائشة .

حديثه مع أم الحكم وما قاله فيها من الشعر

أخبرنى محمـد بن خَلَف قال حدّثنى أبو عبـد الله السَّدُوسى عن عيسى آبن إسماعيل العَتَكِىّ عن هشام بن الكلبىّ عن أبيه قال :

حجّت آمرأةٌ من بنى أُمية يقال لها أُمُّ الحَكَم، فقَدِمتْ قبل أوانِ الحج مُعْتَمِرةً، فبينا هى تَطُوف على بغلةٍ لها إذ مرّت على عمر بن أبى ربيعة فى نَفَرٍ من بنى مَخْزوم وهم جلوسٌ يتحـدّثون وقد فَرَعهـم طولًا (١) وجَهرهم (٢) جمـالًا وبَهرهم شارةً وعارضةً (٣) وبيانا، فمالتْ اليهم ونزلتْ عندهم، فتحدّثتْ معهم طويلا ثم آنصرفتْ . ولم يزل عمر يتردّد اليها إلى أن آنقضتْ أيّامُ الحج، فرحَلت إلى الشأم . وفيها يقول عمر :

تأوّبَ لَيْــلِي بنَصْبٍ (٤) وهمّْ * وعاودتُ ذِكْرَى لِأُمّ الحَكَمْ
فبِتُّ أُراقِبُ لَيــلَ التَّمَـا * م، مَنْ نام من عاشقٍ لم أَنَمْ
فإمّا تَرَيْــنِي على ما عَرَا * ضعيفَ القيامِ شـديدَ السَّقَمْ
كثيرَ التقلّب فـوقَ الفِـرَا * شِ ما إن تُقِــلُّ قيامِى قَـدَمْ (٥)
بآنســةٍ طَيِّبٍ نَشْـرُها * هَضِيمِ الحَشَا (٦) عَذْبةِ المُبْتَسَمْ

فى أوّل الأبيات الثلاثة غناء . وقبلها وهو أوّل الصوت :

(١) فرعهم طولا : علاهم وطالهم . (٢) جهرهم : راعهـم جماله وهيئته .
(٣) العارضة : قوّة الحجة . (٤) النصب (بالفتح والضم وبضمتين) : البلاء والشر .
(٥) فى هامش ت عن نسخة أخرى : « ما تستقل بساقى قدم » . (٦) الحشا : الحضن وهو ظاهر البطن . وهضيم الحشا : هيفاء لطيفة الخصر .

صـــوت

وفتيانِ صــدقٍ صِباحِ الوجو * هِ لا يَجِدُون لشىءٍ أَلَمْ
مِن آلِ المُغــيرة لا يَشْهَدُو * نَ عنــد المَجَازِرِ لحــمَ الوَضَمْ[1]

الغناء فى هذه الأبيات لمـالك خفيفُ ثقيلِ الثانى بالبنصر وهو الذى يقال له المَـاخُورِىّ، عن عمرو. وفيه ثانى ثقيلٍ يُنْسَب إلى آبن سُرَيج والغَرِيض ودَحْمانَ. ٥
وفيه لآبن المكىّ خفيفُ رَمَلٍ .

حديثه مع سكينة بنت الحسين وما قاله فيها من الشعر

أخبرنى علىّ بن صالح قال حدّثنا أبو هَفَّانَ عن إسحاق عن أبى عبد الله الزُّبيرىّ قال :

اِجتمع نسوةٌ من أهل المدينة من أهل الشرف، فَتَذَاكَرْنَ عمرَ بن أبى ربيعة وشعرَه وظَرْفَه وحسنَ حديثه، فَتَشَوَّقْنَ اليه وتَمَنَّيْنَه ؛ فقالت سُكَينةُ بنت الحُسين ١٠
عليهما السلام: أنا لَكُنّ به. فأرسلتْ اليه رسولًا وواعدتْه الصَّوْرَيْنِ، وسمّتْ له الليلةَ والوقتَ، وواعدتْ صواحباتها؛ فوافاهنّ عمرُ على راحلته، فحدّثهنّ حتى أضاء الفجر وحان آنصرافهنّ. فقال لهنّ : والله إنى لمحتاج إلى زيارة قبر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم والصلاةِ فى مسجده، ولكن لا أخلط بزيارتكنّ شيئا. ثم آنصرف إلى مكة وقال :

---

(١) الوضم : ما وقى به اللحم عن الأرض من خشب وحصير. قال أبو منصور : إن من عادة العرب فى باديتها إذا نُحر بعير لجماعة الحىّ يقتسمونه أن يقلَعوا شجـرا كثيرا و يونَّم (يوضع) بعضه على بعض، ويُعَضَّى (يقطع) اللحم و يوضع عليه، ثم يلقى لحمه عن عُراقه (عظامه) و يقطّع على الوضم هبرا للقسْم، وتؤجج نار؛ فاذا سقط جمرها آشتوى من شاء من الحىّ شواءة بعـد أخرى على جمر النار لا يُمنع أحد من ذلك. ١
فاذا وقعت فيه المقاسم وحاز كل شريك فى الجزور مَقْسمةَ حوّله عن الوضم إلى بيته ولم يعرض له أحد.
والمراد وصفهم بالترفّع عن شهود اللحم يقتسمه النـاس . ٢

صــــوت

قالت سُكَينةُ والدموعُ ذَوَارِفٌ * منها على الخَدَّيْنِ والجِلْبابِ[1]

ليتَ المُغِيرىَّ الذى لم أَجزِه * فيما أطال تصيُّدى وطِلَابِى

كانت تردُّ لنا المُنَى أيّامنا * إذ لا نُلَامُ على هَوًى وتَصَابِى

خُبِّرتُ ما قالتْ فبِتُّ كأنّما * تَرْمِى[2] الحَشَا بنَوافِذِ النُّشَّابِ[3]

أُسُكَيْنُ[4] ما ماءُ الفُراتِ وطِيبُه * مِنِّى على ظمإٍ وفَقْدِ شَرَابِ[5]

بألذَّ منكِ و إن نأيتِ وقلّما * ترعَى النساءُ أمانةَ الغُيَّابِ

الغناء للهُذَلىّ رَمَلٌ بالوسطى عن الهِشَامِىّ . وفيه للغَرِيض خفيفُ ثقيل بالوسطى عن حَبَشٍ . قال وقال فيها :

صــــوت

أُحبُّ لحبّك مَنْ لم يكن * صَفِيًّا لنفسى ولا صاحبَا

وأَبذُلُ نفسى لِمَرْضاتكم[6] * وأُعتِبُ مَنْ جاءكم عاتبا

وأرغَبُ فى وُدِّ مَنْ لم أكن * إلى وِدِّه قبلَكم راغبا

ولو سلَكَ الناسُ فى جانبٍ * مِنَ الأرض وٱعتزلتْ جانبا

لَيَمَّمْتُ طِيَّتَها ، إنّنى * أرى قُرْبَها العَجَبَ العاجبا

---

(١) الجلباب : القميص أو هو الخِمار، وهو ما تُغطى به المرأة رأسها . (٢) كذا فى الأصل والديوان المخطوط . وفى الديوان المطبوع : « رمى » . (٣) النُّشّاب : النَّبـل .

(٤) فى أمالى القالى الطبعة الأميرية ج ١ ص ٣١ : «أُعلىّ» . وفى ج ٢ ص ٢٦ : «أسكين» .

(٥) كذا فى الأمالى فى الموضعين السابقين . وفى ديوانه : « وحب شراب » . وفى الأصل : « و برد شراب » . (٦) بهامش ت عن نسخة أخرى : « مالى » .

فما نعجةٌ[1] من ظباء الأرا * كِ تَقْرو[2] دميثَ الرُّبَا[3] عاشبا
بأحسنَ منها غَدَاةَ الغَميم[4] * وقد أبدت[5] الخدَّ والحاجبا
غداةَ تقولُ على رِقْبَةٍ * لخادمِها[6] : يا ٱحْبِسِى الراكبا[7]
فقالت لها : فِيمَ هذا الكلامُ * وأبدتْ لها عابسًا قاطبا[8]
فقالت كريمٌ أتى زائرًا * يَمُرُّ بكم هكذا جانبا
شريفٌ أتى رَبْعَنا زائرًا * فأَكْرَهُ رجعتَه خائبا[9]]

غنَّى فى الأوّل والثانى والرابع والخامس[10] من هذه الأبيات ٱبن القفّاص[11] المكىّ، ولحنه رملٌ من رواية الهشامىّ .

بقوم ابن أبى ربيعة

[وحدّثنى[12] وَكِيعٌ وٱبنُ المَرْزُبان وعمِّى قالوا حدّثنا عبدُ الله بن أبى سَعْد قال حدّثنا إبراهيم بن المُنْذِر الحِزَامىّ قال حدّثنا محمدُ بن مَعْنٍ الغِفَارِىّ قال حدّثنى سُفْيانُ ٱبن عُيَينةَ قال :

(١) فى الديوان . : « فاظبية » . (٢) قراه يقروه : تتبعه . (٣) دميث الربا : سهلها ولينها . وفى ديوانه : « دماث » . والظاهر أنه تحريف ؛ لأن دماثا : جمع دمث أو دمثة أو دميث ، وقوله «عاشبا» إنما يناسب أن يكون حالا من المفرد لا من الجمع . (٤) الغميم كأمير : موضع بين مكة والمدينة . (٥) فى الديوان «إذا» . (٦) الخادم : واحد الخدم غلاما كان أو جارية . (٧) أى وجها عابسا . وهذا البيت وما بعده فى ديوانه هكذا :

غداة تقول على رقبة * لقيمها : إحبس الراكبا
فقال لها فيم هذا الكلا * م فى وجهها عابسا قاطبا

(٨) قاطبا : من القطوب ، وهو تزوّى ما بين العينين من العبوس . (٩) إلى هنا انتهت الزيادة عن النسخة التيمورية . (١٠) فى ت : « فى الأوّل والرابع والخامس ... وفى أ : « غنى فى الأول والثانى والخامس » . (١١) فى م ، ء : «ٱبن العقاص » وقد تقدّم فى صفحة ١٣٣ «ٱبن القفاص » فى جميع النسخ . (١٢) الجملة الموضوعة بين هذين القوسين المربعين والتى أوّلها فى هذه الصفحة وتنتهى فى صفحة ١٦٨ غير موجودة فى نسختى ح ، ر .

بينا أنا ومِسْعَرُ بنُ كِدَامٍ مع إسماعيلَ بنِ أميّةَ بفِناء الكعبة إذا[1] بعجوزٍ قد طلعتْ علينا عَوْراءَ متكئةً على عصًا يُصَفِّق أحدُ لَحْيَيْها على الآخر، فوقفتْ على إسماعيلَ فسلّمتْ عليه، فردّ عليها السلامَ، وساءلها فأَحْفَى[2] المسألةَ، ثم انصرفتْ. فقال إسماعيلُ: لا إله إلا الله! ماذا تفعل الدنيا بأهلها! ثم أقبل علينا فقال: أتعرِفان هذه؟ قلنا: لا والله، ومَنْ هي؟ قال: هذه "بَغُومُ"[3] ابن أبى ربيعة التى يقول فيها:

حَبَّذا أنتِ يا بَغُومُ وأسما * ءُ وعِيصٌ[4] يُكِنُّنا وخَلاءُ

انْظُرا[5] كيف صارتْ، وما كان بمكةَ امرأةٌ أجملُ منها. قال: فقال له مِسْعَر: لا وربِّ هذه البَنِيَّة، ما أَرَى أنه كان عند هذه خيرٌ قطُّ. وفى هذه الأبيات يقول عمر:

صوت

صَرَمتْ حَبْلَكَ البغومُ وصَدَّتْ * عنكَ فى غير رِيبَةٍ أسماءُ

والغَوانِى إذا رأينَكَ كَهْلًا * كان فيهنّ عن هَواكَ التِواءُ

حَبَّذَا أنتِ يا بَغُومُ وأسما * ءُ وعِيصٌ يُكِنُّنا وخَلاءُ

ولقد قلتُ ليلةَ الجَزْلِ[6] لمّا * أخضلتْ رَيْطتى علىّ السماءُ

(١) فى الأصول: «وإذا» بزيادة الواو. (٢) كذا فى ت، ١، م. ومعناه ردّد المسألة وبالغ فيها. وفى سائر النسخ: «فأخفى» وهو تصحيف (٣) فى ت: «هذه بغوم جارية عمر بن أبى ربيعة». (٤) كذا فى الديوان. والعيص: الشجر الكثير الملتفّ. وفى ى، ١، ت: «وعيش يكفّنا». وفى سائر النسخ: «وعيس يكفّنا» تحريف.

(٥) كذا فى ت. وفى سائر النسخ: «انظر» تحريف. (٦) الجزل: موضع قرب مكة. وأخضل: بلّ. والريطة: مُلاءة كلها نسج واحد وقطعة واحدة.

ليتَ شِعْرِي وهل يُرَدَّنَّ ليتٌ * هل لهذا عند الرَّبَاب جزاءُ

كُلُّ وَصْلٍ أَمْسَى لدىَّ لأُنثى * غيرها وَصْلُها إليها أداءُ

كل خَلْقٍ وإنْ دنا لِوِصَالٍ * أو نأى فهو للرَّبَاب الفِدَاءُ

فعِدِي نائلًا وإن لم تُنِيلي * إنّما[1] يَنْفَعُ[2] المحبَّ الرجاءُ

لِمَعْبَدٍ في: « ولقد قلت ليلة الجزل... » والذي بعده خفيفُ ثقيلٍ مطلقٍ في مجرى الوسطى عن يونسَ وإسحاقَ ودنانيرَ،[3] | وهو من مشهور غنائه |.

أخبرني الحَرَمِيّ قال حدّثنا الزُّبَيْر قال حدّثتني ظَبْيَةُ[4] مولاةُ فاطمةَ بنت عمر بن مُصعَب عن ذُهَيبةَ[5] مولاةِ محمد بن مُصْعَب بن الزُّبَيْر قالت:

كنتُ عندَ أَمَةِ الواحد أو أَمَةِ المجيد[6] بنتِ عمرَ بن أبي ربيعة في الجُنْبُذ[7] الذي في بيت سُكَيْنَةَ بنتِ خالد بن مصعب أنا وأبوها عمرُ وجاريتان له تُغنّيان، يقال لإحداهما البَغُوم، والأخرى أَسْماء. وكانت أَمَةُ المَجِيد بنتُ عمرَ تحت محمد بن مُصْعَب بن الزبير.

---

(١) في ت «إنه». (٢) تقدّم في صفحة ١٤٣ في الحاشية رقم ٣ احتمال أنه « يقنع ».

(٣) زيادة عن ت. (٤) في ت: « طيبة ». (٥) في ت: « ذهيبة ».

(٦) في ت: « كنت عند أمة المجيد بنت عمر ... وكانت أمة المجيد الخ ». وقد تقدّم أن لعمر بن أبي ربيعة ابنة يقال لها أمة الواحد، وفيها يقول:

لم تدر وليغفر لها ربها * ما جشمتنا أمة الواحد

(٧) في الأصول: « الجنيد » تحريف. والجنبذ، كما في شرح القاموس (مادة جنبذ) ما ارتفع مستدير من الأبنية والآزاج كالقبة. وفي القاموس وشرحه مادة جبذ واللسان وابن الأثير مادة جنبذ: أن الجُنبذة (هكذا بالتاء) القبة عن ابن الأعرابي. وفي الحديث في صفة أهل الجنة: « وسطها من جنابذ من ذهب وفضة يسكنها قوم من أهل الجنة كالأعراب في البادية ». وفي حديث آخر: « فيها جنابذ من لؤلؤ ». قال السيد محمد مرتضى: وهو فارسيّ معرب، وأصله كنبذ. وقال ياقوت في مادة جنبذ: جُنُبذ من قرى نيسابور، والعجم تقول كنبد بالكاف، ومعناه عندهم الأزج المدوّر كالقبة ونحوها.

قالت : فقال عمر بن أبى ربيعةَ وهو معهم فى الجُنْبُذ[1] هذه الأبياتَ . فلما انتهى إلى قوله :

ولقد قلتُ ليلةَ الجَزْل لمّا * أَخْضَلت رَيْطتى علىّ السماءُ

٦٩
١

خرجتِ البَغُوم ثم رجعتْ إليه فقالت : ما رأيتُ أكذبَ منك يا عمر ! تزعُم أنك بالجَزْل وأنت فى جُنْبُذ[1] محمد بن مصعب ، وتزعم أنّ السماء أَخْضَلتْ رَيْطتَك وليس فى السماء قَزَعةٌ[2]! قال : هكذا يستقيم هذا الشأن .

٥

وأخبرنى علىّ بن صالح عن أبى هَفَّانَ عن إسحاقَ عن المُسَيَّبِىّ ومحمد بن سَلَّام أنّ عمر أنشد ابنَ أبى عَتيق قولَه :

حَبّذا أنتِ يا بغومُ وأسما * ءُ وعِيصٌ يَكُنُّنا وخَــلاءُ

فقــال له : ما أبقيتَ شيئًا يُتَمَنَّى يا أبا الخَطَّاب إلا مِرْجَلًا يُسَخَّن لكم فيه المــاءُ للغُسْــل .

١٠

عمر وأم محمد بنت مروان بن الحكم

أخبرنى ابن المَرْزُبان قال حدّثنى إسماعيل بن جعفر عن محمــد بن حَبِيبَ عن ابن الأعرابىّ قال :

حَجّتْ أُمُّ محمدٍ بنتُ مروانَ بنِ الحَكَم ، فلمّــا قَضَتْ نُسُكَها أتتْ عمرَ بن أبى ربيعةَ وقد أخفتْ نفسَها فى نِسْوة[3] ، فحدّثها مَلِيًّا . فلمّا انصرفت أَتْبعَها عمرُ رسولًا عرَف موضعَها وسأل عنها حتى أَثْبَتَها[4] ، فعادتْ إليه بعد ذلك فأخبرها بمعرفته إيّاها .

١٥

(١) انظر الحاشية رقم ٧ فى الصفحة السابقة .
(٢) القزعة : قطعة الغيم .
(٣) كذا فى ت . وفى ب ، س : « بيتها » .
(٤) أثبتها : عرفها وتحققها .

فقالت : نَشَدْتُكَ اللهَ[1] أن تُشَهِّرَنِي بشعرك ! وبعثت إليه بألف دينار، فقبلها وآبتاع بها حُلَلًا وطِيبًا فأهداه إليها، فردّته . فقال لها : واللهِ لئنْ لم تقبليه لأُنْهِبَنّه[2]، فيكون مشهورا ؛ فقبلته ورحلت . فقال فيها :

صــــوت

٥ أيها الراكبُ المُجِدُّ آبْتِكَارَا[3] * قد قَضَى من تِهَامَةَ الأَوْطَارَا

من يكنْ قلبُه صَحِيحًا سَلِيمًا * ففؤادي بالخَيْفِ أمسَى مُعَارَا

ليتَ ذا الدهرَ كان حَتْمًا علينا * كُلَّ يومين حِجَّةً وآعتِمَارَا

الغناء لآبن مُحْرِز ولحنُه من القَدْر الأوسط من الثَّقيل الأوّل بالخِنْصَر في مجرى الوُسْطى عن إسحاق، وفيه أيضا له خفيفُ ثقيلٍ بالوُسْطى عن آبن المكّيّ . وفيه

١٠ لِذُكَاءَ وَجْهِ الرِّزَّةِ[4] المُعْتَمِديّ ثقيلٌ أوّلُ من جيّد الغناء وفاخر الصَّنْعة ليس لأحد من

(١) يقال : نشدتك الله ونشدتك بالله وناشدتك الله أن تفعل كذا ، أي سألتك به برفع نشيدي أي صوتي . والمراد هنا سألتك بالله ألا تشهرني في شعرك . وقد تحذف « لا » النافية إذا دل عليها سياق الكلام . وقد حمل على ذلك آيات من القرآن الكريم ؛ قال صاحب اللسان (مادة لا) : «... عن أبي زيد في قول الله عزّ وجلّ : (يبيّن الله لكم أن تضلّوا) قيل في تفسيره مخافةَ أن تضلوا أو حذارَ أن تضلوا .

١٥ ثم قال : ولو كان : يبين الله لكم أن لا تضلوا ، لكان صوابا . ومنه قوله تعالى : (إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا) يريد : أن لا تزولا . وقوله تعالى : (أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون) يريد : أن لا تحبط » . وقد تحذف « لا » ، وهذا مقيس ، فيكون حذفها وذكرها سواء ؛ وذلك إذا وقعت قبل المضارع في جواب القسم ، فيكون عدم توكيد الفعل دليل حذفها . ومن حذفها قوله تعالى : (قالوا تالله تفتأ تذكر يوسف) أي لا تفتأ ؛ وقول الشاعر :

٢٠ وآليت آسى على هالك * وأسأل نائحة مالها

أي لا آسى ولا أسأل . (٢) لأنهبنه : لأجعلنّه لمن شاء نَهْبا . (٣) في الديوان ، ت : « الرائح » . (٤) كذا في ت ، ب ، س . وفي سائر النسخ هكذا : « وجه الرزة » (انظر الحاشية رقم ١ ص ١٤١ من هذا الجزء) .

طبقته وأهل صَنْعَتِه مثلُه . وأنشد ابنُ أبى عَتِيق قولَ عمر هذا ، فقال : الله أَرْحَمُ بعبادِه أن يجعلَ عليهم ما سألته ليَتِمَّ لكَ فِسْقُك .

عمر وحميدة جارية ابن تفاحة

أخبرنى ابن المَرْزُبَان قال أخبرنى أحمد بن يحيى القُرَشِىّ عن أبى الحَسَن الأَزْدِىّ عن جماعةٍ من الرُّواة :

أنّ عمر كان يهوَى حُمَيدةَ جاريةَ ابنِ تُفَّاحَة[1] ، وفيها يقول :

٥

صــــوت

حُمِّلَ القلبُ من حُمَيدةَ ثِقْلَا * إنّ فى ذاك للفؤاد لشُغْلَا
إنْ فعلتُ الذى سألتِ فقُولِى * حَمْدُ خيراً وأَتْبِعِى[2] القولَ فِعْلَا
وصِلِينِى فأُشْهِدُ[3] اللهَ أَنِّى * لستُ أُصْفِى سواكِ ما عشتُ وَصْلَا

الغناء لمَعْبَد خفيفُ ثقيلٍ بالوُسْطى عن يحيى المكىّ والهشامىّ . وفيها يقول :

١٠

صــــوت

يا قلبُ هل لك عن حُمَيدةَ زاجرُ * أم أنت مُدَّكِرُ الحياء فصابر
فالقلبُ من ذِكْرَى حميدةَ مُوجَعٌ * والدَّمْعُ مُنْحدِرٌ وعَظْمِى[4] فاتر
قد كنتُ أحسَبُ أنّنى قبلَ الذى * فعلتْ علىّ ما عند حَمْدَةَ قادر
حتى بَدَا لى من حُمَيدةَ خُلَّتى[5] * بَيْنٌ وكنتُ من الفِراق أُحاذِر

١٥

الغناء لمَعْبَد خفيفُ ثقيلٍ بالسبابة فى مَجْرى البِنْصر عن إسحاق[6]] .

٧٠ / ١

(١) فى ب ، س : « ابن ماجة » ولم نوفق لترجيح أحد الاسمين . (٢) كذا فى ت . وفى سائر النسخ والديوان : « أو أتبعى » . (٣) فى ت : « وصلينى وأشهد » .
(٤) كذا فى ت . وفى سائر النسخ والديوان : « ودمعى » . (٥) خلتى : صديقتى .
(٦) فى ت : « الغناء لمعبد ذكره له إسحاق ولم يجنسه وذكر الهشامى أنه ثقيل أوّل » . وإلى هنا انتهى الكلام الساقط من نسختى حـ ، ر .

٢٠

حديث عمر مع بعض جواري بني أمية في موسم الحج

أخبرني الحسن بن عليّ الخفّاف[1] قال حدّثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدّثني أبو مسلم المستملي[2] عن ابن أخي زرقان[3] عن أبيه قال :

أدركتُ مولًى لعمر بن أبي ربيعةَ شيخا كبيرا، فقلت له : حدّثني عن عمرَ بحديث غريب؛ فقال : نعم ! كنتُ معه ذاتَ يوم، فاجتاز به نِسْوةٌ من جواري بني أُمية قد حَجَجْنَ، فتعرّض لهنّ وحادثهنّ وناشدهنّ مُدّةَ أيّام حجّهنّ؛ ثم قالت له إحداهنّ : يا أبا الخطّاب، إنّا خارجاتٌ في غدٍ فابعَثْ مولاك هذا إلى منزلنا نَدْفَعْ إليه تَذْكَرَةً تكون عندك تذكُرنا بها . فسُرَّ بذلك ووجّه بي إليهنّ في السَّحَر، فوجدتُهنّ يركَبْنَ، فقُلْنَ لعجوزٍ معهنّ : يا فلانةُ، ادفَعي إلى مولَى أبي الخطاب التَّذْكَرَةَ التي أتحفْناه بها . فأخرجتْ إليّ صُندوقًا لطيفًا مُقفَلا مختوما؛ فقلنَ : ادفَعْه إليه وارتحلْنَ . فجئتُه به وأنا أظنُّ أنه قد أُودِعَ طِيبًا أو جَوْهَرًا . ففتحه عمرُ فإذا هو مملوءٌ من المَضارِب (وهي الكيرنجاتُ[4])، وإذا على كلِّ واحد منها اسمُ رجل من مُجّانِ مكّةَ، وفيها اثنانِ كبيرانِ عظيمانِ، على أحدهما الحارثُ بن خالد وهو يومئذ أميرُ مكّة، وعلى الآخر عمرُ بن أبي ربيعة . فضحك وقال : تَماجَنَّ عليَّ ونَفَذْنَ[5] لهنّ . ثم أصلح مأدُبةً

(١) الخفّاف : بائع الخِفاف . (٢) في ى : «المشتمل» وفي : حـ «المستهلي» وكلاهما تحريف؛ لأن الاستملاء صناعة من كانوا كتبة لما يُملى عليهم من الأكابر والعلماء، وبه لُقّب كثير من العلماء .

(٣) في ب، س، م، أ، ء : «ذروان» . وزُرْقان وذَرْوان كلاهما مسمّى به . ولم نعثر على ما يرجّح أحدهما . (٤) الكيرنجات : جمع الكيرنج، وهي كلمة فارسية مركبة من كلمتين هما "كير" بمعنى عضو التناسل، و "رَنْج" وهو بالفارسية رَنْك ومعناه الشكل واللون . وذلك مثل «نيرنج» المركب من كلمتين الأولى «نَو» أو «نَى» بمعنى الجديد، ورنج أي اللون والشكل؛ وذلك مجاز عن المكر والخديعة، فمعناه البدعة الجديدة . والمضارب : جمع مضرب، ولعله يريد آلة الضراب وهو السفاد؛ يقال : ضرب الفحل الناقةَ يضربها ضِرابا، اذا نزا عليها . (٥) أي نفذ لهنّ تماجنهنّ وتم لهنّ ما أردن .

ودَعَا كلَّ واحد ممن له اسمٌ فى تلك المَضَارب . فلما أكلوا واطمأنوا للجلوس قال: هاتِ يا غلام تلك الوديعة ، فجئته بالصندوق؛ ففتحه ودفع الى الحارث الكِبِرَ نجَّ الذى عليه ٱسمُه . فلما أخذه وكَشَف عنه غطاءَه فَزِع وقال : ما هـذا أخزاك اللهُ ! فقال له : رُوَيدًا، اِصْبِرْ حتى تَرَى . ثم أخرج واحدًا واحدًا فدفَعه إلى من عليه ٱسمُه حتى فرَّقها فيهم؛ ثم أخرَج الذى بٱسمه وقال: هذا لى. فقالوا له : وَيْحَك ! ماهذا ؟ فحدّثهم بالخبر فعَجبوا منه، وما زالوا يتمازَحُون بذلك دهرًا طويلا و يضحكون منه .

قصة عمر مع البنات اللاتى أبصرهن من وراء المضرب

قال وحدّثنى هذا المولى قال: كنتُ مع عمر وقد أَسَنَّ وضَعُف، فخرج يوماً يمشى متوكئًا على يدى حتى مرَّ بعجوزٍ جالسةٍ، فقال لى: هذه فلانةُ وكانت إلْفًا لى، وعدَل[1] إليها فسلَّم عليها وجلَس عندها وجعَل يُحادِثُها، ثم قال : هذه التى أقول فيها :

صــــوت

أبصرْتُها ليـلةً ونِسْوَتَها * يَمْشِينَ بين المَقَام والحَجَرِ
بِيضًا حِسَانًا نَوَاعِمًا[2] قُطُفًا * يَمْشِينَ هَوْنًا كِمِشْيَةِ البَقَرِ
قالتْ لِتِرْبٍ لها تُلاطِفُها * لَنُفْسِدَنَّ الطَّوافَ فى عُمَرِ
قُومِى تَصَدَّىْ له لِيَعرِفَنا * ثم ٱغمزِيه يا أُختِ فى خَفَرِ
قالتْ لها قد غمَزْتُه فأَبَى * ثم ٱسبطَرَّتْ[3] تَشْتَدُّ فى أثَرِى
بل يا خليلَىَّ عادنى ذِكَرِى * بل ٱعترتْنِى الهُمُومُ بالسَّهَرِ[4]

(١) فى ب ، س ، ح ، ر : «فعدل» . (٢) فى ديوانه : « خرائدا » : جمع خريدة وهى البكر التى لم تمسس قط ، أو الحيِّية الطويلة السكوت الخافضة الصوت الخفرة المتسترة . (٣) اسبطرّت : أسرعت . وفى ت : «اسْطِيرت» ؛ يقال اسْتطِير الفرس ، إذا أسرع فى الجرى فهو مستطار . وتشتدّ : تعدو . (٤) لم يذكر هـذا البيت بتلك القصيدة فى ديوانه . و إنما ذكر بعد البيت الذى قبله بيتان آخران هما :

من يُسق بعد المنام ريقَتَها * يُسقَ بمسك وبارد خصر
حوراء ممكورة محيَّـة * عسراء للشكل عند مجتمر

— الغناء لابن سُرَيج فى السادس والأوّل والثانى خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو . وفيهـا لسِنَانٍ الكاتبِ رَمَلٌ بالوسطى عنه وعن يونس . وفيها للأَبْجَر خفيفُ رملٍ بالوسطى عنه . وفى :

* قالت لتربٍ لهـا تُلاطِفها *

لعبد الله بن العباس خفيفُ رملٍ بالبِنْصر عن الهشامىّ ، وفيه للدَّلَالِ خفيفُ ثقيلٍ عنه أيضا . ولأبى سَعِيد مولَى فائدٍ[1] فى الأوّل والثانى ثقيلٌ أوّلُ عن الهِشَامىّ أيضا ، ومن الناس من يَنْسُب لحنَه إلى سِنَان الكاتب و ينسب لحنَ سنان إليه —

٧١
١

قال : وجلس معها يحادِثُها ، فأطلعتْ رأسَها إلى البيت وقالت : يابناتى ، هذا أبو الخطاب عمر بن أبى ربيعة عندى ؛ فإن كُنْتُنَّ تشتهينَ أن تَرَيْنَه فتعالَيْنْ . فجئن إلى مِضْربٍ[2] قد حَجَزْنَ[3] به دونَ بابها فجعلن يَثْقُبْنَه و يَضَعْنَ أعينهن عليــه يُبصرن . فاستسقاها عمر ؛ فقالت له : أىُّ الشراب أحبّ اليك ؟ قال : المــاء . فأُتِىَ بإناء فيه ماء ، فشرب منه ، ثم ملأ فَمَه فمجّه عليهنّ فى وجوههن[4] من وراء الحاجز ؛ فصاح الجوارى وتهارَبْنَ وجعلنَ يضحكن . فقالت له العجوز : ويلك ! لا تَدَعُ مُجونَك وسَفَهك مع هــذه السنّ ! فقال : لا تلوميني ؛ فمــا ملكتُ نفسى لمــّا سمعتُ من حَرَكاتهن أن فعلتُ ما رأيت .

حديث عمر مع المرأة التى رآها فى الطواف وارتحل معها إلى العراق

أخبرنى محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حدّثنى أحمد بن منصور بن أبى العلاء[5] الهَمَدانىّ[6] قال حدّثنى علىُّ بنُ طَرِيف[7] الأَسَدىّ قال :

---

(١) فى ت : « فـائد » . (٢) المضرب (كمنبر ومقعــد) : الفسطاط العظيم .
(٣) فى ت ، أ ، ء ، م : « حجرت به » . (٤) كذا فى ت . وفى سائر النسخ : «وفى وجوههن» . (٥) فى ت ، حـ ، ر : «أبن العلاء» بدون «أبى» . (٦) فى ت ، ب ، س : « الهمَذانى » بالذال المعجمة . (٧) كذا فى ت ، ر . وفى سائر النسخ : «ظريف» . ولم نعثر على أنه سمّى به .

سَمِعتُ أبى يقول: بينا عمرُ بنُ أبى ربيعة يطوف بالبيت إذ رأى آمرأةً من أهل العراق فأعجبه جمالُها، فمشى معها حتى عرَف موضعها، ثم أتاها فحادثها وناشدها وناشدته(١) وخطَبها. فقالت: إنّ هذا لا يصلُح هاهنا، ولكن إن جئتَنى إلى بلدى وخطَبتنى إلى أهلى تزوّجتُك. فلما آرتحلوا جاء إلى صديق له من بنى سَهْم وقال له: إنّ لى إليك حاجةً أُريد أن تُساعِدَنى عليها؛ فقال له نعمْ. فأخَذ بيده ولم يذكُرْ له ماهى، ثم أتَى منزلَه فركب نَجِيبًا له وأركبه نجيبا [آخر](٢)، وأخذ معه ما يُصْلِحه، وسارا لا يَشُكُّ السَّهْمِىّ فى أنه يريد سفرَ يوم أو يومين؛ فما زال يَحْفِد(٣) حتى لحِق بالرُّفْقة، ثم سار بسيرهم يُحادِث المرأةَ طولَ طريقه ويُسايرها وينزل عندها إذا نزَلَتْ حتى ورَد العِراقَ. فأقام أيّاما، ثم رَاسَلها يَتَنَجَّزُها وعدَها؛ فأعلمتْه أنها كانت متزوّجةً آبنَ عمٍّ(٤) لها وولدت منه أولادًا ثم مات وأوصى بهم وبماله إليها ما لم تتزوّج، وأنها تخاف فُرْقةَ أولادها وزوالَ النعمة؛ وبعثَتْ إليه بخمسة آلاف درهم وآعتذرتْ؛ فردّها عليها ورحَل إلى مكة؛ وقال فى ذلك قصيدتَه التى أوّلها:

صوت

نام صَحْبِى ولم أَنَمْ * من خَيالٍ بنا أَلَمّ

(١) كذا فى ت. وفى سائر النسخ: «وأنشدته». ولم توجد هذه الكلمة فى حـ.
(٢) زيادة فى ت. (٣) حفد (من باب ضرب): خفّ وأسرع. وفى ت: «يَحُثُّ»؛ يقال: حثه وآستحثه وآحتثه فآحتثّ، أى آستعجله وحضّه على السير. وفى أ، م، ء: «يَخُبُّ» والخَبب: ضرب من العَدْو، وقيل هو الرمل وهو الهرولة فى السير. (٤) كذا فى ت. وفى سائر النسخ: «متزوّجة بآبن عم». قال فى اللسان نقلا عن التهذيب: وليس من كلامهم تزوّجت بآمرأة ولا زوّجت منه آمرأة. وقوله تعالى: (وزوّجناهم بحور عين) أى قرنّاهم بهنّ. وقال الفراء: تزوّجت بآمرأة لغة فى أزد شنوءة.

طافَ بالركبِ مَوْهِنًا * بين خاخٍ(١) إلى إِضَم(٢)

ثم نبّهتُ صاحبًا * طَيِّبَ الخِيم(٣) والشِّيَمْ

أَرْيَحِيًّا مُساعِدًا * غيرَ نِكْسٍ(٤) ولا بَرِمْ

قلتُ يا عَمْرُو شَفَّني * لاعِجُ الحُبِّ والألَمْ

ايتِ هِنْدًا فقُلْ لها * ليلةَ الخَيْفِ ذي السَّلَمْ(٥)

الغناء لمالك خفيفُ رَمَلٍ بالسبّابة في مجرى الوسطى عن إسحاق ويونس. وفيه لعبد الله بن العبّاس الرَّبيعيّ خفيفُ رَمَلٍ من رواية عمرو بن بانةَ، وذكر حَبَش أنّ لحن عبد الله بن العباس رَمَلٌ آخر عن الهشاميّ.

عود إلى شهادة جرير في شعر عمر

أخبرني محمد بن خلف قال حدّثنا الحُسَين بن إسماعيل عن ابن عائشةَ عن أبيه قال:

٧٢ / ١

كان جريرٌ إذا أُنْشِد شعرَ عمر بن أبي ربيعة قال: شعرٌ تِهاميٌّ إذا أَنْجد وَجَد البَرْدَ، حتى أُنْشِدَ قولَه:

رأتْ رجُلًا أمّا إذا الشمسُ عارضتْ * فيَضْحَى وأمّا بالعَشِيِّ فيَخْصَرُ

... الأبيات. فقال: ما زال هذا يَهْذِي حتى قال الشعر.

---

(١) خاخ: موضع بين الحرمين، ويقال له: روضة خاخ، بقرب حمراء الأسد من المدينة، يصرف بأعتبار المكان ولا يصرف بأعتبار البقعة مع العلمية. (٢) إضم: واد بجبل تهامة، وهو الوادي الذي فيه المدينة؛ قال الأحوص:

يا موقد النار بالعلياء من إضم * أوقد فقد هجت شوقا غير مضطرم

إلى قوله: وما طربت بشجو أنت نائله * ولا تنوّرت تلك النار من إضم

ليست لياليك من خاخ بعاهدة * كما عهدت ولا أيام ذي سلم

بعاهدة: بوافية كما وفيت؛ من عهد فلان وعده: وفاه. ويجوز أن تكون «بعائدة» بمعنى راجعة كما عرفت. وفي ت، حـ، ر: * بين خاخ إلى عظم * وذو عظم بضمتين: عرض من أعراض خيبر فيه عيون جارية ونخيل عامرة. ويروى عَظَم بفتحتين. (٣) الخيم: الطبيعة والسجية. (٤) النكس: الضعيف. والبرم: الذي لا نفع فيه. (٥) في الديوان، حـ، ر: * ليلة الخيف بالسلم.

حنين عمر إلى ذكر الغزل بعد أن كبرت سنه

أخبرنى حَبِيبُ بنُ نَصْر المُهَلَّبىّ قال حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدّثنى عمّى عن عثمانَ بنِ إبراهيمَ الخاطِبىّ [1]، وأخبرنى به محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حدّثنى إسحاق ٱبن إبراهيم عن محمد بن أبَان قال أخبرنى العُتْبىّ عن أبى زيد الزُّبيرىّ عن عثمانَ ٱبنِ إبراهيمَ الخاطبىّ قال :

أتيتُ عمرَ بنَ أبى ربيعةَ بعد أن نَسَكَ بسنينَ وهو فى مجلس قومه من بنى مَخْزوم، فانتظرتُ حتى تفرّقَ القومُ، ثم دنوتُ منه ومعى صاحبٌ لى ظريفٌ وكان قد قال لى : تعَالَ حتى نَهِيجَه على ذكر الغزَل، فننظرَ هل بَقِىَ فى نفسه منه شىءٌ. فقال له صاحبى : يا أبا الخَطّاب، أكرمكَ الله! لقد أحسن العُذْرِىّ وأجادَ فيما قال. فنظَر عمرُ إليه ثم قال له : وماذا قال؟ قال : حيث يقول :

لو جُذَّ بالسَّيف رأْسى فى مَوَدَّتها [2] * لَمَرّ يَهْوِى سريعاً نحوَها رَاسِى

(١) كذا فى ب، حـ، ر. وفى سائر النسخ : «الحاطبىّ» بالحاء المهملة وهو تصحيف. وقد ذكره السيد مرتضى فى مادة خطب وقال عنه : إنه من أئمة اللغة. (٢) فى بعض الأصول : «لو جز». وبقية هذا الشعر فى زهر الآداب المطبوع بالمطبعة الرحمانية سنه ١٩٢٥ الجزء الأوّل ص ٢٢٩ :

ولو بَلِى تحت أطباق الثرى جسدى * لكنت أبلَى وما قلبى لكم ناسى
أو يقبض الله روحى صار ذكركم * روحا أعيش به ما عشت فى الناس
لولا نسيم لذكراكم يروّحنى * لكنت محترقا من حرّ أنفاسى

وقد روى فيه الخبر على غير هذا الوجه؛ فقد روى فيه أنه قيل لعمر : أيعجبك قول الفرزدق :

* سرت لعينك سلمى بعد مغفاها * ... الأبيات؛ فلم يهش لها. فقيل له : أيعجبك قول العذرى : «لو جذ بالسيف الخ» فتحرّك ثم قال : يا ويحه! أبعد ما يُحَزّ رأسه يميل إليها!.

وفى الأمالى الطبعة الأميرية ج ٢ ص ٥٠ أن القائل للشعر الأوّل هو رسيان العذرى (هكذا)، وللشعر الثانى نحبة بن جنادة العذرى (هكذا). وفى النسختين المخطوطتين المحفوظتين بدار الكتب المصرية تحت رقمى ٦١ أدب ش و ٦٢ أدب ش أن الأوّل هو ريسان العذرى بتقديم الياء المثناة على السين، وأن الثانى هو نجبة ٱبن جنادة العذرىّ بالجيم المعجمة لا بالحاء المهملة.

وقد أردنا أن نحقق نسبة هذا الشعر للفرزدق فلم نعثر عليه فى ديوانه المطبوع بباريس سنة ١٨٧٥.

قال : فارتاح عمر إلى قوله وقال : هَاهْ ! لقد أجاد وأحسن ! فقلت : ولله درُّ جُنَادة العُذْرىّ ! فقال عمر حيث يقول ماذا وَيْحَك ؟ فقلت : حيث يقول :

سَرَتْ لَعينِكَ سَلْمَى بعد مَغْفَاها * فبتُّ مُستَنبِهاً(١) من بعد مَسْراها

وقلتُ أهلاً وسهلاً مَنْ هَدَاكِ لنا * إن كنتِ تِمْثالَها أو كنتِ إيَّاها

٥ مِنْ حبِّها أتمنَّى أن يلاقِيَنِي * مِنْ نَحْوِ بلدتها ناعٍ فيَنْعاها

كيما أقول فراقٌ لا لِقاءَ له * وتُضْمِرُ النفسُ يأساً ثم تَسْلاها

ولو تموتُ لراعتْني وقُلْتُ ألا * يا بُؤْسَ للموتِ ليتَ الموتَ أبقاها

قال : فضحك عمر ثم قال : وأبيك لقد أحسن وأجاد وما أبقَى(٢) ! ولقد هَيَّجْتُما علىَّ ساكنا ، وذكَّرْتُماني ما كان عنِّي غائبا ، ولأحدِّثنَّكما حديثا حُلْواً :

قصة عمر مع هند بنت الحارث المرّية وما قاله فيها من الشعر

١٠ بينا أنا منذُ أعوام جالسٌ ، إذ أتاني خالدٌ الخِرِّيتُ ، فقال لي : يا أبا الخطَّاب ، مَرَّتْ بي أربعُ نسوةٍ قُبَيْلَ(٣) العِشاء يُرِدْنَ موضعَ كذا وكذا لم أرَ مثلَهن في بَدْوٍ ولا حَضَر ، فيهنّ هندُ بنت الحارث المُرِّيّة ، فهل لك أن تأتيهنّ متنكّرا فتسمعَ من حديثهنّ وتتمتّعَ بالنظر إليهنّ ولا يعلَمْنَ مَنْ أنت ؟ فقلت له : وَيْحَك ! وكيف لي أن أُخْفِيَ نفسي ؟ قال : تَلْبَسُ لِبْسةَ أعرابيّ ثم تجلِسُ على قَعُودٍ [ثم آتيهنّ فسلِّمْ عليهنّ](٤) ، فلا يَشْعُرْنَ إلا بك

١٥ قد هَجَمْتَ(٥) عليهنّ . ففعلتُ ما قال ، وجلستُ على قَعُودٍ ، ثم أتيتُهنّ فسلّمتُ عليهنّ ثم وقفتُ بقُرْبِهنّ . فسألْنَنِي أن أُنْشِدَهنّ وأُحَدِّثَهنّ ، فأنشدتهنّ لكُثَيِّرٍ وجَميلٍ والأَحْوَصِ ونُصَيْبٍ وغيرِهم . فقلنَ لي : وَيْحك يا أعرابيّ ! ما أملحَك وأظرفَك ! لو نزلتَ فتحدّثتَ معنا

(١) استنبه من نومه : استيقظ . وفي حـ ، ر : « مستلهيا » . (٢) كذا في حـ ، ر . وفي سائر النسخ : « وما أساء » . (٣) كذا في م ، ا . وفي ب ، س ، حـ ، ر : « قبيل » .

٢٠ وفي باقي النسخ : « قبل العشاء » . (٤) زيادة في ب ، ا ، ء ، م .

(٥) في ب : « قد نجمت » ؛ يقال : نجم بمعنى طلع وظهر .

يومَنا هذا ! فإذا أَمْسيتَ آنصرفتَ فى حفظ الله . قال : فأنَخْتُ بَعيرى ثم تحدّثتُ معهنّ وأنشدتُهنّ ، فسُرِرْنَ بى وجَذِلْنَ بقُرْبى وأعجبهنّ حديثى . قال : ثم إنهنّ تَغامَزْنَ وجعل بعضُهنّ يقولُ لبعضٍ : كأنّا نعرِفُ هذا الأعرابىّ ! ما أشبهه بعمرَ بن أبى ربيعة ! فقالت إحداهنّ : فهو والله عمر ! فمدّتْ هندٌ[1] يدَها فآنتزعت عمامتى فألقتها عن رأسى ثم قالت لى : هِيه[2] يا عمر ! أتُراك خدعتَنا منذُ اليومِ ! بل نحن والله خدعناك وآحتلنا عليك بخالدٍ ، فأرسلناه إليك لتأتيَنا فى أسوأ هيئةٍ ونحن كما ترى . قال عمرُ : ثم أخذنا فى الحديث ، فقالت هندُ : ويحك يا عمرُ ! ٱسمع منّى ، لو رأيتَنى منذُ أيام وأصبحتُ عند أهلى ، فأدخلتُ رأسى فى جيبى ، فنظرتُ إلى حِرِى فإذا هو مِلءُ الكفِّ ومُنْيَةُ المتمنّى ، فناديتُ يا عُمَراه يا عُمَراه ! قال عمرُ : فصِحْتُ يا لَبَّيكاهُ يا لَبَّيكاه ! ثلاثًا ومَدَدتُ فى الثالثة صوتى ، فضحِكتْ . وحادثتُهنّ ساعةً ، ثم ودّعتُهنّ وآنصرفتُ . فذلك قولى :

٧٣ / ١ ٥ ١٠

صـــوت

عَرَفتُ مَصيفَ الحىِّ والمتربَّعا[3] * ببطْنِ حُلَيّاتٍ دوارسَ بَلْقَعَا

إلى السَّفْحِ[4] من وادى المُغَمَّس بُدِّلتْ * معالمُهُ وَبْلًا ونَكْباءَ زَعْزَعَا

لهندٍ وأترابٍ لهندٍ إذِ الهوى * جميعٌ وإذ لم نَخْشَ أن يَتَصدَّعَا

وإذ[5] نحن مثلُ الماء كان مِزاجُه * كما صَفَّقَ[6] الساقِى الرحيقَ المُشَعْشَعَا

وإذ لا نُطيعُ الكاشحين[7] ولا نرى * لواشٍ لدينا يطلب الصُّرْمَ موضِعَا[8]

١٥

(١) فى تـ : « هو » . (٢) كذا فى ب ، سـ ، ء . وفى تـ : « هيـه بالله ياعمـر » . وفى حـ ، ر : « بالله يا عمـر » . (٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٣١ (٤) ورد هذا البيت فى ص ١٣١ : « إلى السرح » فى جميع النسخ . (٥) كذا فى ديوانه . وفى الأصول كلها : « إذا » . (٦) صفق الشراب : مزجه . (٧) فى ديوانه : « العاذلين » . (٨) فى الديوان ، حـ ، تـ ، ر : « مطمعا » .

٢٠

الغناء للغَرِيض ثانى ثقيلٍ بالوسطى عن الهشامىّ ومن نسخة عمــرو الثانية (١) .
وفيه لآبن جامع وآبن عَبَّادٍ لحنانِ من كتاب إبراهيمَ . وفيها يقول - وفيه غنـاء - :

صــــوت

فلمّـا توافقنا وسلّمتُ أشرقتْ * وجوهٌ زَهَاها الحسنُ أن تتقنَّعا
تَبَالَهْــنَ بالعِــرْفانِ لمّـا رَأَيْنَنِى (٢) * وقُلْنَ آمرؤٌ باغٍ أكَلَّ وأوضـعا (٣)
وقَرَّبْنَ أسبـابَ الهوى لِمُتَيَّمٍ * يقيسُ ذراعاً كلّما قِسْنَ إصبعا

الغناء لآبنِ عَبَّادٍ رَمَلٌ عن الهشامىّ . وفيه لآبن جامع لحنٌ من كتاب إبراهيمَ غير مجنسٍ . [هذه الأبيات مقرونةٌ بالأُولى ، والصنعةُ فى جميعها مختلفةٌ ، يُغَنِّى المُغَنُّون بعضَ هذه وبعضَ تلك ويخلطونهما ، والصنعة لمن قدّمتُ ذِكْرَه (٤)] . وهى قصيدة طويلة ، ذكرتُ منها ما فيه صنعةٌ .

ومّمـا قاله فى هند هذه وغُنِّىَ فيه قولُه :

صــــوت

ألم تسألِ الأطلالَ والمنزلَ الخَلَقْ * بِبُرْقَـةِ ذى ضَالٍ (٥) فيُخبِرَ إنْ نَطَقْ؟
ذكرتُ به (٦) هنـدًا فظِلْتُ كأنّنى * أخو نَشْوةٍ لاقَى الحوانيتَ (٧) فآغتبقْ (٨)

(١) فى ح ، م : «الثالثة» . (٢) كذا فى ح ، م . وفى سائر الأصول : «رأيننى» .
(٣) أكلّ : أعيا . وأوضع : أسرع فى سيره . (٤) زيادة فى ح ، م . وفى [illegible] ذكرت هذه الزيادة بعد الشعر مباشرة . (٥) الضال : السدر البرىّ . والسدر : شجر النبق . ولم نعثر فى ياقوت ولا فى البكرىّ على «برقة ذى ضال» هكذا علما على موضع خاص . وقد ورد فيهما «برقاء ذى ضال» ، ونقل البكرىّ عن ابن الأعرابىّ أنها هضبة ذات رمل فى ديار عذرة ، وآستشهد بقول جميل العذرىّ :
فمن كان فى حبّى بثينة يمترى : فبرقاء ذى ضال علىّ شهيد
وفى الديوان : «ببرقة أعواء» ، وهو محرّف عن «ببرقة أعيار» بالراء . وذكر ياقوت برقة أعيار ، وآستشهد بالنصف الثانى من البيت هكذا : : ببرقة أعيار فيخبر إن نطق :
(٦) كذا فى الديوان ، ت ، ح . وفى سائر النسخ : «بها» . (٧) الحوانيت : بيوت الخمارين ، واحدها حانوت . (٨) الاغتباق : شرب العشىّ .

الغناء لعَطَرّدٍ ولحنُه من القَـدرِ الأوسطِ من الثقيل الأوّلِ بالخِنْصَر فى مَجْـرى البِنْصر عن إسحاقَ . وفيه لمَعْبَدٍ ثقيلٌ أوّلُ بالوُسْـطَى عن الهشامىّ . وذكر حَبَشٌ أنّ فيه للغَرِيض ثانِىَ ثقيلٍ بالوُسْطَى . ومنها :

صـــوت

أصبحَ القلبُ مَهِيضا(١) * راجَعَ الحُبَّ الغَرِيضَا(٢)
وأجدَّ(٣) الشوقَ وَهْنًا * أنْ رأى بَرْقًا(٤) وَمِيضَا(٥)
ثم باتَ الرَّكْبُ نُوَّا * مًا ولم أَطْعَـمْ غُمُوضَا
ذاك من هنـدٍ قديمًا * تَرَكْتُها(٦) القلبَ مَهِيضَـا
وتبـدَّتْ ثم أَبْدتْ * واضحَ اللَّـوْنِ نَحِيضَـا(٧)
وعِذابَ(٨) الطَّعْمِ غُرًّا * كأَقَاحِى(٩) الرَّمْلِ بِيضَا

الغنـاء لابن مُحْرِزٍ خفيفُ ثقيلٍ بالسَّبّابة فى مَجْرى البِنْصَر . وفيه لحَكَمٍ هَزَجٌ بالوُسْطَى عن عمرو، وقيل : إنه يمَانٍ . ومن الناس من يَنْسُبُ لحنَ ابن مُحْرِزٍ إلى ابن مِسْجَحٍ . ومنها :

(١) كذا فى الديوان أ ، ت ، ى ، م . وفى سائر النسخ : « مريضا » . والمهيض : المكسور .
(٢) الغريض : الغض الطرىّ ، وصف الحب به على سبيل المجاز .
(٣) أجدّ هنا : جدّد . الوهن : نحو من نصف الليل ، كالموهن .
(٤) فى ديوانه : «وجها» .
(٥) يقال . ومَض البرقُ يَمِض وَمْضا ووَميضا ، اذا لمع لمعا خفيا ولم يعترض فى نواحى الغيم .
(٦) فى أ ، حـ ، ر : «رجعها» وفى الديوان : «ودّع القلب» .
(٧) النحيض : يراد به البض المتسلئ . وفى النسخة التيمورية المخطوطة من ديوانه : « محيضا » وفسّر فى الهامش بأنه فعيل من المحض وهو الخالص . غير أنا لم نجد هـذه الصيغة من هـذه المـادة فيما بين أيدينا من كتب اللغـة .
(٨) يريد بها الأسنان .
(٩) الأقاحىّ : جمع أُقْحُوان وهو القُرّاص عند العرب والبابونج أو البابونك عند الفرس ، وهو كما قال الجوهرىّ : نبت طيب الريح حواليه ورق أبيض ووسطه أصفر ، وكثيرا ما تُشَبَّه به الأسنان .

صـــــوت

أَرِبْتُ(١) إلى هندٍ وتِرْبَيْنِ مرّةً * لها إذ تواقفْنا بِفَرْعِ(٢) المُقَطَّعِ
[لِتَعْرِيجِ(٣) يومٍ أو لتَعْرِيسِ(٤) ليلةٍ * علينا بجمعِ الشَّمْلِ قبلَ التَّصَدُّعِ
فقُلْنَ لها لولا ٱرتقابُ صَحَابةٍ * لنا خَلْفَنا عُجْنا ولم نَتَوَرَّعِ]
وقالت(٥) فتاةٌ كنتُ أَحسَبُ أنّها * مُغَفَّلَةٌ(٦) في مِئْزَرٍ لم تَدَرَّعِ(٧)
لهنّ وماشاوَرْنَها ليس ماأرى * بحُسْنٍ جزاءٍ للحبيبِ المودِّعِ
فقلن لها لا شَبَّ(٨) قَرْنُكِ فٱفْتَحِي * لنا بابَ(٩) مايَخْفَى من الأمرِ نَسْمَعِ

(١) أرب بكذا : كلف به ، وأرب إلى كذا : احتاج اليه . ولعل المراد : دعانى الشوق إليهنّ . وفى ت : «أريت» بالياء المثناة . يقال : أرت الدابة إلى الدابة تأرى ، اذا انضمت اليها وألفت معها معلفا واحدا . وفى الحديث أنه دعا لامرأة كانت تَفْرَك زوجها (تبغضه) فقال : "اللهم أرّ بينهما" أى ألف وأثبت الودّ بينهما . والمعنى عليها أنه اتصل بهنّ وأنضم إليهن . (٢) فى ب ، س : «بفرع المقطع» بالغين المعجمة . وفى ديوانه : «بقرن المنطع» . ولم نعثر فى ياقوت على أحد هذه الأسماء علما لموضع خاص . (٣) زيادة من الديوان يتوقف عليها السياق . (٤) التعريس، قيل : هو نزول القوم فى السفر آخر الليل يستريحون قليلا ثم يرحلون مع الصبح ، وقيل : هو النزول أول الليل ، وقيل : النزول فى أى وقت كان من ليل أو نهار . (٥) فى الديوان : «فقالت» . (٦) كذا فى ديوانه . وفى ر : «معقلة» . وفى سائر النسخ : «معلفة» وكلاهما تحريف . (٧) لم تدرّع : لم تلبس الدرع ؛ يقال : درّعت الصبية إذا ألبست الدرع . والدرع : جبة مشقوقة المقدّم . (٨) كذا فى الديوان ، ت . وفى سائر النسخ : «لا شاب قرنك» . قال الأصمعى : يقال : أشبه الله وأشبّ الله قرنه بمعنى واحد ، وهو الدعاء له بأن يشبّ ويكبر . والقرن زيادة فى الكلام هـ . والقرن : الضفيرة . والمراد التعجب من حديثها ؛ كما يقال فى مقام التعجب : قاتلك الله . (٩) كذا فى أكثر النسخ . وفى الديوان ، ء : «بابة تختفى» . والبابة هنا : الوجه والطريق ، قال عمر بن هلال :

بنى عامر ما تأمرون بشاعر * تخير بابات الكتاب هجائيا

أى تخير هجائى من وجوه الكتاب ، كما فسره صاحب اللسان . وللبابة معان أخرى لا بأس من إيرادها ، وهى القبيل والنوع كما قال الجاحظ فى «كتاب الحيوان» ج ٢ ص ٥٤ : «وليس الذئب من بابة الذئب ، لأنه إن ساوره قتله فلاذريعا» . وقال أيضا فى ج ٧ ص ٤٣ : «وقد أيضا أنهما ليسا من بابه» . وقال

وهى أبياتٌ . الغِناءُ للغَرِيضِ ولَحْنُه من القَدْرِ الأوسطِ من الثَّقيل الأوّل بالخِنْصرِ فى مَجْرَى البِنْصرِ عن إسحاقَ ، وذكرَ ٱبنُ المكّيّ أنه لٱبن سُرَيج . ومنها :

صــــوت

لمَّا أَلَمَّتْ بأصحابى وقد هَجَعُوا * حَسِبْتُ وَسْطَ رِحَالِ القومِ عَطّارَا

فقلتُ مَنْ ذا المُحَيِّي وٱنتبهتُ له * ومَنْ مُحَدِّثُنا هـذا الذى زارَا؟

ألَا ٱنزِلوا نَعِمَتْ دارٌ بقُـربِكُمُ * أهلًا وسَهْلًا بكم مِن زائرٍ زارَا (١)

= فى كتاب البخلاء ص ٤٥ ، ١٤٣ : «أنت من ذى البابة ... وأما سائر حديث هذا الرجل فهو من هذه البابة » . ومثل ذلك (فى «نفح الطيب» ج ١ ص ٥٥٩ طبع ليدن ، ج ١ ص ٣٩٨ طبع بولاق سنة ١٢٧٩ هـ) قول القاضى محمد بن بشير الأندلسى :

إنما أزرى بقدرى أننى * لست من بابة أهل البلد

و إذا قال الناس : « من بابتى » فمعناه من الوجه الذى أريده و يصلح لى .

والشرط — ومثله ما فى « تاج العروس » : هذا بابته أى شرطه .

والغاية — ويستعمل ذلك فى الحساب والحدود . وفى «شفاء الغليل» أنهم يقولون للعب خيال الظل بابة ، فيقولون : بابات خيال الظل ؛ وعلى ذلك قول ٱبن إياس المؤرّخ المصرى : فكانوا مثل بابات خيال الظل ، فشىء يجىء وشىء يروح . (بدائع الزهور فى وقائع الدهور ج ١ ص ٣٤٧) .

ويجوز أن يسمى به كل فصل من فصول التمثيل المسماة الآن فصول الرواية . (انظر كتاب التاج للجاحظ ص ٣٨ و ٣٩) .

(١) وردت هذه الأبيات الثلاثة فى الديوان مع بيت آخر بهذا الترتيب :

قلن ٱنزلوا نعمت دار بقـربكم * أهـلا وسهلا بكم من زائرٍ زارا

لمـا ألمّت بأصحابى وقـد هجعوا * حسبت وسط رحال القوم عطارا

من طيب نشر التى تامتك إذ طرقت * ونفحة المسك والكافور إذ ثارا

فقلت من ذا المحيي وٱنتبهت له * أم مَن مُحدّثنا هـذا الذى زارا

وفى الشعر إيطاء على كلتا الروايتين ، وهو أن تتفق قافيتان على كلمة واحدة معناهما واحد . قال الأخفش : وهو عيب عند العرب لايختلفون فيه ، وقد يقولونه مع ذلك . قال ٱبن جنّى : ووجه ٱستقباح العرب الإيطاء أنه يدل على قلة مادة الشاعر ونزارة ما عنده حتى يضطرّ الى إعادة القافية الواحدة فى القصيدة بلفظها ومعناها ، فيجرى هذا عندهم لما ذكرنا مجرى العىّ والحصر . وقال أبو عمرو بن العلاء : الإيطاء ليس بعيب فى الشعر عند العرب . وروى عن ٱبن سلّام الجمحىّ أنه قال : إذا كثر فى الشعر فهو عيب . (راجع لسان العرب مادة وطأ) .

فَبَدَّلَ الرَّبْعَ مِمَّن كان يسكُنُه * عُفْرُ الظِّباء[1] به يَمْشِينَ أَسْطَارَا[2]

الغناءُ لابن سُرَيْج رَمَلٌ بالخِنْصَر فى مَجْرى البِنْصِر عن إسحاق. وفيه ليونُسَ خَفِيفُ ثَقِيلٍ. وفيه لأبى فَارَة[3] هَزَجٌ بالبِنْصر. وأوّل هذه القصيدةِ التى فيها ذِكْرُ هند قولُه :

يا صاحبىَّ قِفَا نَسْتَخْبِرِ الدارا * أَقْوَتْ وهاجتْ لنا بالنَّعْفِ[4] تَذْكَارَا

وقد أرى مَرَّةً سِرْبًا بها حَسَنًا * مثلَ الجآذِرِ لم يُمْسَسْنَ أبكارَا[5]

فيهنّ هندٌ وهندٌ لا شبيهَ لها * فيمَنْ أقام من الأحياء أو سارَا

تقول ليتَ أبا الخطّاب وافَقَنا[6] * كى نَلْهُوَ اليومَ أو نُنْشِدَ[7] أشعارَا

فلم يَرُعْهُنّ إلا العِيسُ[8] طالعةً * بالقوم[9] يَحْمِلْنَ رُكْبانًا وأَكْوارَا[10]

---

(١) عفر : جمع أعفر وعفراء . والعفر من الظباء ما يعلو بياضها حمرة . (٢) الأسطار : جمع سطر، وهو الصفّ من كل شىء . (٣) كذا فى أكثر النسخ . وفى ت ، م : «لأبى فارة» . وفى ح : «لأبى فادة» . وقد سمّى بفارة ، وممن عُرف بأبى فارة أحمد بن عبد الكريم بن علية المصرى (راجع تاج العروس مادة فأر) . (٤) النعف : ما انحدر عن غلظ الجبل وارتفع عن مجرى السيل كالخيف . ولعله يريد بالنعف هنا "نعف مياسر" وهو موضع بين الدوداء وبين المدينة . والدوداء كما فى ياقوت : موضع قرب المدينة . (٥) فى الديوان : * مثل الجآذر أثيابا وأبكارا * ولم نعثر على أثياب جمعا لثيب . ولعله محرّف عن أنياب جمعا لناب وهى الناقة المسنة . وفى هامش النسخة المخطوطة التيمورية من الديوان : «ويروى أثناء» . والثنى من النوق : ما ولدت بطنين ، وولدها الثانى : ثنيها ، والجمع أثناء . واستعاره لبيد للمرأة فقال : * ليالى تحت الخدر ثنى مصيفة * (٦) وافقنا : صادفنا ؛ يقال : وافقت فلانا فى موضع كذا ، إذا صادفته فيه . (٧) كذا فى الديوان . وفى ب ، س : «أو ينشدنا» . وفى سائر النسخ : «أو ينشدن» ، وكلاهما تحريف . (٨) فى ح ، م : «سير» . (٩) فى ح ، م : «بالغور» . وفى الديوان : * يحملن بالنعف ركبانا وأكوارا * والأكوار : جمع كور وهو هنا رحل الناقة بأداته . (١٠) فى ح ، م : «أوقارا» . والأوقار : جمع وقر وهو الحمل الثقيل .

وفارسٌ يَحمِلُ البازِىَ فقلْنَ لهـا * هَاهُم أُولاءِ وما أكثرْنَ إكثارا[1]

لمـا وَقَفْنـا وعنّنا[2] ركائبَنا * بُدِّلْنَ بالعُرْفِ بعـد الرَّجْعِ[3] إنكارا

ومنهـا :

صـــوت

أَلَمْ تَرْبَعْ[4] على الطَّلَلِ * ومَغْنَى الحىِّ كالخِلَلِ[5]

لهند إنّ هندًا حُبُّها قد كان من شُغُلِي

[فلمّا[6] أن عرَفْتُ الدا * رَ عُجْتُ لِرَسْمِها جَمَلِي

وقلتُ لِصُحْبَتِى عُوجُوا * فعَاجُوا هِزَّةَ الإبِلِ]

وقالوا قِفْ ولا تَعْجَلْ * وإن كُنّا على عَجَـلِ

قليـلٌ فى هواكَ اليو * مَ ما نَلْقَى من العَمَلِ

---

(١) كذا فى الديوان . وفى حـ ، ر :

« وفارس يحمـل البازى فقلن له * ها من أولاء وما أكبرن إكبارا »

وفى أ : «فقلن لهـا * ها من أولاء ولم يكبرن إكبارا »

وفى سائر النسخ : «فقلن له * من هؤلاء وما أكبرن إ بارا»

وقوله : يحمل البازى ، يشير به إلى خروجهم للصيد . (٢) كذا فى النسخة المخطوطة التيمورية من الديوان . وعنّن الفرس : حبسه بعنانه . وفى ت : « وعينا ركائبنا » . وفى ر : « وعيّينا مراكبنا » . وفى حـ : « وغيبنا مراكبنا » . ولعلّ كلّ ذلك محرّف عن « وعنّنا » أو « وعنينا » من التعنية وهى الحبس . وفى سائر النسخ : «وربعنا ركائبنا » ولم نعثر له على معنى مناسب . (٣) الرجع هنا : ترديد النظر؛ قال تعالى : (فارجع البصر كرّتين ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير) . يريد أنهن بعد أن تأمّلن فى أنكرنى بعد أن عرفننى . (٤) ألم تربع : ألم تقف عليه محتبسا نفسك عنده . (٥) الخِلَل : جمع خِلّة وهى بطانة يغشّى بها جفنُ السيف تنقش بالذهب وغيره ، ويشبه بها الطلل . قال الشاعر :

لمية موحشا طللُ * يلوح كأنه خِلَلُ

وقال عبيد بن الأبرص الأزدى :

دار حىّ مضى بهم سالف الدهـ * ـر فأضحت ديارهم كالخِـــلال

(٦) زيادة من الديوان يتوقف عليها المعنى .

الغناء لابن سُرَيج ثانى ثقيل مُطْلق فى مَجْرَى الوُسْطَى عن إسحاق ، وفيه [له](١) أيضا رَمَلٌ عن المشامىّ وحَبَش . ومنها :

صـــــوت

هاج ذا القلبَ منزلُ * بالْبُلَيَّيْنِ(٢) مُحْـولُ

غيَّرتْ آيَهُ الصَّـبا(٣) * وجَنُـوبٌ وشَمْأَلُ

إنّ هندًا قَدَ آرسَلتْ * وأخو الشوق مُرْسِلُ(٤)

(١) زيادة فى ت . (٢) البُلَيَّيْن : كأنه تثنية بُلَيّ ، والشعراء يثنونه كأنه مضموم إلى موضع آخر أو لوزن الشعر . وقد قاله بالإفراد عمر بن أبى ربيعة فى قوله :

سائلا الربع بالبُلَىِّ وقولا * هِجْت شوقا لنا الغداة طويلا

(انظر الحاشية رقم ١ صفحة ١٠٦) . وفى ديوانه : * دارسُ الآى مُحْوِلُ * (٣) الصبا : ريح تأتى من المشرق إلى المغرب ؛ سميت بذلك لأن النفوس تصبو إليها لطيب نسيمها وروحها . والعرب تحب الصبا لرقتها ولأنها تجىء بالسحاب ، والمطر فيها والخصب ، وهى عندهم اليمانية . (انظر نهاية الأرب ج ١ ص ٩٧) . (٤) كذا فى جميع النسخ وديوانه المخطوط . وقد آثرنا أن ننقل من ديوانه هذه القصيدة ليتبين مقدار الخلاف فى الرواية بينه وبين ما فى الأصول :

ولقد كان آهلا * فيه ظبى متبتل

طيب النشر واضح * أحور العين أكحل

فلئن بان أهله * فبما كان يؤهل

قد أرانا بغبطة * فيه نلهو ونجذل

بجوار خرائد * ذاك والود يبذل

إذ فؤادى بزينب * أم يعلى موكل

وهى فينا ولا ترا * ه تلحى وتعذل

قبل أن يستفزها * قول واش يمحل

حين أرسلت تهللا * وأخو الود مرسل

باعتذار من سخطها * علّ أسماء تقبل

فأتتنى بما هويـ * ـت من القول تهال

حين قالت تقول زيـ * ـنب إنا سنفعل

أنا من ذاك آيس * غير أنى أعلل

وأخ يستحثنى * وينادى ويبذل

كلما قال لى انطلق * قلت اربع سأفعل

أرسلتْ تَسْتَحثني(١) * وتُفَدِّى وتَعذُلُ

أَيُّنا باتَ ليلَه * بين غُصْنين يُوبَلُ(٢)

تحتَ عَيْنٍ(٣)، يكُنّنا * بُرْدُ عَصْبٍ مُهَلْهَلُ

فى هذه الأبيات خفيفُ ثقيلٍ مطلقٍ فى مَجرى البِنْصر، ذكر إسحاق أنه لمالك، وذكر عمرو أنه لآبن مُحْرِز. وذكر يونُس أنّ فيها لحنا لآبن محرز ولحنا لمالك. وقال عمرو فى نسخته الثانية: إنه لآبن زُرْزُر(٤) الطّائفىّ خفيفُ ثقيلٍ بالوُسْطى، وروتْ مثلَ ذلك دَنَانِيرُ عن فُلَيْح(٥). وفيها لآبن سُرَيج رمل بالسبابة فى مجرى البنصر عن

---

(١) فى ت، ر، وديوانه المخطوط: «ليلة». (٢) يوبل: يمطر وابلا. وفى ب، س: «يذبل» وهو تحريف. (٣) العين هنا: السحاب. وكنّه يكُنّه: صانه؛ وفى التنزيل العزيز: (كأنهن بيض مكنون). والعصب: ضرب من البرود، لا يثنى ولا يجمع، وإنما يثنى ويجمع ما يضاف اليه؛ فيقال بردا عصب وبرود عصب. والمهلهل: الرقيق النسج. وهو فى جميع النسخ هكذا «يكننا» ولعله «يكنه». وقد أورده فى اللسان فى مادة كنن:

تحت عين كاننا * ظل بُرْد مرحَّل

قال آبن برى: وصواب إنشاده * برد عصب مرحل * ثم قال: وأنشده آبن دريد:

تحت ظل كاننا * فضل برد يهال

وقد ورد فى النسخة التيمورية المخطوطة من الديوان:

تحت غصن سماؤه * برد عصب مهال

وفسر فى الهامش بقوله: أى هلّ عليه السحاب بالمطر. وقد راجعنا مادة «هلل» فى كتب اللغة فلم نعثر على هذه الصيغة بهذا المعنى، وإنما يقال: هلّ السحابُ إذا قطر قطْرا له صوت، وأهله الله، وآنهلّ المطر وآستهلّ. ومن أجل ذلك ترجح الرواية التى أثبتناها فى الأصل. والبرد المرحل: ضرب من برود اليمن؛ سمّى بذلك لأن عليه تصاوير رحل. (٤) فى ب، س، ح، ر: «زرزور». (٥) هذا الكلام الذى أوّله: فى هذه الأبيات خفيف ثقيل ... إلى هنا ورد مكانه فى ت هكذا: «الغناء لمالك خفيف ثقيل بإطلاق الوتر فى مجرى البنصر عن إسحاق، وفيه خفيف ثقيل آخر بالسبابة فى مجرى الوسطى لآبن زرزر الطائفى عن آبن المكىّ وعمرو ودنانير وفليح».

إسحاق. وفيها لعبد الله بن موسى الهادى ثانى ثقيل من مجموعه ورواية الهشامىّ.[١] وفيه لحكم هزج[٢] بالخنصر والبنصر عن ابن المكىّ. وفيه للحجبىّ رمل عن الهشامىّ.[٣] وفيه ثقيل أوّل نسبه ابن المكىّ إلى ابن محرز، وذكر الهشامىّ أنه منحول. وفيه خفيف رمل ذكر الهشامىّ أنه لحن ابن محرز. ومنها:

٥

صـــوت

يا صاح هل تدرى وقد جمدت[٤] * عينى بما ألقى[٥] من الوجد
لمّا رأيت ديارها درست * وتبدّلت أعلامها بعدى[٦]
وذكرت مجلسها ومجلسنا[٧] * ذات العشاء بمهبط[٨] النّجد
ورسالة منها تعاتبنى * فرددت[٩] معتبة على هند

١٠ الغناء ليحيى المكىّ رمل بالوسطى.[١٠] وفيه لغيره ألحان أخر. ومنها:

---

(١) كذا فى جميع النسخ الخطية عدا نسختى م، ء؛ ففى أولاهما: «وفيها لابن سريج رمل بالسبابة فى مجرى البنصر عن إسحاق، وفيه لعبد الله بن موسى الهادى ثانى ثقيل، وفيه لحكم الخ». وفى الثانية: «وفيها لابن سريج رمل بالسبابة فى مجرى البنصر عن إسحاق من مجموعه ورواية الهشامىّ، وفيه لعبد الله ابن موسى الهادى ثانى ثقيل وفيه لحكم الخ» وفى ب، س المطبوعتين: «وفيه لابن سريج رمل من مجموعه

١٥ ورواية الهشامىّ بالسبابة فى مجرى البنصر عن إسحاق، وفيه لعبد الله بن موسى الهادى ثانى ثقيل وفيه لحكم الخ». (٢) ورد الضمير هنا وفيما بعده مذكرا باعتبار المعنى وهو الشعر.

(٣) وردت هذه الجملة فى حـ، ر آخر الجمل كلها بعد قوله: «ذكر الهشامىّ أنه لحن ابن محرز» هكذا: «وذكر غيره أنه للحجبىّ رمل عن الهشامىّ وحبش». (٤) فى ديوانه المخطوط: «وقد جهدت نفسى». (٥) كذا فى الديوان، حـ. وفى سائر النسخ: «أخمى».

٢٠ (٦) فى ديوانه المخطوط: * وتبدّلت من أهلها بعدى * وفى ديوانه المطبوع بليبزج:
* وتبدّلت أهلا بها بعدى *

(٧) فى ديوانه المخطوط: * وذكرت من هند مجالسها * (٨) فى ديوانه: «بمسقط».

(٩) فى ديوانه المخطوط: «فازددت». (١٠) فى ت: «ثقيل أوّل عن الهشامىّ».

صـــوت

لَيتَ هِنْدًا أَنْجَزَتْنَا ما تَعِدْ * وشَفَتْ أنفسَنا ممّا تَجِدْ

وَٱسْتَبَدَّتْ مَرّةً واحدةً * إنّما العاجزُ مَنْ لا يَسْتَبِدّْ

ولقد قالتْ لجاراتٍ لها * ذاتَ يومٍ وتَعَرَّتْ تَبْتَرِدْ[1]

— ويروى : * زعَمُوها سألتْ جاراتِها * —

أَكَما يَنْعَتُنِي تُبْصِرْنَنِي * عَمْرَكُنّ اللهَ أم لا يَقْتَصِدْ

فَتَضَاحَكْنَ[2] وقد قُلْنَ لها * حَسَنٌ فى كلّ عينٍ مَن تَوَدّْ

حسدًا حُمِّلْنَهُ من أَجْلِها * وقديمًا كان فى الناسِ الحَسَدْ

الغناء لابن سُرَيج رَمَلٌ بالخنصر فى مجرى البِنْصر عن إسحاق . وفيه لحنٌ لمالكٍ من كتاب يونُس غيرُ مجنَّس . وفيه لابن سُرَيج خفيفُ رملٍ بالبِنْصر عن عمرو ، وذكره إسحاقُ فى خفيفِ الثقيل بالخنصر فى مجرى البنصر ولم ينسُبه إلى أحد . وفيه ثانى ثقيلٍ يقال إنه لحنٌ لمالكٍ ، ويقال إنه لمُتَيَّم[3] . ومنها :

---

(١) تبترد : تغتسل بالماء البارد . (٢) فى الكامل للمبرّد طبع ليبزج ص ٥٩٤ : « فتهانفن » . والتهانف كالإهناف والمهانفة : ضحك فيه فتور كضحك المستهزئ . وهى رواية جيدة تؤدّى المعنى المراد خير أداء . (٣) هذه الجملة : « الغناء لابن سريج ... ... إنه لمتيم » هكذا فى جميع النسخ عدا نسخة ت . وفيها : « الغناء لابن سريج رمل بالخنصر فى مجرى البنصر عن إسحاق ، وله فيه أيضا خفيف رمل بالخنصر فى مجرى البنصر عن ابن المكىّ وعمرو ، وذكره إسحاق فى هذه الطريقة ولم ينسبه إلى أحد . وفيه لمالك ثقيل أوّل عن الهشامىّ ويونس . وفيه لمتيم ثانى ثقيل » .

صـــوت

هاجَ القَرِيضَ الذِّكَرُ[1] * لمّا غدَوْا فانْشَمَرُوا[2]

على بِغالٍ شُحُجٍ[3] * قد ضَمَّهُنَّ السَّفَرُ

فيهنّ هندٌ ليتنى * ما عُمِّرتْ أُعمَّرُ[4]

حتّى إذا ما جاءها * حَتْفٌ أتانى القَدَرُ

لابن سُرَيج فيه لحنان : رَمَلٌ مُطْلَقٌ فى مجرى البِنْصر عن إسحاق، وخفيف رملٍ عن الهشامىّ . ومنها :

صـــوت

يا مَنْ لِقَلْبٍ دَنِفٍ مُغْرَمِ * هامَ[5] إلى هِنْدٍ ولم يَظْلِمِ

هامَ إلى رِيمٍ[6] هَضِيمِ الحَشَى * عَذْبِ الثَّنايا طيِّبِ المَبْسِمِ

(١) كذا فى ديوانه وأكثر النسخ . وفى ب ، س ، حـ : «الغـريض» بالعين . وسيرد فى الجزء الثانى من الأغانى فى أخبار الغريض المغنى هذا الشعر منسوبا الى عمر بن أبى ربيعة :

هاج الغريض الذكر

بالقاف ، بجعله الغريض لما غنى فيه «الغريض» بالغين ، يعنى نفسه . (٢) فى ديوانه : «فابتدروا» . وانشمر : مرّ جادّا مسرعا . (٣) شحج : جمع شاحج ، والشَّحاج : صوت البغل . وفى ديوانه : «وُسُج» . ووسج الإبل ووسيجها ووسجانها : إسراعها . (٤) هذا البيت والذى بعده من قصيدة أخرى فى ديوانه مطلعها :

قد هاج قلبى محضر * أقوى وربع مقفر

(٥) هام تتعدى بالباء . وقد ضمّنت هنا معنى صبا؛ ولهذا تعدّت بإلى . وفى حـ ، س : «هاج» .

(٦) فى ديوانه : «رئم» بالهمز . والرئم : الظبى الأبيض الخالص البياض ، وقيل ولد الظبى ، يهمز ولا يهمز .

لم أَحْسَبِ الشمسَ بليلٍ بَدَتْ * قَبْلِى لِذِى لَحْمٍ ولا ذى دَمِ[1]

قالت أَلَا إنَّكَ ذو مَـــلَّةٍ * يَصْرِفُك الأدْنَى عن الأَقْدَمِ[2]

قلتُ لهــا بل أنتِ مُعْتَـــلَّةٌ * فى الوَصْلِ ياهندُ لكى تَصْرِمِى

الغناء لابن سُرَيج رَمَلٌ بالسَّبَّابة فى مَجْرى الوسطى عن إسحاق. وفيه لبُدَيح[3] لحنٌ قديمٌ. وقيل: إن فيه رَمَلًا آخر لعَمَّارةَ مولاةِ عبد الله بن جعفر. ومنها: ٥

(١) بين هذا البيت والذى قبله فى ديوانه:

كالشمس بالأسعُد إذا أشرقت * فى يوم دجنٍ بارد مقـتم

يريد بالأسعد هنا سعود النجوم، وهى عشرة: أربعة منها فى برج الجدى والدلو ينزلها القمر، وهى سعد الذابح وسعد بُلَع وسعد الأخْبية وسعد السعود وهو كوكب منفرد نيّر. وأما الستة التى ليست من المنازل فسعد ناشرة وسعد المَلِك وسعد البِهام وسعد الهُمام وسعد البارع وسعد مَطَر. وكل سعد من هذه الستة كوكبان بين كل كوكبين ١٠ فى رأى العين قدر ذراع وهى متناسقة. وأما سعد الأخبية فثلاثة أنجم كأنها أثافىّ ورابع تحت واحد منهن. انظر المرتضى والمقاصد النحوية فى شرح شواهد شروح الألفية للامام العينى المطبوع بهامش الخزانة ج ١ ص ٥٠٨ فى الكلام على البيت:

إذا دَبَرانٌ منك يوما لقيتُــه * أؤمّل أن ألقاك غدوًا بأسعد

وقال فى اللسان (مادة «سعد») بعد أن ذكر هــذه السعود: فأحسن ما تكون الشمس والقمر والنجوم ١٥ فى أيامها لأنك لا ترى فيها غبرة. وقد ذكرها النابغة الذبيانى فقال:

قامت تَراءى بين سِجفَى كلّة * كالشمس يوم طلوعها بالأسعُد

وقد ضبط خطأ فى اللسان بفتح العين. وقال:

بيضاء كالشمس وافت يوم أسعُدها * لم تؤذ أهــلا ولم تفحش على جار

(٢) روى هذا البيت والذى بعده فى ديوانه هكذا: ٢٠

قالت وقــد جدّ رحيــلٌ بهـا * والعين إن تَطْرِف بهـا تَسْجُمِ

إن يُنْسِــنا الموتُ ويؤذن لنـا * نلقك إن عُمِّــرتَ بالموسم

إن لم تحــل إنك ذو مــلّة * يصرفك الأدنى عن الأقــدم

قلت لهـا بـــل أنت معتــلّة * فى الوصل ياهند لكى تصرمى

(٣) كذا فى ت. وفى ب، سـ: «لابن سريج». وفى ء: «لسريج». وفى أ، م: ٢٥ «لشريح». وهذه الجملة غير موجودة فى حـ، ر.

صـــــوت

تَصَابَى وما بعضُ التَّصَابِي بطائلِ[1] * وعاوَد من هنـدٍ جَوًى غيرُ زائلِ
عَشِيَّةَ قالتْ صَدَّعتْ غَرْبةُ النَّوى[2] * فما من تَلاَقٍ قد أَرَى دونَ قابلِ[3]
وما أَنْسَ مِ ٱلأشياءِ لا أَنْسَ مَجْلِسًا[4] * لنا مَرَّةً منها بقَرْنِ المنازلِ[5]
بنَخْـلةَ بين النَّخْلتين[6] يكُنُّنا * من العَيْنِ عند العَيْن[7] بُرْدُ المَرَاجِلِ

الغناءُ للغَرِيض ثقيلٌ أوّلُ[8] بالبِنْصر عن عمرو . وفيه للعُمَانِيّ[9] خفيفُ ثقيلٍ عن دَنانيرَ والهشاميّ . ومنها :

صـــــوت

لَجَّ قلبِي في التَّصَابِي * وٱزْدَهَى عنّي[10] شَبَابِي
ودَعَاني لِهَـوَى هنـــدٍ فـؤادٌ غـيرُ نابي

(1) في ب ، س ، حـ ، ر : «وما كل التصابي» . (2) غربة النوى : بعدها . والنوى : المكان الذى تنوى أن تأتيه فى سفرك . (3) دون قابل ، أى دون عام قابل . (4) كذا فى الديوان ، ت . وفى سائر النسخ : «قولها» . (5) قرن المنازل : جبل مُطِلّ على عرفات ، وهو ميقات أهل اليمن . (6) النخلتان هما الشامية واليمانية ، وهما واديان على ليلتين من مكة كما فى ياقوت ، أو ليلة كما فى القاموس . وأحدهما يصب من الغُمَير ، والآخر يصب من قرن المنازل . وقال الأزهرى : فى بلاد العرب واديان يعرفان بالنخلتين : أحدهما باليمامة ويأخذ إلى قرى الطائف ، والآخر يأخذ إلى ذات عرق . ونخلة : موضع بين مكة والطائف اهـ . من شرح القاموس . (7) كذا فى النسخة التيمورية المخطوطة من ديوانه . وفسر فى الهامش بأن العين الأولى الباصرة والثانية عين الماء . وفى ديوانه المطبوع بليبزج :

* من العين خوف العين برد المراجل * وفى أكثر النسخ : * من الغيث عند العين برد المراحل *

والمرجل كمنبر ومقعد — الفتح عن ابن الأعرابى وحده والكسر عن الليث — ضرب من برود اليمن ، والجمع مراجل . وقد ورد فى م ، ء : «برد المراحل» بالحاء المهملة . والمراحل : جمع مرحَّل كمعظَّم ، وهو برد فيه تصاوير رحل . (8) فى حـ ، ر : «ثانى ثقيل أوّل» . (9) فى ت : «للغنامى» . (10) كذا فى الأصول . ولعله : «منى» .

قلتُ لمّا فاضتِ العيـــنانِ دمْعاً ذا انْسِكاب

إنْ جفتْنِي اليومَ هنــدٌ * بعـــدَ وُدٍّ واقــترابِ

فسبيلُ النـاس طُـرًّا * لفَنــــاءٍ وذَهـاب

الغناء لأهل مكة رَمَلٌ[1] بالوُسْطى .

قصة عمر مع فاطمة بنت عبد الملك بن مروان

أخبرنى محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حدّثنى أبو علىّ الأَسَدىّ — وهو بِشْرُ ٥
ابن موسى بن صالح — قال حدّثنى أبى موسى بنُ صالح عن أبى بكر القُرَشىّ قال :

كان عمر بن أبى ربيعة جالسا بمِنًى فى فِناء مِضْرَبِه وغِلْمانُه حولَه ، إذ أَقْبلتِ امرأةٌ بَرْزَةٌ[2] عليها أثرُ النَّعمةِ ، فسلَّمتْ ، فردَّ عليها عمرُ السلامَ ؛ فقالت له : أنت عمر ابن أبى ربيعة ؟ فقال لها : أنا هو ، فما حاجتُكِ ؟ قالت له : حيَّاكَ اللهُ وقرَّبَكَ ! هل لك فى محادثة أحسنِ الناسِ وجهًا ، وأتمِّهم خَلْقًا ، وأكملِهم أدبًا ، وأشرفِهم ١٠ حَسَبًا ؟ قال : ما أَحَبَّ إلىّ ذلك ! قالت : على شرطٍ . قال : قُولِى . قالت : تُمكِّنُنِى من عينيك حتى أَشُدَّهما[3] وأقودَك ، حتى إذا توسَّطْتَ الموضع الذى أريد حَلَلْتُ الشَّدَّ ، ثم أفعل ذلك بك عنـد إخراجك حتى أنتهىَ بك إلى مِضْرَبِك . قال : شأنَكِ . ففعلتْ ذلك به . قال عمر : فلمّا انتهتْ بى إلى المِضْرَب الذى أرادتْ كشَفَتْ عن وجهى ، فإذا أنا بامرأة على كرسىّ لم أرَ مثلَها قطُّ جمالًا وكمالًا ، فسلَّمْتُ ١٥ وجلستُ . فقالت : أأنت عمر بن أبى ربيعة ؟ قلت : أنا عمر . قالت : أنت الفاضح للحرائر ؟ قلت : وما ذاكِ جعلنى الله فداءكِ ؟ قالت : ألستَ القائلَ :

٧٧ / ١

(١) فى ب ، س ، حـ ، م : « لإسحاق » .
(٢) البرزة من النساء : البارزة الجمال أو التى تبرز للقوم يجلسون إليها و يتحدّثون معها .
(٣) فى ت : « فأشدّهما » .

٢٠

صـــوت

قالت وعيشِ أخي ونعمةِ والدي (١) * لأُنبِّهنّ الحيَّ إن لم تَخرُجِ (٢)

فخرجتُ خوفَ يمينِها فتبسّمتْ (٣) * فعلمتُ أنّ يمينَها لم تَحْرَجِ (٤)

فتناولتْ رأسي لتعرفَ مَسَّه * بمُخَضَّبِ الأطرافِ غيرِ مُشَنَّجِ (٥)

فلثِمتُ (٦) فاها آخذاً بقرونِها * شُرْبَ (٧) النَّزِيفِ (٨) ببَرْدِ ماءِ الحَشْرَجِ ٥

(١) فى ح ، م : « وحرمة والدى » . وفى ت : « وتربة والدى » . وفى الديوان : « وعيش أبى وحرمة إخوتى » . وفى الكامل للبرد طبع ليبزج ص ١٦٥ :

* قالت وعيش أبى وأكبر إخوتى * وفى العينى على هامش الخزانة ج ٣ ص ٢٧٩ :

* قالت وعيش أبى وعدّة إخوتى * (٢) نسبت هذه الأبيات إلى جميل بن معمر العذرى فيا نقله ابن عساكر عن أبى بكر محمد بن القاسم الأنبارى (راجع ترجمة جميل فى « وفيات الأعيان » ج ١ ص ١٦١ — ١٦٤) . وقد عزى البيت الثالث فى اللسان وشرح القاموس فى مادة شنج لجميل أيضا . ١٠ ورويت الأبيات الثلاثة الأخرى فى مادة حشرج فى اللسان لعمر بن أبى ربيعة ، وقال ابن برّى : إنها لجميل وليست لعمر . وقد رويت الأبيات فى الكامل للبرد طبع ليبزج ص ١٦٥ قال المبرد : وأنشدنى أبو العالية قال : قيل إن الشعر لعروة بن أُذينة . وفى شرح العينى بهامش خزانة البغدادى ج ٣ ص ٢٧٩ — ٢٨٢ فى الكلام على البيت « فلثمت فاها ... » : أن قائل هذا الشعر هو عمر بن أبى ربيعة ، وقيل هو جميل وهو الأصح . ١٥ وكذا قاله الجوهرى . وفى « الحماسة البصرية » : قائله عبيد بن أوس الطائى فى أخت عدىّ بن أوس الطائى.

(٣) فى ت : « خيفة حلفها » . (٤) لم تحرج : لم تضق ولم تكن جادّة هى فى حلفها فلا تأثم إذا لم تبرّ فيها . وتجوز روايته : « لم تُحرج » أى لم توقعها فى الحرج والإثم . وروى فى وفيات الأعيان لابن خلكان وفى العينى بهامش خزانة الأدب ج ٣ ص ٢٨٠ : « لم تلجج » أى لم تعتزم ؛ يقال : لج فى الأمر ، إذا تمادى عليه وأبى أن ينصرف عنه . (٥) مشنّج : متقبّض . (٦) لثم يلثم من باب ٢٠ فرح بمعنى قبّل ، ولثم يلثم من باب ضرب بمعنى تلثّم . وربما قيل الأوّل بالفتح ؛ روى ابن كَيْسان أنه سمع المبرد ينشد هذا البيت : « فلثَمت فاها الخ » (انظر اللسان مادة لثم) . (٧) نصب « شرب » على المصدر المشبه به ، لأن فى اللثم معنى امتصاص الريق ، فكأنه قال : شربت ريقها شرب النزيف من ماء الحشرج البارد .

(٨) النزيف كالمنزوف : من عطش حتى يبس عروقه وجف لسانه ، أو هو المحموم الذى مُنع الماء . والحشرج : النقرة فى الجبل يجتمع فيها الماء فيصفو ، أو هو كوز صغير لطيف . (راجع اللسان مادتى ٢٥ نزف وحشرج والعينى بهامش الخزانة ج ٣ ص ٢٨١) .

— الغناء لمَعْبَد ثقيلٌ أوّلُ بالبِنْصر عن يونُس وعمرٍو — .

ثم قالت : قم فاخرُجْ عنّى، ثم قامتْ من مجلسها. وجاءتِ المرأةُ فشدّتْ عينىَّ، ثم أخرجَتْنِى حتى آنتهتْ بى إلى مِضْرَبِى ، وآنصرفتْ وتركتْنى . فحلَلتُ عينىَّ وقد دخلنى من الكآبة والحزن ما الله به أعلم . وبِتُّ ليلتى ، فلما أصبحتُ إذا أنا بها ؛ فقالت : هل لك فى العَوْد ؟ فقلتُ : شأنَكِ، ففعلتْ بى مثلَ فعلْها بالأمس، حتى آنتهتْ بى إلى الموضع. فلما دخلتُ إذا بتلك الفتاة على كرسىّ. فقالت : إيهِ[1] يا فَضّاحَ الحَرَائر ! قلتُ : بماذا جعلنى الله فداءكِ ؟ قالت : بقولك :

صـــــوت

وناهدَةِ الثَّدْيَيْنِ قلتُ لها آتّكِى * على الرملِ من جَبَّانةٍ[2] لم تَوَسَّـدِ

فقالتْ على آسمِ الله أمرُكَ طاعةٌ * وإن كنتُ قد كُلِّفتُ مالم أُعَوَّدِ

فلمّا دنا الإصباحُ قالتْ فضحتَنى * فقُمْ غيرَ مطرودٍ وإن شئتَ فازْدَدِ

— الغناء لأهل مكّةَ ثقيلٌ أوّلُ عن الهِشامىّ[3] — ثم قالت قُمْ فآخرجْ عنّى. فقمتُ فخرجتُ ثم رُدِدْتُ . فقالت لى : لولا وَشْـكُ الرَّحيلِ ، وخوفُ الفَوْت ، ومحبّتى لمُنَاجَاتك والآستكثارِ من مُحادثتك، لأَقْصَيْتُك ؛ هاتِ الآنَ كلّمْنى وحَدِّثْنى وأَنشِدْنى .

---

(١) إيه : كلمة آستزادة وآستنطاق ، وهى مبنية على الكسر وقد تنوّن ؛ تقول للرجل إذا آستزدته من حديث أو عمل : إيه بكسر الهاء . وقال آبن السّرىّ : إذا قلت : إيهِ يا رجل فإنما تأمره بأن يزيدك من الحديث المعهود بينكما كأنك قلت : هات الحديث ، وإن قلت : إيهٍ بالتنوين فكأنك قلت : هات حديثا ما . وفى ح ، ر : « إيها » بالتنوين . وإيهَ بالفتح وإيهًا بالتنوين : أمرٌ بالسكوت والكفّ .

(٢) الجَبَّانة ومثله الجَبّان : الصحراء ، وتسمى بهما المقابر لأنها تكون بها . وفى ت : « من ديمومة لم تمهد » . والديمومة : الفلاة الواسعة يدوم السير فيها لبعدها . ولم تمهد : لم تذلل ولم تصلح ولم تُسَوَّ .

(٣) فى ت كتبت هذه الجملة بهامشها وكتب بعدها كلمة « صح » . وفى الصلب . « فيه هزج يمان بالبنصر عن يحيى المكىّ » .

فكلّمتُ آدبَ الناس وأعلمَهم بكلّ شيء. ثم نهَضتْ وأبطأتِ العَجُوزُ وخلا لى البيتُ، فأخَذتُ أنظرُ، فإذا أنا بتَورٍ[1] فيه خَلُوقٌ[2]، فأدخلتُ يدى فيه ثم خَبأْتُها فى رُدْنِى[3]. وجاءت تلك العجوزُ فشَدَّتْ عينِىّ ونهضتْ بى تَقُودُنى، حتى إذا صرتُ على باب المِضْرَب أخرجتُ يدى فضرَبتُ بها على المِضْرَب، ثم صِرْتُ إلى مِضْرَبى، فدعوتُ غِلْمانى فقلتُ : أيُّكم يَقِفُنِى على باب مِضْرَبٍ عليه خَلُوقٌ كأنه أثرُ كَفٍّ فهو حرٌّ وله خمسمائة درهم[4]. فلم ألبَثْ أن جاء بعضُهم فقال: قم. فنهَضْتُ معه، فإذا أنا بالكفِّ طَرِيَّةً، وإذا المِضْرَبُ مضربُ فاطمةَ بنتِ عبد الملك بن مَروان. فأخَذتُ فى أُهْبَة الرَّحيل، فلمّا نَفَرتْ نفرتُ معها، فبَصُرَتْ فى طريقها بقِبَابٍ ومِضْرَبٍ وهيئة جميلة، فسألتْ عن ذلك، فقيل لها : هذا عمرُ بن أبى ربيعةَ، فساءها أمرُه وقالت للعجوز التى كانت تُرسلها إليه : قولى له نَشَدْتُكَ اللهَ والرَّحِمَ أن تَصْحَبنِى[5]، وَيْحَكَ ! ماشأنُك وما الذى تريد؟ انْصرِفْ ولا تَفْضَحْنِى[6] وتُشِيطَ[7] بدمك. فسارتِ العَجُوز إليه فأدّت إليه ما قالت لها فاطمةُ. فقال : لستُ بمنصرفٍ أو تُوَجِّهَ إلىَّ بقميصها الذى يلِى

(١) التور : إناء صغير؛ سمّى بذلك لأنه يُتعاور ويُردَّد، أو سمى بالتور وهو الرسول الذى يتردّد ويدور بين العشاق. قال الشاعر :

والتور فيما بيننا مُعْمَل ❊ يرضى به المأتىّ والمرسل

ومأخذه من التارة؛ لأنه تارة عند هذا وتارة عند هذا. (راجع أساس البلاغة مادة تور). (٢) الخلوق : نوع من الطيب. (٣) الردن : الكُمّ. (٤) فى حـ، ر: «دينار». (٥) كذا فى تـ. تريد : ألا تصحبنى. (وانظر الحاشية رقم ١ صفحة ١٦٧). وفى سائر النسخ : «أن فضحتنى». (٦) هذه الواو ينصب بعدها الفعل، والشرط فيها أن يتقدّم الواو نفى أو طلب كقوله تعالى : (ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين)، وكقول الشاعر : ❊ لا تنه عن خلق وتأتى مثله ❊ وسمّى الكوفيون هذه الواو واو الصرف؛ وذلك لأنها لا يستقيم عطف ما بعدها على ما قبلها. (انظر المغنى طبع مصر ج ٢ ص ٣٥ واللسان مادة «وا»). (٧) أشاط دمه وبدمه : أهدره وعرّض نفسه للقتل. وفى ب، س : «وأنشط بدمك» أى فز به مسرعا ولا تهدره.

جِلْدَها، فأخبرتْها ففعلتْ ووجَّهتْ إليه بقميصٍ من ثيابها، فزاده ذلك شَغَفاً. ولم يزل يَتْبَعهم لا يُخالطهم[1]، حتى إذا صاروا على أميالٍ من دِمَشْقَ ٱنصرف وقال فى ذلك :

ضاق الغَدَاةَ بحاجتى صَدْرِى * ويئستُ بعد تقارُبِ الأمرِ
وذكرتُ فاطمةَ التى عُلِّقتُها[2] * عَرَضاً[3] فيا لِحَوَادثِ[4] الدّهرِ

وفى هذه القصيدة ممّا يُغنَّى فيه قولُه :

صــــوت

مَمْكُورةٌ[5] رَدْعُ العَبِيرِ[6] بها * جَمُّ العِظَامِ[7] لطيفةُ الخَصْرِ
وكأنّ فاهَا عند رَقْدَتِها[8] * تَجْرِى عليه سُلافةُ الخَمْرِ

الغناء لإبراهيمَ بنِ المَهْدىّ ثانى ثقيلٍ من جامعه. وفيه لِمُتَيَّمٍ رَمَلٌ من جامعها أيضا. وتمام الأبيات وليست فيه صَنْعةٌ :

[فسَبَتْ[9] فؤادى إذ عرَضْتُ لها * يومَ الرَّحِيلِ بساحة القَصْرِ
بمُزَيَّنٍ رَدْعُ العَبِيرِ به * حَسَنِ التَّرَائِبِ[10] واضحِ النَّحْرِ]

(١) فى ت، م، ا، ء : «ولا يخالطهم» بالواو. (٢) راجع الحاشية رقم ٧ فى صفحة ١٥٩ من هذا الجزء. (٣) فى ديوانه : «غرضا». والغرض هنا : الشوق. (٤) هذه اللام يجوز فيها الفتح على أنها داخلة على المتعجب منه، والكسر على أنها داخلة على المستغاث من أجله والمستغاث محذوف؛ كأنه قال : ياللّناس لِحوادث الدهر. (٥) الممكورة : الحسناء المرتوية الساقين المدمجة الخَلْق. (٦) الردع : أثر الخلوق والطيب فى الجسد. والعبير : ضرب من الطيب ذو لون يُجمع من أخلاط. (٧) جمّ العظام : دقيقتها مكتنزة اللحم. والمعروف فى وصف المؤنث من هذه المادة جماء. فلعل الأصل «جمّا العظام» مقصورة لضرورة الوزن. (٨) فى الديوان، ت، س، حـ : «بعد ما رقدت». (٩) زيادة عن الديوان. (١٠) الترائب : عظام الصدر، واحدتها تريبة.

وبجيـــد آدم[1] شَادِنٍ[2] خَرِق[3][4] * يَرْعَى الرِّيَاضَ ببــلدةٍ قَفْــرِ
لـمّـا رأيتُ مَطِيَّهـا حِـــزَقًا[5] * خَفَقَ الفؤادُ وكنتُ ذا صبرِ
وتبادرتْ عَيْنـاىَ[6] بعـــدهمُ * وٱنهـلَّ دمعُهما على الصَّــدْرِ
ولقد عَصَيتُ ذَوِى القَرَابةِ فيكمُ[7] * طُـرًّا وأهـلَ الـوُدِّ والصِّهْرِ
٥ حـتى لقـد قالوا وما كَذَبوا * أَجُنِنتَ أم بك داخلُ السِّحْرِ

شعره فى فاطمة بنت عبـد الملك بن مروان دون التصريح بٱسمها خوفا من عبد الملك ومن الحجاج

أخبرنا محمـد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حدّثنى إسحاقُ[8] عن محمـد بن أَبَان قال حدّثنى الوَلِيدُ بن هِشَام القَحْذَمِىّ عن أبى مُعَاذٍ القُرَشِىّ قال :

لـمّـا قَدِمتْ فاطمةُ بنتُ عبـد الملك بن مَرْوان مكةَ جعَل عمرُ بن أبى ربيعة يَدُور حولَها ويقول فيها الشعرَ ولا يذكُرها بٱسمها فَرَقًا من عبـد الملك بن مروان ١٠ ومن الحَجَّاج ؛ لأنه كان كتب إليه يتوعَّده إن ذكرها أو عرَّض بٱسمها . فلما قضتْ حَجَّها وٱرتحلتْ أنشأ يقول :

صـــوت

كِدْتُ يومَ الرَّحيل أَقْضِى حياتِى * ليتَنِى مُتُّ قبـلَ يوم الرَّحيـلِ
لا أُطِيقُ الكلامَ من شدّة الخو * فِ ودَمْعِى يَسِـيلُ كلَّ مَسِيلِ

---

١٥ (١) فى الديوان : «وبعين» . (٢) الأدمة : السمرة ، وقيل : فى الإنسان السمرة ، وفى الظباء لون مُشرب بياضا . (٣) شَدن الظبي : شبّ وترعرع . (٤) الخرق : الخائف المتحير . (٥) كذا فى الديوان ، حـ . وفى تـ ، ا ، م : «خِرَقا» . والخرقة والحزقة : الجماعة من كل شىء . وفى ء : «خرفا» . وفى ب ، سـ : «حزبا» وكلاهما تحريف . (٦) تبادرت عينـاى : سالت دموعهما . وفى حديث آعتزال النبىّ صلى الله عليه وسلم نساءه قال عمر : «فابتدرت عيناى» أى ٢٠ سالتـا بالدموع . (٧) كذا فى الديوان . وفى الأصول : «ذوى أقاربها» والإضافة فيه غير صحيحة . ولعلها : «ذوى قرابتها» . لتصح الإضافة ويستقيم الوزن . (وراجع الحاشية رقم ٧ ص ١٥٩ من هذا الجزء) . (٨) كذا فى م . وفى سائر النسخ : «إسحاق بن محمد بن أبان» .

ذَرَفَتْ عينُهـا وفاضتْ دُموعى * وكِلانا يَلْـقَى بِلُبٍّ أَصِـيلِ[1]
لو خَلَتْ خُلَّـتِى أصبتُ نَوالًا * أَوْ حديثًا يَشْفِى مِنَ التَّنْـوِيلِ[2]
ولَظَلَّ الخَلْخَالُ فوقَ الحَشَـايا * مثـلَ أثنـاءِ حَيَّـةٍ مقْتُـولِ[3]
فلقَـدْ قَالتِ الحبيبـةُ لولاَ * كثرةُ الناسِ جُدْتُ بالتَّقبِيـلِ

غنّى فيه ٱبنُ مُحْرِزٍ ولحنُه ثقيلٌ أوّلُ من أصواتٍ قليلةِ الأشْباهِ عن إسحاقَ . وفيه لِعَبَادِلَ خَفِيفُ ثقيلٍ بالبِنْصر عن عَمْرو، ويقال إنه للهُذَلىّ[4] . وفيه لعُبَيد الله ٱبن أبى غَسَّانَ ثانى ثقيلٍ عن الهشامىّ .

أخبرنى محمد بنُ خَلَف بن المَرْزُبَان قال أخبرنى أبو علىّ الحَسَنُ[5] بن الصَّبَّاح عن محمد بن حَبِيبَ أنه أخبره : أنّ عمرَ بن أبى ربيعة قال فى فاطمةَ بنتِ عبد الملك ٱبن مَرْوان :

صـــوت

يا خَلِيـلِى شَفَّنِى الذِّكَرُ * وحُمُولُ الحىّ إذ صَدَرُوا
ضَرَبُوا حُمْرَ القِبَابِ لهـا * وأُدِيرتْ حولهـا الحُجَـرُ

(١) فى نسخة الديوان المخطوطة التيمورية : «يأتى بوجد» . وفى ح، س : «يأتى بوجه أصيل» وهو محرّف عن «بوجد» .
(٢) «من» هنا للبدل . أى أو حديثا يشفى بدل التنويل . والتنويل : إعطاء النوال، وقد يراد به هنا التقبيل؛ وبه فسر فى قول وضاح اليمن :

إذا قلت يوما نوّلينى تبسمت * وقالت معاذ الله من نيل ما حرم
فما نوّلت حتى تضرعت عندها * وأنبأتها مارخص الله فى اللّمم

وفى نسخة الديوان المخطوطة التيمورية : * وحديثا يشفى مع التنويل *
(٣) أثناء الحية : مطاويها وتضاعيفها إذا تثنت . والحية : يطلق على الذكر والأنثى.
(٤) فى ح، س: «لإبراهيم بن المهدىّ» .
(٥) فى ح، س : «الحسين» وهو تحريف؛ إذ هو الحسن بن الصباح ٱبن محمد البزّار أبو على الواسطىّ البغدادىّ ، روى عن أحمد بن حنبل وروى عنه البخارىّ والترمذىّ مات سنة ٢٤٩ هـ (انظر تهذيب التهذيب فيمن ٱسمه الحسن) .

سلكوا شعب النِّقاب(١) بها * زُمَرًا تحثّها(٢) زُمَرُ

وطرقتُ الحيّ مكتتِمًا(٣) * ومعي عضبٌ(٤) به أثُرُ(٥)

وأخٌ لم أخشَ نبوته * بنواحي(٦) أمرِهم خَبِرُ(٧)

فإذا رِيمٌ على فُرُشٍ * في حِجال(٨) الخزّ مُختدِرُ(٩)

٥ حوله الأحراسُ ترقُبه * نُوَّمٌ من طول ما سهِروا

شِبهُ(١٠) القتلَى وما قُتِلوا * ذاك إلّا أنهم سَمَروا

فدعتْ بالويل، ثم دعتْ * حُرّةٌ من شأنها الخَفَرُ(١١)

ثم قالت لِلّتي معَها * ويْحَ نفسي قد أتى عمرُ

ماله قد جاء يطرُقنا * ويَرى الأعداءَ قد حضَروا

١٠ لِشقائي كان عُلّقنا * ولِحَيْني ساقه القدَرُ

(١) النقاب : موضع من أعمال المدينة يتشعب منه طريقان إلى وادي القرى ووادي المياه . (ياقوت) . وفي ديوانه :

سلكوا خَلّ الصِّفَاح لهم * زَجِلٌ أحداجُهم زُمَرُ

والصفاح : موضع بين حُنين وأنصاب الحَرَم على يَسرة الداخل إلى مكة . والخلّ : الطريق في الرمل .

١٥ والزجل : الجلبة ورفع الصوت . (٢) تحثها : تستعجلها وتحضها على السير .

(٣) في حـ ، ر : * فطرقت الحيّ ملتثما * . (٤) العضب : السيف القاطع .

(٥) أُثُر السيف : فرنده . (٦) في حـ ، ر ، ب ، سـ : «يتوخّى أمرهم» . (٧) خَبِر : خبير . (٨) الحجال : جمع حَجَلة ، وهي قبة تُزيّن بالستور والثياب . (٩) في ديوانه :

فإذا ريم على مُهُد * في حجال الخز مستتر

٢٠ (١٠) كذا في ديوانه وأكثر النسخ . وفي حـ ، ر ، ب ، سـ : « أشبهوا القتلى » .

(١١) في ديوانه :

فدعت بالويل آونةً * حين أدناني لها النظر

ودعت حوراء آنسة * حرّة من شأنها الخفر

قلتُ عِرْضى[1] دُونَ عِرْضِكُمُ * ولِمَنْ نَاوَاكُمُ الجُزُرُ[2]

هذا البيت الأخير مما فيه غناء مع :

* وطَرَقْتُ الحىَّ مكتتما *

للغَريض

وفى[3] : * يا خليلى شفّنى الذِّكَرُ *

وفى : * قلتُ عِرْضى دونَ عِرْضِكُمُ *

وفى : * ثمّ قالتْ للتى معها *

وفى : * ماله قد جاء يطرُقنا *

[ثانى ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو[4]]

وفى : * ضَربوا حُمْرَ القِبَابِ لها *

وما بعده أربعةٍ متواليةٍ خفيفُ رملٍ بالوُسْطَى للهُذَلِىّ .

وفى : "وطرقتُ" وبعده : "فإذا ريم" وبعده : "حوله الأحراس" والبيتين اللذين بعده لابن سُرَيج خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو. وفيها بعَيْنِها ثقيلٌ أوّلُ يقال إنه للأَبْجَرِ ، ويُنْسَب إلى غيره عن الهشامىّ .

عمر وعائشة بنت طلحة بن عبد الله وما قاله فيها من الشعر

أخبرنى الحَرَمِىّ بن أبى العَلَاء قال حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال أخبرنى عبد الملك ابن عبد العزيز عن رجل من قريش قال :

---

(١) العرض هنا : النفس والجسد ؛ قال حسان :

فإن أبى ووالده وعرضى * لعرض محمد منكم وقاء

ومنه الحديث : « يجرى من أعراضهم مثل ريح المسك » . (٢) فى ديوانه : «ولمن عاداكم جزر» . والجزر : كل شىء مباح للذبح . يريد : أبذل نفسى لمن عاداكم فداء لكم . (٣) فى ت ، أ ، ء ، م : «فى» من غير واو ؛ وبذلك تبتدئ الجملة من قوله « للغريض فى ... ... إلى قوله عن عمرو » .

(٤) هذه الجملة ساقطة من ح ، ر .

بينا عمرُ بن أبي ربيعة يَطُوف بالبيت، إذ رأى عائشة بنتَ طَلْحَةَ بنِ عبيد الله، وكانت من أجمل أهلِ دهرها، وهي تريد الرُّكْنَ تستلمُه، فبُهِتَ لمّا رآها ورأته، وعلمتْ أنها قد وقعتْ في نفسه، فبعثتْ إليه بجارية لها وقالت: قولي له: اتَّقِ اللهَ ولا تَقُلْ هُجْرًا، فإنّ هذا مَقَامٌ لا بدّ فيه ممّا رأيتَ. فقال للجارية: أَقْرِئيها السلامَ وقولي لها: ابنُ عمّك لا يقول إلا خيرا[1]. وقال فيها:

٨٠/١

صــــوت

لعائشةَ ٱبنةِ التَّيْميّ عندي * حِمًى في القلبِ ما يُرْعَى حِمَاها[2]

يُذَكِّرُني ٱبنةَ التَّيْميّ ظَبيٌ * يَرُودُ بروضةٍ سَهْلٍ رُبَاها

فقلتُ له - وكاد يُراعُ قلبي - * فلم أرَ قَطُّ كاليوم ٱشتِبَاها

سِوَى حَمْشٍ[3] بساقِكَ مُستبينٍ * وأن شَوَاكَ[4] لم يُشْبِهْ شَوَاها

وأنّكَ عاطلٌ عارٍ وليستْ * بعاريةٍ ولا عُطُلٍ يداها[5]

وأنّكَ غيرُ أفرعَ[6] وهي تُدْلِي * على المَتْنَيْنِ أَسْحَمَ[7] قد كَسَاها

ولو قَعَدتْ ولم تَكْلَفْ بوُدٍّ * سِوَى ما قد كَلِفتُ به كَفَاها

أَظَلُّ إذا أُكَلِّمُها كأنّي * أُكَلِّمُ حيّةً غَلَبَتْ رُقَاها

تَبِيتُ إليَّ بعد النوم تَسْرِي * وقد أمسيتُ لا أخشَى سُرَاها

(١) كذا في ت. وفي سائر النسخ: «حسنا».

(٢) في حـ، س: «لا يرعى حماها».

(٣) الحمش: دقة الساقين.

(٤) الشوى: الأطراف.

(٥) في حـ، س: «براها» وهو تحريف.

(٦) الأفرع: طويل شعر الرأس.

(٧) الأسحم: الأسود. يريد به الشعر.

الغناءُ فى البيتين الأوّلين من هذه الأبيات لأبى فارةَ[1] ثقيلٌ أوّل . وفيهما[2] لعبد الله ابن العبّاس الرَّبيعىّ[3] خفيفُ ثقيلٍ جميعاً عن الهشامىّ . وذكر إسحاقُ أنّ هذا الصوتَ ممّا يُنْسَب إلى مَعْبَد، وهو يُشبِه غناءَه إلا أنه لم يَرْوِه عن ثَبَتٍ[4] ولم يذكُر طريقتَه . قال : وقال فيها أشعارا كثيرة، فبلَغ ذلك فِتْيانَ بنى تَيْمٍ ، أبلَغهم إيَّاه فتًى منهم وقال لهم : يا بنى تَيْم بن مُرَّةَ، هاَللهِ لَيَقْذِفَنَّ بنو مَخْزُومٍ بناتِنا بالعَظَائم وتَغْفُلون ! فمشى ولدُ أبى بكر وولدُ طلحةَ بنِ عُبَيد الله إلى عمر بن أبى ربيعة فأعلموه بذلك وأخبروه بما بلَغهم . فقال لهم : والله لا أذكُرها فى شعرٍ أبدا . ثم قال بعد ذلك فيها — وكنى عن اسمها — قصيدتَه التى أوّلها :

صــــوت

يا أمّ طَلْحةَ إنّ البَيْنَ قد أَفِـدَا[5] * قَلَّ الثَّواءُ لَئِن كان الرَّحيلُ غَدَا
أمسَى العِراقىّ لا يَدْرِى إذا برَزَتْ * مَنْ ذا تَطَوَّفَ بالأركان أو سجَدَا

— الغناء لمَعْبَد ثقيلٌ أوّلُ بالبنصر عن عمرو و يونس — قال ولم يزل عمر يَنْسُب بعائشةَ أيّامَ الحجِّ و يطوف حولها و يتعرض لها وهى تكره أن يرى وجهَها ، حتى وافقها وهى ترمى الجِمارَ سافرةً، فنظَر إليها فقالتْ : أمَا واللهِ لقد كنتُ لهذا منكَ كارهةً يا فاسقُ ! فقال :

---

(١) فى ر : « لأبن فارة » . (٢) كذا فى ت . وفى سائر النسخ : « وفيها » .
(٣) فى ت : « الربعى » وهو تحريف؛ إذ هو عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع . والنسبة إلى الربيع ربيعى بالياء . وستأتى ترجمته فى الجزء السابع عشر من الأغانى . (٤) الثبت : الراوى الحجة الثقة . قال فى شرح القاموس : « والثبت محركة وهو الأقيس ، وقد يسكّن وسطه » . وفى المصباح : « وقيل لحجة ثبت بفتحتين إذا كان عدلا ضابطا ، والجمع الأثبات كسبب وأسباب » .
(٥) أفد هنا : دنا وحضر .

صـــوت

إنّى وأوّلَ ما كَلِفتُ بذكْرِها (١) * عَجَبٌ وهل فى الحبّ من مُتعجَّب (٢)

نَعتَ النساءُ فقلتُ لستُ بمُبْصِرٍ * شَبَهًا لهـا أبدًا ولا بمُقَــرَّبِ

فمكَثْن حِينًا ثم قُلْن توجَّهتْ * للحجّ ، موعِدُها لِقاءُ الأَخْشَبِ (٣)

٥ أقبلتُ أَنظُر ما زعَمْنَ وقُلْن لى * والقلبُ بين مُصَــدِّقٍ ومُكذِّبِ

فلَقِيتُهـا تَمْشِى تَهـادَى مَوْهِنًا (٤) * ترمِى الجِمـارَ عَشِيَّةً فى مَوْكِبِ

غرَّاءَ يُعْشِى النـاظرين بياضُها * حَوْراءَ فى غُلَواءِ (٥) عيشٍ مُعْجِبِ

إنّ التى مِنْ أرضِها وسمائِهـا * جُلِبَتْ لحَيْنِك ليتَهـا لم تُجْلَبِ

الغناء لمَعْبَــدٍ فى الأوّل والثانى والرابع والسابع ثقيــل أوّل بالوسطى (٦) عن عمرو.

١٠ وفيها للغريض خفيفُ ثَقيلٍ (٧) عن الهشامىّ، يُبْدأ فيه بالثالث .

أخبرنى علىّ بن صالح قال حدّثنـا أبو هَفَّانَ عن إسحاقَ قال أخبرنى مُصْعَب الزُّبيرىّ: أَنّ عمر بن أبى ربيعة لقى عائشةَ بنتَ طَلْحَةَ بمكة وهى تسير على بغلة لها، فقال لهـا : قِفِى حتى أُسْمِعَكِ ما قلتُ فيكِ . قالت : أَوَقد قُلْتَ (٨) يافاسق؟ قال : نعمْ ! فوقفتْ فأنشدها :

٨١ / ١

١٥ (١) فى الديوان : « بحبّهـا » . (٢) فى أ ، م ، حـ ، ر : « فى الدهر » . وفى ديوانه : «وما بالدهر» . وفى ب ، سـ : «فى الحىّ» وهو تحريف . (٣) الأخشب : أحد الأخشبين ، وهما جبــلان بمكة : أحدهما أبو قبيس والآخر قعيقعان ، و يقال : همـا أبو قبيس والجبل الأحمــر المشرف هنالك . وقــد يقال لكل واحد منهما : الأخشب بالإفــراد ؛ قال ساعدة بن جُؤَيّة :

٢٠ ومُقامهن إذا حُبِســن بمأزم * ضَيْق ألفّ وصدّهنّ الأخشب

(٤) فى ديوانه : * فلقيتها تمشى بها بغلاتها * (٥) فى غلواء عيش : فى أنضره وأرغده .
(٦) فى حـ ، ر : « بالسبابة بالوسطى » . (٧) فى ت : « خفيف ثقيل أوّل » .
(٨) فى ت ، حـ ، ر : «أوقد فعلت» .

صــــوت

يا ربَّةَ البغلةِ الشَّهباءِ هل لكِ فى * أن تُنْشِرِى مَيِّتًا لا تُرْهِقِى حَرَجَا[1]

— [ويروى هــل لكُمُ * فى عاشقٍ دَنِفٍ][2] —

قالتْ بدائكَ مُتْ أو عِشْ تُعَالِجُهُ * فمـا نَرَى لكَ فيما عنـدنا فَرَجَا

قـد كنتَ حَمَّلتنا غيظًا نُعالِجُه * فإن تُقِـدْنَا[3] فقد عَنَّيْتَنا حِجَجَا

حتَّى لَوَ ٱسْطِيعُ مما قد فعلتَ بنا * أكلتُ لحمَكَ من غيظٍ وما نَضِجَا

— الغناءُ لآبن سُرَيج ثقيل أوَّلُ مطلقٌ فى مجرى البنصر عن إسحاقَ. وفيه لآبن سريج ثلاثةُ ألحانٍ ذكرها إسحاقُ ولم يُجنِّس منهـا إلا واحدا ، وذكر الهشامىّ أنّ أحدها خفيفُ رَمَلٍ بالوسطى، [وذكر عمرو[4] أنّ الثالث هَزَجٌ بالوُسْطى] . ولإسحاقَ فيها هزج من مجموع صَنْعته — فقالت: لا وربِّ هذه البَنِيَّة! ما عنَّيْتَنا طَرْفَةَ عينٍ قطُّ . ثم قالت لبغلتها : عَدَسْ[5]، وسارتْ . وتمـام هذه الأبيات :

---

(١) أرهقه حرجا أو عسرا : أغشاه إياه . يريد : لا تُحَمِّليه حرجا ولا تكلفيه أكثر من طاقته .

(٢) هذه الجملة ساقطة من النسخ ت ، أ ، م ، ء . وفى الديوان المطبوع :

« ... هــل لكم * أن ترحى عمرا ... »

وفى ديوانه المخطوط :

... ... هــل لكم * أن تجحوا غير ألّا ترهقوا حرجا

وكتب فى هامشه : «تجحوا أى تسرعوا ، من السير النجيح وهو السريع» .

(٣) القود : القصاص ؛ يقال : أقدت القاتل بالقتيل ، إذا قتلته به . والمراد : فإن تَرد القصاص منا على هذا الهجر فقد عنّيتنا وجشمتنا أعواما طــوالا .

(٤) مكان هــذه الجملة فى م ، ء ، أ : « ولإسحاق فيهـا الثالث هزج بالوسطى» . وفى ب ، س : « ولإسحاق فيها هزج بالوسطى . ولإسحاق ... » . وقد سقطت الجملتان من حـ ، ر .

(٥) عدس : كلمة تُزجر بها البغال .

فقــلتُ لا والذى حَجَّ الحَجيجُ له * ماَمحَّ حُبُّــكِ من قلــبى ولا نَهِجَا (١)

ولا رأى القلبُ من شىءٍ يُسَرُّ به * مُذْ بَانَ منزلُكــم منّــا ولا ثَلِجَا (٢)

ضَنَّتْ بنائلها عنــه فقــد تَرَكَتْ * فى غير ذنبٍ أبا الخَطّاب مُخْتَلِجَا (٣)

قال : فلم تَزَلْ عائشةُ تُدَارِيه وتَرْفُق به خوفاً من أن يتعرّض لهــا حتى قضَتْ حجَّها وانصرفتْ إلى المدينة . فقال فى ذلك :

إنّ مَنْ تَهْوَى مع الفجر ظَعَنْ * لِلْهوَى والقلبُ مِتْبَاعُ الوَطَنْ

بانتِ الشمسُ وكانت كلّمــا * ذُكِرَتْ للقلبِ عاودتُ الدَّدَنْ (٤)

صـــــوت

يا أبا الحــارثِ (٥) قلــبى طــائرٌ (٦) * فأْتَمِرْ أمرَ رشــيدٍ مُؤْتَمَنْ

نظَــرَتْ عينى إليهــا نظــرةً * تَرَكَتْ قلبى لَدَيْهــا مُرتَهَنْ

ليس حبٌّ فــوقَ ما أَحببتُهــا * غيرَ أنْ أَقتُــلَ نفسى أو أُجَنّْ

فيها ثانى ثقيلٍ بالوسطى نسبه عمرو بن بانةَ إلى ابن سُرَيج، ونسبه ابن المكّى إلى الغريض . وفيها رَمَل لأهل مكة .

ومِمــا يُغَنَّى فيه من أشعاره فى عائشة بنتِ طلحةَ قولُه فى قصيدته التى أوّلُها :

---

(١) مَحَّ الثوبُ يمح (كضرب ونصر) محا ومحوحا، ويَمَحّ (كفرح) مَحَحًا : أخلق وبَلِى . وكذلك نهج الثوب (مثلثة الهاء) . وقال أبو عبيد : ولا يقال : نَهَج الثوب(بالفتح) ولكن نهِج (بالكسر). وفى ديوانه المخطوط : « ماباد حبّــك الخ » . (٢) فى ديوانه المخطوط : « من بعــد نأيكم عنّا » .
(٣) مختلج : مضطرب . (٤) الددن : اللهو واللعب . وفى ديوانه المخطوط :

* ذكرت للقلب عاذت دَنَّ دنْ *

وكتب فى هامش النسخة : « قوله دن دن : حكاية صــوت النحل والذباب، واستعاره لتغنّى الطربان لأنه غالبا يتغنى » . يريد بالطربان الطروب . (٥) كذا فى ت ، ب . وفى سائر النسخ والديوان : « يا أبا الخطاب » . (٦) فى ب،س والديوان : « هائم » .

٨٢
١

صــــوت

مَنْ لقلبٍ أَمْسَى رهيناً مُعَنَّى[(١)] * مُستكيناً قــد شَــفَّه[(٢)] ما أَجَنَّا

إِثْرَ شخصٍ نفسى فَدَتْ ذاك شخصاً * نــازحِ الــدّارِ بالمدينـــة عنّا

ليتَ حَــظِّى كطَرْفةِ العينِ منهـا * وكـثيرٌ منهـا القليـلُ المُهَنَّا

الغناء لإبراهيمَ خفيفُ ثقيلٍ بالسبابة فى مَجْرى البِنْصر عن إسحاق . ٥

عمر وكلثم بنت سعد المخزومية

أخبرنى الحَسَن بن علىّ الخَفَّاف ومحمد بن خَلَف قالا حدّثنا محمــد بن زَكَرِيَّا الغَلَابِىّ قال حدّثنى محمد بن عبد الرحمن التَّيْمىّ عن هِشَام بن سُلَيمان بن[(٣)] عِكْرِمَةَ بن خالد المَخْزُومىّ قال :

كان عمر بن أبى ربيعة يهوَى كَلْثَمَ بنتَ سَعْد[(٤)] المَخْزُوميّة ، فأرسلَ إليها رسولا[(٥)] فضربَتْه وحلَقَتْه[(٦)] وأحلفتْه ألّا تُعاوِدَ؛ ثم أعادها ثانيةً ففعلتْ بها مثلَ ذلك، فتَحاماها رسُلُه . فابتاع أَمَةً سَوْداءَ لطيفةً رقيقةً وأتى بها منزلَه ، فأحسن إليها وكَسَاها وآنَسها وعرّفها خبرَه وقال لهــا : إنْ أَوْصلتِ لى رُقْعــةً إلى كَلْثَمَ فقرأتْها فأنتِ حُرّةٌ ولكِ معيشتُك ما بَقِيتِ . فقالت اكتُبْ لى مُكاتَبةً[(٧)] واكتُبْ حاجتَك فى آخرها ، ففعل ذلك . فأخذتْها ومضتْ بها إلى باب كلثمَ فاستأذنتْ، فخرجتْ إليها أَمَةٌ لها فسألتْها عن أمرها؛ فقالت : مُكاتَبةٌ لبعض أهل مَوْلاتِك جئتُ أَسْتعينُها فى مُكاتَبَتِى ، وحادثتْها ١٠ ١٥

---

(١) كذا فى ا ، ى ، ب ، س . وفى سائر النسخ والديوان : « حزينا » . (٢) شَفّه يشُفّه : هزله وأسقمه . (٣) فى حـ ، ر ، ت : «عن عكرمة» وهو تحريف لورود هذا الآسم فى كتب التراجم كما أثبتناه . (٤) فى ت ، م ، ى : « سعيد » . (٥) رســول : فعول بمعنى مفعول ، ويجوز آستعماله للمذكر والمؤنث والمثنى والجمع . (٦) حلقتها ، لعل المناسب من معانى هذه الكلمة هنا : أوجعتها فى حلقها . (٧) المكاتبة : أن يكاتب الرجل عبده على مال يؤدّيه إليه منجّما (مقسّطا) ؛ فإذا أدّاه صار حرا ؛ سميت كذلك لأن العبد يكتب على نفسه لمولاه ثمنه ، ومولاه يكتب له عليه عتقه . ٢٠

وناشدتْها حتى ملأتْ قلبها ؛ فدخلتْ إلى كلثم وقالت : إنّ بالباب مُكاتَبةً لم أرَ قطّ أجملَ منها ولا أكملَ ولا آدبَ . فقالت : ٱئْذَنى لها، فدخلتْ. فقالتْ : مَنْ كاتَبَك ؟ قالت : عمرُ بن أبى ربيعةَ الفاسقُ ! فاقرئى مُكاتبَتِى . فمدّتْ يدَها لتأخذها. فقالت لها : لى عليك عهدُ الله أن تَقْرئِيها؛ فإن كان منك إلىّ شىءٌ مما أُحِبُّه وإلّا لم يلْحَقْنِى منك مكروهٌ؛ فعاهدتْها(١) وفَطِنتْ. وأعطتْها الكتابَ، فإذا أوّلُه :

٥

من عاشقٍ صَبٍّ يُسِرُّ الهوى * قد شَفَّه الوجدُ إلى كَلْثَمِ
رأتْكِ عَيْنِى فدعانى الهوى * إليكِ للحَيْنِ ولم أعْلَمِ
قتلْتِنا ، يا حبّذا أنتمُ ، * فى غيرِ ما جُرْمٍ ولا مَأْثَمِ
واللهُ قد أنْزَلَ فى وَحْيِه * مُبيِّناً فى آيِهِ المُحْكَمِ
مَنْ يَقْتُلِ النفسَ كذا ظالماً * ولم يُقِدْها نفسَه يَظْلِمِ
وأنتِ ثأرى فتلافَىْ دَمى * ثم ٱجعليه نعمةً تُنْعِمى
وحَكِّمى عَدْلاً يكُنْ بيننا * أو أنتِ فيما بيننا فٱحْكُمى
وجالِسِينى مَجْلساً واحداً * من غيرِ ما عارٍ ولا مَحْرَمِ(٢)
وخبِّرينى ما الذى عندكم * باللهِ فى قتلِ ٱمرئٍ مُسْلِمِ

١٠

قال : فلمّا قرأتِ الشعرَ قالت لها : إنّه خدّاعٌ مَلِقٌ، وليس لما شكاه أصلٌ. قالت : يا مولاتى ! فما عليكِ مِن ٱمتحانه ؟ قالت : قد أذنتُ له ، وما زال حتى ظَفِرَ ببُغْيَتِه ؛ فقولى له : إذا كان المَسَاءُ فلْيَجْلِسْ فى موضع كذا وكذا حتى يأتيه رسولى. فانصرفتِ الجاريةُ فأخبرتْه؛ فتأهّب لها. فلمّا جاءه رسولُها مضَى معه حتّى

١٥

٨٣/١

(١) فى ت : « فقالت هاتى » . (٢) كذا فى الديوان ، ر ، حـ . والمحرم : الحرام. وفى ت : « مأثم » . وفى سائر النسخ : « مجرم » بالجيم المعجمة .

٢٠

دخل إليها وقد تهيّأتْ أجملَ هيئة، وزيّنَتْ نفسَها ومجلسَها وجلَستْ له من وراء سِتْر، فسلَّم وجلَس . فتركتْه حتى سكَن، ثم قالت له : أخبِرْنى عنكَ يا فاسق ! ألستَ القائل :

هلّا ٱستَحيْتَ (1) فترْحَمِى صَبًّا * صَدْيانَ (2) لم تَدَعِى له قَلْبَا

جَشِمَ الزيارةَ فى مودّتكم * وأراد ألّا تُرْهِقِى ذَنْبَا (3)

ورَجا مُصالَحةً فكان لكم * سَلْمًا (4) وكنتِ تَرَيْنَه حَرْبَا

يأَيّها المُعْطِى (5) مودّتَه * مَنْ لا يراكَ مُسامِيًا خِطْبَا (6)

لا تجعلَنْ أحدًا عليك إذا * أحببتَه وهوِيتَه رَبّا

وصِلِ الحبيبَ إذا شُغِفْتَ (7) به * وٱطْوِ الزيارةَ دونَه غِبًّا

فَلِذاكَ أحسنُ (8) من مُواظَبةٍ * ليستْ تَزِيدُكَ عنده قُرْبا

لا بل يَمَلُّكَ عند دَعْوته * فيقولُ هَاهِ (9) وطَالَما لَبَّى

(1) فى ديوانه : « آرعويت » . (2) فى الديوان :

* هَذْيان لم تَذْرى له قلبا *

(3) فى ديوانه : * فأراد ألّا تحقدى ذنبا *

(4) كذا فى الديوان . وفى الأصول : « فردَّكم » . (5) فى ديوانه : « المصفى » .

(6) هكذا فى حـ ، ر . والخطب : الخاطب . وفى الديوان ، ت ، م ، ء :

* من لا يزال مساميا خطبا * . وفى سائر النسخ : * من لا يزال مسامتا خطبا *

(7) فى ديوانه : « كلفت » . (8) فى الديوان : « خير » . (9) كذا فى الديوان . وهاه : كلمة وعيد ، وحرّك لضرورة الشعر . والبيت فى ديوانه :

لا بل يملّك ثم تدعو بٱسمه * فيقول هاه وطالما لبى

وفى حـ ، ر : « فيقول هاك » وهاك : اسم فعل بمعنى خذ . ولا يستقيم به المعنى . وفى سائر النسخ : « فيقول هاء » بالهمزة ، وهاء ، كما فى القاموس وشرحه مفتوح الهمزة : تلبية ، ثم ٱستشهد بالبيت هكذا :

لا بل يجيبك حين تدعو بٱسمه * فيقول هاء وطالما لبّى

وهذه الرواية ٱنفرد بها اللسان وشرح القاموس ، وهى لا تتفق مع البيتين السابقين وإن كان البيت فى نفسه مستقيم المعنى . وفى نسخة أ : كتب فوق كلمة « هاء » كلمة « أف » وفوقها « خ » إشارة إلى أنها نسخة أخرى ؛ وهى رواية يستقيم بها المعنى أيضا .

فقال لها : جُعِلْتُ فداكِ ! إنّ القلبَ إذا هَوِىَ نطَق اللسانُ بما يَهْوَى . فمكَث عندها شهرًا لا يَدْرِى أهلُه أين هو . ثم ٱستأذنها فى الخروج . فقالت له : بعد أن فَضَحْتَنِى ! لا واللهِ لا تخرجُ إلا بعد أن تتزوّجنى . ففعل وتزوّجها ؛ فولدتْ منه ٱبنين أحدهما جُوَانٌ ؛ وماتت عنده .

عمر ولبابة بنت عبد الله بن العباس ٱمرأة الوليد بن عتبة بن أبى سفيان

٥ أخبرنى حَبِيبُ بنُ نَصْرٍ المُهَلَّبِىّ قال حدّثنا الزّبيرُ بن بَكّار قال حدّثنى عبد الجبّار ٱبن سَعِيد[1] قال حدّثنى إبراهيمُ بن يعقوبَ بن أبى عبد الله عن أبيه عن جدّه :

أنّ عمرَ رأى لُبَابةَ بنتَ عبدِ الله بن العباس ٱمرأةَ الوليدِ بن عُتْبَةَ بنِ أبى سفيان تَطُوف بالبيت ، فرأى أحسنَ خَلْق الله ، فكاد عقلُه يذهبُ ، فسأل عنها فأُخبر بنسبها ؛ فنسَب بها وقال فيها :

١٠ صوت

وَدِّعْ لُبَابَةَ قبلَ أن تترحّلا * وٱسْأَلْ فإنّ قُلَالَه[2] أن تَسْأَلا

ٱلْبَثْ بِعَمْرِك ساعةً وتأنّها * فلعلّ ما بَخِلَتْ به أن يُبْذَلا

قال ٱئْتَمِرْ[3] ما شئتَ غيرَ مُخالِفٍ * فيما هَوِيتَ فإنّنا لن نَعْجَلا

لَسْنا نُبَالِى حين تَقْضِى[4] حاجةً * ما باتَ أو ظَلّ المَطِىّ مُعَقَّلا

١٥ حتى إذا ما اللّيلُ جَنّ ظَلَامُه * ورَقَبْتُ غفلةَ كاشحٍ أن يُحْمَلا[5]

---

(١) فى م : « سعد » وهو تحريف . (انظر الحاشية رقم ١ صفحة ١٥٠ من هذا الجزء) .
(٢) كذا فى ت . والقلال كغراب وسحاب : القليل . وفى ديوانه : « قليله » . وفى سائر النسخ : « قلالة » بالتاء ، ولم نجده فى كتب اللغة . (٣) ٱئتمر ما شئت : افعل ما شئت فإننا لا نعصى لك أمرا . (٤) كذا فى م . وفى أكثر النسخ : « نقضى » . وفى ديوانه : « تدرك » . وفى حـ ،
٢٠ ر : « ندرك » . (٥) كذا فى ديوانه . وفى الأصول : * ونظرت غفلة حارس أن يغفلا *

خرجتْ تأطَّرُ[1] فى الثياب كأنّها * أيْمٌ[2] يَسِيبُ على كثيبٍ أَهْيَلَا
رحّبتُ حين رأيتُها فتبسّمتْ[3] * لتحيّتِى لمّا رأتْنِى مُقْبِلَا
وجلَا القِناعُ سحابةً مشهورةً * غرّاءَ تُعْشِى الطَّرْفَ أن يتأمّلَا
فلبثْتُ أَرْقِيها بما لو عاقِلٌ[4] * يُرْقَى به ما آسْطَاعَ ألّا يَنْزِلَا

غنّى فى هذه الأبيات مَعْبَدٌ خفيفَ ثقيلٍ مطلقٍ فى مَجْرَى الوُسْطَى عن إسحاقَ ، ٥
آبتداؤه نَشِيدٌ . وفيها لآبن سُرَيج ثقيلٌ أوّلُ بالوُسْطَى فى مجراها عن إسحاقَ أيضا .
وفيها لآبن سُرَيج فى الأوّل والرابع من الأبيات رَمَلٌ عن آبن المكىّ ، ولأبى دُلَفٍ[5]
القاسِمِ بنِ عيسى فى هذين البيتين خَفِيفُ ثقيلٍ بالسبابة والبنصر ، وآبتداؤه نشيدٌ
من رواية آبن المكىّ . وفيه لمحمدِ بنِ الحسنِ بن مُصْعَبٍ هَزَجٌ .

٨٤ / ١

أخبرنى محمد بن مَزْيَد بن أبى الأَزْهَر قال حدّثنا حَمّاد بنُ إسحاقَ عن أبيه قال: ١٠
لمّا حَجّ الغَمْر بنُ يزيدَ بنِ عبد الملك دخل إليه مَعْبَدٌ فغنّاه :

* وَدِّعْ لبابةَ قبل أن تترحَّلا *

فلم يَزَل يُردِّده عليه، ثم أخرجه معه لمّا رَحل عن المدينة ، فغنّاه فى المنزل به حتى
أراد الرَّحِيلَ ، فحمَلَه على بغلةٍ له وذهَب غلامٌ له يَتْبَعُه ، فقال : إلى أين؟ فقال : أَمْضِى

(١) (تأطر محذوفة إحدى تاءيه) هنا : تتثنى . (٢) كذا فى الأصول . والأيم : الحية . وفى النسخة ١٥
المخطوطة من ديوانه : * ريح تَسَيَّب عن كثيب أهيلا * وفى النسخة المطبوعة منه : «تسنت» بدل
«تسيب» وهو تصحيف . (٣) فى ديوانه : * سلّمت حين لقيتها فتهللت *
(٤) عقَل الوعل يعقِل عُقُولا : امتنع فى الجبل ؛ وبه سمى الوعل عاقلا ، على حدّ التسمية بالصفة ؛ ومنه
المثل : « إنما هو كبارح الأروى قليلا ما يُرى » . والأروى : (جمع أُرْوِيَّة) وهى تيوس الجبل البرية ،
ومساكنها فى قنان الجبال ولا يكاد الناس يرونها سانحة ولا بارحة إلا فى الدهر مرّة . (انظر اللسان مادة ٢٠
عقل وبرح) . (٥) فى ت : « وفيها لأبى دلف القاسم بن عيسى خفيف ثقيل بالسبابة فى البنصر ...
ولمحمد بن الحسن بن مصعب هزج » . وستأتى ترجمة أبى دلف هــذا فى الجزء الثامن من هذه الطبعة .

معه حتى أجىءَ بالبغلة . فقال : هيهات! ارجعْ يابُنَىّ ، ذهبتْ والله لُبَابةُ ببغلة مولاك . وقد رُوِىَ هذا الخبرُ لغير الغمر بن يزيد .

عمر والثريا بنت علي بن عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر

وهذه الأبيات التى فيها الغناء المختار وهو :

* تشكّى الكُمَيتُ الجَرْىَ لمّا جهَدْتَه *

٥ يقولها عمرُ بن أبى ربيعة فى الثُّرَيّا بنتِ علىّ بن عبد الله بن الحارث بن أُمَيَّةَ الأصغرِ بن عبد شمس بن عبد مَنَاف ، وهم الذينَ يقال لهم العَبَلاتُ ، سُمُّوا بذلك لجَدّةٍ لهم يُقال لها عَبْلَةُ بنتُ عُبَيد بن خالد بن خَازِل[1] بن قَيْس بن مالِكِ بن حَنْظَلَةَ ابن مالك بن زَيْدِ مَنَاةَ بن تَمِيم ، وهى من بطنٍ من تَمِيم يقال لهم البَرَاجِمُ ، غيرُ بَرَاجِمِ بنى أسد .

نسب الثريا بنت على بن عبد الله بن الحارث

١٠ أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجَوْهَرِىّ قال حدّثنا عُمَرُ بن شَبَّة قال :

كانت عبلةُ بنتُ عُبَيد بن خالد بن خَازِل بن قَيْس بن حَنْظَلة ، عند رجل من بنى جُشَم بنِ معاويةَ ، فبعثها بأَنْحاء[2] سَمْنٍ تبيعها له بعُكَاظ ، فباعتِ السمنَ وراحلتين كان عليهما ، وشربتْ بثمنها الخمرَ . فلما نَفِدَ ثمنُها[3] رهَنَتِ ٱبنَ أخيه وهربتْ ، فطلّقها . وقالت فى شُرْبِها الخمرَ :

١٥ شَرِبتُ براحلَتَىْ مِحْجَنٍ * فيا وَيْلَتِى ، مِحْجَنٌ قاتِلِى
وبٱبنِ أخيه على لذّةٍ * ولم أَحْتَفِلْ عَذْلَ[4] العاذِلِ

(١) كذا فى أكثر النسخ . وفى ت : « عبلة بنت عبيد الله بن خالد بن حازل وقيل حاذل بالذال » . وبعده بقليل : «عبيد بن خالد بن جازل » . وفى حـ ، ر : « عبيد بن خارك بن قيس » . وفى شرح القاموس مادة عبل : « قال الدارقطنى : هى عبلة بنت عبيد بن جازل بن قيس الخ . وقال غيره : هى عبلة بنت نافذ بن قيس بن حنظلة » . (٢) أنحاء : جمع نحى وهو الزق أو ما كان للسمن خاصة .
٢٠ (٣) فى الأصول : « ثمنه » . (٤) فى ب ، سـ : « عذلة » . وفى حـ ، ر : «لومة » .

قال : فتزوّجها عبدُ شمس بنُ عبد مناف ؛ فولدتْ له أُمَيّةَ الأصغرَ وعبدَ أُميةَ[(١)] ونَوْفَلًا، وهم العَبَلاتُ .

وقد ذكر الزّبير بن بَكّار عن عمّه : أنّ الثُّرَيّا بنتُ عبد الله بن محمد بن عبد الله بن الحارث بن أُمية الأصغر، وأنها أُختُ محمد بن عبد الله المعروف بأبى جِرَابٍ العَبْلِىّ الذى قتله داودُ بن علىٍّ ؛ وهو الذى يقول فيه آبنُ زِيَادٍ المَكّىّ :

ثلاثُ حوائجٍ[(٢)] ولَهُنّ جئنا * فقُمْ فيهنّ يآبنَ أبى جِرَابِ

فإنّكَ ماجدٌ فى بيت مجدٍ * بَقِيّةُ مَعْشَرٍ تحتَ التراب

قال : وله يقول آبنُ زِيَادٍ المكّىّ أيضا :

إذا مُتَّ لم تُوصَلْ بعُرْفٍ قرابةٌ * ولم يَبْقَ فى الدنيا رجاءٌ لسائلِ

قال الزبير : وهذا أشبهُ من أن تكون بنتَ عبد الله بن الحارث، وعبدُ الله إنما أدرك سُلطانَ معاويةَ وهو شيخ كبير، ووَرِث بقُعْدُدِه[(٣)] فى النَّسَب دارَ عبدِ شمس

(١) فى ر : « عبد الله » . (٢) قال فى اللسان : وجمع الحاجة حاج وحاجات، وحوائج على غير قياس، كأنهم جمعوا حائجة . وكان الأصمعىّ ينكره ويقول هو مولد ... قال آبن برى : إنما أنكره الأصمعىّ لخروجه عن قياس جمع حاجة، والنحويون يزعمون أنه جمع لواحد لم ينطق به وهو حائجة . قال : وذكر بعضهم أنه سمع حائجة لغة فى الحاجة . وأما قوله إنه مولد فإنه خطأ منه ؛ لأنه قد جاء ذلك فى حديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن لله عبادا خلقهم لحوائج الناس يفزع الناس إليهم فى حوائجهم أولئك الآمنون يوم القيامة " . وقال الأعشى :

الناس حول قبابه * أهل الحوائج والمسائل

وقال الشاعر :

تقطع بيننا الحاجات إلا * حوائج يعتسفن مع الجرى

(انظر اللسان مادة حوج ففيه كلام طويل تحسن مراجعته) . (٣) بقعدده : بتمكنه فى القرابة من الميت فى بكونه أقرب الطبقات إليه .

آبن عبد مناف، وحجّ معاويةُ فى خلافته، فجعل ينظر إلى الدار [1]، فخرج إليه عبدُ الله آبن الحارث بِمِحْجَنٍ [2] ليضربه به وقال: لا أشبعَ اللهُ بطنَك! أمَا تَكفيكَ الخلافةُ حتى تَطلُبَ هذه الدارَ! فخرج معاويةُ يضحك.

قال مؤلِّف هذا الكتاب: وهذا غلطٌ من الزُّبَير عندى، والثُّريَّا أن تكون بنت عبدِ الله بن الحارث أشبهُ من أن تكون أختَ الذى قتَله داودُ بنُ علىّ؛ لأنها ٥
رَبَّتِ الغَريضَ المُغنِّيَ وعلَّمته النَّوحَ بالمَراثِى على من قتَله يزيدُ بن معاويةَ من أهلها يومَ الحَرَّة. وإذا كانتْ قد ربَّتِ الغريضَ حتى كَبِرَ وتعلَّمَ النَّوحَ على قَتْلَى الحَرَّة [وهو رجل] [3] — وهى وَقْعةٌ كانت بعَقِب موتِ معاوية — فقد كانت فى حياة معاويةَ آمرأةً كبيرةً، وبينَ ذلك وبينَ مَنْ قتله داودُ بن علىّ من بنى أُميَّة نحوُ ثمانينَ سنةً،
وقد شَبَّب بها عمرُ بن أبى ربيعةَ فى حياة معاويةَ، وأنشدَ عبدَ الله بنَ عباس شِعرَه فيها، فكيف تكون أختَ الذى قتَله داودُ بن علىّ وقد أدركتْ عبدَ الله بنَ عباس وهى آمرأةٌ كبيرةٌ! وقد آعترف الزُّبَير أيضا فى خبره بأن عبدَ الله بنَ الحارث أدرك خلافةَ معاويةَ وهو شيخ كبير؛ فقولُ من قال: إنها بنتُه، أصوبُ من قول مَن قرنها بمن قتَله داودُ بن علىّ. وهذا القول الذى قلتُه قولُ آبن الكلْبىّ وأبى اليَقْظَانِ، ١٠
أخبرنى به الحَسَنُ بن علىٍّ عن أحمدَ بنِ الحارث عن المَدائنىّ عن أبى اليقظان، قال وحدّثنى به جماعةٌ من أهل العلم بنَسَب قُرَيش. ١٥

أخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العَلاء قال حدّثنا الزُّبَير بن بكّار قال حدّثنى مَسْلَمَةُ ابنُ إبراهيمَ بن هِشَام المَخْزُومىّ عن أيُّوبَ بن مَسْلَمَةَ، أنه أخبره أنّ عمرَ بنَ أبى ربيعة

(١) كذا فى حـ، م. وفى سائر النسخ: «ودخل ينظر». (٢) المحجن: عصا معقّفة (منحنية) الرأس كالصولجان. (٣) زيادة فى ت. ٢٠

كان مُسْهَبًا[1] بالثُّرَيَّا بنتِ علىّ بن عبد الله بن الحارث بن أُمَيَّةَ الأصغر، وكانت عُرْضَةَ[2] ذلك جَمالًا وتَمامًا، وكانت تَصِيفُ[3] بالطّائف، وكان عمر يَغْدُو عليها كلَّ غَداة إذا كانت بالطائف على فرسه، فيسألُ[4] الرُّكْبانَ الذين يَحْمِلون الفاكهةَ من الطائف عن الأخبار قبلَهم. فَلَقِىَ يومًا بعضَهم فسأله عن أخبارهم؛ فقال: ما آستَطْرَفْنا[5] خبرًا، إلا أنّنى سمعتُ عند رَحِيلنا صوتًا وصِياحًا عاليا على آمرأة من قُرَيش آسْمُها آسمُ نَجْمٍ فى السماء وقد سَقَط عنى[6] آسْمُه. فقال عمر: الثُّرَيّا؟ قال نعمْ. وقد كان بلغ عمرَ قبلَ ذلك أنها عَلِيلةٌ، فوجَّه فرسَه على وَجْهِه إلى الطائف يَرْكُضُه مِلْءَ فُرُوجِه[7] وسلَك طريقَ كَدَاءَ[8] — وهى أَخْشَنُ[9] الطُّرُق وأقربُها — حتى آنتهى إلى الثُّرَيّا وقد توقَّعتْه وهى تَتَشَوَّفُ له وتُشْرِف، فوجَدها سليمةً عَمِيمةً[10] ومعها أُختاها رُضَيًّا[11] وأُمُّ عثمانَ[12]، فأخبرها الخبرَ؛ فضحِكتْ وقالت: أنا والله أَمَرْتُهم لأَختبِرَ مالى عندَك. فقال عمر فى ذلك هذا الشعرَ:

(١) كذا فى أكثر النسخ. والمسهب: من أسقمه الحب وأذهب عقله. وفى م: «مستهترا» أى مولعا. وفى حـ: «مشتهرا». وفى ء: «مشهبا» وهو مصحف عن «مسهبا».
(٢) أى كانت أهلا لأن يُشغف بها لجمالها وتمامها، كأنها متصدّية للناس بجمالها توقعهم فى شركها فيهيمون بها وإن لم يريدوا؛ من قولهم: بعير عرضة للسفر أى قوىّ عليه. (٣) تصيف بالطائف: أى تقيم به فى الصيف. (٤) فى ت، م: «فيسائل». (٥) ما آستطرفنا خبرا، أى ليس عندنا شىء طريف حادث نحدّثك به. (٦) فى الأصول: «سقط علىّ آسمه». يريد: ذهب وغاب عنى فلا أذكره. (٧) الفروج: ما بين قوائم الفرس؛ يقال: ملأ فروج فرسه وسدّ فروجه، إذ ملأ قوائمه عدوا، كأن العدو ملأ قوائمه وسدّها. (٨) كداء (كسماء): جبل بأعلى مكة عند المحصّب، دار إليه النبىّ صلى الله عليه وسلم من ذى طُوًى. وقد دخل النبى صلى الله عليه وسلم مكة عام الفتح منه وخرج من كدى (مضموم مقصور)، وهو جبل بأسفل مكة. وأما كُدَىّ بالتصغير فإنما هو لمن خرج من مكة إلى اليمن، وليس من هذين الطريقين فى شىء. (٩) فى ت: «أحسن».
(١٠) جارية عميمة وعَمّاء: طويلة تامة القوام والخَلْق. (١١) فى تاج العروس: «ومن أسمائهنّ رُضَيّا كثريا، تصغير رَضْوى وثَروى». (١٢) فى ت: «أم كلثوم».

تَشَكَّى الكُمَيْتُ الجَرْيَ لَمَّا جَهَدْتُه * وبَيَّنَ لو يَسْطِيعُ أن يَتَكَلَّمَا
فقلتُ له إنْ أَلْقَ للعَيْنِ قُرَّةً * فَهَانَ عليَّ (١) أن تَكِلَّ وتَسْأَمَا
لذلك أُدْنِي دونَ خَيْلِي رِبَاطَه * وأُوصِي به أَلَّا يُهَانَ ويُكْرَمَا
عَدِمْتُ إذاً وَفْرِي وفارقتُ مُهْجَتِي * لئن لم أَقِلْ (٢) قَرْناً إنِ اللهُ سَلَّمَا

قال مَسْلَمَةُ بن إبراهيمَ : قلتُ لأَيُّوبَ بنِ مَسْلَمَةَ : أكانتِ الثريّا كما يَصِفُ عمرُ بن أبي ربيعة ؟ فقال : وفوقَ الصِّفَة ، كانت واللهِ كما قال عبدُ الله بن قَيْسٍ :

حَبَّذَا الحجُّ والثُّرَيَّا ومَنْ بالـ * ـخَيْفِ من أجلِها ومُلْقَى الرِّحَالِ
(٣) يا سليمانُ إن تُلَاقِ الثريَّا * تَلْقَ عَيْشَ الخُلُودِ قبلَ الهِلَالِ
دُرَّةٌ من عَقَائِلِ (٤) البحرِ بِكْرٌ * لم تَشِنْها (٥) مَثَاقِبُ اللَّأَّلِ (٦)

(١) في الديوان ، حـ ، مـ : علينا » . (٢) أقل : من القيلولة . والقرن : قرن المنازل ، وكثيرا ما يذكره عمر في شعره . يريد : لئن لم أقل فيه . (٣) ورد هذا البيت في ديوانه قبل البيت الأوّل ، وقبله بيتان هما مطلع هذه القصيدة وهما :

وسلافٍ مما يُعَتَّق حِلٍّ * زاد في طيبها ابن عبد كُلَالِ
ذكرتني المُخَنَّثات لدى الحِجْـ * ـر ينازعنني سجوف الحِجَالِ

يريد بالحجر حِجر الكعبة ، وبسجوف الحجال الخُمُر . ولعله يريد بالهلال الهلال المعروف . وربما كان الشاعر أتى به للتناسب بينه وبين الثريا ، وهو ما يسميه علماء البديع مراعاة النظير . يقول : إن لقيتها لقيت عيش النعيم قبل أن يجيء موسم الحج وهو شوّال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة ، وهذه يحرم فيها الرفث والفسوق ؛ كما قال تعالى : ﴿الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج﴾ . أو لعله يريد بالهلال الدفعة من المطر ، فيكون المعنى : إن تلق الثريا ينعم بالك ويخصب عيشك قبل أوان الخصب . (٤) كذا في حـ ، مـ ، أ . وفي سائر النسخ : « عقائد » وهو تحريف . والعقائل : جمع عقيلة ، وهي في الأصل : المرأة الكريمة المخدّرة ، ثم استعمل في الكريم من كل شيء ، ومنه عقائل البحر ، وهي درره الكبيرة الصافية . (٥) في ديوانه : « لم تَنَلْها » . (٦) اللأّل : بائع اللؤلؤ أو ثقّابه . قال الفراء : سمعت العرب تقول لصاحب اللؤلؤ لأّء بالهمز ، وكره قول الناس : لأّل . وقال علي بن حمزة : خالف الفراء في هذا الكلام العرب والقياس ؛ لأن المسموع لأّل ، والقياس لؤلؤيّ ، لأنه لا يبنى من الرباعي فعّال ، ولأّل شاذ .

تَعقِد المِئزَرَ السُّخَامَ[1] من الخَـ * ـزِّ[2] على حَقْوِ[3] بَادِنٍ مِكْسَالِ

عمر بن أبى ربيعة ورملة بنت عبد الله ابن خلف الخزاعية

٨٦ / ١

قال إسحاق فى خبره عمّن أسند اليه أخبارَ عمرَ بنِ أبى ربيعةَ ، وذكر مثلَه الزُّبيرُ بن بكّار فيما حدّثنا به عنه الحَرَمىّ بنُ أبى العلاء قال حدّثنى مؤمن[4] بنُ عمرَ ابنِ أفلح مَولَى فاطمةَ بنتِ الوَليد بنِ عبد شمس بن المُغيرة بن عبد الله بن عمر ابن مَخزوم قال حدّثنى بِلالٌ مَولَى ابنِ أبى عَتِيق :

٥

أنّ الحارث بنَ عبد الله بن عيّاش بن أبى ربيعة قَدِمَ للحجّ، فأتاه ابنُ أبى عَتيق فسلّم[5] عليه وأنا معه . فلمّا قضَى سَلَامَه ومُسَاءلتَه عن حجّه وسفره ، قال له : كيف تركتَ أبا الخطّاب عمرَ بنَ أبى ربيعةَ ؟ قال : تركتُه فى بُلَهْنِيَةٍ[6] من العَيْش . قال : وأنّى ذلك ؟ قال . حَجّتْ رَمْلَةُ بنتُ عبد الله بنِ خَلَفٍ الخُزَاعيّةُ فقال فيها :

صوت

١٠

أَصْبحَ القلبُ فى الجِبَال[7] رَهِينَا * مُقْصَداً يومَ فَارَقَ الظّاعِنِينَا

(١) السخام هنا : اللين . (٢) كذا فى الديوان ، ت . وفى سائر النسخ : « الحر » أو « الخز » ، وكلاهما تصحيف . (٣) الحقو بالفتح والكسر : معقِد الإزار وهو الخاصرة .

(٤) كذا فى حـ ، ر . وفى ت : « ميمون » . وفى سائر النسخ : « موسى » . وسيأتى فى صفحة ٢٢٢ من هذا الجزء أنه « مؤمن » فى جميع النسخ .

١٥

(٥) فى حـ ، ر : « يسلم » . (٦) البلهنية ومثله الرُّفَهْنِيَة والرُّفَغْنِيَة : سعة العيش ؛ يقال : هو فى بلهنية من العيش ، وهو فى عيش أبله ، كأن صاحبه فى غفلة عن الطوارق لا يحسب لها حسابا . (٧) فى ديوانه المطبوع بليبزج : « الجمال » .

قلتُ مَنْ أنتمُ فصدّتْ وقالتْ * أَمُبِدٌّ (١) سؤالَك العالَمِينَا (٢)

نحن منْ ساكني العِراق وكُنّا * قبلَه قاطنين مكّةَ حِينا (٣)

قد صَدَقْناكَ إذ سألتَ فمن أنـ * ـتَ عسى أن يَجُرّ شأنٌ شُؤونا

ونَرَى أننا عَرَفْناك بالنّعـ * ـتِ بظَنٍّ وما قَتَلْنا يَقِينا

٥ بسَوادِ الثَّنِيَّتيْن ونَعْتٍ * قد نَراه (٤) لناظرٍ مُسْتَبِينا

— غنّى مَعْبَدٌ فى البيتين الأوّلين خَفيفَ ثَقيلٍ أوّلَ بالوُسْطَى فى مَجْرَاها عن إسحاقَ . وغنّى فى الثانى وما بعده ٱبنُ سُرَيج خفيفَ ثقيلٍ أوّلَ بالسَّبّابة فى مَجْرَى البِنْصر عنه أيضا . وذَكَر حَبَشٌ أنّ فيه للغَرِيض أيضا لحنا من الثقيل الأوّل بالبِنْصر — قال : فبلَغ ذلك الثُّرَيّا ، بلّغَتْها إيّاه أُمُّ نَوْفَلٍ ، وكانت غَضْبَى عليه ، وقد

١٠ كان ٱنتشر خبرُه عن الثريّا حتى بلَغَها من جهة أُمّ نَوْفلٍ وأنشدتْها قولَه :

(١) مبدٌّ ، من قولهم : أبددت القوم المال أو الطعام ، إذا فرّقته بينهم وأعطيت كل واحد بدّته أى نصيبه وقال فى اللسان (مادة بدد) بعد أن أورد هذا الشطر : « معناه أمقسم أنت سؤالك على الناس واحدا واحدا حتى تعمهم . وقيل : معناه أملزم أنت سؤالك الناس ؛ من قولك : مالك منه بدّ » .

١٥ (٢) بين هذا البيت والذى قبله عدة أبيات ، وقد نقلناها عن ديوانه لترتب البيت الثانى عليها ، وهى :

عَجِلت حُمّة الفراق علينا * برحيل ولم نخف أن تبينا

لم يرعنى إلا الفتاة وإلا * دمعها فى الرداء سحّا سَنِينا

ولقد قلت يوم مكّة سرًّا * قبل وشك من بينكم نوّلينا

أنت أهوى العباد قربا ودلًّا * لو تُنيلين عاشقا محزونا

٢٠ قاده الطرف يوم مرٍّ إلى الحيـ * ـن جهارا ولم يخف أن يحينا

فإذا نعجة تراعى نعاجا * ومَهًا يُبهج المناظر عِينا

(٣) بين هذا البيت والذى قبله فى ديوانه بيتان هما :

قلت بالله ذى الجلالة لما * أن تبلت الفؤاد أن تصدقينا

أىّ مَنْ تجمع المواسمُ قُولى * وأبينى لنا ولا تكتمينا

٢٥ (٤) كذا فى الديوان ، حـ . وفى سائر النسخ : « تراه » .

أَصْبحَ القلبُ فى الحِبال رَهِينَا * مُقْصَـدًا يومَ فارَق الظاعنينَا

فقالت : إنه لَأوْقَحُ[1] صَنِعٌ[2] بلسانه ، ولئن سلِمْتُ له لأَرُدَّنَّ من شأْوِه[3] ، ولأَثْنِيَنَّ من عِنَانه ، ولأُعَرِّفَنَّهُ نفسَه . فلمّا بلَغتْ إلى قوله :

قُلْتُ مَن أنتُمُ فصدَّتْ وقالتْ * أَمُبِـدٌّ سُـؤالَكَ العالَمِينَا

فقالت : إنه لَسَآلٌ مُلِـحٌّ[4] ،[قُبْحًا[5] له !]ولقد أجابتْه إن وَفَتْ . فلمّـا بلَغتْ إلى قوله :

نحن من ساكنى العِـراقِ وكنّا * قبلَه قاطنين مكّـةَ حِينا

قالت : غَمَزَتْه[6] الجَهْمَةُ[7] . فلمّا بلَغتْ إلى قوله :

قد صدَقْناك إذ سألتَ فمن أنـ * ـتَ عسى أن يَجُرَّ شأنٌ شُؤونا

قالت : رَمَتْـه الوَرْهَاءُ[8] بآخرِ ما عندَها فى مقامٍ واحد . وهَجَرتْ عمرَ .

أخبرنى الحَـرَمىّ بن أبى العَـلَاء قال حدّثنـا الزُّبير بن بَكّار قال حدّثنى عمّى مُصْعَب : أنّ رَمْلَةَ بنتَ عبدِ الله بن خَلَف حَجّتْ ، فتعرّض لها عمرُ بن أبى ربيعة فقال فيهـا :

أصبح القلب فى الحبال رهينا * مُقْصَـدًا يوم فارق الظاعنينا

وقال فى هذه القصيدة :

(١) الأوقح : القليل الحياء . (٢) الصنع : الحاذق ؛ يقال : رجل صنع اللسان وصنع بلسانه ، إذا كان دلق اللسان فصيحا . (٣) الشأو هنا : الزمام . (٤) فى ت ، أ ، م ، ء : « متيح » والمتيح : من يعرض فى كل شىء ويدخل فيما لا يعنيه ، والأنثى بالهاء . (٥) زيادة فى ح ، ر .
(٦) فى أ ، ء ، ب : « عمرته » . وفى ح ، ر هكذا : « عمرت به الجهتان » وهو تحريف . والغمز : الإشارة بالعين والحاجب والجفن . (٧) الجهمة : الضعيفة العاجزة . تريد أنها ضعيفة لانت له بعد استعصائها . (٨) الورهاء : الحمقاء . تريد أنها رمت بنفسها بين يديه وسلمت نفسها له .

فرأتْ حِرْصِىَ الفتـاةُ فقالتْ * خَبِّرِيه، من أَجْلِ مَن تَكْتُمينا؟[1]

نحن من ساكنى العراق وكنّا * قبـله قاطنين مكة حينـا

قد صدقناك إذ سألت فمن أنـ * ـت عسى أن يجرّ شأن شؤونا

قال الزبير : ورَمْلَةُ هـذه أُمُّ طَلْحَةَ بنِ عمـرَ بنِ عُبَيد الله بن مَعْمَرٍ التَّيْمِىّ ، وهى أُختُ طَلْحَةِ الطَّلَحَاتِ بنِ عبد الله بن خَلَفٍ الخُزَاعىّ .

قصيدة كثير عزة التى أولها : * ما عناك الغداة من أطلال *

قال : فبلَغتْ هذه الأبياتُ كُثيِّراً، فغَضِب لذلك وقال : وأنا والله لا أَتَمَارَى أنْ سيَجُرُّ شأنٌ شؤونا[2] . ثم ذكَرَ نِسْوةً من قُرَيش فساقهن فى شعره من الحج حتى بلَغ بهنّ إلى مَلَلٍ[3]، ثم أشْفَقَ بِجَازَ[4]، ولم يزِدْ على ذلك، وهو قولُه فى قصيدته التى أولها :

ما عنَاكَ الغَـدَاةَ من أَطْـلالِ * دارِسَاتِ المُقَـامِ مُذْ أَحْـوالِ[5]

صــــوت

قُـمْ تأمّـلْ فأنتَ أَبْصَرُ مـنّى * هـل تَرَى بالغَمِيم[6] من أَجْمـالِ

قاضـيَاتٍ لُبَـانَةً من مُنَـاخٍ * وطَـوَافٍ ومَوْقِفٍ بالجِبَـالِ[7]

(١) لم يوجد هذا البيت بتلك القصيدة فى ديوانه . (٢) فى ت ، حـ ، م : « أنا والله أرى أيضا أن سيجر شأن شؤونا » . (٣) ملل — ويقال له أملال — : موضع على طريق المدينة إلى مكة على ثمانية وعشرين ميلا من المدينة . قال كثير :

سـقيا لعزة خلة سـقيا لهـا * إذ نحن بالهضبات من أملال

وسيأتى « أملال » فى هذه القصيدة أيضا .

(٤) أى مرّ تاركا التعرض لهنّ . (٥) كذا فى ت . وفى سائر النسخ بعد هذا البيت قوله : «وقال فيها الخ» . والسياق يأباه . (٦) الغميم كأمير : موضع قرب المدينة بين رابغ والجُحفة . (٧) فى ء ، أ ، ب ، س : « الحبال » . وفى حـ : « الخبال » وهو مصحف عن الجبـال أو عن الخيال بالياء وهى أرض لبنى تغلب كما فى القاموس و ياقوت . وقد ذكر ياقوت البيتين (فى مادة « الغميم ») وفيـه « الخيال » بالياء .

قُلْنَ عُسْفَانَ(١) ثم رُحْنَ سِرَاعًا * هابطاتٍ عَشِيَّةً من غَزَالِ(٢)

وارداتِ الكَدِيدِ(٣) مُجْتَرِعَاتٍ(٤) * جُزْنَ وَادِى الجُحُونِ(٥) بالأَثْقَالِ

قَصْدَ لِفْتٍ(٦) وهُنّ مُتَّسِقَاتٌ(٧) * كالعَدَوْلِىّ(٨) لاحقَاتِ التَّوَالِى(٩)

طالعاتِ الغَمِيسِ(١٠) من عَبُودٍ(١١) * سالكاتِ الخَوِىِّ(١٢) من أَمْلَالِ

فسَقَى اللهُ مُنْتَوَى(١٣) أُمِّ عمرٍو * حيثُ أَمَّتْ(١٤) بها صُدورُ الرِّحَالِ

حَبَّذَا هُنّ مِنْ لُبَانَةِ قَلْبِى * وجَدِيدُ الشَّبابِ من سِرْبالِى

رُبَّ يومٍ أتيتُهُنّ(١٥) جميعًا * عند بَيْضاءَ رَخْصَةٍ(١٦) مِكْسَالِ

غيرَ أنِّى آمرؤٌ تعمَّمْتُ حِلْمًا * يَكْرَه الجهلَ(١٧) والصِّبَا(١٨) أمثالِى

---

(١) عسفان (كعثمان) : موضع على مرحلتين من مكة فى طريق المدينة والجحفة. (٢) غزال — ويقال له قرن غزال — : أحد الأودية الثلاثة بين ثنية هرشى وبين الجحفة، وهو لخزاعة خاصة. (٣) الكديد : ماء بين الحرمين كما فى القاموس، أو موضع على آثنين وأربعين ميلا من مكة بين عسفان ورابغ. (٤) اجترع الماء : ابتلعه. (٥) الجحون : جبل بمعلاة مكة عنده مدافن أهلها. (٦) كذا فى أكثر النسخ. ولفت (بالكسر) : واد قريب من هرشى (عقبة بالحجاز بين مكة والمدينة). وقد ذكر ياقوت فيه لغتين أخريين، هما لفت (بفتح فسكون) ولفت (بفتحتين). وفى حـ، ر، ب، سـ : «مقبلات وهن». (٧) متسقات : منتظمات يسير بعضها وراء بعض. (٨) العدولى : جمع عدولية وهى السفينة منسوبة إلى عدولى : قرية بالبحرين. (٩) فى ياقوت (مادة «لفت») : «اللاحقات التوالى». ولاحقات التوالى : يسير بعضها وراء بعض ويلحق تاليها الذى قبله. (١٠) الغميس (بفتح أوّله وكسر ثانيه)، قال آبن إسحاق فى غزاة بدر: مرّ النبيّ صلى الله عليه وسلم على تربان ثم على ملل ثم على غميس الحمام. كذا فى ياقوت. (١١) عبود كتنور : جبل بين السيالة وملل. والسيالة : أرض فى طريق الحاج، قيل : هى أوّل مرحلة لأهل المدينة إذا أرادوا مكة. (١٢) كذا فى ر. والخوىّ : واد بناحية الحمى. وفى ت، ى، م، أ : «الحوى» وفى سائر النسخ : «الحوى» وكلاهما تحريف. (١٣) المنتوى : المكان الذى تنتوى أن تذهب إليه. (١٤) أمت : قصدت. (١٥) فى ت، حـ، ر : «رأيتهن». (١٦) رخصة ناعمة البشرة رقيقتها. (١٧) الجهل : الحمق. (١٨) الصبا : جهلة الفتوة.

غنّى ٱبنُ سُرَيج فى الثلاثة الأبياتِ الأُوَل خَفِيفَ ثَقِيلٍ بالوُسْطَى عن عمرو ويونُس . وذكر الهشامىّ أنّ فيها للحَجَبىّ رَمَلًا بالبِنْصَر .

شعر عمر حين هجرته الثريا

قالوا : فلمّا هَجرت الثُّرَيّا عمرَ قال فى ذلك :

مَنْ رَسُولِى إلى الثُّرَيّا فإنّى (١) * ضِقْتُ ذَرْعا (٢) بهَجْرِها والكِتَابِ (٣)

فبلَغ ابنَ أبى عَتِيقٍ قولُه ، فمضَى حتى أصلح بينهما . وهذه الأبيات تُذْكَر مع ما فيها من الغناء ومع خبرِ إصلاح ٱبنِ أبى عَتِيقٍ بينهما بعد ٱنقضاء خبرِ رَمْلَةَ التى ذكرها عمرُ فى شعره .

قال مُصْعَب بن عبد الله فى خبره : وكانت رَمْلَةُ جَهْمَةَ (٤) الوجهِ ، عظيمةَ الأنفِ ، حسنةَ الجسم ، وتزوّجها عُمر بن عُبَيد الله بن مَعْمَر ، وتزوّج عائشةَ بنتَ طَلْحَة بنِ عُبَيد الله وجَمع بينهما ، فقال يومًا لعائشةَ : فعلتُ فى مُحَارَبةِ الخوارِج مع أبى فُدَيك (٥) كذا ، وصنَعت كذا ، يذكُر لها شجاعتَه وإقدامَه . فقالت له عائشةُ : أنا أعلَم أنّك

(١) فى ديوانه : « بأنى » . (٢) الذرع : الطاقة ؛ يقال : ضاق بالأمر ذرعه وضاق به ذرعا ، إذا ضعفت طاقته عن احتماله ولم يجد منه مخلصا . (٣) فى الكامل للبرّد طبع ليپزج ص ٣٧٩ : « وقوله : ضقت ذرعا بهجرها والكتاب ، قوله « والكتاب » قسم » . على أنه يحتمل أن يكون : ضقت ذرعا بهجرها ومكاتبتها . (٤) الوجه الجهم : الغليظ فى سماجة . (٥) هو رأس من رءوس الخوارج ، وٱسمه عبد الله بن ثور بن قيس بن ثعلبة بن تغلب ، غلب على البحرين فى سنة ٱثنتين وسبعين من الهجرة ، وقتل نجدة بن عامر الحنفىّ أحد رءوس الخوارج بعد أن كان بايعه ، ثم كان ممن اختلفوا على نجدة لأمور نقموها عليه . وبعث إليه خالد بن عبدالله القسرى أخاه أمية بن عبدالله فى جند كثيف فهزمه أبو فديك ، فكتب خالد بذلك إلى عبد الملك بن مروان ، فوجه عبد الملك عمر بن عبيد الله بن معمر لقتال أبى فديك وأمره أن ينتدب معه من أحب من أهل البصرة وأهل الكوفة ، فندب منهم عشرة آلاف وسار إلى البحرين فقاتلوا أبا فديك وأصحابه وقتلوا أبا فديك وٱستباحوا عسكره ، وقتلوا منهم نحوا من ستة آلاف وأسروا ثمانمائة ، ثم ٱنصرفوا إلى البصرة . (انظر الكامل لٱبن الأثير طبع أوربا ج ٤ ص ٢٨١ وكتاب الملل والنحل للشهرستانى طبع مصر ص ٤٥ و ٤٦ وخزانة الأدب للبغدادى ج ٢ ص ٩٧) .

أشجعَ الناس، وأعرِف لك يومًا هو أعظمُ من هذا اليوم الذى ذكرتَه. قال: وماهو؟ قالت: يومَ آجتَلَيْتَ[1] رملةَ وأقدمتَ على وجهها وأنفها.

قال مُصْعَب وحدّثنى يعقوبُ بن إسحاقَ قال: لمّا بلغ الثريّا قولُ عمرَ بن أبى ربيعةَ [فى رملةَ][2]:

وجَلاَ بُرْدُها وقد حَسَرتْه * نُورَ بدرٍ يُضِىء للناظرينَا

قالت: أفٍّ له ما أكْذَبه! أَوَ ترتفعُ[3] حَسْناءُ بصفتِه لهـا بعدَ رملةَ!

وذكَر آبنُ أبى حَسَّان عن الرِّيَاشِىّ عن العَبّاس بن بَكّارٍ عن آبن دَأْبٍ: أن هذا الشعر قاله عمر فى آمرأة من بنى جُمَحَ كان أبوها من أهل مكة، فوُلِدتْ له جاريةٌ لم يُولَد مثلُها بالحجاز حُسْنًا. فقال أبوها: كأنّى بها وقد كَبِرَتْ، فشبَّبَ بها عمرُ بن أبى ربيعة وفضَحها ونوّه باسمها كما فعل بنساء قريش، والله لا أقَمْتُ بمكةَ. فباع ضَيْعةً له بالطائف ومكةَ ورحَل بآبنته إلى البصرة، فأقام بها وآبتاع هناك ضيعةً، ونشأتِ آبنتُـه من أجمل نساء زمانها[4]. ومات أبوها فلم تَرَ أحدًا من بنى جُمَحَ حضَر جِنَازَتَه، ولا وجَدتْ لهـا مُسْعِدًا[5] ولا عليها داخِلًا. فقالت لداية[6] لهـا سوداءَ: مَنْ

(١) اجتلى عروسه: نظر إليها مجلوّة ليلة زفافها. وفى الأغانى (ج ١١ من هذه الطبعة فى أخبار عائشة بنت طلحة ونسبها): أن عمر بن عبيـد الله قال لعائشة بنت طلحة وقـد أصاب منها طيب نفس: ما مرّ بى مثل يوم أبى فديك؛ فقالت له: اعدد أيامك واذكر أفضلها؛ فعـدّ يوم سجستان ويوم قطرىّ بفارس ونحو ذلك. فقالت عائشة: قد تركتَ يوما لم تكن فى أيامك أشجع منك فيه. قال: وأىّ يوم؟ قالت: يوم أرخت عليها وعليك رملة السـتر. تريد قبح وجهها.

(٢) زيادة فى ت.

(٣) فى ت: «لن ترتفع».

(٤) فى ت، ح، ر: «نساء أهـل زمانها».

(٥) المسعد: من تساعد المرأة فى النوح على فقيدها من جاراتها أو ذوات قرابتها.

(٦) الداية: المرضع، وقد تغلب مع الطفلة تربيها حتى تشبّ؛ قال الفرزدق:

ربيبـة دايات ثلاث ربينها * يُلَقِّمنَها من كل سخن ومُـبرَد

نحن؟ ومِنْ أيِّ البلادِ نحن؟ فخبَّرتها. فقالت : لا جَرَمَ واللهِ لا أقمتُ فى هـذا البلد الذى أنا فيه غريبةٌ! فباعت الضيعةَ والدارَ، وخرجت فى أيام الحج. وكان عمرُ يَقْدَمُ فيعتمِرُ فى ذى القَعْدة ويُحِلُّ(٢)، ويَلْبَس تلك الحُلَلَ والوَشْىَ، ويركَب النَّجائبَ المَخْضُوبةَ بالحنّاء عليها القُطُوعُ(٣) والدِّيباجُ، ويُسْبِلُ لِمَّتَه، ويَلْقَى العِراقيّاتِ فيما بينه وبين ذاتِ عِرْقٍ مُحْرِمَاتٍ، ويتلقّى المَدَنيّـاتِ إلى مَرٍّ، ويتلقّى الشاميات إلى الكَديد. فخرج يومًا للعراقيّات فإذا قُبَّةٌ مكشوفةٌ فيها جاريةٌ كأنها القمرُ، تُعادِلُها(٤) جارية سَوْداء كالسُّبْجة(٥). فقال للسوداء : مَن أنتِ؟ ومن أين أنت ياخالة؟ فقالت : لقد أطال الله تعبك، إن كنتَ تسأل هذا العالَمَ مَنْ هُم ومِن أينَ هم. قال : فأخبرينى عسى أن يكون لذلك شأن. قالت: نحن من أهل العراق، فأمّا الأصل والمَنْشأ(٦) فمكة، وقد رجعنا إلى الأصل ورحَلنا(٧) إلى بلدنا؛ فضحِك. فلما نظرتْ إلى سواد ثَنِيَّتَيْه قالت : قد عرَفناك. قال : ومن أنا؟ قالت : عمرُ بن أبى ربيعة. قال : وبِمَ عرفتِنى؟ قالت : بسواد ثنيّتيك وبهيئتك التى ليستْ إلّا لقريش؛ فأنشأ يقول :

قلتُ من أنتم فصَدَّتْ وقالتْ * أمُبِـدٌّ سـؤالَك العالَمِينا

وذكر الأبيات. فلم يزل عمر بها حتى تزوجها وولَدتْ له.

خبر صلح الثريا وعمر ووساطة ابن أبى عتيق فى ذلك

قال : فلما صَرمتِ الثريّا عمرَ قال فيها :

---

(١) أصـل معنى الاعتمار الزيارة فى موضع عامر. وهى فى الشرع زيارة البيت الحـرام بالشروط المخصوصة المعروفة وهى الطواف بالبيت والسعى بين الصفا والمروة. والعمرة تكون فى السنة كلها بخلاف الحج فإنه لا يكون إلا فى أشهره المعلومة ولا يصح إلا مع الوقوف بعرفة. (٢) يحل : يخرج من إحرامه فى العمرة. (٣) القطوع : جمع قطع وهـو الطنفسة يجعلها الراكب تحتـه وتغطى كتفى البعـير. (٤) تعادلها : تركب معها فى أحد شقى المحمل. (٥) السبجة : كساء أسود. (٦) فى حـ، س : «والبيت». (٧) فى ب : «ودخلنا».

صـــوت

مَنْ رَسُــولِى إلى الثريا فإنِّى[1] * ضِقْتُ ذَرْعاً بهَجْرِها والكِتَابِ

سَـلبتْنِى مَجَاجَةُ[2] المِسْكِ عَقْـلِى * فسَـلُوها ماذا أحَلَّ ٱغتصابِى

وهى مَكْنونَةٌ تَحيَّرَ منها * فى أدِيمِ الخَـدَّيْنِ ماءُ الشبابِ

أبرَزُوها مثـلَ المَهاةِ تَهَادَى[3] * بين خَمْسٍ كَوَاعِبٍ أتْرابِ

ثم قالوا تُحِبُّهـا قلتُ بَهْــراً * عددَ القَطْرِ والحَصَى والترابِ

الغناء لآبنِ عائشةَ[4] خَفِيفُ ثَقِيلٍ أوّل بالبِنْصَرِ عن عمرو، وذكر حَبَشٌ أنه لمالك .

أخبرنى الحَرمِىّ بن أبى العَـلاء قال حدّثنا الزُّبَيْر بن بَكّار قال حدّثنى مُؤْمن آبن عمرَ بنِ أفْلَحَ مَوْلَى فاطمةَ بنتِ الوليـد قال أخبرنى بِلالٌ مولى آبنِ أبى عَتِيق قال : أُنْشِد آبنُ أبى عَتيق قولَ عمر :

مَنْ رســولى إلى الثريّا فإنى * ضقتُ ذَرْعًا بهجرها والكتَاب

فقـال آبن أبى عتيق : إيّاىَ أراد وبى نوّه ! لا جَرَم والله لا أذُوقُ أُكْلاً[5] حتى أُشْخَصَ فأُصْلِحَ بينهما ، ونَهَض ونَهضتُ معه ؛ فجاء إلى قوم من بنى الدِّيل بنِ بَكْر لم تكن تُفارِقُهم نجائِبُ لهم فُرهٌ[6] يكْرُونَها[7]، فآكْتَرَى منهم راحلتين وأغْلَى لهم[8]. فقلتُ له :

---

(١) فى ديوانه : « بأنى » . (٢) مجاجة المسك، يريد بذلك وصفها بطيب ريقها وبأنه كالمسك . (٣) تهادى، يريد يهدى بعضها بعضا فى مشيتها (الكامل للمبرد طبع ليبزج ص ٣٧٩). (٤) فى ح ، ر : «لآبن سريج» . (٥) فى ر : «أكالا» . والأكل بالضم وبضمتين والأكال كسحاب : ما يؤكل . (٦) أشخص : أذهب . والشخوص : السير من بلد إلى بلد . (٧) فى ت : «فرهة» . والفره والفرهة بالضم ، والفرّه والفرهة بضم الفاء وتشديد الراء، من جموع فاره . والفاره من الدواب : النشيط الحادّ القوى . (٨) يكرونها : يؤجرونها . (٩) أغلى لهم : بذل لهم أجرا غاليا .

اسْتَوْضِعْهم أو دَعْنِى أُمَاكِسهم، فقد اشْتَطُّوا[1] عليك. فقال: ويْحَكَ! أمَا علمتَ أنّ المِكَاسَ ليس من أخلاق الكِرَام! ثم ركب إحداهما وركبتُ الأُخرى، فسار سَيْراً شديدًا؛ فقلتُ: أبقِ على نفسك؛ فإنّ ما تريد ليس يَفُوتُك. فقال: وَيْحك!

* أُبَادِرُ حَبْلَ الوُدّ أن يَتَقَضَّبا[2] *

وما حلاوةُ الدنيا إن تمَّ الصَّدْعُ[3] بين عمرَ والثريّا! فقدِمْنا مكةَ ليلاً غيرَ مُحْرِمين، فدَقَّ على عمرَ بابَه، فخرج إليه وسلَّم عليه ولم ينزِل عن راحلته؛ فقال له: ارْكَبْ أُصلِحْ بينك وبين الثريّا؛ فأنا رسولك الذى سألتَ عنه. فركب معنا وقدِمْنا الطائفَ، وقد كان عمرُ أَرْضَى أمَّ نَوْفَلٍ فكانت تطلُب له الحِيَلَ لإصلاحها فلا يُمكنها. فقال ابن أبى عتيق للثريّا: هذا عمر قد جَشَّمَنِى السفرَ من المدينة إليك، فجئتُك به مُعْتَرِفًا لك بذنبٍ لم يَجْنِه، معتذرًا إليك من إساءته إليك؛ فَدعِينى من التَّعْداد والتَّرْداد؛ فإنه من الشعراء الذين يقولون ما لا يفعلون؛ فصالحتْه أحسنَ صُلْح وأتمَّه وأجمَلَه، وكَرَرْنا إلى مكة، فلم ينزلها ابنُ أبى عتيق حتى رحَل. وزاد عمر فى أبياته:

أَزْهَقَتْ أُمُّ نوفلٍ إذ دَعَتْها ٭ مُهْجَتِى[4]، ما لِقَاتِلِى مِنْ مَتَابِ

حين قالتْ لها أَجِيبى فقالتْ ٭ مَنْ دعانِى؟ قالت أبو الخطّابِ

فاستجابتْ عند الدعاء كما لبَّى ٭ رجالٌ يَرْجُون حسنَ الثوابِ

---

(١) أى أسألهم أن يحطوا عنك بعض هذا الأجر، أو دعنى أشاحهم فقد جاوزوا القدر.

(٢) يتقضب: يتقطع. (٣) أصل معنى الصدع الشق فى الشىء الصلب كالزجاجة والحائط وغيرهما. والمراد به هنا التفرّق. (٤) فى الكامل للمبرد طبع ليبزج ص ٣٧٩: «وقوله: أزهقت أم نوفل إذ دعتها مهجتى، تأويله: أبطلت وأذهبت؛ قال الله عز وجل: (فيدمغه فإذا هو زاهق)». يريد: أذهبت أم نوفل نفسى إذ كنت أخشى ألا تجيبها الثريا لوصالى.

قال الزبير : وما دَعَتْها أُمُّ نوفلٍ إلا لابنِ أبى عتيق، ولو دَعَتْها لعمرَ ما أجابتْ .

قال : وسألتُ عمّى عن أُمّ نوفلٍ، فقال : هى أُمُّ ولدِ عبدِ الله بن الحارث أبى الثّريّا[1] .

وسألتُه عن قوله :

... ... كما لبّى رجال يرجون حسنَ الثواب

فقال : كرَّرتْ فى التلبية كما يفعل المُحْرِم، فقالت : لبَّيْك لبيك . ٥

وأخبرنى حَبيبُ بن نَصْر قال حدّثنا الزبير بن بكّار عن عمّه أنّ بعض[2] المكّيّين قال : كانت الثريّا تَصُبُّ عليها جَرّةَ ماءٍ وهى قائمة فلا يُصيبُ ظاهرَ فَخِذَيْها منه شىءٌ من عِظَم عَجِيزَتِها .

وأخبرنى حبيبُ بن نصر قال حدّثنا عمر بن شَبَّةَ قال حدّثنا أبو غَسّانَ محمدُ بن يحيى بخبر الثريّا هذا مع عمرَ ، فذكر نحوًا ممّا ذكره الزُّبَير ، وقال فيه : لمّا أناخ ١٠ ابنُ أبى عتيق بباب الثريّا أرسلتْ إليه : ماحاجتُك؟ قال : أنا رسولُ عمرَ بنِ أبى ربيعة وأنشدها الشعرَ . فقالت : ابنُ أبى ربيعة فارِغٌ[3] ونحن فى شُغُلٍ، وقد تَعِبْتَ فانْزِلْ بنا . فقال : ما أنا إذا برسول . ثم كَرَّ راجعًا إلى ابن أبى ربيعة بمكة فأخبره الخبرَ فأصلح بينهما .

حدّثنى أحمدُ بن عُبَيد[4] الله بن عمّار قال حدّثنى يعقوبُ بن نُعَيْم قال حدّثنى ١٥ إبراهيمُ بن إسحاقَ العَنَزِىّ[5] قال حدّثنى عبد الله بن إبراهيمَ الجُمَحِىّ، وأخبرنى به الحُسَين[6]

(١) كذا فى ت، حـ، ر. وفى سائر النسخ : «ابن الثريا» وهو تحريف. (٢) فى ت، أ، م، ء : «عن بعض» . (٣) فارغ : ليس عنده ما يشغله . (٤) فى حـ، ر : «عبد الله» وهو تحريف إذ تقدّم ذكره مرارا «عبيد الله» . (٥) لا ندرى أهو منسوب الى عَنَزَة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان أم الى عَنْز بن وائل بن قاسط، وكلاهما أبو قبيلة . وفى ت : «العمرى» . ٢٠ وفى حـ، ر : «المقرى» . (٦) فى حـ، ر : «الحسن» وهو تحريف . وقد تقدّم ذكره مرارا «الحسين بن يحيى» .

ٱبن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن أيُّوبَ بن عبَايَةَ، وأخبرني به الحَرَميّ بنُ أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير عن مُؤمن بن عمر بن أفلحَ(1) عن عبد العزيز بن عِمْرانَ، قالوا:

قَدِمَ عمرُ بن أبي ربيعة المدينةَ، فنزَل على ٱبن أبي عَتيق — وهو عبدالله [بن محمد](2) ٱبن عبد الرحمن بن أبي بكر — فلمّا ٱستلْقَى قال: أَوَّهْ!

٥ مَنْ رسولي إلى الثريّا فإنّي * ضِقْتُ ذَرْعًا بهجْرِها والكتابِ

90/1

فقال ٱبن أبي عتيق: كلّ مملوكٍ لي حُرٌّ إن بلّغها ذاكَ غيري. فخرَج، حتى إذا كان بالمُصَلَّى مَرّ بنُصَيْبٍ وهو واقفٌ فقال: يا أبا مِحْجَن. قال لَبَّيْكَ! قال: أتُودِعُ إلى سَلْمى(3) شيئا؟ قال نَعَمْ. قال: وما ذاكَ؟ قال: تقول لها يا ٱبنَ الصِّدِّيق: إنكَ مررتَ بي فقلتَ لي: أتُودِع إليها شيئاً، فقلتُ:

١٠ أتَصْبِرُ عن سَلْمَى وأنت صَبُورُ * وأنت بحُسْنِ العَزْمِ منكَ جَديرُ

وكِدْتُ ولم أُخْلَقْ من الطير إن بَدَا * سَنَى بارقٍ نحوَ الحِجَازِ أَطيرُ

قال: فمرّ بسَلْمَى وهي في قريةٍ يقال لها «القَسْرِيّةُ»(4)، فأبْلَغها الرِّسالةَ، فزَفَرتْ زَفْرةً كادتْ أن تُفَرِّقَ(5) أضلاعَها. فقال ٱبنُ أبي عَتِيق: كُلُّ مملوكٍ لي حُرٌّ إن لم يكن جوابُكِ أحسنَ من رسالته، ولو سَمِعَكِ الآنَ لَنَعَق وصار غُرَاباً. ثم مضَى إلى الثريّا

١٥ فأَبْلَغ الكتابَ. فقالت له: أمَا وجَد رسولاً أصغرَ منك! انْزِلْ فأَرِحْ(6). فقال: لستُ

(1) كذا في حـ، ر. وفي سائر النسخ: «أفلح بن عبد العزيز» وهو تحريف. (2) زيادة ليست في الأصول؛ لأن ٱسم أبي عتيق محمد بن عبدالرحمن بن أبي بكر الصديق، وٱسم ٱبن أبي عتيق عبدالله.
(3) سيأتي في أخبار نصيب ص ٣٦٤ من هذا الجزء هذا الخبر بنص قريب من هذا وأن ٱسمها «سُعْدى»، وأن الشعر * أتصبر عن سُعْدى وأنت صبور * ... البيتين. (4) في أ، م، ء: «القشيرية» ولم نعثر عليهما في ياقوت والبكري. على أن قسرا بطن من قيس، وقيسا بطن من بجيلة ينسب إليها خالد بن

٢٠ عبد الله القسري. والقشيرية: نسبة إلى قشير وهو أبو قبيلة من هوازن، ينسب إليه أبو الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري أحد أئمة الحديث، وصحيحه معروف مشهور. (5) في حـ، ر: «تفرّق بين أضلاعها». (6) أي فأرح دابتك وأرح نفسك.

إذًا برسولٍ ! وسألها أن ترضَى عنه، ففعلتْ . وقال الزُّبير فى خبره : فقال لها : أنا رسول ٱبن أبى ربيعة إليك، وأنشدَها الأبياتَ ، وقال لها : خَشِيت أن تَضِيعَ هذه الرسالةُ . قالت : أدّى اللهُ عنكَ[(1)] أمانتَك . قال : فما جوابُ ما تَجَشَّمْتُه إليك ؟ قالت : تُنْشده قولَه فى رَمْلَةَ :

وجَلاَ بُرْدُها وقد حَسَرَتْه[(2)] * ضوءَ بدرٍ أضاء للناظرينَا

فقال : أعِيذُكِ بالله يآبنةَ أخى أن تَغْلبينى بالمثل السائر . قالت : وما هو ؟ قال : « حَرِيصٌ لا يَرَى عملَه[(3)] » . قالت : فما تشاءُ ؟ قال : تَكْتُبِينَ إليه بالرضا عنه كتابًا يَصِلُ على يدى ، ففعلتْ . فأخَذ الكتابَ ورجَع من فَوْرِه حتى قَدِمَ مكّةَ ، فأتى عمرَ. فقال له : من أين أقبلتَ ؟ قال : من حيثُ أرسلتَنى . قال : وأنَّى ذلك ؟ قال : من عند الثريّا ، أَفْرِخْ[(4)] رَوْعَكَ ! هذا كتابها بالرضا عنك إليك .

---

(١) فى حـ ، ر ، ب ، سـ : « أدّى الله عن أمانتك » . (٢) ورد هذا الشطر فى تـ هكذا : * وجلا بُرْدُ بِرْكَةٍ جَنَدِىّ * فإن كانت هـذه الرواية صحيحة فالمراد من البركة نوع من برود اليمن ، كما فى شرح القاموس (مادة « برك ») ؛ قال مالك بن الريب :

إنا وجدنا طَرَدَ الهوامل * بين الرُّسيسين وبين عاقل

والمشىَ فى البركة والمراجل * خيرا من التأنان فى المسائل

وفى اللسان مادتى « أنن » و « همل » : « والمسائل » . والجندىّ : نسبة إلى الجند وهو أحد مخاليف اليمن . وفى أ ، م ، ء : « وجلا بردها بركة جندى » وهو تحريف . (٣) قد يراد به ما يراد بالمثل الوارد فى الميدانى وهو : « الحريص محروم » أو « الحرص قائد الحرمان » . يريد أن يقول لها : إنه لا يريد أن يحرم نتيجة عمله كما يحرم الحريص عادة . (٤) أفرخ روعك : سكِّن جأشك وأمن . ويقال : ليفرخ روعك ، أى ليذهب عنك رعبك وفزعك ؛ فإن الأمر ليس على ما تحاذر . وهو مثل ، وأصله لمعاوية كتب به إلى زياد . وذلك أنه كان على البصرة ، وكان المغيرة بن شعبة على الكوفة فتوفى بها ، فخاف زياد أن يولّى معاويةُ عبدَ الله بن عامر مكانه ، فكتب إلى معاوية يخبره بوفاة المغيرة ويشير عليه بتولية الضحاك ابن قيس مكانه ؛ ففطن له معاوية وكتب إليه : قد فهمت كتابك فأفرخ روعك أبا المغيرة ، وقد ضممنا إليك الكوفة مع البصرة . ويقال : ليفرخ فؤادك ؛ قال الشاعر :

==

تغنى ابن عائشة بشعر عمر فى مجلس حسن بن حسن ابن على

أخبرنى الحُسَين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن أيُّوبَ بن عَبَايَةَ قال :

اجتمع ابنُ عائشة ويُونُس ومالكٌ(١) عند حسن بن حسن بن علىّ — عليهم السلام — فقال الحسنُ لابنِ عائشة : غَنِّنى « مَن رسولى إلى الثريا ... » ؛ فسكَت عنه فلم يُجِبْه . فقال له جَليسٌ له : أيقول لك غَنِّنى فلا تُجيبه ! فسكَت . فقال له الحسن : مالكَ ؟ وَيْحَك ! أبِك خَبَالٌ(٢) ! كان والله ابنُ أبى عتيق أجودَ منك بما عندَه ؛ فإنّه لمّا سمع هذا الشعرَ قال لابنِ أبى ربيعة : أنا رسولُك إليها ، فمضَى نحوَ الثريّا حتى أدّى رسالتَه ، وأنت معنا فى المجلس تَبْخَل أن(٣) تُغَنِّيَه لنا ! فقال له : لم أذهَبْ حيثُ ظننتَ ، إنما كنتُ أتخيَّرلكَ أىَّ الصوتَيْن أُغَنِّى : أقَوْلَه :

مَنْ رسولِى إلى الثريّا فإنِّى * ضَاقَنِى الهَمُّ واعترَتْنِى الهُمُومُ
يَعْـلَمُ اللهُ أنّنِى مُسْتَهَامٌ * بهَوَاكُمْ وأنّنِى مرحومُ

= وقل للفؤاد إن نزا بك نزوة * من الروع أفرخ أكثر الروع باطلُهْ

قال الأزهرىّ : كل من لقيته من اللغويين يقول : أفرخ روعه ، بفتح الراء ، إلا ما أخبرنى به المنذرىّ عن أبى الهيثم أنه كان يقول : إنما هو أفرخ روعه بضم الراء . قال : ومعناه خرج الرَّوع من قلبه ... والروع بالضم وهو القلب موضع الروع بالفتح ؛ فالرَّوع فى الرُّوع كالفرخ فى البيضة ؛ فكما يقال : أفرخت البيضة إذا انفلقت عن الفرخ فخرج منها ، يقال : أفرخ فؤاد الرجل إذا خرج روعه منه ؛ قال ذو الرمة وقد قلبه لوضوح المعنى :

* جذلان قد أفرخت عن رُوعه الكُرَبُ *

قال الأزهرىّ : والذى قاله أبو الهيثم بيّن غير أنى أستوحش منه لانفراده بقوله . وقد استدرك الخلف على السلف أشياء ربما زلوا فيها ، فلا تنكر إصابة أبى الهيثم وقد كان له حظ من العلم موفر رحمه الله .

(١) فى حـ ، ر : « وخالد » . (٢) كذا فى ت ، حـ ، ر . وفى سائر النسخ : « إنك بخيل » . (٣) فى حـ ، ر : « بأن » ؛ وكلاهما صحيح .

أم قـــولَه :

مَنْ رســولى إلى ٱلثريّا فإنّى * ضِقْتُ ذَرْعًا بهَجْرها والكتابِ

فقال له الحَسَنُ : أسأنا بك الظّنّ أبا جَعْفر ، غَنِّ بهما جميعا ، فغنّاهما . فقال له الحسن : لولا أنّك تغضَب إذا قلنا لك : أحسنتَ، لقلتُ لك : أحسنتَ والله! قال : ولم يَزَلْ يُردِّدُهما بَقِيّةَ يومِه .

٥

عمر وابن أبى عتيق وإنشاده شعره فى الثريا

٩١ / ١

أخبرنا الحَرَمِيّ بن أبى العَلَاء قال حدّثنا الزُّبَير قال حدّثنى يعقوبُ بن إسحاقَ الرَّبَعِيّ عن أبيه قال :

أَنْشَد عمرُ بنُ أبى ربيعةَ ٱبنَ أبى عَتِيق قولَه :

لم تَرَ العينُ للثريّا شَبِيهًا * بمَسِيلِ التِّـلَاعِ[1] يومَ ٱلتقَيْنَا

فلما بلَغ إلى قوله :

١٠

ثم قالتْ لأختها قد ظَلَمْنا * إن رَدَدْناه[2] خائبًا وٱعتدَيْنَا

قال : أحسنتْ والهَـدَايا[3] وأجادت . ثم أنشده ٱبنُ أبى عتيق مُتَمَثِّلًا قولَ الشاعر :

أَرِينِي[4] جَوَادًا مات هُزْلًا لعلّنِي * أَرَى ما تَرَيْنَ أو بخيلًا مُخَـلَّدَا

فلمّا بلغ عمرُ إلى قوله فى الشعر :

* فى خَلَاءٍ من الأَنِيس وأَمْنٍ *

١٥

---

(١) التلاع : جمع تلعة وهى مجرى الماء من أعلى الوادى إلى بطون الأرض . (٢) فى ديوانه : «رجعناه» . (٣) فى ب ، س : «ردّ الهدايا» وهو تحريف ؛ إذ أن الواو هنا للقسم . والهدايا : جمع هـدية وهى ما يهـدى إلى البيت الحرام من النعم لتنحر . (٤) كذا فى ء ، س ، أ ، م . وفى سائر النسخ : « أرونى جوادا ... ما ترون » . والبيت لحاتم الطائى يخاطب امرأته .

قال ٱبْنُ أبي عَتِيق : أَمْكَنتْ للشَّارِبِ الغُدُر[1] « مَنْ عَالَ بعدَها فلا ٱجْبَر[2] » .

فلمّا بلغ إلى قوله :

فمكثْنا كذاك عشْرًا تِبَاعًا * في قَضاءٍ لِدَيْنِنا وٱقتضينا[3]

قال : أَمَا والله ما قضَيْتَها ذهبًا ولا فِضةً ولا ٱقتضَيْتَها إيَّاه ، فلا عرَّفكما الله قبيحًا !

فلمّا بلَغ إلى قوله :

كان ذا في مَسِيرِنا إذ حَجَجْنا * علِمَ اللهُ فيـه ما قد نَوَيْنَا

قال : إنّ ظاهرَ أمرِك ليَدُلُّ على باطنِه ، فأَرْوِدِ التفسيرَ[4] ، ولئن مُتَّ لأموتَنَّ معكَ ، أُفٍّ للدنيا بعدَك يا أبا الخَطَّاب ! فقال له عمر : بل عليها بعدَك العَفَاءُ يا أبا محمد !

---

(١) في ت : « أمكنت الشاب العذر » . وفي أ ، م ، ى : « أمكنت للشارب العذر » . وورد في سائر النسخ هو وما بعده بيت شعر هكذا :

أمكنت السائب الغـرر * من عال بعـدها فلا ٱنجبر

وكل ذلك تحريف . والصواب : * أمكنت للشارب الغُدُر * وهو مأخوذ من قول عمر بن أبي ربيعة في قصيدته التي أوّلها :

يا خليلي هاجني ذكر * وحمول الحيّ إذ صدروا

ومنها :

سلكوا خلَّ الصِّفاح لهم * زَجَلٌ أحداجُهم زُمَرُ

قال حاديهم لهم أُصُلا * أمكنت للشارب الغُدُر

والغدر : جمع غدير وهو القطعة من الماء يغادرها السيل أي يتركها . قال ٱبن سيده : هذا قول أبي عبيد ، فهو إذن فعيل في معنى مفعول على اطراح الزائد . وقد قيل : إنه من الغدر لأنه يخون ورّاده فينضب عنهم ، ويغدر بأهله فينقطع عند شدة الحاجة إليه . يريد أن يقول له : قد أمكنتك الفرص فٱنتهزها وأنت مستكنّ وإياها في خلاء من الناس وفي مأمن منهم . (٢) هذا مثل أورده الميداني ولسان العرب : «من عال بعدها فلا ٱجتبر» . يقال : جبرته فجبر وٱنجبر وٱجتبر ، أي ٱستغنى . وعال : ٱفتقر . وهو من قول عمرو بن كلثوم :

من عال منّا بعدها فلا ٱجتبر * ولا سقى الماء ولا رعى الشجر

وفي اللسان مادة جبر : * ولا سق الماء ولا راء الشجر * يضرب في ٱغتنام الفرصة عند الإمكان .

(٣) في ديوانه : * فقضينا ديوننا وٱقتضينا *

(٤) في م ، أ ، ى : «فأورد بالتفسير» . وفي سائر النسخ عدا نسخة ت : « فأورد التفسير » . وأورد إنما يتعدّى بنفسه لا بالباء . ولعل المراد قد بان لنا أمرك ودل على باطنك ظاهرك فصرّح بما كان . وفي ت : «فأرود بالتفسير» . يقال : أرود به إروادا إذا رفق ؛ ومنه الحديث : «رويدك رفقا بالقوارير» . وهو يتعدّى بالباء . ويقال : أرود إذا تركـ ، وهو يتعدّى بنفسه لا بالباء وهو الذي يقتضيه سياق الكلام . فلعل الباء هنا من زيادة الناسخ . والمراد : إن ظاهر أمرك ليدل على باطنه ، فدع التفسير فلا حاجة إليه .

قال : فلقِىَ الحارثُ بنُ خالد ٱبنَ أبى عَتيق فقال : قد بلغَنِى ما دار بينك وبين ٱبنِ أبى ربيعةَ ، فكيف لم تَحَالَّا منِّى؟[1] فقال له ٱبنُ أبى عتيق : يَغفِرُ اللهُ لكَ يا أبا عمرو ، إن ٱبنَ أبى ربيعةَ يُبْرِئُ القَرْحَ[2] ، ويَضَعُ الهِنَاءَ مواضعَ النُّقْبِ[3] ، وأنتَ جميلُ الخَفْض[4] . فضحِك الحارثُ بن خالد وقال : « حُبُّكَ الشيءَ يُعْمِى ويُصِمُّ[5] » . فقال : هَيْهاتَ أنا بالحُسْن عالمٌ نَظَّار !

خبر السواد فى ثنيتى عمر

وأمّا خبرُ السَّواد فى ثَنِيَّتَىْ عمرَ فإنّ الزبيرَ بن بَكَّار ذَكَرَه عن عمِّه مُصْعَب فى خبره : أنّ ٱمرأةً غارتْ عليه فاعترضَتْه بِمِسْوَاكٍ كان فى يدها فضربَتْ به ثَنِيَّتَيه فاسْوَدَّتَا .

وذَكَر إسحاقُ المَوْصِلىّ عن أبى عبد الله المُسَيَّبىّ[6] وأبى الحسن المَدَائنىّ : أنه أَتَى الثريّا يوماً ومعه صديقٌ له كان يُصاحِبُه ويتوصَّل بذكره فى الشعر ، فلمّا كشفَتِ الثريّا السِّترَ وأرادتِ الخروجَ إليه ، رأت صاحبَه فرجَعتْ . فقال لها : إنه ليس ممَّنْ أَحْتَشِمُه[7] ولا أُخْفِى عنه شيئاً ؛ وٱسْتَلْقَى فضَحِك — وكان النساءُ إذ ذاكَ يتختَّمن فى أصابعهنّ العَشْر — فخرجتْ إليه فضربتْه بظاهرِ كفِّها ، فأصابتِ الخَوَاتيمُ ثَنِيَّتَيه

(١) لم تحالا منى : لم تسألانى أن أجعلكما فى حلّ . (٢) قال الليث : القرح : جرب شديد يأخذ الفِصلان فلا تكاد تنجو . والفصلان : جمع فصيل وهو ولد الناقة . وقال الأزهرىّ : الذى قاله الليث من أن القرح جرب شديد الخ غلط ، إنما القرحة داء يأخذ البعير فيهدَلُ مِشْفَره منه . (٣) النُّقْب والنُّقَب : القطع المتفرقة من الجرب ، الواحدة نقبة ؛ وقيل : هى أوّل ما يبدو من الجرب ؛ قال دريد بن الصمة :

متبذلا تبدو محاسنه ※ يضع الهِنَاء مواضع النُّقْب

(٤) الخفض : الدعة . (٥) أى يخفى عليك مساويه ، و يصمّك عن سماع العذل فيه . (٦) فى ت : « عبيدالله » . (٧) قال فى اللسان وشرح القاموس (مادة حشم) : وقد ٱحتشم عنه ومنه ، ولا يقال : احتشمه ، فأما قول القائل : ولم يحتشم ذلك فإنه حذف «مِنْ» وأوصل الفعل . وفى أساس البلاغة : « أنا أحتشمك وأحتشم منك ، أى أستحى » .

العُلْيَيَيْن فتَغَضتا[1] وكادتا تَسْقُطان، فقدِمَ البصرةَ فُعولِجَتا له، فَثَبَتَتا وٱسودَّتا. فقال الحَزِينُ الكِنانيّ[2] يُعيِّره بذلكَ — وكان عدوّه وقد بلَغه خبرُه —:

ما بالُ سِنَّيْكَ أَمْ ما بالُ كَسْرِهما[3] * أهكذا كُسِرا في غيرِ ما بَاسِ

أم نَفْحَةٌ[4] من فتاةٍ[5] كنتَ تألَفُها[6] * أم نالَها وَسْطَ شَرْبٍ[7] صَدْمةُ الكاسِ

قال: ولقيه الحزين الكِنانيّ يومًا فأنشده هذين البيتين؛ فقال له عمرُ: اِذْهَبْ[8] اذْهَبْ، وَيْلَك! فإنك لا تُحْسِنُ أن تقول:

٩٢
١

صــــوت

ليتَ هندًا أنجزَتْنا ما تَعِدْ * وشَفَتْ أنفسَنا ممّا تَجِدْ

وٱستبدّتْ مرّةً واحــدةً * إنّما العاجزُ مَنْ لا يَستبِدّْ

---

(١) كذا في ح، م. وفي ت: «فتغضتا وخاف أن يسقطا». ونغضت سنه تنغض وتنغُض: قلقت وتحركت. وفي سائر النسخ: «وكادت أن تقلعهما وخاف أن يسقطا».

(٢) ستأتي ترجمته في الجزء الرابع عشر من الأغاني. (٣) في ت: «أم ما شأن حسنهما».

(٤) كذا في ت. وفي سائر الأصول: «أنفحة». والنفحة: الضربة. (٥) في م: «أناة»، والأناة من النساء: التي فيها فتور عن القيام وتأنّ، والوهنانة نحوها. (٦) أعاد الضمير على المثنى مفردا بتأويل المذكور أو ذلك، مما يصح إطلاقه على الواحد والمتعدد؛ ومثاله قوله تعالى: (والله ورسوله أحق أن يرضوه)، وقول رؤبة:

فيها خطوطٌ من سواد وبَلَق * كأنه في الجلد توليعُ البهَق

روى أن أبا عبيدة قال لرؤبة لما أنشد هذا البيت: إن أردت الخطوط فقل كأنها، أو السواد والبلق فقل كأنهما؛ فقال: أردت ذلك. (انظر المغني مع حاشية الدسوقي طبع بولاق ج ٢ ص ٣٩٢ وتفسير الآلوسي طبع بولاق الجزء الثالث ص ٣٣١). وقد يوجه بأنه جعل السنّين كالمثنى الذي حكمه حكم الواحد كالعينين والأذنين؛ فانك تقول: رأته عيناي فما كذبتا. وعلى هذا لو كان «كسرت» بدل «كسرا» في البيت الأول لكان خيرا من تذكير الضمير. (٧) الشرب: الجماعة يشربون الخمر. (٨) لم تتكرر هذه الكلمة في ت، ح، م.

لٱبن سُرَيج فى هذا الشعر رَمَلٌ(١) بالخِنْصَر فى مَجْرَى البِنْصَر عن إسحاقَ، وخَفِيفُ رَمَلٍ [أيضا](٢) فى هــذه الإصبع وهذا المَجْرَى عن ٱبن المكىّ. ولمــالِكٍ [فيه](٣) ثقيلٌ أوّلُ عن الهِشامىّ. ولمُتَيَّم ثانى ثقيلٍ عن ٱبنِ المعتزّ. وذكر أحمدُ(٤) بنُ أبى العَلَاء عن مُخَارِقٍ أنّ خَفِيفَ الرَّمَلِ ليحيي المكىّ صنَعه وحكى فيه لحنَ [هذا الصوت](٥):

* اِسْلَمِى يادارُ مِنْ هند(٦) *

٥

خبر الثريا مع الحارث بن عبد الله الملقب بالقباع

حدّثنى علىّ بن صالح قال حدّثنى أبو هَفّانَ عن إسحاقَ المَوْصِلىّ عن رِجاله المذكورين:

أنّ الثُّرَيّا واعَدَتْ عمرَ بنَ أبى ربيعة أن تَزُورَه، فجاءتْ فى الوقت الذى ذكَرَتْه، فصادفتْ أخاه الحارثَ قــد طَرَقَه(٧) وأقامَ عندَه، ووجّهه فى حاجة له ونامَ مكانَه وغطَّى وجهَه بثوبه، فلم يشعُر إلا بالثريّا قد ألقتْ نفسَها عليه تُقَبِّله، فانتبه وجعَل يقول: اُعْزُبِى(٨) عنّى فلستُ بالفاسق، أَخْزاكُما الله! فلمّا علِمتْ بالقصّة ٱنصرَفتْ. ورجَع عمرُ فأخبره الحارثُ بخبرها، فاغْتَمَّ لِمَا فاتَه منها، وقال: أمَا والله لا تَمَسُّك النارُ أبدًا وقد ألقتْ نفسَها عليكَ. فقال له الحارث: عليك وعليها لعنةُ الله.

١٠

---

(١) فى ت: «فى هذين البيتين». (٢) زيادة فى ت. (٣) زيادة فى م.

(٤) كذا فى ت. وفى سائر النسخ: «ولأحمــد بن أبى العلاء عن مخارق خفيف الرمل ليحيي المكىّ الخ». (٥) زيادة فى ت. (٦) سيأتى فى الجزء الخامس من الأغانى (ص ٢٠٠ من هذه الطبعة) فى نسب إبراهيم الموصلىّ وأخباره هذا الشعر: «ليت هندا الخ» وبعــده: «الشعر لعمر ابن أبى ربيعة ... الى قوله: وفيه لمــالك خفيف ثقيل بالخنصر والبنصر عن يحيي المكىّ، وذكره إسحاق فى هذه الطريقة ولم ينسبه الى أحد، وقال الهشامىّ: أدل شىء على أنه لمــالك شبهه لحنه:

* إسلمى يا دار من هند * الخ».

(٧) طرقه: جاءه ليــلا. (٨) فى ت، ح، م: «اغربى» وكلاهما بمعــنى واحد وهو البعد.

١٥

٢٠

وأخبرنى بهذه القصّة الحرمىّ بن أبى العلاء عن الزبير بن بكّار عن يعقوب آبن إسحاق الربعىّ عن الثقة عنده عن آبن جريج عن عثمان بن حفص الثّقفىّ :

أنّ الحارث بن عبد الله زار أخاه، ثم ذكر نحواً من الذى ذكره إسحاق، وقال فيه: فبلغ عمر خبرها، فجاء إلى أخيه الحارث وقال له: جعلت فداءك! مالك ولأمة الوهّاب [آبنتك] (١)؟ أتتك مسلّمةً عليك فلعنتها وزجرتها (٢) وتهدّدتها، وهاهى تيك (٣) باكية. فقال: وإنها لهى! قال: ومن تراها تكون؟ قال: فانكسر (٤) الحارث عنه وعن لومه.

تزوّج الثريا بسهيل فى غيبة عمر وما قاله من الشعر فى ذلك

أخبرنى علىّ بن صالح قال حدّثنى أبو هفّان عن إسحاق بن إبراهيم عن جعفر آبن سعيد عن أبى سعيد مولى فائد (٥)، هكذا قال إسحاق، وأخبرنى الحرمىّ بن أبى العلاء قال حدّثنا الزبير قال حدّثنى جعفر بن سعيد عن أبى عبيدة بن محمد بن عمّار (٦). ورواه أيضاً حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن جعفر بن سعيد فقال فيه (٧): عن أبى عبيدة العمّارىّ (٨)، ولم يذكر أبا سعيد مولى فائد، قالوا (٩):

تزوّج سهيل بن عبد العزيز بن مروان الثريّا — وقال الزبير: بل تزوّجها أبو الأبيض سهيل بن عبد الرحمن بن عوف (١٠) — فحملت إليه وهو بمصر. والصواب

(١) زيادة فى ت. (٢) فى ت: «فزبرتها ونهرتها». والزّبر والنّهر بمعنى واحد.

(٣) فى ت: «تلك». (٤) انكسر: آنكفّ وآنصرف. (٥) فى ت: «قائد».

(٦) كذا فى ت. وفى سائر الأصول: «عمارة» والموجود فى كتب التراجم: «أبو عبيدة بن محمد آبن عمار بن ياسر». (٧) كذا فى ت، وهو الموافق لما تقدّم فى جميع النسخ. وفى سائر النسخ: «بن معبد». (٨) كذا فى ت، ر، وهو الصواب؛ إذ هو أبو عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر المذكور قبله. وفى سائر النسخ: «العمرى» وهو تحريف. (٩) فى ت: «قال».

(١٠) الذى فى آبن خلكان ج ١ ص ٥٣٨: أنه سهيل بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى، ومثله ما فى خزانة الأدب ج ١ ص ٢٣٨، ثم قال: وزعم بعضهم أن سهيلا هذا هو آبن عبد العزيز بن مروان، والصحيح الأوّل اه.

قول من قال : سهيل بن عبد العزيز؛ لأنه كان هناك منزلُه ، ولم يكن لسُهَيل بنِ عبد الرحمن هناكَ موضعٌ . فقال عمر :

صـــوت

أيُّها المُنْكِحُ الثريَّا سُهَيلًا * عَمْرَكَ اللهَ(١) كيف يلتقيان

هى شاميّةٌ إذا ما استقلّتْ(٢) * وسُهَيلٌ إذا استقلَّ يَمَانِى(٣) ٥

الغناء للغَرِيض خَفيفُ ثقيلٍ بالبِنْصَر . وفيه لعبد الله بن العباس ثانى ثقيـــلٍ بالبِنْصَر . وأوّلُ هذه القصيدة :

---

(١) قال الجوهرى : إذا قلت عمرك الله فكأنك قلت : بتعميرك الله أى بإقرارك له بالبقاء . وقول عمر بن أبى ربيعة : * عمرك الله كيف يجتمعان * يريد سألت الله أن يطيل عمرك ؛ لأنه لم يرد القسم بذلك . وقال المبرد فى قوله عمرك الله : إن شئت جعلت نصبه بفعل أضمرته ، وإن شئت نصبته بواو ١٠ حذفته فكأنك قلت وعمرك الله ، وإن شئت كان على قولك عمّرتك الله تعميرا ونشـدتك الله نشـيدا ، ثم وضعت «عمرك» فى موضع التعمير؛ وأنشد فيه :

عمّرتك الله إلا ما ذكرتِ لنا * هل كنتِ جارتنا أيام ذى سلم

يريد ذكّرتك الله . والكسـائىّ يرى أنــ عمرك الله نصب على معنى عمــرتك الله أى سألت الله أن يعمرك . كأنه قال : عمّرت الله إياك . (راجع اللسان مادة عمر) . ١٥

(٢) استقلّت : ارتفعت

(٣) بين الثريا وسهيل تورية لطيفة ؛ فإن الثريا يحتمل المرأة المذكورة وهى المعنى البعيد المورّى عنه وهو المراد . ويحتمل ثريا السماء وهى المعنى القريب المورّى به . وسهيل يحتمل الرجل المذكور وهو المعنى البعيد المورّى عنه وهو المراد ، ويحتمل النجم المعروف بسهيل . فتمكن للشاعر أن ورّى بالنجمين عن الشخصين ، ليتخلص من الإنكار على من جمع بينهما ما أراد . وهذه أحسن تورية وقعت فى شعر المتقدّمين . وقد كانت الثريا مشهورة فى زمنها بالحسن والجمال ، وكان سهيل قبيح المنظر، وهذا مراده بقوله : ٢٠

* عمرك الله كيف يلتقيان *

أى كيف يلتقيان مع تفاوت ما بينهما فى الحسن والقبح اه من خزانة الأدب للبغدادى ج ١ ص ٢٣٩

أيها الطارق الذى قد عنانى[1] * بعد ما نام سامر[2] الركبان

زار من نازح[3] بغير دليل * يتخطى إلىّ حتى أتانى

وذكر الرياشىّ عن ابن زكريا[4] الغلابى عن محمد بن عبد الرحمن التيمى عن أبيه عن هشام بن سليمان بن عكرمة[5] بن خالد المخزومى قال :

كان عمر بن أبي ربيعة قد ألحّ على الثريا بالهوى، فشقّ ذلك على أهلها، ثم إن مسعدة بن عمرو أخرج عمر إلى اليمن فى أمر عرض[6] له، وتزوجت الثريا وهو غائب، فبلغه تزويجها وخروجها إلى مصر، فقال :

أيها المنكح الثريا سهيلا * عمرك الله كيف يلتقيان

وذكر الأبيات . وقال فى خبره : ثم حمله الشوق على أن سار إلى المدينة فكتب إليها :

كتبت إليك من بلدى * كتاب مولّه كمد

كئيب واكف[7] العينيـ * ـن بالحسرات منفرد

يؤرقه لهيب الشو * ق بين السحر[8] والكبد

فيمسك قلبه بيد * ويمسح عينه بيد

(١) عنانى : قصدنى . (٢) السامر : يطلق على الواحد والجمع؛ قال تعالى : (مستكبرين به سامرا تهجرون) . قال أبو إسحاق فى تفسيره : سامرا يعنى سمّارا . (٣) من نازح : من مكان بعيد . وفى ديوانه المطبوع بليبزج ، س ضبط هكذا : «مَن نازحٌ» يريد الذى هو نازح . وهو وجه بعيد . (٤) كذا فى س، وهو الصواب؛ إذ هو أبو بكر محمد بن زكريا بن دينار الغلابى (انظر الحاشية رقم ٢ ص ٥٢ من هذا الجزء) . وفى ت ، أ هكذا : «ركويه» . وفى ء : «زكوية» وكلاهما محرّف عن «زكويه» وقد ورد فى أنساب السمعانى فيمن نسبته الغلابى بالتخفيف فى ترجمة ابن زكريا أنه عرف «بزكويه» . وفى سائر النسخ : «أبى زكريا» وهو تحريف . (٥) كذا فى ت . وفى سائر النسخ : «عن عكرمة» وهو تحريف (انظر الحاشية رقم ٣ صفحة ١٩٨ من هذا الجزء) . (٦) فى م ، ء : «عرض» وهو تصحيف . وفى ت : «علق به عليه» . (٧) فى ت : «واكف العبرات»؛ يقال : وكفت العين ، إذا سالت دموعها . (٨) السحر : الرئة .

وكَتَبه فى قُوهِيَّةٍ[1] وشنفه[2] وحَسَّنَه و بعَث به إليها. فلمّا قرأتْه بكتْ بكاءً شديدًا، ثم تمثّلت :

بنفسىَ مَنْ لا يستقِلُّ بنفسِه * ومَنْ هو إن لم يَحْفَظِ[3] اللهُ ضائعُ

وكتبتْ إليه تقول :

أتانى كتابٌ لم يَرَ النّاسُ مثلَه * أُمِدَّ[4] بكافورٍ ومِسْكٍ وعنبرِ
وقِرْطَاسُه قُوهِيَّةٌ ورِبَاطُه * بعِقْدٍ من الياقوتِ صافٍ وجَوْهرِ
وفى صَدْرِه : مِنِّى إليكَ تحيّةٌ * لقد طال تَهْيَامِى بكم وتذكُّرِى
وعُنْوانُه مِنْ مُسْتَهامٍ فؤادُه * إلى هائمٍ صَبٍّ من الحُزْنِ مُسْعَرِ

قال مؤلف هذا الكتاب : وهذا الخبرُ عندى مصنوعٌ، وشِعْرُه مُضَعَّفٌ يدلُّ على ذلك، ولكنّى ذكرتُه كما وقَع إلىّ[5].

قال أبو سَعِيد مَوْلَى فائِدٍ ومَنْ ذكر خبرَه مع الثُّرَيّا : فمات عنها سُهَيْلٌ أو طلَّقها، فخَرَجتْ إلى الوليد بن عبد الملك وهو خَليفةٌ بِدِمَشْقَ فى دَيْنٍ عليها؛ فبَيْنَا هى عنـد

---

(١) ثوب قوهىّ : منسوب إلى قوهستان، وهى كورة من كور فارس بين نيسابور وهراة، وقصبتها قاين. وهو ثوب أبيض، وكل ثوب يشبهه يقال له قوهىّ وإن لم يكن منها. (٢) اضطربت الأصول فى هذه الكلمة فنى ء، م : «وشفه». وفى حـ : «وشافه». وفى ر : «وشأنه». وفى ت : «وسقنه». وفى ب، س، أ : «وشنفه». يقال : شنف المرأة، إذا ألبسها الشَّنْف وهو الذى يُلبس فى أعلى الأذن وقيل هو والقرط سواء. فلعل المراد أنه حسّن الكتاب كما تحسّن المرأة بلبس الشنف، أو أنه محرف عن شنقه أى جعل له شِنَاقا، وهو فى الأصل كل خيط علقت به شيئا؛ يقال : شنق القربة وأشنقها إذا أوكاها. فلعل المراد أنه أرسل لها كتابا مكتوبا على قماش من هذا النوع (وربما زاد فى حسنه أنه كان من الأنواع الثمينة من الحرير أو نحوه) وأطبقه وربطه بعقد من الياقوت بدل الخيط الذى يربط به فى العادة كما سيأتى فى الأبيات، أو أنه محرّف عن «مَشَقَه» أو «نَمَقَه» أو «رقَنه» بمعنى زيّنه. (٣) فى حـ، ر : «إن لم يرحم الله». (٤) أى جعل مداده من هذه الأخلاط الثلاثة. وفى الخزانة ج ١ ص ٢٣٩ : «أبين». (٥) هذه الجملة : «قال مؤلف هذا الكتاب ... كما وقع إلىّ» غير موجودة فى ت.

أمّ البَنِين بنتِ عبد العزيز بن مَرْوَانَ ، إذ دخَل عليها الوليدُ فقال : مَنْ هـذه ؟ فقالت : الثريّا جاءتني ، تطلُبُ(١) إليكَ في قضاءِ دينٍ عليها وحَوَائجَ لها . فأقْبلَ عليها الوليدُ فقـال : أتَـرْوِينَ من شعرِ عمرَ بن أبي ربيعةَ شيئا ؟ قالت : نعمْ ، أمَا إنه يرحمه الله كان عَفيفًا عَفِيفَ الشِّعْرِ ، أَرْوِى قولَه :

صـــوت

ما عَـلى الرَّسْـمِ بالبُلَيَّيْنِ لو بـ * ـيَّـن رَجْعَ السَّلامِ(٢) أو لو أَجَابَا

فإلى قَصْرِ ذى العُشَيْرةِ(٣) فالصَّا * ئِفِ(٤) أَمْسَى من الأنيس يبَابَا(٥)

وبمـا قد أَرَى به حَىَّ صِدْقٍ(٦) * ظاهرِى(٧) العيشِ نَعْمةً وشبابَا

---

(١) كذا في ت . وفي حـ : «جاءتني إليك في قضاء دين عليها» وفي سائر النسخ : «جاءتني إليك أطلب في قضاء الخ» . والمراد جاءتني ترغب إليك في قضاء دين عليها وحوائج لها .

(٢) في ديوانه : «التسليم» . (٣) قال الأزهري : هو موضع بالصَّمّان معروف نُسب الى عُشَرَة نابتــة فيه ، والعُشَر : من كبار الشجر وله صمغ حلو يسمى العُشَر . وغزا النبيّ صلى الله عليه وسلم ذا العُشَيرة ، وهي من ناحية ينبع بين مكّة والمدينة . وقال أبو زيد : حصن صغير بين ينبع وذي المروة يفضل تمره على سائر تمور الحجاز إلا الصَّيْحانيّ بخيبر والبُرْدِيّ والعجوة بالمدينة . قال عروة بن أُذَينة :

يا ذا العشيرة قد هجت الغداة لنا * شـوقا وذكرتنا أيامك الأولا

ما كان أحسن فيك العيش مؤتنفا * غضّا وأطيب في آصالك الأُصُلا

(٤) كذا في ت ، أ ، م ، ى . والصائف كما في ياقوت : من نواحي المدينة . وقال نصر : الصائف : موضع حجازيّ قريب من ذي طوى . وفي ديوانه : «الصالف» باللام ، وهو كما في ياقوت جبل بين مكّة والمدينة . وفي اللسان : «وفي حديث ضمرة قال : يارسول الله إني أحالف مادام الصالفان مكانه . قال : "بل ما دام أُحد مكانه" . قيل : الصالف جبل كان يحالف أهل الجاهلية عنده» . (٥) يبابا : خرابا . (٦) يريد أنه حيّ جامع لصفات الخير . قال في اللسان يقال : رجل صدق مضاف بكسر الصاد ، ومعناه نعم الرجل هو . (٧) كذا في أكثر النسخ . يريد أن أثر النعمة ظاهر فيهم . وفي ديوانه : «كامل» بالإفراد ، والحي يوصف بالجمع باعتبار معناه وبالمفرد باعتبار لفظه . وفي ت «طاهري» . ولعله تصحيف .

إذ فؤادى يَهْوَى الرَّبَابَ وأَنَّى الـ * ـدَّهرَ حتّى المَمَاتِ أَنْسَى الرَّبَابَا (١)

وحِسَانًا جَوَارِيًا خَفِرَاتٍ * حافظاتٍ عند الهوى الأَحْسَابَا

لا يُكَثِّرْنَ فى الحديثِ ولا يَتْـ * ـبعن يَنْعِقْنَ (٢) بالبِهَامِ (٣) الظِّرَابَا (٤)

(١) فى ديوانه المطبوع بليزج :

« ... ... ويأبى الـ * ـدهر حتى الممات ينسى الربابا »

(٢) النعيق هنا : دعاء الراعى الشاء؛ يقال : نعَق الراعى بالغنم ينعِق نَعْقا ونُعَاقا ونَعِيقا ونَعَقَانا ، إذا صاح بها وزجرها ، يكون ذلك فى الضأن والمعز . قال الأخطل :

إنعـق بضأنك ياجرير فإنما * منّتك نفسك فى الخلاء ضلالا

وفى ح ، ب ، س : « يبغين » وهو تحريف . (٣) البهام : جمع بهمة وهى الصغير من أولاد الغنم : الضأن والمعز والبقر من الوحش وغيرها ، الذكر والأنثى فى ذلك سواء . وقال أبو عبيد : يقال لأولاد الغنم ساعة تضعها من الضأن والمعز جميعا ذكرا كان أو أنثى : سخلة وجمعها سخال ، ثم هى البَهْمة الذكر والأنثى . وقال ابن السكيت : إذا اجتمعت السخال والبهام قلت لها جميعا : بهام . (٤) الظراب : الروابى الصغار ، واحدها ظرب ككتف . يريد أنها ليست من الرعاة للغنم؛ كما قال فى قصيدة أخرى :

معاصم لم تضرب على البهم بالضحى * عصاها ووجـه لم تلحـه السمائم

وقد آثرنا أن ننقل هـذه القصيدة من ديوانه لاختلاف ترتيب الأبيات فى الأصول عما فى الديوان . وهى بعد البيتين الأولين :

موحشا بعـد ما أراه أنيسا * من أناس يبنون فيـه القبابا

أصبح الربع قد تغـير منهم * وأجالت به الرياح الـترابا

فتعنّى من الرباب فأمسى الـ * ـقلب فى إثرها عميدا مصابا

وبما قد أرى به حىّ صدق * كامل العيش نعمة وشـبابا

وحسانا جواريا خفـرات * حافظات عند الهوى الأحسابا

لا يكثرن فى الحديث ولا يتـ * ـبعن ينعقن بالبهام الظـرابا

صيّبات الأردان والنشر عينا * كمها الرمـــل بدّنا أترابا

إذ فؤادى يهوى الرباب ويأبى الـ * ـدهر حتى الممات ينسى الربابا

ضربت دونى الحجاب وقالت * فى خفاء فما عييت جـوابا

قد تنكّرت لصـديق وأظهر * ت لنا اليوم هجرة واجتنابا

قلت لا بل عداك واش فأصبحـ * ـت نوارا ما تقبلين عتابا

فقضَى حوائجَها وانصرفتْ بما أرادتْ منه . فلمّا خَلَا الوَليدُ بأمّ البَنِينَ قال لها : للهِ دَرُّ الثريّا ! أتدْرِينَ ما أرادتْ بإنشادها ما أنشدتْنى من شعر عمر؟ قالت لا . قال : إنى لمّا عرَّضتُ لها به عرَّضتْ لى بأن أُمّى أَعْرَابيّةٌ (١) . وأُمُّ الوليد وسليمانَ وَلَّادَةُ بنتُ العَبَّاسِ بن جزىٍّ (٢) بن الحارثِ بن زُهَيرِ بن جَذِيمَةَ العَبْسىّ .

الغناء فى الأبيات التى أنشدتْها الثريّا الوليدَ بنَ عبد الملك لمالكِ بنِ أبى السَّمْح خَفيفُ ثَقيلٍ بإطلاقِ الوَتَرِ فى مَجْرَى البِنْصر . وفيها لابن سُرَيجٍ رَمَلٌ بالخِنْصَر فى مَجْرَى البِنْصَر . وفيها لإبراهيمَ خَفيفُ ثَقِيلٍ بالسبَّابة فى مَجْرى البِنْصَر عن إسحاقَ. وذكر حَبَشٌ أيضا أنّ فيها لابن مِسْجَحٍ خَفِيفَ رَمَلٍ بالوسطَى . وذكر عمرُو بنُ بانةَ أن لابن مُحْرِزٍ فيها خَفِيفَ ثقيلٍ بالوسطَى .

ومما يُغَنَّى فيه من أشعارِ عمرَ بنِ أبى ربيعة التى قالها فى الثريّا من القصيدة التى أوّلها « من رسولى » (٣) :

---

(١) الأعرابىّ : واحد الأعراب وهم سكان البادية الذين يتجعون الكلأ ويتتبّعون مساقطَ الغيث ، سواء أكانوا من العرب أم من مواليهم . وأما العربىّ فهو خلاف العجمىّ سواء أكان من سكان البادية أم الحاضرة . والأعرابىّ إذا قيل له : ياعربىّ فرح لذلك وهشّ له ؛ والعربىّ إذا قيل له : يا أعرابى غضب له . (٢) كذا فى أكثر النسخ ، ولم نعثر على ضبطه . وفى شرح القاموس مادة « جزى » : أنه سمى بجُزَىّ كسُمَىّ وبجَزِىّ كعَدِىّ . وفى ح ، م : « حزن » وفى ت : «حزين» . وفى الطبرى طبع مدينة لَيْدَن رقم ٢ ص ١١٧٤ : «جزء» بالهمز . وفى العقد الفريد ج ٢ ص ٣٢٧ : «حربى» . وقد ورد أنه سمى بكل ذلك . (٣) البيتان الآتيان والبيتان اللذان بعدهما من قصيدة أخرى له مطلعها :

شاق قلبى تذكر الأحباب ※ واعترتنى نوائب الأطراب

الأطراب : جمع طَرَب ؛ قال ذو الرمة :

استحدث الركب عن أشياعهم خبرا ※ أم راجع القلبَ من أطرابه طَرَبُ

صــوت

وتَبـدَّتْ حـتّى إذا جُنَّ قلـبى * حال دونى وَلائـدٌ(١) بالثِّيـابِ(٢)

يا خليـلىَّ فاعلَما أنّـ قلـبى * مُسْـتَهامٌ بِرَبّـةِ المِحْـرابِ(٣)

الغناء لابنِ سُرَيْجٍ ثانى ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو . ومنها :

صــوت

٥

أُقْتُلِيـنى قتـلاً سَريعاً مُريحـاً * لا تَكُونِى علىَّ سَـوْطَ عَـذَابِ(٤)

شَـفَّ عنهـا مُحَقَّـقٌ(٥) جَنَـدِىٌّ(٦) * فهى كالشمسِ من خِلَالِ السَّحَابِ

الغناء للغَرِيضِ ثانى ثقيلٍ بالبِنْصَرِ عن عمرو . ومنها :

---

(١) الولائد هنا : الإماء ، واحدته وليدة . (٢) فى ديوانه :

١٠

فتراءت حـتّى إذا جنّ قلبى * سـتّرتها ولائـد بالثيـاب

(٣) المحراب هنا : الغرفة ؛ قال وضّاح اليمن :

ربة محـراب إذا جئتهـا * لم ألقهـا أو أرتقى سلّمـا

والغرفة لا تكون فى الطبقة الأولى من الدار بل فيما بعدها . (٤) كذا فى ديوانه . وفى الأصول :

أُقتليه قتـلا سريحا مريحا * لا تكونى عليه سـوط عذاب

١٥

ورواية الديوان هى المناسبة لبقية الشعر ؛ لأن البيت الذى قبله :

اِفعلى بالأسـير إحدى ثلاث * فافهمنّ ثم ردّى جـوابى

وبعده : أو أقيدى فإنما النفس بالنفـ * ـس قضاء مفصلا فى الكتاب

أو صـليه وصلا يقـرّ عليـه * إن شرّ الوصال وصل الكذّاب

ولعله غنى فيه كما فى الأصول . وسريحا : سريعا .

٢٠

(٥) محقق : ثوب عليه وشى على صورة الحُقَق ، كما يقال : ثوب مرحّل : عليه تصاوير رحل ، وثوب مرجّل : عليه تصاوير رِجل . وثوب ممرجل : فيه صور المراجل . أو هو الثوب المحكم النسج ؛ قال الشاعر :

تسربل جلد وجه أبيـك إنا * كفينـاك المحققـة الرقاقا

(٦) جندىّ : نسبة الى الجند ، وهو أحد مخاليف اليمن .

صـــــوت

قال لى صاحبي ليَعْـلَم ما بى * أتُحِبُّ البَتُولَ أُختَ الرَّبابِ[1]

قلتُ وَجْدِى بها كوَجْدِك بالمـا * ءِ إذا ما مُنِعتَ بَرْدَ الشَّرابِ

الغناء لمـالكٍ رَمَلٌ مُطْلَقٌ فى مَجْرَى الوُسْطَى عن إسحاق . ومنها :

صـــــوت

٥

أَذْكَرَتْنى من بَهْجةِ الشمسِ لَمَّـا * بَرَزَت من دُجُنَّـةٍ وسَحَـابِ

أَزْهَقَتْ أمُّ نَوْفَلٍ إذ دعتْهـا * مُهْجَتى، ما لقـاتلى مِنْ مَتَابِ

حين قالت لها أجيبي فقالتْ * مَنْ دعانى؟ قالتْ أبو الخطَّابِ

الغناء للغَرِيض خَفيفُ رَمَلٍ عن الهِشَامِىّ وحَمَّادِ بنِ إسحاق .

١٠ ومنهـا :

صـــــوت

مَرْحَبـا ثم مرحبًا بالّتى قا * لتْ غَدَاةَ الوَدَاعِ عند الرَّحِيلِ[2]

للثُّرَيَّا قُولِى له أنتَ هَمِّى * ومُنَى النَّفْسِ خاليـا وخَلِيلِى[3]

الغناء لابن مُحْرِز ثقيلٌ[4] مطلَقٌ فى مَجْرَى البِنْصَرِ عن إسحاق . وفيه لابن سُرَيج خَفيفُ

١٥ رَمَلٍ بالوسطَى عن عمرو .

٩٥ / ١

(١) هذا البيت هو مطلع القصيدة فى ديوانه . (٢) فى ديوانه : « يوم الرحيل » .

(٣) فى ديوانه المخطوط : « والخليل » معطوفا على النفس . وفى ديوانه المطبوع : « والجليل » وهو تصحيف . (٤) فى ت : « خفيف ثقيل مطلق » .

ومنهـا :

صـــوت

زَعَمُوا بأنّ البَيْنَ بعـــدَ غَدٍ (١) * فالقلبُ ممـا أَزْمَعوا (١) يَجِفُ (٢)

تَشْكُو ونشكو ما أَشَتَّ (٣) بنـا * كُلٌّ لِوَشْـكِ (٤) البَيْنِ يَعْتَرِفُ (٥)

حَلَفُوا لقـد قَطَعُوا بَبيْنِهـمُ * وحَلَفْتُ أَلْفًا مثلَ ما حلفوا (٦)

الغناء للغَرِيضِ خَفِيفُ ثَقِيلٍ بالوُسْطَى .

ومنهـا :

صـــوت

فَلَوتْ رأسَها ضِرَارًا (٧) وقالتْ * لا وعَيْشِى ولو رأيتُـكَ مِتَّا (٨)

حِينَ آثَرْتَ بالمودّةِ غَيْرِى * وتناسَيْتَ وَصْـلَنا ومَلِلْتَـا

قد وَجَدْنَاكَ إذ خُبِرْتَ (٩) مَلُولًا * طَرِفًا (١٠) لم تَكُنْ كما كنتَ قُلْتَـا

---

(١) فى ديوانه : «أحدثوا» . (٢) وجف القلب يجف كوعد يعد : خفق وآضطرب ؛ قال تعـالى : (قلوب يومئذ واجفة) . (٣) كذا فى ت ، حـ . والمعنى : نشكو ما فرّق مذاهبنا بنا . وفى ب ، سـ :

* تشـكو وأشكو ما أجد بنـا *

وفى سائر النسخ :

* تشـكو وأشكو ما أحلّ بنـا *

وفى ديوانه :

* نشكو وتشكو بعض ماوجدت *

(٤) وشك البين : قربه . (٥) فى ديوانه : «معترف» . و يعترف هنا : يصطبر ؛ يقال : عرف للأمر وآعترف ، إذا صبر ؛ قال قيس بن ذريح :

فيـا قلبُ صبرا وآعترافا لمـا ترى * ويا حبهـا قع بالذى أنت واقع

(٦) لم يوجد هذا البيت بتلك القصيدة فى ديوانه . (٧) كذا فى ديوانه ، ء . وفى سائر النسخ : « ضرارى » بياء المتكلم . (٨) فى ديوانه المطبوع :

ولوت رأسها ضرارا وقالت * إذ رأتنى اخترت ذلك أنتا

ومثـله ما فى ديوانه المخطوط ، غير أنه فيه : « ولوت رأسها ضراء ... » . وكتب بهامشه : «الضراء والضرر سواء . فقوله ضراء أى لتضرّنى بذلك » . ولم نجد فى كتب اللغة ما يؤيد ذلك . فلعله محرّف عن «ضرارا» بالراء . (٩) فى ديوانه : «فوجدناك إذ خبرنا» . (١٠) الطرف : من لا يثبت على آمرأة ولا صاحب .

الغناء لمالكٍ رَمَلٌ ثقيلٌ أوّلُ بالوُسْطَى عن عمرو . وفيه لابن سُرَيج خفيفُ ثقيلٍ عن الهشاميّ ، وكذا رَوَتْه دَنانيرُ عن فُلَيحٍ ، وقد نَسَب قومٌ لحنَ مالكٍ إلى الغَرِيض .

ومنها :

صـــوت

ياخليلَيَّ سائلا الأطلالا * ومحلًّا بالرَّوْضتَيْنِ[1] أحالا

— ويُروى :

* بالبُلَيَّيْنِ إن أَحَرْنَ[2] سُؤالا * —

وسَفَاهٌ لولا الصَّبابةُ حَبْسِي * فى رُسُومِ الدِّيارِ رَكْبًا عِجالا

بعدَ ما أَقْفَرتْ منَ آلِ الثُّريّا * وأَجَدَّتْ فيها النِّعاجُ ظِلالا

الغناء لابن سُرَيجٍ هَزَجٌ خفيفٌ مُطْلَقٌ فى مَجْرَى البِنْصر عن إسحاق . وفيه لحَكَم الواديّ ثقيلٌ أوّلُ من جامع أغانيه . وذكر ابنُ دينارٍ[3] أنّ فيه لابن عائشةَ لحنًا لم يذكُرْ طريقتَه . وذكر إبراهيمُ أنّ فيه لدَحْمانَ لحنًا ولم يُجَنِّسْه . وقال حَبَشٌ : فيه لإسحاقَ ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى .

(١) كذا فى أكثر النسخ . وقد أورد ياقوت أسماء روضات كثيرة فى بلاد العرب وذكر أن عددها مائة وست وثلاثون روضة ، وأنها ترد فى الشعر مرة بالإفراد وأخرى بالتثنية والجمع ، فيقال : روضة وروضتان و روضات و رياض ، وكل ذلك للضرورة . ولم ندر أىّ الروضات أراد عمر بن أبى ربيعة فى شعره ، ولكنه يقرب أن تكون هذه الروضة بنواحى المدينة ، فلا يبعد أن يكون أراد «روضة آجام» بالبقيع من نواحى المدينة ، أو «روضة ذى الخزرج» أو «روضة ذى الغصن» بنواحى المدينة أيضا ، أو «روضة ذات كهف» أو «روضة عرينة» ، وكل هذه الروضات وكثير غيرها بنواحى المدينة . وفى حـ ، س ، م : «الرومتين» بالميم . وفى ت : «الروبتين» بالباء . ولعلهما تحريف ؛ إذ لم نعثر فيما أورده ياقوت والبكرى على هذين الاسمين . (٢) يقال : كلمته فما أحار إلىّ جوابا أى ما ردّ جوابا ، وكلمته فما أحار سؤالا مثله ؛ قال الأخطل :

هلا ربعت فتسأل الأطلالا * ولقد سألت فما أحرن سؤالا

وفى ديوانه : «إن أجزن» . وفى م ، أ ، ء : «إن أجاروا» وكلاهما تحريف . (٣) فى ت : «ابن هفان» .

عمر والثريا وقد نقلها زوجها إلى الشام بعد تزوجه إياها

أخبرنى محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حدّثنا أبو عبد الله التَّمِيمىّ [يعنى أبا العيناء](١) عن القَحْذَمِىّ عن أبى صالح السَّعْدىّ قال :

لمّا تزوّج سُهَيْل بن عبد العزيز الثُّرَيّا ونقلها إلى الشام، بلغ عمرَ بنَ أبى ربيعة الخبرُ، فأتى المنزلَ الذى كانت الثريّا تنزِلُه ، فوجَدها قد رحلتْ منه يومئذ، فخرج فى أَثَرِها فلحِقها على مَرْحلتَيْن ، وكانت قبل ذلك مُهَاجِرَتَه لأمرٍ أنكرتْه عليه . فلما أدركهم نَزَل عن فرسه ودفعه إلى غلامه ومشى مُتَنَكِّراً حتى مرّ بالخَيْمة ؛ فعرفَتْه الثريّا وأَثْبتتْ(٢) حركتَه ومِشْيَتَه، فقالت لحاضنتها(٣) : كلِّميه؛ فسلَّمتْ عليه وسألتْه عن حاله وعاتبتْه على ما بلَغ الثريّا عنه؛ فاعتذر وبكى، فبكتِ الثريّا؛ فقالت : ليس هذا وقتَ العتَاب مع وَشْك الرَّحِيل . فحادثها إلى وقت طلوع الفجر ثم ودّعها وبكيَا طويلا ، وقام فركب فرسَه ووقَف ينظُر إليهم وهم يَرْحَلُون(٤)، ثم أتْبَعهم بصرَه حتى غابوا، وأنشأ يقول :

يا صاحبَيَّ قِفَا نَسْتَخْبِرِ الطَّلَلاَ(٥) * عن حالِ مَنْ حَلَّه بالأمسِ ما فَعَلاَ

فقال لى الرَّبْعُ لمّا أن وقفْتُ به * إنّ الخَلِيطَ أجَدَّ(٦) البينَ فاحْتَمَلا(٧)

وخادَعتْكَ النَّوى(٨) حتى رأيتَهمُ(٩) * فى الفَجْرِ يَحْتَثُّ(١٠) حادِى عِيسِهم(١١) زَجِلا(١٢)

---

(١) زيادة فى ت . (٢) أى عرفتها حق المعرفة . (٣) لحاضنتها : لمربيتها .
(٤) يرحلون : يشدّون على إبلهم الرحال . (٥) فى ديوانه : «عن بعض» . (٦) أجدّ البين : أعزمه . (٧) احتمل : ارتحل . (٨) النوى : الفراق والبعد . (٩) كذا فى ديوانه . وفى الأصول : «لما» . (١٠) يحتث : يسوق . (١١) فى الديوان : «عِيرهم» .
(١٢) زجلا : رافعا صوته فى حداء الإبل لتسرع فى السير . وأصل الزجل الجلبة ورفع الصوت ، وخص به التطريب ؛ وأنشد سيبويه فى وصف حمار وحش :

له زجلٌ كأنّهْ صوتُ حادٍ * إذا طلب الوسيقة أو زمير

وذكره فى باب ما يحتمل الشعر من استباحة الضرورة ، وهى هنا حذف الواو المبينة لحركة الهاء فى قوله «كأنه» .
والوسيقة : الأتان التى يضمها ويجمعها ؛ من وسقت الشىء : جمعته .

٩٦
١

لمّا وَقَفْنا نُحَيِّيهم وقــد صَرَخَتْ * هَوَاتِفُ البَيْنِ وٱستولتْ بهم أُصُلاَ (١)

صَــدّتْ بِعَادًا وقالتْ لِلّتي معها * باللهِ لُومِيه في بعضِ الذي فعَــلاَ

وحَدِّثيــه بمــا حُدِّثْتِ وٱسْتَمِعِي * ماذا يقول ولا تَعْيَيْ به جَــدَلاَ (٢)

حتى يَرَى أنّ ما قال الوُشَاةُ له * فينــا لَدَيْه إلينــا كلُّه نُقِــلاَ (٣)

وعَرِّفيــه به كالهَزْلِ وٱحْتَفِظِي * في بعضِ مَعْتَبَةٍ (٤) أن تُغْضِبي (٥) الرجُلاَ

فإنّ عَهْــدِي به واللهُ يَحْفَظُه * وإن أَتَى الذنبَ ممّنْ يكْرَه العَذَلاَ

لو عندنا ٱغْتِيبَ أو نِيلَتْ نقيصتُه * ما آبَ مُغْتابُه من عنــدِنا جَذِلاَ

قلتُ ٱسْمَعِي فلقد أَبْلَغتِ في لَطَفٍ * وليس يَخْفَى على ذي اللُّبِّ مَنْ هَزَلاَ

هــذا أرادتْ به بُخْلًا لأَعْذِرَها * وقــد أَرَى أنها لن تَعْــدَمَ العِلَلاَ

ما سُمِّيَ القلبُ إلّا من تَقَلُّبه * ولا الفؤادُ فؤادًا غيرَ أَنْ عَقِلاَ (٦)

---

(١) في ديوانه :

لمــا وقفنا نحييهم وقـــد شحطت * نعامة البين فاســتولت بهم أصلا

وشحطت نعامة البين : ارتحلوا وفرقهم البين . وفي اللسان (مادتي نعم وشال) : يقال للقوم إذا ارتحلوا عن منزلهم أو تفرّقوا : قـــد خفّت نعامتهم وشالت نعامتهم . والأُصُل : جمع أصيل وهو العشيّ ، وقيــل هو مفرد ، أنشد ثعلب :

وتمذّرت نفسي لذاك ولم أزل * بَدِلاً نهاري كلَّه حتى الأُصُــل

فقوله «بدلا نهاري كله» يدل على أن الأُصُل ها هنا واحد . (٢) لا تعيي به جدلا : لا تعجزي في مجادلته . (٣) في ديوانه المخطوط : * في القول فينا وما قد أكثروا بطلا *

(٤) في ديوانه : «في غير» . (٥) كذا في ديوانه وأكثر النسخ . وفي ب : «أن تخطئي» وفي م ، ء ، أ : «أن تسخطي» . (٦) قال في اللسان : والتفؤد : التوقد ، والفؤاد : القلب لتفؤده وتوقــده . وقال في القــاموس وشرحه : والتفوّد : التحرّق والتوقد ، ومنــه الفؤاد للقلب ؛ لأنّ عقل الفؤاد للعلومات نتيجة اشتغاله وتوقده وتحرّكه وجولته فيها حتى يحصها ويميز الصحيح من الفاسد والحق من الباطل .

أمّا الحديث الذى قالت أُتيتَ به * فما عَبَأْتُ[1] به إذ جاءنى حَــوَلا[2]
ما إن أَطَعْتُ بها[3] بالغَيْبِ قد عَلِمتْ * مقالةَ الكاشح الواشى إذا مَحَــلا[4]
إنى لأَرْجِعُــه فيهـا بسَخْطَتـه * وقـد يَرَى أنّه قـد غرّنى زَلَلا[5]

وهى قصيدة طويلة مذكورة فى شعره .

وفاة الثريا

أخبرنى أحمدُ بنُ عبد العزيز الجَوْهرىّ وحَبِيبُ بن نَصْر ومحمد بنُ خَلَف بن المَرْزُبَان قالوا حدّثنا عمرُ بن شَبَّةَ قال أخبرنا محمد بن يحيى قال زعم[6] عُبَيْدُ بن يَعْلَى قال حدّثنى كَثِيرُ[7] بن كَثِير السَّهْمِىّ قال :

لمّـا ماتت الثُّرَيّا أتانى الغَرِيضُ فقال لى : قُلْ أبياتَ شعرٍ أَنُحْ بها على الثريّا، فقلت :

صــــوت

أَلا ياعينُ مالَكِ تَدْمَعينا * أمِن رَمَــدٍ بَكَيْتِ فتُكْحَلِينا
أم انت حَزِينــةٌ تَبْكِينَ شَجْوًا * فشَـجْوُكِ مثلُه أَبْكَى العيونَا

غنّى الغَرِيضُ فى هــذين البيتين لحنًا من خَفِيفِ الثَّقِيلِ الأوّلِ بالوُسْطَى عن عمرو ويحيى المكىّ والهِشَامىّ وغيرهم .

(١) كذا فى ديوانه المخطوط . وفى ديوانه المطبوع : «عنيت» وفى الأصول : «غلبت» . (٢) كذا فى ديوانه . والحول : الحيلة . يريد أن الحديث الذى أوصله إلىّ الوشاة لم أعبأ به لأنه ليس إلا حيلة لصرف القلب عن حبها . وفى الأصول : «تبلا» ولا معنى له . (٣) فى ديوانه : «وما أقر لها بالغيب الخ» . (٤) محل به عند السلطان أوذى جاه : كاده وسعى به عنده . (٥) أى يرى أنه قد أوقعنى فى الخطيئة والزلل . (٦) فى حـ ، ر : «قال حدثنا عمر بن عبيد بن يعلى» . ولم نعثر على هذين الاسمين فى كتب التراجم . وقد تكرر هذا السند بعينه مرة أخرى فى هذه الحكاية نفسها فى الجزء الثانى فى أخبار الغريض . (٧) هو كثير بن كثير بن المطلب بن أبى وداعة القرشىّ السهمىّ المكىّ، كما فى تهذيب التهذيب ولم يضبطه . وقد اعتمدنا فى ضبطه على ما ورد فى كتاب المغنى المطبوع على هامش تقريب التهـذيب فى الكلام على يحيى بن كثير من أنه بكاف مفتوحة وكسر الثاء المثلثة ، وقال : وكذا كثير بن كثير وجعفر بن كثير اهـ .

وفاة عمر بن أبي ربيعة

اخبرني حبيب بن نصر المهلّبيّ قال حدثنا الزّبير بن بكّار قال حدّثني عبدالجبّار ابن سعيد المساحقيّ قال حدّثني إبراهيم بن يعقوب بن أبي عبد الله عن أبيه عن جدّه عن ثعلبة بن عبد الله بن صعير[1] :

أنّ عمر بن أبي ربيعة نظر في الطّواف إلى امرأة شريفة، فرأى أحسن خلق الله صورةً، فذهب عقله عليها، وكلّمها فلم تجبه ؛ فقال فيها :

٥

الرّيح تسحب أذيالًا وتنشرها * ياليتني كنت ممّن تسحب الرّيح

كيما تجرّ[2] بنا ذيلًا فتطرحنا * على الّتي دونها مغبرّة[3] سوح[4]

أنّى بقربكم أم كيف لي بكم * هيهات ذلك ما أمست لنا روح

فليت ضعف الذي ألقى يكون بها * بل ليت ضعف الذي ألقى تباريح[5]

إحدى بنيّات عمّي دون منزلها * أرض بقيعانها القيصوم[6] والشّيح

١٠

---

(١) كذا في تهذيب التهذيب وتقريب التهذيب وشرح القاموس . وفي ء ، ح : « صقر » . وفي م : « صفر » . وفي ر : « صفوان » وفي سائر النسخ : « صعر » وكلها تحريف . قال في تهذيب التهذيب : ثعلبة بن صعير ويقال ابن عبد الله بن صعير ويقال ابن أبي صعير ويقال عبدالله بن ثعلبة بن صعير العذريّ . وقال الدارقطنيّ : الصواب فيه عبد الله بن ثعلبة بن أبي صعير، لثعلبة صحبة ولعبد الله رؤية اهـ .

١٥ (٢) يجوز في الفعل الواقع بعد « كيما » وجهان الرفع على أن « ما » كافة لكي عن العمل ، والنصب على أن « ما » زائدة وكي عاملة فيما بعدها . وقد روى بالوجهين :

إذا أنت لم تنفع فضرّ فإنما * يرجّى الفتى كيما يضرّ وينفع

(٣) مغبرة، يريد بها الفلاة المجدبة . (٤) سوح : جمع ساحة وهي الفضاء . (٥) تباريح الشوق : توهجه . قال السيد محمد مرتضى : قال شيخنا وهو من الجموع التي لا مفرد لها ، وقيل : مفرده تبريح ، واستعمله المحدثون وليس بثبت . (٦) قال في اللسان : القيصوم : ما طال من العشب ،

٢٠

ثم قال : والقيصوم من نبات السهل . قال أبو حنيفة : القيصوم من الذكور ومن الأمرار، وهو طيب الرائحة من رياحين البر وورقه هدب وله نورة صفراء ، وهي تنهض على ساق وتطول .

٩٧ / ١

فبلَغها شعرُه فجزِعتْ منه . فقيل لها : آذْكُرِيه لزوجك ؛ فإنه سيُنْكِر عليه قولَه . فقالت : كَلَّا واللهِ لا أشكوه إلا إلى الله . ثم قالت : اللهم إن كان نَوَّه باسْمِي ظالمًا فاجْعَلْه طعامًا للريح . فضَرَب الدهرُ مِنْ ضَرْبِه[1]، ثم إنه غدا يومًا على فرس فهبَّتْ ريحٌ فنزَل فاستتر بسَلَمةٍ[2]، فعَصَفتِ الريحُ فخدَشَه غُصْنٌ منها فدَمِىَ ووَرِمَ به ومات من ذلك .

أخبار آبن سُرَيج ونسبه

نسب ابن سريج وشىء من أوصافه

هو عُبيد[3] بنُ سُرَيْج ، ويُكْنَى أبا يحيى، مَوْلَى بنى نَوْفَلِ بنِ عبدِ مَنَافٍ . وذكر آبنُ الكَلْبِىّ عن أبيه وأبى مِسْكين أنه مَوْلًى لبنى الحارث بن عبد المُطَّلب .

وأخبرنى أحمدُ بنُ عبد العزيز الجَوْهَرِىّ قال حدثنا عمرُ بنُ شَبَّةَ قال حدثنا محمد بن يحيى أبو غَسَّانَ قال : آبنُ سُرَيج مَوْلًى لبنى لَيْثٍ، ومنزلُه مكةُ[4] .

وأخبرنى الحُسين بن يَحْيى عن حَمَّاد بنِ إسحاق عن أبيه قال : سألت الحَسَنَ آبنَ عُتْبَةَ اللَّهَبِىّ عن آبن سُرَيج فقال : هو مَوْلًى لبنى عائذ بنِ عبدِ الله بن عمر بن مَخْزوم . وفى بنى عائذٍ يقول الشاعر :

فإنْ تَصْلُحْ فإنّكَ عائذِىٌّ * وصُلْحُ العائذِىِّ إلى فَسَادِ

(١) يقال : ضرب الدهر ضربانه ومن ضربانه ومن ضربه ، أى مر من مروره وذهب بعضه . والمراد أنه مرت مدّة من الدهر وقع فيها بعض حوادثه .

(٢) السلم : شجر من العضاه وورقه القرظ الذى يدبغ به الأديم . وفى ت ، ر : « بقفلة » . والقفلة واحدة القفل، وهو الشجر اليابس ولا ينبت إلا بمنجاة من السيل . وفى حـ : « بمقلة » والمقلة واحدة المقل وهو حمل الدوم ، وهى شجرة تشبه النخلة ، وهو غير مناسب؛ فلعله محرّف عن « قفلة » .

(٣) كذا فى حـ ، ر ، أ . وفى ب ، سـ : « عبيد الله » . وفى سائر النسخ : « عبد الله » وكذلك فى ترجمته فى الجزء الرابع من نهاية الأرب . وسيأتى فيما بعد أن النسخ متفقة على «عبيد بن سريج» .

(٤) فى حـ ، ر : « وولد بمكة» .

قال إسحاق : وقال سَلَمَةُ بن نَوْفَل بن عُمارَة : ابنُ سُرَيْج مولَى عبدِ الرحمن بنِ أبى حُسَين بنِ الحارثِ بنِ نَوْفَلٍ، أو ابنِ عامرِ بنِ الحارث بن نوفلِ بنِ عبد مَنَافٍ .

أخبرنى أحمدُ بنُ عبد العزيز عن أبى أَيُّوبَ المَدِينِىّ[1] قال: ذكر إبراهيمُ بنُ زِيَادِ ابنِ عَنْبَسَةَ بن سَعيد بن العاص :

أنّ ابنَ سُرَيْج كان آدَمَ أحمرَ ظاهرَ الدَّمِ سُنَاطًا[2] فى عينيه قَبَلٌ[3]، بلغ خمسًا وثمانين سنةً، وصَلِعَ فكان يلبَس جُمَّةً[4] مركَّبة، وكان أكثرَ ما يُرَى مُقَنَّعًا[5]، وكان منقطعًا إلى عبد الله بنِ جعفر .

وقال ابنُ الكَلْبىّ عن أبيه قال : كان ابنُ سُرَيْج مُخَنَّثًا أحولَ أعمشَ يُلَقَّب «وجهَ البابِ»، وصَلِعَ فكان يلبس جُمَّة، وكان لا يُغَنِّى إلا مقنَّعًا يُسْبِلُ القِنَاعَ على وجهه .

وقال ابنُ الكَلْبىّ عن أبيه وأبى مِسْكِينٍ : كان ابنُ سُرَيْج أحسنَ الناس غناءً، وكان يُغَنِّى مُرْتَجِلًا و يُوقِع بقَضِيبٍ، وغَنَّى فى زمن عثمانَ بنِ عَفَّانَ رضى الله عنه، ومات فى خِلَافَةِ هِشَامِ بنِ عبد الملك .

قال إسحاق : وكان الحَسَنُ بن عُتْبَةَ اللَّهَبِىّ يَرْوِى مثلَ ذلك فيه ، وذَكَرَ أنّ قبرَه بنَخْلَةَ[6] قريبًا من بُسْتانِ ابنِ عامر[7] .

---

(١) فى حـ ، ر : « المدنى » . (٢) السناط : الذى لا لحية له أو الخفيف العارض أو من لحيته بالذقن وليس بالعارضين شىء . (٣) القبل فى العين : إقبال إحدى الحدقتين على الأخرى . (٤) الجمة : مجتمع شعر الرأس . والمراد أنه كان يلبس شعرا مصطنعا . وفى حـ ، ر : « كمة » والكمة : القلنسوة المدوّرة . (٥) مقنعا : لابسا القناع وهو ما يوضع على الرأس . (٦) المراد بها نخلة اليمانية ، وهى واد يصبّ فيه يَدْعانُ وبه مسجد لرسول الله صلى الله عليه وسلم وبه عسكرت هوازن يوم حنين . (٧) بستان ابن عامر ، هو مجتمع النخلتين ، وكذلك يسميه العامة . والصواب فيه بستان ابن معمر؛ لأنه كان لعمر بن عبيد الله بن معمر .

قال إسحاق وحدّثنى الهَيْثَمُ بنُ عَدِىّ عن صالح بنِ حَسّان قال : كان عُبَيد بن سُرَيج من أهل مكّة وكان أحسنَ الناس غناءً . قال إسحاقُ قال عُمَارَةُ بن أبى طَرَفة الهُذَلىّ : سمعتُ ٱبنَ جُرَيْج يقول : عُبَيْـد بنُ سريج من أهل مكّةَ مولَى آلِ خالد ابن أَسِيد .

قال إسحاقُ وحدّثنى إبراهيمُ بنُ زِيَاد عن أيُّوبَ بنِ سَلَمَةَ المَخْزُومىّ قال : كان فى عينِ ٱبنِ سُرَيج قَبَلٌ حُلْوٌ لا يَبْلُغ أن يكون حَوَلاً ، وغنّى فى خلافة عثمانَ رضى الله عنه ، ومات بعد قَتْـل الوليدِ بنِ يزيدَ ، وكان له صَلَعٌ فى جَبْهته ، وكان يلبَس جُمّة مُرَكَّبة فيكونُ فيها أحسنَ شىء ، وكان يُلَقّب «وجهَ البابِ» ولا يغضَب من ذلك ، وكان أبوه تُرْكيًّا .

وقال أبو أيُّوبَ المَدِينىّ : كان ٱبنُ سُرَيج ، فيما روَيْنا عن جماعةٍ من المكّيِّين ، مولَى بنى جُنْدَع بن لَيْث بن بَكْر ، وكان إذا غنّى سَدَلَ قِناعَه على وجهه حتى لا يُرَى حَوَلُه[1] ، وكان يُوقِـعُ بقضيبٍ ، وقيل : إنه كان يضرِب بالعُود ، وكانت عِلّتُه التى مات منها الجُـذَامَ .

ابن سريج أوّل من ضرب بالعود الفارسى على الغناء العربى

قال إسحاق وحدّثنى أبى قال : أخبرنى مَنْ[2] رأى عُودَ ٱبنِ سُرَيج وكان على صَنْعةِ عِيدَانِ الفُرْس ، وكان ٱبنُ سُرَيج أوّلَ من ضرَب به على الغناء العربىّ بمكّة . وذلك أنه رآه مع العَجَم الذين قَدِم بهم ٱبنُ الزبير لبناء الكعبة ، فأعْجَب أهلَ مكّة غناؤهم . فقال ٱبنُ سُرَيج : أنا أضرِب به على غنائى ؛ فضرَب به فكان أحْذَقَ الناس .

أمّ ٱبن سريج

قال إسحاق وذكر الزُّبَيْرىّ : أنّ أُمّ ٱبنِ سُرَيج مَوْلاةٌ لآلِ المُطّلِب يقال لها «رائقةُ» ، وقيل : بل أُمّه هند أختُ رائقةَ ؛ فمِنْ ثَمّ قيل : إنه مَوْلَى بنى المُطّلب بن

(١) فى حـ ، ر : « لا يؤبه له » وهو تحريف. (٢) كذا فى حـ ، ر ، ب ، سـ . وفى سائر النسخ : « الأصمعى » .

حَنْطَبٍ . وكان ابْنُ سُرَيْج بعد وفاة عبد الله بن جَعْفَرٍ قد انقطع إلى الحَكَم بن المُطَّلب بن عبد الله بن المُطَّلب بن حنطب أحد بنى مَخْزُوم، وكان من سادة قُرَيش ووجوهها . وأخذ ابنُ سُرَيج الغناءَ عن ابن مِسْجَح .

الأشخاص المعدودون أصولا للغناء العربيّ

قال إسحاق : وأصلُ الغناء أربعةُ نَفَرٍ : مَكِّيّان ومَدَنيّان؛ فالمكّيّان : ابنُ سُرَيج وابن مُحْرِز ، والمدنيان : مَعْبَد ومالكٌ . ٥

أوّل شهرة ابن سريج بالغناء

قال إسحاق وقال سَلَمَةُ بنُ نَوْفَلِ بن عُمَارَةَ : أخبرنى بذلك مَنْ شِئْتَ من مَشْيَخَتِنا : أنّ يوماً شُهِرَ فيه ابنُ سُرَيج بالغناء فى خِتَان ابنِ مَوْلاه عبدالله بن عبد الرحمن ابن أبى حُسَين[(1)] . قال لأمّ الغلام : خَفِّضى عليك بعضَ الغُرْم والكُلْفة؛ فوالله لأُلْهِيَنّ نساءك حتى لا يَدْرِينَ ما جئت به ولا ما عَزَمتِ عليه .

شهادة هشام بن المرّية فى ابن سريج

قال إسحاق : وسألتُ هِشَامَ بنَ المُرِّيّة، وكان قد عُمِّر، وكان عالماً بالغناء فلا يُبَارَى فيه ، فقلتُ له : مَنْ أَحْذَقُ الناس بالغناء ؟ فقال لى : أتُحِبُّ الإطالةَ أم الاختصار؟ فقلت : أُحبُّ الاختصارَ الذى يأتى على سؤالى. قال: ما خلَق الله تعالى بعد داودَ النبىّ عليه الصلاة والسلام أحسنَ صوتاً من ابن سُرَيج، ولا صاغ اللهُ عزّ وجلّ أحدًا أَحْذقَ منه بالغناء، ويَدُلُّك على ذلك أن مَعْبَدًا كان إذا أعجبه غناؤه قال : أنا اليومَ سُرَيْجِىّ . ١٥ ١٠

شهادة يونس بن محمد الكاتب فيه

قال وأخبرنى إبراهيمُ — يعنى أباه — قال : أدركتُ يونُسَ بنَ محمدٍ الكاتبَ فحدّثنى عن الأربعة : ابن سُرَيج وابنِ مُحْرِز والغَرِيض ومَعْبَد . فقلت له : من أحسنُ الناس غناءً؟ فقال : أبو يَحْيَى. قلت : عُبَيْدُ بْنُ سُرَيج؟ قال نعمْ . قلت : وكيف ذاكَ ؟ قال : إن شئتَ فسَّرتُ لك، وإن شئتَ أَجْمَلْتُ . قلت : أَجْمِلْ. قال : كأنه خُلِقَ من كلّ قَلْبٍ، فهو يغنِّى لكل إنسانٍ ما يَشْتَهِى . ٢٠

(1) فى ت : « ابن أبى حسان » وهو تحريف؛ إذ هو عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى حسين ابن الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف النوفلىّ، المكىّ كما فى كتب التراجم .

شهادة إبراهيم الموصلىّ فيه

أخبرنى أحمدُ بن جَعْفَرٍ جَحْظَةُ قال قال حَمّادُ بنُ إسحاقَ : أخبرنى أبى عن الفضلِ بنِ يحيى بن خالد بن برْمَك قال : سألتُ إبراهيمَ المَوْصِلىّ ليلةً وقد أخذ منه النبيذُ : مَنْ أَحْسَنُ الناسِ غناءً؟ فقال لى : من الرجال أم من النساء؟ فقلتُ : من الرجال . فقال : ٱبنُ مُحْرِز . قلتُ : ومنَ النساء؟ قال : ٱبنُ سُرَيج . ثم قال لى : إنْ[1] كان ٱبنُ سُرَيج إلّا كأنّه خُلِقَ من كلِّ قلبٍ فهو يُغَنِّى له ما يشتهى !

شهادة إسحاق الموصلىّ فيه

أخبرنى جَحْظَةُ قال حدّثنى علىُّ بنُ يحيى المنجِّم قال : أرسلنى محمد بنُ الحُسين[2] ٱبنِ مُصْعَبٍ إلى إسحاقَ أسألُه عن لحنه ولحنِ ٱبنِ سُرَيج فى :

* تَشَكَّى الكُمَيتُ الجرْىَ لمَّا جَهَدْتُه *

أيُّهما أحسنُ ؟ فصِرْتُ إليـه فسألتُه عن ذلك ؛ فقال لى : يا أبا الحَسَنِ ، والله لقد أخذتُ بخِطَام راحلتِه فزَعْزَعْتُها[3] وأَنَخْتُها وقمتُ بها فما بلغتُه . فرجَعتُ إلى محمد ٱبن الحُسَين فأخبرتُه ؛ فقال : والله إنه لَيَعْلَمُ أنّ لحنَه أحسنُ من لحنِ ٱبنِ سُرَيج ، ولقد تَحامَلَ لٱبنِ سُرَيج على نفسِـه ، ولكن لا يَدَعُ تعَصُّبَه للقُدَماء . وقد أخبرنا يحيى بنُ علىّ بنِ يحيى هذا الخبرَ عن أبيه ، فذكَر نحوَ ما ذكَره جَحْظَـةُ فى خبره ولم يقُلْ : أرسلنى محمدُ بن الحُسَين إلى إسحاقَ . وقال جَحْظَةُ فى خبره : قال علىُّ بنُ يحيى : وقد صـدَق محمدُ بنُ الحُسَين؛ لأنه قَلَّما غُنِّىَ فى صوتٍ واحدٍ لحنان فسقَط خيرُهما ، والذى فى أيدى النـاسِ الآنَ من اللحنَيْن لحنُ إسحاقَ ، وقد تُرِك لحنُ ٱبنِ سُرَيج ، فقَلّ مَنْ يسمعُه إلا من العجَائزِ المتقدّماتِ ومَشايخ المغنّينَ . هذا أو نحوُه[4] .

(١) « إن » نافية . (٢) فى ت : « الحسن » . (٣) كذا فى ت ، ح ، م ومعناه حركتها وسقتها سوقا عنيفا . وفى سائر النسخ : « فذعرتها » . والذعر : الخوف . والمراد أنى حثثتها وأخفتها فسارت سيرا شديدا . (٤) يريد : قال هذا أو قريبا منه .

لحن إسحاق في تشكى الكميت... مأخوذ من لحن الأبجر في يقولون ما أبكاك البيت

وأخبرني يحيى بن عليّ قال حدّثنا أبو أيّوب المدينيّ عن إبراهيم بن عليّ بن هشام قال: يقولون: إنّ ابتداء غناء إسحاق الذي في(1):

* تَشَكَّى الكُمَيْتُ الجَرْىَ لمّا جَهَدْتُه *

إنّما أخذه من صوت الأبْجَر:

* يقولون ما أَبْكاكَ(2) والمالُ غامِرٌ(3) *

نسبة هذا الصوت

صوت

يقولون ما أبكاكَ والمالُ غامرٌ * عليكَ وضَاحِى(4) الجلدِ منكَ كَنِينُ(5)

فقلتُ لهم لا تَسْأَلُونِىَ وانظُروا * إلى الطَّرِبِ النَّزَّاعِ(6) كيفَ يكونُ

غنّاه الأَبْجَرُ ثقيلاً أوّلَ بالبِنْصَر، عن عَمْرٍو ودَنانيرَ. وذَكَرَ الهِشَامِيّ أنّ فيه لعَزّةَ المَرْزُوقِيَّةِ(7) ثانىَ ثقيلٍ بالوُسْطَى.

مولد ابن سريج ووفاته وكيف اشتغل بالغناء بعد أن كان نائحا

أخبرني رِضْوَانُ بنُ أحمدَ الصَّيْدَلانِيّ قال حدّثنا يوسفُ بنُ إبراهيمَ قال حدّثني إبراهيمُ بنُ المَهْدِيّ قال حدّثني إسماعيلُ بنُ جامعٍ عن سِيَاطٍ قال:

---

(1) في ت، ح، ر: «الذي فيه الصياح في ... الخ». (2) كذا في أ، ء، م. وفي سائر النسخ: «أبلاك» أي ما الذي أصابك بهذا الشرّ وأوقعك في هذا البلاء. (3) غامر: كثير. وأصله من غمره الماء إذا غطاه. (4) ضاحي الجلد: عاريه الذي يتعرّض للشمس. (5) كنين: مكنون مستور. (6) نزعت نفسه إلى الشيء نزاعا ونزوعا: حنّ إليه واشتاق. (7) في ح، ر: «عزة الميلاء». وعزة المرزوقية غير عزة الميلاء، وإن كنا لم نعثر لها على ترجمة خاصة. (انظر الكلام على الغناء في «لمن الديار عرفتها ...» البيت في الجزء الحادي عشر من الأغاني في أخبار محمد بن أمية وأخيه علي بن أمية).

كان ٱبنُ سُريج أوّلَ مَنْ غنّى الغناءَ المُتْقَنَ بالحجاز بعـد طُوَيْسٍ، وكان مَوْلِدُه فى خلافةِ عمرَ بنِ الخَطّاب، وأدرك يزيدَ بنَ عبد الملك وناح عليه، ومات فى خلافة هِشَام . قال : وكان قبلَ أن يُغَنِّىَ نائحًا ولم يكن مذكورًا ، حتى وردَ الخـبرُ مكةَ بمـا فعله مُسْرِفُ[1] بن عُقْبَةَ بالمدينة، فعَلَا على أبى قُبَيْسٍ وناح بشعرٍ هو اليومَ داخلٌ فى أغانيه ، وهو :

يا عينُ جُودِى بالدُّموعِ السِّـفَاحِ[2] * وٱبكى على قَتْـلَى قُرَيْشِ البِـطَاحِ[3]

---

(١) هو لقب مسلم بن عقبة المرى صاحب وقعة الحرّة الذى وجهه يزيد بن معاوية فى جيش عظيم لقتال ٱبن الزبير بالمدينة ، فقاتل أهلها وهزمهم وأباح المدينة ثلاثة أيام . وقد لُقِّب مسرفا لأنه أسرف فى القتـل فى هذه الوقعة . قال على بن عبد الله بن عباس :

وهـم منعوا ذمارى يوم جاءت * كتائب مسرف و بنـو اللكيعـه

(وقد تقدّمت الإشارة إلى هذه الوقعة فى هذا الجزء ص ٢٣ — ٢٦) .

(٢) السفاح : جمع سافح من سفح الدمعُ سَفْحا وسفوحا وسفحانا : ٱنصبّ . و يقال أيضا : سفحت العين الدمع سفحا وسفوحا ، إذا أرسلته . (٣) البطاح : جمع بطحاء . والبطحاء : مسيل فيه دقاق الحصى . وقريش البطاح كما قال ٱبن الأعرابى : الذين ينزلون الشعب بين أخشبى مكة ، وقريش الظواهر : الذين ينزلون خارج الشعب ، وأكرمهما قريش البطاح . وقال الزبير بن أبى بكر : قريش البطاح بنو كعب بن لؤىّ ، وقريش الظواهر ما فـوق ذلك ، سكنوا البطحاء والظواهر . وقبـائل بنى كعب منهم عدىّ و جمح وسهم وتيم ومخزوم وزهرة وأسد وعبد مناف ، كل هؤلاء قريش البطاح . وأما قريش الظواهر فهـم بنو عامر بن لؤىّ ؛ و إنمـا سموا بذلك لأن قريشا ٱقتسموا فأصاب الأوّلون البطحاء وأصاب الآخرون الظواهر . فهـذا تعريف للقبائل لا للواضـع ؛ فان البطحاويين لو سكنوا الظواهر كانوا بطحاويين ، وكذلك الظواهر لو كانوا سكنوا البطحاء كانوا ظواهر . وقـد جمعا معا فى قول الشاعر :

فلو شهـدتنى من قريش عصابة * قريش البطاح لا قريش الظواهر

وقد قيل بصيغة الجمع وليس فى مكة إلا بطحاء واحدة ؛ لأن العرب تتوسع فى كلامها وشعرها فتجعل الواحد جمعا أو مثنى ، و ينقلون الألقاب و يغيرونها لتستقيم لهم الأوزان ؛ قال أبو تمام يمدح الواثق :

يسمو بك السفاح والمنصور وال * مهدىّ والمعصوم والمأمون

فاستحسن النّاسُ ذلك منه، وكان أوّلَ ما نَدَب به[1].

قال ٱبنُ جَامِع: وحدّثني جماعةٌ من شُيُوخ أهلِ مكّةَ أنهم حُدِّثُوا: أنّ سُكَيْنة بنتَ الحُسَين عليهما السلام بعثَتْ إلى ٱبنِ سُرَيج بشعرٍ أمرَتْه أن يَصُوغَ فيه لحناً يُنَاح به، فصاغ فيه، وهو الآن داخلٌ في غِنَائه. والشعر:

يا أرضُ وَيْحكِ أكْرِمي أمواتِي * فلقد ظَفِرْتِ بسادتِي وحُمَاتِي

فقدّمه ذلك عند أهل الحَرَمَيْن على جميع نَاحَةِ مكّةَ والمدينةِ والطائف.

قال وحدّثني ٱبنُ جَامِع وٱبن أبي الكَنَّاتِ[2] جميعا: أن سُكَيْنة[3] بعثَتْ إليه بمملوكٍ لها يقال له عبد الملك، وأمرَتْه أن يُعلّمه النِّيَاحَةَ، فلم يَزَلْ يعلّمه مدّة طويلة، ثم تُوفِّيَ عمُّها أبو القاسم محمد بن الحَنَفيّة عليه السلام، وكان ٱبن سُرَيج عَليلاً عِلّةً صَعْبةً فلم يقدِر على النِّيَاحة. فقال لها عبدها عبد الملك: أنا أَنُوحُ لكِ نَوْحاً أُنْسِيكِ به نَوْحَ ٱبنِ سُرَيج. قالتْ: أوَ تُحْسِنُ ذاك؟ قال نعمْ. فأمرتْه فناح؛ فكان نَوْحُه في الغاية من الجَوْدة، وقال النساء: هذا نَوْحٌ غَرِيضٌ؛ فلُقِّب عبدُ الملك الغَرِيضَ. وأفاق ٱبنُ سُرَيج من عِلّته بعد أيام وعرَف خبرَ وفاةِ ٱبن الحنفيةّ، فقال لهم: فمَنْ

= وأراد بالمعصوم المعتصم. وقال ٱبن نباتة:

فأقام بالورين حولا كاملا * يترقب القدَر الذى لم يُقـدَر

وما في البلاد إلا الاور المعروفة. وإذا صح بإجماع أهل اللغة أن البطحاء الأرض ذات الحصى، فكل قطعة من تلك الأرض بطحاء. (انظر ياقوت في مادة البطاح وديوان أبي تمام طبع مصر ص ٣٣٠).

(١) كذا في ب، س، حـ، م. وفي سائر النسخ: «فكان أوّل ما قُدّم به».

(٢) لم نعثر على ضبطه؛ وقد ورد ذكره في نهاية الأرب للنويرى في الجزء الرابع في ترجمته: «الكبات» بالباء. والكنة: زوج الآبن أو الأخ. وستأتي ترجمته في الجزء السابع عشر من الأغاني.

(٣) تقدم في ص ٢١١ من هذا الجزء: أن الثريا بنت على بن عبد الله بن الحارث هي التي ربّت الغريض المغنّى وعلمته النوح بالمراثى على من قتله يزيد بن معاوية من أهلها يوم الحرّة.

ناح عليه ؟ قالوا : عبدُ الملك غلامُ سُكَينة . قال : فهل جَوّز الناسُ[1] نوحَه؟ قالوا : نعمْ وقدّمه بعضُهم عليك. فحَلَف ٱبنُ سُرَيج ألّا ينوحَ بعد ذلك اليوم، وترَك النوحَ وعَدَل إلى الغناء، فلم يَنُحْ حتى ماتت حَبَابةُ[2]، وكانت قد أخَذتْ عنه وأحسنتْ إليه فناح عليها، ثم ناح بعدَها على يزيدَ بنِ عبد الملك، ثم لم يَنُحْ بعــدَه حتى هلَك .

قال : ولمّـا عدَل ٱبن سُرَيج عن النَّوْح إلى الغناء عَدَل معه الغَرِيضُ إليه، فكان لا يُغَنِّى صوتًا إلا عارضه فيه .

ابن سريج وعطاء ابن أبى رباح

أخبرنى رِضْوان بنُ أحمدَ الصَّيْدَلانِىّ قال حدّثنا يوسفُ بن إبراهيمَ قال : حدّث إسحاقُ بنُ إبراهيمَ المَوْصِلىّ[3] أبا إسحــاق إبراهيمَ بنَ المَهْدىّ وأنا حاضرٌ أنّ يحيى المَكِّىّ حدّثه أن عَطَاءَ بنَ أبى رَبَاحٍ لَقِىَ ٱبنَ سُرَيج بذى طُوًى[4]، وعليه ثيابٌ مُصَبَّغة وفى يده جَرَادَةٌ مشدودةُ الرِّجْل بخَيْطٍ يُطَيِّرها ويَجْذِبُها به كلّما تخلّفتْ[5]، فقال له عَطَاء : يا فَتَّانُ، ألا تَكُفُّ عما أنت عليه ! كفَى اللهُ الناسَ مَئُونتَك . فقال ٱبنُ سُرَيج : وما على الناسِ من تَلْوِينِى ثيابِى ولَعِبِى بجَرَادَتِى؟ فقال له : تَفْتِنُهم أغانيك

(١) أى أساغوا له ذلك وٱرتضوه . (٢) ضبط فى الكامل لٱبن الأثير طبع بولاق جزء ٥ صفحة ٥٠ سطر ٣ بتخفيف الباء الموحدة ؛ إذ يقول : سلامة بتشـديد اللام ، وحبابة بتخفيف الباء الموحدة ، وذلك فى ذكره لسيرة يزيد بن عبد الملك . وفى ترجمة حبابة فى الجزء الثالث عشر من الأغانى شعر يدل على أنه بتخفيف الباء أيضا وهو :

أبلغ حبابة أســق ربعها المطـر * ما للفؤاد ســوى ذكراكمُ وطـر
إن سار صحبى لم أمــلك تذكركم * أو عرّسوا فهموم النفس والسهر

(٣) كذا فى ت ، حـ ، ر . وفى سائر النسخ : « قال حدّثنا يوسف بن إبراهيم قال حدّثنا إسحاق الموصلىّ أن أبا إسحاق إبراهيم بن المهدى قال الخ» وهو من تحريف النساخ . (٤) ذو طوى : موضع عند مكة . (٥) فى ت : «تحلقت» ولم نجد فيا بين أيدينا من كتب اللغة هذه الصيغة بمعنى حلق الطائر إذا ٱرتفع فى الهواء واستدار كهيئة الحلقة . ويستأنس لذلك بما ورد فى شعر مهيار الديلمى فى قوله :

وزاد عــزا أنفسا تحلّقت * فوق السها وما ٱنتهت أقـدارها

الخَبِيثَةُ. فقال له ابنُ سُرَيج : سألتُك بحق من تَبِعْتَه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم، وبحقّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليكَ، إلّا ما سمعتَ منّى بيتًا من الشعر ، فإن سمعتَ مُنكَرًا أمرتَنى بالإمساك عما أنا عليه . وأنا أُقسِم بالله وبحقّ هــذه البَنِيَّة لئن أمرتَنى بعــد آستماعك منّى بالإمساك عمــا أنا عليه لأفعلنَّ ذلك . فأطمع ذلك عَطَاءً فى آبنِ سُرَيج، وقال : قُلْ . فاندفع يغنّى بشعر جَرِير :

صـــــوت

إنّ الذين غَــدَوْا بلُبِّكَ غادَرُوا * وَشَــلًا(1) بعينــك لا يزال مَعِينَا(2)

غَيَّضْنَ(3) مِن عَبَرَاتِهِنّ وقُلْنَ لى * ماذا لَقِيتَ من الهــوى ولَقِينَا

— لَحْنُ آبنِ سُرَيج هذا(4) ثَقِيلٌ أوّلُ بالوُسْطَى عن آبن المَكّىّ والهِشَامىّ ، وله أيضا فيــه رَمَلٌ . ولإسحاق فيه رَمَلٌ آخرُ بالوُسْطَى . وفيــه هَزَجٌ بالوُسْطَى يُنْسَبُ إلى آبن سُرَيج والغَرِيض — قال : فلمّا سَمِعَه عَطَاءٌ آضطرب آضطرابًا شديدًا ودخلتْه أَرْيَحِيَّــةٌ ، فحلَف ألّا يُكلِّمَ أحدًا بقيةَ يومه إلا بهــذا الشِّعْر ، وصار إلى مكانه من المسجد الحرام؛ فكان كلُّ من يأتيه سائلًا عن حَلَالٍ أو حَرَامٍ أو خبرٍ من الأخبار، لا يُجِيبُه إلا بأن يَضرِبَ إحدى يديه على الأخرى ويُنْشِدَ هــذا الشِّعْرَ(5) حتى صَــلَّى المغربَ، ولم يُعاوِدِ آبنَ سُرَيْج بعد هذا ولا تَعَرَّضَ له .

---

(1) الوشل : المــاء والدمع القليل والكثير . والمراد هنا الدمع الكثير . (2) المعين : الجارى السائل على وجه الأرض . وقد قيل فى اشتقاقه إنه اسم مفعول من عان المــاءَ : أساله . وقيل هو اسم مفعول لا فعل له ، وقيل هو صفة مشبهة من مَعَن المــاءُ يَمْعَن فهو مَعِين إذا جرى وسال . (انظر اللسان مادتى عين ومعن) . (3) غيضن من عبراتهن : أرسلن دموعهن حتى نزفنها . (4) كذا فى ت ، حـ ، ر . وفى سائر النسخ : «لحن ابن سريج هــذا الصوت ثقيــل أوّل الخ» . (5) فى ا ، م ، ب ، سـ : «هذا الصوت» .

ابن سريج ويزيد ابن عبد الملك

أخبرنى جَعْفَرُ بنُ قُدَامَةَ قال حدّثنى حَمَّادُ بنُ إسحاقَ عن أبيه، وأخبرنى الحَسَنُ ابن علىّ قال حدّثنى الفَضْلُ بن محمد اليَزِيدىّ قال حدّثنى إسحاقُ عن آبنِ جَامِعٍ عن سِيَاطٍ عن يُونُسَ الكاتب قال:

لمّا قال عمرُ بن أبى ربيعةَ:

نَظَرتُ إليها بالْمُحَصَّبِ من مِنًى * ولى نَظَرٌ لولا التَّحَرُّجُ عَارِمُ

غَنَّى فيه آبنُ سُرَيجٍ.

١٠١ / ١

قال: وحَجَّ يزيدُ بنُ عبد الملك فى تلك السنة بالناس، وخرج عمرُ بن أبى ربيعةَ ومعه آبنُ سُرَيجٍ على نَجِيبَيْنِ رِحَالَتَاهما[1] مُلْبَسَتانِ بالدِّيباج، وقد خضَبا النجيبين ولبِسا حُلَّتَين، فجعَلا يتلقّيان الحاجَّ ويتعرّضان للنساء إلى أن أظلم الليلُ، فعَدَلا إلى كَثِيبٍ مُشْرِفٍ والقمرُ طالعٌ يُضِىءُ، فجلسا على الكثيب، وقال عمرُ لآبنِ سُرَيجٍ: غَنِّنى صوتَك الجديدَ، فاندفع يغنّيه، فلم يَسْتَتِمَّه إلا وقد طلَع عليه رجلٌ راكبٌ على فرسٍ عَتِيقٍ، فسلَّم ثم قال: أَيُمكِنُكَ — أعزَّك اللهُ — أن تَرُدَّ هذا الصوتَ؟ قال: نعمْ ونُعْمَةَ عينٍ[2]، على أن تنزلَ وتجلسَ معنا. قال: أنا أَعْجَلُ من ذلك، فإن أَجْمَلْتَ وأنعمْتَ أَعَدْتَه! وليس عليكَ من وقوفى شىءٌ ولا مَئُونةٌ، فأعاده. فقال له: باللهِ أنت آبنُ سُرَيجٍ؟ قال نعمْ. قال: حيَّاكَ اللهُ! وهذا عمرُ بنُ أبى ربيعةَ؟ قال نعمْ. قال: حيَّاكَ اللهُ يا أبا الخطّاب! فقال له: وأنت فحيَّاك اللهُ! قد عرَفتَنا فعرِّفْنا نفسَك. قال: لا يمكنُنى ذلك. فغضِبَ آبنُ سُرَيجٍ وقال: واللهِ لو كنتَ يزيدَ بنَ عبدِ الملك لَمَا زاد. فقال له: أنا يزيدُ بنُ عبد الملك. فوثَب إليه عمرُ فأعظَمه،

(١) الرحالة: سرج من جلود لا خشب فيه يتخذ للركض الشديد يكون للخيل والنجائب من الإبل. وفى ب، س: «راحلتاهما» وهو تحريف. (٢) نعمة عين: مثلثة النون. قال سيبويه: نصبوه على إضمار الفعل المتروك إظهاره أى أفعل ذلك كرامة لك وإنعاما لعينك (أى قرّة لها).

ونزل ابنُ سُرَيج إليه فقبّل رِكابَه؛ فنزع حُلَّتَه وخاتَمَه فدفعهما إليه، ومضى يَرْكُض حتى لَحِق ثَقَلَه. فجاء بهما ابنُ سُرَيج إلى عمرَ فأعطاه إياهما، وقال له: إنّ هذين بك أشبهُ منهما بي. فأعطاه عمرُ ثلثمائة دينار وغدا فيهما إلى المسجد، فعرَفهما الناسُ وجعلوا يتعجّبون ويقولون: كأنهما والله حُلّةُ يزيدَ بنِ عبد الملك وخاتَمُه، ثم يسألون عمرَ عنهما فيُخْبِرُهم أنّ يزيدَ بنَ عبدِ الملك كَساه ذلك.

وأخبرني بهذا الخبر جعفرُ بن قُدَامَةَ أيضا قال وحدّثني ابن عبدُ الله بن أبي سَعيد قال حدّثني عليُّ بن الصَّبّاح عن ابنِ الكَلْبِيّ قال:

غناء ابن سريج في طريق الحاج ووقفة الناس بحسن غنائه

حَجَّ عمرُ بنُ أبي ربيعةَ في عامٍ من الأعوام على نَجِيبٍ له مَخْضُوبٍ بالحِنّاء مشهَّر الرَّحْل بقِرابٍ(1) مُذْهَبٍ(2)، ومعه عُبَيد بنُ سُرَيج على بغلةٍ له شَقْراء(3)، ومعه غلامُه جَنّادٌ يقُود فرسًا له أدهمَ أغرَّ مُحَجّلا، وكان عمرُ بن أبي ربيعةَ يُسَمّيه «الكوكبَ»، في عُنقه طَوْق ذَهَبٍ — وجَنّادٌ هذا هو الذي يقول فيه:

صوت

فقلتُ لِجَنّادٍ خُذِ السيفَ واشتمِلْ * عليه برِفْقٍ وارْقُبِ الشمسَ تَغْرُبِ
وأَسْرِجْ لِيَ الدَّهْماءَ واعْجَلْ بِمِمْطَرِي(4) * ولا تُعلِمَنْ خَلْقًا من الناسِ مَذْهَبِي

الغناء لِزُرْزُرٍ(5) غلامِ المارِقيّ خفيفُ ثقيلٍ وهو أجود صوتٍ صنَعه — قال: ومع عمرَ جماعةٌ من حَشَمِه وغِلْمانه ومَوَاليه وعليه حُلَّةٌ مَوْشِيّةٌ يمانِية، وعلى ابنِ سُرَيج

---

(1) قال الأزهريّ: قراب السيف: شبه جراب من أدَم يضع الراكب فيه سيفه بجفنه وسوطه وعصاه وأداته. وقال ابن الأثير: هو شبه الجراب يطرح فيه الراكب سيفه بغمده وسوطه وقد يطرح فيه زاده من تمر وغيره.

(2) الإذهاب والتذهيب واحد وهو الطلاء بالذهب.

(3) في حـ، ر: «أشقر».

(4) المطر والمطرة: ثوب يتخذ لتوقي المطر.

(5) في حـ، ر، ب، س: «زرزور».

ثوبانِ هَرَوِيَّانِ[1] مرتفعانِ، فلم يَمُرُّوا بأحدٍ إلّا عَجِبَ من حسنِ هيئتهم، وكان عمر من أَعْطَرِ الناسِ وأحسنِهم هيئةً[2]، فخرجوا من مكةَ يومَ التَّرْوِيَة بعد العَصْرِ يُرِيدُون مِنًى، فمَرُّوا بمنزلِ رجلٍ من بنى عبدِ مَنَاف بمِنًى قد ضُرِبَتْ عليه فَساطِيطُه وخِيَمُه، ووَافَى الموضعَ عمرُ فأبصر بنتًا للرجل قد خرجتْ من قُبَّتها، وسَتَرَ جواريها دون القُبَّة لئلا يراها مَنْ مَرَّ. فأشرَف عمرُ على النَّجيب فنظَر إليها، وكانت من أحسن النساء وأجملِهن. فقال لها جَوَارِيها : هذا عمرُ بن أبى ربيعة. فرفَعتْ رأسَها فنظَرت إليه، ثم سترتها الجَوَارِى وولائدها عنه وبَطَّنَّ دونَها بسَجْفِ القُبَّة حتى دخلتْ. ومَضَى عمرُ إلى منزله وفَسَاطِيطه بمِنًى، وقد نظَر من الجارية إلى ماتَيَّمَه ومن جمالها إلى ما حَيَّرَه، فقال فيها :

نَظَرتُ إليها بالمُحَصَّبِ من مِنًى * ولى نَظَرٌ لولا التَّحَرُّجُ عَارِمُ

فقلتُ أشمسٌ أم مَصابِيحُ بِيعَةٍ * بدتْ لك خَلْفَ السَّجْفِ أم أنت حالمُ

بَعِيدةُ مَهْوَى القُرْطِ إمّا لنَوْفَلٍ * أبوها و إمّا عبدُ شمسٍ وهاشمُ

ومَدّ عليها السَّجْفَ يومَ لَقِيتُها * على عَجَلٍ تُبّاعُها والخَوَادِمُ

فلم أستطِعْها غيرَ أنْ قد بدا لنا * على الرَّغْم منها كَفُّها والمَعَاصِمُ

مَعاصِمُ لم تَضرِبْ على البَهْم بالضُّحَى * عَصَاها ووجهٌ لم تَلُحْه السَّمَائمُ

نَضِيرٌ تَرَى فيه أَسَارِيعَ مائه * صَبِيحٌ تُغَادِيه الأكُفُّ النَّوَاعمُ

إذا ما دعتْ أترابَها فاكتنَفْنَها * تَمَايَلْنَ أو مالتْ بهنّ المآكِمُ

طَلَبْنَ الصِّبَا حتى إذا ما أَصَبْنَه * نَزَعْنَ وهنّ المُسْلِماتُ الظَّوَالمُ

(١) ثوب هرويّ : منسوب إلى هراة . ولم نعثر فى لطائف المعارف للثعالبى ونهاية الأرب للنويرى على ميزة خاصة لهذه الثياب، غير أنه قد يكون صبغها أصفر. قال فى القاموس وشرحه : هرّى ثوبه تهرية : اتخذه هرويا أو صبغه وصفره . ثم قال : وكانت سادة العرب تلبس العمائم الصفر وكانت تحمل من هراة مصبوغة، ويقال لمن لبسها : قد هرّى عمامته . (٢) فى حـ، ر : « لبسة » .

ثم قال عمر لابن سُرَيج : يا أبا يحيى ، إنى تفكَّرتُ فى رجوعنا مع العَشِيَّة الى مكةَ مع كثرة الزِّحام والغُبَار وجَلَبَة الحَاجِّ فثقُل علىّ ، فهل لك أن نَرُوحَ رَوَاحاً طيِّبا معتزِلا ، فنَرَى فيـه من راح صادراً الى المدينة من أهلها ، ونَرى أهلَ العراق وأهلَ الشّام ونتعلَّلَ[1] فى عَشِيَّتنا وليلتنا ونستريحَ ؟ قال : وأنّى ذلك يا أبا الخطَّاب؟ قال : على كثيب أبى شَحْوَةَ[2] المُشْرِف على بَطْنِ يَأْجَجَ[3] بين مِنًى وسَرِف ، فنُبْصِر مُرُورَ الحاجّ بنا ونَرَاهُم ولا يَرَوْنا . قال ٱبنُ سُرَيج : طَيِّبٌ والله ياسـيِّدى . فدعا بعضَ خَدَمه فقال : ٱذهَبُوا الى الدار بمكّة ، فاعمَلوا لنا سُفْرةً[4] وٱحِملوها مع شَرَابٍ الى الكَثيب ، حتّى إذا أَبْرَدْنا[5] ورمَيْنا الجَمْـرة[6] صِرنا إليكم — قال : والكثيب على خمسةِ أميالٍ من مكّةَ مُشرِفٌ على طريق المدينةِ وطريق الشّام وطريق العِراق ، وهو كثيبٌ شـامخٌ

---

(١) نتعلل : نتلهى ونتسلى . (٢) فى ت : « أبى شجوة » . وفى أ ، ء ، ب ، سـ : «أبى سِجرة» وفى سائر النسخ : « أبى شجرة » ، وكل ذلك محرّف عن « أبى شحوة » بالشين المعجمة المفتوحة والحاء المهملة الساكنة ثم واو مفتوحة ، ذكره ياقوت وعرّفه كما فى الأصل (٣) يأجج كيسمع وينصر ويضرب : موضع من مكة على ثمانية أميال ، وكان من منازل عبد الله بن الزبير . (انظر شرح القاموس مادة يأجج) . (٤) السفرة بالضم : طعام يتخذ للمسافر (كاللُّهنة للطعام الذى يؤكل بكرة) وأكثر مايحمل فى جلد مستدير ، فنقل ٱسم الطعام إليه وسمى به كما سميت المزادة راوية ؛ وفى حديث عائشة : صنعنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولأبى بكر سفرة فى جراب (أى طعاما) لما هاجر هو وأبو بكر رضى الله عنـه . وفى حـ ، مـ : « سُـفَرا » بصيغة الجمـع . (٥) أبردنا : دخلنـا فى آخر النهار . (٦) الجمرة : واحدة جمرات المناسك وهى ثلاث جمرات ترمى بها الجمار ، بين كل واحدة والأخرى غلوة (رمية) سهم . وسمى موضع رمى الجمار بمـنى جمرة لأنه يرمى بالجمار (جمع جمرة وهى الحصاة) أو أنه سمى جمرة لأنه مجمع الحصى التى ترمى بها ، من الجمرة وهى ٱجتماع القبيلة على من ناوأها .

مُستَدِقٌّ[1] أعلاه منفردٌ عن الكُثبان — فصارا إليه فأكلا وشربا. فلمّا ٱنتَشَيا أخذ ٱبنُ سُرَيج الدُّفّ[2] فنقره وجعل يُغَنّى وهم ينظُرون الى الحاجّ. فلمّا أَمْسَيا رفع ٱبنُ سُرَيج صوتَه يُغَنّى فى الشِّعْر الذى قاله عمرُ، فسمِعه الرُّكبانُ فجعلوا يَصيحُون به: ياصاحبَ الصَّوت أمَا تتّقى اللهَ! قد حبَسْتَ الناسَ عن مَناسِكهم! فيسكُتُ قليلًا، حتى إذا مَضَوْا رفع صوتَه وقد أخذ فيه الشَّرَابُ فيقفُ آخرون، الى أن مَرَّتْ[3] قطعةٌ من الليل، فوقَف عليه فى الليل رجلٌ على فرسٍ عَتيقٍ[4] عَرَبىٍّ مَرِحٍ مُسْتَنٍّ[5] فهو كأنه ثَمِلٌ، حتى وقَف بأصل الكَثيب وثنَى رجلَه على قَرَبُوس[6] سَرْجِه، ثم نادى: يا صاحبَ الصوت، أَيَسْهُلُ عليك أن تَرُدّ شيئا مما سمعتُه؟ قال: نعمْ ونِعْمَةَ عَيْنٍ، فأيَّها تُرِيد؟ قال: تُعيد علىّ:

ألَا يا غُرَابَ البَيْنِ مالكَ كلّما ❊ نَعَبْتَ[7] بِفِقْدانٍ علىَّ تَحُومُ
أبِالبين من عَفْرَاءَ أنت مُخَبِّرى ❊ عَدِمْتُك مِنْ طيرٍ فأنت مَشُومُ

— قال: والغناء لٱبن سُرَيج — فأعاده، ثم قال له ٱبن سُرَيج: ٱزْدَدْ إن شئتَ. فقال: غنِّنى:

---

(١) كذا فى حـ، ر. وفى سائر النسخ: «وهو كثيب شامخ مشيد وأعلاه مفرد عن الكثبان».

(٢) الدف بالضم ويفتح، قال فى القاموس: وبالضم أعلى، وحكى الجوهرىّ أن الفتح فيه لغة.

(٣) فى ب، سـ: «سرت». (٤) العتيق من الخيل: الرائع الكريم الأصل.

(٥) فرس مستن: نشيط. (٦) القربوس (بفتح الراء ولا يسكن إلا فى ضرورة الشعر: وحكى أبو زيد أن السكون فيه لغة): مقدّم السرج ومؤخره (ويقال لهما حنوا السرج) كل منهما قربوس. (٧) كذا فى ب، سـ. وفى حـ: «نعيت» بالياء المثناة. وفى سائر النسخ: «تلوت».

١٠٣ / ١

أَمَسْلَمَ[1] إِنِّى يا ابنَ كلِّ خليفةٍ * ويا فارسَ الهَيْجا ويا قمرَ[2] الأرضِ

شكرتُك إنّ الشكرَ حبلٌ من التُّقَى[3] * وما كلُّ مَنْ أقرضتَه نعمةً يقضى

ونوّهتَ لى باسمى وما كان خاملاً * ولكنّ بعضَ الذكرِ أنبهُ من بعضِ

فغنّاه، فقال له : الثالثَ ولا أستزيدُك . فقال : قل ما شئتَ . فقال : تغنّينى

يا دارُ أقوتْ بالجِزْعِ[4] فالكَثَبِ[5] * بين مَسيلِ العُذَيبِ[6] فالرُّحَبِ[7]

لم تتقنّعْ بفضلِ مئزرِها[8] * دَعْدٌ ولم تُسْقَ دعدُ فى العُلَبِ[9]

(١) يريد مسلمة بن عبد الملك . وسيأتى هذا الشعر فى أخبار أبى نخيلة ونسبه فى الجزء الثامن عشر من الأغانى وأن أبا نخيلة وفد على مسلمة بن عبد الملك فمدحه ولم يزل به حتى أغناه . قال يحيى بن تميم : فحدّثنى أبو نخيلة قال : وردت على مسلمة بن عبد الملك فمدحته وقلت له «أمسلم الخ» . قال فقال لى مسلمة : ممن أنت؟ فقلت : من بنى سعد . فقال : مالكم يا بنى سعد والقصيد ! وإنما حظكم فى الرجز . قال فقلت : أنا والله أرجز العرب . قال : فأنشدنى من رجزك ، فكأنى والله لما قال ذلك لم أقل رجزا قط ، أنسانيه الله كله ، فما ذكرت منه ولا من غيره شيئا إلا أرجوزة لرؤبة قد كان قالها فى تلك السنة فظننت أنها لم تبلغ مسلمة فأنشدته إياها فنكس وتعتعت ، فرفع رأسه إلىّ وقال : لا تتعب نفسك فأنا أروى لها منك . قال : فانصرفت وأنا أكذب الناس عنده وأخزاهم عند نفسى ، حتى استضلعت بعد ذلك ومدحته برجز كثير فعرفنى وقرّبنى ، وما رأيت ذلك فيه يرحمه الله ولا قرّعنى به حتى افترقنا . (٢) فى ت ، أ ، م ، ى : «ويا جبل الأرض» . (٣) فى أ ، س ، ى ، م : «جزء» . (٤) الجزع : منعطف الوادى . ولعله يريد به جزع الدواهى وهو موضع بأرض طيئ . (٥) الكثب (بالتحريك ويسكن) : واد فى ديار طيئ . (٦) العذيب : ماء بين القادسية والمغيثة . أو هو واد لبنى تميم ، وهو من منازل حاج الكوفة ، وقيل هو حد السواد . وكتب عمر رضى الله عنه يوصى سعد بن أبى وقاص ، وذكر فى كتابه عذيب الهجانات وعذيب القوادس (راجع معجم البلدان) . (٧) الرُّحَب بضم الراء وفتح الحاء المهملتين : موضع ، ولم يذكره أبو عبيد ولا ياقوت ، وقد ورد فى هذا الشعر

يا دار أسماء بين السفح فالرحب * أقوت وعفى عليها ذاهب الحقب

(انظر خزانة الأدب للبغدادى ج ١ ص ١٦٦) (٨) أى لم تجعل فضل مئزرها قناعا لها ، والقناع والمقنع والمقنعة : ما تغطى به المرأة رأسها ومحاسنها . وفى لسان العرب مادة لفع وشرح الأشمونى طبع بولاق ج ٢ ص ٤٧٥ : «تتلفع» . واللفاع والملفعة : ما تلفّع به . (٩) فى اللسان مادة لفع و ت ، ح ، ر : «بالعلب» . والعلب : جمع علبة ، وهى كما قال الأزهرى : جلدة تؤخذ من جنب جلد البعير إذا سلخ وهو فطير ، فتسوّى مستديرة ثم تملأ رملا سهلا ثم تضم أطرافها وتخل بخلال ويوكى عليها مقبوضة بحبل وتترك حتى تجفّ وتيبس ، ثم يقطع رأسها وقد قامت قائمة لجفافها ، تشبه قصعة مدوّرة كأنها نحتت نحتا أو خرطت خرطا ، ويعلقها الراعى والراكب فيحلب فيها ويشرب بها ، وللبدوىّ فيها رفق خفتها وأنها لا تنكسر إذا حركها البعير أو طاحت إلى الأرض . (انظر اللسان مادة علب) . يريد أنها ليست من البدويات الفقيرات التى تشتمل بفضل مئزرها ترفعه على رأسها ، ولا ممن يشرب ألبان الإبل فى هذه العلب ، ولكنها ممن نشأ فى نعمة وكسى أحسن كسوة .

فغنّاه . فقال له ابنُ سُرَيج : أبقيتْ لكَ حاجةٌ ؟ قال : نعمْ ، تنزِلُ إلىّ لأُخاطِبَك شِفَاهًا بمـا أُريد . فقال له عمرُ : انْزِلْ إليه ، فنزَل . فقال له : لولا أنّى أُريد وَدَاعَ الكعبة وقد تقدّمنى ثَقَلِى وغِلْمانى لأَطَلْتُ المُقَامَ معك ولنزلتُ عندكم ، ولكنّى أخافُ أن يَفْضَحَنِى الصبحُ ، ولو كان ثَقَلِى معى لمـا رَضِيتُ لك بالهُوَيْنَى ، ولكن خذ حُلَّتِى هذه وخاتَمِى ولا تُخْدَعْ عنهما ؛ فإن شراءهما ألفٌ وخمسمائة دينار. ٥

وذكر باقىَ الخبرِ مثلَ ماذكره حمادُ بن إسحاق .

نسبة ما فى هذا الخبر من الأغانى

صـــوت

نظَـرتُ إليها بالمحصَّب من مِـنًى * ولى نظـرٌ لولا التّحـرُّجُ عارِمُ

فقلت أشمسٌ أم مصابيـحُ بِيعَـةٍ * بدتْ لك خلفَ السِّجْفِ أم أنت حالم ١٠

بعيـدةُ مَهْوَى القُـرط إمّا لنَوْفَلٍ * أبوها وإمّا عبـدُ شمس وهاشمُ

الشعر لعمرَ بنِ أبى ربيعة . والغناء لمَعْبَد ثقيلٌ أوّلُ بالسَّبَّابَةِ فى مَجْرَى البِنْصَر عن إسحاقَ . وفيه لابنِ سَرَيج رَمَلٌ بالسبابة فى مجرى البِنْصَر عنـه . وقد نُسِبَ فى مواضعَ من هذا الكتاب .

صـــوت ١٥

ألا ياغُرَابَ البَيْنِ مالكَ كُلَّمـا * نَعَبْتَ بفِقْدَانٍ علىَّ تَحُـومُ

أبالبَيْنِ من عَفْـراءَ أنت مُخَبِّرى * عَدِمْتُـك من طيرٍ فأنت مَشُـومُ

الشعر لقَيْس بن ذَرِيح ، وقيل : إنه لغيره . والغناء لابن سُرَيج رَمَلٌ بالوُسْطَى عن الهِشامىّ .

صـــــوت

أَمَسْلَمَ إنّى يابْنَ كلِّ خليفـــةٍ * ويافارسَ الهَيْجا ويا قمرَ الأرض
شكرتُك إنّ الشكر حبْلٌ من التُّقَى * وما كلُّ مَنْ أوليتَــه نعمةً يَقْضى
ونوّهتَ لى باسمى وما كان خاملًا * ولكنّ بعضَ الذكر أنبهُ من بعض

الشعر لأبى نُخَيْلة[1] الحِمّانِىّ[2]. والغناء لابن سُرَيج ثانى ثقيلٍ بالوُسْطَى، وقد أُخرِج ذا الصوتُ مع سائر أخبار أبى نُخَيْلة فى موضع آخر.

إجلال المغنين لابن سريج وعلو كعبه فى صنعة الغناء

حدّثنى الحَرَمىّ بن أبى العَلَاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثنى محمد بن سَلّام لجُمَحِىّ قال حدّثنى عُمَرُ[3] بنُ أبى خَليفةَ قال:

كان أبى نازلًا فى عُلْوٍ، فكان المُغَنّون يأتونه. قال فقلت: فأيُّهم كان أحسنَ ناءً؟ قال: لا أدرى، إلّا أنّى كنتُ أراهم إذا جاء ابنُ سُرَيج سَكَتُوا.

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجَوْهَرِىّ قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنى سحاقُ بنُ إبراهيمَ المَوْصِلىّ قال حدّثنى الزُّبَيرِىّ — يعنى عبدَ الله بنَ مُصْعَب — عن مرو[4] بن الحارث، قال إسحاق: وحدّثنيه المَدَائنىُّ ومحمدُ بنُ سَلّام عن المُحْرِز بن جعفر بن عمرو بنِ[5] سَعْد مَوْلَى الحارث بن هِشَام قال:

١٠٤ / ١

(١) أبو نخيلة بضم النون وفتح الخاء، وسيأتى ترجمته فى الجزء الثامن عشر من الأغانى، وأن أبا نخيلة سمه لا كنيته. وقال ابن قتيبة: اسمه يعمر، وكنى أبا نخيلة لأن أمه ولدته إلى جنب نخلة. (انظر خزانة لأدب للبغدادى ج ١ ص ٧٩ والأغانى ج ١٨ فى ترجمته). (٢) الحمانى (بكسر الحاء المهملة وفتح لميم المشددة وفى آخرها نون بعد الألف): نسبة إلى بنى حمان، وهى قبيلة نزلت الكوفة.

(٣) كذا فى م. وفى سائر النسخ: «عمران» وهو تحريف؛ إذ لم نعثر فى كتب التراجم على من تسمى عمران بن أبى خليفة. والذى ورد فيها عمر بن أبى خليفة توفى سنة ١٨٩ وهو من شيوخ محمد بن سلام لجمحى. (٤) كذا فى ت، حـ، ر. وفى سائر النسخ: «عمر» بدون واو. ولم نعثر فى كتب لتراجم على من تسمى بعمر بن الحارث. (٥) فى ت، حـ، ر: «عمير».

خرج ٱبنُ الزُّبَير ليـلةً إلى أبى قُبَيْس فسمِع غِنـاءً، فلما ٱنصرفَ رآه أصحابُه وقد حَالَ لونُه ، فقالوا : إنّ بك لشرًّا . قال : إنه ذاك . قالوا : ما هو ؟ قال : لقد سمِعتُ صوتًا إن كان من الجنّ[1] إنه لَعَجَبٌ ، و إن كان من الإنْس فما ٱنتهَى مُنْتهاه شىءٌ ! قال : فنظروا فإذا هو ٱبن سُرَيج يتغنّى :

صـــوت

أمِنْ رَسْمِ دارٍ بوادى غُدَرْ[2] * لجاريةٍ من جَوَارِى مُضَرْ
خَدَلَّجَةِ[3] السَّاقِ مَمْكُورَةٍ[4] * سَلُوسِ الوِشَاحِ[5] كمثلِ القَمَرْ
تَزِينُ[6] النسـاءَ إذا ما بَدَتْ * ويُبْهَتُ[7] فى وجهها مَنْ نَظَرْ

الشعر لِيَزيدَ بن معاوية . والغناء لٱبن سُرَيج رَمَلٌ بالبِنْصر عن يونُسَ وحَبَشٍ .

قال إسحاق : وذكَر المَدَائنىّ فى خبره أنّ عمر بن عبـد العزيز مَرَّ أيضا فسمِع صَوتَ ٱبن سُرَيج وهو يتغنّى :

* بَتَّ الخَلِيطُ قُوَى الحَبْلِ الذى قَطَعُوا *

فقال عمرُ : لله دَرُّ هذا الصوتِ لو كان بالقرآن ! قال المدائنىّ : وبلغنى من وجه آخرَ أنه سمِعَه يغنّى :

---

(١) كذا فى جميع النسخ بغير فاء الجزاء وعلى تقديرها ، وجوّزه أبو الحسن الأخفش وخرّج عليه قوله تعالى : (كُتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرا الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقا على المتقين) .
(٢) كذا فى حـ ، ر ، ب ، سـ . وفى سائر النسخ : «عذر» . وغدر (بضم ففتح) : من مخاليف اليمن وبه حصن ناعط (وهو حصن فى رأس جبل بناحية اليمن قرب عدن) . قيل هو مأخوذ من الغدر وهو الموضع الكثير الحجارة الصعب المسلك ، ويصحف بعذر .
(٣) الخدلجة : الريّا الممتلئة الذراعين والساقين .
(٤) الممكورة : المطوية الخلق المكتنزة اللحم .
(٥) سلوس الوشاح : قلقة الوشاح لينته .
(٦) تزين وتزدان : لغتان ، وكلاهما متعدّ بنفسه . قال فى اللسان : قالت أعرابية لابن الأعرابىّ : «بنت تزوننا إذا طلعت كأنك دلال ...» .
(٧) بهت كقرب وتعب وبُهِت مطاوع بهته فبُهِت : دهش وتحيّر وانبهر .

قَرَّبَ جيرانَنا جِمالُهُمُ * لَيلًا فأَضْحَوْا معًا قدِ آرتفعُوا

ما كنتُ أَدْرِى بوَشْكِ بَيْنِهِمُ * حتى رأيتُ الحُدَاةَ قدطَلَعُوا

فقال هذه المَقالةَ .

نسبة هذين الصوتين

صوت

بَتَّ الخليطُ قُوَى[1] الحَبْلِ الذى قَطَعُوا * إذ وَدَّعُوك فَوَلَّوْا ثم ما رَجَعُوا[2]

وآذَنُوكَ[3] ببَيْنٍ من وِصالِهِمُ * فما سَلَوْتَ ولا يُسْلِيكَ ما صَنَعُوا

يا آبنَ الطَّويلِ وكم آثَرْتَ من حَسَنٍ * فينا وأنت بما حُمِّلْتَ مُضْطَلِعُ[4]

نَحْظَى ونَبقَى بخيرٍ ما بَقِيتَ لنا * فإن هلكْتَ فما فى مَلْجَإٍ طَمَعُ

الشعر للأَحْوَص . والغناءُ لآبن سُرَيج[5] رَمَلٌ بالسَّبَّابةِ فى مَجْرَى البِنْصَر عن إسحاقَ . وذكر حَبَشٌ أنّ فيه رَمَلًا بالوُسْطَى عن الهِشَامِىّ .

نسبة الصوت الآخر

صوت

قَرَّبَ جيرانَنا جِمالُهُمُ * لَيلًا فأَصْحَوْا معاً قد آرتفعُوا

ما كنتُ أَدْرِى بوَشْكِ بَيْنِهِمُ * حتى رأيتُ الحُدَاةَ قدطَلَعُوا

(١) القوى : جمع قوّة وهى الطاقة الواحدة من طاقات الحبل . (٢) فى ت ، أ : « ربعوا » . وربعوا : وقفوا وآنتظروا . (٣) آذنوك : أعلموك . (٤) اضطلع بالأمر : نهض به وقوى عليه . (٥) فى ت ، م : « لآبن عباد » . وفى حـ : « لأبى عباد » . وأبو عباد كنية معبد المغنّى الذى تقدّمت ترجمته . وابن عباد هو محمد بن عباد مولى بنى مخزوم ويكنى أبا جعفر، مكىّ من كبراء المغنين . وستأتى ترجمته فى الجزء السادس من الأغانى .

على مِصَكَّيْنِ(١) من جِمَالِهُم * وعَنْتَرِيسَيْنِ(٢) فيهما خَضَعُ(٣)
يا قلبُ صبرًا فإنه سَفَهٌ * بالحُرِّ أن يَسْتَفِزَّه الجَزَعُ

الغناء لابن سُرَيج ثقيلٌ أوّلُ من أصواتٍ قليلةِ الأشباهِ عن إسحاقَ . وفيه رَمَلٌ بالسبّابة فى مجرى الوُسْطَى ذكره إسحاقُ ولم ينسُبه إلى أحد، وذكر أيضا فيه خَفيفَ رَمَلٍ بالسبّابة فى مجرى الوسطى ولم ينسُبه . وذكر الهِشَامىّ أنّ الرملَ للغَرِيض وخفيفَ الرَّمَلِ لابن المكّىّ . وذكرتْ دَنَانِيرُ والهشامىُّ أنّ فيه لمَعْبَد ثانىَ ثقيلٍ . وذكر عَمْرُو بنُ بَانَةَ أنّ الثقيلَ الأوّلَ للغَرِيض . وذكر عبدُ الله بن موسى أن لحنَ آبنِ سُرَيجٍ خفيفُ ثقيلٍ .

١٠٥ / ١

عدد الأصوات التى غنى فيها آبن سريج وحوار إبراهيم آبن المهدى و إسحاق الموصلىّ فى ذلك

أخبرنى رِضْوانُ بنُ أحمدَ الصَّيْدَلانِىّ قال حدّثنى يوسفُ بن إبراهيم قال:

حضرتُ أبا إسحاقَ إبراهيمَ بنَ المَهْدِىّ وعنده إسحاقُ الموصلىّ، فقال إسحاق : غنّى آبنُ سُرَيج ثمانيةً وستّين صوتا . فقال له أبو إسحاق : ما تجاوزَ قطُّ ثلاثةً وستّين صوتا . فقال بَلَى . ثم جَعَلا يُنشِدانِ أشعارَ الصّحيح منها حتى بلغا ثلاثةً وستّين صوتا وهما يتّفقان على ذلك، ثم أنشدَ إسحاقُ بعد ذلك أشعارَ خمسةِ أصواتٍ أيضا. فقال أبو إسحاقَ : صَدَقتَ ، هذا من غنائه ، ولكنّ لحنَ هذا الصوتِ نقلَه من

(١) المصك كمجن : القوىّ . (٢) العنتريس : الناقة الصلبة الوثيقة الشديدة الكثيرة اللحم الجواد الجريئة، وقد يوصف به الفرس . قال سيبويه : هو من العترسة التى هى الشدّة، لم يحك ذلك غيره .
(٣) الخضع : تطامن فى العنق ودنوّ الرأس إلى الأرض . والمراد أنهم ساجدت فى السير ؛ وذلك أن الإبل إذا جدّ بها السير خضعت أعناقها . قال الكميت :

خواضع فى كل ديمومة * يكاد الظليم بها يخجل

وقال جرير :

ولقد ذكرتك والمطىّ خواضع * وكأنهنّ قطا فلاة مُجْهَل

ـنـه فى الشعرِ الفُلانىّ ، ولحْنَ الثانى من لحْنِه الفلانىّ ، حتى عَدّ له الخمسة
أصواتٍ . فقال له إسحاق : صدقتَ . ثم قال له إبراهيمُ : إن ابنَ سُرَيج كان
رجلا عاقلا أديبا، وكان يُغنّى الناسَ بما يشتهون[1]، فلا يُغنّيهم صوتا مُدِحَ به أعداؤُهم
ولا صوتًا عليهم فيه عارٌ أو غَضَاضةٌ ، ولكنّه يَعدِل بتلك الألحانِ إلى أشعارٍ
أوزانها؛ فالصّوتانِ واحدٌ لا ينبغى أن نَعُدّهما[2] اثنين عند التحصيل مِنّا لغنائه ،
فصدّقه إسحاقُ. فقال له إبراهيم : فأيُّهما أولَى عندَك بالتَّقْدِمة[3] ؟ فقال :

وإذا ما عَثَرتْ فى مِرْطِها[4] * نَهَضَتْ بآسمِى وقالتْ يا عُمَرْ

فقال له إبراهيمُ : أَحْسَبُكَ[5] يا أبا محمد — مُتِّعتُ بكَ ! — ما أردتَ إلّا مُساعدتى[6].
قال : لا، والله ما إلى هذا قَصَدتُ، وإن كنتُ أَهْوَى كلَّ ما قرّبَنِى من محبّتك.
قال له : هذا أَحَبُّ أغانيه إلىّ، وما أَحسَبُه فى مَكانٍ أحسنَ منه عِندى، ولا كان
ابنُ سُرَيج يتغنّاه أحسنَ مما يتغنّاه جَوارِىَّ . ولئن كان كذلك فما هو عندى فى حُسْنِ
التَّجْزِئة والقِسْمةِ وصحّتِهما مِثْلُ لحْنِه فى :

صوت من المائة المختارة من رواية جحظة

حَيِّيَا أُمَّ يَعْمَـرَا[7] * قبلَ شَحْطٍ من النَّوَى
أَجْمَعَ الحىُّ رِحْلةً * ففُؤَادِى كَذِى الأَسَى
قلتُ لا تُعجِلُوا الرَّوَا * حَ فقالُوا ألا بَلَى

---

(١) فى ت ، حـ ، ر : « يعاشر » . (٢) فى ت ، حـ : « لا ينبغى أن يُعتدّ بهما اثنين » .
(٣) فى حـ ، ر : « بالتقديم » . (٤) المرط بالكسر : كساء من خز أو صوف أو كتان .
(٥) كذا فى حـ ، ر . وفى سائر النسخ : «حسبك يا أبا محمد» . (٦) فى ت ، ا ، م ، ء :
«أردت مساعدتى» . (٧) كذا فى الديوان ، حـ ، ر ، ب ، س . وفى سائر النسخ : «أم معمر» .

— الغناءلابن سُرَيج من القَدْر الأَوْسطِ من الثَّقيل الأوّلِ مُطْلَقٌ فى مَجْرَى الوُسْطَى. وفيه للهُذَلِىّ خَفِيفُ ثَقِيلٍ بالبِنْصر عن ٱبنِ المَكّىّ . وفيه لمالكٍ ثَقِيلٌ أوّلُ بالبِنْصَر عن عمرٍو. وفيه لحَنانِ من الثقيلِ الثانى: أحدُهما لإسحاق والآخرُ لأبيه[1]، ونسبه قومٌ إلى ٱبن مُحْرِز، ولم يصحّ ذلك — قال : فٱجتمعا معًا على أنه أوّل أغانيه وأحقُّها بالتقديم . وأمرنى أبو إسحاقَ بتَدْوينِ ما يَجْرِى بينهما ويَتَّفِقانِ عليه، فكتبتُ هذا الشعرَ . ثم ٱتّفقا على أنّ الذى يَلِيه :

وإذا ما عَثَرتْ فى مِرْطِها * نَهَضَتْ[2] بٱسمِى وقالتْ يا عُمَرْ

فأثبتُّه أيضا. ثم تناظَرا فى الثالث فاجتمعا على أنّه :

فتركتُه جَزَرَ[3] السِّباع يَنُشْنَهُ[4] * ما بين قُلَّةِ[5] رأسِه والمِعصَمِ[6]

فقال إسحاق : لو قدّمناه على الأغانى التى تَقَدّمَتْه كلِّها لكان يستحقّ ذلك . فقال أبو إسحاق : ما سمعتُه منذُ عرفتُه إلا أَبْكانى؛ لأنّى إذا سمعتُه أو ترنّمتُ به وجدتُ غَمْرًا على فؤادى[7] لا يَسْكُن حتى أَبْكِىَ. فقال إسحاقُ: إنّ مذهبَه فيه ليُوجِبُ ذلك ؛ فدوّنتُه ثالثا . ثم ٱتّفقا على الرابع وأنه :

فلم أرَ كالتَّجْمِير[8] مَنظَرَ ناظِرٍ * ولا كلَيالِى الحجّ أَفْتَنّ ذا هوَى

وتحدّثا بأحاديثَ لهذا الصوتِ مشهورةٍ . ثم تَناظَرا فى الخامس، فٱتّفقا على أنه :

عُوجِى علينا رَبّةَ الهَوْدَجِ * إنّكِ إلّا تَفْعلِى تَحْرَجِى[9]

---

(١) فى ب، سـ، م : «لأبنه» ، وهو تصحيف. (٢) فى حـ، ر، ب، سـ : «هتفت».
(٣) جزر السباع : اللحم الذى تأكله؛ يقال : تركوهم جزرا (بالتحريك) إذا قتلوهم وقطعوهم إربا إربا وجعلوهم معرّضين للسباع والطير. (٤) ينشنه : يتناولنه . (٥) قلة كل شىء : أعلاه .
(٦) فى ديوان عنترة : * يقضمن حسن بنانه والمعصم * والقضم : الأكل بمقدّم الأسنان.
(٧) فى حـ، ر : «على قلبى» . (٨) التجمير : رمى الجمار . (٩) تحرجى : تأثمى .

فأثبتَه . ثم تناظَرا فى السادس وٱتّفقا على أنه :

أَلَا هلْ هَاجَكَ الأَظْعَا * نُ إذ جَاوَزْنَ مُطَّلَحَا[1]

فأَثبتَه . ثم تَنَاظَرَا فى السابع فٱتَّفقا على أنه :

غَيَّضْنَ من عَبَراتِهِنَّ وقُلْن لِي * ماذا لَقِيتَ من الهوَى ولَقِينَا

٥ فأَثبتَه . وتناظرا فى الثامن فٱتفقا على أنه :

تُنكِرُ ٱلإِثْمِدَ لا تَعـرِفهُ * غيرَ أنْ تَسْمَعَ منه بِخَـبَرْ

فأثبتَه . وتناظرا فى التاسع فٱتّفقا على أنه :

ومِن أَجْلِ ذاتِ الخالِ أَعملْتُ ناقتِى * أُكَلِّفُها سَـيْرَ الكَلَالِ مـع الظَّلْعِ[2]

نسبة هذه الأصوات وأجناسها

١٠ منهـا :

صـــوت

و إذا ما عَثَرتْ فى مِرْطِهـا * نَهَضَتْ بٱسمِى وقالتْ يا عُمَرَ

الشعرُ لعمرَ بنِ أبى ربيعةَ . والغناءُ لٱبنِ سُرَيج خَفِيفُ رَمَلٍ بالوُسْطَى عن الهِشَامِىّ .

ومنهـا :

١٥

صـــوت

فتركْتُه جَزَرَ السِّباع يَنُشْنَهُ * ما بين قُلَّةِ رأسِه والمِعصَمِ

الشعرُ لعَنْتَرَةَ بنِ شَدَّادٍ العَبْسِىّ . والغناءُ لٱبنِ سُرَيج ثقيلٌ أوّلُ بالوُسْطَى عن عمرو.[3]

---

(١) مطلح ، قال ياقوت : هو موضع فى قوله : «وقـد جاوزن مطّلحا» ، ولم يبينه . وقال فى الأغانى (ج ٢ ص ٢١٤ من هذه الطبعة) فى أخبار ابن عائشة بعد أن ذكر سبعة أبيات منها هذا البيت : الشعر ترويه الرواة

٢٠ جميعا لعمر بن أبى ربيعة سوى الزبير بن بكار فإنه رواه عن عمه وأهله لجعفر بن الزبير بن العوّام ، ثم قال : ورواه الزبير : «إذ جاوزن من طلحا» ، وقال : ليس على وجه الأرض موضع يقال له مطلح» اهـ وطلح : كل وأعيا . وفى هذا الجزء نفسه (ص ٢٥٥) فى أخبار ٱبن أرطاة بعد أن روى أبياتا لٱبن سيحان قال قال : «أبو عمر : وابن سيحان الذى يقول : ألا هل هاجك الأظعا * ن إذ جاوزن مطلـحا

والناس يروونه لعمر بن أبى ربيعة لغلبته على أهل الحجاز جميعا» اهـ . (٢) كذا فى ت ، حـ ، م ، ى .

٢٥ وفى سائر النسخ : * وكلّفتها سير الكلال على الظلع * (٣) فى ت ، حـ ، م : «عن الهشامىّ» .

ومنهـا :

صـــوت

فلَمْ أَرَ كالتَّجْمِيرِ مَنْظَرَ ناظـرٍ * ولا كليالى الحجِّ أفْتَنَّ ذا هَوَى

الشعرُ لعمر بن أبى ربيعة . والغناءُ لابنِ سُرَيج رَمَلٌ بالوسطى عن عمرو .[1]

ومنهـا :

صـــوت

عُوجِى علينا رَبَّةَ الهَوْدجِ * إنّكِ إلّا تفعَلى تَحْـرَجِى

الشعرُ للعَرْجِىّ . والغناء لابنِ سُرَيج ثقيلٌ بالوسطى عن عمرو .

ومنهـا :

صـــوت

١٠٧ / ١

أَلَا هَلْ هاجكَ الأظعا * نُ إذ جاوَزْنَ مُطَّلَحا[2]

الشعر لعمر . والغناء لابن سُرَيج ثقيلٌ أوّلُ مُطْلَقٌ[3] فى مَجْرَى البِنْصر عن إسحاقَ . وفيه للغَرِيضِ لحنان: ثقيلٌ أوّلُ بالوُسْطَى فى مَجْرَاها عن إسحاقَ، وخَفِيفُ ثَقِيلٍ بالوُسْطَى عن عمرو . وفيه لمَعْبَدٍ ثقيلٌ أوّلُ ثالثٌ بالخِنْصر فى مَجْرَى الوُسْطَى عن إسحاقَ .

ومنهـا :

صـــوت

غَيَّضْنَ من عَبَراتِهِنَّ وقُلْنَ لى * ماذا لَقِيتَ من الهوى ولَقِينَا

الشعر لجَرِيرٍ . والغناء لابن سُرَيج رَمَلٌ بالبِنْصَر. وفيه لإسحاقَ رَمَلٌ بالوُسْطَى. وفيه للهُذَلِىّ[4] ثانى ثقيلٍ بالوُسْطَى عن الهِشَامِىّ .

---

(١) فى ت : «ثانى ثقيل بالوسطى عن عمرو» . وفى حـ ، ر : «ثانى ثقيل بالوسطى عن الهشامىّ» .

(٢) انظر الكلام عليه فى الصفحة السابقة .

(٣) فى حـ ، ر : «ثقيل أوّل ثالث بالخنصر فى مجرى البنصر» .

(٤) فى حـ ، ر : «وفيه للهذلىّ ثقيل بالوسطى» .

ومنها :

صـــوت

تُنْكِرِ الإِثْمِدَ لا تَعْـرِفُه * غيرَ أن تَسْمعَ منه بِخَبَرْ

الشعر لعبد الرحمن بنِ حَسَّان . والغناء لابنِ سُرَيج رَمَلٌ بالوُسْطَى .

٥ ومنها :

صـــوت

ومنْ أجلِ ذاتِ الخَالِ أعملتُ ناقتِي * أُكَلِّفُهـا سَـيْرَ الكَلَالِ مع الظَّلَعْ

الشـعر لعمر بن أبي ربيعة . والغناء لابن سُرَيج رَمَلٌ بالبِنْصر . وفيه لإسحاق رَمَلٌ بالوسطى[1] .

تنافر معبد ومالك ابن أبي السمح الى ابن سريج في صوتين غنياهما

١٠ أخبرني رِضْوانُ بنُ أحمدَ قال حدّثنا يوسفُ بن إبراهيمَ قال حدّثني أبو إسحاقَ إبراهيمُ بن المَهْدِيّ قال حدّثني الزُّبَيرِ بن دَحْمَانَ أنّ أباه حدّثه :

أنّ مَعْبَدًا تغنَّى :

آبَ لَيْـلِي بهُمومٍ وفِكَرْ[2] * من حَبِيبٍ هاجَ حُزْني والسَّهَرْ

يومَ أبصرتُ غراباً واقعًا * شَرَّ ما طارَ على شَرِّ الشَّجَرْ

١٥ فعارضه مالكٌ فغنَّى في أبياتٍ من هذا الشعر، وهي :

وجَرَتْ[3] لي ظَبيةٌ يتبَعُها * لَيِّنُ الأَظْلَافِ[4] من حُورِ[5] البَقَرْ

كلَّما كَفْكَفْتُ[6] مِنِّي عَبْرَةً * فاضتِ العينُ بمُنْهَلٍّ دِرَرْ[7]

(١) في أ ، ء : « والغناء لابن سريج رمل بالوسطى وفيه لإسحاق رمل بالبنصر » .

(٢) في ت ، حـ ، ر : « وذِكَر » بالذال المعجمة . (٣) في حـ ، ر ، م : « وجلت » . (٤) الظلف للبقرة والشاة والظبي وشبهها : بمنزلة القدم للإنسان . (٥) حور : جمع أحور وحوراء . والحَوَر : اشتداد بياض العين واشتداد سوادها . (٦) كفكف دمع العين : ردّه . (٧) درر : جمع دِرّة . والدِّرّة في الأمطار : أن يتبع بعضها بعضا ؛ قال النمر بن تولب :

سـلام الإله وريحانه * ورحمتـه وسماء دِرَرْ

أي ذات درر . وهو يريد بمنهل ذي دِرَرٍ . وقيل : الدرر : الدارّ؛ كقوله تعالى : (دينًا قِيَمًا) أي قائما .

٢٠

قال: فتلاحيا جميعًا فيما صنعاه من هذين الصّوتين، فقال كلّ واحدٍ منهما لصاحبه: أنا أجودُ صنعةً منك. فتنافرا[1] إلى ابن سُرَيج فمضيا إليه بمكّة. فلمّا قدِماها سألا عنه، فأُخبِرا أنه خرج يتطرّف[2] بالحنّاء فى بعض بساتينها. فاقتفيا أثره، حتى وقفا عليه وفى يده الحنّاء، فقالا له: إنّا خرجنا إليك من المدينة لتحكُم بيننا فى صوتين صنعناهما. فقال لهما: لِيُغَنِّ كلُّ واحدٍ منكما صوته. فابتدأ معبدٌ يغنّى لحنه. فقال له: أحسنتَ واللهِ على سوءِ اختيارك للشّعر! ياويحك! ما حملك على أن ضيّعتَ هذه الصّنْعة الجيّدة فى حُزْنٍ وسهرٍ وهُمومٍ وفكَرٍ! أربعةُ ألوانٍ من الحُزْن فى بيتٍ واحد، وفى البيتِ الثانى شرّان فى مِصْراعٍ واحدٍ، وهو قولُك:

* شرَّ ما طار على شرِّ الشّجَرْ *

ثم قال لمالك: هاتِ ما عندك، فغنّاه مالكٌ. فقال له: أحْسنتَ واللهِ ما شئتَ! فقال له مالكٌ: هـذا وإنما هو ابنُ شهْرِه، فكيف تراه ياأبا يحْيى يكون إذا حال عليه الحوْلُ! قال دحْمانُ: فحدّثنى معبدٌ أنّ ابنَ سُرَيج غضب عند ذلك غضبًا شديدًا، ثم رمى بالحنّاء من يديه وأصابعه وقال له: يامالك، ألِى تقولُ ابنُ شهْرِه! اسمعْ منّى ابنَ ساعته، ثم قال: ياأبا عبّاد، أنْشِدْنِى القصيدةَ التى تغنّيتُما فيها. فأنشدتُه القصيدةَ حتى انتهيت إلى قوله:

تُنْكِرا الإثْمِدَ لا تعْرِفُه * غيرَ أن تسْمَعَ منه بخَبَرْ

فصاح بأعلى صوته: هـذا خليلى وهذا صاحبى، ثم تغنّى فيه؛ فانصرفنا مَفْلُولَيْن مفْضُوحيْن من غير أن نُقيمَ بمكّةَ ساعةً واحدةً.

---

(١) تنافرا: تحاكما. قال أبو عبيد: المنافرة: أن يفتخر الرجلان كل واحد منهما على صاحبه ثم يحكّما بينهما رجلا. (٢) يتطرّف بالحناء: يخضب أطراف أصابعه به.

نسبة هذه الأغانى كلها

صــــوت

آبَ لَيْــلِى بِهُمُــومٍ وفِكَرْ * من حَبِيبٍ هاج حُزْنِى والسَّهَرْ
يومَ أبصــرتُ غرابًا واقعًا * شَرَّ ما طـارَ على شَرِّ الشَّــجَرْ
يَنْتِفُ الرِّيشَ عــلى عُــبْرِيَّةٍ[(١)] * مُرَّةِ المَقْضَم من دوحِ العُشَرْ[(٢)]

الشِّــعْر لعبد الرحمن بن حَسَّان بن ثابت يقولُه فى رَمْلَةَ بنتِ معاويةَ بن أبى سُفْيَانَ، وله معَها ومع أبيها وأخيها فى تَشْبِيبِه بها أخبارٌ كثيرةٌ ستُذْكَر فى موضعها إن شاء الله . ومن الناس من يَنْسُب هذا الشعرَ الى عمرَ بنِ أبى ربيعةَ، وهو غَلَطٌ . وقد بُيِّن ذلك مع أخبار عبد الرحمن فى موضعه .

والغناءُ لمَعْبَد خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالوُسْطَى عن يحيى المَكِّىّ، وذَكَر عَمْرُو بن بَانَةَ أنه للغَرِيض، وله لحَنٌ آخرُ فى هذه الطريقة .

صــــوت

وجَرَتْ لى ظَبْيَــةٌ يتبعُهــا * لَيِّنُ الأظلاف[(٣)] من حُورِ البَقَرْ
خلفَها أَطْلَسُ[(٤)] عَسَّالُ[(٥)] الضُّحَى * صادفتْــه يوم طَلٍّ وخَصَــرْ[(٦)]

(١) قال صاحب اللسان فى مادة عبر : العُبرية واحدة العُبرىّ، وهو من السِّدر (شجر النبق) ما نبت على عبر النهر وعظُم، منسوب الى العِبر بالكسر على غير قياس . وقال يعقوب : العبرى والعمرى منه ما شرب الماء، والذى لا يشرب يكون بريا وهو الضال . وقال أبو زيد : العبرى السدر وما عظم من العوسج (والعوسج شجر من شجر الشوك وله ثمر أحمر مدوّر كأنه خرز العقيق) . وليس شىء من هذه المعانى يتفق وقوله فى آخر البيت «من دوح العشر» . فلعله يريد هنا : على عبرية بكسر العين أى على شجرة من شجر العشر نابتة على عبر النهر . (٢) قال أبو حنيفة : العشر من العضاه وهو من كبار الشجر له صمغ حلو وهو عريض الورق ينبت صُعُدًا فى السماء وله سكّر يخرج من شُعَبه ومواضع زهره يقال له سكر العشر . وفى سكره شىء من مرارة، ويخرج له نُفّاخ كأنها شقاشق الجمال التى تهدر فيها، وله نَوْر مثل نور الدِّفْلَى مشرب مشرق حسن المنظر وله ثمر . (٣) كذا فى ح، ر . وفى سائر النسخ : «الأطراف» . (٤) الأطلس من الذئاب : ما فى لونه غبرة الى السواد . (٥) عسل الذئب يعسل عَسَلا وعَسَلانا : مضى مسرعا واضطرب فى عدوه وهزّ رأسه . (٦) الخصر : البرد .

الغناء لمالكٍ خَفِيفُ ثَقِيل بالبِنْصَر فى مَجْرَاها عن إسحاق .

صـــوت

إنّ عينَيْها لعَيْنَا جُؤْذُرٍ * أَهْدَبِ الأَشْفارِ من حُورِ البَقَرْ
تُنْكِرُ الإِثْمِدَ لا تعرفُه * غيرَ أنْ تسمعَ منه بخَبَرْ

الغناء لابنِ سُرَيج رَمَلٌ بالسَّبَّابة[1]، عن عَمْرو ويحيى المكىّ .

مضادة ابن سريج للغريض ومعارضة الغريض له

أخبرنى الحُسين بن يحيى قال قال حَمَّاد قال أبى قال محمدُ بن سَعيد :

لمّا ضَادَّ ابنُ سُرَيج الغَرِيضَ وناوأه ، جعَل ابنُ سُرَيج لا يغنِّى صوتاً إلا عارضَه فيه الغَرِيضُ فغنَّى فيه لحناً غيرَه ، وكانت ببعض أطراف مكةَ دارٌ يأتيانها فى كل جُمُعَة ويجتمعُ لهما ناسٌ كثيرٌ ، فيوضَع لكل واحد منهما كرسىٌّ يجلِسُ عليه ثم يتناقضان الغناءَ ويترادَّانه[2] . قال : فلمّا رأى ابنُ سُرَيج موقعَ الغَرِيض وغنائه من الناس لقربه من النَّوح وشَبَهِه به ، مال إلى الأَرْمال والأَهْزاج فاستخفَّها الناسُ . فقال له الغَرِيض : يا أبا يحيى ، قَصَرْتَ الغناءَ وحَذَفْتَه وأفسدْتَه . فقال له : نعم يا مخنَّث ، جعلْتَ تَنُوحُ على أبيك وأُمِّك ، ألى تقولُ هذا ! والله لأُغَنِّيَنَّ غناءً ما غنَّى أحدٌ أثقلَ منه ولا أجودَ . ثم تغنَّى :

* تشكَّى الكُمَيْتُ الجَرْىَ لمّا جهدْتَه *

تقدير ابن أبى عتيق لابن سريج

قال حمّاد : وقرأت على أبى عن هِشَام بن المُرِّيَّة قال : كان ابنُ أبى عَتِيق يسوق فى كلّ عام عن ابن سُرَيج بَدَنَةً ويَنحَرُها عنه ، ويقول : هذا أقلُّ حقّه علينا .

اعتراف معبد لابن سريج بالسبق عليه فى صنعة الغناء

قال حمّاد : قال أبى وقال مَخْلَدُ بن خِدَاشٍ المُهَلَّبىّ : كنّا بالمدينة فى مجلسٍ لنا ومعنا مَعْبَدٌ ، فقَدِم قادمٌ من مكةَ إلى المدينة فدخَل علينا ليلاً ، فجلَس مَعْبَدٌ يُسَائلُه عن

(١) فى ت ، ح ، ر : «بالوسطى» . (٢) يتناقضان الغناء : ينقض كل منهما غناء الآخر ، بأن يصنع أحدهما لحناً ، و يصنع الآخر لحناً آخر يكون نقيضاً له .

الأخبارِ وهو يُخْبِرُهُ ولا نسمع ما يقول. فالتفت إلينا مَعْبَدٌ فقال : أصبحتُ أَحْسَنَ الناسِ غناءً . فقيل له : أو لم تكُن كذلك ؟ قال : لا(١) حيثُ كان آبنُ سُرَيج حيًّا ، إنّ هذا أخبرني أنّ آبنَ سُرَيج قد مات . ثم كان بعد ذلك إذا غنّى صوتاً فأعجبه غناؤه قال : أصبحتُ اليومَ سُرَيْجِياً .

أبـو السائب المخزومى وأغانى ابن سريج

قال حمّاد : حدّثنى أبى قال حدّثنى أبو الحسَن المَدائنيّ قال : قال مَعْبَدٌ : أتيتُ أبا السّائب المَخْزُوميّ — وكان يصلّى فى كل يوم وليلة ألفَ ركعةٍ — فلمّا رآنى تجوّز(٢) وقال : ما معك من مُبْكِيَاتِ آبنِ سُرَيج ؟ قلت قولَه :

ولَهُنّ بالبيتِ العَتيقِ لُبَانَةٌ * والبيتُ يَعْرِفُهنّ لو يتَكَلَّمُ
لو كان حَيّا قبلَهن ظَعَائنًا * حَيَّا الحَطِيمُ وجوهَهنّ وزَمْزَمُ
لَبِثُوا ثلاثَ مِنًى(٣) بمنزلِ غِبْطَةٍ * وهُمُ على سَفَرٍ لعَمْرُكَ ماهُمُ
مُتَجَاوِرِينَ بغيرِ دارِ إقامةٍ * لو قد أجدّ(٤) تفرّقٌ لم يَنْدَمُوا

فقال لى : غنّـه ، فغنّيتُه. ثم قام يصلّى فأطال، ثم تجوّز إلىّ فقال : ما معك من مُطرِبَاته ومُشْجِيَاته؟ فقلت : قولَه :

لسنا نُبَالِى حين نُدرِكُ حاجةً * ما بات أو ظَلّ المَطِىُّ مُعقَّلا

فقال لى : غنّـه، فغنّيتُه . ثم صلّى وتجوّز إلىّ وقال : ما معك من مُرْقِصَاته ؟ فقلت :

فلم أَرَ كالتَّجْمِيرِ مَنْظَرَ ناظرٍ * ولا كلَيَالى الحجِّ أَفْتَنَّ ذا هَوَى

فقال : كما أنتَ حتى أَتَحَرَّمَ لهذا بركعتين .

(١) فى حـ ، ر : « قال : لا ، لم أكن كذلك حيث كان آبن سريج حيا » . (٢) تجوّز فى صلاته : خفّف فيها . (٣) يريد ثلاث ليالى التشريق وهى التى يبيت فيها الحاج بمنى . (٤) أجدّ يستعمل لازما ومتعديا ؛ يقال : أجدّ الرجل فى الأمر إذا كان فيه ذا جدّ ، وأجدّ الرجل السير أو الرحيل : اعتزمه .

تغنى ٱبن سريج والغريض بمسمع من عطاء بن أبى رباح وتفضيله ٱبن سريج على الغريض

قال حمّاد : وأخبرنى أبى عن إبراهيمَ بن المُنْذِر الحِزَامىّ ، وذكر أبو أيُّوبَ المدينىّ عن الحِزامىّ قال حدّثنى عبدُ الرحمن بنُ إبراهيمَ المَخْزومىّ قال :

أرسلتنى أُمّى وأنا غلامٌ أسأل عَطَاءَ بنَ أبى رَبَاحٍ عن مسألةٍ ، فوجَدتُه فى دارٍ يقال لها دارُ المُعَلَّى — وقال أبو أيُّوبَ فى خبره : دارُ المُقَلَّى[1] — وعليه مِلْحَفة مُعَصْفَرةٌ ، وهو جالسٌ على مِنبرٍ وقد خُتِنَ ٱبنُه والطعامُ يوضع بين يديه وهو يأمُر به أن يُفَرَّق فى الحَلْق[2] ، فلهَوْتُ مع الصِّبْيَان ألعَب بالجَوْز حتى أكَلَ القومُ وتفرّقوا وبَقِىَ مع عَطَاءٍ خاصّتُه ، فقالوا : ياأبا محمد لو أذِنتَ لنا فأرْسَلْنا إلى الغريض وٱبن سُرَيج ! فقال : ما شئتم ، فأرسَلوا إليهما . فلمّا أتيا قاموا معهما وثبَت عطاءٌ فى مجلسه فلم يدخُل ، فدخَلوا بهما بيتًا فى الدار ، فتغنّيا وأنا أسمعُ . فبدأ ٱبنُ سُرَيج فنقَر بالدُّفّ وتغنَّى بشعر كُثَيِّر :

بلَيْلَى[3] وجاراتٍ لِلَيلَى كأنّها * نِعاجُ المَلا[4] تُحْدَى بهن الأَبَاعِرُ
أمُنقطِعٌ يا عَزّ ما كان بيننا * وشَاجَرنِى يا عَزّ فيك الشَّوَاجِرُ[5]
إذا قِيلَ هذا بيتُ عَزّةَ قَادَنِى * إليه الهَوى وٱستعجلَتْنِى البَوادِرُ[6]
أصُدُّ وبى مثلُ الجُنونِ لكى يرَى * رُوَاةُ الخَنَا أنّى لِبيتِكِ هاجِرُ

فكأنّ القومَ قد نزَلَ عليهم السُّبَاتُ[7] ، وأدركَهم الغَشْىُ فكانوا كالأموات ، ثم أصْغَوْا[8] إليه بآذانِهم وشَخَصتْ إليه أعينُهم[9] وطالَتْ أعناقُهم . ثم غنَّى الغَرِيضُ بصوتٍ أنسيتُه

(١) فى حـ ، ر : « وقال أبو أيوب فى حجرة دار المعلى » . (٢) فى حـ : « الحَلَق » جمع حلقة وهى حلقة القوم . قال أبو عبيد : أختار فى حلقة القوم إسكان اللام ويجوز التحريك ، بعكس حلقة الحديد . (٣) فى حـ ، ر : «لليلى» باللام . (٤) الملا : الصحراء . وفى حـ ، ر : «الفلا» . (٥) الشواجر : جمع شاجرة ؛ يقال : شجره عن الأمر ، إذا صرفه عنه . يريد : أينقطع ما بيننا وقد نازعتنى فيك الصوارف . (٦) البوادر : الدموع . (٧) السبات : نوم خفى كالغشية . (٨) فى ت ، حـ ، ر : « نزل عليهم السبات فما تسمع حسًّا وأصغوا الخ » . (٩) فى ت ، حـ ، ر : « أحداقهم » .

بلحنٍ آخرَ . ثم غنَّى ابنُ سُرَيج وأَوْقَعَ بالقَضِيب ، وأخَذَ الغَرِيضُ الدُّفَّ فغَنَّى بشعر الأخْطَلِ :

فقلتُ اصْـبَحُونا[1] لا أَبَا لأبيـكُمُ * وما وَضَـعُوا الأثقالَ إلا ليَفْعَلُوا

وقلتُ اقتُـلوها عنـكُمُ بمِزَاجِهـا * فأكْرِمْ بهـا مَقْتُولةً حين تُقْتَـلُ

أَنَاخُوا بجَـرُّوا شَاصِيَاتٍ[2] كأنهـا * رِجَالٌ من السُّـودَانِ لَمْ يَتَسَرْبَلُوا

فواللهِ ما رأيتُهم تحرَّكُوا ولا نَطَقُوا إلا مُسْتَمِعين لما يقولُ . ثم غنَّى الغَرِيضُ بشعرٍ آخرَ وهو :

هل تعرفِ الرَّسْمَ والأَطْلالَ والدِّمَنَا * زِدْنَ الفـؤادَ على ما عنـدَه[3] حَزَنَا

دارٌ لصَفْرَاءَ[4] إذ كانت تَحُلُّ بهـا * و إذ تَرَى الوَصْلَ فيما بينَنا حَسَنَا

إذ تَسْتَبِيك بمَصْـقُولٍ عوارضُـه[5] * ومُقْلَتَيْ جُؤْذُرٍ لم يَعْـدُ أن شَـدَنَا

ثم غنَّيا جميعًا بلحنٍ واحدٍ ؛ فلقد خُيِّل لي أنّ الأرضَ تَميدُ ، وتبيَّنْتُ ذلك في عطاءٍ أيضًا . وغنَّى الغَرِيضُ في شعر عمرَ بنِ أبي ربيعةَ ، وهو قولُه :

كَفَى حَزَنًا أن تجمـعَ الدارُ شَمْلَنـا * وأُمْسِي قريبًـا لا أَزُورُك كَلْثَمَا

دَعِي القلبَ لا يَزْدَدْ خَبَالًا مع الذي * به منـك أو دَاوِي جَواه المُكَتَّمَا

---

(١) اصبحونا : إيتونا بالصبوح وهو ما يشرب في الغداة إلى القائلة . (٢) الشاصيات ، أنظر شرح المؤلف لها في صفحة ٢٨٥ (٣) في ديوان عمر : «على علاته» . (٤) في ديوان عمر بن أبي ربيعة المطبوع بليبزج والنسخة المخطوطة التيمورية : «دار لأسماء» . (٥) العوارض : الثنايا ؛ سميت بذلك لأنها في عرض الفم ، وقيل : هي الأسنان التي تبدو من الفم عند الضحك ؛ قال كعب :

تجلو عوارض ذي ظَلْمٍ إذا ابتسمت * كأنه مُنْهَـل بالراح معـلول

وقال جرير :

أتذكر يوم تصـقُل عارضيها * بفـرع بشامة سـقى البشام

وَمَنْ كان لا يَعْـدُو هواه لسانَه * فقـد حَلَّ فى قلبى هـواكِ وخَيَّما

وليس بتَزْوِيقِ اللسانِ [1] وصـوْغِه * ولكنَّه قد خالَط اللحـمَ والدَّمَا

وغنّى آبنُ سُرَيج أيضا :

خليـلَىَّ عُوجَا نَسْأل اليـومَ مَنْزِلَا * أَبَى بالـبِرَاقِ [2] العُفْرِ [3] أن يَتَحوَّلَا

ففُرْع النَّبِيتِ [4] فالشَّرَى [5] خَفَّ أهلُه * وبُـدِّلَ أَرْوَاحًا جَنُـوبًا وشَمْـأَلَا

أرادتْ فلم تَسْطِعْ كلامًا فأومأَتْ * إلينا ولم تأمَنْ رَسُولًا فتُرْسِلَا

بأَنْ بِتْ عَسَى أن يسترَ الليلُ مجلسًا * لنا أو تنـامَ العينُ عنَّا فتُقْبِلَا [6]

وغنّى الغَرِيضُ أيضًا :

يا صاحِبَىَّ قِفَـا نُقَضِّ لُبَـانَةً * وعلى الظَّعَائِنِ [7] قبلَ بَيْنِكما آعْرِضَا

---

(١) التزويق : التحسين والتزيين وأصله من الزاووق وهو الزئبق (وكذلك يسميه أهل المدينة) وهو يدخل فى التصاوير؛ ولذلك قيل لكل مزيّن مزوّق ، ثم آستعمل فى كل مزين وإن لم يكن فيه زئبق .

(٢) البراق : جمع برقة ، وهى الأرض الغليظة مختلطة بحجارة ورمل ، فاذا اتسعت البرقة فهى الأبرق وجمعه أبارق . وإنما سميت كذلك لبرقة رملها . (٣) العفر : جمع عفراء . والعفرة : بياض ليس بالناصع الشديد . (٤) لم نعثر على هـذا الموضع هكذا بالإضافة اسما لموضع خاص . وإنما الفرع (بضم فسكون كما فى ياقوت) : قرية من نواحى الربذة عن يسار السقيا بينها وبين المدينة ثمانية بُرُد على طريق مكة وقيل أربع ليال ، بها منبر ونخل ومياه كثيرة ، وهى قرية غناء كبيرة وهى لقريش الأنصار (كذا بالأصل ولعل كلمة قريش هنا زائدة) ومزينة ، وبينها وبين المريسيع ساعة من نهار ، وهى كالكورة ، وفيها عدّة قرى ومنابر ومساجد لرسول الله صلى الله عليه وسلم . والنبيت ، قال فى القاموس (مادّة نبت) : والنبيت أبو حى باليمن . وفى كتاب ما يعوّل عليه فى المضاف والمضاف إليه المخطوط المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ٧٨ أدب م : بنو النبيت بطن من الأوس من الأزد . وفى النوادر لأبى على القالى الطبعة الأولى الأميرية ج٣ ص ١٥٦ ما يفيد أن النبيت قبيلة . فلعل هذه القرية المعروفة بالفرع كانت تسكنها هذه القبيلة .

(٥) الشرى : اسم لمواضع كثيرة ، فالشرى : مأسدة بجانب الفرات . وقال نصر : الشرى جبل بنجد فى ديار طيء ، وجبل بتهامة موصوف بكثرة السباع . والشرى : موضع عند مكة . والشرى : واد من عرفة على ليلة بين كبكب ونعمان . والظاهر أن الشاعر أراد أحد هذين الأخيرين . (٦) فى ت ، ا ، ء ، س : «فتغفلا» . (٧) كذا فى ياقوت فى الكلام على محسر وأكثر النسخ . وفى ا ، م ، ء : «عن» . والظعائن هنا : جمع ظعينة وهى المرأة فى الهودج . يريد : اعرضا حاجتكما على الظعائن قبل فراقكما .

لا تُعجِلانِى أن أقولَ بحاجةٍ (١) * رِفْقًا (٢) فقد زُوِّدْتُ زادًا مُجْرِضًا (٣)

ومقالَها بالنَّعْفِ نَعْفِ مُحَسِّرٍ (٤) * لِفَتاتِها هل تَعْرِفِينَ المُعْرِضَا (٥)

هـذا الذى أَعْطَى مَوَاثِقَ عهدِه * حتى رَضِيتُ وقُلْتِ لى لن يَنْقُضَا

وأَغانِىَّ أُنْسِيتُها ، وعَطاءٌ يسمع على مِنْبَرِه (٦) ومكانِه ، وربما رأيتُ رأسَه قد مالَ وشَفَتَيْه تَتَحرّكان حتَّى بلغتْه الشمسُ ، فقام يريدُ منزلَه . فما سمِع السامِعُون شيئًا أحسنَ منهما وقد رفَعا أصواتَهما وتغنَّيا بهذا . ولمّا بلغتِ الشمسُ عطاءً (٧) قام وهُمْ على طريقةٍ واحدةٍ فى الغناء، فاطَّلَع فى كُوَّة البيتِ . فلما رأَوْه قالوا : يا أبا محمد، أيُّهما أحسنُ غناءً ؟ قال : الرَّقِيق الصوت . يَعْنِى ابنَ سُرَيج .

نسبة ما فى هذه الأخبار من الأصوات

١١١ / ١

صوت

ولَهُنَّ بالبيتِ العَتِيق لُبَانَةٌ * والبيتُ يعرِفُهنّ لو يتكلَّمُ

لو كان حَيًّا قبلَهنّ ظعائنًا * حيَّا الحَطِيمُ وُجوهَهنّ وزمزمُ

وكأنّهنّ وقد حَسَرْنَ (٨) لَوَاغِبًا (٩) * بَيْضٌ بأكنافِ الحَطِيم مُرَكَّمُ

(١) كذا فى ت ، ح ، ر . أى أنطق بها وأصرّح . وفى سائر النسخ : « لحاجة » باللام .
(٢) كذا فى ح ، ر . وفى سائر النسخ : « وقفا » . (٣) كذا فى ت بالجيم؛ يقال : أجرضه بريقه ، إذا أغصّه . وفى أ ، م ، ء : « محرضا » ؛ يقال : أحرضه المرض ، إذا أشفى منه على الموت . وفى سائر النسخ : « ممرضا » . (٤) محسر : موضع بين مكة وعرفة ، وقيل بين منى وعرفة ، وقيل بين منى والمزدلفة ، وليس من منى ولا مزدلفة بل هو واد برأسه . والنعف : ما انحدر عن السفح وغلظ وكان له صعود وهبوط . (٥) قبل هذا البيت فى ديوانه :

ما أنس لا أنس الذى بذلت لنا * منها على عجل الرحيل لتمرضا

(٦) كذا فى ت ، ح ، ر . وفى سائر النسخ : « سريره » . (٧) فى ت ، ح ، ر : « وبلغت الشمس عطاء والبيت الذى هم فيه على طريقه فاطلع فى كوّة الباب فلما رأوه الخ » .
(٨) حسر كضرب هنا : كشف . (٩) لواغبا : جمع لاغبة . واللغوب : التعب والإعياء .

لَبِثُوا ثلاثَ مِنًى بمنزلِ غِبْطَةٍ * وهمُ على سَفَرٍ لعمرُكَ ما همُ

مُتَجاوِرِينَ بغيرِ دارِ إقامةٍ * لو قد أجدَّ رَحيلُهم لم يَنْدَمُوا

عَرُوضُه من الكامل . الشعر لابن أُذَيْنَة . والغناء لابن سُرَيج ثانى ثقيلٍ مُطْلَق فى مَجْرَى البِنْصر عن إسحاق . وأخبارُ ابنِ أُذَينة تأتى بعد هذا فى موضعها إن شاء الله .

ومنها الصوتُ الذى أوّله فى الخبر :

* لسنا نُبَالِى حين نُدْرِكُ حاجةً *

صوت

وَدِّعْ لُبَابةَ قبلَ أن تَتَرحَّلا * وآسألْ فإن قَلِيلَه أن تَسْألا

وآنظُرْ بعينكَ ليلةً وتأنَّها * فلعلَّ ما بَخِلَتْ به أن يُبْذَلا

لسنا نُبَالِى حين نُدْرِكُ حاجةً * ما راح أو ظَلَّ المَطِىُّ مُعَقَّلا

حتّى إذا ما الليلُ جَنَّ ظلامُه * ورَجَوْتُ غفلةَ حارسٍ أن يَعْقِلا

خرجَتْ تأطَّرُ فى الثيابِ كأنّها * أَيْمٌ يَسِيبُ على كثيبٍ أَهْيَلا (١)

الشعرُ لعمرَ بنِ أبى ربيعةَ . والغناءُ لابن سُرَيج ثقيلٌ أوّلُ بالوُسْطَى فى مَجْرَاها . وفيه لمَعْبَدٍ لحنٌ من خَفِيفِ الثَّقِيلِ الأوّل بإطلاقِ الوَتَرِ فى مَجْرَى الوُسْطَى ، وهو من مُخْتَارِ أغانيه ونادرِها وصُدُورِ صَنْعتِه وما يُقَدَّم على كثيرٍ منها .

الغمر بن يزيد وشعر عمر بن أبى ربيعة

أخبرنى أحمدُ بن محمد بن إسحاقَ الحَرَمِىّ قال حدّثنا الزُّبَيرُ بنُ بَكّار قال حدّثنى عبدُ الرحمن بن عبد الله الزُّهْرِى عن عبدِ الله بن عِمْرانَ بن أبى فَرْوَةَ قال :

كنتُ أَسِيرُ مع الغَمْرِ بن يَزِيد ، فاستنشدنى فأنشدتُه لعمرَ بنِ أبى ربيعةَ :

وَدِّعْ لُبَابَةَ قبلَ أن تترحَّلا * وآسألْ فإنّ قَلِيلَه أن تَسْألا

(١) تقدّمت هذه القصيدة مع شرحها فى صفحتى ٢٠٧ و ٢٠٨ من هذا الجزء .

قال ٱئْتَمِرْ ما شئتَ غيرَ مُخالِفٍ * فيما هويتَ فإنّنا لن نَعجَلا
نَجْزِى أيادِىَ كنتَ تَبْذُلُها لنا * حقٌّ علينا واجبٌ أن نَفْعَلا
حتّى إذا ما الليلُ جَنّ ظلامُه * ورجوتُ غفلةَ حارسٍ أن يَغْفُلا
خرجتْ تأطَّرُ فى الثيابِ كأنّها * أَيْمٌ يَسيبُ على كثيبٍ أَهْيَلا
رَحَّبتُ لمّا أقبلتْ فتعلّلتْ[(1)] * لتحيَّتِى لمّا رأتْنِى مُقْبِلا
فجَلا القِناعُ سحابةً مشهورةً * غَرّاءَ تُعْشِى الطَّرْفَ أن يتأمّلا
فظَلِلْتُ أَرْقِيها بما لو عاقِلٌ * يُرْقَى به ما ٱسْطاعَ ألّا يَنْزِلا
تَدْنُو فأَطْمَعُ ثم تمنعُ بَذْلَها * نفسٌ أبتْ لِلْجُودِ أن تَتبخّلا

قال: فأمر غلامَه فحملنى على بغلتِه التى كانت تحته. فلمّا أراد الانصرافَ طلب الغلامُ منّى البغلةَ، فقلتُ: لا أُعطيكَها، هو أكرمُ وأشرفُ مِنْ أن يَحْمِلَنِى عليها ثم ينتزِعَها منّى. فقال للغلام: دَعْه يابُنَىّ، ذهبتْ واللهِ لُبَابَةُ ببغلةِ مولاكَ.

١١٢ / ١

إذا أعجزك أن تطرب القرشى فغنه غناء ٱبن سريج فى شعر ٱبن أبى ربيعة

أخبرنى الحُسَين بن يحيى عن حَمّاد عن أبيه، وأخبرنيه الحَسَنُ بنُ علىّ عن هارونَ بن الزَّيّات عن حَمّادٍ عن أبيه قال حدّثنى عُثْمان بن حَفْصٍ الثَّقَفِىّ عن إبراهيمَ ٱبن عبد السلام بنِ أبى الحارث عن ٱبنِ تَيْزَن[(2)] المغنّى قال:

(1) فى الديوان:

* سلّمت حين لقيتها فتهللت *

(2) اختلفت النسخ فى هذه الكلمة، ففى م، ء، س: «ابن أبى مزن». وفى أ، ت هكذا: «ابن أبى برن» من غير نقط. وفى ب: «ابن أبى تيزن». وفى حـ، ر: «ابن بنون». ولعل كل ذلك محرّف عن ابن تيزن؛ فقد ورد فى الجزء السادس من الأغانى فى أخبار ابن جامع عن داود المكىّ: «قال كنا فى حلقة ٱبن جريج وهو يحدّثنا وعنده ٱبن المبارك وجماعة من العراقيين إذ مر به ٱبن تيزن — قال حماد: ويقال ٱبن بيرن — وقد اتزر بمئزره على صدره ...... ثم قال له (يعنى ٱبن جريج): غنّى الصوت الذى أخبرتنى أن ٱبن سريج غناه فى اليوم الثالث من أيام منى على جمرة العقبة فقطع الطريق على الذاهب والجائى حتى تكسرت المحامل فغناه الخ».

قال أبو نافع الأسود — وكان آخِرَ مَنْ بَقِيَ من غِلْمانِ ٱبنِ سُرَيج — : إذا أعجزكَ أن تُطْرِبَ القُرَشِيَّ فغنِّه غناءَ ٱبنِ سُرَيج فى شعر عمرَ بن أبى ربيعة فإنك تُرْقِصُه . قال : وأبو نافع هذا أَحْذَقُ(١) غِلْمانِ ٱبنِ سُرَيج ومَنْ أَخَذ عنه ، وكان أحسنَ رُوَاتِه صَوْتاً(٢) .

ومنهـا :

صـــوت

بِلَيْـلَى وجاراتٍ لِلَيـلَى كأنَّهـا * نِعَاجُ المَـلَا تُحْـدَى بهنَّ الأباعِرُ
أمُنقطعٌ ياعزَّ ما كان بيننـا * وشَاجَرَني يا عزّ فيك الشَّـوَاجِرُ
إذا قيل هـذا بيتُ عَزّةَ قادنى * إليه الهوى وٱستعجلتْنى البَـوَادِرُ
أَصُدّ وبى مثلُ الجنون لكى يَرَى * رُوَاةُ الخَنَـا أنّى لبيتـك هاجِرُ
ألَا ليتَ حَظّى منـك يا عزّ أنّنى * إذا بِنْتِ باع الصبرَ لى عنك تاجِرُ

عَرُوضُه من الطويل . الشعر لكُثَيِّر . والغناء لمَعْبَد ثقيلٌ أوّلُ بالبِنْصَر على مذهب إسحاقَ من رواية عَمْرو . وفيه لٱبنِ سُرَيج لحنٌ أوّله : « أَصُدّ وبى مثلُ الجُنُون » خفيفُ رمَلٍ بالخِنْصَر فى مَجْرَى الوُسْطَى عن إسحاقَ .

ومنهـا :

صـــوت

أنا ٱخُوا لخَمْرَ شاصياتٍ كأنَّهـا * رجالٌ من السُّودَانِ لم يَتَسَرْبَلُوا
فقلتُ ٱصبَحُونى لا أبا لأبيكُمُ * وما وضَعُوا الأثقالَ إلّا ليفعلُوا
تَمُرّ بها الأيْدِى سَنِيحًا(٣) وبارحًا * وتُرْفَع باللّهُـــمَّ حَىِّ وتُنْزَلُ

(١) فى ت ، ح ، ر : « أحد غلمان ... » . (٢) كذا فى ح ، ر . وفى سائر النسخ : « وكان آخر رواته موتا » . (٣) السنيح : ماجاء عن يمينك يريد شمالك ، والبارح بعكسه . يريد أنها تدار عليهم من يمين إلى شمال ، ومن شمال إلى يمين .

عَرُوضُه من الطويل . الشاصياتُ : الشّائلاتُ قوائمها من امتلائها ، يعنى الزِّقَاقَ ؛ يقال : شَصَا يَشْصُو . وشَصَا ببصره إذا رفعه كالشاخص؛ وأنشد :

وربْرَبٍ خِمَاصِ * يَطْعُنَّ بالصَّيَاصِى (١)

ينظُر من خَصَاصِ (٢) * بأَعْيُنٍ شَوَاصِى

كَفِلَقِ الرَّصَاصِ * تَسْمُو إلى القَنَّاصِ

الشعرُ للأَخْطَل ، وذكره يأتى فى غير هذا الموضع ، من قصيدة يمدَحُ بها خالدَ ابن عبدِ الله بن أَسِيد بن أبى العِيص بن أُميّة . والغناء لمالك وله فيه لحنان : أحدُهما فى الأوّل والثانى رَمَلٌ بالبِنْصَر فى مجراها عن إسحاق ، والآخرُ فى الثالث والأوّلِ والثانى خَفيفُ رَمَلٍ بالوُسْطَى عن عمرو . وفيه لابنِ سُرَيج رَمَلٌ بالوُسْطَى عن عَمْرو . وفيه لابن مُحْرِزٍ خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالبِنْصَر فى مجراها . وفيه رَمَلٌ آخرُ لإبراهيمَ عن عمرو أيضا .

ومنها :

صوت

* هل تعرِفُ الرسمَ والأَطْلالَ والدِّمَنَا *

وذكَر الأبياتَ الثلاثةَ وقد تقدّمَتْ . عَرُوضُه من البَسيط . الشعرُ لذى الإصبَع العَدْوَانِىّ . والغناء لابنِ عائشةَ ثانى ثقيلٍ بالبِنْصَر .

ومنها :

صوت

* كفَى حَزَنًا أن تجمَعَ الدارُ شَمْلَنَا *

---

(١) الربرب : القطيع من بقر الوحش . وخماص : جمع خُمصان وخمصانة . والخمصة : خلاء البطن من الطعام جوعا . والصياصى : قرون البقر جمع صيصية بتخفيف الياء . (٢) الخصاص ، واحدته خصاصة وهى شبه كوّة فى قبة أو نحوها إذا كانت واسعة قدر الوجه . وبعضهم يجعل الخصاص للواسع والضيق ، حتى قالوا لخروق المِصْفاة والمُنْخُل والباب والبرقع : خصاص .

صــــوت

وهو من المـائة المختارة فى رواية جحظة عن أصحابه

دَعِى القلبَ لا يَزْدَدْ خَبالًا معَ الذى * به منْـكِ أو دَاوِى جَوَاه المُكَتَّمَا
ومَنْ كانَ لا يَعْدُو هواه لِسَانَه * فقــد حلَّ فى قلبِى هَواكِ وخَيَّمَا
وليس بتَزْوِيقِ اللسانِ وصَـوْغِه * ولكنّه قد خَالَطَ اللَّحْمَ والدَّمَا ٥

— عَرُوضُه من الطَّوِيل. الشعر للأَحْوَص، وقيل : إنه لسَعِيد بن عبد الرحمن آبن حَسَّان . والغناء لمَعْبَدٍ ثقِيلٌ أوّلُ بإطلاق الوتر فى مَجْرَى البِنْصَر . وذ كَر يونُس أنّ لمـالك لحنا فيه —

أكَلْثَمُ فُكِّى عانيـًا بكِ مُغْـرَمَا * وشُدِّى قُوَى حَبْلٍ لنا قد تَصَرَّمَا
فإنْ تُسْعِفِيه مَرّةً بنَــوَالِكِم * فقـد طَالمَـا لم يَنْجُ منك مُسَلَّمَا ١٠
كَفَى حَزَنًا أن تَجْمَعَ الدارُ شَمْلَنَـا * وأُمْسِى قريبًـا لا أَزُورُكِ كَلْثَمَا

وبعده هذه الأبياتُ التى مَضَتْ .

اتفاق المغنين على تفضيل لحن ابن سريج « وليس بتزويق اللسان... الخ »

أخبرنى الحُسَين بن يَحْيى قال قال حَمّاد وذ كر الثَّقَفِىّ عن دَحْمَان قال :

تذاكرنا ونحن فى المَسْجد أنا والربيعُ بن أبى الهَيْثَم الغناءَ أيُّه أحسنُ، فجعَل يقولُ وأقولُ فلا نجتمع على شىء . فقلت : اذهَبْ بنا إلى مالكِ بنِ أبى السَّمْح . ١٥ فذهَبْنا إليه فوجَدناه فى المسجد، فقال: ماجاء بكما ؟ فأخبْرناه . فقال: قد جرى هذا بينى وبين مَعْبَدٍ وقال وقلتُ ، فجاءنى معبد يومًا وأنا فى المسجد وقال : قد جئتُك بشىء لا تَرُدُّه . فقلت : وما هو؟ قال : لحنُ آبن سُرَيج :

وليس بتزويقِ اللسانِ وصَوْغِه * ولكنّه قد خالطَ اللحمَ والدَّمَا

ثم قال لى معبد : أُسمِعُكه ؟ قلتُ : نعمْ، وأريتُه أنّى لم أسمَعْه قبلُ، فقال : اسمَعْه منّى؛ فغنّى فيه ونحن فى المسجد، فما سمعتُ شيئا قطُّ أحسنَ منه، فافترقْنا وقد اجتمعنا عليه .

وقرأتُ فى فصلٍ لإبراهيمَ بن المَهْدىّ إلى إسحاقَ المَوْصلىّ . «وكتبتُ رُقعتى هذه وأنا فى غَمْرةٍ(١) من الحُمّى تَصدِفُ(٢) عن المُفترَضَاتِ . ولولا خَوْفى من تَشْنيعك وتَجَنّيك لم يكن فىّ للإجابة فَضْلٌ، غيرَ أنّى قد تكلّفتُ الجوابَ على ما اللهُ به عالمٌ من صُعوبة عِلّتى وما أُقاسيه من الحرارة الحادثة بى .

وليس بترويقِ اللّسانِ وصَوغِه * ولكنّه قد خالطَ اللّحمَ والدّما»

تفضيل غناء ابن سريج على غناء معبد ومالك بن أبى السمح

وقال إسحاق حدّثنى شيخٌ من مَوالِى المنصورِ قال : قَدِم علينا فِتْيانٌ من بنى أُميّة(٣) يريدون مكّةَ، فسمِعوا مَعْبَدًا ومالِكا فأُعجِبُوا بهما، ثم قدِموا مكّةَ فسألوا عن ابن سُرَيج فوجدوه مَرِيضًا، فأتَوْا صديقًا(٤) له فسألوه أن يُسْمِعَهم غناءَه، فخرج معهم حتى دخَلوا عليه. فقالوا: نحنُ فتيانٌ من قُرَيْشٍ، أتيناكَ مُسلِّمين عليكَ، وأحبَبْنا أن نَسْمَعَ منك . فقال : أنا مَرِيضٌ كما تَرَوْن . فقالوا : إنّ الذى نكتفِى منكَ به يسيرٌ — وكان ابن سُرَيج أديباً طاهرَ الخُلُق عارفا بأَقْدارِ الناس — فقال: يا جارية، هاتى جِلْبابى(٥) وعُودى، فأتَتْه خادمه بخَامَةٍ(٦) فسَدَلها على وجهه — وكان يفعل ذلك إذا

(١) غمرة : شدّة . (٢) فى ت، ح، ر : «تصدّ ذويها عن المفترضات» .
(٣) فى ب، س، م، ء : «من موالى بنى أمية» . (٤) كذا فى ت، ح، ر. وفى سائر النسخ : «صديقا لهم» . (٥) الجلباب : الرداء والإزار . (٦) لم نجد هذا اللفظ فى كتب اللغة إلا بمعنى خامة الزرع، وهى أوّل ما ينبت منه على ساق واحدة أو الطاقة الغضة منه أو الشجرة كذلك . وقال ابن الأعرابى: الخامة : السنبلة . والخامة : الفجلة . وليس من هذه المعانى شىء يناسب السياق . ولعل ذلك كان اصطلاحا فى ذلك العصر على أنها القناع الذى يُتقنع به، أو لعله محرّف عن الخَمْلة وهى الثوب الذى له خَمْل (هدب) . وقد تقدّم فى ص ٢٤٩ من هذا الجزء أن ابن سريج كان يلبس جُمّة وكان لا يغنى الا مقنعا مسبل القناع على وجهه .

تَغَنّى لقُبْح وجهه — ثم أخذ العُودَ فغنّاهم ، فأَرْخى ثوبَه على عينيه وهو يُغنّى ، حتى إذا ٱكتفَوْا ألقى عودَه وقال : مَعْذِرَةً . فقالوا : نَعَمْ ، قد قَبِل اللهُ عذرَك فأَحْسَنَ اللهُ إليك، ومسح[1] ما بك ، وٱنصرفوا يتعجّبون ممّا سمعُوا . فمرّوا بالمدينة مُنْصَرِفين، فسمِعوا من مَعْبَدٍ ومالكٍ، فجعلوا لا يَطْرَبُون لهما ولا يُعْجَبُون بهما كما كانوا يَطْرَبون . فقال أهلُ المدينة : نَحْلِفُ بالله لقد سمِعتم بعدَنا ٱبنَ سُرَيج ! قالوا : أَجَلْ ! لقد سمِعْناه فسمِعْنا ما لم نسمَع مثلَه قطُّ، ولقد نَغَّصَ[2] علينا ما بعدَه .

تغنى رقطاء الحبطية برمل ابن سريج فى شعر ابن عمارة السلمى

وذكر العَتّابِيُّ[3] أنّ زكريّا بنَ يحْيَى حدّثه قال حدّثنى عبدُ الله بنُ محمد بن عثمانَ العُثْمانيّ عن بعض أهلِ الحِجاز قال : التقى قِنْديلٌ الجَصّاص وأبو الجَديد[4] بشِعْب الصَّفْراء[5]، فقال قِنْديلٌ لأبى الجَديد : مِن أين و إلى أين ؟ قال : مررتُ برَقْطاء الحَبَطِيّة[6] رائحةً تترنّم برَمَلِ ٱبن سُرَيج فى شعرِ ٱبن عُمَارة السُّلَمىّ :

(١) فى حـ ، ر : «مصح» بالصاد ، وكلاهما بمعنى أذهب الله علتك وٱستأصلها . وفى حديث الدعاء لمريض " مسح الله عنك ما بك" . وقال ٱبن سيده : يقال مصح الله ما بك : أذهبه . وقال الهروىّ فى الغريبين : إن مصح لا يتعدّى بنفسه و إنما يتعدّى بالباء أو الهمزة؛ يقال : مصح الله بما بك أو أمصح الله ما بك بمعنى أذهبه . (٢) فى حـ ، ر : « لقد بغّض إلينا ما بعده » .

(٣) فى ت : « الغيانى » . (٤) فى ت ، حـ ، ر : « وأبو الحديد» بالحاء المهملة .

(٥) الصفراء : واد بناحية المدينة كثير النخل والزرع والخير فى طريق الحاج ، وسلكه رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مرة ، و بينه و بين بدر مرحلة . والشعب : مسيل الماء فى بطن الأرض .

(٦) فى ت : «الحنظية» . والحبطية : نسبة الى الحبط ككتف وسبب ، وهو الحارث بن مازن بن مالك ابن عمرو بن تميم . وسمى الحبط لأنه كان فى سفر فأصابه مثل الحبط (انتفاخ البطن) الذى يصيب الماشية . وقال ابن الكلبى : كان أكل طعاما فأصابته منه هيضة . وقال ٱبن دريد : كان أكل صمغا فحبط عنه ، وتسمى بنوه الحبطات . والحنظية : نسبة الى حنظب . وممن اشتهر بهذا الاسم «المطلب بن عبد الله بن حنطب» .

صـــوت

سَقَى مَأْزِمَىْ[1] نَجْدٍ إلى بئر خالدٍ * فوادِى نِصَاعٍ[2] فالقُرُونَ[3] إلى عَمْدِ[4]

وجادتْ بُروقُ الرائحاتِ بمُزْنَةٍ * تَسُحُّ شآبِيبًا[5] بمُرْتجِزِ[6] الرَّعْدِ

منازلَ هِنْدٍ إذ تُوَاصِلُنِي بها * لياليَ تَسْبِينِي[7] بمُسْتَطْرَفِ[8] الوُدِّ

يُنِيرُ ظلامُ الليلِ من حسنِ وجهِها * وتَهْدِى بطِيبِ الرِّيحِ مَنْ جاء من نَجْدِ

— الغناء لآبن سُرَيج رَمَلٌ بالبِنْصر عن الهِشامى — فزَفَفْتُ[9] خلفها زَفيفَ النَّعامَة، فما آنجلتْ غشاوَتى إلا وأنا بالمُشَاش[10] حسيرٌ[11]، فأَوْدعتُها قلبى وخلَّفتُه لديها، وأقبلتُ أَهْوِى كالرَّخَمة[12] بغير قلبٍ. فقال لى قِنْديلٌ: ما دفَع أحدٌ من المُزْدَلِفَة أَسْعدُ منك، سمِعتَ شعرَ آبن عُمَارةَ فى غِناء آبنِ سُرَيج من رَقْطاء الحَبَطِيَّة، لقد أُوتيتَ

(١) المأزم: الطريق الضيق بين الجبال. وفى حـ، ر: «مأزمى نخ». وفى ياقوت (مادة «نصاع»): «سق مأزمى نخ» بالخاء المعجمة. ونخ: موضع أو جبل فى ديار سليم بن منصور. ونخ: واد بمكة وماء أقطعه النبىّ صلى الله عليه وسلم عُظَيم بن الحارث المحاربىّ. وبئر خالد، لم نعثر عليها فى معجمات البلدان.

(٢) كذا فى ياقوت مادة «نصاع». وفى ت، م، ء، أ: «فوادى نطاع» وفى حـ، ر: «فوادى قطاع». وفى ب، س: «غوادى قطاع» وكلها محرّفة. وقد ذكر ياقوت وادى نصاع وقال عنه: إنه موضع فى قول الشاعر، وآستشهد بالبيت ولم يبيّنه. (٣) لم نعثر على مايسمى بالقرون إلا قرون البقر، وهو موضع فى ديار بنى عامر، وكان به يوم من أيام العرب. وفى حـ، ر: «الفروق». والفروق بضم الفاء: موضع فى ديار بنى سعد. والفروق بالفتح: عقبة دون هَجَر إلى نجد بين هجر ومهب الشمال، وكان فيه يوم من أيامهم لبنى عبس على بنى سعد بن زيد مناة بن تميم. (٤) قال فى تاج العروس: وادى عمد، بحضرموت اليمن. (٥) الشآبيب: جمع شؤبوب وهو الدفعة من المطر.

(٦) ارتجز الرعدُ: سُمع له صوت متتابع. (٧) فى ب: «تشبينى» تصحيف.

(٨) مستطرف الودّ: مستحدثه. (٩) زففت: أسرعت.

(١٠) فى ياقوت: المشاش بالضم، قال عرّام: ويتصل بجبال عرفات جبال الطائف وفيها مياه كثيرة أوشال وعظائم قُنِىّ منها المشاش، وهو الذى يجرى بعرفات ويتصل الى مكة.

(١١) حسير: كالّ مُعى. (١٢) الرخمة: طائر أبقع يشبه النسر فى الخلقة، ويقال له الأنُوق.

جزءا من النبوّة . قال : وكانت رَقْطاءُ هـذه من أَضْرَبِ الناس؛ فدخل رجلٌ من أهلِ المدينة منزلَها فغنَّته صوتاً . فقال له بعضُ مَنْ حضَر : هل رأيتَ قطُّ أوْ تَرَى أفصح من وَتَرِ هذه ؟ ! فطَرِبَ المَدَنِيُّ وقال : علىَّ العهدُ إن لم يكن وترها من معَى بَشْكَسْتَ[1] النَّحْوِىّ ، فكيف لا يكون فصيحا ! و بشكستُ هذا كان نَحْوِياً بالمدينة ، وقُتِل مع الشُّراةِ[2] الخارجين مع أبى حَمْزة صاحبِ عبد الله بن يحيى الكِنْدِىّ الشّارِى المعروف بطالبِ الحقِّ . ٥

غناء ابن سريج مخلوق من قلوب الناس جميعا

قال محمد بن الحسن وحدّث[3] عن إسحاق عن أبيه أنه كان يقول :

غناءُ كلِّ مُغَنٍّ مخلوقٌ من قلب رجلٍ واحد، وغناءُ ابن سُرَيج مخلوقٌ من قلوب الناس جميعًا . وكان يقول : الغناء على ثلاثة أَضْرُب ، فضربٌ مُلْهٍ[4] مُطْرِبٌ يُحَرِّك ويَسْتَخِفّ ، وضربٌ ثانٍ له شَجًا ورِقّـةٌ ، وضربٌ ثالثٌ حِكْمَةٌ و إتقانُ صَـنْعَة . ١٠ قال : وكل هذا مجموعٌ فى غناء ابن سريج .

التقاء ابن سلمة الزهرىّ والأخضر الجدّى ببئر الفصح وتغنى ابن سلمة بغناء ابن سريج

قال العَتَّابِىّ[5] وحدّثنى زَكَرِيَّا بن يَحْيَى عن عبدِ الله بن محمد العُثْمانىّ قال : ذكَر بعضُ أصحابِنا الحِجَازِيِّين قال :

الْتقَى ابنُ سَلَمَةَ الزُّهْرِىّ والأَخْضَرُ الجُدِّىّ[6] ببئر الفصح[7]، فقال ابنُ سَلَمَةَ: هل لكَ فى الاجتماعِ نَسْتَمْتِـعُ بكَ ؟ فقال له الأخضر : لقـد كنتُ إلى ذلكَ مُشْتاقًا ، ١٥

١١٥ / ١

(١) كذا ضبط فى ر . ولم نعثر على ضبطه فى موضع آخر . (٢) الشراة : الخوارج ؛ سموا بذلك لقولهم : إنا شرينا أنفسنا فى طاعة الله أى بعناها بالجنة حين فارقنا الأئمة الجائرة ، والواحد شار .

(٣) فى ح ، ر : « قال محمد بن الحسين وحدّثنا محرز عن إسحاق الخ » .

(٤) كذا فى ت ، ح ، ر . وفى سائر النسخ : « منه » . (٥) فى ت : « الغياثى » .

(٦) لا ندرى أهو منسوب إلى جُدّة البلدة المعروفة أم إلى الجدّ بفتح الجيم وكسرها ، وكلاهما قد نسب إليه . ولم نطلع على نص يرجح أحد الاحتمالين . (٧) فى ت : « الفصيح » . ولم نعثر عليه ولم نهتد إلى ضبطه .

قال : فقعدا يتحدَّثان ، فمرّ بهما أبو السائب ، فقال : يا مُطْرِبَيِ الحجاز، ألشيءٍ كان اجتماعُكما ؟ فقالا : لغيرِ موْعِدٍ كان ذلك ، أفتؤْنسُنا ؟ قال : فقعَدوا يتحدَّثون . فلما مضَى بعضُ الليلِ قال الأخْضَر لابنِ سَلَمَةَ : يا أبا الأزْهرِ ، قد ابْهَارَّ الليلُ[1] وساعدكَ القمرُ، فأَوْقِعْ بقهْقَهَةِ[2] ابنِ سُرَيج وأَصِبْ مَعنْاكَ[3] . فاندفع يُغنِّي :

صوت

تجنَّتْ بلا جُرْمٍ وصَدّتْ تغضُّباً * وقالت لِتِرْبَيْها مقالةَ عاتبِ
سَيعْلَمُ هذا أنّني بنتُ حُرّةٍ * سأمنعُ نفسِي من ظُنُونٍ كَوَاذِبِ
فقُولِي له عنّا تَنَحَّ فإنّنا * أَبِيّاتُ خُفْشٍ طَاهِرَاتُ المَنَاسِبِ

— الغناءُ لابنِ سُرَيج ولم يذكُر طريقتَه — قال : فجعَل أبو السّائب يَزْفِنُ[4] ويقول: أبْشِرْ حَبِيبي، فلأنت أفضلُ من شُهَداءِ قَزْوِينَ[5] . قال : ثم قال ابنُ سَلَمَةَ للأَخْضَر : نِعْمَ المُساعِدُ على هَمِّ الليلِ أنتَ! فأَوْقِعْ بنَوْحِ ابنِ سُرَيج ولا تعْدُ مَعنْاكَ[6] . فاندفع يُغنّي:

صوت

فلمّا التقَيْنا بالحَجُونِ[7] تنفّستْ * تَنفُّسَ محزونِ الفُؤاد سَقِيمِ
وقالتْ وما يَرْقَا[8] من الخوْفِ دمعُها * أَقَاطِنُها أم أنتَ غيرُ مُقِيمِ

---

(١) ابهارّ الليل : انتصف ؛ وهو مأخوذ من بهرة الشيء وهو وسطه ، وقيل : ابهارّ : ذهبت عامته وأكثره وبقي نحو من ثلثه . (٢) القهقهة : مدّ الصوت وترجيعه . (٣) كذا في أكثر الأصول . ولعله يريد : ليكن غناؤك ممثلا لمعنى ما تغنيه . وفي ء ، ب ، س : « مغناك » وهذا إن صح فهو بالضم والفتح وتشديد النون ، مصدر ميمي بمعنى الغناء من « غنى » . (٤) يزفن : يرقص . (٥) لعله يريد الإشارة إلى الأحاديث الواردة في فضل قزوين وفضل المرابطة بها والقتال فيها . وهي أحاديث موضوعة أضربنا صفحا عن ذكرها . (انظر ياقوت في الكلام على قزوين واللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة للسيوطي طبع المطبعة الأدبية بمصر سنة ١٣١٧ هـ في الكلام على مناقب البلاد من ص ٢٣٩ — ٢٤١) . (٦) في ب ، س : « مغناك » بالمعجمة . (٧) الحجون : جبل بأعلى مكة عنده مدافن أهلها . (٨) وما يرقأ : ما يجف وما يسكن .

فإنّا غدًا تُحْدَى بنا العيسُ بالضُّحَى * وأنت بما نَلْقاه غيرُ عليمِ
فقَطَّع قلبى قولُها ثم أسْبَلَتْ * محاجرُ[1] عينى دمعَها بسُجومِ[2]

قال : فجعل أبو السّائب يتأفّف ويقول : أُعْتِقُ ما أَملِك إن لم تكُنْ فِرْدَوسيّةَ الطِّينة، وإنّها بعلمِها لأفضلُ من آسيةَ امرأةِ فرعونَ .

تغنى الذلفاء بلحن ابن سريج

أخبرنى الحُسَين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن الهَيْثَم بن عَدِىّ قال : ٥

بلَغنى أنّ أبا دَهْبَلٍ الجُمَحىّ قال : كنتُ أنا وأبو السّائب المَخْزُومىُّ عند مُغَنِّيةٍ بالمدينة يقال لها «الذَّلْفاء»، فغنّتْنا بشعر جَمِيل بن مَعْمَر العُذْرِىّ، واللحنُ لابن سُرَيج:

صوت

لَهُنّ الوجى[3] لِمْ كُنّ عونًا على النّوَى * ولا زالَ منها ظالعٌ وكَسِيرُ[4]
كأنّى سُقِيتُ السّمَّ يومَ تحمّلوا * وجَدّ بهم حادٍ وحانَ مَسِيرُ ١٠

فقال أبو السائب : يا أبا دَهْبَل ، نحنُ والله على خَطَرٍ من هذا الغناء ، فنسأل الله السّلامةَ وأن يَكْفِينا كلَّ مَحْذُور ، فما آمَنُ أن يَهْجُمَ بى على أمرٍ يَهْتِكُنى[5] . قال : وجعَل يَبْكِى .

---

(١) المحاجر : جمع محجر كمجلس ، وهو ما دار بالعين من جميع جوانبها .
(٢) سجمت العين الدمعَ سجما وسجوما : أسالته . ١٥
(٣) الوجى : الحفا ؛ يقال : وجيت الدابةُ تَوْجَى وجى ، إذا حفيت .
(٤) فى ت ، أ ، ء : « وحسير » .
(٥) فى ت : « يهلكنى » .

تأثير غناء ابن سريج في الحاج في موسم الحج

أخبرنا محمدُ بن خَلَف وَكِيعٌ قال حدّثنا[1] الزُّبَيْر بن بَكّار عن بَكّار بن رَبَاح[2] عن إسحاقَ بن مِقْمَة[3] عن أُمّه قالت : سمعتُ ابنَ سُرَيج على أَخْشَب[4] منًى غداةَ النَّفْر[5] وهو يغنِّي :

جَدِّدِي الوصلَ يا قُرَيبُ[6] وجُودِي * لمحبٍّ فِـراقُه قـد أَلَمّا[7]

ليس بينَ الحياةِ والموتِ إلّا[8] * أن يردُّوا[9] جِمالَهـم فتُزَمّا[10]

— ونسبةُ هذا الصوتِ تأتي بعد هذه الأخبار — قالت : فما تشاءُ أن تَسْمَع من خِباءٍ ولا مِضْرَبٍ حنينا ولا أنينًا إلّا سمعتَه .

١١٦ / ١

مذاكرة إبراهيم بن المهدي وإسحاق ابن إبراهيم الموصلي في تفضيل ابن سريج على معبد

وذَكَر[11] يوسفُ بنُ إبراهيمَ أنه حضَر إسحاقَ بنَ إبراهيمَ المَوْصِلِيَّ ليلةً وهو يُذاكِرُ إبراهيمَ بنَ المَهْدِيّ ، إلى أن قال إسحاقُ في بعض مخاطبته إيّاه : هذا صوتٌ قد تَمَعْبَدَ فيه ابنُ سُرَيج . فقال له إبراهيم : ما ظننتُ أنّك يا أبا محمد مع علمك وتقدُّمك تقول مثلَ هذا في ابنِ سُرَيج ، فكيف يجوز أن تقول : تَمَعْبَدَ ابنُ سُرَيج ، وإنما مَعْبَدٌ إذا أحسن قال : أصبحتُ سُرَيجيًّا ! قد أغنَى اللهُ ابنَ سُرَيج عن هـذا ورفع

---

(١) كذا في حـ ، م . وفي سائر النسخ : «أخبرنا محمد بن خلف وكيع قال حدّثني عبد الله بن شبيب قال حدّثنا الزبير بن بكار الخ» . ولم نعثر في كتب التراجم على من تسمى بعبد الله بن شبيب ، على أنه قد تقدّم كثيرا أن محمد بن خلف وكيعا يروي عن الزبير بن بكار . (٢) في ت : «رياح» .

(٣) في حـ ، م : «عن إسحاق يرفعه عن أمه» . (٤) أخشب منى : أحد الأخشبين ، وهما جبلان يضافان تارة إلى مكة وتارة إلى منى وهما واحد : أحدهما أبو قبيس والآخر قعيقعان ، ويقال : بل هما أبو قبيس والجبل الأحمر المشرف هنالك . (٥) نفر الحاج من منى كضرب نَفْرا ونفورا خرجوا وارتحلوا ، وهو يوم النَّفْر والنَّفَر . (٦) كذا في الأصول . وقد ضبط في حـ ، م ، أ مصغرا بضم القاف وفتح الراء وأهمل ضبطها في الباقي . وقد سمي بقريبة بضم القاف وقريبة بفتحها ، كما في القاموس . وفي ديوان عمر بن أبي ربيعة المطبوع بليبزج : «جدّدي الوصل لي سكين» . (٧) في ديوانه : «قد أحما» . وأحمّ : دنا وحان وقته . وألمّ : نزل . (٨) كذا في حـ ، م ، ب ، س . وفي سائر النسخ : «الرحيل» . (٩) في حـ ، م : «يزمّوا رحالهم» . (١٠) يقال : زمّ الناقة يزمّها زمّا ، إذا وضع فيها الزمام . والزمّ أيضا : الشدّ . (١١) كذا في ت ، م . وفي سائر النسخ : «يذكر» وهو تحريف .

قَدْره عن مثله ، وأُعيذُكَ بالله أن تَستَشْعِرَ مثلَه فى ٱبن سريج . قال : فما رأيتُ إسحاق دفع ذلك ولا أباه، ولا زاد على أن قال : هى كلمةٌ يقولها الناس ، لم أَقُلْها ٱعتقادًا لها فيه ، وإنما تكلّمتُ بها على العادة .

اعتراف معبد لابن سريج بالتفوق عليه فى صنعة الغناء

أخبرنى محمد بنُ خَلَف وَكِيعٌ قال حدّثنا محمدُ بنُ إسماعيلَ قال حدّثنا محمدُ بن سَلّام قال : قال لى شُعَيْب بن صَخْر : كان مَعْبَدٌ إذا غنّى فأجاد قال : أنا اليومَ سُرَيْجِىٌّ .

كان المغنون يغنون فإذا جاء ابن سريج سكتوا

حدّثنى الحَرَمىّ بنُ أبى العَلاء قال حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدّثنى محمد بن سَلّام قال حدّثنا شُعَيْبُ بن صَخْر قال : كان نُعْمانُ المغنّى عندى نازلاً ، وكان يغنّى ، وكنتُ أراه يأتيه قومٌ . قال أبو عبد الله : فقلتُ له : فأيُّهم كان أَحْذَقَ ؟ قال : لا أَدْرِى ، إلّا أنّهم كانوا إذا جاء ٱبنُ سُرَيج سَكَتُوا .

الأحوص وابن سريج

أخبرنى الحُسَين بنُ يحيَى عن حَمّادٍ عن أبيه قال حدّثنى الهَيْثَم[1] بن عَيّاش قال حدّثنى عبدُ الرحمن بن عُيَيْنَة[2] قال : بينما نحن بمِنًى ونحن نريدُ الغُدُوَّ إلى عَرَفَاتٍ ، إذ أتانا الأَحْوَصُ فقال : أَبِيتُ بكم الليلةَ ؟ قلنا : بالرَّحْبِ والسَّعَة . فلما جَنَّه الليلُ لم يَلْبَثْ أن غاب عنّا ثم عاد ورأسُه يقطُر ماءً . قلتُ : مالك ؟ قال :

صــــوت

تَعَرَّضُ سَلْماكَ لمّا حَرُمْـ * ـتِ[3]، ضَلَّ ضَلالُكَ[4] مِنْ مُحْرِمِ!

تُرِيدُ به البِرَّ يا لَيْتَهُ * كَفافًا من البِرِّ والمَأْثَمِ[5]

(١) فى ح ، ر : « الهيثم عن ابن عياش » . (٢) فى ح ، ر : « عنبسة » .
(٣) حرم الحاج وأحرم : دخل الحرم . (٤) يريد : ضللت ضلالا بعيدا .
(٥) يريد : يا ليتك تعادل إثمك وبرّك ، فتخرج لا أنت آثم ولا بارّ .

— الغناء لابن سُرَيج ولم يجنسه — قال قلت : زَنَيْتَ وربِّ الكَعْبة ! قال : قُلْ ما بدا لكَ . ثم لَقِيَ ابنَ سُرَيج فقال : إنّي قد قلتُ بيتين حسنَيْنِ أُحِبُّ أن تُغَنِّيَنِي بهما . قال : ماهما ؟ فأنشده إيّاهما ؛ فغنّى بهما من ساعته ، ففُتِنَ مَنْ حَضَر ممّن سَمِع صوتَه .

ارتحال جرير من المدينة إلى مكة ليسمع غناء ابن سريج في سفره

٥ أخبرني الحُسَين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال حدّثني إسحاقُ بن يحيى ابن طَلْحة قال :

قدم جَرِيرُ بنُ الخَطَفى المدينةَ ونحن يومئذ شَبابٌ نَطْلُبُ الشِّعرَ ، فاحْتَشَدْنا له ومعنا أَشْعَبُ . فبَيْنا نحن عنده إذ قام لحاجة وأَقَمْنا لم نَبْرَح . وجاء الأَحْوَصُ بنُ محمد الشاعرُ من قُبَاءَ على حِمَارٍ فقال : أين هذا ؟ فقلنا : قام لحاجةٍ ، فما حاجتُك إليه ؟

١٠ قال : أُريد والله أنْ أُعْلِمه أنّ الفَرَزْدَق أشعرُ منه وأشرفُ . قلنا : وَيْحك ! لا تَعْرِضْ له وانْصرِفْ ، فانصرفَ وخرَج . فجاء جَرِيرٌ فلم يكن بأسرعَ من أن أقبلَ الأحوصُ الشاعرُ فأقبل عليه ، فقال : السلامُ عليكَ يا جَرِيرُ . قال جريرٌ : وعليكَ السلام . فقال الأحوصُ : يابن الخَطَفى ، الفَرَزْدَقُ أشرفُ منكَ وأشعرُ . قال جَرِيرٌ : مَنْ هذا أَخْزاه اللهُ ؟ قلنا : الأحوصُ بن محمد بنِ عاصِم بن ثابت بن أبي الأَقْلَح . فقال :

١٥ نعم ! هذا الخبيثُ ابن الطيب ، أأنت القائلُ :

يَقَــرُّ بعَيْنِي مايَقَــرُّ بعَيْنِهـا * وأحسنُ شيءٍ ما به العينُ قَرَّتِ

قال نَعَمْ . قال : فإنه يَقَرُّ بعينها أن يدخلَ فيها مثلُ ذِراعِ البَكْرِ ، أفيقَرُّ ذلك بعينِكَ ؟ !

١١٧ / ١

قال : وكان الأَحْوَصُ يُرْمَى بالحُلاقِ(١) فانصرفَ ، فبعث إليهم بتمرٍ وفاكهة . وأقبلنا على جَرِيرٍ نُسَائلُه ، وأشعبُ عندَ الباب وجَرِيرٌ في مؤخَّر البيت ، فألحَّ عليــه أشعبُ

٢٠ (١) الحلاق : صفة تنافي الرجولة ، وقد أشار اليه ابن سيده بقوله : الحلاق بضم الحاء وفتح اللام : صفة سوء ، كأن متاع الإنسان يفسد فتعود حرارته إلى هنالك . (انظر اللسان مادّة حلق) .

يسأل . فقال : والله إنى لأراكَ أَقْبَحهم[1] وجهًا وأراكَ ألأمَهم حَسَبًا ؛ فقد أَبرمتني[2] مُنْذُ اليوم . قال : إنّى والله أنفعُهم وخيرُهم لك . فآنتبه جريرٌ وقال : وَيْحَكَ ! كيف ذاك ؟ قال : إنى أُملِّح شِعْرَك وأُجيدُ مَقاطِعَه ومبَادِئه . فقال : قُلْ ، وَيْحَك ! فآندفع أشعبُ فنادَى بلَحْنِ آبن سُرَيج :

يا أختَ[3] ناجيةَ السلامُ عليكمُ * قبلَ الرَّحيلِ وقبل عَذْلِ[4] العُذَّلِ

لو كنتُ أعلم أنّ آخرَ عهدِكم * يومُ الرَّحيل[5] فعلتُ ما لم أفعلِ

فطَرِبَ جريرٌ وجعَل يَزْحَفُ نحوَه حتى أَلْصق رُكْبَته رُكْبَتَه ، وقال : لعَمْرِى لقد صدَقْتَ ، إنك لأنفعُهم لى وقد حسَّنْتَه وأَجَدْتَه وزَيَّنْتَه ، أحسنتَ والله ، ثم وصَله وكَساه . فلمّا رأينا إعجابَ جريرٍ بذلك الصوتِ ، قال له بعض أهلِ المجلس : فكيفَ لو سَمِعت واضعَ هذا الغناء ؟ قال : أوَ إنّ له لواضعًا غيرَ هذا ؟ فقلنا نعمْ . قال : فأينَ هو ؟ قلنا : بمكّةَ . قال : فلستُ بمفارِقٍ حِجازَكم حتى أَبْلُغه . فمضى ومضى معهُ جماعةٌ ممن يرغَب فى طلَب الشعر فى صحابَته وكنتُ فيهم ، فأتيناهُ جميعًا ، فإذا هو فى فِتْيةٍ من قُرَيشٍ كأنّهم المَهَا مع ظَرْفٍ كثيرٍ ، فأدنوْا ورحّبوا وسألُوا عن الحاجة ، فأخبرناهم الخبرَ ، فرحّبوا بجرير وأدنَوْه وسُرُّوا بمكانه ، وأَعظَم عُبَيدُ بن سُرَيج موضعَ جرير وقال : سَلْ ما تريد جُعِلتُ فِداءَك ! قال : أُريد أن تُغَنِّيَنى لحنًا سمعتُه بالمدينة أزعَجَنى إليك . قال : وما هو ؟ قال :

يا أُختَ ناجيةَ السلامُ عليكمُ * قبلَ الرَّحيل وقبلَ عَذْل العُذَّلِ

فغنّاه آبنُ سُرَيج وبيده قضيبٌ يُوقِعُ به ويَنْكُتُ ، فوالله ما سمعتُ شيئا قطّ أحسنَ

(١) فى أ ، م ، ب ، س : « أوقحهم » . (٢) أبرمتنى : أضجرتنى .
(٣) فى ديوان جرير المطبوع بالمطبعة العلمية بمصر سنة ١٣١٣ : « يا أم ناجية » .
(٤) فى ت ، ح ، ر : « لوم العذل » . (٥) كذا فى ديوانه وأكثر النسخ . وفى ح ، ر : « الوداع » .

من ذلك . فقال جرير : [لله دركم](١) يا أهلَ مكّةَ ، ما أُعطِيتُم ! والله لو أنّ نازعاً نزع(٢) إليكم ليُقيمَ بين أَظْهُرِكم فيسمعَ هـذا صَباحَ مَساءَ لكان أعظمَ الناس حَظًّا ونَصيباً ، فكيفَ ومع هـذا بيتُ الله الحَرام ، ووجوهُكم الحِسانُ ، ورِقَّةُ أَلسِنَتِكم ، وحُسْنُ شارَتِكم(٣) ، وكثرةُ فوائدِكم !

٥ أخبرني الحُسَيْن بن يحيى عن حمّاد(٤) عن أبيه عن جدّه إبراهيمَ قال :

الوليد بن عبد الملك وابن سريج

كتب الوَلِيـدُ بنُ عبدِ الملك إلى عامل مكّةَ أَنْ أَشْخِصْ إليَّ ابنَ سُرَيج ، فأَشْخَصه . فلمّا قَدِم مَكَث أيّاماً لا يَدْعُو به ولا يلتفتُ إليه . قال : ثم إنه ذَكَره ، فقال : وَيْلَكم ! أين ابنُ سُرَيج ؟ قالوا : هو حاضرٌ . قال : عليَّ به . فقـالوا : أَجِبْ أميرَ المؤمنين . فتهيّأ ولَبِسَ وأقبلَ حتى دخَل عليـه فسلَّم . فأشار إليـه أنْ

١٠ اجلِسْ ، فجلسَ [بعيدًا](٤) . فاستدناه [فدَنَا](٥) حتى كان منه قريباً ، وقال : وَيْحَكَ يا عُبَيد ! لقد بلَغني عنكَ ما حَمَلني على الوِفَادَة بكَ مِنْ كثرةِ أدبِك وجَوْدةِ اختيارِك مع ظَرْفِ لسانِك وحلاوةِ مجلسِك . فقال : جُعِلْتُ فداءَك يا أميرَ المؤمنين ! «تسمعُ بالمُعَيْدِيِّ خيرٌ من أن تَراه» . قال الوليدُ : إني لأَرْجُو ألَّا تكونَ أنت ذاك ، ثم قال : هاتِ ما عندَك . فاندفع ابنُ سُرَيج فغنَّى بشعرِ الأحوص :

١٥ أَمَنزِلَتَيْ سَلْمَى على القِـدَمِ اسْلَمَا * فقـد هِجْتُما للشـوقِ قلبـاً متيَّما
وذَكَّرْتُما عَصْرَ الشَّبَابِ الذي مضَى * وجِدَّةَ وَصْـلٍ حَبْلُه قد تَجـذَّما(٦)

١١٨ / ١

---

(١) زيادة في حـ ، ر .
(٢) نزع إليكم هنا : ذهب إليكم .
(٣) الشارة : الهيئة واللباس .
(٤) زيادة في ت .
(٥) زيادة في حـ ، ر .
(٦) تجذم : تقطع .

وإنى إذا حَلّتْ ببيْشٍ (١) مُقِيمةً * وحَلَّ بوجٍّ (٢) جالسًا (٣) أو تَتَهَّما (٤)
يمانيةٌ شطَّتْ فأصبح نفعُها * رَجاءً وظنًّا بالمَغِيب مُرَجَّما
أُحِبُّ دُنُوَّ الدار منها وقد أبى * بها صَدْعُ شَعْبِ (٥) الدار إلا تَثَلُّما
بكاها وما يدرِى سِوَى الظّن مَن بكى * أحيًّا يُبَكِّى (٦) أم تُرابًا وأعظُما
فدعْها وأخْلِفْ للخليفة مِدْحةً * تُزِلْ عنك بُؤسى أو تُفِيدُك (٧) أنْعُما
فإنّ بكفَّيْه مَفاتيحَ رحمةٍ * وغيثَ حَيًا يَحْيا به الناس مُرْهِما (٨)
إمامٌ أتاه المُلْكُ عفوًا ولم يُثِبْ * على مُلْكه مالًا حَرامًا ولا دَمَا
تَخَيّرَه ربُّ العِباد لخَلْقِه * وَلِيًّا وكان اللهُ بالناس أعْلَما
فلمّا قَضَاه (٩) اللهُ لم يَدْعُ مُسْلِمًا * لبيْعته إلا أجاب وسَلَّما
يَنالُ الغِنَى والعِزَّ مَنْ نال وُدَّه * ويرهَبُ موتًا عاجلًا مَنْ تَشَأّما (١٠)

فقال الوليدُ : أحسنتَ واللهِ وأحسنَ الأَحْوَصُ ! علىّ بالأحْوَص . ثم قال : يا عُبَيْدُ هِيهْ ! فغنّاه بشعر عَدِىّ بن الرِّقَاع العَامِلِىّ يمدح الوليد :

(١) لم نضبطه ؛ لأنا لا ندرى أهو بيش بفتح أوّله وسكون ثانيه وقد ذكره ياقوت وقال : إنه أحد مخاليف اليمن وفيه عدّة معادن ، أم بِيش بكسر أوّله من بلاد اليمن أيضا قرب دَهْلَك . (٢) وج : اسم واد بالطائف بالبادية ؛ سمى بوجّ بن عبد الحىّ من العمالقة . (٣) جالسا : آتيا الجلس وهو نجد ؛ قال عبد الله بن الزبير :

قل للفرزدق والسفاهة كاسمها * إن كنت تارك ما أمرتك فاجلس

أى ائت نجدا . (٤) تتهم : أتى تهامة .

(٥) الشعب يطلق على التفرّق وعلى الاجتماع ؛ يقال : التأم شعبهم إذا اجتمعوا بعد التفرّق ، وتفرّق شعبهم إذا تفرّقوا بعد الاجتماع . وفى حـ ، ر : « صدع شمل الدار » . (٦) بكاه بكاه بالتخفيف وبكّاه بالتشديد ، كلاهما بكى عليه ورثاه . (٧) رفع الفعل هنا على توهم أن الأوّل مرفوع كأنه قيل : تزيل عنك بؤسى أو تفيدك أنعما ، أو على أنه مستأنف كأنه قيل أو هى تفيدك أنعما . (انظر كتاب سيبويه طبع المطبعة الأميرية ج ١ ص ٤٢٩ والمغنى مع حاشية الأمير (ج ٢ ص ١٩٧ — ١٩٨) .

(٨) أرهمت السماء : أتت بالرِّهام جمع رِهْمة ، وهى المطر الضعيف الدائم . (٩) فى ت : « ارتضاه » . (١٠) تشأم بمعنى تشاءم .

صـــوت

طَارَ الكَرَى وأَلَمَّ الهَمُّ[1] فَٱكْتَنَعَا[2] * وحِيلَ بَيْنِى وبينَ النَّوْمِ فَٱمتنعَا

كان الشَّبَابُ قِنَاعًا أَسْتكِنُّ به * وأَسْتَظِلُّ زمانًا ثُمَّتَ ٱنْقَشَعَا

فاسْتبْدَلَ الرأسُ شَيْبًا بعد دَاجِيَةٍ * فَيْنَانَةٍ[3] ما تَرَى فى صُدْغِها نَزَعَا[4]

فإن تَكُنْ مَيْعَةٌ[5] من باطلٍ ذَهَبَتْ * وأَعْقَبَ اللهُ بعد الصَّبْوةِ الوَرَعَا

فقد أَبِيتُ أُرَاعِى الخَوْدَ[6] راقدةً * على الوَسَائِدِ مسرورًا بها وَلِعَا

بَرَّاقَةَ الثَّغْرِ تَشْفِى القلبَ لَذَّتُها * إذا مُقَبِّلُها فى رِيقِها كَرَعَا[7]

كالأُقْحُوانِ بضَاحِى الرَّوْضِ صَبَّحه * غَيْثٌ أَرَشَّ بتَنْضَاحٍ[8] وما نَقَعَا[9]

صَلَّى الذى الصَّلواتُ الطَّيِّباتُ له * والمؤمنُونَ إذا ما جَمَّعُوا الجُمَعَا

على الذى سَبَقَ الأقوامَ ضَاحِيَةً * بالأَجْرِ والحَمْدِ حتى صاحَباه مَعَا

هو الذى جَمَعَ الرحمنُ أُمَّتَه * على يَدَيْه وكانوا قبلَه شِيَعَا[10]

عُذْنَا بذى العَرْشِ أن نَحْيَا ونَفْقِدَه * وأن نكونَ لِرَاعٍ بعده تَبَعَا

إنّ الوليدَ أميرَ المؤمنين له * مُلْكٌ عليه أعانَ اللهُ فَٱرتفعَا

لا يَمْنَعِ الناسُ ما أَعْطَى الذين هُم * له عِبَادٌ ولا يُعْطُونَ ما مَنَعَا

فقال له الوَلِيدُ : صدقتَ يا عُبَيد! أَنَّى لك هذا ؟ قال : هو من عند الله . قال الوليد : لو غيرَ هذا قلتَ لأحسنتُ أدبَك. قال ٱبنُ سُرَيج : ذلكَ فضلُ اللهِ يُؤْتِيه

(١) ألم : نزل . (٢) اكتنع : دنا وحضر . (٣) فينانة : حسنة الشعر طويلته . (٤) النزع : انحسار مقدّم شعر الرأس عن جانبى الجبهة . (٥) ميعة كل شىء : معظمه وحدّته . (٦) الخود : الفتاة الحسنة الخلق الشابة ما لم تصر نَصَفا . (٧) كرع فى الماء (كمنع وسمع) كَرْعا وكروعا : تناوله بفيه من موضعه من غير أن يشرب بكفيه ولا بإناء . (٨) التنضاح : من النضح وهو الرش . يريد أنه يبله بقليل من المطر . (٩) ما نقعا ، أى ما أروى . (١٠) شيعا : فرقا .

مَنْ يَشَاءُ. قال الوَليدُ : يَزِيدُ فى الخَلْقِ ما يَشَاءُ. قال ٱبنُ سُرَيج : هذا مِنْ فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِى أأشْكُر أم أَكْفُر. قال الوَليـدُ : لَعلمُكَ واللهِ أكبرُ وأعجبُ إلىَّ من غنائك ! غَنِّنى. فغنّاه بشعر عَدِىّ بن الرِّقَاع العَامِلِىّ يمدح الوليدَ :

119
1

عرَف الدِّيَارَ تَوَهُّمًا فٱعتادَها[1] * من بعد ما شَمِلَ البِلَى أَبْلادَها[2]

ولُرُبَّ واضحة العَوَارِضِ[3] طَفْلة[4] * كالرِّيم قد ضَرَبت بها أوتادَها

إنِّى إذا ما لم تَصِـلْنِى خُلَّتِى[5] * وتباعَدتْ منِّى ٱغتفرتُ بِعَادَها

صلى الإلٰهُ على ٱمرئٍ ودّعْتُه * وأتَمَّ نِعْمتَـه عليـه وزادَها

وإذا الرَّبيـعُ تتابعتْ أنْوَاؤُه[6] * فسقَى خُنَاصِرَةَ[7] الأَحَصِّ فَجادَها

نزَل الوَليدُ بهـا فكان لأهلها * غَيْثًـا أغاثَ أنيسَها وبِلَادَها

أوَ لا تَرَى أنّ البَرِيَّةَ كلَّهـا * ألقتْ خَزَائِمَها إليـه فقـادَها

ولقـد أراد اللهُ إذ وَلّاكَها * من أُمَّـةٍ إصلاحَها ورَشَادَها

---

(١) اعتادها هنا : أعاد النظر إليها مرة بعد أخرى لدروسها حتى عرفها. (٢) أبلادها : آثارها جمع بلد وهو الأثر. (٣) العوارض : الثنايا؛ سميت بذلك لأنها فى عرض الفم. (٤) فى ت، أ، م، ء : «حرة» والطفلة : الرخصة الناعمة.

(٥) خلتى : صديقتى. (٦) أنواء : جمع نوء وهو النجم إذا مال للغيب، وقيل : معناه سقوط نجم من المنازل فى المغرب مع الفجر وطلوع رقيبه وهو نجم آخر يقابله من ساعته فى المشرق. وإنما سمى نوءا لأنه إذا سقط الغارب ناء الطالع وذلك الطلوع هو النوء. وبعضهم يجعل النوء السقوط كأنه من الأضداد. وكانت العـرب فى الجاهلية إذا سقط نجم وطلع آخر قالوا : لا بدّ من أن يكون عند ذلك مطر أو رياح، فينسبون كل غيث يكون عند ذلك إلى ذلك النجم فيقولون : مطرنا بنوء الثريا والدبران والسماك الخ. والأنواء ثمانية وعشرون، وهى منازل القمر التى أشار إليها الكتاب الكريم فى قوله تعالى : (والقمر قدّرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم) وقد ذكرها صاحب اللسان بأسمائها فراجعها فى مادة نوأ.

(٧) خناصرة : بليدة من أعمال حلب تحاذى قِنَّسرين نحو البادية، وهى مدينة كان ينزلها عمر بن عبد العزيز، وهى صغيرة، وقد خربت الآن إلا اليسير منها، وهى قصبة كورة الأحص، وهى كورة كبيرة مشهورة ذات قرى ومزارع بين القبلة وبين الشمال فى مدينة حلب. (أنظر ياقوت مادتى الأحص وخناصرة).

أَعْمَرْتَ أرضَ المسلمين فأَقْبَلَتْ * وكَفَفْتَ عنها مَنْ يَرُومُ فسادَها
وأَصَبْتَ فى أرضِ العَدُوِّ مُصيبةً * عَمَّتْ أَقاصِىَ غَوْرِها ونِجادَها
ظَفَرًا ونَصْرًا ما تناولَ مثلَه * أحدٌ من الخُلَفاءِ كان أرادَها
فإذا نَشَرْتُ له الثناءَ وجدتُه * جَمَعَ المَكارِمَ طُرْفَها وتِلادَها

٥ فأشار الوليدُ إلى بَعْضِ الخَدَم ، فغَطَّوْه بالخِلَع ووضَعوا بين يديه كِيسًا من الدَّنانير وبَدْرًا من الدَّراهم ، ثم قال الوليدُ بنُ عبد الملك : يا مَوْلَى بنى نَوْفَلِ بنِ الحارث ، لقد أُوتيتَ أمرًا جَليلًا . فقال ابنُ سُرَيْج : يا أميرَ المؤمنين ! لقد آتاك الله مُلْكًا عظيمًا وشرفًا عاليًا ، وعِزًّا بَسَط يدَك فيه فلم يَقْبِضْه عنك ولا يفعلُ إن شاء الله . فأدام الله لك ما ولّاك ، وحَفِظَك فيما اسْتَرْعاك ؛ فإنك أهلٌ لِما أَعْطاك ، ولا نَزَعه منك إذ رآك له

١٠ موضعًا . قال : يا نَوْفَلِىُّ ، وخَطِيبٌ أيضا ! قال ابنُ سُرَيْج : عنك نطقتُ ، وبلسانك تكلَّمْتُ ، وبعزِّك بيَّنْتُ . وقد كان أَمَر بإحضارِ الأَحْوَص بنِ محمد الأنصاريّ وعَدِىِّ ابنِ الرِّقاع العامِلِىّ[1] . فلما قَدِما عليه أَمَر بإنزالهما حَيْثُ ابنُ سُرَيْج ، فأُنْزِلا منزلًا إلى جَنْبِ ابنِ سُرَيْج . فقالا : والله لَقُرْبُ أميرِ المؤمنين كان أحبَّ إلينا من قربك يا مَوْلَى بنى نَوْفَلٍ ، وإنّ فى قُرْبِك لَما يَلَذُّنا[2] ويَشْغَلُنا عن كثيرٍ مما نُرِيدُ . فقال لهما ابنُ سُرَيْج :

١٥ أَوَ قِلَّةُ شكرٍ ! فقال له عدىّ : كأنّك يابنَ الخَنْاء تَمُنُّ علينا ! علىَّ وعلىَّ إن جَمَعنا وإيّاك سَقْفُ بيتٍ أو صحنُ دارٍ [إلا][3] عندَ أميرِ المؤمنين . وأمّا الأحوص فقال : أَوَ لا تحتمل[4] لأبى يحيى الزَّلَّةَ والهَفْوةَ ! وكفّارةٌ[5] يمينٍ خيرٌ من عدمِ المَحَبّة ، وإعطاءُ النَّفْسِ سُؤْلَها خيرٌ

---

(١) فى حـ ، س : «أنيت» . (٢) كذا فى أكثر النسخ . ولم نجد هذا الفعل فى كتب اللغة متعدّيا بنفسه ؛ إذ لا يقال : لذنى الشىء ، بل لذ لى الشىء ، ولذذته ولذذت به . وفى س ، حـ : « يلذنا » ؛ ولعله مصحف من « يَلُذُّنا » بمعنى يحبسنا وهى لغة هذلية . (٣) التكملة عن أ ، حـ ، س .

٢٠ (٤) كذا فى حـ ، س . وفى سائر النسخ : «أولا تحمل» . (٥) فى حـ ، س : «كفارة» بدون الواو .

من اللَجاج[1] فى غير منفعة ! فتحوّل عَدِىٌّ، وبَقِىَ عنده الأَحْوص. وبلغ الوَليدَ ما جَرَى بينهم، فدعَا آبنَ سُرَيج وأدخله بيتًا وأَرْخَى دونَه سِتْرًا، ثم أمَره إذا فرَغ الأحوصُ وعدىٌّ من كلمتيهما أن يُغَنّىَ. فلمّا دخلا وأنشداه مدائحَ فيه، رفع آبنُ سُرَيج صوتَه من حيثُ لا يَرَوْنه وضَرَب بعُوده. فقال عَدِىٌّ : يا أميرَ المومنين، أتأذَنُ لى أن أتكلّم؟ فقال: قل يا عاملىّ. قال: أمِثْلُ هذا عند أمير المؤمنين، ويبعثُ إلى آبن سُرَيج يتخطَّى به رِقَابَ قُرَيشٍ والعربِ من تِهامةَ إلى الشأم، تَرْفَعُه أرضٌ وتَخْفِضُه أخرى فيقال: مَن هذا؟ فيقال: عُبَيْد بن سُرَيج مَوْلَى بنى نَوْفَلٍ بعَث أميرُ المؤمنين إليه، ليسمَعَ غناءَه! فقال: وَيْحَك يا عَدِىّ! أوَ لا تعرفُ هذا الصوت[2]؟ قال: لا، والله ما سمعتُه قطُّ ولا سَمِعْتُ مثلَه حُسْنًا، ولولا أنه[3] فى مجلس أمير المؤمنين لقلت: طائفةٌ من الجنّ يتغنَّوْنَ. فقال: اخرُجْ عليهم، فخرَج فإذا آبنُ سُرَيج. فقال عدىّ: حُقَّ لهذا أن يُحمَلَ! حُقَّ لهذا أن يحمل! — ثلاثا — ثم أمَر لهما بمثلِ ما أمَر به لآبنِ سُرَيج، وآرتحل القومُ. وكان الذى غنَّاه آبن سُرَيج من شعرِ عمرَ بنِ أبى ربيعةَ :

بالله يا ظَبْىَ بنى الحَـارِث * هل مَنْ وَفَى بالعَهْدِ كالنَّاكِث
لا تَخْـدَعَنّى بالمُنَى باطلًا * وأنت بى تلعَبُ كالعَـابِث
حتّى متى أنتَ لنـا هٰكذا[4] * نَفْسى فِـداءٌ لكَ يا حارِثى
يا مُنْتَهى همّى ويا مُنْيَتِى * ويا هَوَى نَفْسى ويا وَارِثى

(١) اللجاج : التمادى فى الخصومة، أو هو أن يحلف على شىء ويرى أن غيره خير منه فيقيم على يمينه ولا يحنث، فذلك آثم .

(٢) فى ب، س، ى، م بعد قوله : «أولا تعرف هذا الصوت» هذه الجملة : «فهذا عبيد بن سريج» وهى لا يقتضيها السياق .

(٣) فى ر: «أنى» .

(٤) كذا فى ر، حـ والديوان . وفى سائر النسخ : * هذا متى أنت لنـا هكذا *

عتاب الناس لآبن سريج فى صنعة الغناء ثم رجوعهم بعد أن يسمعوا صوته

قال : وبلغنى أنّ رجلا من الأشراف من قُرَيش[1] من مَوَالِى آبنِ سُرَيج عاتبه يوماً على الغناء وأنكره عليه ، وقال له : لو أقبلتَ على غيره من الآداب لكان أزينَ بموَاليك وبك ! فقال : جُعِلتُ فِدَاك ! امرأتُه طالقٌ إن أنتَ لم تَدخُلِ الدارَ. فقال الشيخُ : وَيْحَك ! ما حَملك على هذا ؟ قال : جُعِلتُ فِدَاك قد فعلتُ. فالتفتَ النوفَلىّ إلى بعض من كان معه مُتعجِّبا مما فعلَ. فقال له القوم : قد طَلُقَت آمرأتُه إن أنت لم تدخل الدارَ. فدخَل ودخَل القومُ معه. فلمّا توسَّطوا الدارَ قال : امرأتُه طالقٌ إن أنت لم تسمع غِنائى. قال : اعزُبْ عنِّى يا لُكَعُ ! ثم بَدَر الشيخُ ليخرُج. فقال له أصحابه : أتُطَلِّق آمرأتَه وتحملُ وِزْرَ ذلك؟ ! قال : فوِزْرُ الغناء أشدُّ. قالوا : كَلَّا ! ما سَوَّى الله عزّ وجلّ بينهما . فأقام الشيخُ مكانَه . ثم آندفع آبنُ سُرَيج يغنِّى فى شعر عمرَ بن أبى ربيعة فى زينبَ :

أَلَيستْ بالَّتى قالتْ * لمولاةٍ لها ظهرا[2]
أَشِيرِى بالسَّلَامِ له * إذا هُو نحوَنا خَطَرَا
وقُولِى فى مُلَاطفةٍ * لِزينبَ نوّلى عمرَا
أهذا سِحرُك النِّسوا * نَ قد خَبَّرْنَنى الخبرَا

فقال للجماعة : هذا والله حسنٌ ! ما بالحجاز مثلُه ولا فى غيره. وآنصرَفُوا .

أخبرنى الحسينُ بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن الأصمعىّ قال : قال عبد الله ابن عُمَير اللَّيْثِىّ[3] لآبنِ سُرَيج : لو تركتَ الغناء ! وعاتبه على ذلك. فقال : جُعِلتُ فداك ! لو سمعتَه ما تركتَه . ثم قال : امرأتُه طالق ثلاثا إن لم تدخُلِ الدارَ حتّى تسمعَ غِنائِى. فآلتفت عبدُ الله إلى رَفيقٍ له كان معه فقال : ما تَنتظِرُ ؟ ادخُلْ بنا وإلَّا طَلَقتِ آمرأةُ الرجل. فدخلَا مع آبنِ سُرَيج، فغنَّى بشعرِ الأحْوَص :

(١) هذه الكلمة ساقطة فى ت ، حـ ، ر . (٢) يحتمل أن يكون « ظهرا » بالتحريك فعلا، وبالضم ظرفا . (٣) فى حـ ، ر ، م ، ى : « ابن عمر » .

صــــوت

لقدْ شاقَكَ الحىُّ إذ وَدَّعوا * فعينُـك فى إثْرِهـم تَدْمَعُ
ونادَاكَ للبَيْـنِ غِرْبانُه[1] * فَظَلْتَ كأنّكَ لا تَسـمَعُ

ثم قال : امرأتُه طالقٌ إن أنتَ لم تستَحْسِنْه لأَتْرُكَنّه. فتبسّم عبدُ الله وخرج .

١٢١ / ١ ٥

نسبةُ ما فى هذه الأخبار من الأصوات

منهــا : الصوتُ الذى أوّلُه فى الخبر :

* جَدّدِى الوَصْلَ يا قريب وجُودِى *

أوّلُه :

صــــوت

إنّ طَيْفَ الخَيَـالِ حينَ أَلَمَّـا * هاجَ لى ذِكْرَةً وأحـدثَ هَمّـا[2] ١٠
جَدّدِى الوَصْلَ يا قريب وجُودِى[3] * لمحبٍّ فِـرَاقُـه قـد أَلَمَّـا
ليس بينَ الحياةِ والموتِ إلّا * أنْ يردُّوا[4] جِمَالَهـم فتُزَمَّـا
ولقــد قُلْتُ مُخْفِيـاً لِغَـرِيضٍ * هل تَرَى ذلك الغَـزَالَ الأَحَمّا[5]
هل تَرَى مثلَه من الناسِ شَخْصـاً * أكْمَلَ النـاسِ[6] صـورةً وأَتَمّـا

١٥

(١) فى ح ، ر : * وناداك بالبين غربانهم *
(٢) كذا فى أكثر الأصول والديوان . وفى ر ، ح : «سقما» .
(٣) فى ح ، ر : «جدّدى الوصل ياسكين» .
(٤) فى ح ، ر : «أن تدانى» .
(٥) كذا فى الديوان وأكثر النسخ . وفى أ ، ء ، س : «الأجما» وكلاهما بمعنى القريب .
(٦) فى ت ، ح ، ر : «أكل اليوم» . ولعله محرّف عن القوم .

عَرُوضُه من الخَفيف . الشعرُ لعمرَ بنِ أبى ربيعةَ ، والغناءُ لابنِ سُرَيجٍ ثقيلٌ
ول بالوُسْطى عن الهِشَامِىّ . وفيــه للغَرِيض أيضاً ثقيــلٌ أوّلُ بالسبابةِ فى مجْرَى
بنصر عن إسحاق[1] .

أخبرنى الحَسَنُ بن علىّ قال حدّثنا أحمــدُ بن سَــعيد الدِّمَشْقىّ قال حدّثنا
بير قال :

أنشدَ جعفرُ بنُ محمد بنِ زيد بن علىّ بن الحُسَين عليهم السلام قولَ عمرَ :

ليس بين الحيــاة والموت إلّا * أن يَرُدُّوا جِمَــالَهم فــتُزَمَّا

طرِبَ وارتاح وجَعَل يقول : لقد عَجَّلُوا البَيْنَ، أفلا يُوكُون[2] قِرْبَةً ! أفلا يُوَدِّعُونَ
صديقاً ! أفلا يَشُدُّونَ رَحْلا ! حتى جَرَتْ دُمُوعُه .

وحدّثنا الحَرَمىّ بن أبى العَلَاء عن الزُّبَير فذكَر مثلَه .

ومنهــا :

صــــوت

يا أختَ نَاجِيةَ السلامُ عليكمُ * قبلَ الرَّحيل وقبلَ عَذْلِ العُذَّلِ

لو كنتُ أعلمُ أنّ آخرَ عَهْدِكم * يومُ الرَّحيل فعلتُ ما لم أفعَلِ

عَرُوضُه من الكامل . الشعرُ لجرير . والغناء لابنِ سُرَيجٍ ثقيلٌ اوّلُ بالسَّبَّابة
، مَجْرَى الوُسْطَى عن ابنِ المَكِّىّ، وذكره إسحاقُ فى هــذه الطريقة ولم ينسُــبه إلى
حد . وفيه للغريض ثانى ثقيلٍ بالوُسْطَى عن ابنِ المكىّ أيضا . ومِمــا يُشَكّ فيه

(١) هذه الكلمة ساقطة من ت ، حـ ، ر .
(٢) أوكى القربة : شدّها بالوِكاء وهو الرِّباط الذى يُشَدّ به رأسها .

أنه لَمَعْبَدٍ أو لكَرْدَمٍ ٱبنِه فى البيت الثانى والأوّلِ ثانى ثقيلٍ . ولعَرِيبَ[١] فى هذين البيتين لحنٌ من رواية ٱبن المُعتزّ غيرُ مجنَّس .

ومنها :

صـــوت

أمَنزِلَتَىْ سَلْمَى على القِدَمِ ٱسلَمَا * فقد هِجْتُمَا للشوقِ قلباً مُتَيَّمَا
وذكَّرتُمَا عصرَ الشَّبابِ الذى مضَى * وجِدَّةَ وَصْلٍ حَبْلُه قد تجذَّمَا

عَرُوضُه من الطَّوِيل . والشعرُ للأحْوَص . والغناء لكَرْدَمٍ ثانى ثقيلٍ بالوُسْطَى ، وقيل : إنّ هذا الثقيل الثانىَ لمحمد الرَّفّ[٢] ، وإنّ فيه لحناً من الثقيل الأوّلِ لكَرْدَمٍ .

ومنها :

صـــوت

عرَفَ الديارَ توهُّماً فاعتادَها * من بَعْدِ ما شَمِلَ البِلَى أبْلَادَهَا
إلّا رَوَاكِدَ[٣] كُلُّهنّ قدِ ٱصْطَلَى * حَمْراءَ أكثرَ[٤] أهلُهَا إيقادَها

---

(١) ضُبط هذا الآسم فى الجزء الحادى والعشرين من الأغانى طبع ليدن ص ١٨٤ بالقلم بضم أوّله ، وكذا ضبط فى المحاسن والأضداد للجاحظ طبع أوربا ص ١٩٧ بالقلم أيضا بضم أوّله وفتح ثانيه . وفى ترجمة عريب فى الجزء الثامن عشر من الأغانى شعر يدل على ضبطه بفتح أوّله وكسر ثانيه وهو :

لقد ظلموك يا مظلوم لما * أقاموك الرقيب على عريب
ولو أولوك إنصافا وعدلا * لما أخلوك أنت من الرقيب

(٢) كذا فى جميع النسخ بالراء ، وهو هكذا فى ترجمته الآتية فى الجزء الثالث عشر من الأغانى . وقد ورد فى الجزء الخامس من الأغانى فى نسب ابراهيم الموصلى وأخباره هكذا «محمد الزف» ، بالزاى المعجمة . وقد يرجح هذا الرسم أن الزف فى اللغة السرعة ، وهو قوىّ المناسبة بما سيأتى فى ترجمته فى الجزء الثالث عشر من الأغانى من أنه كان أروى خلق الله للغناء وأسرعهم أخذا لما سمعه منه ، ليست عليه فى ذلك كلفة وإنما يسمع الصوت مرة واحدة فيأخذه .

(٣) الرواكد هنا : الأثافىّ ، مشتق من الركود وهو الثبوت .

(٤) فى ت ، ح ، م : «أشعل» .

عَرُوضُه من الكامل . الشعر لعَدِىّ بن الرِّقاع العَامِلىّ . والغنـاء لابنِ مُحْرِز ثقيلٌ أوّلُ مطلَقٌ فى مَجْرَى البِنْصَر عن إسحاقَ . وفيه لمـالكٍ ثقيلٌ أوّلُ بالبِنْصَر عن عمرٍو . وفيـه لحَنٌ لإبراهيمَ ، وفى هـذه الأخبار أنه لابنِ سُرَيج ، وذكر حمّـاد فى كتاب ابن مُحْرِزٍ أنه ممـا يُنْسَب إلى ابنِ مِسْجَح [أو إلى ابنِ مُحْرِزٍ][1] .

١٢٢
١

ومنهـا :

صــــوت

بالله يا ظَبْىَ بنى الحـارثِ * هل مَنْ وَفَى بالعهدِ كالنّاكِثِ

لا تَخْـدَعَنِّى بالمُـنَى بَاطِلًا * وأنت بى تلعَب كالعَـابِثِ

عَرُوضُه من السَّرِيع . الشعر لعمرَ بنِ أبى ربيعة . والغناء لابن سُرَيج ولحنُه خَفِيفُ ثقيـلٍ أوّلَ بالوُسْطَى ، وذكر عَمْرو بن بَانَةَ أنه لسِـيَاطٍ . وذكر الهِشَامىّ يَذْلُ أنّ فيه لإبراهيمَ المَوْصِلىّ لحنًا آخرَ . وفيـه خفيفُ رَمَلٍ بالبِنْصَر ذكر حَبَشٌ أنه لإبراهيمَ بنِ المَهْدِىّ ، وغيرُه يَنْسُبُه إلى إسحاقَ .

ومنهـا :

صــــوت

— وهو الذى أوّلُه فى الخبَرِ : أليستْ بالتى قالتْ * لمَوْلَاةٍ لهـا ظهـرَا —

تَصَابَى القلبُ فادَّكَرَا * هَوَاه ولم يَكُن ظَهَـرَا

لزينبَ إذ تُجِـدُّ لنـا * صَـفَاء لم يكن كَدِرَا

أليستْ بالتى قالتْ * لمَوْلَاةٍ لهـا ظهـرا

أَشِيرى بالسَّـلَامِ له * إذا هو نحوَنا نَظَـرا[2]

وقُولِى فى مُلَاطَفَـةٍ * لزينبَ نَوِّلِى عُمَـرا

(١) هذه الكلمة غير موجودة فى حـ ، م .

(٢) فى م : « خطرا » .

فهزَّتْ رأسَها عَجَبًا * وقالتْ مَنْ بِذَا أمَرا
أهذا سِحْرُكَ النِّسْوا * نَ قد خَبَّرْنَنى الخَبَرَا
طَرِبْتَ ورَدَّ مَنْ تَهْوَى * جِمَالُ الحَىِّ فابتكرا[1]
فقُلْ للمَبْرَبِيَّةِ لا * تَلُومِى القلبَ إن جَهَرا
بَطِرْتَ وهكذا الإنسا * نُ ذو بَطَرٍ إذا ظَفِرَا
فأينَ العَهْدُ والميثا * قُ لا تُخْبِرْ بنا بَشَرَا[2]

عَرُوضُه من الوَافِر[3]. الشعرُ لعمرَ بنِ أبى ربيعةَ. والغناء لابنِ سُرَيج فى الثالث والرابع والخامس والأوّل خفيفُ ثَقِيلٍ أوّلَ مُطْلَقٌ فى مَجْرَى البِنْصَر عن إسحاقَ. وللغَرِيض فى السابع والثامن والأوّلِ لحنٌ من القَدْر الأوسَط من الثَّقِيلِ الأوّلِ بالوُسْطى فى مَجْرَاها عن إسحاقَ. ولمَعْبَدٍ فى هذه الأبياتِ كلِّها لحنٌ عن يونُسَ ودَنَانِيرَ ولم يُجَنِّسَاه، وذَكَرَ الهِشَامِىّ أنه خفيفُ ثَقِيلٍ. وفى السابع والثامن والتاسع رملٌ لدَحْمَانَ، ويقال إنه للزُّبَيرِ ابنه. ولمالك لحنٌ أوّلُه :

صــــوت

لقدْ أرسلتُ جارِيَتِى * وقلتُ لها خُذِى حَذَرَكْ
وقُولِى فى مُلاطَفَةٍ * لزينبَ نَوِّلِى عُمَرَكْ
فهزَّتْ رَأْسَها عَجَبًا * وقالتْ مَن بذا أمَرَكْ
أهذا سِحْرُكَ النسوا * نَ قد خبّرننى خبرَكْ

(١) هذا البيت مطلع قصيدة أخرى فى ديوانه، ومنها البيت الذى بعده ثم البيت الأخير، وقد ورد فيه هكذا :
فأين العهد والميثا * ق لا تُشْعِر بنا بشرا
وقولا فى ملاطفة * أزينب نوّلى عمرا
وقل للمالكية لا * تلومى القلب إن هجرا

(٢) فى ب، س، حـ : «لا تخبر».

(٣) هو من مجزوء الوافر، وهو ما حذف جزء من صدره وآخر من عجزه.

١٢٣/١

ولحنُ مالك هذا خفيفُ ثَقِيلٍ بالوُسْطَى من رواية ابن المكّيّ . وهـذا يَرْوِى الشعرَ ويجعل قَوَافِيَه كلَّها على الكاف . وفى هـذه الأبيات بعينها على هـذه القافية خفيفُ رملٍ يُنْسَب إلى ابنِ سُرَيج وإلى الغَرِيض . وذكر حَبَشٌ أنّ فيـه لمَعْبَد لحْنًا من الرَّمَل أوّلُه الثالثُ من الأبيات الأُوَل المذكورة .

٥

رجع الخبر إلى سِيَاقة أحاديث ابن سريج

ابن سريج أحسن الناس غناء

أخبرنا يحيى بن علىّ[1] ووَكِيعٌ وجَحْظَة قالوا : حدّثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال : قال لى الفَضْـلُ بن يَحْيَى : سألتُ أباكَ ليـلةً وقد أخَذ منـه الشرابُ عن أحسنِ النـاس غِناءً، فقال لى : مِنَ النِّسَاءِ أم من الرجالِ ؟ قلتُ : مِنَ الرجالِ. قال : ابنُ مُحْرِز. فقلتُ : فمِنَ النساءِ ؟ قال : ابنُ سُرَيج . قال إسحاقُ لى : ويُقال أَحسَنُ الرجال غِناءً مَن تَشَـبَّه بالنساء، وأَحسَنُ النساء غناءً من تَشَـبَّه بالرجال .

١٠

قال يحيى بن علىّ خاصّة : ثم كان ابنُ سُرَيج كأنه خُلِق من قلبِ كلِّ واحد، فهو يُغَنِّى له بما يَشْتَهِى .

ابن سريج ببعض أندية مكة

أخبرنى الحُسَين بن يَحْيَى قال قال حَمَّاد : قرأتُ على أبى عن الهَيْثَم بن عَدِىّ قال : قال ابنُ سُرَيج : مررتُ ببعضِ أنديةِ مكةَ وفيه جماعةٌ، فحَصِرتُ[2] فقلت : كيف أَجُوزُهم مع تَعَبِى وما أنا فيه ! فسمِعْتُهم يقولون : قد جاء ابنُ سُرَيج، فقال بعضُهم ممّن لم يَعرِفْنِى : ومَنِ ابنُ سُرَيج ؟ فقال : الذى يغنّى :

١٥

أَلَا هل هاجَكَ الأظعا ... نُ إذ جاوَزْنَ مُطَّلَحَا

---

(١) كذا فى حـ ، ر . وفى سائر النسخ : «على بن يحيى» . وسيأتى قوله قريبا : «قال يحيى بن على خاصة الخ» ، واتفقت كل النسخ على ذلك . (٢) كذا فى حـ . ومعناه أحجمت عن المرور عليهم . وكل من امتنع من شىء لم يقدر عليه فقد حَصِر عنه . وفى سائر النسخ : « فحضرت » وهو تصحيف .

٢٠

قال آبنُ سُرَيج : فلمّا سمِعتُ ذلك قَوِيَتْ نفسِى وآشتدّتْ مُنَّتِى(١)، ومرَرْتُ بهم أَخْطِر فى مُصَبَّغاتِى . فلمّا حاذَيْتُهم قاموا بأجْمَعِهم فسلَّموا علىّ، ثم قالوا لأَحْداثِهم : آمْشُوا مع أبى يَحْيَى .

ابن سريج مع فتية من بنى مروان

وقد حدّثنى عمّى بهذا الخبر قال حدّثنى أبو أيُّوب المدينىّ قال حدّثنى محمد بن سَلّام عن جرير قال :

قال لى آبن سُرَيج : دعانى فِتْيةٌ من بنى مَرْوانَ، فدخَلْتُ إليهم وأنا فى ثيابِ الحِجَازِ الغِلَاظِ الجافِيةِ ، وهم فى القُوهِىِّ(٢) والوَشْيِ يرفُلُون كأنهم الدّنانيرُ الهِرَقْلِيّةُ(٣) ، فغنّيتُهم وأنا محتقِرٌ لنَفْسِى عندهم لحناً لِى، وهو :

صــــوت

أبِآلفَرْعِ لم تَظْعَنْ مع الحىّ زينبُ * بنَفْسِى على النّأْيِ الحَبِيبُ المُغَيَّبُ

بوَجْهِك عن مَسِّ التُّرابِ مَضَـنّةٌ(٤) * فلا تَبْـعُدى إذ كلُّ حىّ سيَعْطَبُ

— ولَحْنُ آبنِ سُرَيج هـذا رَمَلٌ بالخِنْصِرِ فى مَجْـرَى البِنْصَر — قال : فتضاءَلُوا فى عَيْنِى حتى ساوَيْتُهم فى نَفْسِى لمَـا رأيْتُهم عليه من الإعْظامِ لى. ثم غنّيتُهم :

وَدِّعْ لُبَـابَةَ قبل أن تترحَّلَا * وآسأَلْ فإن قُلَالَه أن تَسْأَلَا

فطَرِبُوا وعظَّمُونى وتواضَعُوا لى، حتى صِرْتُ فى نَفْسِى بمَنْزِلَتِهم لمَـا رأيتُهم عليه، وصاروا فى عَيْنِى بمَنْزِلَتِى(٥). ثم غنّيتهم :

١٢٤ / ١

أَلَا هَلْ هاجكَ الأَظْعا * نُ إذ جاوَزْنَ مُطَّلَحا

---

(١) منّتى : قوّتى . (٢) انظر الحاشية رقم ١ ص ٢٣٦ من هذا الجزء .

(٣) نسبة إلى هرقل أحد ملوك الروم وهو أوّل من ضرب الدنانير . (٤) المضنة بفتح الضاد وكسرها : البخل . (٥) كذا فى ت . وفى م ، ء ، أ : « فطربوا وعظمونى وتواضعوا لى واستخفوا فى أنفسهم حتى وجدت فى نفسى بشاشة لهم وصاروا فى عينى أقل شىء ثم غنيتهم الخ » وفى سائر النسخ : « حتى صرت فى نفسى كمنزلتهم وصاروا فى نفسهم كمنزلتى » .

طربوا ومثُلوا بين يدىَّ ورمَوْا بحُلَلهم كلِّها علىَّ حتى غطَّوْنى بها ؛ فمثَّلت لى نفسى أنها نفسُ الخليفة وأنهم لى خوَلٌ[1] ؛ فما رفعتُ طَرْفى إليهم بعد ذلك تيهاً .

وقد مضتْ نسبةُ « ودِّعْ لُبَابةَ » فى أخبار عمرَ بنِ أبى ربيعةَ وغيرِه . وأمّا :

ألَا هَلْ هاجَكَ الأَظْعا * نُ ... ...

فنذكر نسبته :

نسبة هذا الصوت

صـــوت

ألَا هلْ هاجَكَ الأظعا * نُ إذ جاوَزْنَ مُطَّلَحا
نَعَمْ ولوشْـكِ بينِهِـمُ * جَرَى لكَ طائرٌ سَنَحا[2]
أَجَزْنَ المـاءَ من رَكَكٍ[3] * وضوءُ الفَجْرِ قد وَضَحا

---

(١) الخول : العبيد والإماء وغيرهم من الحاشية ، الواحد والجميع والمذكر والمؤنث فى ذلك سواء .

(٢) سنح الطائر : ولّاك ميامنه ، وبرح : ولّاك مياسره . قال ابن برّى : العرب تختلف فى العيافة فى التيمن والتشاؤم بالسانح بالبارح ؛ فأهل نجد يتيمنون بالسانح ، كقول ذى الرمة وهو نجدىّ :

خليـلىّ لا لاقيتما ما حييتما * من الطير إلا السانحات وأسعدا

وقال النابغة وهو نجدىّ فتشاءم بالبارح :

زعم البـوارح أن رحلتنا غدًا * وبذاك تَنعابُ الغراب الأسود

وقال كثيّر وهو حجازىّ ممن يتشاءم بالسانح :

أقول إذا ما الطير مرّت مخيفة * سـوانحها تجرى ولا أستثيرها

وهذا هو الأصل . ثم قد يستعمل النجدىّ لغة الحجازىّ ؛ فمن ذلك قول عمرو بن قميئة وهو نجدىّ :

فبيني على طـير سنيح نحوسـه * وأشأم طـير الزاجرين سَنيحُها

(انظر اللسان مادة سنح) . (٣) ركك : محلة من محالّ سلمى أحد جبلى طيّء . قال الأصمعى : قلت لأعرابى : أين ركك ؟ قال : لا أعرفه ولكن هاهنا ماء يقال له رك . وقد فُكّ فى الشعر للضرورة ؛ قال زهير : ثم استمروا وقالوا إن موعدكم * ماء بشرقىّ سلمى فَيْدُ أو رَكَكُ

(انظر معجم ياقوت) .

فقُلْنَ مَقِيلُنا قَرْنٌ(1) * نُبَاكِرُ ماءَه صُبُحَا(2)

تَبِعْتُهُم بطَرْفِ العَيْـ * ـنِ حتّى قِيلَ لى ٱفتضحا

يُوَدِّع بعضُنا بعضًا * وكلٌّ بالهَوَى جُرِحَا

فمَنْ يفرحْ ببَيْنِهِمُ * فغَيْرِى إذ غَدَوْا فَرِحَا

عروضُه من الوافر(3) . الشّعر لأبى دَهْبَلٍ الجُمَحِىّ(4) . والغناء لمالك وله فيه لحنان : ثقيلٌ أوّلُ بالبِنْصَرِ عن إسحاقَ ، وخفيفُ ثقيلٍ بالوُسْطَى [عن عمْرٍو(5) . ولمَعْبَد فيه ثَقِيلٌ أوّلُ بالخِنْصَر فى مَجْرَى الوُسْطَى] . ولابنِ سُرَيْجٍ فى الخامس وما بعدَه ثقيلٌ أوّلُ مُطْلَقٌ فى مَجْرَى البِنْصَر عن إسحاقَ . وفيه للغَرِيض ثانى ثقيلٍ بالوُسْطَى عن حَبَشٍ(6) .

ملح جرير الشاعر لغناء ابن سريج

أخبرنى الحُسَين بن يحيى عن حَمَّاد عن أبيه قال : قَدِمَ جَرِيرٌ المدينةَ أو مكةَ فجَلَس مع قومٍ ، فجعَلوا يَعْرِضُون عليه غِنَاءَ رجلٍ رجلٍ من المغنِّين ، حتى غنَّوْه لابنِ سُرَيجٍ ، فطَرِبَ وقال : هذا أحسنُ ما أَسْمعتُمونى من الغناء كلِّه . قالوا : وكيف قلتَ ذاكَ يا أبا حَزْرَةَ ؟ قال : مَخْرَجُ كلِّ ما أَسْمعتُمونى من الغناءِ من الرأسِ ، ومَخْرَجُ هذا من الصَّدْرِ .

تحكيم الأوقص المخزومى فى غناء رقاشاء الحبطية وصقراء العلقمية

أخبرنى الحَسَنُ(7) بن علىّ قال حدّثنا محمدُ بن القاسم بن مَهْرُويةَ قال حدّثنى أبى قال حدّثنى إبراهيمُ بن محمدٍ الشافِعىُّ قال :

(1) المراد به قرن المنازل ، وقد شُرِح فيما مضى مرارا . (2) حركه هنا لضرورة الشعر ؛ لأن القصيدة من مجزوء الوافر الضرب السالم والقافية فيها كلها مفاعلتن بالتحريك . (3) يريد أنه من مجزوء الوافر .
(4) أبو دهبل الجمحىّ : نسبة الى جمح . و بنو جمح من قريش وهم بنو جمح بن عمرو بن هُصَيص بن كعب ابن لؤىّ (انظر شرح القاموس مادة جمح) . (5) ما بين هذين القوسين غير موجود فى ح ، ر .
(6) كذا فى أكثر النسخ . وفى ت : « ولابن سريج فى الخامس وما بعــده ثم الأوّل وما بعده ثقيل أوّل الخ » . وفى ح ، ر : « ولابن سريج فى الخامس وما بعده ثقيل أوّل مطلق بالوسطى عن حبش » .
(7) فى ح ، ر : « الحسين » وهو تحريف ؛ إذ هو الحسن بن علىّ الخفاف ، وقد تقدّم كثيرا أنه يروى عن محمد بن القاسم بن مهروية .

جاء سندة الخيّاط المغنّي إلى الأفلح (١) المخزوميّ (٢) — وكان يوصف بعقل وفضل — فقال له : من أين أقبلت؟ وإلى أين تمضي؟ فقال : إليك قصدتُ من مجلس لبعض القُرَشيّين أقبلت محاكمًا إليك . قال : فماذا؟ قال : كنتُ عند هذا الرجل وحضرت مجلسه رَقْطاءُ الحَبَطيّين (٣) ، وصفراءُ العلقميّين ، فتناولتا بينهما رَمَل ابن سُرَيج :

٥ ليتَ شِعْرِي كيف أبقى ساعةً * مع ما ألقى إذا الليلُ حضر

مَن يَذُقْ نومًا ويَهدأْ ليلَه * فلقد بُدِّلْتُ بالنوم السَّهَرْ

قلتُ مَهْلًا إنها جِنِّيَّةٌ * إن تُخالِطْها تَفُزْ منها بشرّْ

١٢٥/١ فغنَّتاه جميعًا ، واختلفنا في تفضيلهما ، ففضَّل كلُّ فريق منّا إحداهما ، فرضينا جميعاً بحُكمك ، فاحكُمْ بيننا وبينهما . قال : فوجَم ساعةً — وأهلُ الحجاز إذا أرادوا
١٠ أن يحكُموا تأمّلوا ساعةً ثم حكَموا ، فاذا حكَم المحكَّمُ مضى حكمُه كائنًا ما كان ، ففضَّل مَنْ فضَّله وأسقَط مَنْ أسقطَه ، إذا تَراضَى الخصمان به — فكرِهَ الأفلح أن يُرضِيَ قومًا ويُسخِطَ آخرين ، فقال لسندة : صِفْهما (١) أنت لي كيف كانتا إذ غنَّتاه وأشرَحْ لي مذهبَهما فيه كما سمعتَ ، وأنا أحكُم (١) بعد ذلك . فقال سندة : أمّا جارية الحَبَطيّين (٣) ، فإنها كانت تَلُوكُ لحنَه كما يَلُوكُ الفرسُ العتيقُ لجامَه ، ثم تُلقيه في هامةٍ
١٥ لَدْنةٍ ثم تُخرِجُه من مَنْخَرٍ أغنَّ (٤) ، والله ما ابتدأتْه فتوسَّطتْه وأنا أعقل ، ولا فرَغتْ منه فأفقتُ إلا وأنا أظنُّ أنّي رأيتُه في نومي . وأما صفراءُ العلقميّين ، فإنها أحسنُهما حلقًا ، وأصحُّهما صوتًا ، وألينُهما تثنّيًا ، والله ما سمعها أحدٌ قطُّ فانتفع بنفسه ولا دينه .

---

(١) لم نعثر على ضبطه . (٢) في ر : « الأقلح » . وفي ت : « الأبلج » . وفي أ ، م ، ء : « الأبلح » . ولم نعثر عليه حتى نرجح إحداها . (٣) في حـ ، ر :
٢٠ « الحبطية » . وفي ت ، م ، ء ، أ : « الحنطيين » . (٤) في ت : « أرنّ » من الرنين وهو الصوت .

هذا ما عندى، فاحكُمْ أنت يا أخا بَنِى مَخْزُومٍ . فقال : قد حَكَمْتُ بأنهما بمنزلة العينين فى الرأس ، فبأيّهما نظرتَ أبصرتَ ، ولو كان فى الدنيا من عُبَيد بن سُرَيج خَلْقٌ لكانتا . قال : فانصرَفُوا جميعًا رَاضين بحُكْمه .

ثناء جرير المدينى على ابن سريج

أخبرنى الحُسَين عن حمّاد عن أبيه عن محمد بن سَلَّام قال :

سألتُ جَرِيرًا المَدِينىّ[1] عن ابنِ سُرَيج ، فقال: أتذكُره وَيْحَك باسمه ، ولا تقول : سَيِّدُ مَنْ غَنَّى وواحدُ مَنْ ترنَّم !

ثناء الشعبى عليه

قال حمّاد وحدّثنى أبى عن هارونَ بن مُسْلِم[2] عن محمد بن زُهَير السَّعْدىّ الكوفىّ عن أبى بَكْرِ بنِ عَيَّاش عن الحَسَن بن عَمْرو الفُقَيمىّ قال :

دخلتُ على الشَّعْبِىّ ، فبَيْنَا أنا عندَه فى غُرْفته ، إذ سمعتُ صوتَ غِناء ، فقلتُ : أهذا فى جِوارِك ؟ فأشْرف بى على منزلِه ، فإذا بغلامٍ كأنه فِلْقَةُ قمرٍ وهو يتغنّى — قال إسحاق : وهذا الغناء لابن سُرَيج — :

وقُمَيرٌ بَدَا ابنَ خمسٍ وعشريـ * ـن له قالت الفَتَاتَان قُومَا[3]

قال : فقال لى الشَّعْبِىُّ : أتعرِف هذا ؟ قلتُ لا . فقال : هذا الذى أُوتِىَ الحُكْمَ صَبِيًّا ، هذا ابنُ سُرَيج .

ثناء ابن سريج على نفسه فى تغنيه بشعر لعمر بن أبى ربيعة

وأخبرنى يحيى بن علىّ بن يحيى قال حدّثنى أبو أيُّوبَ المَدِينىّ قال : حدّثنى الهشامىّ الربعىّ عن إسحاقَ المَوْصِلىّ قال :

تغنَّى ابنُ سُرَيج فى شعرٍ لعمرَ بنِ أبى ربيعةَ وهو :

(١) فى حـ ، ر : « المدنى » . (٢) فى حـ : « مروان بن سلمة » . وفى ر : « هارون بن سلمة » . (٣) أصله قومن بنون التوكيد الخفيفة ثم أبدلت ألفا ؛ كقوله :

* ولا تعبد الشيطان والله فاعبدا *

صـــوت

خَانَكَ مَنْ تَهْوَى فلا تَخُنْهُ * وكُنْ وَفِيًّا إن سَلَوْتَ عنهُ

واسلُكْ سَبِيلَ وَصْلِه وصُنْهُ * إن كان غَدّارًا فلا تَكُنْهُ

عسى تَبَارِيحُ[1] تَجِيءُ منــه * فيرجِعَ الوَصْـلُ ولم تَشِنْهُ

٥ قال المَكِّيُّون : قال ابنُ سُرَيج : ما تَغَنَّيْتُ بهـذا الشعر قطُّ إلا ظننتُ أنّى أُحَلُّ محلَّ الخليفةِ .

قال مؤلف هذا الكتاب أبو الفَرَج الأَصْفَهانىّ : وجدت فى هذا الشعرِ لحنَيْن — أحدُهما ثقيلٌ أوّلُ والآخر رَمَلٌ — مجهولَيْنِ جميعًا ، فلا أَدْرى أَيُّهما لحنُه .

وصف ابن سريج للصيب المحسن من المغنين

ونَسَخْتُ من كتاب العَتَّابىّ : أخبرنى عَوْنُ بن محمـد قال حدّثنى عبـدُ الله

١٠ ابن العباس بنِ الفَضْل بن الرَّبيع عن جدّه الفَضْل عن ابن جامع عن سِـيَاطٍ عن يُونُس الكاتبِ عن مالك بن أبى السَّمح قال :

سألتُ ابنَ سُرَيج عن قول الناس : فلان يُصيب وفلان يُخطئ ، وفلان يُحسِن

١٢٦/١

وفلان يُسيء ؛ فقال : المصيبُ المحسنُ من المغنِّين هو الذى يُشْبِـع الألحانَ ، ويَمْلأُ الأنفاسَ ، ويُعدِّل الأوزانَ ، ويُفخِّم الألفاظَ ، ويَعرِف الصوابَ ، ويُقيم الإعْرابَ ،

١٥ ويستوفى النَّغم الطِّوال ، ويُحسِّن مَقاطِيعَ النَّغَم القِصار ، ويُصيبُ أجناسَ الإيقاع ، ويَختلِسُ مواقع النَّبَرات ، ويستوفى ما يشاكلها فى الضرب من النَّقَرات . فعرَضْتُ ما قال على مَعْبَدٍ ، فقال : لو جاء فى الغناء قرآنٌ ما جاء إلا هكذا .

يزيد بن عبد الملك ومولى حبابة المغنية

أخبرنى الحَسَنُ بنُ علىّ الخَفَّافُ قال حدّثنى أحمد بن سَعيد الدِّمَشْقِىّ قال حدّثنى الزُّبَير بن بَكَّار عن ظَبْيَةَ[2] :

٢٠ (١) التباريح : توهج الشوق . (٢) فى ت : « طبية » .

أنّ يزيدَ بنَ عبدِ الملك قال لحَبَابَةَ يوماً : أتعرفين أحدًا هو أطربُ منّى؟ قالت : نعمْ، مَوْلاىَ الذى باعنِى . فأمَر بإشخاصه فأشخص إليــه مُقيَّدًا(1) ، وأُعلِم بحاله فأَذِنَ فى إدخالِه ، فمثَل بين يديه وحَبَابةُ وسَلَّامة تُغنِّيان؛ فغنّته سَلَّامَةُ لحنَ الغَرِيض فى :

* تَشُطُّ غدًا دارُ جيرانِنا *

فطَرِبَ وتحــرّك فى أَقْيادِه. ثم غنّته حَبَابةُ لحنَ ٱبنِ سُرَيج المجرّدَ فى هــذا الشعر ، فوثَب وجعَل يَحْجُلُ(2) فى قيده و يقول : هذا وأبيكما ما لَا تَعْذُلانِى فيه ، حتى دنا من الشَّمعة فوضَع لِحيَته عليها فٱحترقتْ ، وجعَل يَصيحُ : الحريقَ الحريقَ ياأولادَ الزِّنا . فضَحِكَ يزيدُ وقال : هذا والله أطربُ الناس حَقًّا ، ووصله وسَرَّحه إلى بلده .

سماع عطاء وابن جريج لغناء ابن سريج

أخبرنى الحَسَنُ بن علىّ قال حدّثنا فَضْلُ اليَزِيدىُّ عن إسحاقَ :

أنّ ٱبن سُرَيج كان جالسًا ، فمرّ به عَطَاءٌ وٱبنُ جُرَيج ، فحلَف عليهما بالطّلاق أن يُغنّيَهما ، على أنهما إن نَهيَاه عن الغِناء بعدَ أن يسمَعا منه ترَكه . فوقفا له وغنّاهما :

إخوتى لا تَبْعَدُوا أبدًا * وا بَلَى(3) والله قــد بَعُدُوا

فغُشِىَ على ابنِ جُرَيج ، وقام عَطَاء فرقَص . ونسبةُ هــذا الصوتِ وخبرُه يُذْكَر فى موضعٍ آخرَ .

غناء ابن سريج عند بستان ابن عامر ووقوف الحاج لاستماع غنائه

أخبرنى الحَسَنُ قال حدّثنا الفَضْل عن إسحاقَ :

أنّ ٱبنَ سُرَيج كان عند بستانِ ٱبن عامرٍ يغنّى :

---

(1) فى ب ، س : «فأمر بإشخاصه إليه مقيدا» . وفى ت : « فأمر فأشخص إليه مقيدا » .

(2) حجل المقيد من بابى قتل وضرب حجــلا وحجلانا : رفع رجلا وتريّث فى مشيه على رجله الأخرى .

(3) كذا فى ﺣ . ووا هنا : اسم لأعجب؛ كقوله :

وا بأبى أنت وفوك الأشــنب * كأنما ذُرّ عليــه الزرنبُ

وفى سائر النسخ : « وبلى » بغير ألف . ولعلها سقطت من الناسخ .

لِمَنْ نارٌ بأعلى الخَيْـ * ـفِ[1] دونَ البئر ما تَخْبُو

أَرِقْتُ لذكرِ موقعِها * فَحَنَّ لذكرِها القَلْبُ

إذا ما أُخمِدتْ أُلْقِي * عليها المَنْدَلُ[2] الرَّطْبُ

فجعل الحاجُّ يركب بعضُهم بعضًا، حتى جاء إنسانٌ من آخرِ القُطُرَاتِ[3] فقال: يا هذا! قد قطعتَ على الحاجِّ وحبستَهم، والوقتُ قد ضاق، فاتَّقِ اللهَ وقُمْ عنهم! فقام وسار الناس.

استحقاق ابن سريج لجائزة سليمان ابن عبد الملك للسابق من المغنين

أخبرني الحَسَنُ قال حدّثني محمد بن زَكَرِيَّا قال حدّثني يَزِيدُ بن محمد عن إسحاق المَوْصِلِيّ:

أنّ سليمانَ بنَ عبدِ الملك لمّا حَجّ سَبَّقَ[4] بين المغنِّين بَدْرَةً[5]، فجاء آبنُ سُرَيج وقد أُغلِقَ البابُ، فلم يأذَنْ له الحاجبُ، فأمسَك حتى سكَتُوا وغنّى:

* سَرَى هَمِّي وهَمُّ المرءِ يَسْرِي *

فأمر سليمانُ بدَفْعِ البَدْرَةَ إليه.

---

(١) في ح، ر: «الخبت» وكلاهما اسم موضع. والخبت في الأصل: المطمئن من الأرض. والخيف: ما انحدر عن غلظ الجبل وارتفع عن مسيل الماء. (٢) المندل: العود.

(٣) كذا في ر. والقطرات: جمع قُطُر وهو جمع لقِطَار. وفي سائر النسخ: «القُطْران» بالنون. ولم نجد هذا الجمع في كتب اللغة ولا هو قياسيّ في هذا المفرد. (٤) سبّق بين المغنين بدرة: جعلها سَبَقًا بينهم، مَنْ غلب أخذها.

(٥) كذا في ت، ح، ر. وفي سائر النسخ: «ببدرة». وقد استعمله الزمخشريّ في أساس البلاغة متعدّيا بنفسه لا بالباء. والبدرة: كيس فيه ألف درهم أو عشرة آلاف درهم أو سبعة آلاف دينار.

نسبة هذا الصوت

صوت

سَرَى هَمّى وهَمُّ المرءِ يَسْرِى * وغاب النَّجْمُ إلا قِيسَ فِتْرِ(1)

أُراقِبُ فى المَجَرَّةِ(2) كلَّ نَجْمٍ * تعرّض للمَجَرّة كيف يَجْرِى

لِهَمٍّ لا أزالُ له مُدِيمًا * كأنّ القلبَ أُسْعِر حَرَّ جَمْرِ

على بَكْرٍ أخى ولّى حَمِيدًا * وأىُّ العَيْش يَصْفُو بعدَ بَكْرِ

الشعرُ لعُرْوَةَ بنِ أُذَينة، والغناء لٱبنِ سُرَيج ثانى ثقيلٍ بالوُسْطَى . وفيه لأبى عبّاد(3) رَمَلٌ بالوُسْطَى ، وذكَر الهِشَامِىّ أنّ هذا اللحنَ لصَاحِبِ الحَرُونِ(4) .

١٢٧ / ١

وفاة ابن سريج فى خلافة سليمان بن عبد الملك أو فى آخر خلافة الوليد

أخبرنى الحُسَين بنُ يَحْيى عن حَمّاد عن أبيه قال :

قال ٱبنُ مُقَمَّة : دخلتُ على ٱبنِ سُرَيج فى مرضه الذى مات فيه، فقلتُ : كيف أصبحتَ يا أبا يَحْيى ؟ فقال : أصبحتُ والله كما قال الشاعرُ :

(١) القيس والقاس : القدر. والفتر : ما بين طرف الإبهام وطرف المشيرة . (٢) المجرّة : منطقة ضيقة بيضاء غير منتظمة تقسم الكرة السماوية قسمين متساويين تقريبا من الشمال الشرقىّ إلى الجنوب الغربىّ وعرضها متغير جدا . ويرى «هرشل» أن عدد النجوم التى تشتمل عليها المجرّة لا تقلّ عن خمسين مليونا من النجوم ولا يمكن رؤية نجم منها على انفراده بالعين المجرّدة . وضوءها اللبنىّ الذى يُرى فى الليالى الخالية من القمر وعند ما يكون الجوّ صافيا ناشىء من اجتماعها وانضمام بعضها إلى بعض .

(٣) كذا فى ح ، ر ، ب ، س . وفى سائر النسخ : « لابن عباد » وقد تقدّم غير مرة أن أبا عباد كنية معبد المغنى وقد تقدّمت ترجمته ، وأن ابن عباد هو محمد بن عباد مولى بنى مخزوم . وستأتى ترجمته فى الجزء السادس من الأغانى . (٤) كذا فى أكثر النسخ . وفى ح ، ر : « لحاجب الحزور » . وقد ورد فى ح ، ر ، ب ، س بعد هذه الجملة قوله : «فقال سليمان : ينبغى أن يكون ابن سريج ، قالوا : هو هو . قال : أدخلوه فأدخل ؛ فأمره بإعادة الصوت فأعاده . فقال : خذ البدرة ، وأمر للمغنين بأخرى» . وظاهر أن هذه الجملة إنما يناسب أن تكون بعد قوله : وغنى :

* سرى همى وهم المرء يسرى *

ولا حاجة إذًا إلى قوله فيما مضى : « فأمر سليمان بدفع البدرة إليه » .

كأنّى من تذكّرِ ما أُلاقى * إذا ما أظلمَ الليلُ البهيمُ
سقيمٌ ملّ منه أقربوه (١) * وأسلمه المداوى والحميمُ

ثم مات .

قال إسحاق : قال ابنُ مِقمّة : لمّا ٱحتُضِر ٱبنُ سُرَيج نظر إلى ٱبنته تبكى فبكى ، وقال : إنّ من أكبر همّى أنتِ ، وأخشى أن تَضِيعى بعدى . فقالتْ : لا تخف، فما غنّيت شيئًا إلا وأنا أُغنّيه . فقال : هاتى . فاندفعتْ تُغنّى أصواتًا وهو مُصْغٍ إليها،فقال :قد أصبتِ مافى نفسى، وهوّنتِ علىّ أمرَكِ . ثم دعا سَعيدَ ٱبن مسعود الهُذَلىّ فزوّجه إيّاها ؛ فأخذ عنها أكثرَ غناء أبيها وٱنتحله ؛ فهو الآنَ يُنسبُ إليه . قال إسحاق : فقال كَثيرُ بنُ كَثير (٢) السّهمى يرثيه :

ما اللهوُ بعدَ عُبيدٍ حين يَخبُرُه * مَنْ كان يَلْهو به منه بمُطَّلَبِ
لله قبرُ عُبيدٍ ما تضمّن من * لَذاذَة العيشِ والإحسانِ والطربِ
لولا الغَريضُ ففيه من شَمائلِه (٣) * مَشابِهٌ (٤) لم أكُنْ فيها بذى أَرَبِ

قال إسحاقُ: وحدّثنى هِشام بن المُرّيّة أنّ قادما قَدِمَ المدينةَ فسارّ مَعْبدًا بشىء، فقال مَعْبدٌ : أصبحتُ أحسنَ الناسِ غناءً . فقلنا : أو لم تكُنْ كذلك ؟ فقال : ألا تدرُونَ ما أَخبرنى به هذا ؟ قالوا لا . قال : أَعلمنى أن عُبَيد بن سُرَيج مات، ولم أكن أحسنَ الناس غناءً وهو حىّ . وفى ٱبنِ سُرَيج يقول عمرُ بنُ أبى ربيعةَ :

---

(١) فى خزانة الأدب للبغدادى : * سليم بان عنه أقربوه *

(٢) فى حـ ، ر : « كثير بن أبى كثير » . (٣) كذا فى ت ، حـ ، ر . وفى سائر النسخ : «ففيه من مشابهه * شمائل» . (٤) يقال : فيه مشابه من فلان أى أشباه (أشياء يتشابهان فيها) ولم يقولوا فى واحدته مشبهة وقد كان قياسه ذلك ، ولكنهم استغنوا بشبه عنه ؛ فهو من باب ملامح ومحاسن ومساوئ ومقابح واحدها لمحة وحسن وسوء وقبح ، استغنوا بها عن لفظ واحدها .

صـــوت

قالتْ وعَيْناها تَجُودانِها * صُوحِبْتَ واللهُ لكَ الرّاعِى
يابنَ سُرَيجٍ لا تُذِعْ سِرَّنا * قد كنتَ عندى غيرَ مِذْياعِ

غنّى فيه ابنُ سُرَيجٍ من راوية يونس .

قال أبو أيّوبَ المَدِينى : تُوُفِّى ابنُ سُرَيجٍ بالعِلّة التى أصابتْه من الجُذَام بمكّةَ، فى خلافة سُلَيمانَ بنِ عبد الملك أو فى آخر خلافةِ الوَلِيد، بمكّةَ ودُفِنَ فى موضع بها يقال له دسم[1] .

وقفة على قبر ابن سريج بدسم

أخبرنى الحَرَمِىّ بنُ أبى العَلَاء قال حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال أخبرنى هارونُ ابنُ أبى بكر[2] قال حدّثنى إسحاقُ بن يعقوبَ العُثْمانىّ مَوْلَى آلِ عثمانَ عن أبيه قال :

١٢٨ / ١

إنّا لبِفِناءِ دارِ عَمْرو[3] بن عثمانَ بالأَبْطَح فى صُبْحِ خامسةٍ من الثَّمانِ — يعْنِى أيّامَ الحَجِّ — قال : كنتُ جالسًا أيّامَ الحجِّ ، فما إن دَرَيْتُ إلا برجلٍ على راحلةٍ على رَحْلٍ جميلٍ وأَدَاةٍ حسنةٍ ، معه صاحبٌ له على راحلةٍ قد جنَب إليها فرسًا وبغلًا ، فوقَفا علىّ وسألانى ، فانتسبتُ لهما عُثْمانيًّا . فنزلا وقالا : رجلان من أهلك لهما حاجةٌ ونُحِبُّ أن تَقْضِيَها قبل أن نُشْدَه[4] بأمر الحجّ . فقلتُ ما حاجتُكما ؟ قالا : نريد إنسانًا يَقِفُنا[5] على قبر عُبَيد بنِ سُرَيج . قال : فنَهَضْتُ معهما حتى بلغتُ بهما مَحَلَّةَ بنى أبى قارة[6] من خُزاعة بمكّة ، وهم موالى عُبَيـد بنِ سُرَيجٍ ، فالتمستُ لهما إنسانًا يَصْحَبُهما حتّى

(١) دسم : موضع قرب مكة ، كما فى ياقوت . (٢) كذا فى ت ، حـ ، ر . وفى سائر النسخ : « أخبرنى أخى هارون بن أبى بكر » . (٣) فى ت ، ر : « عمر » . (٤) نشده أى نشغل . (٥) كذا فى ت ، حـ ، ر . وفى سائر النسخ : « يوقفنا » وهما لغتان ، والثلاثى أفصح ، بل قيل إن الرباعى غير مسموع ، وقيل إنه غير فصيح . (انظر القاموس وشرحه للرتضى مادة وقف) .
(٦) فى ر : « بنى قارة » وفى ب ، أ ، ء : « بنى أبى فارة » . وفى ت ، حـ : « بنى فارة » .

يقفهما على قبره بدَسْم، فوجدتُ ابنَ أبى دُبَاكِلٍ[1] فأنهضتُه معهما. فأخبرنى بعدُ: أنه لمّا وَقَفُهما[2] على قبره نزل أحدهما عن راحلته فحسر عمامته عن وجهه، فإذا هو عبد الله بن سعيد بن عبد الملك بن مروان، فعقر ناقته واندفع يندبه بصوتٍ شجىٍّ كليلٍ حسنٍ ويقول:

٥ وقفنا على قبرٍ بدَسْمٍ فهاجنا * وذكّرنا بالعيش إذ هو مُصْحِبُ[3]

فجالت بأرجاء الجفون سوافحٌ * من الدمع تستتلى الذى يتعقّبُ

إذا أبطأت عن ساحةٍ الخدّ ساقها * دمٌ بعد دمعٍ إثره يتصبّبُ

فإن تُسعدا نندب عُبيدًا بعولةٍ[4] * وقلّ له منّا البكا والتحوبُ[5]

ثم نزل صاحبه فعقر ناقته، وقال له القرشىّ: خذ فى صوت أبى يحيى؛ فاندفع يتغنّى[6]:

١٠ أسعدانى بعبرةٍ أسرابِ[7] * من دموعٍ كثيرةِ التسكابِ

إنّ أهل الحصاب قد تركونى * مُولهًا مُولعًا بأهل الحصابِ

أهل بيتٍ تتابعوا[8] للمنايا * ما على الموت بعدهم من عتابِ

فارقونى وقد علمتُ يقينًا * ما لمن ذاق ميتةً من إيابِ

(١) كذا ضبطه فى شرح القاموس (مادة دبكل) وقال: إنه شاعر خزاعىّ من شعراء الحماسة، ومعناه الغليظ الجلد السمج. وقال التبريزى فى شرح الحماسة طبع أوربا ص ٥٩٤: إنه علم مرتجل وليس منقولا من جنس. (٢) كذا فى ت، حـ، ر، م. وفى سائر الأصول: «أوقفهما». (٣) المصحب: الذليل المنقاد بعد صعوبة. (٤) يقال: أعول وعوّل، إذا رفع صوته بالبكاء والصياح، والاسم منه العول والعولة والعويل. (٥) التحوّب: التوجع. وفى حـ، ر، ب، سـ: «التنحب» من النحيب وهو أشدّ البكاء. ولم نجد هذه الصيغة من هذه المادة فى كتب اللغة. (٦) الشعر لكثير ابن كثير بن الصلت السهمى، كما فى ياقوت مادتى الحصاب والسباب. (٧) كذا فى أكثر النسخ، وهو جمع سَرَب وهو الماء السائل. وفى ب، سـ، حـ: «أترابى» ولعله تحريف. (٨) فى سـ: «تتايعوا» بالياء المثناة. والتتايع: الوقوع فى الشر من غير فكر ولا روية والمتابعة عليه والتهافت فيه، ولا يكون فى الخير. وقد قيل: إن التتايع فى الشر كالتتابع فى الخير.

كم بذاكَ الحَجُونِ[1] من أهل صِدْقٍ[2] * وكُهُولٍ أَعِفَّةٍ وشَبَابِ

سكَنُوا الجَزْعَ جَزْعَ بيتِ أبى مو * سى إلى النَّخْلِ من صُفِيِّ السِّبَابِ[3]

فلِيَ الويلُ بعدَهم وعليهم * صِرْتُ فردًا ومَلَّنِي أَصْحَابِي

قال ٱبنُ أبى دُبَاكِلٍ : فوالله ماتَمَّ صاحبُه منها ثلاثًا[4] حتى غُشِىَ على صاحبِه ، وأقبل يُصْلِحُ السَّرْجَ على بَغْلتِه وهو غير مُعَرِّجٍ عليه . فسألتُه مَنْ هو ؟ فقال : رجلٌ من جُذَام . قلتُ : بمن تُعْرَف ؟ قال : بعبد الله بنِ المُنْتَشِر . قال : ولم يَزَلِ القُرَشىُّ على حاله ساعةً ثم أفاق ، ثم جعل الجُذَامىّ يَنْضَحُ المـاءَ على وجهه ويقول كالمُعاتِب له : أنت أبدًا مَصْبُوبٌ[5] على نفسك ! ومَنْ كَلَّفَكَ ما تَرَى ! ثم قرّب إليه الفرسَ ، فلمّا علَاه ٱستخرج الجُذَامىّ من خُرْجٍ على بَغْلٍ قَدَحًا و إدَاوَةَ ماءٍ ، فجعل فى القَدَحِ تُرَابًا من تُرَابِ قَبْرِ ٱبنِ سُرَيجٍ وصَبَّ عليه ماءً من الإدَاوَةِ ، ثم قال : هاكَ فٱشرَبْ هذه السَّلْوَةَ[6] فشرب ، ثم فعل هو مثل ذلك ، و ركب على البغل وأردفنى . فخرجا والله ما يُعَرِّضَانِ بذكر شىءٍ مما كنا فيه ، ولا أَرَى فى وجوههما شيئًا ممـا كنتُ أرى قبلَ

(١) الحجون : جبل بأعلى مكة عنده مداثن أهلها . (٢) رواية ياقوت فى الكلام على صفىّ السباب

كم بذاك الحجون من حىّ صدق * من كهول أعفة وشباب

(٣) قال الزبير : بيت أبى موسى الأشعرى وصفى السباب : ما بين دار سعيد الحرشىّ التى تناوح بيوت أبى القاسم بن عبد الواحد التى فى أصلها المسجد الذى صُلِّىَ عنده على أمير المؤمنين أبى جعفر المنصور ، وكان به نخل وحائط لمعاوية فذهب ، و يعرف بحائط خرمان . (انظر معجم البلدان لياقوت) .

(٤) كذا فى جـ ، ر . وفى سائر النسخ : « ثالثا » . (٥) كذا فى ت ، حـ ، ر ، أى محثوث على اتباعها تستغويك فتسلس لها القياد . وفى سائر النسخ : « منصوب » ولعله تحريف .

(٦) قال ابن سيده : والسَّلْوة والسُّلْوانة : خرزة شفافة إذا دفنتها فى الرمل ثم بحثت عنها رأيتها سوداء يسقاها الإنسان فتسليه ، وقيل : أن يؤخذ من تراب قبر ميت فيذرّ على الماء و يسقاه العاشق ليسلو ؛ قال عروة بن حزام :

جعلت لعرّاف اليمامة حكمه * وعرّاف نجد إن هما شفيانى

فقالا نعم نشفى من الداء كله * وقاما مع العوّاد يبتدران

فما تركا من رقية يعرفانها * ولا سلوة الا وقد سقيانى

ذلك . فلمّا اشتَمَلَ علينا أَبْطَحُ مكة قالا : انْزِلْ يا خُزَاعيّ فنزلْتُ . وأومأ الفتى إلى الجُذَامِيّ بكلام ، فمدّ يده إلىّ وفيها شيءٌ فأخذتُه ، فإذا هو عشرون دينارا ، ومضيا. فانصرفتُ إلى قبره ببعيرَيْنِ ، فاحتملتُ عليهما أداةَ الراحلتَيْن اللتين عقراهما فبعتُها[1] بثلاثين دينارًا .

١٢٩ / ١

٥

صـــوت
من المـائة المختـارة

ثالث الثلاثة الأصوات المختارة

وهو الثالث من الثلاثة المختارة

أَهَاجَ هواكَ المنزلُ المُتَقَـادمُ * نعمْ وبه ممّنْ شجَاكَ معالِمُ
مَضَارِبُ أَوْتادٍ وأَشْعثُ[2] داثرٌ * مقيمٌ وسُفْعٌ[3] فى المَحَلّ جَوَاثِمُ

١٠ عَرُوضُه من الطَّويل . الشـعرُ لنُصَيْبٍ ، والغناءُ فى اللَّحْن المختارِ لابْنِ مُحْرِز ثانى ثقيلٍ بإطلاقِ الوَتَرِ فى مَجْرى البِنْصَر ، وله فيه أيضا هَزَجٌ بالسَّبَّابَةِ فى مَجْرَى البِنْصَر ، وذكر جَحْظَةُ عن أصحـابه أنه هو المختارُ . وحكَى عن أصحابه أنه ليس فى الغناء كلِّه نَغَمَةٌ إلا وهى فى الثلاثةِ الأصواتِ المختارة التى ذكرها .

ومن قصيدة نُصَيْب هذه ممـا يُغَنَّى فيه قولُه :

١٥ لقد راعَنِي للبَيْنِ نَوْحُ حمامـةٍ * على غُصْنِ بَانٍ جاوَبَتْها حَمَائِمُ
هَوَاتِفُ أمّا مَنْ بَكَيْنَ فعهدُه * قَديمٌ وأمّا شَجْوُهُنّ فَدائِمُ

الغناءُ لابْنِ سُرَيج ثانى ثقيـلٍ مطلق فى مَجْرى البِنْصر عن يونس ويحيى المكّيّ وإسحاقَ ، وأظنّه مع البيتين الأوّلين وأن الجميعَ لحنٌ واحدٌ ، ولكنه تفرّق لصُعُوبةِ اللَّحْنِ وكثرةِ ما فيه من العَمَلِ ، فجُعِلا صوتَيْن .

٢٠ (١) فى الأصول : «فبعتهما» . ومرجع الضمير «أداة الراحلتين» . (٢) الأشعث : الوتد . وداثر : قديم . (٣) السفع : الأثافى وهى التى أوقدت بينها النار فسوّدت صفاحها التى تلى النار . وجواثم : رواسٍ .

ذكر نُصَيْب وأخباره

نسب نصيب ونشأته

هو نُصَيْبُ بن رِبَاح[(١)]، مَوْلَى عبدِ العزيزِ بنِ مَرْوَانَ، وكان لبعض العرب من بنى كِنَانَةَ السُّكَّانِ بِوَدَّان[(٢)]، فاشتراه عبدُ العزيز منهم، وقيل: بل كانوا أعتقوه، فاشترى عبدُ العزيز وَلَاءَه منهم، وقيل: بل كاتَبَ مَوَالِيَه، فأدَّى عنه مُكَاتَبَتَه.

وقال ابنُ دَأْبٍ: كان نُصَيْبٌ من قُضَاعَةَ ثم من بَلِيٍّ. وكانت أُمُّه سَوْدَاءَ فوقع عليها سَيِّدُها فحَبِلَتْ بنُصَيْبٍ، فوثَب عليه عَمُّه بعد وَفَاةِ أبيه فباعه من عبد العزيز.

وقال أبو اليَقْظَانِ: كان أبوه من كِنَانَةَ من بنى ضَمْرَةَ. وكان شاعرًا فَحْلًا فَصِيحًا مُقَدَّمًا فى النَّسِيبِ والمَدِيحِ، ولم يكن له حَظٌّ فى الهِجَاءِ، وكان عَفِيفًا، وكان يقال: إنه لم يَنْسُبْ قطُّ إلا بامرأته.

أخبرنى الحَرَمِيّ بنُ أبى العَلَاء قال حدّثنا الزُّبَيْرُ بن بَكَّار قال: كتَبَ إلىّ عبدُ الله[(٣)] ابنُ عبد العزيز بن مِحْجَن بن نُصَيْب بن رِبَاح يذكُر عن عمَّته غَرْضَةَ[(٤)] بنت النُّصَيب: أنّ النُّصَيب كان ابنَ نُوبِيَّيْنِ سَبِيَّيْنِ كانا لخُزَاعةَ، ثم اشترتْ سَلَامَةَ[(٥)] أُمَّ نُصَيب امرأةٌ من خُزَاعةَ ضَمْرِيَّةٌ حاملًا بالنُّصَيب، فأعتقتْ ما فى بطنها.

---

(١) فى م، ى، ر: «ريَاح» بالياء المثناة. ويرجح الأولى أن رباحا بالباء معروف فى أسماء العبيد والسودان. قال فى كتاب المشتبه فى أسماء الرجال للذهبي طبع ليدن ص ٢١٢: ورباح بالموحدة أكثره فى الموالى.

(٢) ودّان بالفتح، ثلاثة مواضع: أحدها بين مكة والمدينة قرية جامعة من نواحى الفرع، بينها وبين هرشى ستة أميال وبينها وبين الأبواء نحو ثمانيـة أميال قريبة من الجحفة، وهى لضَمْرة وغِفَار وكنانة، وقد أكثر نصيب من ذكرها فى شعره.

(٣) فى ح، ر: «كتب إلىّ عبد العزيز بن محجن الخ».

(٤) فى ت: «عرضة» بعين فراء. وفى كتاب الموشح للرزبانى المخطوط المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ٣٢٩٣ أدب فى الكلام على ابن أبى ربيعة: «عوضة» بالواو.

(٥) قد سمى بسلامة بتخفيف اللام وبتشديدها. وقد عد المرتضى فى شرح القاموس أسماء كثيرة من النوعين، ولم يذكر هذه ضمن واحد منهما.

أخبرنى الحُسَين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن محمد بن كُنَاسَةَ قال :

كان نُصَيْبٌ من أهل وَدّانَ عبداً لرجلٍ من كِنَانةَ هو وأهلُ بيته . وكان أهلُ البادية يَدْعُونَه النُّصَيْبَ تفخيماً له ، ويَرْوُون شِعْرَه . وكان عَفِيفاً كبيرَ النَّفْس مُقَدَّما عند الملوك ، يُجِيدُ مَدِيحَهم ومَرَاثِيَهم .

٥ أخبرنى الحُسَين عن حمّاد عن أبيه عن ابنِ الكَلْبِيّ قال :

١٣٠ / ١

كان نُصَيْب من بَلِيِّ بنِ عَمْرو(١) بن الحَافِ بنِ قُضَاعَةَ . وكانتْ أُمُّه أَمَةً سَوْدَاءَ، وقَع عليها أبوه فحَمَلَت ثم مات ، فباعه عمُّه أخو أبيه من عبد العزيز بن مَرْوان .

مبدأ قوله الشعر واتصاله بعبد العزيز ابن مروان بمصر

قال حمّاد وأخبرنى أبى عن أيُّوبَ بن عَبَايَةَ، وأخبرنا الحَرَمِىُّ عن الزُّبَيْر عن عمّه وعن إسحاق بنِ إبراهيمَ جميعاً عن أيُّوبَ بن عَبَايَةَ قال حدّثنى رجلٌ من خُزَاعَةَ من ١٠ أهلِ كُلَيَّةَ(٢) — وهى قَرْيةٌ كان فيها النُّصَيْب وكُثَيِّر — قال :

بلغنى أنّ النُّصَيْبَ قال : قلتُ الشِّعْرَ وأنا شابٌّ فأعجبنى قَوْلى ، فجعلْتُ آتى مَشْيَخَةً من بنى ضَمْرة بنِ بَكْر بن عَبْد مَنَاةَ — وهم موالِى النُّصَيْب — ومشيخةً من خُزاعةَ ، فأُنْشِدُهم القصيدةَ من شِعْرى ، ثم أنسُبُها إلى بعض شعرائهم الماضِينَ ، فيقولون : أحسنَ والله ! هكذا يكون الكلام ! وهكذا يكون الشِّعْرُ ! فلمّا سمعتُ ذلك ١٥ منهم علِمتُ أنى مُحْسِنٌ ، فأَزْمَعُوا وأَزْمَعْتُ(٣) الخروجَ إلى عبدِ العزيزِ بنِ مَرْوانَ ، وهو يَوْمئذٍ بمصر، فقلتُ لأُخْتِى أُمامَةَ وكانت عاقلةً جَلْدةً : أى أُخَيَّة ، إنّى قد قلتُ شعرًا، وأنا أُريد عبدَ العزيزِ بنَ مَرْوانَ، وأرجو أن يُعْتِقَكِ اللهُ عزّ وجلّ به وأُمَّكِ ،

(١) كذا فى أكثر النسخ . وفى ت ، ح ، ر : « عمران » . ويؤيد أنه عمرو ما فى شرح القاموس مادّة بلى . (٢) كلية (بالضم والفتح وتشديد الياء) : واد يأتى من شمنصير بقرب الجحفة . وبكلية على ظهر الطريق ماء آبار يقال لتلك الآبار كلية ، وبها سمى الوادى ، وكان النصيب يسكنها . ٢٠

(٣) فى ت ، ح ، ر : « فأجمعوا وأجمعت » .

ومن كان مَرْقُوقًا من أهل قَرَابتى . قالت : إنَّا لله و إنَّا الَيْه رَاجِعُونَ ! يَآبنَ أمّ ، أتَجْتَمِعُ عليكَ الخَصْلتَانِ : السَّوادُ، وأن تكونَ ضُحْكَةً[1] للناس ! قال : قلت فآسْمَعِى، فأنشدتُها فسمِعَتْ، فقالت : بأبى أنتَ ! أَحْسَنْتَ والله ! فى هذا والله رَجَاءٌ عظيمٌ، فآخْرُجْ على بَرَكَةِ الله. فخَرَجْتُ على قَعُودٍ لى حتى قَدِمْتُ المدينـةَ ، فوجدتُ بهـا الفَرَزْدَقَ فى مَسْجِدِ رسـولِ الله صلى الله عليـه وآلِه وسلَّم، فعرَّجْتُ إليه فقلت : أُنْشِدُه وأَسْتَنْشِدُه وأَعْرِضُ عليه شِعْرِى. فأَنْشَدْتُه ، فقال لى: وَيْلَك ! أهذا شِعْرُك الذى تَطْلُبُ به الملوكَ ؟ قلتُ نَعَمْ . قال : فلستَ فى شىء، إن آستطعتَ أن تَكْتُمَ هذا على نفسك فآفعلْ. فآنْفَضَخْتُ عَرَقًا[2]، فحَصَبَنِى[3] رجلٌ من قُرَيْشٍ كان قريباً من الفَرَزْدَقِ، وقد سمِـع إنْشَادِى وسمِـع ما قال لى الفَرَزْدَقُ، فأومأ إلىّ فقمتُ إليه. فقال : وَيْحَكَ ! أهذا شعرُك الذى أنشدتَه الفرزدقَ ؟ قلتُ نَعَمْ . فقال : قد والله أَصَبْتَ ، والله لَئِنْ كان هذا الفَرَزْدَقُ شاعراً لقد حَسَدَكَ؛ فإنّا لنعرف محَاسن الشعرِ، فآمْضِ لوَجْهك ولا يَكْسِرَنَّك. قال : فسَرَّنِى قولُه ، وعلمتُ أنه قد صَدَقَنِى فيما قال، فآعتزمتُ على المُضِىّ. قال : فمَضَيْتُ فقَـدِمْتُ مصرَ، وبهـا عبدُ العزيز آبنُ مروان، فحَضَرتُ بابَه مع الناس، فنُحِّيتُ عن مجلس الوُجُوه، فكنتُ وَرَاءَهم، ورأيتُ رَجُلاً جاء على بَغْلةٍ حسنَ الشَّارةِ سَهْلَ المَدْخَلِ، يُؤْذَنُ له إذا جاء . فلمّـا آنصرف إلى منزلِه آنصرفتُ معه أُمَاشِى بغلته. فلما رآنى قال : ألك حاجةٌ؟ قلت : نعم ، أنا رجلٌ من أهل الحِجَاز شاعرٌ، وقد مدحتُ الأميرَ وخرجتُ إليه راجيًا معروفَه ، وقد آزْدُرِيتُ فطُرِدْتُ من الباب ونُحِّيتُ عن الوُجُوهِ . قال : فأنشِدْنى، فأنشدتُه. فأعجبه شِعْرِى، فقال : وَيْحَك! أهذا شِعْرُك؟ فإيَّاك أن تَنْتَحِلَ؛ فإنّ الأميرَ

(١) الضحكة (بضم فسكون) : من يَضْحك منه الناس . والضُّحَكة (بضم ففتح) : من يضحك من الناس كثيرا. (٢) فانفضخت عرقا : تدفقت عرقا. (٣) حصبنى : رمانى بالحصباء.

رَاوِيةٌ عالمٌ بالشّعر وعنـده رُوَاةٌ، فلا تَفْضَحْنِي ونفسَك . فقلت : والله ما هو إلا شِعْرِي . فقال : وَيْحك ! فقُل أبياتًا تذكُر فيها حَوْفَ[1] مصرَ وفضلَهـا على غيرها ، وٱلْقَنِي بها غدًا . فغدوتُ عليه من غدٍ فأنشدتُه قولِي :

سَرَى ٱلْهَمُّ تَثْنِينِي إليكَ طَلَائعُـهْ * بمصرَ وبالحَوْف ٱعتَرَتْنِي رَوَائعُـهْ

وباتَ وِسَادِي ساعدٌ قَـلَّ لحمُه * عن العَظْمِ حتى كاد تَبْدُو أَشَاجِعُهْ[2]

قال : وذكرت فيها الغَيْثَ فقلتُ :

وكم دونَ ذاكَ العَارِضِ البَارِقِ الذي * له ٱشتَقْتُ مِنْ وَجْهٍ أَسِيلٍ مَدَامِعُهْ

تَمَشَّى[3] به أَفْنَـاءُ[4] بَكْرٍ ومَذْحِجٍ * وأفناءُ عَمْرٍو وهو خِصْبٌ مَرَابِعُهْ[5]

فكلُّ مَسِيلٍ من تِهَامَةَ طَيِّبٌ * دَمِيثُ الرُّبَا تَسْقِي البِحارَ[6] دَوَافِعُه[7]

أَعِنِّي على بَرْقٍ أُرِيكَ وَمِيضَـه * تُضِيءُ دُجُنَّاتِ الظَّلَامِ لَوَامِعُـهْ

إذا ٱكْتَحَلَتْ عَيْنَا مُحِبٍّ بِضَوْئِه * تَجَافَتْ به حتَّى الصَّبَاحِ مَضَاجِعُهْ

هَنِيئًا لأُمِّ البَخْـتَرِيِّ[8] الرِّوَى[9] به * وإن أَنْهَجَ الحَبْلُ الذى أنا قَاطِعُهْ

---

(١) الحوف بمصر: حوفان الشرقيّ والغربيّ وهما متصلان ، أوّل الشرقيّ من جهة الشأم ، وآخر الغربى قرب دمياط ، يشتملان على بلدان وقرى كثيرة . وحوف رمسيس : موضع آخر بمصر . (٢) الأشاجع : أصـول الأصابع التي تتصل بعصب ظاهر الكف . (٣) أصـله تتمشى حذفت إحدى تاءيه . (٤) فى اللسان : أعناء الناس وأفناؤهم أى أخلاطهم ؛ يقال : هؤلاء من أفناء القبائل أى نُزّاع من هاهنا وهاهنا . ورجل من أفناء القبائل أى لا يدرى من أى قبيلة هو . وقيل : إنما يقال قوم من أفناء القبائل ولا يقال رجل اهـ . (٥) فى ح ، ر ، ت : « مراتعه » بالتاء المثناه . (٦) فى ح ، ر : « النجاد » . والبحار هنا : المدن والقرى والأراضى الواسـعة ، الواحدة بحـرة (بالفتح) . (٧) الدوافع : أسافل الميث حيث تدفع فى الأودية ، أسفل كل ميثاء دافعة . أو الدافعة : التلعة من مسايل المـاء تدفع فى تلعة أخرى اذا جرى فى صبب وحدور من حدب ، فترى له فى مواضع قد انبسط شيئا واستدار ثم دفع فى أخرى أسفل منها ، فكل واحد من ذلك دافعة والجميع الدوافع ، ومجرى ما بين الدافعتين مذنب . (٨) كذا فى ر . وفى سائر النسخ : « البحترى » بالحاء المهملة . وربمـا رجح الرواية الأولى أن البختَرى سمى به كثيرا . وأما البحترى فنسبة الى بحتر بن عتود الطائى جدّ أبى عبادة البحترى الشاعر المعروف . (٩) الروى (بكسر ففتح) : المـاء الكثير المروى .

وما زِلْتُ حتّى قُلْتُ إنّى لَخالِعٌ * وَلَائِى مِنْ مَوْلًى نَمَتْنِى قَوَارِعُه[1]

وَمانِحُ قَومٍ أنتَ منهمْ مَوَدَّتِى * ومُتَّخِذٌ مَوْلَاكَ مَوْلًى فتابِعُه

فقال : أنت والله شاعرٌ ! احْضُرْ بالبابِ حتّى أَذْكُرَك للأمير . قال : فجلستُ على الباب ودخَل، فما ظنَنْتُ أنه أمكنه أن يذْكُرَنى حتى دُعِى بى . فدخَلْتُ فسلَّمْتُ على عبد العزيز، فصَعَّدَ فِىَّ بصره وصَوَّب، ثم قال : أنت شاعرٌ؟ وَيْلَك! قلت : نَعَمْ، أيُّها الأميرُ. قالَ : فأَنْشِدْنى. فأنشدتُه، فأَعْجَبَه شِعْرِى. وجاء الحاجبُ فقال : أيُّها الأَميرُ، هذا أَيْمَنُ بن خُرَيْمٍ[2] الأَسَدىّ بالباب . قال : ائْذَنْ له، فدخَلَ فاطمأنّ . فقال له الأميرُ : يا أيمنَ بنَ خُرَيم، كم تَرَى ثمنَ هــذا العبد ؟ فنظر إلىّ فقال : والله لنِعمَ الغَادِى فى أَثَرِ المَخَاضِ[3]، هذا أيها الأمير أَرَى ثمنه مائةَ دِينَار. قال : فإنّ له شِعْرًا وفصاحةً . فقال لى أَيْمَنُ : أتقولُ الشِّعْرَ؟ قلت نَعَمْ . قال : قيمتُه ثلاثون دينارًا . قال : يا أيمنُ، أَرْفَعُهُ وتخفضُــه أنتَ ! قال : لكونِه أَحْمَقَ أيُّها الأميرُ ! ما لهذا وللشِّــعْر ! أَمِثْلُ هذا يقولُ الشِّعْرَ ! أو يُحْسِن شِعْرًا ! فقال : أنشِدْه يا نُصَيبُ، فأنشــدتُه . فقال له عبد العزيز : كيف تسمع يا أَيْمَنُ؟ قال : شِعْرُ أَسْوَدَ، هو أشعرُ أهلِ جِلْدَته . قال : هو والله أَشْعرُ منكَ . قال : أَمِنّى أيُّها الأميرُ؟ قال : إى واللهِ منكَ . قال : واللهِ أيُّها الأميرُ، إنك لَمَلُولٌ طَرِفٌ . قال : كذبتَ والله ما أنا كذلك ! ولو كنتُ كذلك ما صبَرْتُ عليك ! تُنَازِعُنِي التَّحِيَّةَ وتُؤاكِلُنِي الطَّعَامَ

نصيب وأيمن بن خريم الأسدى

---

(١) كذا فى جميع النسخ . ولعله «فوارعه» بالفاء، بمعنى أعاليه وأصوله التى تفرعه .

(٢) كذا فى أ . وفى سائر النسخ : «خزيم» وهو تصحيف . وستأتى ترجمته فى الجزء الحادى والعشرين من الأغانى .

(٣) المخاض : الحوامل من النوق . وعبارة المحكم : التى أولادها فى بطونها، واحدتها خَلِفة على غير قياس ولا واحد لها من لفظها، كما قيل لواحدة النساء امرأة . قال ابن سيده : وإنما سميت الحوامل مخاضا تفاؤلا بأنها تصير إلى ذلك . يريد : لنعم هذا العبد راعيا للإبل .

وتَتَّكِئُ على وَسَائِدِى وفُرُشِى وبكَ ما بكَ ! — يَعْنِى وَضَحًا كان بأيمنَ — قال : آئذَنْ لى [أنْ] أَخْرُجَ إلى بِشْرٍ بالعِرَاقِ ، واَحْمِلْنِى على البَرِيدِ ، قال : قد أَذِنْتُ لك ، وأَمَرَ به فحُمِلَ على البَرِيدِ إلى بِشْرٍ . فقال أَيْمنُ بن خُرَيم :

ركبتُ من المُقَطَّمِ فى جُمَادَى * إلى بِشْرِ بنِ مَرْوانَ البَرِيدَا

ولو أعطاكَ بِشْرٌ أَلْفَ أَلْفٍ * رَأَى حَقًّا عليه أن يَزِيدَا

أميرَ المؤمنين أَقِمْ بِبِشْرٍ * عَمُودَ الحق إنّ له عَمُودَا

ودَعْ بِشْرًا يُقَوِّمُهُمْ ويُحْدِثْ * لأهلِ الزَّيْغِ إسلامًا جَدِيدَا

كأنّ التاجَ تاجَ بنى هِرَقْلٍ * جَلَوْه لأعْظَمِ الأيّامِ عِيدَا

على دِيبَاجِ خَدَّىْ وَجْهِ بِشْرٍ * إذا الألوانُ خالفتِ الخُدُودَا

— قال أيُّوبُ يعنى بقوله :

* إذا الألوان خَالَفتِ الخُدُودَا *

أنّه عَرَّضَ بكَلَفٍ كان فى وجهِ عبد العزيز —

وأَعْقَبَ مِدْحَتِى سَرْجًا مليحًا[1] * وأَبْيضَ جُوزَجَانِيًّا[2] عَقُودَا[3]

---

(١) كذا فى س . ولم يرد البيت كله فى ح ، ر ، ب . وفى سائر النسخ : «خلنجا» . والخلنج فارسى معرب : شجر تتخذ من خشبه الأوانى ، وقيل : هو كل جفنة وصحفة وآنية صنعت من خشب ذى طرائق وأساريع موشاة . وليس لشىء من هذا معنى مناسب فى البيت . (٢) كذا فى الموشح للمرزبانى . وفى جميع النسخ : « خوزجانيا » بالخاء المعجمة . ولم نعثر فى معاجم البلدان على خوزجان علما لموضع خاص . وجوزجان بالجيم : اسم كورة من كور بلخ بخراسان . (٣) يقال : جمل عَقَد بفتح القاف وكسرها ، اذا كان قويا ، وناقة معقودة القَرَا : موثقة الظهر . فلعل عقودا بمعنى قويا وإن كنا لم نجده بنصه فى كتب اللغة ، أو لعله محرّف عن عتود بالتاء ، قال فى اللسان : وفرس عتد بفتح التاء وكسرها : شديد تام الخلق سريع الوثبة معدّ للجرى ليس فيه اضطراب ولا رخاوة ، وقيل هو العتيد الحاضر المعدّ للركوب الذكر والأنثى فيهما سواء . ثم قال والعتود : الجدى الذى استكرش ، وقيل هو الذى بلغ السفاد ، وقيل هو الذى أجذع . ثم قال : والعتود أيضا : العريض . فلعله يريد بالعتود معنى العتد المتقدّم .

وإنّا قـد وجَـدْنا أُمَّ بِشْرٍ * كأُمّ الأُسْـدِ مِذْكارًا ولُودَا[1]

قال : فأعطاه بِشْرٌ مائةَ ألفِ درهمٍ .

عبدالله بن أبى فروة أوّل من نوّه باسم نصيب ووصله بعبد العزيز بن مروان

أخبرنى الحَرَمىّ قال حدّثنا الزُّبَير قال حدّثنى عبد الرحمن بن عبد الله الزُّهْرِى عن عبد الله بن عِمْرانَ بن أبى فَرْوَةَ[2] قال :

أوّلُ مَنْ نوَّه باسمِ نُصَيب وقَدِمَ به على عبد العزيز بن مَرْوان عبدُ الله ابنُ أبى فَرْوَةَ ، قَدِمَ به عليه وهو وَصِيفٌ[3] حين بلَغ وأوّلَ ما قال الشِّعْرَ . قال : أَصْلَح اللهُ الأميرَ ! جئتُك بوَصِيفٍ نُوبِىٍّ يقول الشعرَ — وكان نُصَيب ابنَ نُوبِيّين — فأدخله عليه ، فأعجبه شعرُه ، وكان معه أَيْمَنُ بن خُرَيم الأَسَدىّ . فقال عبدُ العزيز : إذا دعوتُ بالغَداءِ فأَدْخِلُوه علىَّ فى جُبَّةِ صوفٍ مُحْتَزِمًا بعِقَالٍ ، فإذا قلتُ قَوِّمُوه فقوِّموه وأَخرِجُوه ورُدُّوه علىّ فى جُبّةِ وَشْىٍ ورِداءِ وشْىٍ . فلما جلَس للغَداءِ ومعه أَيمنُ ابنُ خريم أُدْخِلَ نُصَيبٌ فى جُبّة صوفٍ محتزِمًا بعِقَالٍ ، فقال : قوّموا هذا الغلامَ . فقالوا : عشرةٌ ، عشرون ، ثلاثون دينارًا . فقال : رُدُّوه ، فأَخرِجُوه ثم ردُّوه فى جُبّة وَشْىٍ ورِداءِ وَشْىٍ . فقال : أَنشِدْنا ، فأنشَدَهم . فقال : قوّموه ، قالوا : ألفُ دينارٍ . فقال أيمن : واللهِ ما كان قطُّ أقلَّ فى عَيْنى منه الآنَ ، وإنه لنِعْمَ رَاعِى المَخَاضِ . فقال له : فكيف شِعْرُه ؟ قال : هو أشعرُ أهلِ جلدتِه . فقال له عبد العزيز :

(١) قال المرزبانى فى الموشح فى الكلام على أيمن بن خريم بعد أن ذكر البيت « ولو أعطاك ... الخ » ثم هذين البيتين بعده : فجميع هذا المدح على غير الصواب . وذلك أنه أومأ الى المدح بالتناهى فى الجود أولًا ثم أفسده فى البيت الثانى بذكر السرج وغيره ، ثم ذكر فى البيت الثالث ما هو إلى أن يكون ذما أقرب ؛ وذلك أنه جعل أمه ولودا ، والناس مجمعون على أن نتاج الحيوانات الكريمة يكون أعسر ؛ ومنه قول الشاعر :

بغاث الطير أكثرها فراخا * وأُم الصقر مِقْلات نزور

(٢) فى حـ ، ر : « عن عبد الرحمن بن الله بن عمران بن أبى فروة » .

(٣) الوصيف : الخادم غلاما كان أو جارية .

هو والله أشعرُ منكَ . قال : أمِنِّى أيّها الأمير؟ قال نعم . فقال أيمنُ : إنك لمَلُولٌ طَرِفٌ . فقال له : والله ما أنا بمَلُولٍ وأنا أُنازِعُكَ الطعامَ منذ كذا وكذا ، تضع يدَك حيثُ أضَعُها وتلتقى يدُك مع يدى على مائدة ، كلُّ ذلك أحتملك ! — وكان بأيمنَ بياضٌ — فقال له أيمنُ : ائذَنْ لى أن أَخْرُجَ إلى بِشْر . فأذِن له فخرج ، وقال أبياتَه التى أوّلها :

* رَكِبْتُ من المقطَّم فى جُمادَى *

وقد مضت الأبياتُ . قال : فلما جازَ بعبد الملك بنِ مَرْوان ، قال : أين تريد ؟ قال أُريد أخاك بِشْرا . قال : أَتجُوزُنى ؟! قال : إى والله أَجُوزُكَ إلى مَنْ قَدِمَ إلىّ وطَلَبَنى . قال : فلِمَ فارقتَ صاحبَك ؟ قال : رأيتُكم يا بَنِى مَرْوانَ[1] ، تتَّخذون للفتَى من فِتْيانِكم مؤدِّبا ، وشَيْخُكم والله محتاجٌ إلى خمسة مؤدِّبينَ . فسَرَّ ذلك عبدَ الملك ، وكان عازماً على أن يَخْلَعَه و يَعْقِدَ لابنه الوليد .

ابتاعه عبد العزيز ابن مروان وأعتقه وقيل : أعتقته امرأة من ضمرة

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجَوْهرىّ قال حدّثنا عمرُ بن شَبَّة قال :

يقال : إن نُصَيبًا أَضَلَّ إبِلًا له فخرج فى بُغَائها[2] فلم يُصِبْها ، وخاف مَوالِيَه أن يرجعَ إليهم ، فأتى عبدَ العزيز بنَ مَرْوان فمدَحه وذكر له قصتَه ؛ فأَخْلَفَ عليه ما ضلَّ لمَوالِيه وابْتاعَه وأَعْتَقه .

أخبرنا الحَرَمىّ قال حدّثنا الزُّبَير قال حدّثنا عبدُ الله بن إبراهيمَ الهِلالىّ ثم الدَّوْسىّ[3] قال :

---

(١) فى ت ، حـ ، ر : « يا بنى أمية » . (٢) البغاء بالضم والمد : الطلب ؛ قال الشاعر :

لا يمنعنك من بغا * ء الخير تعقاد التمائم

(٣) كذا فى ب ، سـ . وفى حـ ، ر : « الدوأبى » . و بنو دوأب قبيلة من غنى بن أعصر ، كما فى القاموس وشرحه (مادة دأب) . وفى أ ، ء ، م : « الروسى » . وفى ت : « الروسى » من غير إعجام .

أراد النُّصَيبُ الخروجَ إلى عبد العزيز بن مَروانَ ، وهو عَبْدٌ لبَنِى مُحْرِزٍ الضَّمْرِىّ ، فقالت أُمُّه له : إنّك ستَرْقُد ويأْخُذُك ٱبنُ مُحْرِزٍ يَذْهَبُ بك ، فذهب ولم يُبالِ بقَولِها . حتى إذا كان بمَكانِ ماءٍ يُعرَفُ بالدَّوِّ[1] ، فبَيْنَا هو رَاقِدٌ إذ هَجَم عليه ٱبنُ مُحْرِزٍ ، فقال حينَ رآه :

إنِّى لأَخْشَى من قِلَاصِ ٱبنِ مُحْرِزٍ * إذا وَخَدَتْ بالدَّوِّ وَخْدَ[2] النَّعائِمِ
يرُعْنَ بَطِينَ[3] القَومِ أيَّةَ رَوْعةٍ * ضُحَيًّا إذا ٱسْتَقْبَلْنَه غيرَ نائمِ

فأَطْلَقُوه ، فرجعَ فأتى أُمَّه . فقالتْ : أخبرتُك يا بُنَىَّ أنّه ليس عندَك أن تُعْجِزَ القومَ . فإن كنتَ يا بُنَىَّ قد غلبتَنى أنّك ذاهبٌ فخُذْ بنتَ الفُلانَة[4] ؛ فإنِّى رأيتُها وَطِئَتْ أُفْحُوصَ[5] بَيْضات قَطَاةٍ فلم تَفْلِقْهنّ فرَكِبَها ، فهى التى بلَّغَتْه ٱبنَ مروانَ .

قال أبو عبد الله بن الزُّبَير : عندنا أنّ التى أعتقَتْه ٱمرأةٌ من بنى ضَمْرةَ ثم من بنى حنبلٍ[6] .

أوّل اتصال نصيب بعبد العزيز بن مروان

حدّثنا محمد بن العبّاس اليَزِيدىّ قال حدّثنا الخَليلُ بن أَسَد قال حدّثنا عبدُ الله ٱبنُ صَالح بن مسلم قال حدّثنا كُلَيب بن إسماعيلَ مَوْلَى بنى أُمَيّةَ وكان حَدُثًا[7] (أى حَسَن الحَديث) قال :

(١) الدَّوّ : أرض ملساء بين مكة والبصرة على الجادة مسيرة أربع ليال ليس فيها جبل ولا رمل ولا شىء . (انظر ياقوت) . (٢) الوخد للبعير : الإسراع أو أن يرمى بقوائمه كمشى النعام . (٣) البطين : عظيم البطن ، والبعيد . وفى م : «بطىء» . وفى ب ، سـ : «بطير» . (٤) فى اللسان (مادة فلن) : فلان وفلانة كناية عن أسماء الآدميين ، والفلان والفلانة كناية عن غير الآدميين ؛ تقول العرب : ركبت الفلان وحلبت الفلانة . (٥) الأفحوص بوزن عصفور : مَجْثِم القطاة وهو مَبيضها الذى تبيض فيه ؛ سمى بذلك لأنها تفحصه . (٦) فى حـ ، م : « حبيك » . وفى ت : « حنبك » . (٧) ضبطه فى اللسان ككتف وعضد وشبر .

بلغني أن نُصَيباً كان حبشياً يَرْعَى إبلاً لمواليه، فأضلَّ منها بعيراً، فخرج في طلبه حتى أَتَى الفُسْطَاطَ، وبه إذ ذاك عبدُ العزيز بنُ مَرْوان، وهو وَلِيُّ [عهد][1] عبدالملك ابنِ مَرْوان، فقال نُصَيبٌ: ما بعدَ عبد العزيز واحدٌ أعتَمِدُه لحاجتي. فأتى الحاجبَ فقال: استأذِنْ لي على الأمير؛ فإني قد هَيَّأْتُ له مَدِيحاً. فدخَل الحاجبُ فقال: أصلح الله الأميرَ! بالباب رجلٌ أسودُ يستأذِن عليك بمَدِيح قد هيَّأَه لكَ. فظَنَّ عبدُ العزيز أنه ممن يُهْزَأ به ويُضْحِكُهم، فقال: مُرْه بالحضورِ ليومِ حاجتِنا إليه. فغدا نُصَيب وراح إلى باب عبد العزيز أربعةَ أشْهُر، وأتاه آتٍ من عبد الملك فسَرَّه، فأمَر بالسَّرير فأُبْرِز للناس، وقال: عليَّ بالأَسْوَد، وهو يريد أن يُضْحِك منه الناسَ. فدخَل، فلما كان حيثُ يُسْمَع كلامُه، قال:

لعبـد العزيز على قومـه * وغيرِهـم نِعَـمٌ غَامِرَهْ
فبـابُك ألينُ[2] أبوابِهـم * ودارُك مأهـولةٌ عامِرَهْ
وكلبُك آنَسُ بالمُعْتَفِيـن * من الأمِّ بالإبْنَة الزائرهْ
وكَفُّكَ حينَ تَرَى السائليـ * ـن أَنْدَى من الليلة الماطرهْ
فمنكَ العَطاءُ ومنِّي الثَّنـاءُ * بكـلِّ مُحَـبَّرةٍ سائرهْ

فقال: أَعْطُوه أَعْطُوه. فقـال: إنِّي مملوكٌ. فدعا الحاجبَ فقـال: اُخرُجْ فأَبْلِغْ في قيمته؛ فدَعَا المقوِّمين فقال: قَوِّموا غلاماً أسودَ ليس به عَيْبٌ. قالوا: مائةُ دينـارٍ. قال: إنه راعٍ للإبل يُبْصِرها ويُحْسِن القيامَ عليهـا. قالوا: حينئذ مائتا دينـار. قال: إنه يَبْرِي القِسِيَّ ويُثَقِّفُها ويَرْمِي النَّبْـلَ ويَرِيشُها. قالوا: أربعمائة دينار. قال: إنه راويةٌ للشعر بصيرٌ به. قالوا: سِتُّمائة دينار. قال: إنه

(١) التكملة في ت. (٢) في ر: «أيمن أبوابهم».

شاعرٌ لا يُلْحَقُ حِذْقًا (١). قالوا : ألفُ دينار. قال عبد العزيز : ادفَعُوها إليه . قال : أصلح الله الأمير! ثَمَنَ بَعِيرى الذى أضللتُ. قال: وكم ثمنُه؟ قال : خمسةٌ وعشرون دينارًا. قال : ادفَعُوها إليه . قال : أصلح الله الأميرَ ! جائزتى لنَفْسى عن مَديحى إيَّاكَ. قال : اشترِ نفسَك ثم عُدْ إلينا. فأتى الكوفةَ وبها بِشْرُ بنُ مَرْوانَ، فآستأذَنَ عليه فآستصعبَ الدخولَ إليه . وخرج بِشْرُ بنُ مَرْوان متنزِّهًا فعارضَه، فلما نَاكَبَه (أى صار حِذَاء مَنْكِبه) ناداه :

يا بِشْرُ يآبنَ الجَعْـفَرِيَّةِ ما * خلَق الإلٰهُ يدَيْك للبُخْلِ

جاءتْ به عُجُـزٌ (٢) مُقَـابَلةٌ (٣) * ما هُنَّ من جَرْمٍ (٤) ولا عُكْلِ

قال: فأمر له بِشْرٌ بعَشْرةِ آلاف دِرْهمٍ . الجَعْفَرِيّة التى عَنَاها نُصَيبٌ: أُمُّ بِشْرِ آبن مَرْوانَ ، وهى قُطَيَّـةُ (٥) بنتُ بِشْرِ بنِ عامر مُلَاعِبِ الأسِـنَّة بنِ مالك بن جَعْفر آبن كِلَاب .

أم بشر بن مروان ابن الحكم

أخبرنا اليَزِيدىُّ عن الخَرّاز عن المَدَائِنِىّ عن عبد الله بنِ مُسْلم وعامر بن حَفْص وغيرهما :

أنّ مَرْوانَ بنَ الحَكَمِ مَرَّ ببادية بنى جَعْفَر، فرأى قُطَيَّةَ بنتَ بِشْر تَنْزِع بدَلْو على إبلٍ لهـا، وتقول :

(١) فى ت ، أ ، م ، ى : « لا يلحن حرفا » . (٢) عجز : جمع عجوز . يريد بهن أمهاته وجداته . (٣) المقابلة : الكريمة النسب من قبل أبويها .
(٤) جرم : بطن فى طيئ ومساكنهم صعيد مصر ومنهم بقية فى نواحى غزة ، وهم غير جرم بن زَبَّان ابن حلوان بن عمران بن الحاف : بطن من قضاعة . وعكل : أبو قبيلة فيهم غباوة وقلة فهـم ؛ لذلك يقال لكل من فيه غفلة ويستحمق : عكلىّ . (٥) فى ت ، حـ ، ر : «قطبة» بالباء الموحدة وقد سمى به ، كما فى القاموس .

ليس بنا فقرٌ إلى التشكّى * جَرَبَّةٌ(١) كحُمُرِ الأَبَكِّ(٢) * لا ضَرَعٌ(٣) فيها ولا مُذَكِّى(٤)

ثم تقول :

عامان تَرْقيقٌ(٥) وعامٌ تَمَّما(٦) * لم يَتَّرِكْ(٧) لحمًا ولم يترك دما

ولم يَدَعْ فى رأس عظمٍ ملدما(٨) * إلا رَذَايا(٩) ورجالًا رُزَّما(١٠)

٥ فخطبها مروانُ فتزوّجها، فولدتْ له بِشْرَ بنَ مَرْوانَ .

---

(١) وردت هذه الكلمة فى ب ، سه ، س : « جونية » وفى حـ : « بالجونية » وفى ى : « جرية » . وفى م ، أ : « جريه » . وفى ت : « حرية » . وكل ذلك محرّف عن « جَرَبَّة » . والجربة فى الأصل : جماعة الحمر . وقد يقال للأقوياء من الناس إذا كانوا جماعة متساوين ، وهو المراد هنا . وقد ورد البيت فى اللسان مادة صلم :

١٠ صلامة كحمر الأبك * لا ضرع فيها ولا مذكى

والصلامة : القوم المستوون فى السنّ والشجاعة والسخاء . (٢) الأبك : الحمر التى يَبُكُّ (يزحم) بعضها بعضا ؛ ونظيره قولهم الأعم فى الجماعة ، والأمّر لمصارين القَرْث . والأبك : اسم موضع ؛ قال فى اللسان مادة بكك : والأبك : موضع نسبت الحمر إليه ، فأما ما أنشده ابن الأعرابى « جربة كحمر الأبك » فزعم أنها الحمر يبكّ بعضها بعضا . قال : و يضعف ذلك أن فيه ضربا من إضافة الشىء الى نفسه وهذا مستكره . وقد ١٥ يكون الأبك هاهنا الموضع فذلك أصح للإضافة . (٣) الضرع : الضعيف . (٤) المذكى : المسنّ من كل شىء ، وخص بعضهم به ذوات الحافر وهو أن يجاوز القروح بسنة . قال الأزهرىّ نقلا عن ابن الأعرابى : إذا سقطت رباعية الفرس ونبتت مكانها سنّ فهو رباعٍ وذلك إذا استتمّ الرابعة ، فإذا حان قروحه سقطت السن التى تلى رباعيته ونبت مكانها نابه وهو قارحه ، وليس بعد القروح سقوط سنّ ولانبات سنّ . قال : و إذا دخل الفرس فى السادسة واستتمّ الخامسة فقد قرح . (٥) لعلها تريد وصف حالهم ٢٠ فى هذين العامين برقة الحال والضعف والهزال ، كأن الهزال ظل يأخذهم شيئا فشيئا حتى رقت حالهم ، أو لعله محرّف عن ترميق ، وتريد أنهم فى هذين العامين لم يترك لهم الجدب إلا بمقدار ما يمسك رمقهم . (٦) تمم : أجهز . (٧) إتّرك بمعنى ترك . (٨) لعله محرّف عن مكدما . والكدم : تمشمش العظم وتعرّقه . تعنى أنه لم يبق على العظم لحم . (٩) الرذايا : جمع رذيّة وهى المرأة المهزولة ؛ قال لبيد :

يأوى إلى الأطناب كل رذية * مثل البلية قالصا أهدامها

٢٥ أراد كل امرأة أرذاها الجوع والسلال . (١٠) رزم : جمع رازم ، وهو الثابت على الأرض لايستطيع النهوض هزالا .

أخبرنى أحمدُ بنُ عبد العزيز قال حدّثنا عمرُ بنُ شَبَّة قال حدّثنا أحمدُ بنُ معاوية عن إسحاقَ بنِ أيُّوبَ عن خَلِيلِ(١) بن عَجْلانَ فى خبرِ النُّصَيب مثلَ ما ذكَره الزُّبيرُ و إسحاقُ سواءً .

كان نصيب إذا أصاب شيئا من المال قسمه فى مواليه وكان فيه كأحدهم وظل كذلك حتى مات

أخبرنى عمِّى قال حدّثنا الكُرَانِىّ قال حدّثنا العُمَرىّ عن العُتْبِىّ قال :

دعا النُّصَيبَ مَوَالِيه أن يَسْتَلْحِقُوه(٢) فأبَى ، وقال : والله لأن أكونَ مولًى لائقًا(٣) أحبُّ إلىّ من أن أكونَ دَعِيًّا لاحقا . وقد علمتُ أنكم تُرِيدُونَ بذلك مَالِى ، وواللهِ لا أَكْسِبُ شيئًا أبدًا إلا كنتُ أنا وأنتم فيه سواءً كأحدكم ، لا أستأثِرُ عليكم منه بشىء أبدًا . قال : وكان كذلك معهم حتى مات ، إذا أصاب شيئا قَسَمه فيهم ، فكان فيه كأحدهم .

نصيب والفرزدق بحضرة سليمان بن عبد الملك

أخبرنى الحَرَمِىّ قال حدّثنا [الزُّبيرى ، وحدّثنا محمد بن العبَّاس اليَزِيدىّ قال حدّثنا أحمد بن أبى خَيْثَمَةَ قال حدّثنا الزُّبيرُ(٤)] قال حدّثنا محمدُ بنُ إسماعيلَ الجَعْفَرِىّ قال:

دخَل النُّصَيبُ على سليمانَ بنِ عبد الملك وعنده الفَرَزْدَقُ ، فاستنشد الفرزدقَ وهو يَرَى أنه سيُنْشِدُه مديحًا له ، فأنشده قولَه يفتخر :

وركْبٍ كأنَّ الريحَ تطلُب عندهمْ * لها تِرَةً من جَذْبِها(٥) بالعَصَائبِ(٦)

---

(١) فى ح ، ر : «خليد» . (٢) استلحق الولد : ادّعاه وألحقه بنسبه . (٣) لائقا : لاصقا . (٤) زيادة فى ت ، وكذا فى ح ، ر غير أن النص فيهما : أخبرنى الحرمىّ عن الزبير وحدّثنى اليزيدى عن أبى خيثمة عن الزبير الخ . (٥) كذا فى ت ، ح . وفى سائر النسخ : « جذبهم » بميم الجمع . (٦) العصائب هنا : العمائم . وفى اللسان (مادة عصب) :

وركب كأن الريح تطلب منهم * لها سلبا من جذبها بالعصائب

أى تنقض ليّ عمائمهم من شدّتها ، فكأنها تسلبهم إياها . والبيت فى ديوانه كما فى الأصل .

سَرَوْا يَرْكَبُون الريحَ وهى تَلُفُّهـم[1] * على شُعَبِ الأَكْوارِ[2] من كلِّ جانبِ[3]

إذا ٱسْتَوْضَحُوا نارًا يقولون ليتَهـا * وقد خَصِرَتْ أيديهـمُ نارُ غالبِ

قال : وعِمَامتُه على رأسه مثلُ المِنْسَفِ[4] ؛ فغاظ سليمانَ وكَلَحَ[5] فى وجهه ، وقال لنُصَيب : قُمْ فأَنشِدْ مَوْلاك وَيْلَك ! فقام نُصَيب فأنشده قولَه :

أقولُ لِرَكْبٍ صَادِرِينَ لَقِيتُهـم * قِفَا ذاتِ أَوْشالٍ[6] ومَوْلاكَ قارِبُ[7]

قِفُوا خبِّرونى عن سليمانَ إنَّنى * لمعروفه من أهـلِ وَدَّانَ طالبُ

فعاجُوا فأَثْنَوْا بالذى أنت أهلُه * ولو سكتوا أَثْنَتْ عليكَ الحقائبُ

وقالوا عَهِدْناه وكلَّ عشـيَّةٍ * بأبوابه من طالبِ العُرْفِ راكبُ

هو البدرُ والناسُ الكواكبُ حولَه * ولا تُشْبِهُ البدرَ المضىءَ الكواكبُ

---

(١) فى ديوانه المطبوع بأوربا : «يخبطون الليل» . (٢) كذا فى ديوانه ، وفى الأصول : «إلى» . (٣) فى حـ ، ر : «ذات الحقائب» . وفى ت بعد هذا البيت ما نصه : «أنا أروى فيها بيتا رواه شيخى أبو زكريا رواه له أبو العلاء المعرّى بمعرّة النعمان :

يَعَضُّونَ أطرافَ العصىّ كأنما * يمسّون بالأطراف شوك العقارب

أى لا يستطيع السابق — لعلها : الراكب ونحوه — أن يمسّ العصا بيده فيعضّها ماسكا لها بسنّه .

إذا ٱستوضحوا نارا يقولون ليتها * وقد خصرت أيديهم نار غالب»

وقد وجد الناسخ هذه الزيادة بهامش بعض النسخ ، فكتبها فى الأصل كما هى ؛ فإن المعروف أن أبا العلاء المعرّى ولد سنة ٣٦٣ هـ وأبا الفرج الأصفهانى مات سنة ٣٥٦ هـ .

(٤) المنسف : شىء طويل متصوّب الصدر أعلاه مرتفع ينفض به الحبّ . وفى الأساس : المنسف الغربال الكبير . (٥) الكلح : التكشر فى عبوس . (٦) قفا ذات أوشال : وراءها . والأوشال : جمع وَشَل وهو الماء القليل . (٧) فى اللسان : القارب : طالب الماء ليلا ، ولا يقال ذلك لطالب الماء نهارا . وفى التهذيب : القارب : الذى يطلب الماء ، ولم يعين وقتا . ويريد بالمولى نفسه ، والخطاب لسليمان بن عبد الملك .

فقال له سليمان : أحسنتَ والله يا نُصَيب ! وأمر له بجائزة ولم يَصنعْ ذلك بالفرزدق . فقال الفرزدقُ وقد خرج من عنده :

وخيرُ الشِّعْرِ أكرمُه رجالًا * وشرُّ الشعرِ ما قال العَبِيدُ

النصيب وعبد العزيز ابن مروان بجبل المقطم

١٣٥ / ١

أخبرنا الحَرَمىُّ قال حدثنا الزُّبَير قال حدّثنى عبدُ الرحمن بنُ عبد الله الزُّهْرِىّ[1] عن عمّه موسى بن عبد العزيز قال :

٥

حمَل عبدُ العزيز بنُ مروان النُّصَيبَ بالمقطَّم (مقطَّم مصرَ) على بُخْتِىٍّ قد رَحَلَه بغَبِيطٍ[2] فوقَه ، وألبسه مُقَطَّعاتِ[3] وَشْىٍ ، ثم أمَره أن يُنْشِدَ ؛ فاجتمع حوله السُّودانُ وفرِحُوا به ، فقال لهم : أسَرَرْتُكم ؟ قالوا : إِى والله . قال : والله لَمَا يَسُوءُكم من أهل جِلْدَتِكم أكثرُ .

نصيب وجرير

١٠

أخبرنا أبو خَليفةَ عن محمد بن سَلَّام قال حدّثنى أبو الغَرَّاف قال :

مَرَّ جَرِيرٌ بنصيب وهو يُنْشِد ، فقال له : اذهَبْ فأنت أشعرُ أهلِ جِلْدَتِك . قال : وجِلْدَتِك يا أبا حَزْرَةَ .

هشام بن عبد الملك ونصيب

أخبرنا الحُسَين بن يحيى عن حَمَّاد عن أبيه قال حدّثنى أيُّوبُ بن عَبَايةَ قال :

بلغنى أنّ النُّصَيبَ كان إذا قَدِمَ على هِشَام بن عبد الملك أَخْلَى له مجلسَه

١٥

واستَنشَده مَراثِىَ بنى أميَّة ، فإذا أنشده بكى و بكى معه . فأنشده يوما قصيدةً له مدحه بها ، يقول فيها :

(١) فى حـ ، ر : « الزبيرى » . وقد تقدّم مرارا أنه عبد الرحمن بن عبد الله الزهرىّ .

(٢) الغبيط : الرحل ، وهو للنساء يشدّ عليه الهودج والجمع غُبُط . (٣) المقطعات من الثياب : شبه الجباب ونحوها من الخز وغيره ؛ ومنه قوله تعالى : (قُطِّعَتْ لهم ثيابٌ من نار) أى خيطَت وسُوّيت وجُعلت لبوسا لهم . والمقطعات : واحدها مقطعة ، وقيل لا واحد لها ؛ فلا يقال للجبة مقطعة ولا للقميص

٢٠

مقطع ، و إنما يقال لجملة الثياب مقطعات وللواحد ثوب .

إذا ٱستبق الناسُ العُلَا سبقتهم * يمينك عفوًا ثم صلّت شمالُها[1]

فقال له هشام: يا أسود، بلغت غاية المدح فسلني. فقال: يدك بالعطيّة أجود وأبسط من لساني بمسئلتك. فقال: هذا والله أحسن من الشعر، وحباه وكساه وأحسن جائزته.

نصيب وإعتاقه ذوى قرابته

٥ أخبرني الحسين بن يحيى قال أخبرنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أيّوب بن عباية قال:

أصاب نُصيبٌ من عبد العزيز بن مروان معروفًا، فكتمه ورجع إلى المدينة في هيئة بذّة[2]، فقالوا: لم يُصب بمدحه شيئًا. فمكث مُدّةً، ثم ساوم بأمّه فابتاعها وأعتقها، ثم ٱبتاع أمَّ أمّه[3] بضعف ما ٱبتاع به أمّه فأعتقها. وجاءه ٱبن خالة له

١٠ اسمه سُحيم فسأله أن يُعتقه، فقال له: ما معي والله شيءٌ، ولكنّي إذا خرجتُ أخرجتك معي، لعل الله أن يُعتقك. فلمّا أراد الخروج دفع غلامًا له الى مولى سُحيم يرعى إبله وأخرجه معه، فسأل في ثمنه فأعطاه وأعتقه. فمرّ به يومًا وهو يزفن[4] ويزمر مع السودان، فأنكر ذلك عليه وزجره. فقال له: إن كنت أعتقتني لأكون كما تريد فهذا والله ما لا يكون أبدًا، وإن كنت أعتقتني لتصل رحمي وتقضي حقّي فهذا والله

١٥ الذي أفعله هو الذي أريده، أزفن وأزمر وأصنع ما شئتُ. فٱنصرف النُّصيب وهو يقول:

إنّي أراني لسُحيمٍ قائلا * إنّ سُحيمًا لم يُثبني طائلا

نسيتَ إعمالي لك الرواحلا * وضربيَ الأبوابَ فيك سائلا!

---

(١) صلّت شمالها: جاءت تالية لليمين؛ ومن ذلك المصلّي من خيل الحلبة، وهو الذي يجيء بعد

٢٠ السابق لأن رأسه يلي صلا المتقدم. (٢) البذاذة: رثاثة الهيئة. (٣) في ب، س: «أم أمامة» وفي حـ، ر: «أمامة» وفي م: «أم أبيه». (٤) يزفن: يرقص.

عند الملوك أَسْتَثِيبُ النائلا * حتى إذا آنَسْتَ عِتْقًا عاجلا[1]

ولَّيْتَنِى منك القفا والكاهلا * أَخْلُقًا شَكْسًا ولونًا حائلا

استعجاله جائزة عند عبد العزيز بن مروان، وليلى أم عبد العزيز

قال إسحاق : وأبطأتْ جائزةُ النُّصَيب عند عبد العزيز، فقال :

وإنّ وراءَ ظَهْرِى يا ٱبنَ لَيْلَى * أُنَاسًا يَنْظُرونَ متى أَؤُوبُ

أُمَامَـةُ منهـم ولِمَأْقِيَيْهـا[2] * غَدَاةَ البَيْنِ فى أَثَرِى غُرُوبُ[3]

٥

تركتُ بِلَادَها ونأيتُ عنهـا * فأشبهُ ما رأيتُ بها السَّلُوبُ[4]

فأَتْبِـعْ بعضَنا بعضًا فلَسْنا * نُثِيبُك لٰكِنِ اللهُ المُثِيبُ

١٣٦ / ١

فعجَّل جائزتَه وسرَّحه . قال إسحاق : فحدّثنى ابنُ كُنَاسَةَ قال : لَيْلَى أُمُّ عبدِ العزيز كَلْبِيَّةٌ . وبلَغَنِى عنه أنه قال : لا أُعْطِى شاعرًا شيئًا حتى يَذْكُرَها فى مَدْحِى لِشَرَفِها[5]؛ فكان الشعراءُ يذكُرونها باسمِها فى أشعارِهم .

١٠

شرف نصيب لشعره

أخبرنى الحُسَين عن حَمّاد عن أبيه عن ٱبنِ عَبَايَةَ قال :

وقفتْ سَوْداءُ بالمدينة على نُصَيبٍ وهو يُنْشِدُ الناسَ، فقالتْ : بأبى أنتَ يا ٱبنَ عَمّ وأمّى ! ما أنت واللهِ علىَّ بِخِـزْىٍ . فضحِك وقال : واللهِ لَمَنْ يُخْزِيك من بنى عمِّك أكثرُ مِمَّن يَزِينُك .

خطبة ٱبن نصيب بنت سيده وما فعله نصيب فى ذلك

١٥

قال إسحاقُ وحدّثنى ٱبنُ عَبَايَةَ وغيرُه أنّ ٱبنًا لنُصَيبٍ خطَب بعد وفاة سيِّده الذى أعتقه بنتًا له من أخيه، فأجابه إلى ذلك، وعرَّف أباه. فقال له : اجْمَعْ وُجُوهَ الحَىِّ

(١) فى حـ ، س : « باتلا » أى باتًّا .

(٢) مَأْق العين ومُؤْقها ومُوقها ومُؤْقِيها ومَأْقِيها : حرفها الذى يلى الأنف . (٣) الغروب : الدموع حين تخرج من العين، واحدها غَرْب . (٤) ظبية سلوب وسالب : سُلِبت ولدَها . يريد : لما تركتها رأيتها أشبهَ الأشياء بالسَّلوب التى فقدت ولدها من حزنها علىّ . (٥) فى ت : «ولِشرفها» . ولعل الواو زائدة من الناسخ .

٢٠

لهذا الحال[1] فجمعهم . فلمّا حضروا أقبل نُصَيبٌ على أخى سيّده فقال : أزوّجتَ ٱبنى هذا من ٱبنة أخيك ؟ قال نعم . فقال لعبيدٍ له سُودٍ : خُذُوا برِجْلِ ٱبنى هذا فجُرّوه فاضربوه ضَرْبًا مُبَرِّحًا ، ففعلوا وضربوه ضربًا مبرحا . وقال لأخى سيّده: لولا أنّى أكره أذاكَ لألحقتُك به . ثم نظر إلى شابٍّ من أشرافِ الحىِّ ، فقال : زوِّجْ هذا ٱبنةَ أخيك وعلىّ ما يُصْلِحُهما فى مالى ، ففعلَ .

نصيب وعبد الملك ابن مروان حين أراد منادمته

أخبرنى الحَسَنُ بنُ علىّ قال حدّثنا أحمدُ بن الحارث عن المدائنىّ قال :

دخل نُصَيبٌ على عبد الملك فتغدّى معه ، ثم قال : هل لكَ فيما نتنادَمُ عليه؟ فقال : تؤمِنُنى[2]؟ ففعل . فقال : لَوْنِى حائلٌ ، وشَعْرى مُفَلْفَلٌ ، وخِلْقتى مُشَوَّهةٌ ، ولم أَبْلُغ ما بلغتُ من إكرامك إيّاىَ بشرف أبٍ أو أُمٍّ أو عَشيرة ، وإنما بلغتُه بعقلى ولسانى . فأَنْشُدُكَ اللهَ يا أمير المؤمنين أن[3] تَحُولَ بَيْنى وبين ما بلغتُ به هذه المنزلة منكَ ، فأعفاه .

سبب تسميته بهذا الاسم

أخبرنى أبو الحَسن الأَسَدىّ قال حدّثنى محمد بن صالح بن النَّطّاح قال بلغنى عن خَلّاد بن مُرَّة عن أبى بَكْر بن مَزْيَد قال :

لَقيتُ النُّصَيبَ يومًا بباب هِشام ، فقلت له : يا أبا مِحْجَن ، لِمَ سُمِّيتَ نُصَيبًا ، ألقولك فى شعرك عاينها[4] النُّصَيبُ ؟ فقال : لا ، ولكنى وُلِدْتُ عند أهل بيتٍ من وَدّانَ ، فقال سيّدى : إيتونا بمولودنا هذا لننظرَ إليه . فلمّا رآنى قال : إنه لمُنَصَّب[5] الخَلْق ، فسُمِّيتُ النُّصَيبَ ، ثم ٱشترانى عبدُ العزيز بنُ مَرْوانَ فأعتقنى .

(١) فى ت ، حـ ، م : «لهذه الحال» . والحال يذكر ويؤنث . (٢) فى ت ، حـ ، م : «تأمّنَنى» . (٣) فى ب ، س : «ألّا تحولَ» وكلا التعبيرين صحيح (راجع الحاشية رقم ١ صفحة ١٦٧ من هذا الجزء) . (٤) كذا ! ولم نعثر عليه فى شعر نصيب . (٥) كذا فى أكثر النسخ . ومنصّب الخلق : مسوّاه مستقيمه . وفى ب ، س : «لنصيب الخلق» . وفى حـ ، م : «لنصيب فسميت الخ» .

فصاحته وتخلصه إلى جيد الكلام

أخبرنى الحُسَين بن يحيى عن حَمّاد عن أبيه عن محمد بن كُنَاسةَ أبى يحيى الأَسَدىّ قال :

قال أبو عبد الله بن أبى إسحاق البَصْرِىّ : لئن وَلِيتُ العِرَاقَ لأَسْتَكْتِبَنَّ نُصَيباً لفصاحته وتخلُّصه إلى جيِّد الكلام .

صدق الحديث مع عبد العزيز بن مروان فأجازه

أخبرنى الأَسَدىّ قال حدّثنى محمد بن صالح عن أبيه عن محمد بن عبد العزيز الزُّهْرِىّ[1] قال : حدّثنى نُصَيبٌ قال :

دخَلْتُ على عبد العزيز بن مروان، فقال : أَنْشِدْنِى قولَك :

إذا لم يكُنْ بينَ الخليلَيْنِ رِدَّةٌ[2] * سِوَى ذِكرِ شىء قد مضَى دَرَسَ الذِّكْرُ

فقلتُ : ليس هذا لى، هذا لأبى صَخْر الهُذَلىّ ، ولكنّى الذى أقول :

وَقَفْتُ بذى دَوْرانَ[3] أَنْشُدُ ناقَتِى * وما إنْ بها لِى مِنْ قَلُوصٍ ولا بَكْرِ

فقال لى عبدُ العزيز : لك جائزةٌ على صِدْقِ حديثك ، وجائزةٌ على شعرك ؛ فأعطانى على صدقِ حديثى ألفَ دينارٍ، وعلى شِعْرِى ألفَ دينار .

أوصاف نصيب الجسمية

أخبرنى الحُسَين بن يحيى عن حَمّاد عن أبيه عن عثمانَ بن حَفْص عن أبيه قال : رأيت النُّصَيبَ وكان أسودَ خَفيفَ العارضَيْنِ ناتِئَ الحَنْجَرَة .

أخبرنى الحَرَمِىُّ بنُ أبى العَلَاء قال حدّثنى الزُّبَير قال حدّثنى إبراهيم بن يَزِيدَ[4] السَّعْدىّ عن جَدّته جَمَالَ بنتِ عَوْن بن مُسْلِم عن أبيها عن جدّها قال :

(١) فى ت : «الزبيرى» تحريف . (٢) الردّة هنا : البقية . (٣) كذا فى ح ، وقد تقدّم الكلام على ذى دوران فى الحاشية رقم ٣ ص ٨٠ وفى سائر النسخ ودان . وقد تقدم الكلام على ودان فى الحاشية رقم ٢ ص ٣٢٤ وربما رجح الرواية الأولى أن ودان لم يرد فى معاجم البلدان مصدرا بذى ، على أنه تقدّم فى أوّل ترجمته فى الصفحة المشار اليها أنه من أهل ودّان . (٤) فى ح ، م : « زيد » .

رأيتُ رجلا أسودَ مع امرأةٍ بيضاءَ ، فجعلْتُ أَعْجَبُ من سواده وبياضها، فدنوتُ منه وقلتُ : مَنْ أنتَ ؟ قال : أنا الذى أقولُ :

ألا ليتَ شِعْرِى ما الّذى تُحْدِثينَ بى * غدًا غُرْبَةَ النأىِ المفرّقِ والبعدِ
لَدَى أُمِّ بكرٍ[(١)] حين تقتربُ النَّوَى * بنا[(٢)] ثم يَخْلُو الكاشحونَ بها بَعْدِى
أَتَصْرِمُنِى عند الأُلَى هُمْ لنا العِدَا[(٣)] * فتُشْمِتَهم بى أم تدومُ على العهدِ

قال : فصاحتْ : بل والله تدومُ على العهد . فسألتُ عنهما فقيل : هذا نُصَيْبٌ، وهذه أُمُّ بكر .

النصيب وعبد الله ابن جعفر

أخبرنى أبو الحسن الأسدىّ قال حدّثنا محمد بن صالح بن النَّطّاح قال حدّثنى أبو اليَقْظَان عن جُوَيْرِيَةَ بنِ أسماءَ قال :

أتى النُّصَيبُ عبدَ الله بنَ جعفرٍ فحمَله وأعطاه وكَسَاه . فقال له قائل : يا أبا جعفر، أعطيتَ هذا العبدَ الأسودَ هذه العَطَايا ! فقال : والله لئن كان أسودَ إنّ ثناءَه لأبيضُ، و إنّ شعرَه لَعربىٌّ، ولقد استحقّ بما قال أكثر مما نال. وما ذاك ! إنما هى رَوَاحِلُ تُنْضِى[(٤)]، وثيابٌ تَبْلَى، ودراهمُ تَفْنَى، وثناءٌ يَبْقَى، ومدائحُ تُرْوَى !

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن المَدَائنىّ قال قال أبو الأسْوَد: امتدح نُصَيبٌ عبدَ الله بنَ جعفر وذكر مثلَه .

نصيب والنسوة اللاتى أردن أن يسمعن شعره

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا الخرّاز عن المَدَائنىّ قال :

(١) كذا فى ت ، حـ ، ر . وفى سائر النسخ : « أرى » وهو تحريف .
(٢) كذا فى ت ، م ، ى . وفى سائر النسخ : « لنا » .
(٣) كذا فى جميع النسخ ؛ غير أنه فى نسخة ت شُطب لفظُ الألى و وُضع بدله الذين وشُطبت كلمة «لنا» وهو بذلك مستقيم الوزن . (٤) تنضى : تهزل ؛ يقال : أنضاه السفر أى هزله .

قيل لنُصَيب : إنّ ها هنا نِسْوَةً يُرِدْنَ أن يَنْظُرنَ إليكَ و يسمَعْن منكَ شِعْرَكَ. قال : وما يَصْنَعْنَ بى! يَرَيْنَ جلدةً سـوداءَ وشَعَرًا أبيضَ، ولكن ليسمَعْنَ شِعْرِى من وراءِ سِتْرٍ[1] .

تغنى منقذ الهلالى بشعر نصيب

أخبرنى الحُسَين بن يحيى عن حَمّـاد عن أبيه عن عثمانَ بن حَفْصٍ عن رجل ذكره قال :

أتانى مُنقِـذٌ الهِلالىُّ ليلًا، فضرَب علىَّ الباب . فقلت : مَنْ هـذا ؟ فقال : مُنْقِذٌ الهِلالىّ . فخرجتُ إليه فزِعًا . فقال : البُشْرَى . فقلت : وأىُّ بُشْرَى أتيْتَنِى بك فى هذا الليل ؟ فقال : خَيْرٌ، أتانى أهلى بدَجَاجةٍ مَشْوِيّةٍ بين رغيفين فتعشَّيْتُ بها، ثم أتَوْنِى بقِنِّينَةٍ من نَبيذٍ قد ٱلتقى طرفاها صـفاءً ورِقّةً، فجعلتُ أشربُ وأترنّم بقول نُصَيب :

* بزينبَ أَلْمِمْ قبلَ أن يَظْعَنَ الرَّكْبُ *

ففكّرتُ فى إنسانٍ يَفهم حُسْنَه و يعرِف فَضْلَه ، فلم أجد غيرَك ، فأتيتُك مُخْبِرًا بذلك . فقلت : ما جاء بك إلا هذا؟ ! فقال : أوَلَا يَكْفِى! ثم ٱنصرف .

عفة نصيب فى شعره

أخبرنى الحُسَين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال :

قال مَسْلَمَةُ لنُصَيب :أنت لا تُحْسِن الهِجَاءَ. فقال : بَلَى واللهِ، أتُرانى لا أُحْسِن أن أجعل مكانَ عَافَاكَ اللهُ أخْزَاكَ الله ؟ ! قال : فإنّ فلانًا قد مدحتَه فحَرَمك فاهْجُه ، قال : لا والله ما ينبغى أن أَهْجُوَه، و إنمـا ينبغى أن أَهْجُوَ نفسِى حينَ مدحتُه . فقال مَسْلَمةُ : هذا والله أشدُّ من الهجَاء .

---

(١) فى ت ، حـ ، ر : « من وَرَاءُ وراءُ » .

نصيب وعمر بن عبد العزيز في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم

أخبرني الحُسَين قال قال حَمّاد : قرأتُ على أبي عن ٱبنِ عَبَاية عن الضَّحّاك
ى (١) قال :

دَخَل نُصَيبٌ مسجدَ رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم، وعمرُ بن عبد العزيز
الله عنه يومئذ أميرُ المدينة، وهو جالس بين قبر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم
ه، فقال : أيُّها الأمير، ائذَنْ لِي أن أُنْشِدَكَ من مَرَاثِي عبد العزيز. فقال :
لْ فتحزُنَنِي، ولكن أنشِدْني قولَك : "قفا أخَوَيّ" ؛ فإنّ شيطانَك كان لك
صحا حين لقَّنك (٢) إيّاها. فأنشَده :

١٣٨
١

صـــــوت

قِفَـا أَخَوَيَّ إنّ الدارَ ليستْ * كما كانتْ بعهـــدِكُما تكونُ
ليـاليَ تَعْلمـانِ وآلُ لَيْـــلَى * قَطِينُ (٣) الدارِ فاحتمـلَ القَطِينُ
فعُـوجَا فانظُـرَا أتبِينُ عمّـا * سألنـاها بـه أم لا تُبِينُ
فظَلَّا واقفَـيْنِ وظَلَّ دَمْـعِي * على خَدِّي تجـودُ به الجُفُونُ (٤)
فـلولا إذ (٥) رأيتَ اليأسَ منهـا * بَدَا أنْ كِدْتَ تَرْشُقُكَ (٦) العيـونُ،
بَرِحْتَ (٧) فلم يَلُمْكَ النـاسُ فيها * ولم تَغْـلَقْ كما غَلِقَ الرَّهينُ

(١) كذا في أكثر النسخ. وفي ب، س : «الخزامى» بمعجمتين وهو تصحيف؛ إذ هو الضحاك
ن بن عبد الله بن خالد بن حزام الأسدي الحزامي أبو عثمان المدني، كما في الخلاصة في أسماء الرجال
ه في أسماء الرجال للذهبي. (٢) كذا في حـ. وفي سائر النسخ : «حتى» والمقام للأولى.
القطين : السكان في الدار، وهو كالخليط لفظ الواحد والجماعة فيه سواء. (٤) في ت، حـ،
«الشؤون» جمع شأن وهو مجرى الدمع في العين. (٥) كذا في ت، حـ، م.
ر النسخ : «أن». والظاهر أن «لولا» هنا للتحضيض، مثلها في قوله تعالى : (لولا تستغفرون الله
حمون). (٦) ترشقك العيون : تحدّ النظر إليك كأنها ترميك بسهام لحظها. (٧) كذا
. وفي سائر النسخ : «ترحت». ولعل أصلها «نزحت».

فى البيتين الأوّلين من هذه الأبياتِ والأخيرين لابنِ سُرَيج خَفِيفُ رَمَلٍ بالوُسْطَى عن عمرو. وفيه للغريض خَفِيفُ ثَقِيلٍ أوّلَ بالوُسْطى عن عمرٍو ويونُس .

قصة نصيب مع امرأة عجوز بالجحفة كان يختلف اليها

أخبرنى الحُسَين عن حمّاد عن أبيه عن أيُّوبَ بن عَبَايَةَ قال :

كان نُصَيْبٌ يَنزِل على عَجُوزٍ بالجُحْفَة إذا قَدِمَ من الشأم، وكان لها بُنَيَّةٌ صَفْراءُ وكان يَسْتَحْلِيها، فإذا قَدِمَ وهَب لها دراهمَ وثيابًا وغيرَ ذلك . فقَدِمَ عليهما ٥ قَدْمةً وبات بهما ، فلم يَشْعُرْ إلا بفتًى قد جاءها ليلًا فركَضها برِجْلِه، فقامتْ معه فأبطأتْ ثم عادت ، وعاد إليها بعد ساعةٍ فركَضها برِجْلِه فقامتْ معه فأبطأت ثم عادتْ. فلمّا أَصْبح نُصَيبٌ رأى أثرَ مُعْتَرَكهما ومُغْتَسَلِهما . فلمّا أراد أن يرتحل قالت له العجوزُ وبنتُها : بأبى أنتَ ! عادتَك. فقال لها :

أَراكِ طَمُوحَ العينِ مَيَّالةَ الهوى * لهذا وهذا منكِ وُدٌّ مُلَاطِفُ ١٠

فإن تَحْمِلى رِدْفَيْنِ لا أَكُ منهما * فَحَسْبِى فردٌ(1) لستُ ممن يُرادِفُ

ولم يُعْطِها شيئا ورحَل .

حديث النصيب مع امرأة من ملل كان الناس ينزلون عندها

قال أيُّوب: وكانت بمَلَلَ(2) امرأةٌ يَنزِل بها الناسُ، فنزل بها أبو عُبَيدةَ بنُ عبد الله ابنِ زَمْعةَ وعِمْرانُ بن عبد الله بن مُطِيع ونُصَيب . فلمّا رحَلوا وهَب لها القُرَشيّان ولم يكن مع نُصَيب شىءٌ ، فقال لها : اختارى إن شئتِ أن أضمنَ لكِ مثلَ ١٥ ما أعطياكِ إذا قَدِمْتُ ، وإن شئتِ قلتُ فيكِ أبياتًا تنفعُكِ. قالت : بَلِ الشِّعْرُ أحبُّ إلىّ . فقال :

---

(1) هكذا فى جميع النسخ . وفى الحماسة الصغرى لأبى تمام المعروفة بالوحشيات النسخة الفتوغرافية المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٢٩٧ أدب ص ٢٤٢ « فحبى ردف » .

(2) كذا فى أكثر النسخ ، ومثله ما فى ياقوت (مادة ملل) . وفى ب ، س : « عبد الملك » . ٢٠

أَلَا حَيِّ قبلَ البَيْنِ أُمَّ حَبِيبِ * وإن لم تَكُنْ منّا غدًا بقَرِيبِ
لئن لم يكن حُبِّيكِ حُبًّا صدَقْتُه * فما أحدٌ عنـدى إذًا بحَبِيبِ
تَهَامٍ(١) أصابتْ قلبَه مَلَلِيَّةٌ * غَرِيبُ الهَوَى يا وَيْحَ كلِّ غريبِ

فشهَرها بذلك، فأصابتْ بقوله ذلك فيها خيرًا .

النصيب وعمر بن عبد العزيز وقد نهاه عن التشبيب بالنساء

قال أيُّوبُ : ودخَل النُّصَيب على عمرَ بنِ عبد العزيز — رحمة الله عليه — بعد ما وَلِيَ الخلافةَ . فقال له : إيهِ يا أسودُ ! أنت الذى تُشَهِّر النساءَ بنَسِيبك! فقال : إنِّى قد تركتُ ذلك يا أميرَ المؤمنين ، وعاهدتُ اللهَ عزّ وجل ألّا أقولَ نَسِيبًا ، وشهِد له بذلك مَنْ حضَر وأثنَوْا عليه خيرًا . فقال : أمّا إذْ كان الأمرُ هكذا فسَلْ حاجتَك . فقال : بُنَيّاتٌ لى نَفَضْتُ عليهنّ سَوادِى فكَسَدْنَ ، أَرْغَبُ بهنّ عن السُّودَان ويَرْغَب عنهنّ البِيضَانُ . قال : فتُريد ماذا ؟ قال : تَفْرِضُ لهنّ ، ففعل . قال : ونفقةٌ لطريقى . قال : فأعطاه حِلْيَةَ سَيْفِه وكساه ثوبَيْه ، وكانا يُساوِيانِ ثلاثين دِرْهمًا .

اجتماع النصيب والكميت وذى الرمة وتناشدهم الشعر

١٣/١ أخبرنى إسماعيلُ بنُ يونسَ قال حدّثنا عمرُ بن شَبَّةَ عن إسحاقَ المَوْصِلىّ عن ابن كُنَاسةَ قال :

(١) كذا فى ح ، س، و ياقوت (مادة ملل) . وتهامة ينسب إليها فيقال : رجل تِهامىّ بالكسر وتَهام بالفتح . قال الجوهرى : اذا فتحت التاء لم تشدّد الياء كما قالوا رجل يمان وشآم ، إلا أن الألف فى تهام من لفظها ، والألف فى يمان وشآم عوض من ياء النسبة (وهكذا فى مادة تهم من لسان العرب وشرح القاموس) . قال المرتضى : ووجدت بخط أبى زكريا مانصه : الصواب من إحدى ياءى النسب . وفى المحكم : النسب الى تِهامة تهامى وتَهام على غير قياس ، كأنهم بنوا الاسم على تَهْمِى أو تَهَمِى ، ثم عوّضوا الألف قبل الطرف من إحدى الياءين اللاحقتين بعدها ، وهذا قول الخليل ا هـ (راجع اللسان وشرح القاموس مادة تهم) . وفى سائر النسخ : « سهام » وهو تحريف .

اجتمع النُّصَيب والكُمَيت وذو الرُّمّة ، فأنشدَهما الكُمَيتُ قولَه :

* هل أنتَ عن طالبِ الأيفاعِ منقَلِبُ[1] *

حتى بلغ إلى قوله فيها :

أم هــل ظَعائِنُ بالعَلْياء[2] نافعــةٌ * وإن تكاملَ فيها الأُنْسُ والشَّنَبُ[3]

فعقَد نصيبٌ واحدةً . فقال له الكُمَيت : ماذا تُحْصِى ؟ قال : خطَأَك ، باعدتَ في القول ، ما الأُنْسُ من الشَّنَب ، ألّا قلتَ كما قال ذو الرُّمّة :

لَمْياءُ[4] في شَفَتَيها حُوَّةٌ[5] لَعَسٌ[6] * وفى اللِّثاتِ وفى أنيابِها شَنَبُ

ثم أنشدهما قولَه :

* أَبَتْ هذه النفسُ إلّا ادِّكارَا *

---

(١) كذا فى أكثر النسخ . ويريد بالأيفاع الكواعب التى شارفت البلوغ . وفى حـ ، ى : «الايقاع» وفى ﺮ : «الابقاع» ، ولعلهما تصحيف . وتمام البيت كما فى الأغانى ج ١٥ فى ترجمة الكميت :

* أم كيف يحسُن من ذى الشيبة اللعب *

(٢) العلياء : اسم بلد ، كما فى اللسان مادة سند فى الكلام على السند فى شعر النابغة * يا دارمية بالعلياء فالسند * ولم يذكره ياقوت والبكرى فى معجميهما . (٣) الشنب : رقة وبرد وعذوبة فى الأسنان . وقد روى هذا البيت فى كتاب الموشح لأبى عبيد الله محمد بن عمران بن موسى المرزبانى المخطوط المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ٣٢٩٣ كما هنا ، ثم رواه من طريق آخر قال : أخبرنى محمد بن أبى الأزهر قال حدّثنا محمد بن يزيد النحوى قال : حُدِّثت أن الكميت بن زيد أنشد نصيبا فاستمع له ، فكان فيما أنشده :

وقد رأينا بها حُورا منعمة * بيضا تكامل فيها الدّل والشنب

فثنى نصيب خنصره ، فقال له الكميت : ما تصنع ؟ قال : أُحصِى خطأك ! تباعدت فى قولك : تكامل فيها الدل والشنب ، هلا قلت كما قال ذو الرمة : * لمياء فى شفتيها حوّة لعس * الخ . (٤) اللمياء : بيّنة اللمى ، وهو سمرة الشفتين واللثات . (٥) الحوّة : سمرة الشفة . (٦) اللعس : سواد اللثة والشفة فى حمرة ، وهو بدل مما قبله .

حتى بلغ إلى قوله :

إذا ما الهجارسُ غَنَّيْنَها[1] * تُجاوِبْنَ بالفَلَواتِ الوِبارَا[2]

فقال له النُّصَيب : والوِبَارُ لاتسكُن الفلواتِ . ثم أنشد حتى بلغ منها :

كأنّ الغُطَامِطَ[3] من غَلْيِها * أَراجِيزُ أَسْلَمَ تهجو غِفارَا[4]

٥ فقال النُّصَيب : ماهجَتْ أَسْلَمُ غِفَارًا قطُّ[5] ؛ فانكسر الكُمَيتُ وأمسك .

نصيب وعبد الرحمن ابن الضحاك بن قيس الفهرى

أخبرنى الحُسَين بن يحيى عن حَمّاد بن إسحاق عن أبيه عن ٱبن الكَلْبِيّ :

أنّ نُصَيباً مدح عبدَ الرحمن بنَ الضَّحّاك بن قَيْس الفِهْرِيّ ، فأمَر له بعَشْر قَلائِص[6] ، وكتَب بها إلى رجلين من الأنصار ، وٱعتذر إليه وقال له : والله ما أملِك إلّا رِزْقِى ، وإنى لأَكرَه أن أبسُط يَدِى فى أموال هؤلاء القوم . فخرَج حتّى أتى

١٠ (١) الهجارس : جمع هِجْرِس وهو القرد والثعلب أو ولده ، وهو الدب أيضا ، أو هو من السباع كل ما يُعسعس بالليل مما كان دون الثعلب وفوق اليربوع . (٢) الوبار : جمع وبر (بسكون الباء) وهو دويبة على قدر السنور غبراء أو بيضاء من دواب الصحراء حسنة العينين شديدة الحياء تكون بالغور والأنثى وبرة . كذا فى اللسان (مادة «وبر») ، وهو لا يتفق مع نقد نصيب أنّ هذه الدابة لاتسكن الفلوات . ولعل المناسب فى بيانها هنا ما نقله صاحب اللسان عن الجوهرى من أنها دابة طَحلاء اللون (كلون الطحال) لاذنب لها تدجن

١٥ فى البيوت . (٣) الغطامط بضم الغين : صوت غليان القدر ، وقد قيل إن الميم زائدة . قال المرتضى نقلا عن العباب : والبيت للكميت يصف به قدر أبان بن الوليد البجلى . (٤) أسلم وغفار : قبيلتان . (٥) قد أورد ابن جنى فى الجزء الثانى ص ١٢٣ من كتاب الخصائص المخطوط المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥ نحو ش هذا النقد وسكت عليه ، وكذلك السيوطى فى المزهر طبع بولاق ج ٢ ص ٢٥٠ ولكن السيد مرتضى فى مادة غطمط من شرح القاموس نقل عن العباب ما نصه : وقيل وردت غفار وأسلم الى النبى

٢٠ صلى الله عليه وسلم ، فلما صاروا فى الطريق قالت غفار لأسلم : انزلوا بنا . فلما حطت أسلم رحلها مضت غفار فلم تنزل فسبوهم ، فلما رأت ذلك أسلم ارتحلوا وجعلوا يرجزون بهجائهم اهـ . (٦) فى ت ، ا ، ء : «فرائض» جمع فريضة وهى القلوص التى تكون بنت سنة ؛ وإنما سميت كذلك لأنها فُرِضت فى خمس وعشرين من الإبل تؤخذ فيها زكاة ، فهى مفروضة وفريضة ، وأدخلت فيها الهاء لأنها جعلت اسما لا نعتا .

الأَنْصارِيَّيْن فأعطاهما الكتابَ مختوما . فقرآه وقالا : قد أمرَ لك بثمانِ قلائصَ، ودفعا ذلك إليه . ثم عُزِل ووُلِّىَ مكانَه رجلٌ من بنى نَصْر بن هَوازِنَ ، فأمر بأن يُتَتَبَّعَ ما أَعْطَى ٱبنُ الضَّحَّاكِ ويُرْتَجَعَ ، فوُجِد باسم نُصَيبٍ عشرُ قلائص ، فأمر بمطالبتِه بها . فقال : والله مادَفع إلىّ إلا ثمانىَ قلَائِص . فقال : والله ما تَخْرُجُ من الدّار حتى تُؤدِّىَ عشرَ قلائص أو أثمانَها ؛ فلم يخرُج حتى قُبِض ذلك منه .

فلمّا قَدِمَ على هِشام سَمَر عنده ليلةً وتذاكروا النَّصْرىَّ ، فأنشده قولَه فيه :

أفى قلائصَ حُرْبٍ[1] كُنَّ[2] من عملٍ * أُرْدَى وتُنْتَزَعُ من أحشائىَ الكَبِدُ

ثمانيًا كُنَّ فى أهلى وعندهمُ * عَشْرٌ فأىَّ كتابٍ بعدَنا وَجَدُوا

أخانَنِى أَخَوَا ٱلأنصارِ فٱنتقصا * منها فعندَهما الفَقْدُ[3] الذى فَقَدُوا

وإنّ عامِلَك النَّصْرىَّ كلَّفَنِى * فى غير نائرةٍ[4] دَيْنًا له صَعَدُ[5]

أَذْنَبَ غيرِى ولم أُذْنِبْ يُكلِّفُنِى * أم كيف أُقْتَلُ لا عَقْلٌ ولا قَوَدُ

قال : فقال هِشام : لاَجَرَمَ والله، لا يعمَلُ لى النَّصْرىُّ عملًا أبدًا؛ فكتب بعَزْلِه عن المدينة .

شعر لنصيب فى الجفر من نواحى ضرية

أخبرنى محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال أخبرنا الزُّبَير بن بَكّار إجازةً عن هارونَ بنِ عبد الله الزُّبَيرىّ عن شيخ من الجَفْرِ[6] قال :

(١) فى ت ، أ ، م ، ى : «حور» : جمع حوراء وهى البيضاء . (٢) كذا فى جميع النسخ . ولعله : «فى عمل» . (٣) كذا فى ت ، حـ ، ر . ولعله هنا بمعنى المفقود . وفى سائر النسخ : «النقد الذى نقدوا» . (٤) النائرة : الحقد والعداوة . (٥) كذا فى أ ، ب ، ى ، م . والصعد هنا : المشقة ؛ ومنه قوله تعالى : (وَمَن يُعرِضْ عن ذكر ربّه يسلُكْه عذاباً صَعَدًا) . والصَّعَدُ أيضا : الصعود . ولعله يشير بذلك الى الزيادة فى الدين الذى تقاضوه إياه ، كما هو مبين بالقصة . وفى سائر النسخ : «صفد» والصفد : القيد . (٦) الجفر : موضع بناحية ضرية من نواحى المدينة .

٥
١٠
١٥
٢٠

قَدِمَ علينا النُّصَيبُ فجلَس فى هذا المجلس وأومأ إلى مجلسٍ حِذَاءَه، فاستنشدْناه، فأنشدَنا قولَه :

ألا يا عُقَابَ الوَكْرِ وَكْرِ ضَرِيَّةٍ[(1)] * سَقتْكِ الغَوَادِى[(2)] من عُقَاب ومن وَكْرِ

تَمُرّ الليالى ما مَرَرْنَ ولا أَرَى * مُرُورَ الليالى مُنْسِياتِى ٱبنةَ النَّضْرِ

٥ وقفتُ بذى دَوْرَانَ[(3)] أَنْشُد ناقتِى * ومالى لَدَيْها من قَلُوصٍ ولا بَكْرِ

وما أَنْشُد الرُّعْيانَ إلا تَعِلَّةً * بواضحةِ الأَنْيابِ طَيِّبةِ النَّشْرِ

أَمَا والذى نادَى من الطُّورِ عبدَه * وعلَّم أيّامَ المَنَاسِكِ والنَّحْرِ

لقد زادَنِى للجَفْرِ حبًّا وأهلِه * لَيَالٍ أقامتْهنَّ لَيْلَى على الجَفْرِ

نصيب وعبد الملك ابن مروان

أخبرنى الحَرَمىُّ قال حدّثنا الزُّبَير قال أخبرنى عمرُ بن إبراهيمَ السَّعْدىّ عن

١٠ يوسفَ بنِ يعقوبَ بن العَلاء بنِ سُلَيمانَ عن سَلَمَةَ[(4)] بن عبد الله بن أبى مَسْروح قال :

قال عبد الملك بنُ مَرْوانَ لنُصَيبٍ أَنْشِدْنِى؛ فأنشدَه قصيدتَه التى يقول فيها :

ومُضْمَرِ الكَشْحِ يَطْوِيه الضَّجيعُ به * طَىَّ الحَمَائلِ لا جَافٍ ولا فَقِرُ[(5)]

وذى رَوَادِفَ لا يُلْفَى الإزارُ بها * يُلْوَى ولو كان سبعاً حين يأْتَزِرُ

فقال له عبد الملك : يا نُصَيب، مَنْ هذه ؟ قال : بنتُ عمٍّ لى نُوبِيَّةٌ، لو رأيتَها

١٥ ما شَرِبتَ من يدها الماءَ . فقال له : لو غيرَ هذا قلتَ لضربتُ الذى فيه عيناك .

رحلة نصيب الى عبد العزيز بن مروان كل عام يستميحه العطاء

أخبرنى محمدُ بن خَلَف بنِ المَرْزُبانِ قال حدّثنا الحارثُ بن محمد بن أبى أُسَامَةَ قال حدّثنا المَدَائنىُّ قال :

(١) ضرية : قرية عامرة قديمة على وجه الدهر فى طريق مكة من البصرة ونجد . (٢) فى اللسان مادة ضرا : « سقيت الغوادى » . (٣) كذا فى أكثر النسخ . وفى ت : « بذى ودّان » (انظر الحاشية رقم ٣ ص ٣٤٢ من هذا الجزء) . (٤) كذا فى ر . وفى سائر النسخ : « ابن سلمة » .
٢٠
(٥) فقِر من باب تعب : اشتكى فقاره .

١٤٠ / ١

كان عبد العزيز بنُ مَرْوانَ آشترى نُصَيباً وأهلَه وولدَه فأعتقهم، وكان نُصَيبٌ يرحَل إليه فى كلّ عام مُستميحاً[(١)]، فيُجيزُه ويُحسن صِلتَه. فقال فيه نُصَيب :

يقولُ فيُحسنُ القولَ آبْنُ ليلَى * ويفعَلُ فوقَ أَحْسنِ ما يقُولُ

فتًى لا يَرْزَأُ[(٢)] الخُلّانَ إلّا * مَودَّتَهم ويَرْزَؤُه الخليلُ

فبَشِّرْ أهلَ مصرَ فقدْ أتاهُمْ * مَعَ النِّيلِ الذى فى مصرَ نيلُ ٥

نصيب وشاعر هجاه من أهل الحجاز

أخبرنى هاشم بن محمد بن هارون بن عبد الله بن مالك الخُزَاعىّ أبو دُلَف قال حدّثنا عبد الرحمن آبن أخى الأصمعىّ عن عمّه قال :

كان نُصَيْبٌ يُكْنَى أبا الحَجْناء، فهجاه شاعرٌ من أهل الحجاز فقال :

رأيتُ أبا الحَجْناءِ فى الناسِ حائراً * ولونُ أبى الحَجْناءِ لونُ البهائمِ

تراه على ما لاحَه من سَوادِه * وإن كان مظلُوماً لهُ وجهُ ظالمِ ١٠

فقيل لنصيب : أَلَا تُجيبُه ! فقال : لا ، ولو كنتُ هاجيا لأحدٍ لأجبتُه، ولكن الله أوصلَنى بهذا الشعر الى خير ، فجعلتُ على نفسى ألّا أقولَه فى شر[(٣)]، وما وصَفنى إلا بالسواد وقد صدَق . أفلا أُنشِدُكم ما وصفتُ به نفسى ؟ قالوا بلى . فأنشدَهم قولَه :

ليس السوادُ بناقصى ما دام لى * هذا اللسانُ إلى فؤادٍ ثابتِ ١٥

مَنْ كان ترفَعُه مَنَابتُ أصلِه * فبيوتُ أشعارى جُعِلْنَ مَنَابِتى

كم بين أسودَ ناطقٍ ببيانه * ماضى الجَنَانِ وبين أبيضَ صامتِ

إنى ليَحْسُدنى الرفيعُ بناؤُه * من فضلِ ذاكَ وليس بى مِنْ شامتِ

ويُرْوَى مكان " من فضل ذاك "، " فضل البيان " وهو أجود .

(١) استماحه : سأله العطاء . وفى ر : « مستمنحا » . (٢) أى لا يصيب منهم إلا الودّ . (٣) فى ر ، حـ : « فى سوء » . ٢٠

١٤١
―
١

خبرنى عمّى ومحمد بن خلف قالا حدّثنا عبد الله بن أبى سعْد قال حدّثنى
بن يحيى الأُموىّ قال حدّثنى عمّى عن محمد بن سعد قال :

ال قائل للنصيب : أيّها العبد، مالكَ وللشِّعْر ؟ ! فقال : أمّا قولُك عبدٌ فما
إلا وأنا حرٌّ، ولكن أهلى ظلَمونى فباعونى . وأمّا السواد فأنا الذى أقول :

وإنْ أكُ حالِكاً لَوْنى فإنّى * لعَقْلٍ غيرِ ذى سَقَطٍ وعاءُ
وما نزلتْ بِىَ الحاجاتُ إلّا * وفى عِرْضِى من الطَّمَعِ الحياءُ (١)

شعر النصيب فى جارية طلبت منه أن يشبب بها

خبرنى محمدُ بن مَزْيَد (٢) قال حدّثنا حمّاد عن أبيه قال حُدِّثتُ عن السَّدُوسىّ قال :
قف نصيبٌ على أبيات فآستَسْقَى ماءً، فخرجتْ إليه جاريةٌ بلبنٍ أو ماءٍ فسَقَتْه،
، : شبِّبْ بى . فقال : وما آسمُك؟ فقالت : هندٌ . ونظر إلى جبلٍ وقال :
هذا العلَم ؟ قالت : قنًا . فأنشأ يقول :

حبُّ قنًا (٣) من حُبِّ هندٍ ولم أكُنْ * أبالِى أقُرْباً زادَه الله أم بُعْدَا
لَا إنّ بالقِيعانِ من بطن ذى قَنًا * لنا حاجةً مالتْ إليه بنا عَمْدَا
رُونى قَنًا أنظُرْ إليه فإنّنى * أُحبُّ قَنًا إنّى رأيتُ به هِنْدَا

فشاعتْ هذه الأبياتُ، وخُطبت هذه الجاريةُ من أجلها، وأصابتْ بقول
، فيها خيرًا كثيرا .

قصة نصيب مع جارية خطبها فأبت ثم تزوجته

خبرنى هاشم بن محمد الخُزاعىّ قال حدّثنا عيسى بن إسماعيلَ بن نَبِيه قال
محمد بن سَلّام قال :

) كذا فى جميع النسخ . ولعله محرّف عن «وق» بالقاف . (٢) فى ت : «يزيد» .
كذا فى ت . وهو جبل لبنى فزارة . وفى سائر النسخ : « قبا » بالباء وهو تصحيف .

دخَل نصيبٌ على يزيدَ بنِ عبد الملك، فقال له: حدِّثنى يا نُصَيب ببعض ما مرّ عليك. فقال: نعمْ، يا أميرَ المؤمنين! عُلِّقتُ جاريةً حمراءَ، فمكَثْتُ[1] زماناً تُمَنِّينى بالأباطيل، فلمّا ألْحَحْتُ عليها قالت: إليكَ عنّى، فوالله لكأنّك من طَوارِقِ[2] الليل. فقلتُ لها: وأنتِ والله لكأنّك من طوارق النهار. فقالت: ما أظرَفَكَ يا أسودُ! فغاظنى قولُها، فقلتُ لها: هل تَدرِينَ ما الظَّرْفُ؟ إنما الظَّرفُ العقلُ. ثم قالت لى: انصرِفْ حتّى أنظرَ فى أمرِكَ. فأرسلتُ إليها هذه الأبياتَ:

فإن أكُ حالِكًا فالمِسْكُ أحوَى * وما لِسَوادِ جِلْدِى من دَواءِ
ولى كَرَمٌ عن الفَحْشاء ناءٍ[3] * كبُعْدِ الأرض من جَوّ السَّماءِ
ومِثْلِى فى رِجالِكُمُ قليلٌ * ومثلُكِ ليس يُعْدَم فى النِّساءِ
فإنْ تَرضَىْ فرُدِّى قولَ راضٍ * وإن تأبَىْ فنحنُ على السَّواءِ

قال: فلمّا قرأتِ الشِّعْرَ قالت: المالُ والشعرُ[4] يأتيانِ على غيرهما، فتزوّجتْنى.

استجادة الأصمعىّ شعرا لنصيب

أخبرنا هاشم بن محمد قال حدّثنا الرِّياشىّ قال:

أنشدَنا الأصمعىّ لنُصَيب وكان يَستجيدُ هذه الأبياتَ ويقول إذا أنشدَها: قاتَلَ اللهُ نُصَيبًا ما أشعرَه!:

فإنْ يَكُ من لونِى السَّوادُ فإنّنى * لَكَالمسكِ لا يَرْوَى من المِسْكِ ذائقُهْ
وما ضَرّ أثوابِى سَوادِى وتحتَها * لِباسٌ من العَلْياء بِيضٌ بَنائقُهْ[5]
إذا المرءُ لم يَبْذُلْ من الودّ مثلَ ما * بذلتُ له فاعلَمْ بأنّى مُفارِقُهْ

---

(١) كذا فى ت وهو أجود. وفى سائر النسخ: «فمكثتُ عندها زمانا». (٢) طوارق الليل: مصائبه التى تفجأ فيه. وفى الحديث: "أعوذ بك من طوارق الليل إلا طارقا يطرق بخير".

(٣) فى ت، حـ، ر: «ناب». (٤) فى حـ، ر: «والعقل».

(٥) البنائق: جمع بنيقة وهى طوق الثوب الذى يضم النحر وما حوله وهو الجُرُبّان، وتجمع أيضا على بنيق بحذف الهاء؛ قال الشاعر: ٭ قد أغتدى والصبح ذو بنيق ٭ قال فى اللسان: جعل له بنيقا على التشبيه ببنيقة القميص لبياضها.

نصيب وجرير

أخبرني الفَضْل بن الحُبَاب أبو خَليفة قال حدّثنا محمد بن سَلّام عن خَلَف: أنّ نُصيباً أنشد جَريرا شيئاً من شعره، فقال له : كيف تَرَى يا أبا حَزْرَة ؟ فقال له : أنت أشعرُ أهلِ جِلْدَتك .

١٤٢ / ١

نصيب والوليد بن عبد الملك

أخبرني الحَرَمِىّ بن أبى العَلاء قال حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدّثنى محمد ابن إسماعيلَ عن عبد العزيز بن عِمْرانَ بنِ محمد[1] عن المِسْوَر بنِ عبد الملك قال :

٥

قال نُصَيب لعبد الرحمن بن أَزْهَر : أنشدتُ الوليدَ بن عبد الملك[2]، فقال لى : أنت أشعرُ أهل جِلْدَتك ، والله ما زاد عليها ! فقال لى عبدُ الرحمن : يا أبا مِحْجَن، أَفَرَضِيتَ منه أنْ جَعَلَكَ أشعرَ السُّودَانِ فقطْ ؟ فقال له :وَدِدْتُ واللهِ يابنَ أخى أنه أعطانى أكثرَ من هذا، ولكنّه لم يفعَلْ ولستُ بكاذبك .

١٠

نصيب ووصفه لشعره وشعر غيره من معاصريه

أخبرني محمدُ بن الحسن بن دُرَيد[3] قال حدّثنا أبو حاتم قال أخبرنا أبو عُبَيدة قال: قال لى محمدُ بنُ عَبْدِ رَبِّه : دخلتُ مسجدَ الكوفة، فرأيتُ رجلًا لم أَرَ قَطُّ مثلَه ولا أشدَّ سوادًا منه، ولا أَنْقَى ثياباً منه ، ولا أحسنَ زِيًّا . فسألتُ عنه، فقيل : هــذا نُصَيب . فدَنَوْتُ منه فحدّثتُــه ، ثم قلتُ له : أخبِرْنى عنكَ وعن أصحابكَ . فقال : جَميــلٌ إمامُنا ، وعمرُ بن أبى ربيعــة أَوْصَفُنا لرَبّات الحِجَال، وكُثَيِّرٌ أَبْكَانا على الدِّمَن وأمدحُنا للملوك، وأمّا أنا فقد قلتُ ما سمعتَ . فقلتُ له : إنّ النــاسَ

١٥

يزعُمون أنك لا تُحْسِنُ أن تَهْجُوَ. فضحك ثم قال : أفتراهم يقولون : إنِّى[4] لا أُحْسِن أن أَمْدحَ ؟ فقلتُ لا . فقال : أفَــا تَرانى أُحْسِن أن أجعــلَ مكانَ عافاكَ اللهُ

---

(١) هذه الكلمة « بن محمد » ساقطة من ت ، حـ ، ر . (٢) كذا فى ت ، حـ ، ر. وفى سائر النسخ : « عن المسور بن عبد الملك عن الصيب قال : دخلت على عبد العزيز بن مروان فقال لى الخ » . (٣) كذا فى أكثر النسخ . وفى ت : « ذويد » بذال معجمة فواو ، وقد سمى به ، كما فى القاموس . (٤) فى حـ ، ر : « أفتراهم يقولون : إنى أحسن أن أمدح فقلت : نعم » .

٢٠

أَخْزَاكَ اللهُ ؟ قال قلت بَلَى . قال : فإنّى رأيتُ الناسَ رَجُلَيْنِ : إمّا رجلٌ[1] لم أسأله شيئًا فلا ينبغى أن أهجُوَه فأظلمَه ، وإمّا رجلٌ سألتُه فمنعنِى فنفسِى كانتْ أحقّ بالهجاء؛ إذ سوّلت لى أن أسألَه وأن أطلُبَ ما لدَيه .

نصيب وكثير والأحوص فى مجلس امرأة من بنى أمية

أخبرنى محمّدُ بن خَلَفِ بن المَرْزُبان قال حدّثنى عبدُ الله بنُ إسماعيلَ بن أبى عُبيدالله[2] كاتبِ المَهْدىّ قال : وجدتُ فى كتاب أبى بخطّه : حدّثنى أبو يوسفَ التُّجِيبىّ[3] قال حدّثنى إسماعيلُ بنُ المختار مَوْلَى آلِ طلحةَ وكان شيخًا كبيرًا قال :

حدّثنى النُّصَيب أبو مِحْجَن أنه خرج هو وكُثَيِّر والأحوصُ غِبَّ يومٍ أمطرتْ فيه السماءُ ، فقال : هل لكم فى أن نركَبَ جميعًا فنسيرَ حتّى نأتىَ العقيقَ فنُمتِّعَ فيه أبصارَنا ؟ فقالوا نعمْ . فركبوا أفضلَ ما يقْدِرُون عليه من الدوابّ ، ولبِسوا أحسنَ ما يقدِرون عليه من الثياب ، وتنكّروا ثم ساروا حتّى أتَوُا العقيقَ ، فجعلوا يتصفّحُون[4] ويرَوْن بعضَ ما يشْتَهون ، حتى رُفِع لهم سوادٌ عظيم فأمُّوه حتى أتَوْه ، فإذا وَصائفُ ورجالٌ من المَوالِى ونساءٌ بارزاتٌ ، فسألْنَهم أن ينزلوا ، فاستحيَوْا أن يُجيبوهنّ من أوّل وَهْلةٍ ، فقالوا : لا نستطيع أو نَمْضِىَ فى حاجةٍ لنا . فحلّفْنَهم أن يرجِعُوا إليهنّ ، ففعلوا وأتَوْهنّ ، فسألْنَهم النزولَ فنزلوا . ودخلت آمرأةٌ من النساء

(١) كذا فى أكثر النسخ : «رجل» بالرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف والتقدير : هما إما رجل الخ وفى حـ ، ر : إما رجلا بالنصب على أنه بدل مما قبله . (٢) فى حـ ، ر : «عبد الله بن أبى إسماعيل بن أبى عبد الله» . وفى م ، ى ، أ : «عبد الله بن إسماعيل بن أبى عبيد» . وكلاهما تحريف ؛ إذ هو أبو عبيد الله الدمشقى الحافظ معاوية بن عبيدالله بن يسار الأشعرى كاتب المهدى . (انظر تهذيب التهذيب فى ترجمة معاوية بن صالح بن الوزير ، وابن جرير الطبرى طبع أوربا القسم الثالث ص ٣٥١ و ٣٥٢ و ٣٥٥) . (٣) نسبة الى تجيب ، وهى قبيلة من كندة . والتجيبيون أمهم تجيب بنت ثوبان بن سليم بن رَهَا من مَذْحِج . وفى أ ، ء : «الحسى» وفى م : «الحسىّ» . وفى ى : «الحتبى» . ولعل كل ذلك محرّف عن الجِيبى نسبة الى مدينة جِيبَة ، ذكره الحافظ الذهبىّ وقال : لا أعرفه . (انظر شرح القاموس مادة جين) . (٤) تصفحت الشىء : نظرت اليه لأتعرّفه .

فاستأذنتْ لهم، فلم تلبث أنْ جاءت المرأةُ فقالت : ادخلوا . فدخَلْنا على امرأة جميلة بَرْزةٍ على فُرُشٍ لها ، فرحَّبَتْ وحَيَّتْ ، وإذا كراسىُّ موضوعةٌ ، فجلَسْنا جميعًا فى صفٍّ واحد كلُّ إنسانٍ على كرسىٍّ . فقالت : إن أحببْتم أن ندعوَ بصبىٍّ لنا فنُصَيِّحه ونَعْرُكَ أُذنَه فعلْنا (١)، وإن شئْتم بدأنا بالغَدَاء (٢). فقلنا : بل تَدْعِينَ بالصبىّ ولن يفوتَنا الغَدَاء . فأومأتْ بيدها إلى بعض الخَدَم، فلم يَكُنْ إلا كَلَا ولَا (٣) حتّى جاءت جاريةٌ جميلةٌ قد سُتِرَتْ (٤) بمُطْرَفٍ ، فأَمْسَكُوه عليها حتى ذهَب بُهرها (٥)، ثم كُشِفَ عنها وإذا جاريةٌ ذاتُ جمالٍ قريبةٌ من جَمَال مَوْلاتها ، فرحَّبتْ بهم وحَيَّتْهم ، فقالت لها مولاتُها : خُذِى ـ وَيْحَكِ! ـ من قول النُّصَيب عافَى اللهُ أبا مِحْجَن (٦) :

ألَا هل من البَيْن المُفَرِّق من بُدِّ * وهل مثلُ أيّامٍ بمُنْقَطَع السَّعْد (٧)
تَمنَّيتُ أيّامِى أولئكَ، والمُنَى * على عَهد عَادٍ ما تُعِيدُ ولا تُبْدِى (٨)

---

(١) عرك الأذن : دلكها . وهى تقصد العود . (٢) الغداء : طعام أوّل النهار ضدّ العشاء .

(٣) قال فى اللسان (مادة لا) : والعرب إذا أرادوا تقليل مدة فعل أو ظهور شىء خفى قالوا : كان فعله كلا، وربما كرروا فقالوا : كلا ولا . ومن الأوّل قوله :

أصاب خصاصة فبدا كليلا * كلا وانغلّ سائره انغلالا

ومن الثانى : * يكون نزول القوم فيها كلا ولا *

(٤) كذا فى حـ، ر . وفى سائر النسخ : « قد سترت عليها بمطرف » . (٥) يريد حتى هدأ روعها واطمأنّت . (٦) فى ر : «خذى العود ويحك وغنى من قول النصيب عافى الله أبا محجن» .

(٧) منقَطَع المكان : حيث ينقطع وينتهى . والسعد : موضع معروف قريب من المدينة بينهما ثلاثة أميال، كانت غزاة ذات الرقاع قريبة منه . وقال نصر : سعد : جبل بالحجاز بينه وبين الكديد ثلاثون ميلا، وعنده قصر ومنازل وسوق وماء عذب على جادّة طريق كان يسلك من فَيْد إلى المدينة . قال : والكديد على ثلاثة أميال من المدينة . وأورد ياقوت بيتى نصيب :

وهل مثل أيام بنعف سويقة * عوائد أياما كما كنّ بالسعد
تمنيت أنا من أولئك والمنى * على عهد عاد ما تعيد ولا تبدى

(٨) ما تعيد ولا تبدى ، أى لا تأتى بعائدة ولا بادئة . يريد أنه لا نفع فيها .

فغنّتْه ، فجاءتْ به كأحسنِ ما سمعتُه قطّ بأحلَى لفظٍ وأشْجَى صوت . ثم قالت لها :
خُذِى أيضا من قول أبى مِحْجَن عافَى اللهُ أبا محجن :

أَرِقَ المُحِبُّ وعادَه سَهَدُهْ * لِطَوَارِقِ الهمِّ التى تَرِدُهْ
وذكرتُ مَنْ رَقَّتْ له كَبِدِى * وأَبَى فليس تَرِقُّ لى كَبِدُهْ
لا قومُه قومى ولا بلَدِى * فنَكُونَ حيناً جِيرةً بلَدُهْ
ووجدتُ وَجْدًا لم يكن أحدٌ * قبلِى مِنَ اَجْلِ صَبابةٍ يَجِدُه(1)
إلّا ابنُ عَجْلانَ(2) الذى تَبَلَتْ(3) * هِنْدٌ فَفَاتَ بنفسِه كَبِدُهْ(4)

قال : فجاءتْ به أحسنَ من الأوّل ، فكدتُ أَطيرُ سرورًا . ثم قالتْ لها :
وَيْحَكِ! خُذِى من قول أبى مِحْجَن عافَى اللهُ أبا مِحْجَن :

فيَا لكَ من ليلٍ تمتّعتُ طُولَه * وهل طائفٌ من نائمٍ مُتَمَتِّعُ(5)
نَعَمْ إنّ ذا شَجْوٍ متى يَلْقَ شَجْوَه * ولو نائمًا مُسْتَعْتِبٌ(6) أو مُوَدِّعُ
له حاجةٌ قد طالَمَا قد أَسَرَّها * من النّاسِ فى صَدْرٍ بها يتصدّعُ

(1) كذا فى ت ، حـ ، ر . وفى سائر النسخ : « ... لم يكن أحد * من أجله بصبابة يجده » .
(2) يريد عمرو بن العجلان بن عامر بن برد بن منبه أحد بنى كاهل بن لحيان بن هذيل المعروف بعمرو ذى الكلب . قال محمد بن حبيب عن ابن الأعرابى : إنه سمى ذا الكلب لأنه كان له كلب لا يفارقه . وعن الأثرم عن أبى عبيدة أنه قال : لم يكن له كلب لا يفارقه ، إنما خرج غازيا ومعه كلب يصطاد به ، فقال له أصحابه : ياذا الكلب ، فثبتت عليه . قال : ومن الناس من يقول له : عمرو الكلب ولا يقول فيه « ذا » . (راجع نسب عمرو ذى الكلب وأخباره فى الجزء المتم العشرين من الأغانى) . (3) فى أمالى القالى الطبعة الأولى الأميرية ج ٢ ص ٢٢٣ شعر لقيس بن ذريح :

وفى عروة العذرىّ إن مت أسوة * وعمرو بن عجلان الذى قتلت هند

(4) أى ذهب كبده بنفسه وأتى عليها فأهلكها . (5) لعلها : * وهل نائم من طائف متمتع *
(6) الاستعتاب : طلب العتبى ؛ يقال : استعتبته فأعتبنى أى استرضيته فأرضانى .

تَحَمَّلَها طُولَ الزمانِ لعلّها * يكونُ لها يومًا من الدهرِ مَنْزَعُ
وقد قُرِعتْ فى أُمّ عمرٍو لِىَ العَصَا[1] * قَدِيمًا كما كانتْ لذِى الحِلْمِ تُقْرَعُ[2]

قال : بجاءت[3] واللهِ بشىء حيَّرنى وأذْهَلنى طَرَبًا لحسنِ الغناءِ وسُروراً باختيارِها الغناءَ فى شعرِى، وما سمعتُ فيه من حُسن الصَّنعة وجودتها وإحكامها . ثم قالت لها : خُذِى أيضا من قول أبى مِحجنٍ، عافى الله أبا مِحجن :

يأيُّها الرَّكبُ إنِّى غيرُ تابِعِكُمْ * حتى تُلِمُّوا وأنتُمْ بِى مُلِمُّونا
فما أَرَى مِثلَكُمْ رَكْبًا كشَكْلِكُمُ * يَدعوهُمُ ذُو هوًى إلّا يَعُوجُونا
أم خَبِّرونِىَ عن دائى[4] بعلمِكُمُ * وأعلمُ النّاسِ بالداءِ الأَطَبُّونَا[5]

قال نُصيب : فوالله لقد زُهِيتُ[6] بما سمعتُ زَهْوًا خُيِّل إلىّ أنّى من قُريش، وأنّ الخلافةَ لِى . ثم قالت : حَسْبُكِ يا بُنَيّةَ ! هاتِ الطعامَ ياغلامُ! فوثَب الأحوصُ وكُثيِّرٌ وقالا : والله لا نَطْعَمُ لكِ طعامًا ولا نَجلِسُ لكِ فى مَجلس؛ فقد أسأتِ عِشرتَنَا وآستخففتِ بنا، وقدّمتِ شعرَ هذا على أشعارِنا، وآستمعتِ[7] الغناءَ فيه، وإن فى أشعارنا لَمَا يَفْضُلُ شِعْرَه، وفيها من الغناء ما هو أحسنُ من هذا . فقالت : على معرفةٍ كُلِّ ما كان منِّى، فأىُّ شعرِكما أفضلُ من شعره ؟ أقولُك يا أحوصُ :

---

(١) فى ت، حـ، ر: «لك العصا» . (٢) يشير بذلك الى المثل المعروف : «إن العصا قرعت لذى الحلم» . وأصله أن حكما من حكام العرب عاش حتى أُهْتِر، فقال لآبنته : إذا أنكرت من فهمى شيئا عند الحكم فاقرعى لى المجنّ بالعصا لأرتدع . وهذا الحكم هو عمرو بن حُمَمة الدوسى . وقيل : أوّل من قرعت له العصا عامر بن الظرب العدوانى أحد حكماء العرب وحكامهم . والمثل يضرب لمن إذا نُبِّه انتبه . يريد أنه ليم فى حبها قديما . (٣) كذا فى ت، حـ، ر . وفى سائر النسخ : «بجاءنى والله شىء» .
(٤) كذا فى ت . وفى سائر النسخ : «داء» بغير ياء . وفى حـ، ر : «أم خبرونى بداء لى بعلمكم» . (٥) الأطبون : البارعون فى الطب . (٦) كذا فى حـ، ر . وفى سائر النسخ : «زهوت» . (٧) كذا فى حـ، ر . وفى سائر النسخ : «وأسمعت» .

يَقَـــرُّ بعينِي ما يقَـــرّ بعينهـا * وأحسنُ شيء ما به العينُ قَرّتِ

أو قولُك يا كُثيِّر فى عَزّةَ :

وما حَسِبَتْ ضَمْــرِيّةٌ جُــدَوِيّةٌ[1] * سِوَى التَّيْس ذى القرْنين أنّ لها بعْلَا

أم قولُك فيها :

إذا ضَمْرِيَّةٌ عطستْ فنِكْهَا * فإن عُطَاسَها طَرَفُ السِّفَادِ ٥

١٤٤ / ١

قال : فخرجا مُغْضَبَيْن واْحتَبَسَتْنِى ، فتغدّيتُ عندَها ، وأمرت لى بثلثمائة دينار وحُلّتَيْن وطِيبٍ ، ثم دفعتْ إلىّ مائتى دينار وقالت : اْدفَعْها إلى صاحبيْك ؛ فإن قَبِلَاها و إلا فهى لك . فأتيتُهما منازلَهما فأخبرتُهما القصّةَ . فأمّا الأحوصُ فقبِلَها ، وأمّا كثيِّر فلم يقبلها ، وقال : لعَنَ اللهُ صاحبتَك وجائزتَها ولعنك معها ! فأخذتُها واْنصرفتُ . فسألتُ النُّصَيبَ : ممن المرأةُ ؟ فقال : من بنى اميّةَ ولا أذكُرُ اْسْمَها ما حييتُ لأحد . ١٠

رثاء نصيب عبد العزيز بن مروان وقد مات بسكر من قرى الصعيد

أخبرنى عيسى بن يحيى الورّاقُ عن أحمدَ بن الحارث الخرّاز قال حدّثنا المَدَائنىّ قال :

وقع الطّاعُونُ بمصرَ فى ولاية عبد العزيز بن مروانَ إيّاها ، فخرج هاربًا منه فنزَل بقريةٍ من الصعيد يقال لها «سُكَّرُ»[2]. فقَدِم عليه حينَ نزلَها رسولٌ لعبد الملك ، فقال له عبد العزيز : ما اْسمك ؟ فقـال : طالبُ بن مُدْرِك . فقال : أوْهْ ، ما أُرَانِى راجعًا إلى الفُسْطاط أبدا ! ومات فى تلك القرية . فقال نُصَيْبٌ يرْثيه : ١٥

أُصِبتُ يومَ الصعيد من سُكَرٍ * مصيبةً ليس لى بها قِبَــلُ

تاللهِ أنْسى[3] مصيبتى أبَــدًا * ما أسمعَتْنِى حَنِينَهـا الإبــلُ

---

(١) نسبة الى جُدَىّ بن ضَمْرة بن بكر من كنانة . (٢) سكر بوزن زفر : موضع بشرقية الصعيد بينه و بين مصر يومان كان عبد العزيز بن مروان يخرج اليه كثيرا . (٣) يريد : تالله لا أنسى مصيبتى أبدا . وحذف لا يطرد فى جواب القسم إذا كان المنفىّ مضارعا ؛ نحو قوله تعالى : (تالله تفتأ تذكر يوسف) وقول الشاعر : ٢٠

* فقلت يمين الله أبرح قاعدا *

ولا التَّبَكِّى عليه أعْوِلُه[1] * كلُّ المصيباتِ بعده جَلَلُ

لم يعلمِ النَّعْشُ ماعليه من الـ * عُرْفِ ولا الحاملون ما حَمَلُوا

حتى أجَنُّوه فى ضَرِيحِهِمُ * حِينَ انتهى من خليلكَ[2] الأملُ

غنَّى فى هذه الأبيات ابنُ سُرَيج، ولحنُه رَمَلٌ بالسبابة فى مَجْرَى الوُسْطَى عن إسحاقَ، وذكر الهِشَامىّ أنّ له فيه لحنًا من الهَزَج ، وذكر ابن بانةَ أن الرَّمَل لابنِ الهِرْبِذ[3] .

أخبرنى محمد بن مَزْيَد بن أبى الأَزْهر قال حدّثنا حَمَّادُ بنُ إسحاقَ عن أبيه عن مُصْعَب الزُّبَيرى عن مَشْيخةٍ من أهل الحجاز :

أنّ نُصَيبًا دخَل على عبد الملك بن مروان، فقال له : أنْشِدْنِى بعضَ ما رَثَيْتَ به أخى؛ فأنشدَه قولَه :

عرفتُ وجرّبتُ الأُمورَ فما أَرَى * كماضٍ تَلاَه الغابرُ[4] المتأخِّرُ

ولكنّ أهلَ الفضل من أهل نِعْمَتِى * يمرّون أَسْلافًا أمامى وأَغْبُرُ

فإن أَبْكِه أُعْذَرْ وإن أَغْلِبِ الأَسَى * بصبرٍ فمثلِى عندما اشتدّ يَصْبِرُ[5]

وكانت رِكَابِى كلّما شئتُ تَنْتَحِى * إليكَ فتَقْضِى نَحْبَها وهى ضُمَّرُ[6]

تَرَى الوِرْدَ يُسْرًا[7] والثَّوَاءَ غنيمةً * لديكَ وتُثْنِى بالرِّضَا حين تَصْدُرُ

فقد عَرِيتْ بعدَ ابنِ لَيْلَى فإنّما * ذُرَاها لمن لاقتْ من الناس مَنْظَرُ

(١) أعول إعوالا : رفع صوته بالبكاء والصياح . (٢) فى ياقوت (مادة سكر) : « من خليله » . (٣) كذا فى أكثر النسخ. وفى ب، س : « لابن الهزبر » وهو تحريف؛ إذ المغنى هو اسماعيل بن الهربذ مولى آل الزبير بن العوّام . وسيأتى له ترجمة مستقلة فى الجزء السادس من الأغانى . (٤) الغابر هنا : الباقى؛ ويستعمل أيضا فى الماضى . (٥) كذا فى ب، س . وفى سائر الأصول : «أبكهم» . (٦) فى ب، س : * جاحا فتقضى نحبها وهى تضمر * (٧) كذا فى ـ . وفى حـ، ر : «بشرى» . وفى م : «بشرا» . ولعله مصحف عن «بسرا» والبسر (بضم الباء وفتحها) : الماء الطرىّ الحديث العهد بالمطر ساعة ينزل من المزن . وفى سائر النسخ : « يشرى » وهو تحريف .

ولو كان حيًّا لم يزَلْ بدُفوفها[1] * مَرادٌ لغِرْبانِ الطريق ومَنْقَرُ

فإن كُنَّ قد نِلْنَ ٱبنَ ليلى فإنّه * هو المصطفَى من أهلِه المُتخيَّرُ

فلمّا سمع عبدُ الملك قولَه :

فإن أبكِه أُعذَرْ وإن أَغلِبِ الأَسَى * بصبرٍ فمثلِي عندَما ٱشتدّ يصبِرُ

قال له : ويلَك ! أنا كنتُ أحقَّ بهذه الصفة فى أخى منكَ ! فهلّا وصفْتَنى بها !
وجعَل يبكى .

نصيب وعبد الله ٱبن إسحاق البصرى

أخبرنى محمد بن مَزْيَد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاقَ عن أبيه عن أبى يحيى[2] محمد
ٱبن كُنَاسةَ قال :

قال لى عبد الله بن إسحاقَ البَصْرىّ[3] : لو وَلِيتُ العراقَ لٱستكتبتُ نُصَيبًا .
قلتُ : لماذا ؟ قال لفصاحته وحسن تخلُّصه إلى جيِّد الكلام ، ألم تسمع قولَه :

فلا النفسُ ملّتْها ولا العينُ تنتهى * إليها سوامُ[4] الطَّرْف عنها فترْجِعُ

رأتْها فما ترْتَدُّ عنها سآمةً[5] * ترى بدلًا منها به النَّفْسُ تقْنَعُ

نصيب وإبراهيم ٱبن هشام

أخبرنى الحَرَمىّ عن الزُّبَير عن محمد بن الحسن قال :

دخَل نُصَيب على إبراهيمَ بن هِشَام فأنشده مَدِيحًا له . فقال إبراهيمُ : ماهذا
بشىء ! أين هذا من قول أبى دَهْبَلٍ لصاحبِنا ٱبنِ الأزرق حيث يقول :

إن تغْدُ من مَنقَلَى[6] نَخْلانَ[7] مُرْتَحِلًا * يَرْحَلْ من اليمنِ المعروفُ والجودُ

(١) الدفوف : جمع دف ، وهو هنا صفحة الجنب. (٢) كذا فى ت . وفى سائر النسخ : «أبو أيوب» وهو خطأ ؛ إذ هو محمد بن عبد الله بن عبد الأعلى بن عبد الله بن خليفة بن زهير بن نضلة بن معاوية ابن مازن الأسدى أبو يحيى ويقال أبو عبد الله الكوفى المعروف بابن كناسة ، ولد سنة ١٢٣ ومات سنة ٢٠٧ (انظر ترجمته فى تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلانى) . (٣) تقدم فى ص ٣٤٢ س ٣ «أبو عبد الله بن أبى إسحاق البصرى» . ولم نهتد اليه . (٤) كذا فى ت ، م . وفى سائر النسخ : «سوى فى» . ولعل صوابه : «سوامى الطرف منها» أى اذا انتهت إليها نظرات الطرف التى تسمو إليها من العين ، تعلقت بها فلم ترجع عنها . (٥) الجملة حال من فاعل «فما ترتد» فهى نفى . (٦) هو مثنى منقل . قال فى اللسان : والمنقل : الطريق فى الجبل ، وهو أيضا طريق مختصر . (٧) كذا فى ت . ونخلان ، كما فى ياقوت ، من نواحى اليمن ؛ وٱستشهد بالبيت . وفى سائر النسخ : «نجران» .

قال : فغضب نُصَيبٌ ونزع عِمامته وبَرَك عليها ، وقال : لئن تأتونا برجالٍ مثلِ ٱبنِ الأزرق نأتكم بمثل مَديح أبى دَهْبل أو أحسنَ؛ إن المديح والله إنما يكون على قَدْر الرجال. قال : فأطرق ٱبنُ هشام، وعَجِبُوا من إقدام نُصَيبٍ عليه، ومن حِلْم ٱبنِ هشامٍ وهو غيرُ حليم[1] .

نصيب وأم بكر الخزاعية

٥ أخبرنى الحَرَمىّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنى عبد الرحمن بن عبد الله الزُّهْرىّ : أنّ نصيبا كان ربما قَدِم من الشأم فيَطْرَحُ فى حِجْر أمّ بَكْرٍ الخُزَاعيةِ أربعمائة دينار، وأنّ عبد الملك بنَ مَرْوان ظَهَر على تعلُّقه بها ونَسيبه فيها، فنهاه عن ذلك حتى كفّ.

حديث نصيب عن نفسه أنه كان يستعصى عليه أحيانا قول الشعر، وشىء من أوصافه الخلقية

أخبرنى محمدُ بن يزيدَ قال حدّثنا حَمّاد بنُ إسحاقَ عن أبيه عن عثمانَ بن حَفْص الثَّقَفِىّ عن أبيه قال :

١٠ رأيتُ النُّصَيب بالطائف، فجاءنا وجلَس فى مجلسنا وعليه قميص قُوهِىٌّ ورداءٌ وحِبرةٌ[2]، فجعل يُنْشِدنا مَديحًا لٱبنِ هِشَام، ثم قال : إنّ الوادى مَسْبَعَةٌ، فمَنْ أهلُ المجلِس؟ قالوا : ثَقِيف، فعرَف أنّا نُبْغِضُ ٱبنَ هِشَام ويُبْغِضُنا، فقال : إنّا لله! أبعدَ ٱبنِ لَيْلَى أمتَدِحُ ٱبنَ جَيْداء[3]! فقال له أهل المجلس : يا أبا مِحْجَن، أتطلُب القَرِيض

---

(١) بعد هـذا فى جميع النسخ عدا نسخة ت : «أخبرنى الحرمى عن الزبير عن إبراهيم بن يزيد السعدى قال حدّثتنى جدّتى جمال بنت عون بن مسلم عن أبيها عن جدّها قال : رأيت رجلا أسود ومعه امرأة بيضاء حسناء الخ» . وقد تقدّمت هذه الحكاية بنصها فى ص ٣٤٢ و٣٤٣ ولم تتكرر هذه الحكاية فى ت .

(٢) فى ت : «ورداء حبرة» من غير واو . قال فى اللسان : يقال برد حبرة و برد حبرة بالوصف أو بالإضافة . والحبرة : ضرب من برود اليمن . (٣) جيداء : أم محمد بن هشام خال هشام بن عبد الملك، وقد ولاه مكة وكتب اليه أن يحج بالناس، فهجاه العرجىّ بأشعار كثيرة منها :

٢٠ كأن العام ليس بعام حج * تغيرت المواسم والشكول

الى جيداء قد بعثوا رسولا * ليخبرها فـلا صحب الرسول

ولها ذكر فى أخبار العرجى الشاعر الآتى فى هذا الجزء .

أحيانًا فيعسُر عليك؟ فقال : إى والله لربّما فعلتُ، فآمُر براحلتى فيُشَدّ بها رَحْلِى، ثم أَسير فى الشِّعاب الخالية، وأقف فى الرِّباع المُقْوِيَة ، فيُطْرِبُنى ذلك ويُفْتَح لى الشعرُ . والله إنِّى على ذلك ما قلتُ بيتًا قطّ تَستحِى الفتاةُ الحَيِيَّة من إنشاده فى سِتْر أبيها . قال إسحاقُ قال عثمان بن حَفْص فوصَفه أبى وقال: كأنِّى أراه صَدْعًا[1] خَفِيفَ العارِضَيْن ناتئَ الحَنْجَرة . ٥

نصيب وابن أبى عتيق

أخبرنى محمد بن مَزْيَد قال حدّثنا حَمّاد عن أبيه عن محمد بن كُنَاسة قال : أَنشد نُصَيب قولَه :

وكِدْتُ ولم أُخْلَق من الطيرِ إن بدا * لها بارقٌ نحوَ الحجاز[2] أطِيرُ

١٤٦/١

فسمعه ابنُ أبى عَتِيق ، فقال : يابنَ أُمّ ، قُلْ غاقِ فإنك تَطِير . يعنى أنه غُرابٌ أسودُ . ١٠

أخبرنى الحَرَمِىّ قال حدّثنا الزُّبير قال أخبرنى أحمد بن محمد الأَسَدِىّ أَسَد قريش قال :

قال ابن أبى عتيق لنُصَيب : إنِّى خارجٌ، أفترسلُ إلى سُعْدَى بشىء؟ قال : نعم، بيتَىْ شعرٍ . قال : قل، فقال :

أتصبِرُ عن سُعْدَى وأنت صَبُورُ * وأنت بحُسْنِ الصبر منك جديرُ ١٥

وكدتُ ولم أُخْلَق من الطير إن بدا * سَنَى بارقٍ[3] نحوَ الحجاز أطيرُ

---

(١) الصدع (بالتحريك وبالفتح) : الرجل الخفيف اللحم . (٢) فى ت ، ح : «العراق» .

(٣) فى ت ، م : «إن بدا * لها بارق» .

قال : فأنشد ٱبنُ أبى عَتيق سُعْدَى البيتين ، فتنفَّسَتْ تَنَفُّسَةً شديدةً . فقال ٱبنُ أبى عَتِيق : أَوْهْ! أَجَبْتِه[1] والله بأجودَ من شعره ، ولو سمعك خليلُك لنَعَق وطار إليك .

نصيب والحكم بن المطلب

أخبرنى علىّ بن صالح بن الهَيْثَم الكاتبُ قال حدّثنى أبو هِفَّان[2] عن إسحاق المَوْصِلىّ عن المُسَيِّبىّ قال :

قال أبو النَّجْم : أتيتُ الحَكَمَ بنَ المُطَّلِب فمدحتُه ، وخرج إلى السِّعاية[3] فخرجنا معه ومعه عِدّةٌ من الشعراء . فبينا هو مع أصحابه يومًا[4] واقفٌ[5] ، إذا[6] براكبٍ يُوضِع[7] فى السَّراب[8] وإذا هو نُصَيب ، فتقدّم إليه فمدحه فأمَر بإنزاله ، فمكث أيامًا حتى أتاه فقال : إنّى قد خَلَّفْتُ صِبْيَةً صِغَارا وعِيَالاً ضِعَافا . فقال له : ٱدخُل الحَظِيرةَ[9] فخُذْ منها سبعين فَرِيضةً[10] . فقال له : جعلنى الله فداك قد أحسنتَ! ومعى ٱبنٌ لى أخاف أن يَثْلِمَها[11] علىّ . قال : فادخُلْ فخذ له سبعين فَرِيضة أُخرى ؛ فانصرف بمائة وأربعين فريضـــة .

---

(١) فى ب ، س : « أجبتيــه » بياء بعد تاء المخاطبة ، وكلاهما صحيح ؛ وقد ٱستشهد للثانى بقول الشاعر :

رميتيــه فأقصـدت * وما أخطأت فى الرميه

بسهمين مليحين * أعارتكيهما الظبيــه

(انظر خزانة الأدب للبغدادى ج ٢ ص ٤٠١) . (٢) هفان بفتح الهاء وكسرها وتشديد الفاء : اسم مرتجل غير منقول ، مشتق من الهفيف وهو سرعة السير . (٣) يقال : سعى سعاية ، اذا باشر عمل الصـدقات . (٤) كذا فى ت ، م . وفى سائر النسـخ : « فبينا هو فى موضـع أضحى به يوما واقفا » وهو تحـريف . (٥) كذا فى ت ، م . وفى سائر النسـخ : «واقفا» وكلاهما صحيح . (٦) كذا فى ت . وفى سائر النسخ : « إذ » وكلاهما للفاجأة . (٧) الإيضاع : الإسراع فى السير . (٨) فى ح ، ر : «فى السير» . (٩) الحظيرة : ما أحاط بالشىء وهى تكون من قصب وخشب . (١٠) انظر الحاشية رقم ٦ ص ٣٤٩ من هذا الجـزء . (١١) أى يأخذ منها فينقصها .

أخبرنا الحَرَمىّ بن أبى العَلاء عن الزُّبَير عن محمد بن الضَّحّاك عن عثمان عن أبيه قال:

قيل لنُصَيب: هَرِمَ شِعْرُك. قال: لا! والله ما هَرِمَ، ولكن العَطَاء هَرِمَ، ومن يُعْطِينى مثلَ ما أعطانى الحَكَمُ بن المطّلب! خرجتُ إليه وهو ساعٍ على بعض صَدَقات المدينة، فلمّا رأيتُه قلتُ:

٥

أبا مَرْوانَ لستَ بخارجىٍّ[1] * وليس قديمُ مجدِك بانتحال

أَغَرُّ إذا الرِّواقُ[2] انجاب[3] عنه * بَدَا مثلَ الهلالِ على المِثَالِ[4]

تَرَاءاه العيونُ كما تَرَاءَى * عَشِيَّةَ فِطْرِها وَضَحَ الهلالِ

قال: فأعطانى أربعمائة ضائنةٍ ومائةَ لِقْحةٍ[5]، وقال: ٱرفَعْ فِرَاشى؛ فرفعتُه فأخذتُ من تحتِه مائتَىْ دينارٍ.

نصيب وكثير عند أبى عبيدة بن عبد الله بن زمعة

١٠

أخبرنى عيسى بن الحُسَين الوَرّاق قال حدّثنا الزُّبَير قال حدّثنى أسعدُ[6] بن عبدالله المُرِّىّ عن إبراهيم بن سَعيد بن بِشْر بن عبدالله بن عَقِيل[7] الخارِجىّ عن أبيه قال:

---

(١) الخارجى هنا: الذى يخرج ويشرف بنفسه من غير أن يكون له قديم. وٱستشهد صاحب اللسان على هذا بالبيت، ولكنه نسبه الى كثيّر. (٢) قال أبو زيد: رواق البيت بالضم والكسر: سترة مقدّمه من أعلاه الى الأرض، ضد الكِفاء وهو سترة مؤخره من أعلاه الى أسفله. وقال ٱبن الأعرابى: من الأخبية ما يروّق ومنها مالا يروّق. فاذا كان بيتا ضخما جعل له رواق وكفاء. وقد يكون الرواق من شقة

١٥

وشقتين وثلاث شقق. (٣) ٱنجاب: انكشف. (٤) المثال هنا: الفراش. وفى الحديث أنه دخل على سعد وفى البيت مثال رثّ أى فراش خَلَق. وقال الأعشى:

بكلّ طُوال الساعدين كأنما * يرى بسُرَى الليل المثال المهدا

(٥) اللقحة (بكسر اللام ويفتح): الناقة الحلوب الغزيرة اللبن، ولا يوصف بها فلا يقال ناقة لقحة، ولكن يقال لقحة فلان، وإنما يوصف بلَقُوح فيقال: ناقة لقوح. (٦) فى ت، م:

٢٠

«سعد بن عبيد الله المزنى». وفى س: «أسعد بن عبد الله المزنى». (٧) قال المرتضى: «وفى شرح مسلم للنووى أن عقيلا كله بالفتح إلا ابن خالد عن الزهرى ويحيى بن عقيل وأبا قبيلة فبالضم» وذكر أسماء أخرى مضمومة العين ليس هذا منها.

والله إنّى لَمَعَ أبى عُبَيدةَ بن عبد الله بن زَمْعَةَ فى حِوَاءٍ له[(١)]، إذ جاءه كُثَيِّر فحيَّاه، فآحتفى به، ودعا بالغَدَاء فشرَعْنا فيه وشرَع معنا كثيّر، وجاء رجلٌ فسلَّم فوردَدْنا عليه السلامَ وآستَدْنَيْناه، فإذا نُصَيب فى بِزَّةٍ جميلةٍ قد وافَى الحجَّ قادمًا من الشأم، فأكبَّ على أبى عُبَيدةَ فعانقه وسأله ثم دَعَاه إلى الغَدَاء، فأكَلَ مع القوم، فرفَع كثيّر يدَه وأقلع عن الطعام، وأقبل عليه أبو عُبَيدةَ والقومُ جميعًا يسألونه أن يأكلَ، فأبى فتركوه. وأقبــل كثيّر على نُصَيب فقال: والله يا أبا مِحْجَن، إنّ أثرَ أهلِ الشأم عليك لجميل، لقد رجعتَ هذه الكَرَّةَ ظاهرَ الكِبْرِ قليلَ الحياء. فقال له نُصَيب: لكنّ أثرَ الحجازِ عليك يا أبا صَخْر غيرُ جميل، [لقد رجعتَ][(٢)] وإنك لزائدُ النقص، كثيرُ الحَمَاقة. فقال كثيّر: أنا والله أشْعَرُ العرب حيث أقول لمَوْلاتك:

إذا أمْسيتُ بَطْنُ مَجَاحَ[(٣)] دُونِى * وعَمْــقٌ[(٤)] دون عَزَّةَ فالبَقِيــعُ

فليس بلَائِمِى أحــدٌ يُصَــلِّى * إذا أخذتْ مَجَارِيَهَا الدموعُ

---

(١) الحواء ككتاب: جماعة البيوت المتدانيــة. (٢) زيادة فى ت.

(٣) فى أكثر النسخ: «بطن صحاح». وفى ت: «بطن محاح» وكلاهما محرّف، والصواب بطن مجاح بالمعجمة. قال ياقوت: ومجاح: موضع من نواحى مكة. وقد ضبط فى ياقوت بفتح الميم والجيم، وضبطه المرتضى فى مادة مجح ككتاب. وجاء فى حديث الهجرة عن آبن إسحاق أن دليلهما أجاز بهما مدلجة لَقْف ثم استوطن بهما مدلجة مَحَاج، كذا ضبطه بفتح الميم وحاء مهملة وآخره جيم. قال آبن هشام: ويقال مجاج (بجيمين وكسر الميم). قال ياقوت: «والصحيح عندنا فيه غير ما رو ياه، جاء فى شعر ذكره الزبير بن بكار وهو مجاح بفتح الميم ثم جيم وآخره حاء مهملة. والشعر هو قول محمد بن عروة بن الزبير:

لعن الله بطن لقف مسـيلا * ومجـاحا وما أُحب مجـاحا

وأنا أحسب أن هذه هى رواية آبن إسحاق، وإنما آنقلب على كاتب الأصل فأراد تقديم الجيم فقدّم الحاء». (انظر ياقوت والمرتضى مادة مجح). (٤) عمق (بفتح أوّله وسكون ثانيه): واد من أودية الطائف نزله رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حاصر الطائف، وفيه بئر ليس بالطائف أطول رشاء منها.

فقال له نُصيب : أنا والله أشعرُ منكَ حيث أقول لآبنة عَمِّك :

خَلِيلَيَّ إنْ حَلَّتْ كُلَيَّةَ (١) فالرُّبَا (٢) * فذا أَجَّ (٣) فالشِّعْبَ (٤) ذا المَاءِ (٥) والحَمْضِ

فأصبحَ من حَوْرَانَ (٦) رَحْلِي بمنزلٍ * يُبَعِّدُه من دونها نازحُ الأرضِ

وأيأسْتُمَا أنْ يجمعَ الدهرُ بيننا * نَخُوضَا لِيَ (٧) السمَّ المُصَرَّحَ بالمَحْضِ (٨)

ففى ذاك من بعضِ الأمور سلامةٌ * ولَلْمَوْتُ خيرٌ من حياةٍ على غَمْضِ ٥

قال : فاقْتَحَم (٩) إليه كُثَيِّرٌ، ووثبَ له النُّصَيب . فلما نالتْه رِجْلاه رَمَحَه (١٠) نُصَيبٌ بساقه رَمْحةً طاح منها بعيدًا عنه ، فما زال راقدًا حتى أيقظْنَاه عَشِيًّا لِرَمْيِ الجِمَار .

أخبرنى الحَرَمِىّ بن أبى العَلَاء عن الزُّبَيْر عن محمد بنِ موسى بنِ طَلْحَةَ (١١) عن عبدالله بن عمر بن عثمانَ النَّحْوِىّ عن أُنَيس بن ربيعة الأَسْلَمِىّ (١٢) أنه قال :

---

(١) كذا فى ت ، حـ ، ر . وكاية (بالضم ثم الفتح وتشديد الياء) : واد يأتى من شمنصير بقرب الجحفة . وفى سائر النسخ : « كابية » وهو تحريف . (٢) كذا فى م و ياقوت فى الكلام على كلية ، بالفاء . وفى سائر النسخ : « بالربا » والربا ، كما فى ياقوت : موضع بين الأبواء والسقيا من طريق الجادة بين مكة والمدينة . (٣) كذا فى ت ، م . وفى سائر النسخ : « فذى أجّ » بعطفه على الربا المجرورة بالباء . وذو أجّ : بلد من أعراض المدينة . (٤) الشعب : اسم لجملة أماكن بين مكة والمدينة . ١٠

(٥) كذا فى ت ، م . وفى سائر النسخ : « ذى الماء » (٦) حوران : كورة واسعة من أعمال دمشق من جهة القبلة ذات قرى كثيرة ومزارع وحرار ، ولما ذكر كثير فى الشعر وقصبتها بُصرى . وحوران أيضا : ماء بنجد ، قال نصر : أظنه بين اليمامة ومكة . (٧) فى الأصول : « بى » تحريف . والخوض هنا : الخلط . (٨) فى ت : « المصرح بالمخض » . والمصرح : الذى انجلى عنه زبده فخلص . وفى أكثر الأصول : « المفرج بالمحض » تصحيف . (٩) اقتحم اليه : تقدّم اليه . ١٥

(١٠) رمحه : رفسه . (١١) كذا فى حـ ، ر . وفى ت : « قال حدّثنا عبد الله بن عثمان النحوى » . وفى سائر النسخ : « طلحة بن عبد الله بن عمر بن عثمان النحوى » . (١٢) فى ت : « عن أنس بن زمعة » . وفى م : « عن أنيس بن زمعة » . ٢٠

غدوتُ يومًا إلى أبي عُبَيدةَ بنِ عبد الله بن زَمْعةَ وهو مُحْتَلٌّ (1) بالرَّحْبة (2) ، فألفيتُ عنده جماعةً منا ومن غيرِنا ، فأتاه آتٍ فقال له : ذاك النُّصَيب منذُ ثلاثٍ بالفَرْش (3) من مَلَل (4) مُتلدِّدٌ (5) كأنّه والهٌ فى أَثَرِ قومٍ ظاعنين. فنهض أبو عُبَيدةَ ونهضْنا معه ، فاذا نُصَيب على المنحر (6) من صَفَر (7) . فلمّا عاينَنا وعرَف أبا عُبَيدة هبَط ، فسأله عن أمره ، فأخبره أنه تَبِع قومًا سائرين وأنه وجد آثارَهم ومَحَلَّهم بالفَرْش فٱستَوْلَهه ذلك . فضحك به أبو عبيدةَ والقومُ ، وقالوا له : إنما يُهتَر (8) إذا عَشِق مَن آنتسبَ عُذْرِيًّا ، فأمّا أنت فمالَكَ ولهذا ؟ ! فٱستحيا وسكَن . وسأله أبو عبيدةَ : هل قلتَ فى مُقامِك شعرًا؟ قال: نعمْ ! وأنشد :

لعَمْرِى لئن أَمْسيتَ بالفَرْشِ مُقْصَدًا * ثَوِيَّاكَ (9) عَبُّــودٌ (10) وعُدْنَةُ (11) أو صَـفَرْ

---

(١) كذا فى ت ، م . وفى سائر النسخ : « ومعه محمد بالرحبة » .

(٢) الرحبة (بالفتح والسكون وبفتحتين) : البقعة المتسعة بين أفنية القوم . (٣) الفرش : واد بين غَمِيس الحَمام ومَلَل . (٤) كذا فى ت ، م . وملل : اسم موضع فى طريق مكة بين الحرمين . وفى سائر النسخ : « متململ » وهو تحريف . (٥) تلدد : تلفت يمينا وشمالا وتحيّر متبلّدا . (٦) كذا فى النسخ . ولعله محرّف عن « المنجى » وهو الموضع الذى لا يبلغه السيل . (٧) صفر : جبل أحمر من جبال ملل قرب المدينة . وقال الأدبي : صفر : جبل بفرش ملل ، كان عنده منزل أبى عبيدة بن عبد الله بن زمعة ابن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى جد ولد عبد الله بن الحسن بن على بن أبى طالب ، وبه صخرات تعرف بصخرات أبى عبيدة . (٨) أهتر الرجل — بالبناء للفعول وأهتر بالبناء للفاعل نادر — : ذهب عقله من كبر أو مرض أو حزن . (٩) كذا ت ، م . وفى سائر النسخ :

* وبرّح بى وجْد بقلبى أو صفر * والثويان : مثنى ثوىّ وهو المقيم معك فى مكان واحد .

(١٠) فى ياقوت ، عبود : جبل بين السَّيَالَة ومَلَل له ذكر فى المغازى . وقيــل إنه البريد الثانى من مكة فى طريق بدر . (١١) فى م ، ت : « وعدته » بالتاء وهو مصحف عن عدنة . وعدنة (بضم أوّله وسكون ثانيه) : ثنية قرب ملل لها ذكر فى المغازى .

فقَــرَّع (١) صَــبًّا أو تيَمّــم مُصْــعِدًا * لِرَبْعٍ قديمِ العهــدِ يَنْتَكِفُ (٢) الأثَرْ
دَعَا أهــلَه بالشأم بَرْقٌ فأوْجَفُوا * ولم أرَ متبوعًا أضَرَّ من المَطَرْ
لتَسْتَبْدِلَنْ قلبــًا وعينــًا ســـِوَاهُما * وإلا أتَى قصدًا حُشَاشَتَكَ (٣) القَدَرْ
خَلِيــلَيَّ فيما عِشْــتُما أو رأيْتُمــا * هل آشتاق مَضْرورٌ إلى من به أضَرّْ
نعمْ رُبَّمــا كان الشَّقاءُ مُتيحًا (٤) * يُغطِّى على سَمْــعِ آبنِ آدمَ والبَصَرْ

قال: فانصرف به [أبو عبيدة] (٥) إلى منزله ، وأطعمه وكَسَاه وحَمَله (٦) ، وآنصرف وهو يقول :

أصابَ دواءَ عِلَّتِــكَ الطبيبُ * وخاضَ (٧) لكَ السُّلُوَّ آبنُ الرَّبِيبِ (٨)
وأبْصَرَ من رُقَاكَ مُنَفَّثاتٍ (٩) * وداؤكَ كان أعْرَفَ بالطَّبِيبِ

نصيب ويزيد بن عبد الملك

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيد قال حدّثنا أبو حاتم عن الأصمعىّ قال : دخَل نُصَيب على يزيدَ بنِ عبد الملك ذاتَ يوم، فأنشده قصيدةً آمتدحه بها، فطرِب لها يزيدُ وآستحسنها، فقال له : أحسنتَ يا نُصَيب! سَلْنِي ماشئتَ . فقال :

(١) كذا فى ت . وفرّع فى الجبل وأفرع : انحدر؛ قال الشماخ :

فإن كرهت هجائى فآجتنب سخطى * لا يدركنك إفراعى وتصــعيدى

وصبا، الظاهر أنها هنا مصدر من صب اللازم، لا وصف من الصبابة؛ يقال: صب فى الوادى، اذا انحدر فيه . وفى ر : «يفزع صبا أو سقيا مصعدا» . وفى م : «يفرع صبا أو هما مصعدا» . ويظهر أن كليهما محرّف عن الأوّل . وفى سائر النسخ : * وجمت شجونى وآستهلت مدامعى * يريد : كثرت أحزانى وتتابعت دموعى . (٢) انتكف الأثر: تتبّعه فى مكان سهل؛ وذلك لأن الأثر لا يتبين فى الأرض الغليظة الصلبة . (٣) الحشاشة : رمقُ بقيةٍ من حياة (٤) متيحا : مقدّرا . ولم نجد هذه الصيغة من هذه المادة، وإنما الموجود أتاحه له الله : قدّره، وتاح له الأمر : قدر عليه . وفى ت : «موكلا» . (٥) زيادة فى ت ، م ، ر . (٦) حمله هنا : أتى له بما يركبه فى سفره؛ قال تعالى : (ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه) . (٧) خاض الشراب : خلطه وحرّكه . وانظر الكلام على السلوة فى الحاشية رقم ٦ ص ٣٢٢ من هذا الجزء (٨) يريد بابن الربيب أبا عبيدة بن عبد الله بن زمعة . (٩) لعله يريد : وعرف رقى منفثات من رقاك، أى رقًى ذات نفث، أى يُنْفَث فيها .

يدُكَ يا أميرَ المؤمنين بالعطاء أَبْسَطُ من لساني بالمسألة ! فأمر به فَمُلِئَ فَمُه جَوْهرًا، فلم يَزَلْ به غنياً حتى مات .

نصيب وإبراهيم ابن هشام

أخبرني الحَرَميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنا أبو غُزِيَّة[1] عن عبد الرحمن بن أبي الزِّناد قال :

٥ دخل نُصَيبٌ على إبراهيمَ بنِ هشام وهو والٍ على المدينة، فأنشده قولَه :

١٤٨ / ١

يا ٱبنَ الهشامَين[2] لا يَبيتُ كَبِيتُهما[3] * إذا تَسامَتْ إلى أحسابِها مُضَرُ

فقال له إبراهيم : قم يا أبا مِحْجَن إلى تلك الراحلة المَرْحُولة فخُذْها برَحْلِها. فقام إليها نُصَيب متباطئاً والناس يقولونَ : ما رأينا عَطِيّةً أَهْنأَ من هذه ولا أكرمَ ولا أَعْجَل ولا أَجْزَلَ . فسمعهم نُصَيب فأقبل عليهم وقال : والله إنكم قلَّما صاحبتمُ الكِرَامَ ! ١٠ وما راحلةٌ ورَحْلٌ حتى تَرْفَعُوهما فوقَ قَدْرِهما !

نصيب وهشام ابن عبد الملك

أخبرني الحَرَميّ وعيسى بن الحُسَين قالا حدّثنا الزُّبَير عن عبد الله بن محمد بن [عبد الله بن][4] عمرو بن عثمان بنَ عَفَّانَ عن أبيه قال :

استبطأ هِشَامُ بنُ عبد الملك حين وَلِيَ الخلافةَ نُصَيباً ألّا يكونَ جاءه وافدًا عليه مادحاً له ووَجَدَ عليه . وكان نُصَيب مريضاً، فبلغه ذلك حين بَرَأَ ، فقَدِمَ عليه وعليه ١٥ أثرُ المرض وعلى راحلته أثرُ النَّصَب، فأنشده قصيدتَه التي يقول فيها :

---

(١) كذا في م . وفي ت : «قال حدّثنا أبو عونة» . وفي سائر النسخ : «... الحرمي عن أبي الزبير عن غزية» ، وكلاهما تحريف . وقد تكرر هذا السند نفسه في الأغاني في الجزء الثالث في ذكر نسب أبي العتاهية وأخباره ، وهو أبو غزية الأنصاري، وكان قاضيا على المدينة . (٢) يريد بالهشامين هشام بن عبد الملك بن مروان أباه، وهشام بن إسماعيل المخزومي جدّ أبيه لأمه . وفي ب، س : « الهشامي » تحريف .
٢٠ (٣) في ب، س : « كبيتكم » . (٤) زيادة في ت .

حَلَفتُ بِمَنْ حَجَّتْ قريشٌ لبيتِه[1] * وأَهْدتْ له بُدْنًا[2] عليها القلائدُ

لئن كنتُ طالتْ غَيْبتِى عنكَ إنّنى * بمَبْلغِ حَوْلِى فى رِضاكَ لَجاهِدُ

ولكنّنى قد طال سُقْمِى وأكثرتْ * علىّ العِهَادُ[3] المُشْفِقاتُ العَوائدُ

صَرِيعُ فِراشٍ لا يَزَلْنَ يَقُلْنَ لى * بنُصْحٍ وإشفاقٍ متى أنت قاعدُ

فلمّا زجَرْتُ العِيسَ أَسْرتْ بحاجتى * إليكَ وذلّتْ للّسانِ القصائدُ

وإنّى فلا تَسْتَبْطِنِى[4] بمودّتى * ونُصْحِى وإشْفاقِى إليكَ لَعامِدُ[5]

فلا تُقْصِنِى حتى أكونَ بصَرْعةٍ[6] * فييأسَ ذو قُرْبَى ويَشْمتَ حاسدُ

أَنِلْنِى وقَرِّبْنِى فإنّى بالغٌ * رِضاكَ بعفوٍ من نَداكَ وزائدُ[7]

أبِتُ نائمًا أمّا فؤادِى فهمُّه * قليلٌ وأمّا مَسُّ جِلْدِى فباردُ

وقد كان لى منكم إذا ما لَقِيتُكمْ * لَيَانٌ[8] ومعروفٌ وللخيرِ قائدُ

إليك رَحَلْتُ العِيسَ حتّى كأنّها * قِسِىُّ السُّرَى ذُبْلًا[9] بَرَتْها الطّرائدُ[10]

(١) فى ت ، ح ، ر ، م : « لبرّه » . (٢) بدنا : جمع بَدَنة وهى ناقة أو بقرة تنحر بمكة ؛ سميت بذلك لأنهم كانوا يسمنونها ، ويجمع على بُدُن أيضا بضمتين .

(٣) العهاد : جمع عهد وعهدة بفتح العين وكسرها ، وهى مطر بعد مطر يدرك آخره بلل أوّله ؛ سمى بذلك لأن الأوّل عُهِد بالثانى . والمراد بالعهاد هنا الدموع . (٤) يريد : لاتستبطئنى ، سهّلت الهمزة ياء ، ثم حذفت الياء للجزم . (٥) كذا فى م . وفى ت : «اليك لعائد» . وفى سائر النسخ : « لديك لعامد » .

(٦) أى حتى يحلّ بى الموت . (٧) كذا فى ت ، م . وفى سائر النسخ :

أنلنى وقرّبنى فإنك بالغ * رضاى بعفو من نداك وزائد

(٨) الليان بالفتح : نعمة العيش . (٩) كذا فى ت ، م ، وهو جمع ذبلاء . وفى سائر النسخ : «ذبلى» كقتلى . (١٠) الطرائد : جمع طريدة ، وهى قصبة فيها حزّة توضع على المغازل والعود والقداح فتنحت عليها وتبرى بها .

وحتّى هَوَادِيهـا دِقاقٌ[1] وشَـكْوُها[2] * صَرِيفٌ وباقى النِّقْىِ[3] منهـا شَرائِدُ[4]

وحتّى وَنَتْ ذاتُ المِرَاحِ[5] فأذعنتْ * إليـكَ وكلُّ الرّاسِمـاتُ[6] الحوافدُ

قال : فرقّ له هِشَـامٌ وبَكَى ، وقال له : وَيْحَـكَ يا نُصَيب ! لقـد أضْرَرْنا بك وبرَوَاحِلك. ووصله وأحسن صِلَتَه واحتفل به .

نصيب وعبد الواحد النصرى أمير المدينة

٥ أخبرنا الحَرَمِىُّ عن الزُّبَير عن عمِّه عن أيُّوبَ بنِ عَبَايَةَ قال :

قَدِمَ نُصَيبٌ على عبد الواحد النَّصْرىّ وهو أميرُ المدينة بفَرْضٍ من أمير المؤمنين يَضَعُه فى قومه من بنى ضَمْرَةَ ، فأدخلهم عليـه ليَفْرِض لهم وفيهم أربعةُ غِلْمَةٍ لم يَحْتَلِمُوا ، فردّهم النَّصْرِىّ . فكلّمه نُصَيبٌ كلامًا غليظًا إدلالًا بمنزلته عند الخليفة ، فأشار إليه إبراهيم بن عبد الله بن مُطِيع أنِ اسكتْ وكُفَّ واخرُجْ ، فإنّى كافيكَ . فلمّا خرج

١٠ إبراهيمُ لقيه نُصَيب ، فقال له : أشرتَ إلىّ فكرهتُ أن أُغْضِبَك ، فما كَرِهْتَ لى من مُرَاجعته والصَّلابة له ومن ورائى المُسْتَعْتَبُ من أمير المؤمنين؟ فقال إبراهيم : هو رجلٌ عربىّ حَدِيدٌ غَلِقٌ[7] ، وخَشِيتُ إن جاذبتَه شيئًا ألّا يرجعَ عنه وأن يَمْضِىَ عليه ويَلِجَّ[8]

١٤٩/١

فيه ، وهو مالكٌ للأمر وله فيه سلطان[9] ، فأردتُ أن تخرُجَ قبل أن يَلِجَّ ويظهرَ منه ما لا يرجِـعُ عنه فيَمْضِىَ عليه ويَلِجَّ فيه ، فتنتظِرُ لتُصادِفَ منه طِيبَ نَفْس فتكلِّمَه

١٥ ويَرْفِدُكَ[10] عندَه . فقال نُصَيب :

---

(١) الهوادى : الأعناق : ودقاق : جمع دقيق . (٢) شكوها : شكواها . والصريف : صرير الأنياب . (٣) النقى : مخ العظم . (٤) كذا فى ت ، م . والشرائد : جمع شريد على غير قياس ، وهو : البقيـة من الشيء . وفى سائر النسـخ : « الصرائد » وليس له معنى مناسب . (٥) المراح : النشاط . (٦) الراسمات : ذوات الرسيم ، وهو ضرب من السير سريع مؤثر

٢٠ فى الأرض . والحوافد : المسرعات . (٧) الغلق هنا : الضيق الخلق العسر الرضا . (٨) يلجّ فيه : يتمادى عليه ؛ يقال : لجّ فى الأمر ، إذا تمادى عليه وأبى أن ينصرف عنه . (٩) فى ح ، ر : « وله فينا سلطان » . (١٠) رفده وأرفده : أعانه .

يَوْمانِ يومٌ لِزُرَيْقٍ(١) فَسْلُ * ويومُه الآخرُ سَمْحٌ فَضْلُ

أنا — جُعلتُ فداءَك — فاعلٌ ذلك ؛ فاذا رأيتَ القولَ فأَشِرْ إلىّ حتى أُكَلِّمَه .

قال : ودخل إليه نُصَيب عَشِيّاتٍ ، كلَّ ذلك يُشير إليه ٱبن مُطيع ألّا يكلِّمَه ، حتى صادفَ عَشِيَّةً من العَشِيَّاتِ منه طِيبَ نَفْس ، فأشار إليه أنْ كلِّمْه . فكلَّمه نُصَيبٌ فأصابَ مَخْتِلَه(٢) بكلامه ، ثم قال : إنّى قد قلتُ شعرًا فاسمَعْه أيّها الأميرُ وأَجِزْه ، ثم قال :

أهاجَ البُكَا رَبْعٌ بأَسْفَلِ ذى السِّدْرِ(٣) * عَفَاهُ(٤) ٱختلافُ العَصْرِ بعدَكَ والقَطْرِ

نَعَمْ فَثَنانِى الوجدُ فاشتقتُ للّذى * ذكرتُ وليس الشوقُ إلا معَ الذِّكْرِ

حَلَفتُ بِرَبِّ المُوضِعِينَ(٥) لِرَبِّهِمْ * وحُرمةِ ما بينَ المَقامِ إلى الحِجْرِ

لئن حاجتِى يومًا قَضَيتَ ورِشْتَنِى(٦) * بنَفْحة عُرْفٍ من يدَيك أبا بِشْرِ(٧)

لَتَعْتَرِفَنْ(٨) الدَّهرَ منِّى مودّةً * ونُصْحًا على نُصْحٍ وشُكْرًا على شُكْرِ

سَقَى اللهُ صَوْبَ المُزْنِ أرضًا عَمَرْتَها(٩) * بِرِىٍّ وأَسْقَاها(١٠) بِلادَ بَنِى نَصْرِ

بوجهِك فاستَعْمِلْتَ ما دُمْتَ خائفًا * لربِّك تَقْضِى راشِدًا آخرَ الدَّهرِ

(١) فى ت ، حـ : « لزريق » . والفسل : الردىء الرذل من كل شىء . (٢) فى حـ : « نحيلة كلامه » . (٣) ذو السدر : اسم موضع بعينه ، كذا ذكره ياقوت ولم يبينه . (٤) عفت الريح الدار كعفَتْها : جعلتها دارسة بالية . (٥) الموضعين : المسرعين فى السير ، من الإيضاع وهو سير مثل الخَبَب . (٦) يقال : رشت فلانا ، إذا قوّيت جناحه بالإحسان فارتاش وتريّش ؛ قال الشاعر :

فرشنى بخير طالما قد بريتنى * وخير الموالى من يريش ولا يبرى

(٧) فى ت : « أبا بكر » . (٨) فى ت : « ليعترفن » . وفى م ، حـ : « لتعرفن » وكلاهما تحريف . وفى سائر الأصول : « اذا تعرفن » . واعترف هنا بمعنى عرف ؛ ومثله قول أبى ذؤيب يصف نعاما :

مرته النعامى فلم يعترف * خلاف النعامى من الشام ريحا

والنعامى : من أسماء ريح الجنوب . (٩) كذا فى أكثر النسخ . وفى ت : « حللتها برىّ » . وفى حـ ، ر : حللتها رهاما » . والرهام : جمع رِهْمة وهى المطر الضعيف الدائم . (١٠) كذا فى حـ ، ر . وفى سائر النسخ : « فأسقاها » .

لُتُنْقِـذَ أصحابِى وتَسـتُرَ عورةً * بَدتْ لكَ من صَحْبِى فإنكَ ذو سَتْرِ
فما بأمير المؤمنين إلى التى * سَألتُ فأعطانى لقومىَ من فَقْـرِ
وقد خرجتْ منهُ إليك فلا تكنْ * بموضعِ بَيْضاتِ الأَنُوقِ[1] من الوَكْرِ

قال : فقال عثمانُ بن حَيّانَ المُرّىّ وهو عنـدَه — وكان قد جاءه بالقَوَد من آبن حَزْم — : قد آحتلَم الآن القومُ أيها الأمير، وآستوجَبُوا الفَرْضَ. ورَفَده[2] آبنُ مُطيع فأحسن، وآشتدّ عليه أن شَرِكه آبنُ حَيّان فى رَفْده وتَشْييعه . وقال النَّصْرِىّ لآبن مُطِيع وآبنِ حَيّان : صَدَقتُما قد آحتلَموا وآستوجَبُوا الفَرْضَ، افرِضْ لهم يا فلانُ — لكاتبٍ من كُتّابه — فَفَرَضَ لهم .

حديث نصيب عن نفسه أنه عشق أمة لبنى مدلج وشعره فيها

أخبرنى محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حدّثنى جعفر بن علىّ اليَشْكُرِىّ قال حدّثنى الرِّيَاشىّ عن العُتْبىّ قال :

دخل نُصَيبٌ على عبد العزيز بن مَرْوان، فقال له عبدُ العزيز وقد طال الحديثُ بينهما : هل عَشِقْتَ قطُّ؟ قال : نعمْ، أمَةً لبنى مُدْلِج . قال : فكنتَ تصنعُ ماذا ؟ قال : كانوا يَحْرُسُونها منّى، فكنتُ أقنَع أن أَراها فى الطّريق وأُشيرَ إليها بعينى أو حاجبى ، وفيها أقولُ :

وقفتُ لها كَيْما تَمُـرَّ لعلّـنِى * أُخالِسُها التّسليمَ إن لم تُسَـلِّمِ
ولمّا رأتْنِى والوُشاةَ تحـدّرتْ * مَدامعُها خَـوفاً ولم تتـكلّمِ
مَساكينُ أهلُ العشقِ ما كُنتُ أشترِى * جميعَ حَياةِ العاشـقِين بِدِرْهَمِ

(١) الأنوق : الرخمة أو ذكر الرخم، و يضاف البيض اليه لأنه كثيرا ما يحضنها و إن كان ذكرا كما يحضن الظليم بيضه . وقال عمارة : الأنوق عندى : العقاب، وقيل غير ذلك . وفى المثل : « أعز من بيض الأنوق » ؛ لأنها تحرزه فلا يكاد يُظفر به ؛ لأن أوكارها فى رءوس الجبال والأماكن الصعبة البعيدة . وهو يضرب للشىء العزيز البعيد المنال .

(٢) فى ت : « ووصله » .

فقال عبد العزيز : وَيْحَكَ ! فما فعلتْ ؟ قال : بِيعتْ فأولدها سيّدُها . قال : فهل فى نفسك منها شىء ؟ قال : نعم ، عَقَابِيلُ[1] أحزان .

حمل عبد العزيز بن مروان دينا عن نصيب فى إبل ابتاعها

أخبرنى الحَرَمىّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنى بُهْلُول بنُ سليمان بن قِرْضاب البَلَوِىّ :

أنّ إبلا لنُصَيب أَجدَبتْ وحالَتْ[2] ، وكان لرجل من أَسْلَمَ عليه ثمانيةُ آلافِ درهمٍ . قال : فأخبرنى أبِى وعمّى أنه وفَد على عبد العزيز بن مروان ، فقال له : جعلَنى الله فداءَك ! إنّى حَمَلتُ دَيناً فى إبل ٱبتعتُها مُجدِباتٍ حِيَال[3] ، وقد قلتُ فيها شِعرا . قال : أَنشِدْه ، فأنشَدَه :

فلمّا حَمَلتُ الدَّينَ فيها وأصبحتْ * حِيَالًا مُسِنّاتُ[4] الهوى كِدْتُ أندَمُ
على حينِ أن رَاثَ[5] الرَّبيعُ ولم يكن * لها بصَعيدٍ من تِهامَةَ مَقْضَمُ
ثمانيةٌ للأَسْلَمِىّ وما دَنَا * لفُحْشٍ ولا تدنو إلى الفُحْشِ أَسْلَمُ

فقال له عبد العزيز : فما دَيْنُك ؟ وَيْحكَ ! قال : ثمانية آلاف ، فأمر له بثمانية آلافِ درهم . فلمّا رجع أنشد الأسلمىَّ الشعرَ فترك ما له عليه ، وقال : الثمانيةُ الآلاف لك .

نصيب والنسوة الثلاث اللاتى كنّ يتناشدن الشعر فى المسجد الحرام

أخبرنى محمد بن مَزْيَد قال حدّثنا الزُّبير بن بَكّار قال حدّثنى المَوْصِلىّ عن ٱبن أبى عُبَيدة قال :

(١) عقابيل أحزان : بقايا أحزان . (٢) الحائل من النوق : التى حمل عليها ولم تلقح ، أو التى لم تلقح سنة أو سنتين أو سنوات ، وكذلك كل حامل ينقطع عنها الحمل سنة أو سنوات حتى تحمل .
(٣) جمع حائل . (٤) مسنات الهوى : انقطع منها الغرض ، فلا يرغب فيها أحد لكبرها .
(٥) راث : أبطأ .

أتى نُصَيبٌ مكةَ فأتى المسجدَ الحرامَ ليلًا . فبينا هو كذلك إذ طلَع ثلاثُ
نسوةٍ فجلسْنَ قريبًا منه وجعلْنَ يتحدّثْنَ ويتذاكَرْنَ الشعرَ والشعراءَ ، وإذا هنّ من
أفصح النساء وآدبهنّ . فقالت إحداهنّ : قاتل الله جَميلًا حيث يقول :

وبينَ الصَّفا والمَرْوتينِ ذكَرْتُكم * بمُخْتَلِفٍ ما بينَ سَاعٍ ومُوجِف
وعند طَوَافِى قد ذكَرْتُك ذُكْرةً * هى الموتُ بل كادتْ على الموتِ تَضْعُفُ (١)

فقالتِ الأُخرى : بل قاتل اللهُ كُثَيِّرَ عَزَّةَ حيث يقول :

طلَعْنَ علينا بين مَرْوةَ والصَّفَا * يَمُرْنَ (٢) على البَطْحَاءِ مَوْرَ السحائب
فكِدْنَ لَعَمْرُ الله يُحْدِثْنَ فتنةً * لمُخْتَشِعٍ من خَشْيةِ الله تائب

فقالتِ الأُخرى : قاتل اللهُ ابنَ الزانية نُصَيبًا حيث يقول :

ألَامُ على لَيْلَى ولو أستطيعُها * وحُرْمةِ ما بين البَنِيَّةِ والسِّتْرِ
لَمِلْتُ على لَيْلَى بنفسى مَيْلَةً * ولو كان فى يوم التَّحَالُقِ والنَّحْرِ

فقام نصيبٌ إليهنّ فسلَّم عليهنّ ، فردَدْنَ عليه السلامَ . فقال لهنّ : إنّى رأيتُكنّ
تحادَثْنَ شيئا عندى منه علمٌ . فقلن : ومن أنت ؟ فقال : اسمَعْنَ أولًا . فقلن : هاتِ .
فأنشدهنّ قصيدتَه التى أولها :

ويومَ ذى سَلَمٍ شاقَتْكَ نائحةٌ * ورْقاءُ فى فَنَنٍ والريحُ تضطربُ

فقلن له : نسألك بالله وبحقِّ هذه البَنِيَّة ، من أنت ؟ فقال : أنا ابنُ المظلومةِ
المقذوفةِ بغيرِ جُرْمٍ "نُصَيب" . فقُمْنَ إليه فسلَّمن عليه ورحَّبْنَ به ، واعتذرت إليه القائلةُ ،
وقالت : والله ما أردتُ سوءا ، وإنّما حملنى الاستحسانُ لقولك على ما سمعتَ .
فضحك وجلس إليهنّ ، فحادثهنّ إلى أن انصرفن .

(١) كذا فى ت ، ح ، ر . وفى سائر النسخ : « عن » وتضعف بمعنى تزيد إنما تتعدّى بعلى ،
وفى الحديث : « تضعف صلاة الجماعة على صلاة الفذ خمسة وعشرين درجة » أى تزيد عليها . و « عن »
هنا بمعنى « على » . وفى الشعر إقواء . (٢) يمرن : يتمايلن جائيات ذاهبات .

أخبار ابن مُحرز ونسبه

نسب ابن محرز

هو مُسْلِم بن مُحْرِز. فيما روى ابن المكّيّ، ويُكْنَى أبا الخَطَّاب، مَوْلَى بنى عَبْد الدّار ابن قُصَىّ[1]. وقال ابن الكَلْبيّ: اسمه سَلْم. ويقال: اسمُه عبد الله. وكان أبوه من سَدَنَة[2] الكَعْبة، أصلُه من الفُرْس، وكان أصفرَ أَحْنَى[3] طويلًا.

١٥١ / ١

وأخبرنى الحَرَمِىّ قال حدّثنا الزُّبَير قال حدّثنى أخى هارونُ عن عبد الملك ابن الماجِشُون قال:

اسمُ ابن مُحرز سَلْم، وهو مَوْلَى بنى مَخْزُوم. وذكر إسحاقُ أنه كان يسكُن المدينةَ مَرّةً ومكّةَ مرّةً، فاذا أتى المدينةَ أقام بها ثلاثةَ أشهُر يتعلّم الضَّرْبَ من عَزّة المَيْلاء، ثم يرجع إلى مكّةَ فيقيمُ بها ثلاثةَ أشهر. ثم شَخَص[4] إلى فارسَ فتعلّم ألحانَ الفرس وأخذ غناءَهم، ثم صار إلى الشأم فتعلّم ألحانَ الرُّوم وأخذ غناءهم، فأسقطَ من ذلك ما لا يستحسَن من نَغَم الفريقين، وأخذ محاسنَها فزَج بعضَها ببعض وألّف منها الأغانىَّ التى صَنَعها فى أشعار العرب، فأتى بما لم يُسمَعْ مثلُه. وكان يقال له صَنّاج[5] العرب.

(١) كذا فى ت. وفى حـ، ر: «مولى أبى الخطاب بن قصىّ». وفى سائر النسخ: «مولى بنى عبد الدار من قصىّ» وكلاهما تحريف. قال فى شرح القاموس: «والدار صنم، وبه سمى عبد الدار ابن قصىّ بن كلاب أبو بطن».
(٢) السدنة: جمع سادن، وهو خادم الكعبة. وكانت السِّدانة واللواء لبنى عبد الدار فى الجاهلية، فأقرّها النبي صلى الله عليه وسلم لهم فى الإسلام.
(٣) كذا فى أ، م، ر ومعناه محدودب الظهر؛ يقال: رجل أحنى الظهر إذا كان فى ظهره احديداب. وفى سائر النسخ: «أجنى» بالجيم المعجمة. ولعل الأصل «أجنأ» بالهمز ومعناه أحدب الظهر أيضا؛ يقال: جنِئَ الرجل يجنأ جنأ وهو أجنأ إذا أشرف كاهله على صدره.
(٤) كذا فى أ، ت، حـ، ر. وفى سائر النسخ: «ثم يشخص إلى فارس فيتعلم الخ».
(٥) الصنج: صفيحة مدوّرة من الصُّفْر يضرب بها على أخرى مثلها للطرب، وهو أيضا ما يجعل فى إطار الدف من الهنات المدوّرة. وأما الصنج ذو الأوتار الذى يلعب به فيختص بالعجم معرّب، واللاعب به يقال له صنّاج وصناجة، وكان أعشى بكر يسمى صناجة العرب، لجودة شعره.

ابن محرز أوّل من غنى الرمل

أخبرني عمّي قال حدّثني أبو أيّوبَ المَديني عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال: قال أبي: أوّلُ من غنّى الرَّمَلَ ابنُ محرز وما غُنِّيَ قبلَه. فقلتُ له: ولا بالفارسية؟ قال: ولا بالفارسية، وأوّل من غنّى رَمَلًا بالفارسية سَلْمك(1)(2) في أيّام الرشيد، استحسن لحنًا من ألحان ابن محرز، فنقل لحنَه إلى الفارسية وغنّى فيه.

كان ابن محرز بعيدا عن الناس خمل ذكره فما يذكر منه إلا غناؤه

٥ قال أبو أيّوبَ وقال إسحاق: كان ابنُ مُحْرِز قليلَ المُلابَسة للناس، فأَخْمل ذلك ذِكْرَه فما يُذكر منه إلّا غناؤه، وأخذتْ أكثرَ غنائه جاريةٌ كانت لصديق له من أهل مكّة كانت تألفه، فأخذه الناسُ عنها. ومات بداءٍ كان به. وسقط إلى فارسَ فأخذ غناءَ الفُرْس، وإلى الشأم فأخذ غناءَ الروم، فتخيّرَ من نَغَمهم ما تغنّى به غناءَه. وكان يَقْدَم بما يُصيبه فيدفعُه إلى صديقه ذلك فيُنفِقُه كيف شاء، لا يسأله ١٠ عن شيءٍ منه، حتى إذا كاد أن يَنْفَد(3) جهّزه وأصلح من أمره، وقال له: إذا شئتَ فارحَلْ، فيرحَلُ ثم يعود. فلم يزل كذلك حتى مات. [قال](4): وهو أوّل من غنّى بزَوْجٍ من الشِّعر، وعمل ذلك بعده المُغنُّون اقتداءً به. وكان يقول: الأفراد لا تَتِمّ بها الألحان. وذكر أنه أوّلَ ما أخَذ الغناءَ أخذه عن ابن مِسْجَح. قال إسحاق: وكانت العِلّةُ التي مات بها الجُذَام، فلم يُعاشر الخلفاءَ ولا خالَط الناسَ لأجل ذلك.

ابن محرز أوّل من غنى بزوج من الشعر واقتدى به المغنون في ذلك

١٥ قال أبو أيّوبَ قال إسحاقُ: قَدِم ابنُ مُحْرِز يريد العراق(5)، فلمّا نزل القادسيّة(6) لَقِيَه حُنَينٌ، فقال له: كم منَّتْك نفسُك من العراق؟ قال: ألفَ دينار. قال: فهذه خمسُمائة دينارٍ فخُذْها وانصرِفْ واحلِفْ ألّا تَعُودَ.

(1) وفي ت: «أوّل» بغير واو. (2) في حـ: «سمـلك».
(3) كذا في أكثر النسخ، وهو غير الفصيح في كاد من عدم اقتران خبرها بأن. وفي حـ، ر: «كان ينفد» بالنون. وهو تحريف. (4) زيادة في ت، حـ، ر.
٢٠ (5) في ت، حـ، ر: «بلد العراق». (6) القادسية: بلدة قرب الكوفة بينها وبين الكوفة خمسة عشر فرسخا وبينها وبين العذيب أربعة أميال، وكانت بها وقعة القادسية المعروفة بين المسلمين والفرس في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة ١٦ من الهجرة.

علو كعبه فى صنعة الغناء

وقال إسحاق : وقلتُ ليونُس : مَنْ أحسنُ النـاس غناءً ؟ قال : ٱبنُ مُحْرِز. قلت : وكيف قلتَ ذاكَ[1] ؟ قال : إن شئتَ فسَّرْتُ، و إن شئتَ أجملتُ. قلتُ : أَجْمِلْ. قال : كأنه خُلِقَ من كلّ قلبٍ؛ فهو يغنّى لكل إنسان بمـا يشتهى . وهذه الحكاية بعينها قد حُكيت فى ٱبن سريج، ولا أَدْرِى أيُّهما الحقّ .

٥ قال إسحاقُ : وأخبرنى الفَضْل بن يحيى بن خالد أنه سأل بعضَ من يُبْصِر الغناءَ : مَنْ أحسنُ الناسِ غناءً ؟ فقال : أمِنَ الرجال أم من النساء ؟ فقلت : من الرجال. فقـال : ٱبنُ مُحرِز. فقلتُ : فمن النساء؟ فقال : ٱبنُ سُرَيج . قال : وكان إسحاق يقول : الفحولُ ٱبنُ سُرَيج، ثم ٱبنُ مُحْرِز، ثم مَعْبَد، ثم الغَرِيض، ثم مالك .

أخبرنى الحسـين بن يَحْيَى قال قال حَمَّاد : قرأتُ على أبى حدّثنا بعضُ أهلِ ١٠ المدينة، وأخبرنى بهذا الخبر الحَرَمىّ بن أبى العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثنى أخى هارونُ عن عبد الملك بن المـاجُشُون قال :

كان ٱبن مُحْرِز أحسنَ الناس غناءً، فمرّ بهنـد بنت كنانةَ بن عبـد الرحمن ابن نَضْلَةَ بنِ صَفْوانَ بنِ أُميةَ بن مُحرِّث[2] الكِنانىّ حَليف قريش، فسألْنه أن يجلسَ لها ولصَواحِبَ لهـا، ففعل وقال : أُغَنِّيكُنّ صوتًا أمرنى الحارثُ بن خالد بن العاص ١٥ ابن هشام أن أُغَنِّيَه عائشةَ بنتَ طَلْحة بنِ عُبَيد الله فى شعر له قاله فيها وهو يومئذ أميرُ مكّةَ ؟ قُلْنَ نعمْ . فغنّاهنّ :

١٥٢ / ١

(١) فى ت : « قلت دع وكيف ذاك » . (٢) كذا فى ت ، ا ، م ، ء . وفى سائر النسخ : «محرز» . قال فى القاموس وشرحه : وسموا محرّثا كمحدّث، قال ابن الأعرابى : هو اسم جد صفوان بن أمية بن محرّث، وصفوان هذا أحد حكام كنانة ا هـ .

صـــوت

فَوَدِدْتُ إذ شَحَطُوا وشَطَّتْ دارُهُمْ * وعَدَتْهُمُ عنّا عَوَادٍ تَشْغَلُ

أنّا نُطَاعُ وأن تُنَقَّلَ أرضُنا * أو أنّ أرضَهُمُ إلينا تُنْقَلُ

لِتَرُدَّ مِنْ كُتُبٍ إليك رَسَائلِي * بجوابها ويعودَ ذاكَ المُرْسَلُ[1]

٥ عَرُوضُه من الكامل . الغناء فى هذه الأبيات خفيفُ رَمَلٍ مطلقٌ فى مَجْرَى البِنْصَر ، ذكر عَمْرو بن بانةَ أنه لابن مُحْرِز ، وذكر إسحاقُ أنه لابن سُرَيج .

ابن محرز وحنين الحيرى

وقال أبو أيّوبَ المَدينيّ فى خبره : بلغنى أنّ ابنَ مُحْرِز لمّا شَخَص يريد العراقَ لقيه حُنَين فقال له : غنِّنى صوتًا من غنائك . فغنّاه :

صـــوت

١٠ وحُسْنُ الزَّبَرْجَدِ[2] فى نَظْمِه * على وَاضِحِ اللِّيتِ[3] زَانَ العُقُودَا

يُفَصِّلُ ياقوتُه دُرَّه * وكالجَمْرِ أبصرتَ فيه الفَرِيدَا[4]

عروضُه من المتقارب . الشعر لعمرَ بنِ أبى ربيعةَ : والغناء لابن مُحْرِز ثانى ثقيلٍ بالسَّبّابة فى مَجْرَى البِنْصَر — قال : فقال له حُنَين حينئذ : كم أمّلتَ من العراق؟ قال : ألفَ دينار . فقال له : هذه خمسمائة دينارٍ فخُذْها وانصرِفْ . ولمّا شاع ما فعل

١٥ لامه أصحابُه عليه ؛ فقال : والله لو دخل العراقَ لمَا كان لى معه فيه خبزٌ آكلُه ، ولأُطْرِحْتُ وسقطْتُ إلى آخرِ الدهر . وهذا الصوتُ أعنى :

* وحسنُ الزبرجدِ فى نظمه *

(١) كذا فى حـ ، ب . وفى سائر النسخ : « الدخال » ودخلل الرجل بضم اللام وفتحها : الذى بداخله فى أموره كلها ويعرف سرّه . (٢) كذا فى ديوانه وأكثر النسخ . وفى ت : «وحُرّ» . وفى حـ ، س : « وبزى » ولعله محرّف عن « وحر » . (٣) الليت : صفحة العنق .

٢٠ (٤) الفريد : الدرّ إذا نظم وفُصل بغيره .

من صُدُور أغانى ٱبن محرز وأوائلها وما لا يتعلّق بمذهبه فيه ولا يَتشبّه به أحدٌ .

ومما يُغَنَّى فيه من قصيدة نُصيب التى أوّلها :

* أهاجَ هواكَ المنزلُ المتقادمُ *

صوت

لقد رَاعَنِى لِلْبَيْنِ نَوْحُ حمامةٍ * على غُصْنِ بانٍ جاوَبَتْها حَمائمُ

هَواتِفُ أمّا مَنْ بَكَيْن فعهدُه * قديمٌ وأمّا شَجْوُهنّ فدائمُ

الغناء لٱبن سُرَيج من رواية يونس وعمرو وٱبنِ المكىّ، وهو ثانى ثقيلٍ بالبِنْصَر، وهو من جَيِّد الألحانِ وحَسَنِ الأغانى، وهو مما عارَض ٱبنُ سُرَيج فيه ٱبنَ محرز وٱنتَصفَ منه .

ذكر الأصوات التى رواها جحظة عن أصحابه

وحكى أنها من الثلاثة المختارة

صوت

إلى جَيْدَاءَ قد بَعَثُوا رسولاً * لِيَحْزُنَها فلا صُحِبَ الرَّسُولُ

كأنّ العامَ ليس بعامِ حَجٍّ * تغيَّرتِ المواسمُ والشُّكُولُ (1)

الشعرُ للعَرْجِىّ، والغناء لإبراهيمَ المَوْصِلىّ. ولحنُه المختارُ مَاخُورِىٌّ بالوُسْطَى، وهو من خَفِيفِ الثَّقِيل الثانى على مذهبِ إسحاقَ . وفيه لٱبنِ سُرَيج ثانى ثَقِيلٍ بالسَّبّابة فى مَجْرَى البِنْصر، وذكر عمرُو بن بانَةَ أنّ الماخورىَّ لٱبن سُرَيج .

(1) الشكول : جمع شكل .

أخبار العَرْجىّ ونسبه

نسب العرجى من قبل أبويه

هو عبد الله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عَفَّانَ بن أبى العاصى بن أُمَيَّةَ بن عبد شَمْس [(1)]. وقد شُرِحَ هذا النسبُ فى نسب أبى قَطِيفةَ . وأُمُّ عَفَّانَ وجميع بنى أبى العَاصِى آمنةُ بنت عبد العُزَّى بن حُرْثانَ [(2)] بن عَوْف بن عُبَيد بن عُوَيج بن عَدِىّ ابن كَعْب . وأُمُّ عثمانَ أَرْوَى بنتُ كُرَيْز بن ربيعةَ بن حَبِيب بن عبد شمس . وأُمّها البَيْضاء أُمّ حَكِيم بنتُ عبد المُطَّلِب بنِ هاشم بن عبد مَنَاف ، وهى أُختُ عبد الله ابن عبد المُطَّلِب أبى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، لأُمّه [وأبيه] [(3)] وُلِدَا فى بطنٍ واحدٍ . وأُمُّ عمرو بن عثمان أُمّ أَبَانَ بنتُ جُنْدَب الدَّوْسِيّة .

أخبرنى الحَرَمِىّ بن أبى العَلاء والطُّوسىّ قالا حدّثنا الزُّبَير بن بَكَّار قال حدّثنى علىُّ بن صالح عن يعقوبَ بنِ محمد عن عبد العزيز بن عبد العزيز بن عمرَ بنِ عبد العزيز قال حدّثنى مُحْرِزُ بن جَعْفَر عن أبيه عن جَدّه قال :

قَدِم جُنْدَبُ بن عمرو بن حُمَمَة الدَّوْسىُّ المدينةَ مهاجراً فى خلافة عمرَ بنِ الخطاب ، ثم مضى إلى الشأم وخلَّف ٱبنتَه أُمّ أَبَانَ عند عمرَ ، وقال له : يا أمير المؤمنين ،

---

(1) كذا فى أكثر النسخ . وفى ت : « هو عبد الله بن عمرو بن عمرو بن عثمان بن عفان » . وفى حـ ، م : « عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان » ومثله ما فى القاموس فى الكلام على العرج قال : « ومنزل بطريق مكة منه عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان العرجىّ الشاعر » . و يظهر أن هذا ناقص ؛ فان المعروف بعبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان شخص آخر محدّث ذكره صاحب تهذيب التهذيب وقال : إنه المعروف بالمُطْرَف مات سنة ٩٦ هـ ، ولهذا يظهر أن فى قول شارح القاموس : « وفى بعض النسخ عبد الله بن عمر بن عمرو بن عثمان ولم يتابع عليه » نظرا . وقد ذكره ياقوت فى معجمه فقال : « إنه عبد الله بن عمر بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان » .

(2) كذا فى أ ، ت . وفى ب ، س : « حريان » . وفى ء : « حربان » . وفى حـ : « حدثان » . وفى م : « حربان » من غير نقط .

(3) تكملة يقتضيها الكلام .

إن وجدتَ لها كفئًا فزوِّجه بها ولو بشِرَاك نَعْله[1] ، وإلا فأَمْسِكْها حتى تُلحقَها بدار قومها بالسَّراة[2] . فكانتْ عند عمرَ، وٱستُشهِدَ أبوها ، فكانت تَدْعُو عمرَ أباها و يدعوها ٱبنَته . قال : فإنّ عمر على المنبر يوما يكلّم الناسَ فى بعض الأمر[3] إذ خطَر على قلبه ذكْرُها ، فقال : مَنْ له فى الجَميلة الحَسيبة بنتِ جُنْدَب بن عمرو بن حُمَمَةَ ، ولْيَعلَمِ ٱمرؤٌ مَنْ هو! فقام عثمانُ فقال: أنا يا أميرَ المؤمنين . فقال أنت لَعَمْرُ الله ! كم سُقْتَ إليها ؟ قال: كذا وكذا . قال: قد زوَّجتُكها ، فعجِّلْه ؛ فإنها مُعَدّة . قال : ونزَل عن المنبر. فجاء عثمانُ رضى الله عنه بمَهْرها ، فأخذه عمر فى رُدْنه[4] فدخَل به عليها ، فقال : يا بُنَيَّة ، مُدِّى حِجْرَكِ ، ففتحتْ حِجْرَها ، فألقى فيه المـالَ ، ثم قال: يا بُنَيَّة ، قولى ٱللّهُمّ بارِكْ لى فيــه . فقالت : اللهم بارِكْ لى فيــه ، وما هذا يا أَبَتَاه ؟ قال : مَهْرُك . فنفَحَتْ[5] به وقالت : واسَوْأَتَاه ! فقال : ٱحْتَبِسى منه لنفسك ووسِّعى منه لأهلك ، وقال لحَفْصَةَ : يا بُنَيَّاه ، أَصْلِحِى من شأنها وغيِّرى بَدَنَها[6] وٱصْبُغى ثوبهَا ، ففعلتْ . ثم أرسل بها مع نسوةٍ إلى عثمانَ . فقال عمر لـمّا فارقتْه : إنها أمانةٌ فى عنقِى أَخْشَى

(١) شراك النعل : سيرها الذى على ظهر القدم . وهو مثل فى القلة . (٢) سراة كل شىء : أعلاه وهى مضافة الى عدّة قبائل ومواضع وهى كثيرة . قال أبو عمرو بن العلاء : أفصح الناس أهل السروات وهى ثلاث ، وهى الجبال المطلة على تهامة مما يلى اليمن : أولها هذيل وهى تلى السهل من تهامة ، ثم بجيلة وهى السراة الوسطى وقد شركتهم ثقيف فى ناحية منها ، ثم سراة الأزد أزد شنوءة وهم بنو كعب بن الحـارث بن كعب ابن عبـد الله بن مالك بن نصر بن الأزد . (٣) فى حـ ، ب ، سـ : « الأمـور » . (٤) فى ت : « يده » . والردن : الكم . (٥) كذا فى أ ، م ، ت ، حـ . ونفحت به : رمت به وردّته . وفى ب ، سـ : « فنفخت فيه » ومعناه رمته وردته كما تنفخ الشىء اذا دفعته عنك . قال فى اللسان (مادة نفخ) : وفى الحديث "رأيت كأنه وضع فى يدى سواران من ذهب فأوحى إلىّ أن ٱنفخهما" أى ٱرمهما وألقهما كما تنفخ الشىء اذا دفعته عنك . وان كانت بالحاء المهملة فهو من نفحت الشىء اذا رميتــه اهـ . وفى ء : « فتعجبت به » . (٦) البدن : شبه درع إلا أنه قصير قدر ما يكون على الجسد فقط قصير الكمين ، وبه فسر ثعلب قوله تعالى : (فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية) .

أن تَضيعَ بيني وبين عثمانَ، فلحقَهُنّ فضرب على عثمانَ بابَه، ثم قال: خُذْ أهلَك باركَ الله لك فيهم. فدخلت على عثمانَ، فأقام عندها مُقاماً طويلاً لا يخرُج إلى حاجة. فدخَل عليه سعيدُ بن العاص فقال له: ياأبا عبد الله، لقد أقمتَ عند هذه الدَّوْسيَّة مُقامًا ما كنتَ تُقيمه عند النساء. فقال: أَمَا إنه ما بَقيتْ خَصْلةٌ كنتُ أُحبُّ أن تكون فى امرأة إلا صادفتُها فيها ما خَلَا خَصْلةً واحدةً. قال: وما هى؟ قال: إنّى رجل قد دَخَلْتُ فى السِّنّ، وحاجتى فى النساء الولدُ، وأَحْسَبُها حديثةً لا ولَدَ فيها اليومَ. قال: فتبسّمتْ. فلمّا خرج سعيدٌ من عنده قال لها عثمانُ: ما أضحكك؟ قالت: قد سمعتُ قولَك فى الولد، وإنى لمن نسوةٍ ما دخلتِ امرأةٌ منهنّ على سيّدٍ قطُّ فرأتْ حَمْراءَ[(1)] حتى تَلِدَ سَيِّدًا مَنْ هو منه. قال: فما رأتْ حمراءَ حتى ولدتْ عَمرو بن عثمان.

وأُمُّ عمر بن عمرو بن عثمان أُمُّ ولدٍ. وأُمُّ العَرْجِىّ آمنـةُ بنتُ عمرَ بنِ عُثْمان؛ وقال إسحاقُ: بنتُ سعيدِ بنِ عثمانَ، وهى لأُمِّ ولد.

سبب تلقبه بالعرجى ونحوه نحو عمر بن أبى ربيعة فى شعره

أخبرنى الحَرَمىُّ بن أبى العَلَاء قال حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدّثنى عمّى:

أنه إنمـا لُقِّب العَرْجِىَّ لأنه كان يسكُن عَرْجَ[(2)] الطائف. وقيل: بل سُمِّى بذلك لمـاءٍ كان له ومالٍ عليه بالعَرْج. وكان من شعراء قريش، ومَنْ شُهِر بالغَزَل منها، ونحا نحوَ عمرَ بنِ أبى ربيعةَ فى ذلك وتَشبَّه به فأجاد. وكان مَشْغُوفاً باللَّهْو والصَّيْد حَريصًا عليهما قليلَ المُحاشاة[(3)] لأحدٍ فيهما. ولم يكن له نَبَاهةٌ فى أهله، وكان أشْقَر أزرقَ جميلَ الوجه. وجَيْداءُ التى شبَّب بهـا هى أُمُّ محمـد بن هِشَام بن إسماعيل

---

(1) فرأت حمراء، كناية عن الحيض. تريد أنها تلد من يفوق أباه. (2) عرج الطائف: قرية جامعة فى واد من نواحى الطائف وهى أوّل تهامة، وبينها وبين المدينة ثمانية وسبعون ميلا، وهى فى بلاد هذيل. (3) أى قليل المبالاة والاكتراث بأحد فيهما.

المخزومىّ، وكان يَنْسُب بها ليفضَح ٱبنَها لا لمحبّـةٍ كانت بينهما؛ فكان ذلك سببَ حَبْسِ محمد إيّاه وضَرْبِهِ له، حتى مات فى السِّجْن .

وأخبرنى محمد بن مَزْيَد إجازةً عن حَمّادِ بنِ إسحاقَ فذكَر أن حمادا حدّثه عن إسحاقَ عن أبيه عن بعض شُيوخه :

أنّ العَرْجِىّ كان أَزْرَقَ كَوْسَجًا[1] ناتئَ الحَنْجَرة، وكان صاحبَ غَزَلٍ وفُتُوّةٍ[2]، وكان يسكُن بمالٍ له فى الطائف يسمّى العَرْج؛ فقيل له العَرْجِىّ ونُسب إلى ماله . وكان من الفُرْسان المعدودين مع مَسْلَمَةَ بن عبد الملك بأرض الروم، وكان له معـه بَلاءٌ حسنٌ ونفقة كثيرة .

قال إسحاق : قد ذكر عُتْبةُ بنُ إبراهيمَ اللّهبىّ[3] : أنّ العرجىّ فيما بلَغه باع أموالاً عِظَامًا كانت له وأطعم ثمنَها فى سبيل الله حتى نَفِدَ ذلك كلُّه، وكان قد ٱتّخذ غلامين، فاذا كان الليـلُ نَصَب قِدْرَه[4] وقام الغلامان يُوقِدان، فاذا نام واحدٌ قام الآخرُ، فلا يزالان كذلك حتى يُصْبِحا، يقول : لعلّ طارقًا يَطْرُق .

أخبرنى حَبِيبُ بنُ نَصْر قال حدّثنا أحمدُ بن أبى خَيْثَمَةَ قال حدّثنى مُصْعَب، وأخبرنا الحَرَمِىّ عن الزُّبَير عن عمّه مُصْعَب وعن محمد بن الضَّحّاك بن عثمانَ عن أبيه قال، دخَل حديثُ بعضِهم فى بعض، وأخبرنى محمد بن مَزْيَدَ عن حَمّاد عن أبيه عن مُصْعَب قال :

---

(١) الكوسج : الأثطّ وهو الخفيف شعر اللحية أو الخفيف شعر العارضين . (٢) فى ت : «وفتوّة ومروءة» . (٣) لا ندرى أهو منسوب الى أبى لهب عم النبى صلى الله عليه وسلم، أم الى لهب وهى قبيلة من الأزد، وقد نُسب لهما جميعا . وممن نُسب الى الأوّل ابراهيم بن أبى حميد اللهبى وابراهيم بن أبى خداش اللهبى من أهل مكة . ولا ندرى أعتبة هذا ابن أحدهما أم لا . (٤) فى ت : «قدوره» .

العرجى خليفة عمر ابن أبى ربيعة

كانت حَبَشيَّةٌ من مُوَلَّدات مكةَ ظريفةٌ صارتْ إلى المدينة، فلمّا أتاهم موتُ عمرَ بنِ أبى ربيعة ٱشتدّ جَزَعُها وجعلت تبكى وتقول: مَنْ لمكةَ وشِعابِها وأباطحِها ونُزَهِها ووَصْفِ نسائها وحسنهنّ وجمالهنّ ووصف ما فيها! فقيل لها: خَفِّضى عليك، فقد نشأ فتًى من ولد عثمان رضى الله عنه يأخُذ مأخذَه ويسلُك مسلَكه. فقالت: أنشِدونى من شعرِه، فأنشدوها، فمسَحتْ عينَيها وضحكتْ وقالت: الحمد لله الذى لم يُضَيِّعْ حَرَمَه.

العر... مولا... الق...

أخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العَلَاء قال حدّثنى الزُّبَير بن بَكّار قال حدّثنى عمّى مُصْعَب، وأخبرنى محمد بن مَزْيَد قال حدّثنا حمّاد بنُ إسحاقَ عن أبيه عن عَوْرَكٍ اللِّهبىّ(١):

أنّ مَوْلاةً لثَقِيف يقال لها كَلَابة(٢) كانت عندَ عبد الله بنِ القاسم الأُمَوىّ العَبْلىّ(٣)، وكان يبلُغها تشبيبُ العَرْجىّ بالنساء وذكرُه لهنّ فى شعره، وكانت كلابة تُكثر أن تقول: لَشَدّ ما ٱجترأ العَرْجىّ على نساء قُرَيش حين(٤) يَذكُرهنّ فى شِعره! ولعَمْرِى

---

(١) تقدّم هذا الاسم فى صفحة ٤٠ من هذا الجزء وقال عنه صاحب الأغانى: إنه الحسن بن عتبة. وسيرد فى الجزء الثامن من الأغانى فى ذكر الحارث بن خالد ونسبه وخبره وقال عنه: إنه المعروف بفورك بالفاء.

(٢) كذا فى الأصول عارية عن الضبط غير أنه فى نسخة ت ضبطت فى هذا الموضع بضم الكاف وفتح اللام. وفى أ حين ذكرت فى الشعر الآتى بعدُ ضبطت بضم الكاف فقط. ولم نعثر فى كتب اللغة والتراجم على التسمية بهذا الاسم، غير أن وزن الشعر يحتّم تخفيف اللام. ويغلب على الظن أن وزنها فعالة بضم ففتح، وقد سُمِّى به كثيرا كقحافة وثمامة وأُمامة وغيرها.

(٣) هو بفتح العين وإسكان الباء نسبة الى عبلة أم قبيلة من قريش يقال لهم العبلات من بنى أمية الصغرى، والنسبة اليهم عبلى بفتح فسكون؛ لأن النسبة الى الجمع يراعى فيها المفرد. وقال ابن ماكولا: النسبة اليهم عبَلى بفتح العين والباء. قال المرتضى: والتحريك خطأ كما حققه البلبيسى فى الأنساب. وأما العبَل — بفتح العين والباء — بن عمرو بن مالك بن زيد بن رعين فأبو قبيلة أخرى.

(٤) كذا فى ت، ب، حـ. وفى سائر النسخ: «حتى».

١٥٥
١

ما لقِيَ أحدًا فيه خيرٌ، ولئن لَقِيتُه لأُسَوِّدَنّ وجهَه ! فبلَغه ذلك عنها . قال إسحاقُ فى خبره : وكان العَبْلِىّ نازلًا على ماء لبنى نَصْر بن مُعَاوِيةَ يُقال له الفُتُق[1] على ثلاثة أميال من مكّةَ على طريق مَن جاء من نَجْران أو تَبَالةَ إلى مكّة، والعَرْج أعلاها قليلًا ممّا يلى الطائفَ . فبلَغ العَرْجِىّ أنه خرج إلى مكّة، فأتى قصرَه فأطاف[2] به، فخرجتْ إليه كلابةُ وكان خلّفها فى أهله، فصاحتْ به : إليكَ، ويلكَ ! وجعلتْ تَرْمِيه بالحجارة وتمنعه أن يَدْنُوَ من القَصْر . فآستسقاها ماءً فأبتْ أن تَسْقِيَه، وقالتْ : لا يُوجَد واللهِ أَثَرُكَ عندى أبدًا فيَلْصَقَ بى منك شرٌّ . فانصرف وقال : ستعلمين ! وقال :

صــــوت

حُورٌ بعثْنَ رسولًا فى مُلاطَفَةٍ * ثَقْفًا[3] إذا غَفَل[4] النَّسَّاءةُ[5] الوَهِمُ[6]
إلىَّ أنْ إيتِنَا هَدْأً[7] إذا غَفَلتْ * أحراسُنا وآفتضحْنا إنْ هُمُ عَلِمُوا
فجئتُ أَمْشِى على هَوْلٍ أُجَشِّمُه * تَجَشُّمُ المرءِ هولًا فى الهوى كَرَمُ
إذا تخوّفتُ من شىءٍ أقولُ له * قد جفَّ فامْضِ بشىءٍ قُدِّر القلَمُ
أَمْشِى كما حرّكتْ رِيحٌ يمانيةٌ * غُصْنًا من البانِ رَطْبًا طَلَّه[8] الدِّيَمُ

(١) فى الأصول : «الفبق» بفاء فنون . وهو مصحف عن الفتق بفاء فتاء . قال فى ياقوت : «الفتق قرية بالطائف . وفى كتب المغازى أن النبي صلى الله عليه وسلم سيّر قطبة بن عامر بن حديدة الى تبالة ليغير على خثعم فى سنة تسع، فسلك على موضع يقال له فتق . وقرأت بخط بعض الفضلاء : الفَتْق من مخاليف الطائف بفتح الفاء وسكون التاء . وفى كتاب الأصمعى فى ذكر نواحى الطائف فقال : وقرية الفُتُق» اهـ .

(٢) فى ت : «فطاف» وكلاهما فصيح . (٣) يقال : رجل ثَقْف وثَقِف وثَقُف، اذا كان حاذقا فَهِما . (٤) كذا فى ت . وفى حـ : «استيقظ» . وفى سائر النسخ : «عقل» وكلاهما ظاهر التحريف . (٥) النساءة : صيغة مبالغة فى الناسى، والتاء فيه للمبالغة . (٦) الوهم : الكثير الوهم وهو السهو والغلط . (٧) الهدء : الثلث الأوّل من الليل، وذلك آبتداء سكونه وآنقطاع الناس عن المشى والاختلاف فى الطرق . (٨) طله هنا : أمطره . والديم : جمع ديمة، وهى مطر يدوم فى سكون بلا رعد و برق .

فى حُلَّةٍ من طِرازِ السُّوسِ(١) مُشْرَبةٍ(٢) * تعفُو بهُدّابها(٣) ما أثَّرتْ قَدَمُ
خَلَّتْ سَبِيلِى كما خَلَّيتُ ذا عُذُرٍ(٤) * إذا رأتْه عِتاقُ الخيلِ ينتجم(٥)
وهُنَّ فى مجلسٍ خالٍ وليس له * عينٌ عليهنّ أخشاها ولا نَدَمُ(٦)
حتى جلستُ إزاءَ البابِ مكتتماً * وطالبُ الحاجِ تحت الليلِ مُكتتِمُ
٥ أبدين لى أعيناً نُجْلاً كما نظرتْ * أُدْمٌ هِجانٌ أتاها مُصْعَبٌ قَطِمُ(٧)
قالتْ كُلابَةُ مَنْ هذا؟ فقلتُ لها * أنا الذى أنتِ من أعدائه زَعَمُوا
أنا امرؤٌ جدّ بى حبٌّ فأحرضنى(٨) * حتى بَلِيتُ وحتى شَفَّنِى السَّقَمُ
لا تَكِلِينى إلى قومٍ لو أنّهمُ * من بُغْضنا أُطْعِمُوا لحمِى إذاً طَعِمُوا
وأنْعِمى نِعْمةً تُجْزَىْ بأحسنها * فطالما مسّنى من أهلك النِّعَمُ
١٠ سَتْرُ المُحِبِّين فى الدنيا لعلّهمُ * أن(٩) يُحدِثوا توبةً فيها إذا أثِمُوا
هذى يمينى رَهْنٌ بالوَفاء لكم * فارْضَىْ بها ولأنْفِ الكاشحِ الرَّغَمُ(١٠)

(١) السوس : بلدة بخوزستان فيها قبر دانيال النبي عليه السلام . قال فى كتاب لطائف المعارف للثعالبى طبع أوروبا ص ١٠٧ فى ذكر خصائص البلاد : « ومنها السوس التى بها طراز الخزوز الثمينة الملوكية » .
(٢) الإشراب : أن تخلط لونا بلون آخر ، كأن أحد اللونين سقى الآخر؛ يقال : أُشرب الأبيض حمرة اذا علاه ذلك . وفى ت : « معلمة » . والمعلم : الثوب الذى جعلت فيه علامة . (٣) فى ت :
١٥ « أعفو » . (٤) العذر : جمع عذار ، وهو من الفرس كالعارض للإنسان؛ ثم سمى السير الذى يكون عليه من اللجام عذارا باسم موضعه . وقيل : عذار اللجام السيران اللذان يجتمعان عند القفا .
(٥) كذا فى أكثر النسخ . وفى ت : « تنتجم » . ولعله مصحف عن تنحم . والنحيم : صوت يخرج من صدر الفرس كالزحير أو هو فوقه . (٦) كذا فى أكثر النسخ ، وهو هنا بمعنى الأثر . وفى ح :
٢٠ « ولا قدم » وهو هنا مجاز عن الشخص الذى يسعى بالشرّ . وبهذا ينتفى الإيطاء لاختلاف المعنى
(٧) المصعب : الفحل الذى يودع من الركوب والعمل للفحلة . والقطم : المشتهى للضراب .
(٨) فى ت : «فأجرضنى» بالجيم . وقد تقدّم الكلام عليهما فى الحاشية رقم ٣ ص ٢٨١ من هذا الجزء .
(٩) فى ت ، م ، ى : « وإن » . (١٠) الرغم (مثلثة الراء مع سكون الغين) : الذل والقسر؛ وأصله أن يلتصق أنفه بالرغام وهو التراب . وقد حرّك فى الشعر للضرورة .

قالت رَضِيتُ ولكن جئتَ فى قمرٍ * هَـلاَّ[1] تلبَّثْتَ حتى تَـدخُلَ الظُّـلَمُ

فبِتُّ أُسْقَى بأَكْوَاسٍ[2] أُعَـــلُّ بهـا * من باردٍ طابَ منهـا الطَّعْمُ والنَّسَمُ[3]

حتّى بَدَا ساطـعٌ للفجـر نَحْسَـبُه * سَنَى حريقٍ بلَيْلٍ حين يَضْطَرِمُ

كَغُرَّة الفرسِ المَنْسُوبِ[4] قد حُسِرتْ[5] * عنه الجِـلالُ[6] تَـلاَلاَ وهـو يَلْتَجِمُ[7]

ودّعتهنّ ولا شيءٌ يُراجعـــنى * إلا البَنَانُ و إلا الأعينُ السُّجُمُ[8]

إذا أَرَدْنَ كلامِى عنـدَه اعترضتْ * من دُونه عَـبَراتٌ فَٱنثَنَى الكَلِمُ

تكاد إذ رُمْنَ نَهْضًا للقيـام معى * أعجازُهنّ من الأَنْصافِ تَنْقَصِمُ

قال : فسمِع ٱبنُ القاسم العَبْلِىّ بالشِّعْر يُغَنَّى به ، وكان العَرْجِىّ قد أعطاه جماعةً من المغنِّين وسألهم أن يُغنُّوا فيه ، فصنَعوا فى أبياتٍ منـه عدّةَ ألحانٍ ، وقال : والله لا أجد لهذه الأَمَةِ شيئًا أبلَغ من إيقاعها تحت التُّهَمة عند ٱبن القاسم ليقطَع ما أُكَلتَها من ماله . قال : فلمّا سمِـع العبلىّ بالشعر يغنَّى به أخرج كُلابةَ وٱتّهمها ، ثم أرسل بها بعد زمانٍ على بعـير بين غِرارَتَى بَعْرٍ ، فأحلفها بمكّةَ بين الرُّكْنِ والمَقَام أنّ العَرْجِىّ كَذَب فيما قاله . فحلفتْ سبعين يمينًا ، فرَضِىَ عنها وردّها . فكان بعد ذلك إذا سمِـع قولَ العَرْجِىّ :

* فطالمـا مَسَّنِى من أهلِك النِّعَمُ *

(١) فى م ، ء : « ألّا » وهى بمعنى « هـلّا » . (٢) كذا فى الأصول . والموجود فى كتب اللغـة جمعا لكأس أكؤس وكئاس وكؤوس وكأسات . فلعله محـرّف عن « أكواب » . (٣) النسم والنسيم : الريح الطيبة . (٤) المنسوب : الأصيل الكريم . (٥) حسر الشيء عن الشيء يحسرِه ويحسره فٱنحسر هنا : كشفه . (٦) الجلال : جمع جلّ ، وهو ما تلبسه الدابة لتصان به . (٧) ألجمت الفرس فالتجم أى ألبسته اللجام فلبسه . (٨) السجم : جمع سجوم . والسجوم من العيون : الكثيرة سيلان الدمع .

قال : كَذَبَ واللهِ ما مَسَّه ذلك قطُّ . وقال إسحاق : وقد قيل : إنّ صاحبَ هذه القصيدة[والقصة](1) أبو حراب العَبْلِىّ(2)، و إنّ كُلَابَةَ كانت أَمَةً لسُعْدَةَ بنتِ عبد الله بن عَمرو بنِ عثمانَ(3)، وكان العَرْجىّ قد خطَبها وسُمِّيت به(4)، ثم خطَبها يزيدُ بن عبد الملك أو الوليد بن يزيد(5) فزُوِّجته(6)، فقال العَرْجىّ هذا الشعرَ فيها . غنَّى فى قوله :

* أَمْشِى كما حَرَّكَتْ رِيحٌ يمَانيَةٌ *

علُّ بنُ هِشَام(7) هَزَجًا مطلقًا بالبِنْصر ، وفيه للمَسْدُود هَزَجٌ آخرُ طُنْبورِىٌّ ، ذكر ذلك جَحْظةُ . وفى :

* لا تَكِلِينِى إلى قومٍ لَوَ انَّهُمُ *

رَمَلٌ لآبنِ سُرَيج عن آبن المَكِّىّ و إسحاقَ(8) بالسَّبَّابة فى مَجْرى الوُسْطَى . وفى "قالت كُلَابةُ" والذى بعده لعَبيد(9) الله بن أبى غَسَّان لحنٌ من خفيف الرَّمَل . ولنبيه(10) فى "أنا آمرؤ جدْبى" وما بعدَه ، هَزَجٌ بالوُسْطَى . ولدَحْمَان فى "حُورٌ بَعَثْنَ" وما بعدَه ، هَزَجٌ بالوُسْطى ، وروى عنه الهِشَامىّ فيــه ثَقِيلًا أوّل(11) . ولأبى عيسى بن المتوكِّل فى "وأَنْعِمِى نِعمةً" و بيتين بعده ، ثَقيل أوّل .

(١) زيادة فى ت . (٢) كذا بالحاء فى أكثر النسخ . وفى ب : «أبو جراب» بالجيم وقد سمى بهما . وقد تقدّم فى ص ٢١٠ من هـذا الجزء أنه محمد بن عبد الله المعروف بأبى جراب العبلى (بالجيم) الذى قتله داود بن على وأنه أخو الثريا . (٣) فى ب ، س : «عبد الله بن عمر آبن عمرو بن عثمان» وهو خطأ (راجع المعارف لابن قتيبة ص ٩٩ و ١٠٠) . (٤) الضمير فيه لسعدة بنت عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان ، وقد كانت آبنة عم العرجى . و يريد بقوله : وسميت به أنه عرف عند الناس أنها خطيبته . (٥) فى تاريخ آبن جرير الطبرى طبع أوربا قسم ٢ ص ١٤٦٤ و ١٤٦٥ : أن سعدة آمرأة يزيد بن عبد الملك ، وقد ذكر قصتها مع يزيد فى شراء حبابة المغنية ، فراجعها . (٦) فى ب ، س : «فتزوّجته» . (٧) هو مغنّ ستأتى ترجمته فى الجـزء الحادى والعشرين من الأغانى . (٨) فى ت ، ح : «ولإسحاق» . (٩) فى ت ، ء : «عبد الله» . (١٠) كان نبيه فى أوّل أمره شاعرا لا يغنى ، ثم هوى قينة ببغداد فتعلم الغناء من أجلها ، ولم يزل يتزيد حتى جاد غناؤه وعدّ فى المحسنين . ولم نعثر له على ضبط خاص . وقد سمى بنبيه كأمير ونبيه كزبير . (١١) كذا فى أكثر النسخ . وفى ح : «ولدحمان فى حور بعثن وما بعده ثقيل أوّل عن الهشامىّ» .

وأخبرنى بخبر العَرْجىّ وكُلَابةَ هذه الحَرَمىُّ بن أبى العَلَاء عن الزُّبَيْر بن بكّار عن عمّه مُصْعَب، وأخبرنى به وَكيعٌ عن أبى أيّوبَ المَدِينىّ عن مُصْعَب وذكر نحـواً

ه كانت قَيْنةً لأبى حِرَابِ العَبْلىّ وهو محمد بن عبد الله

ن الحارث بن أُمَيّة الأصغر بن عبد شمس .

اخبرنى الحَرَمىّ بنُ أبى العَلَاء قال حدّثنا الزُّبَير بن بكّار قال أخبرنى مَسْلَمَةُ ابن إبراهيمَ بنِ هِشَام قال :

كانَ
ت

كنتُ عند أيُّوبَ بنِ مَسْلَمَةَ ومعنا أَشْعَب، فذكر قول العَرْجىّ :

أينَ ما قلتِ مُتُّ قبلَكَ أينَـا * أين تصـديقُ ما وَعَدْتِ[1] إلينا

فلقد خِفْتُ منكِ أن تَصرِمِى الحَبْـ * ـلَ وأن تَجمعى مع الصُّرْمِ بَيْنَـا

ما تقولينَ فى فَتًى هامَ إذ ها * مَ بمن لا يُنَالُ جهـلًا وحَيْنَـا

فاجْعَلِى بيننـا و بينكِ عَـدْلًا * لا تَحِيـفى ولا يَحِيفُ علينَـا

وٱعلَمِى أنّ فى القَضَـاء شُهودًا * أو يَمِينًا فأَحْضِرِى شاهدَيْنَـا

خُلّتِى لو قدَرتُ منـكِ على ما * قُلتِ لى فى الخَلَاء حينَ التقينا

ما تَحرّجتُ من دَمى علمَ اللّـ * ـهُ ولو كنتُ قد شهدتُ حُنَيْنا

قال فقال أيُّوبُ لأشعب : ما تظنُّ أنّهـا وَعدَتْه[2] ؟ قال : أخبرك يقينًا لا ظنًّا أنّها وَعَدَتْه أن تأتيَه فى شِعْب من شِعَاب العَرْج يومَ الجُمُعة إذا نزل الرجالُ إلى الطائف للصَّلاة، فعرَض لها عارِضُ شُغْلٍ[3] فقطَعها عن مَوعِده . قال : فمن كان الشاهدان؟

(١) فى ت ، ح : «عهدت» . (٢) كذا فى م ، ى ، س . وفى ح : «ما ظنها وعدته» . وفى سائر النسخ : «ما نظن أنها وعدته» . (٣) فى ب ، س : «فعرض لها شغل» .

قال : كُسَيرٌ وعُوَيرٌ، وكلُّ غيرِ خَيِّرٌ[1] : فِنْـدٌ[2] أبو زَيْد مولى عائشةَ بنتِ سعْد ؛ وزور[3] الفرق مولى الأنصار. قال : فمن العَدْلُ الحَكَمُ ؟ قال : حُصَين بن غُرير[4] الحِمْيَرىّ. قال : فما حَكَمَ به ؟ قال : أدّتْ إليه حقَّه وسقَطتِ المئُونةُ عنه. قال : يا أشعبُ، لقد أحكمتَ صِناعتَك ! قال : سَلْ علّامةً عن عِلْمِه.

١٥٧
―
١

شعر العرجى فى عاتكة زوجة طريح بن إسماعيل الثقفى

٥ أخبرنى محمد بن مَزْيَد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن عورك[5] اللِّهْبىّ قال: قال العَرْجىّ فى آمرأة من بنى حبيب (بطنٍ من بَنِى نَصْر بن معاوية) يقال لها عاتِكةُ، وكانت زوجةَ طُرَيح بنِ إسماعيلَ الثَّقفىّ :

يا دارَ عاتِكةَ التى بالأزْهَرِ[6] * أو فوْقَه بقَفَا الكَثِيبِ الأحْمرِ

لم ألْقَ أهلَكِ بعدَ عامَ لقيتُهمْ * يا ليتَ أنّ لِقاءَهم لم يُقْدَرِ

---

١٠ (١) فى مجمع الأمثال للميدانى : أن أوّل من قال هذا المثل أمامة بنت نشبة بن مرة ، تزوّجها رجل من غطفان أعور، فمكثت عنده ثم نشزت عليه فطلقها ، فتزوجت من حارثة بن مرة من بنى سليم وكان أعرج مكسور الفخذ . فلما دخل بها ورأته كذلك قالت هذا المثل . وفى ياقوت فى الكلام على كسير : كسير وعوير : جبلان عظيمان مشرفان على أقصى بحر عمان صعبا المسلك وعرا المصعد ، وأورد المثل : « كسير وعوير وثالث ليس فيه خير» . (انظر مجمع الأمثال للميدانى و ياقوت وشرح القاموس) .

١٥ (٢) هو فند مولى عائشة بنت سعد بن أبى وقاص ، وكان أحد المغنّين المجيدين ، وكان يجمع بين الرجال والنساء ، وله يقول ابن قيس الرقيات :

قل لفند يشيّع الأظعانا * طالما سرّ عيشنا وكفانا

وكانت عائشة أرسلته يأتيها بنار، فوجد قوما يخرجون الى مصر فخرج معهم فأقام بها سنة ، ثم قدم فأخذ نارا وجاء يعدو فعثر فتبدّد الجمر فقال : « تعست العجلة » فصارت مثلا . ولهذا قيل فى المثل : « أبطأ من فند » .

٢٠ (٣) كذا فى ب ، س ، حـ . وفى م ، ا ، ء ، ء : « وزرّ الفرق » . وفى معاهد التنصيص طبع بولاق ص ٣٢١ : « وزرّ العذق » ولم نعثر عليه . (٤) سيأتى هكذا بعد فى صفحة ٤٠٣ من هذا الجزء وفى ب ، س ، ا ، م : « عرير » وفى ء : « عوير » . وفى حـ ، ء : « عزير » . (٥) تقدّم هكذا فى صفحة ٤٠٠ من هذا الجزء . وفى ء ، حـ : « عورك » . وفى سائر النسخ : « عون » . (وانظر الحاشية رقم ١ ص ٣٨٧) من هذا الجزء . (٦) فى معجم ياقوت فى مادّة

٢٥ الأزهر : « الأعفر » .

صـــوت

بِفَناء بيتك وآبْنُ مِشْعَبَ حاضرٌ * فى سامِرٍ(1) عَطِرٍ وليـــلٍ مُقْمِرِ
مُستشعِرِينَ(2) مَلاحِفًا(3) هَرَوِيَّةً * بالزَّعْفَــران صِباغُها والعُصْفُرِ
فتلازَمَا عنـــدَ الفراقِ صَبَابةً * أَخْذَ الغَريم بفضْل ثَوبِ المُعْسِرِ

الأَزْهرُ : على ثلاثة أميال من الطّائف(4) . وآبنُ مِشْعَبٍ الذى عناه مغنٍّ من أهل مكّةَ كان فى زَمن آبنِ سُرَيج . والغناءُ فى هذه الأبيات له رَمَلٌ بالوُسْطى . قال إسحاق : كان آبنُ مشعب من أحسن الناس وَجهًا وغِناء(5) ، ومات فى تلك الأيام ، فأدخلَ الناسُ غناءَه فى غناء آبن سُرَيج والغَريض . قال : وهذا الصوتُ ينسُبه مَن لا يعلم إلى آبن مُحْرِزٍ ، يعنى :

* بفِناءِ بيتك وآبن مشعب حاضرٌ *

قال : وهو الذى غنّى :

أَقْفَرَ ممّن يَحُــلُّه السَّنَدُ(6) * فالمُنحنَى(7) فالعَقيقُ فالجُمُـــدُ(8)
وَيْحِى(9) غدًا إنْ غَدَا علىّ بمـا * أَحذَرُ من فُرقة الحَبيب غَدُ

والناس ينسبونه إلى آبن سريج .

---

(1) السامر : مجلس السّمّار . والسامر أيضا : اسم جمع بمعنى السمار ، كالحاج بمعنى الحجاج .
(2) مستشعرين : لابسين ؛ يقال : آستشعر الثوب أى لبسه ، وأصله من الشعار وهو ما يلبس تحت الدثار . (3) الملاحف : جمع مِلْحَف ومثله المِلحفة واللِّحاف ، وهو كل ما التُحِف به .
(4) فى ت : « من مكّة » . وعبارة ياقوت : « الأزهر موضع على أميال من الطائف » .
(5) فى ت ، حـ : « أحسن الناس غناء » . (6) فى معجم ياقوت : سند فى قول النابغة : * يا دار ميّة بالعلياء فالسند * بلد معروف فى البادية . ثم قال وقال الأدبى : سند بفتحتين : ماء معروف لبنى سعد . (7) المنحنى : موضع قرب مكّة ، كما فى شرح القاموس .
(8) الجُمْد : جبل لبنى نصر بنجد ، كما فى ياقوت . (9) فى ت : « ويلى » .

حكاية يرويها ابن مخارق عن العرجى

أخبرنى الحرمىّ بن أبى العَلاء قال حدّثنا الزبيرُ قال حدّثنا محمدُ بن ثابت بن إبراهيم الأنصارىّ قال حدّثنى ٱبنُ مُخَارِق قال :

وَاعَدَ العرجىُّ هَوًى[1] له شِعْبًا من شِعَاب عَرْج الطائف إذا نزَل رجالُها يومَ الجمعة إلى مَسْجِد الطائف. فجاءت على أَتانٍ لها معها جاريةٌ لها، وجاء العرجىُّ على حِمار معه غلام له، فواقع المرأةَ، وواقع الغلامُ الجاريةَ، ونَزَا الحمارُ على الأَتان. فقال العرجىّ : هذا يومٌ قد غاب عُذَّاله .

غنى العرجى

أخبرنى عمّى قال حدّثنا الكُرَانىّ قال حدّثنا النَّضْر بن عمرو عن ٱبن دَاحَةَ قال :

كان العرجىّ يَستقى على إبله فى شَمْلَتين[2]، ثم يغتسل ويَلْبَس حُلّتين بخمسمائة دينار، ثم يقول :

يومًا لأصحابى ويومًا للمالْ * مِدرعةٌ[3] يومًا ويومًا سِرْبالْ[4]

أخبرنى محمد بن مَزْيَد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن بعض رجاله :

أنّ العرجىّ كان غازيًا فأصابت الناسَ مجاعةٌ، فقال للتجار: أَعطُوا الناسَ وعلىّ ما تُعْطُون، فلم يزل يُعطِيهم ويُطْعِمُ الناسَ حتى أَخْصبوا[5]، فبلَغ ذلك عشرين ألفَ دينار، فألزمها العَرْجىُّ نفسَه[6]. وبلغ الخبرُ عمرَ بنَ عبد العزيز فقال : بيتُ المال أَحقُّ بهذا، فقضى التُّجّارَ ذلك المالَ من بيت المال .

(١) هوى بمعنى مهوىّ أى محبوبة، كما فى قول الشاعر : * هواى مع الركب اليمانين مصعد *
(٢) الشملة : كساء مخمل دون القطيفة يُشتمل به. قال أبو منصور : الشملة عند العرب : مئزر من صوف أو شعر يؤتزر به، فاذا لفّق لفقين فهى مِشْمَلة يشتمل بها الرجل إذا نام بالليل. (٣) قال فى اللسان : والمدرع : ضرب من الثياب التى تلبس، وقيل جبة مشقوقة المقدم. والمدرعة : ثوب آخر ولا تكون إلا من الصوف خاصة. (٤) السربال : القميص أو الدرع، وقيل : كل ما لبس فهو سربال. (٥) فى حـ : «حتى أحصى». (٦) فى حـ : «فالتزمها العرجىّ». وفى ب : «فالتزمها العرجىّ نفسه».

العرجىّ وأم الأوقص وهو محمد ابن عبد الرحمن المخزومىّ القاضى

١٥٨
١

أخبرنى الحرمىّ قال حدّثنا الزُّبير عن عمّه، وأخبرنى محمدُ بن مزيد قال حدّثنا حمّادُ بن إسحاق عن أبيه عن الزُّبيرى(1) وغيره :

أنّ العرجىّ خرج إلى جَنَبات(2) الطائف مُتنزِّهًا(3)، فمرّ ببطن النَّقيع(4) فنظر إلى أمّ الأَوْقَص، وهو محمدُ بن عبد الرحمن المخزومىّ القاضى، وكان يتعرّضُ لها، فإذا رآها رَمتْ بنفسها وتستَّرت منه، وهى آمرأة من بنى تَميم، فبَصُر بها فى نِسْوةٍ جالسةً وهنّ يتحدّثن، فعرَفها وأحبَّ أن يتأمَّلها من قُرب، فعدَل عنها ولقِى أعرابياً من بنى نصر على بَكْرٍ له ومعه وَطْبَا(5) لَبنٍ، فدفَع إليه دابّتَه وثيابَه وأخذ قَعُودَه ولبنَه ولَبِس ثيابَه، ثم أقبلَ على النسوة فَصِحْنَ به : يا أعرابىُّ، أَمَعك لبنٌ؟ قال نعم، ومالَ إليهنّ وجلس يتأمّل أُمَّ الأوقص، وتَواثَب مَنْ معَها إلى الوَطْبين، وجعل العرجىُّ يلاحظها وينظُر أحياناً إلى الأرض كأنه يطلبُ شيئا وهُنّ يشرَبْنَ من اللّبن. فقالت له آمرأةٌ منهنّ : أىَّ شىء تَطلُب يا أعرابىُّ فى الأرض؟ أضاعَ منكَ شىءٌ؟ قال : نعم قلبِى. فلمّا سمعت التّميميّةُ كلامَه نظرتْ إليه وكان أزرقَ فعرفتْه، فقالت : العرجىُّ بن عمرَ وربِّ الكَعبة! ووثَبتْ وستَرها نساؤُها وقلن : آنْصرِفْ عنّا لاحاجةَ بنا إلى لبنكَ. فمضى مُنصرِفًا، وقال فى ذلك :

أقول لصاحبَىَّ ومثلُ ما بِى ❊ شكاهُ المرءُ ذو الوَجْدِ الأليمِ

(1) كذا فى ب، س. وفى حـ : «الزبير». وفى سائر النسخ : «الزهرى». (2) جنبات : جمع جنبة وهى الناحية. (3) قال ابن سيده : تنزه الانسان : خرج الى الأرض النزهة (وهى الأرض البعيدة النائية من الأنداء والمياه والغمق). قال : والعامة يضعون الشىء فى غير موضعه ويغلطون فيقولون : خرجنا نتنزه، إذا خرجوا الى البساتين فيجعلون التنزه الخروج الى البساتين والخضر والرياض، وانما التنزه : التباعد عن الأرياف والمياه حيث لايكون ماء ولا ندى ولا جمع ناس، وذلك شق البادية، ومنه قيل : فلان يتنزه عن الأقذار وينزه نفسه عنها أى يباعد نفسه عنها. قال المرتضى : قال شيخنا نقلا عن الشهاب : لايخفى أن العادة كون البساتين فى خارج القرى غالبا، ولاشك أن الخروج اليها تباعد. (راجع لسان العرب وشرح القاموس مادة نزه). (4) كذا فى معاهد التنصيص طبع بولاق فى ترجمة العرجىّ ص ٤٢٢، والنقيع كما فى القاموس : موضع بجنبات الطائف. وفى الأصول : «البقيع» بالباء وهو تصحيف. (5) الوطب : سقاء اللبن.

إلى الأَخَوَيْنِ مثلِهما إذا ما * تأوّبه مُؤَرِّقَـةُ الهمـوم

لِحَيْنِي والبـلاءِ لقيتُ ظُهْرًا * بأعلَى النَّقْـع[1] أُختَ بنِي تميم

فلمّـا أن رأتْ عينايَ منهـا * أَسِـيلَ الخـدّ فى خَلْقٍ عَمِيم[2]

وعَيْنَيْ جُؤذَرٍ خَرِقٍ[3] وثَغْـرًا * كلَونِ الأُقْحُـوانِ وجِيدَ رِيم

٥ حَنَـا أترابُهـا دُونِى عليهـا * حُنوَ العـائداتِ على السَّـقيم

قال إسحاق فى خبره: فقال رجل من بنى جُمَحَ يقال له ٱبْنُ عامر للأوقص وقَضَى عليـه بقَضيّة فتظلَّم منـه[4] : والله لو كنتُ أنا عبـدَ الله بن عُمر العَرْجىّ لكنتَ قد أسرفتَ علىّ . فضرَبه الأوقص سبعين سوطا .

أبو السائب المخزومى وشعر العرجى

أخبرنى حَبيب بن نصر المهلّبىّ قال حدّثنا أحمد بن زُهَير قال حدّثنا مُصعَبُ

١٠ ٱبنُ عبد الله عن أبيه قال :

أتانِى أبو السّائبِ المَخْزومىُّ ليلةً بعدَ ما رقَد السّامرُ فأشرفتُ عليه . فقال: سَهِرتُ وذكَرتُ أخًا لى أستمتِعُ به ، فلم أجد سواكَ . فلو مضينا إلى العَقيق فتناشدْنا وتحدّثْنا ! فمَضينا ، فأنشدتُه فى بعض ذلك بيتَيْن للعرجى :

باتَا بأنعَمِ ليـلةٍ حـتّى بدا * صُبْحٌ تَلوّح كالأَغَرّ الأشـقَرِ

١٥ فَتلازَمَا عندَ الفِـراق صبابةً * أَخْذَ الغَرِيمِ بفَضلِ ثوبِ المُعسِرِ

فقال : أعِدْه علىّ ، فأعدتُه . فقال : أَحسنَ والله ! امرأتُه طالقٌ إنْ نطَق بحرف غيره حتّى يرجعَ إلى بيته . قال: فلقينا عبدَ الله بن حسن بن حسن ، فلمّا صِرْنا إليه وقَف[5] بنا وهو مُنصرِفٌ من ماله يريد المدينةَ ، فسلَّم ثم قال: كيفَ أنتَ يا أبا السائب؟ فقـال :

٢٠ (١) النقع : موضع قرب مكة فى جنبات الطائف . (٢) عميم : تام . (٣) يقال : خرِق الظبى فهو خرِق ، إذا دهش من فزع . (٤) كذا فى حـ . وفى سائر النسخ : « فتظلم منـه وقال له الخ » . وكلمة « وقال له » مكررة لاداعى اليها . (٥) كذا فى ت . وفى سائر النسخ : «ووقف » ؛ بالواو . وقد تزاد الواو فى جواب « لما » .

١٥٩ / ١

فتلازما عنـــد الفـــراق صبابةً * أخْذَ الغريم بفَضل ثوب المعسر

فالتفتَ إلىّ فقـــال : متى أنكرتَ صاحبَك ؟ فقلت : منذُ الليـــلة . فقال : إنّالله ! وأىُّ كَهْلٍ أُصيبتْ منـــه قريشٌ ! ثم مضَيْنا، فلقينا محمـــدَ بنَ عِمْرانَ التَّيْمىّ قاضىَ المدينـــةِ يريد مالًا له على بَغلةٍ له ومعه غلامٌ على عُنُقه مِخْلاةٌ فيها قَيْـــدُ البغلة، فسلَّم ثم قال : كيفَ أنتَ يا أبا السائب ؟ فقال :

فتلازما عنـــدَ الفِراق صـــبابةً * أخْذَ الغريم بفَضـــل ثوبِ المُعسر

فالتفتَ إلىّ فقال : متَى أنكرتَ صاحبَك ؟ قلتُ : آنفًا . فلمّا أراد المُضىَّ قلتُ : أَفَتَدَعُه هكذا ؟ والله ما آمَنُ أن يتهوَّر[1] فى بعض آبار العقيق ! قال : صدقتَ ، ياغلامُ ، قَيْدَ البغلة ، فاخَذ القيدَ فوضَعه فى رِجْله وهو يُنْشدُ البيتَ ويُشير بيده إليه يُرِى أنه يفهَم[2] عنـــه قِصّتَه . ثم نزل الشيخُ وقال لغلامه : يا غلامُ ، احمِلْه على بغلتِى وأَلْحِقْـــه بأهله . فلمّا كان بحيثُ علمتُ أنه قد فاته أخبرته بخبره ، فقال : قَبَّحَك الله ماجِنًا ! فضَحْتَ شيخًا من قُريش وغَرَرْتَنى .

ابن أبى عتيق وشعر العرجى

أخبرنى الحرمىّ بن أبى العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثنى عُرْوةُ بن عبد الله بن عروة بن الزبير عن عروة بن أُذَينة[3] قال :

---

(١) يتهوّرهنا : يسقط . (٢) لعلها : «يريد أن يفهم عنه قصته» . (٣) كذا فى حـ . وفى ت : «حدّثنى عمرو بن الزبير عن عروة بن أذينة» . وفى سائر النسخ : «حدّثنى عروة بن عبد الله ابن عروة بن الزبير بن عروة بن أذينة» . وهـــذه الرواية ظاهرة التحريف ؛ فان عروة بن الزبير بن العوّام ليس ابنا لعروة بن أذينة . و يظهر أن نسخة حـ أقرب للصواب ، غير أنه يلاحظ أن فيها عروة بن عبد الله بن عروة بن الزبير ، ولم يرد هذا الاسم فى كتب التراجم ، ولم يعرف أن لعبد الله بن عروة بن الزبير ابنا اسمه عروة ، و إنما ابنه عمر بن عبد الله بن عروة بن الزبير ، والمعروف أنه روى عن أبيه وجده ولم يعرف أنه روى عن عروة بن أذينة . فلعل الصواب فى هذه النسخة : «حدّثنى عمر بن عبد الله عن عروة بن الزبير عن عروة بن أذينة» ؛ لأن رواية عروة بن الزبير عن عروة بن أذينة و إن لم يرد فى كتب التراجم ما يثبتها ، أقرب من رواية عمر بن عبـــد الله بن عروة بن الزبير عنه . وأما نسخة ت فلم نستطع التثبت من صحتها ؛ لأنه لم يرد فى كتب التراجم من تسمى بعمرو بن الزبير ، حتى نعلم أروى عن عروة بن أذينة أم لا .

٥ ١٠ ١٥ ٢٠

أنشد ٱبنُ جُنْدَبٍ الهُذَلىّ ٱبنَ أبى عَتِيق قولَ العَرْجىّ :

وما أنْسَ مِ الأَشياءِ لا أنْسَ قولَها * لخادمها قُومِى ٱسْأَلِى لِى عن الوِتْرِ
فقالت يقول الناسُ فى سِتَّ عَشْرةً * فـلا تعجَلِى منـهُ فإنّـك فى أجْرِ
فمـا ليلةٌ عنـدِى وإن قيل جمعةٌ * ولا ليلةُ الأَضْحَى ولا ليـلةُ الفِطْرِ
٥ بعادلةِ الإثنينِ عنـدى وبالحَـرَى * يكونُ سـواءً منهما ليلةُ القَـدْرِ

فقال ٱبنُ أبى عتيق : أُشهدكم أنّهـا حُرّةٌ من مالِى إن أجازَ ذلك أهلُها ، هـذه واللهِ أَفْقَهُ من ٱبن شِهَاب .

شعر العرجى فى زوجته أم عثمان بنت بكير بن عمرو ابن عثمان بن عفان

أخبرنى حَبِيب بنُ نصر قال حدّثنا عمرُ بن شَبّة قال حدّثنا إسحاقُ بنُ إبراهيمَ المَوْصِلىّ قال :

١٠ تزوّجَ العرجىّ أمّ عثمانَ بنتَ بُكَير بن عمرو بن عثمان بن عَفّان، وأُمُّها سُكَينةُ بنت مُصْعَب بن الزُّبَير ، فقال فيها :

إنّ عثمانَ والزُّبَـيْرَ أحَلّا * دارَها باليَفَـاعِ[1] إذ وَلَدَاهـا
إنّها بنتُ كلِّ أبْيضَ قَـرْمٍ[2] * نال فى المجد من قُصَىٍّ ذُرَاها
سَكَنَ النـاسُ بالظَّواهِرِ منها[3] * وتَبَـوَّا لنفسِـه بَطْحَاها

١٥ قال إسحاقُ : ولمّـا تزوّج الرشيدُ زوجتَه العُثْمانيّةَ أُعْجِب بها ، فكان كثيرًا ما يتمثّل بهذه الأبيات .

العرجى وأبو عدى العبلى

أخبرنى محمد بن مَزْيَد قال حدّثنا حَمّـاد بن إسحاق عن أبيه قال :

(١) اليفاع : المشرف من الأرض والجبل . (٢) القرم من الرجال : السيد المعظم .
(٣) انظر الكلام على قريش الظواهر وقريش البطاح فى الحاشية رقم ٣ ص ٢٥٤ من هذا الجزء .

حُدِّثت أنّ أبا عَدِىّ العَبْلِىّ خرج يُريد واديًا نحوَ الطائف يقال له جِلْدانُ[١]، فمرّ بعبد الله بن عمر العَرْجِىّ وهو نازلٌ هناك بوادٍ يقال له العَرْجُ، فأرسل إليه غلاما له فأعلمه بمكانه، فأتاه الغلام فقال له : هذا أبو عدىّ، فأمر أن يُنزِلَه فى مسجد الخَيْف[٢]، فأنزله وأبطأ عليه فى الخروج. فقال للغلام : وَيْحك ! ما يَحْبِسُ مولاك؟ قال : عنده آبنُ وَرْدَانَ مَوْلَى معاوية، وهما يأكلان القَسْبَ[٣] والجُلْجُلانَ[٤]. ثم بعث إليه بخُبْز ولبن، وبعث لرواحله بحَمْض[٥]، وقدّم إلى رواحل آبن وَرْدان القَتَّ[٦] والشَّعِيرَ. فكتب إليه أبو عَدِىّ :

أبا عُمَرٍ لَمْ تُنْزِلِ الركبَ إذ أَتَوْا * منازلَهم والرَّكْبُ يَحْفَوْنَ[٧] بالرَّكْبِ
رفعتَ لِئَامَ الناسِ فوق كِرَامِهمْ * وآثَرْتَهم بالجُلْجُلانِ وبالقَسْبِ
فأمّا بَعِيرانَا فبالْحَمْضِ غُذِّيَا[٨] * وأُوثِرَ عَبَّادُ بنُ وَرْدَانَ بالقَضْبِ[٩]

فكتب إليه العَرْجِىّ :

أتانا فلم نَشْعُرْ به غيرَ أنّه * له لِحيَةٌ طالتْ على حَمَقِ القَلْبِ

---

(١) قال ياقوت : جلدان — بكسر الجيم وسكون اللام، وآختلف فى الدال فمنهم من رواها مهملة ومنهم من رواها معجمة — : موضع قرب الطائف يسكنه بنو نصر بن معاوية من هوازن. (٢) كذا فى ب، س، حـ. والظاهر من سياق الحكاية أنه غير مسجد الخيف المعروف بمنى. وفى سائر النسخ : «الضيف» ولم تترجح عندنا إحدى الروايتين. (٣) القسب : التمر اليابس يتفتت فى الفم صلب النواة. (٤) الجلجلان : السمسم. (٥) الحمض : ما ملح وأمرّ من النبات وهو كفاكهة الإبل تأكله عند سآمتها من الخلة. وهى ما حلا من النبات. (٦) فى المصباح : القت : الفِصْفِصَة اذا يبست. وقال الأزهرى : القت : حب برىّ لا ينبته الآدمى، فاذا كان عام قحط وفقد أهل البادية ما يقتاتون به من لبن وتمر ونحوه، دقوه وطبخوه واجتزءوا به على ما فيه من الخشونة. (٧) حَفِىَ به يَحْفَى حَفاوة وحِفاية : بالغ فى إكرامه. (٧) فى ت، أ، م، ء : «ففى الحمض عديا». (٩) تقدّم أن الذى قدّم لرواحل ابن وردان هو القت والشعير. فلعله يريد بالقضب هنا القت وهو أحد معانيه؛ لأن أهل مكة يسمّون القت القضب.

كَرايةِ بَيْطارٍ(١) بأعْلَى حديدةٍ(٢) * إذا نُصِبتْ لم تَكْسِبِ الحمدَ بالنَّصْبِ
أتانا على سَغْبٍ(٣) يُعَرِّضُ بالقِرَى * وهل فوقَ قُرْصٍ من قِرًى صاحبِ السَّغْبِ

قال : فارتحل أبو عدىّ مُغْضَبا وقال : مزحتُ معه فهجانى ، وأنشأ يقول فى العرجىّ :

٥ سَرتْ ناقتى حتّى إذا مَلّتِ السُّرَى * وعارضَها عَرْجُ الجبانة(٤) والخِصْبِ
طَواها الكَرَى بعدَ السُّرَى بمُعَرَّسٍ * جَديبٍ وشيخٍ بئسَ(٥) مُستعرِضُ الرَّكْبِ
وهَمَّتْ بتعريسٍ فحَلَّتْ قُيُودَها * إلى رجلٍ بالعَرْجِ ألأمَ من كَلْبِ
تَمَطَّى(٦) قليلًا ثم جاء بصَرْبةٍ(٧) * وقُرْصِ شعيرٍ مثلِ كِرْكِرَةِ السَّقْبِ(٨)
فقلتُ له أُرْدُدْ قِراكَ مُذَمَّمًا * فلستُ إليه بالفَقيرِ ولا صَحْبى
١٠ جَزَى اللهُ خيرًا خيرَنا عند بيتِه * وأنْحَرَنا للكُومِ فى اليومِ ذى السَّغْبِ
لقد عَلِمَتْ فِهْرٌ بأنّك شرُّها * وآكَلُ فِهْرٍ للخبيثِ من الكَسْبِ
وتلبَس للجاراتِ إتْبًا(٩) ومِرْطًا(١٠) * ومِئْزَرًا فبئس الشيخُ يَرْفُلُ فى الإتْبِ

(١) البيطار : معالج الدواب ، من البَطر وهو الشقّ . وراية البيطار يضرب بها المثل فى الشهرة فيقال : « أشهر من راية البيطار » . (٢) فى حـ : « جريدة » . (٣) السغب بسكون الغين
١٥ وتحريكها : الجوع . وفى ت ، أ ، ء ، م : « سقب » بالقاف وهو تحريف .
(٤) كذا فى ب ، سـ . وفى ت ، حـ ، م : « الخيانة » وفى ء : « الحبابة » . وفى أ هكذا من غير نقط : « الحىانه » . (٥) كذا فى حـ ، ت . وفى سائر النسخ : «وشيخ جديب الخ» . (٦) تمطى : تمدد وتبختر فى مشيته وتطاول . (٧) الصربة بسكون الراء وتحريكها : واحدة الصرب وهو اللبن الذى حبس فى السقاء أياما حتى اشتدّ حمضه . (٨) السقب :
٢٠ ولد الناقة . والكركرة بالكسر : زور البعير الذى إذا برك أصاب الأرض ، وهى ناتئة عن جسمه كالقرصة .
(٩) الإتب : ثوب يشق فى وسطه ثم تلقيه المرأة فى عنقها من غير جيب ولا كمين . (١٠) المرط : كساء من خز أو صوف أو كتان ، وقيل : هو الثوب الأخضر وجمعه مروط .

يُدَخِّنُ بالعُود اليَلَنْجُوجِ مَرَّةً ⁽¹⁾ * وبالضَّرْوِ ⁽²⁾ والسَّوْداءِ ⁽³⁾ والمائعِ الرَّطْبِ ⁽⁴⁾

فإنْ قلتَ عثمانُ بنُ عفّانَ والذى * فقد كان عثمانٌ بريئا من الوِشْبِ ⁽⁵⁾

وقِدْمًا يجىءُ الحىُّ بالنَّسْلِ مَيِّتًا * ويأتى كريمُ الناسِ بالوَكَلِ ⁽⁶⁾ الثِّلْبِ ⁽⁷⁾

له لِحْيَةٌ قد مُزِّقَتْ فكأنّها * مَقَمَّةُ ⁽⁸⁾ حَشَّاشٍ مُخالَفَةُ العُشْبِ ⁽⁹⁾

فلمّا بلغ ذلك العَرْجِىَّ أتى عَمَّه علىَّ بن عبد الله بن علىٍّ العَبْلِىَّ ⁽¹⁰⁾ فشقّ قميصه بين يديه وشكاه إليه. فبعث إلى أبى عَدِىّ فنهاه عنه وقال: لئن عُدْتَ لا كلَّمْتُكَ أبدًا، فكفّ عنه.

كان العرجى من أفرس الناس أرماهم وأبراهم لسهم

أخبرنى محمد بن مَزْيَد قال حدّثنا حمّاد بنُ إسحاقَ عن أبيه عن سليمانَ بن عثمانَ ابن يَسَار: رجلٍ من أهل مكّةَ وكان هيبًا ⁽¹¹⁾ أديبًا قال:

كان للعَرْجِىّ حائطٌ يقال له العَرْج فى وَسَط بلادِ بنى نَصْر بن مُعاوية، فكانت إبلُهم وغَنَمُهم تدخُل فيه فيَعْقِر كلَّ ما دخَل منها، فكانت تَضُرّ به ويَضُرّ

(1) اليلنجوج والألنجوج: عود طيب الريح يُتبخر به. (انظر اللسان مادة: لنج). (2) فى اللسان: الضرو بكسر الضاد وفتحها: شجر طيب الريح يستاك به ويجعل ورقه فى العطر. ثم قال: والضرو: المحلب، ويقال الحبة الخضراء. قال أبو حنيفة: وأكثر منابت الضرو باليمن، وقال: إنه من شجر الجبال وهو مثل شجر البلّوط العظيم، له عناقيد كعناقيد البُطْم غير أنه أكبر حبا، ويطبخ ورقه حتى ينضج، فاذا نضج صُفِّىَ ورد الماء إلى النار فيعقد ويصير كالقُبَّيْطى يُتداوى به من خشونة الصدر ووجع الحلق. (3) السوداء: هى الحبة المعروفة، واسمها بالفارسية الشونيز. (4) المائع الرطب: ضرب من الطيب. (5) الوشب بالكسر: واحد الأوشاب، وهم أوباش الناس وأخلاطهم. (6) الوكل (بفتح الكاف وكسرها): العاجز البليد الذى يكل أمره إلى غيره. (7) كذا فى ت. والثلب: الرجل المعيب المثلم الذى يتنقصه الناس. وفى حـ: «الحلب». وفى سائر النسخ: «الوثب». (8) المقمة: المكنسة. والحشاش: الذى يحتش الحشيش وهو اليابس من الكلأ. (9) كذا فى ء وهى أنسب النسخ. وفى م: «مخالفة العشب» ولعلها مصحفة عن سابقتها. وفى حـ، أ: «مخالفة القشب». وفى سائر النسخ: «مخالفة القشب» وقشب الطعام: ما يُلقى منه مما لا خير فيه.

(10) فى ت، حـ: «أتى عمه عبد الله بن على». (11) الهيب: المهيب.

بأهلها ويَشْكُونه ويشكوهم . وكان من أَفْرس الناسِ وأَرْماهم وأَبْرَاهم لسَهْم ، فكان ربمّا بَرَى مائةَ سَهْمٍ من الرُّمّان ، ثم يقول : والله لا أنقلب حتى أقْتُل بها مائةَ خَلِفَةٍ[1] من إبلِ بني نَصْر ، فيفعلُ ذلك .

قال إسحاق : فحدّثني ٱبن غُرَير[2] قال : لمّا حُبِس العَرْجِيّ وضُرِب وأُقيم على البُلُس[3] قال :

٥

مَعِي ٱبنُ غُرَيْرٍ واقِفًا في عَبَاءةٍ * لَعَمْرِي لقدْ قَرّتْ عيونُ بني نَصْرِ

فقال فتى من بني نصر يُجيبه — وكان حاضرا لضَرْبِه وإقامته — :

أجَلْ قد أَقرّ اللهُ فيكَ عيونَنا * فبِئْسَ الفتَى والجارُ في سالِفِ الدّهْرِ

وقال إسحاقُ في خبره : قال رجلٌ للعَرْجِيّ : جِئتُكَ أخطُب إليكَ مودّتَكَ . قال : بل خُذْها زِنًا ؛ فإنها أحْلَى وألذّ !

١٠

تمثل امرأة بشعر العرجيّ وقد لمت على رفثها في الحج

أخبرني محمدُ بن خَلَفٍ وَكِيعٌ قال حدّثنا إسماعيلُ بن مُجَمِّع عن المدائنيّ عن عبد الله بن سلم[4] قال :

قال عبد الله بنُ عمرَ العُمَرِيّ : خرَجْتُ حاجًّا ، فرأيتُ امرأةً جميلةً تتكلّم بكلام أرْفَثَتْ[5] فيه ، فأدْنَيْتُ ناقتي منها ، ثم قلتُ لها : يا أمةَ الله ، ألستِ حاجّةً ! أمَا تخافين الله ! فسفَرتْ عن وجهٍ يبهر الشمسَ حُسْنًا ، ثم قالت : تأمّلْ ياعمِّ ! فإنّني ممّن عَنَاه العَرْجِيّ بقوله :

١٥

(١) الخلفة : الناقة الحامل ، وجمعها خلف بكسر اللام ، وقيل جمعها مخاض على غير قياس ، كما قالوا لواحدة النساء : امرأة . (٢) كذا في ح ، ر . وفي ت : « ابن عزير » . وفي سائر النسخ : « عزير » . (٣) كذا في س . وفي م ، أ : « البليس » وفي ء : « التايس » وهما محرّفان عنها . وفي سائر النسخ : « على الناس » . والبلس : غرائر كبار من مسوح يجعل فيها التبن و يشهر عليها من ينكل به و ينادى عليه . ومن دعائهم : « أرانيك الله على البلس » . (٤) في ب ، س : « سلام » . (٥) كذا في أكثر النسخ . وفي ب ، س : « رفثت » وكلاهما صحيح .

٢٠

صـــوت

أماطَتْ كِساءَ الخزّ عن حُرّ وَجْهِها * وأَدْنَتْ على الخدَّيْن[1] بُرْداً مُهَلْهَلا

مِن اللّاءِ لم يَحْجُجْنَ يَبْغِين حِسْبةً * ولَكنْ لِيقتُلْن البرىءَ المُغَفَّلا

قال فقلتُ لها: فإنّى أسأل اللهَ ألّا يُعَذِّب هذا الوجهَ بالنّار. قال: وبلَغ ذلك سَعيدَ ابنَ المسيَّب فقال: أمَا واللهِ لو كان من بعض بُغَضَاء[2] العراق لقال لها: اُعْزُبِى قَبَّحَكِ الله! ولكنّه ظَرْفُ عُبّاد أهلِ الحجاز. وقد رويتُ هذه الحكايةُ عن أبى حازمٍ الأعْرَج وهو سَلَمَةُ بن دِينار، وقد روَى أبو حازمٍ عن أبى هُرَيرة وسَهْلِ بن سَعْد وغيرِهما، وروى عنــه مالك وابنُ أبى أيُّوبَ. والحكايةُ عنه فى هــذا أصحُّ منها عن عبد الله العُمَرى، حدّثنا بهذا وَكيعٌ. والغناء فى هذه الأبياتِ لعَرَارٍ المَكّىّ ثانى ثقيلٍ. وفيــه خَفيفُ ثَقِيلٍ لمَعْبَدٍ، وفيها لعبدِ الله بن العَبّاس الرَّبيعى ثَقِيلٌ أوّلُ، ويقال إنّ خَفيفَ الثقيلِ لابن سُرَيج، ويقال للغَرِيض.

غناء عبد الله بن العباس الربيعى فى شعر العرجىّ

أخبرنى الحَسَنُ بن علىّ قال حدّثنا عبدُ الله بن أبى سَعْد قال حدّثنى أبو تَوْبَةَ قال: قال عبد الله بنُ العَبّاس[3]: دعانى المتوكّل، فلمّا جلَستُ مجلسَ المنادمة قال لى: يا عبدَ الله، تَغَنَّ، فغنّيتُه فى شعرٍ مدحتُه به؛ فقال: أين هذا من غنائك فى:

* أماطَتْ كِساءَ الخزّ عن حُرّوجِها *

---

(١) ويروى: «وأرخت على المتنين». (٢) يريد بهم المترمتين المتغالين فى الورع.

(٣) كذا فى ت، ح. وفى سائر النسخ: «أبو عبدالله بن العباس». ولفظ «أبو» زيادة من الناسخ؛ إذ هو عبد الله بن العباس الربيعى، وكان شاعرا مطبوعا ومغنيا محسنا جيد الصنعة نادرها حسن الرواية، حلو الشعر ظريفه، ليس من الشعر الجيد الجزل ولا من المرذول ولكنه شعر مطبوع ظريف مليح المذهب من أشعار المترفين وأولاد النعم. وترجمته فى الجزء السابع عشر من الأغانى طبع بلاق.

ومن صنعتك فى :

* أقفر ممّن يحلّه[1] سرف[2] *

فقلتُ : يا أميرَ المؤمنين ، إنّ صَنعتى حينئذٍ كانت وأنا شابٌّ عاشِقٌ ؛ فإن آستطعتَ ردَّ شَبَابى وعِشْقِى صنعتُ مثلَ تلك الصنعةِ . فقال هيهاتَ ! وقد لَعَمْرى[3]

٥ صدقتَ، ووصلَنِى . والأبياتُ التى فيها الغناء المذكور من شعر العَرْجىّ يقوله فى جَيْدَاءَ أُمِّ محمد بن هِشَامِ بن إسماعيلَ المَخْزُومىّ، وكان يهْجُوه ويشبِّب بأُمه وبآمرأته ، وكان محمد تيَّاهًا شديدَ الكِبْر جَبَّارًا ، فلم يزَل يتطلَّب عليه العِلَلَ حتى حبَسه وقيَّده بعد أن ضرَبه بالسَّوْط وأقامه على البُلُس للناس . وآختلف الرُّواةُ فى السببِ الذى آعتلّ به عليه ؛ وقد ذكرتُ ذلك فى رواياتهم :

هجاء العرجىّ محمد ابن هشام بن إسماعيل المخزومى وتشبيبه بأمه

١٠ أخبرنى بخبره أحمد بن عبد العزيز الجَوْهرىّ وحَبِيبُ بن نصر المُهَلَّبىّ قالا حدّثنا عمرُ بن شَبَّة، وأخبرنا أحمدُ بن محمد بن إسحاقَ قال أخبرنا الحَرَمىُّ بنُ أبى العَلَاء قال حدّثنا الزُّبَير بن بَكَّار قال حدّثنى عمّى مُصْعَب ومحمد بن الضَّحَّاك الحِزَامىّ[4] عن الضَّحَّاك بن عثمانَ، وذكرَه حَمَّاد بنُ إسحاقَ عن أبيه عن أيُّوبَ بن عَبَايةَ، ونَسختُه أيضا من رواية محمد بن حَبِيبَ، قالوا :

١٥ كان محمدُ بنُ هِشَام خالَ هشام بنِ عبد الملك ، فلمّا وَلِىَ الخلافةَ ولَّاه مكّةَ ، وكتب إليه أن يَحُجَّ بالناس، فهجاه العَرْجىُّ بأشعارٍ كثيرة .

(١) كذا فى أكثر النسخ . وفى ت : «من بعد حلة» . والحلة بالكسر : القوم النزول . وفى حـ : «من بعد خلة» والخلة : الصديقة . (٢) سرف ككتف : موضع على ستة أميال من مكة ، وقيل سبعة وتسعة وعشرة واثنى عشر، تزوّج به رسول الله صلى الله عليه وسلم ميمونة بنت الحارث وهناك بنى بها

٢٠ وهناك توفيت . (٣) فى ت : «هيهات قد صدقت» . (٤) كذا فى ت . وفى ب ، س : «الخزامى» . وفى ا ، م ، ء : «الحرامىّ» . ولم تذكر هذه الكلمة فى حـ . وما فى ت هو الصحيح ؛ قال الذهبىّ فى المشتبه فى أسماء الرجال فى الكلام على الحزامى : و بزاى الضحاك ابن عثمان الحزامى مشهور وآبنه محمد بن الضحاك اهـ .

منها قوله فيه :

كأنّ العامَ ليس بعامِ حَجٍّ * تَغيَّرتِ المواسمُ والشُّكُولُ
إلى جَيْدَاءَ قد بَعثوا رسولًا * لِيُخْبِرَها فلا صَحِبَ الرسولُ

ويروى : « لِيَحْزُنَها » وهكذا يغنَّى .

٥

ومنها قوله :

١٦٢ / ١

ألا قُلْ لِمَنْ أَمْسَى بمكّةَ قاطِنًا * ومَنْ جاء من عَمْقٍ(١) ونَقْبِ المُشَلَّلِ(٢)
دَعُوا الحَجَّ لا تَسْتَهْلِكُوا نفقاتِكم * فما حَجُّ هذا العامِ بالمُتَقَبَّلِ
وكيف يُزَكَّى حَجُّ مَنْ لم يكن له * إمامٌ لدى تَجْمِيرِه غيرُ دُلْدُلِ(٣)
يَظَلُّ يُرائِى بالصِّيامِ نَهارَه * ويَلْبَسُ فى الظَّلْماءِ سِمْطَىْ(٤) قَرَنْفُلِ

فلم يَزَلْ محمدٌ يطلُب عليه العِلَلَ حتى وجدها فحَبَسه .

١٠

قال الزُّبير فى خبره عن عمّه ومحمد بن الضَّحّاك ، وقال إسحاقُ فى خبره عن أيّوبَ ابن عَبايَةَ : كان العَرْجِىّ يشبِّب بأُمّ محمد بنِ هشَام ، وهى من بنى الحارث بنِ كَعْب ، ويقال لها جَيْدَاء :

صوت(٥)

١٥

عُوجِى علينا رَبَّةَ الهَوْدَجِ * إنّكِ إن لا تَفْعَلِى تَحْرَجِى
إنّى أُتِيحتْ لى يمانيةٌ * إحْدَى بنى الحارثِ من مَذْحِجِ

(١) عمق : واد من أودية الطائف نزله رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حاصر الطائف ، وفيه بئر ليس بالطائف أطول رشاء منها . (٢) المشلل : جبل يُهبَط منه الى قديد من ناحية البحر . والنقب : الطريق فى الجبل . (٣) الدلدل : شبه القنفذ ، وهى دابة تنتفض فترمى بشوك كالسهام ، وفرق ما بينهما كفرق ما بين الفئرة والجرذان والبقر والجواميس والعِرَاب والبخاتى . ولعله شبهه بالقنفذ لأنه أكثر ما يظهر بالليل . (٤) السمط : الخيط مادام فيه الخرز و إلا فهو سلك . (٥) هذه الكلمة موجودة فى جميع النسخ عدا نسخة ت ولم يذكر بعد أنه غنى فيه .

٢٠

تَلْبَثُ حولاً كاملاً كلَّه * ما نلتقي إلا على مَنْهَجِ
في الحَجِّ إن حَجَّتْ وماذا مِنًى * وأهلُه إنْ هي لم تَحْجُجِ
أيسرُ ما نال مُحِبٌّ لَدَى * بَيْنِ حَبيبٍ قولُه عَرِّجِ
نَقْضِ إليكم حاجةً أو نَقُلْ * هل لِيَ مِمَّا بِيَ من مَخْرَجِ

٥ قال إسحاق في خبره : فحدّثني حَمْزَةُ بن عُتْبَةَ اللِّهبيّ قال : أُنشِد عطاءُ بنُ أبي رَبَاحٍ قولَ العَرْجيّ :

في الحَجِّ إن حَجَّتْ وماذا مِنًى * وأهلُه إنْ هي لم تَحْجُجِ

فقال : الخيرُ والله كلُّه بِمِنًى وأهلِه حَجَّتْ أو[1] لم تَحُجَّ . قال : ولَقِيَ ابنُ سُرَيجٍ عَطاءً وهو راكب [بمنًى][2] على بغلته ، فقال له : سألتُك بالله إلّا وَقَفْتَ لي حتى أُسْمِعَك شيئا . قال :
١٠ وَيْحَك ! دَعْنِي[3] فإنّي عَجِلٌ . قال : امرأتُه طالقٌ لئن لم تَقِفْ مختارًا للوقوف لأَمْسِكَنّ بلِجَام بغلتِك ثم لا أُفارِقُها ولو قُطِعَتْ يدي حتى أُغَنِّيَك وأرفعَ صوتي لا أُسِرُّه . قال : هاتِ وعَجِّل ؛ فغنّاه :

في الحَجِّ إن حَجَّتْ وماذا مِنًى * وأهلُه إنْ هي لم تَحْجُجِ

فقال : الخيرُ كلُّه والله بِمِنًى ، لاسيَّما وقد غيَّبها الله عن[4] مَشَاعِرِه ! خَلِّ سَبِيلَ البغلة .

١٥ أخبرنا محمد بن خَلَف وَكِيعٌ قال حدّثني عبدُ الله بن أبي سعْد قال حدّثنا إبراهيمُ ابن المُنْذِر قال حدّثني حَمْزَةُ بن عُتْبَة اللِّهبيّ عن عبد الوهاب[5] بنِ مُجَاهِد أو غيره قال :

(١) في ت ، حـ : « أم لم » تحريف . (٢) زيادة في حـ ، ب ، سـ .
(٣) في ب ، سـ ، م : « ويحك عني فإني عجل » . (٤) في ب ، سـ : « من » .
(٥) كذا في ت ، حـ . وفي سائر النسخ : « عبد الله » . ولم نعثر في كتب التراجم على من
٢٠ تسمى بعبد الله بن مجاهد . وأما عبد الوهاب بن مجاهد فقد ذكره صاحب تهذيب التهذيب وذكر أنه روى عن عطاء .

كنتُ مع عطاء بن أبى رَباح فجاءه رجلٌ فأنشده قولَ العَرْجِىّ :

إنّى أُتِيحتْ لى يمانِيَــةٌ * إحدى بنى الحارثِ من مَذْحِج

نلبث حولًا كاملًا كلَّه * لا نلتــقى إلا على مَنْهَــجِ

فى الحجّ إن حَجَّتْ وماذا مِنًى * وأهــلُه إنْ هى لم تَحْجُجِ

فقال عَطَاءٌ : خيرٌ كثيرٌ بمِنًى إذ غيَّبها الله عن مَشَاعِره .

تشبيه بجبرة المخزومية زوجة محمد بن هشام

قال : وقال فى زوجتِه جَبْرَةَ المَخْزُومِيَّة (يَعْنِى زوجةَ محمد بن هشام) :

صــــوت

عُوجِى علىّ فســلِّمى جَبْرُ * فِيمَ الصــدودُ[1] وأنتمُ سَــفْرُ

ما نلتَــقِى إلا ثَلاثَ مِنًى * حتى يُفرِّقَ بينَنــا النَّفْــرُ

الحولُ بعــد الحول يَتْبعه[2] * ماالدهرُ إلا الحولُ والشهرُ

قال حَمّاد بنُ إسحاقَ فى خبره : حدّثنى ٱبن أبى الحُوَيْرِث[3] الثَّقَفِىّ عن ٱبن عمٍّ لِعُمَارة ٱبنِ حَمْزة قال حدّثنا سليمانُ الخَشَّابُ[4] عن داودَ المكِّىّ[5] قال : كنّا فى حَلْقَــة ٱبن جُرَيج وهو يحدّثنا وعنده جماعةٌ فيهم عبدُ الله بن المُبَارَك وعدّةٌ من العِرَاقِيِّين ، إذ مرّ به ٱبنُ تيزَن المغنِّى[6] وقد ٱئتزر بمِئْزَر على صدره ، وهى إزْرَةُ الشُّطَّار[7] عندنا ، فدعاه ٱبن جُرَيج

(١) كذا فى حـ . وفى ب ، سـ : « فيم الصدور » وظاهر تحريفه عن الصدود . وفى سائر النسخ : « فيم الوقوف » .
(٢) فى ت : « يجمعنا » .
(٣) فى ت : « ٱبن الحويرث » بدون أبى .
(٤) فى ت ، حـ : « سليم الخشاب » .
(٥) فى ت ، سـ : « الثقفى » .
(٦) انظر الحاشية رقم ٢ ص ٢٨٣ من هذا الجزء .
(٧) فى القاموس وشرحه : الشاطر : من أعيا أهله خبثا . قال أبو إسحاق : فلان شاطر معناه أنه أخذ فى نحو غير الاستواء ؛ ولذلك قيل له شاطر لأنه تباعد عن الاستواء . والمراد من الشطار هنا طائفة من أهل الدعارة كانوا يمتازون بملابس خاصة وزى خاص . ففى أخبار أبى نواس ج ١ ص ٢٣٥ طبع مصر ما نصه : « زى الشطار طرّة مصفقة وكمان واسعان وذيل مجرور ونعل مطبق » . وتختلف أسماؤهم باختلاف البلاد ؛ ففى رحلة ابن بطوطة ج ١ ص ٢٣٥ طبع مصر : « الشطار بمعنى الفتاك من اصطلاح العراقيين ، ويعرفون فى خراسان بسر بداران ، وفى المغرب بالصقورة » . وذكر تشبههم فى أيامه واجتماعهم على قطع الطرق . وفى نفح الطيب ج ٢ ص ٧٦٦ طبع بولاق : « ولشطار الأندلس من النوادر والتنكيت والتركيبات وأنواع المضحكات ما تملأ الدواوين كثرته » اهـ .

فقال له : أحبُّ أن تُسْمِعَني. قال : إنّي مستعجِلٌ[1]، فألحّ عليه؛ فقال : آمرأته طالقٌ إن غنّاك أكثرَ من ثلاثة أصوات. فقال له : وَيْحك! ما أعجلَك إلى اليمين! غنّى الصوتَ الذى غنّاه آبنُ سُرَيج فى اليوم الثانى من أيام مِنًى على جَمْرة العَقَبة فقطَع[2] طريقَ الذاهبِ والجائى حتى تكسّرت المَحَاملُ. فغنّاه :

* عُوجِى علىّ فسلِّمى جبْرُ *

فقال له آبن جُرَيج : أحسنتَ واللهِ! (ثلاث مرات)، وَيْحك! أَعِدْه. قال : من الثلاثة فإنى قد حلفتُ. قال: أعده، فأعاده. فقال : أحسنتَ! فأعِدْه من الثلاثة، فأعاده وقام ومضَى، وقال : لولا مكانُ هؤلاء الثُّقَلاء عندك لأطلتُ معك حتى تَقْضِىَ وَطَرَك. فالتفت آبنُ جُرَيج إلى أصحابه فقال : لعلّكم أنكرتم ما فعلتُ! فقالوا : إنا لَنُنْكِره عندنا بالعراق ونَكْرهه. قال: فما تقولون فى الرَّجَز؟ (يعنى الحُدَاء). قالوا : لابأسَ به عندنا. قال : فما الفرقُ بينه وبين الغناء ؟!

اضطغان محمد بن هشام على العرجى من هذه الأشعار وحبسه حتى مات فى الحبس

قال إسحاق فى خبره : بلغنى أنّ محمدَ بنَ هشام كان يقول لأُمِّ[3] جَيْداء [بنت عفيف]: أنتِ غَضَضْتِ منّى بأنك أُمِّى، وأَهْلَكْتِنِى وقتلتِنِى. فتقول له : وَيْحك! وكيف ذاكَ؟ قال : لو كانت أُمِّى من قُرَيش ما وَلِىَ الخلافةَ غيْرِى. قالوا: فلم يَزَلْ محمدُ بنُ هِشَام مُضْطَغِنًا[4] على العَرْجِىّ من هذه الأشعار التى يقولها فيه ومتطلِّبا[5] سبيلًا عليه حتى وجَده فيه، فأخَذه وقيّده وضربه وأقامه للناس، ثم حبسه وأَقْسَم : لا يخرُج من الحَبْس ما دام لى[6] سلطانٌ. فمكَث فى حَبْسه نحواً من تسع سنينَ حتى مات فيه.

---

(١) كذا فى ت، حـ. وفى سائر النسخ : «أنا».
(٢) فى ت : «فغنى فتعلم ...».
(٣) زيادة فى ت.
(٤) فى ت : «مضطغنا على العرجىّ هذه الأشعار» بدون من.
(٥) كذا فى ت. وفى سائر النسخ : «متطلبا» بغير واو.
(٦) كذا فى ت، حـ. وفى سائر النسخ : «ما دام له».

روايات أخرى فى سبب الخصومة بين محمد بن هشام والعرجىّ

وذكر إسحاقُ فى خبره عن أَيُّوبَ بنِ عَبَايةَ ووافقه عمرُ بن شبَّة ومحمدُ بنُ حَبِيبَ: أن السببَ فى ذلك أنّ العَرْجىّ لاحَى[1] مَوْلًى كان لأبيه فأَمَضَّه[2] العَرْجىُّ، فأجابه المولى بمثل ماقاله له. فأمهله حتى إذا كان الليـلُ أتاه مع جماعة من مَوَالِيه وعَبِيده فهجَم عليه فى منزله وأخذه وأَوْثقه كِتَافًا[3]، ثم أَمر عَبِيدَه أن يَنْكِحُوا ٱمرأتَه بين يديه ففعلوا، ثم قتله وأحرقه بالنار. فاستَعْدَتِ ٱمرأتُه على العَرْجىّ محمدَ بنَ هشام فحَبَسه.

وذكر الزبير فى خبره عن الضَّحّاك بنِ عُثْمان: أنّ العَرْجىّ كان وكَّل بحُرَمِه[4] مَوْلًى له يقوم بأمورهنّ، فبلغه أنه يُخَالِفُ إليهنّ، فلم يزل يَرْصُده حتى وجده يحدّث بعضهنّ، فقتَله وأحرقه بالنار. فاستعدت عليه ٱمرأةُ المَوْلَى محمدَ بنَ هِشَامٍ المخزومىّ وكان واليًا على مكةَ فى خلافة هِشَام، وكان العَرْجىّ قد هَجَاه قبل ذلك هِجَاءً كثيرًا لمّا ولّاه هِشَامٌ الحجَّ فأَحْفَظَه. فلمّا وجد عليه سبيلًا ضَرَبه وأقامه على البُلُسِ[5] للناس، وسجَنه حتى مات فى سجنه.

وذكر الزُّبَير أيضا فى خبره عن عمِّه وغيره أنّ أَشْعَبَ كان حاضرًا للعرجىّ وهو يشتُم مَوْلَاه هذا، وأنه طال شَتْمُه إيّاه. فلما أكثر ردّ المَوْلَى عليه، فاخْتَلَطَ[6] من ذلك، فقال لأشعب: اشْهَدْ على ماسمعتَ. قال أشعبُ: وعَلَامَ أَشْهَد! قد شتمتَه ألفًا وشتَمَك واحدةً. والله لو أنّ أُمَّك أُمُّ الكتاب، وأُمّه حَمَّالةُ الحطَبِ مازاد على هذا!

١٦٤ / ١

تعذيب محمد بن هشام للعرجىّ وما كان يقوله العرجى من الشعر فى ذلك

قال الزُّبَير وحدّثنى حَمْزَةُ بن عُتْبَةَ اللّهبِىّ قال:

---

(١) لاحاه: خاصمه وشاتمه. (٢) أمضه: آلمه وأوجعه. (٣) الكتاف: الوثاق وهو الحبل الذى يُكتف به. (٤) الحُرَم: النساء. (٥) كذا فى ء. وفى ت: «وأقامه على الناس». وفى حـ: «وأقامه للناس». وفى سائر النسخ: وأقامه على البلس».

(٦) اختلط هنا: فسد عقله. يريد غضب غضبا شديدا حتى فسد عقله.

٥ ١٠ ١٥ ٢٠

لمّا أخذ محمدُ بن هشام المخزوميُّ العَرْجيَّ أخذه وأخذ معه الحُصَينَ بن غُرير[1] الحِمْيَرِيّ ، فجلدهما ، وصبّ على رءوسهما الزيتَ ، وأقامهما في الشمس على البُلُس[2] في الحَنّاطين بمكة ؛ فجعل العَرْجيُّ يُنشد :

سينصُرني الخليفةُ بعد رَبّي * ويغضَب حين يُخبَر عن مَسَاقي
عليَّ عَبَاءَةٌ بَلْقاءُ[3] ليستْ * مع البَلْوَى تُغَيِّب نصفَ ساقي
وتغضَب لي بأجْمَعِها قُصَيٌّ * قَطِينُ البيتِ والدُّمْثُ[4] الرِّقاق

ثم يصيح : ياغُرَيرَ أَجْيَاد[5] ، ياغُرَيرَ أَجْيَاد ! فيقول له الحميريّ المجلود معه : ألا تَدَعُنا ! ألا ترى ما نحن فيه من البلاء ! يعني بقوله : يا غرير ، الحصين ابن غرير الحميريّ المجلودَ معه ، وكان صديقًا للعَرْجيّ وخليطًا . وذكر إسحاقُ تمامَ هذه الأبيات وأولها :

وكَمْ مِنْ كاعِبٍ حَوْراءَ بِكْرٍ * أَلُوفِ السِّتْرِ واضحةِ التَّراقي[6]
بَكَتْ جَزَعًا وقد سُمِرَتْ[7] كُبُولٌ[8] * وجامِعَةٌ[9] يُشَدُّ بها خِناقي

(١) كذا في أكثر النسخ . وفي أ ، م : «عزير» . وفي ت : «عزيز» . (٢) في ت : «وأقامهما على الناس في الحناطين» . (٣) في ت ، حـ : « برقاء » والبلقاء والبرقاء كلاهما : ما آجتمع فيه اللونان السواد والبياض . (٤) الدمث : جمع دمثاء ، وهي الأرض اللينة السهلة . (٥) قال أبو القاسم الخوارزمي : أجياد : موضع بمكة يلي الصفا . وقد تقدّم في الحاشية (رقم ٢ ص ١١١) من هذا الجزء أنه إنما سمي بذلك لأن تبّعا لما قدم مكة ربط خيله فيه فسمّي بذلك . وقال السهيلي : إنه لم يسم بأجياد الخيل لأن جياد الخيل لا يقال فيها أجياد ، وإنما أجياد جمع جيد . وذكر أصحاب الأخبار : أن مُضاضًا ضرب في ذلك الموضع أجياد مائة رجل من العمالقة ؛ فسمي ذلك الموضع بأجياد لذلك . ورُدّ ذلك بأن الجوهري حكى أن العرب تجمع جوادا على أجياد . (٦) التراقي : جمع ترقوة وهي مقدّم الحلق في أعلى الصدر حيثما يترقى فيه النفَس . (٧) سمرت : شدّت . (٨) الكبول : جمع كبل وهو القيد . وفي ت : « كبولي » . (٩) الجامعة هنا : الغل .

على دَهْمَاءَ مُشْرِفَةٍ سَمُوقٍ (١) * ثنَاها القَمْحُ (٢) مَزْلَقَةِ التَّرَاقى (٣)

علىَّ عَبَاءةٌ بَلْقَاءُ ليستْ * مع البَلْوَى تَغَيَّبُ نصفَ سَاقِى

كأنّ على الخدُود وهُنّ شُعْثٌ * سِجَالَ (٤) الماءِ يُبْعَث فى السَّوَاقِى

فقلتُ تجلُّدًا وحلَفتُ صبرًا * أُبَالِى (٥) اليومَ ما دَفعتْ (٦) مَآقِى (٧)

سَيَنْصُرنِى الخليفةُ بعد ربِّى * و يَغْضَب حين يُخْبَر عن مَسَاقِى

وتغضَب لى بأَجْمَعِها قُصَىٌّ * قَطِينُ البيت والدُّمْثُ الرِّقَاق

بُجْتَمَع السُّيُول إذا تَنَحَّى * لئَامُ الناسِ فى الشِّعَبِ العِمَاق

قال : فكان إذا أَنْشَدَ هذا البيتَ ٱلتفت إلى ٱبن غُرَير فصاح به : ياغُرَير أَجْيادُ ، ياغُرَير أَجْيادُ! يعنى بنى مَخْزُوم ، وكانت منازلُهم فى أَجْيَادَ ، فعيّرهم بأنهم ليسوا من أهل الأَبْطَح .

وقال الزُّبَير فى خبره و وافَقه إسحاقُ فذكَر أنّ رجلاً مرّ بالعَرْجِىّ وهو واقفٌ على البُلُس ومعه ٱبنَ غُرَير وقد جُلِدا وحُلِقا وصُبَّ الزيتُ على رءوسهما وأُلْبِسا عَبَاءتين وٱجتمع الناسُ ينظرون إليهما . قال : وكان الرجلُ صديقًا للعَرْجِىّ ، وكان

(١) كذا فى أكثر النسخ ، وهو صيغة مبالغة من سمق الشىء فهو سامق اذا علا وٱرتفع . وفى م ، ى : « بَسُوق » وبسق الشىء من هذا المعنى أيضا . وفى ت : « سبوق » .
(٢) فى م ، ى : « بناها القمح » . (٣) فى ت : «مولعة التراقى» . وفى أ ، ب ، س : « مزلفة التراق » . وفى م ، ى : « مزلفة البراق » . وفى ح : « ثناها عن مولعة البراق » . ولم يظهر لنا فيها معنى نطمئن إليه (٤) كذا فى أكثر النسخ . والسجال : جمع سجل وهو الدلو العظيمة مملوءة . وفى ت : « سجال الدمع » . (٥) فى ب ، س ، ح : « الى ذا اليوم » .
(٦) كذا فى ت . وفى أ ، ى ، م : « دمعت » . يريد لا أبالى اليوم بما دفعته أو دمعته عيناى من الدموع . وفى ب ، س ، ح : « رفعت » . (٧) المآق : جمع مُؤْقٍ بوزن مُؤْت ، ومؤق العين كمُؤْقها ومأقها : حرفها الذى يلى الأنف .

فَأْفَاءً، فوقف عليه فأراد أن يتوجّع لما ناله ويدعو له، فَتَجْلَجَ لِمَا كان فى لِسَانه كما يفعل الفَأْفَاء.[١] فقال له ابن غُرَير: عنّى، لاخرجتْ من فيك أبدا! فقال له الرجل: فمكانك[٢] إذًا لا بَرِحْتَ منه أبدًا.

قال: ومرّ به صِبْيانٌ يلقُطون النّوى، فوقفوا ينظرون إليه، فالتفت إلى ابن غُرَير وقال له: ما أعرف فى الدنيا سَخْلَيْن أشأَمَ منّى ومنكَ! إنّ هؤلاء الصّبْيانَ لأهلهم ٥ عليهم فى كلّ يومٍ على كلّ واحدٍ منهم مُدُّ نَوًى؛ فقد تركوا لَقْطَهم للنّوى، وقد وقفوا ينظُرون إلىّ وإليكَ وينصرفون بغير شىءٍ فيُضْرَبُون، فيكونُ شؤمُنا قد لحقهم.

قال: وقال العَرْجِىّ فى حبسه:

١٦٥ / ١

صــــوت

أَضَاعُونِى وأىَّ فتًى أَضَاعُوا * ليومِ كَرِيهة وسِدَادِ[٣] ثَغْـرِ ١٠
وصــبرٍ عند مُعْتَرَكِ[٤] المَنَايَا * وقد شُرِعَتْ أسِنّتُها بنَحْرِى
أُجَرَّرُ فى الجَوامِع[٥] كلَّ يومٍ * فيَا للّه مَظْلِمَتِى[٦] وصَبْرِى[٧]
كأنّى لم أكُنْ فيهم وَسِيطًا[٨] * ولم تَكُ نِسْبَتِى فى آلِ عَمْرِو[٩]

أبو حنيفة وجار له كان يغنى بشعر العرجىّ

أخبرنى محمدُ بنُ زَكَرِيّا الصَّحّاف[١٠] قال حدّثنا قَعْنَبُ بن المُحْرِز البَاهِلىّ عن الأصمعىّ قال: ١٥

(١) كذا فى أكثر النسخ. وفى ب، س: «الفأفاءة» ولعل التاء زيدت فيه للمبالغة. (٢) فى ح: «مكانك» من غير فاء. (٣) سداد الثغر بالكسر: ما يسد به الثغر من خيل ورجال وغير ذلك من عدد الحرب. (٤) فى ح: «فصبرا عند معترك المنايا». (٥) الجوامع: جمع جامعة وهى هنا الغل. (٦) المظلمة بكسر اللام: الظلم. (٧) الصبر: الحبس. (٨) يقال: فلان وسيط فى قومه، إذا كان أوسطهم نسبا وأرفعهم مجدا. (٩) يريد ٢٠ عمرو بن عثمان بن عفان. (١٠) الصحاف كشدّاد: بائع الصحف أو الذى يعملها.

كان لأبى حَنيفة جارٌ بالكوفة يغنِّى، فكان إذا ٱنصرف وقد سَكِرَ يُغَنِّى فى غرفته، ويسمَع أبو حنيفةَ غناءَه فيُعْجِبُه . وكان كثيرًا ما يغنِّى :

أَضَاعُونِى وأىَّ فَتًى أضاعُوا ✽ ليومِ كَرِيهةٍ وسِــدَادِ ثَغْرِ

فَلَقِيَــه العَسَسُ ليلةً[1] فأَخَذوه وحُبِس . ففقَد أبو حنيفــةَ صوته تلك الليلةَ ، فسأل عنــه من غدٍ فأُخْبِرَ؛ فَدَعا بسَوادِه[2] وطَوِيلَتِــه[3] فَلَبِسهما، وركب إلى عيسى بن موسى فقال له : إنّ لى جارًا أخذه عَسَسُك البارحةَ فحُبِس، وما علمتُ منه إلا خيرًا . فقال عيسى : سلِّموا إلى أبى حَنِيفةَ كلَّ من أخذه العَسَسُ البارحةَ، فأُطْلِقُوا جميعًا . فلمّا خرَج الفتى دعا به أبو حنيفةَ وقال له سِرًّا : ألستَ كنتَ تغنِّى يافتَى كلَّ ليلةٍ :

✽ أَضَاعُونِى وأىَّ فَتًى أَضَاعُوا ✽

فهل أَضَعْنَاكَ ؟ قال : لا والله أيُّها القاضى، ولكن أحسنتَ وتكرّمتَ، أحسنَ اللهُ جزاءَك . قال : فعُدْ إلى ما كنتَ تغنِّيــه ؛ فإنّى كنتُ آنَسُ به ، ولم أَرَ به بأسًا . قال : أفعلُ .

عبــد الله بن على كان كثير التمثل فى حبسه بقــول العرجى أضاعونى البيت

وقال إسحاقُ فى خبره : لمـّا حَبَس المنصورُ عبدَ الله بنَ علىّ، كان يُكْثِرُ التَّمَثُّلَ بقول العَرْجِىّ :

أضاعونِى وأىَّ فَتًى أضاعوا ✽ ليــوم كَرِيهةٍ وسِــدَادِ ثَغْرِ

(١) العسس : جمع عاسّ، وهو الذى يطوف بالليل يحرس الناس ويكشف أهل الريبة .
(٢) كان السواد شعارا لبنى العباس، وكان أشياعهم يرتدونه؛ ولذلك سمّوا المسوّدة (بكسر الواو المشدّدة) . وقد روى أبو الفرج فى الجزء التاسع من الأغانى، طبع بلاق، فى أخبار أبى دلامة ونسبه أن أبا جعفر المنصور أمر أصحابه بلبس السواد وقلانس طوال تدعم بعيدان من داخلها، وأن يعلقوا السيوف فى المناطق ويكتبوا على ظهورهم : (فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم) . فدخل عليه أبو دلامة فى هذا الزى، فقال له أبو جعفر : ما حالك؟ قال : شرّ حال، وجهى فى نصفى وسيفى فى آستى وكتاب الله وراء ظهرى، وقد صبغت بالسواد ثيابى؛ فضحك منه وأعفاه من ذلك وقال له : إياك أن يسمع هذا منك أحد . (٣) الطويلة : القلنسوة العالية المدعومة بعيــدان، كما يستفاد من عبارة الأغانى المتقدّمة . ويظهر من البيهقى فى المحاسن والمساوى طبع ليبزج ص ٢١٣ أنها كانت لباس القضاة .

فبلغ ذلك المنصورَ ، فقال : هو أضاع نفسَــه بسوءِ فعله ، فكانت أنفسُنا عنـدَنا آثَر من نفسه .

حكاية الأصمعى مع كناس بالبصرة كان يتمثل بهذا البيت

قال إسحاق : وقال الأصمعىّ : مررتُ بكَنّاسٍ بالبصرة يكنُس كَنيفًا ويغنّى :

أضاعُونِى وأىَّ فتًى أضاعوا * ليوم كريهةٍ وسِــدَادِ ثغرِ

٥ فقلت له : أمّا سِدَادُ الكَنِيف فأنت مَلِىءٌ به[1] . وأما الثغرُ فلا علم لى بك كيف أنتَ فيه — وكنتُ حديثَ السنّ فأردتُ العبثَ به — فأَعْرَضَ عنّى مليًّا، ثم أقبل علىَّ فأنشد متمثّلًا :

وأُكْرِمُ نفسى إنّنِى إن أهنتُها * وحَقِّك لم تَكْرَمْ على أحدٍ بَعْدِى

قال فقلتُ له : والله ما يكونُ من الهَوَانِ شىءٌ أكثرُ ممـا بذلتَها له ، فبأىّ شىءٍ ١٠ أكرمتَها ؟ فقال : بلَى! والله إنّ من الهوانِ لشرًّا ممـا أنا فيـه . فقلتُ : وما هو ؟ فقال : الحاجةُ إليك و إلى أمثالك من الناس . فانصرفتُ عنه أخْزَى الناس . قال محمد بن مَزْيَد : فحدّثنى حَمَّـادٌ قال قال لى أبى : اختصر الأصمعىُّ — فيما أرَى — الجوابَ، وسترَ أقبحَه على نفسه، و إلا فكَنَّاسُ كنيفٍ قائمٌ يكنُسه ويعبث به هذا العَبَثَ، فيرضَى بهذا الجواب الذى لا يُجيبُ بمثله الأحنفُ بن قَيْس لو كانت المخاطبةُ له !

اقتصاص الوليد ابن يزيد من محمد ابن هشام وأخيه ابراهيم بن هشام

١٥ وقال إسحاق فى خبره : كان الوَلِيدُ بن يَزِيدَ مُضْطَغِنًا على محمد بن هِشَام لأشياء[2] كانتْ تبلُغه عنــه فى حياة هشام، فلمّا وَلِىَ الخلافةَ قبَض عليــه وعلى أخيه إبراهيمَ ابنِ هِشَام وأشْخصا إليه إلى الشام، ثم دعا بالسِّيَاط . فقال له محمدٌ : أسألُك بالقَرَابة . قال : وأىُّ قرابةٍ بينى و بينَك! وهل أنت إلا من أَشْجَعَ ! قال : فأسألك بصِهْرِ عبد الملك . قال : لم تَحْفَظْه . فقال له : يا أميرَ المؤمنين، قد نَهى رسولُ الله صلى الله عليه وآله ٢٠ وسلم أن يُضْرَبَ قرشىٌّ بالسِّيَاط إلا فى حَدّ . قال : ففى حدٍّ أَضْرِبُك وقَوَدٍ ، أنت

١٦٦/١

(١) ملىء به : مضطلع به . (٢) فى ت ، حـ : « أشياء » من غير لام .

أوّلُ من سَنَّ ذلك على العَرْجِىّ، وهو ٱبنُ عمّى وٱبنُ أميرِ المؤمنين عثمانَ، فما رَعَيْتَ حقَّ جَدّه ولا نَسَبه بهشام، ولا ذكرتَ حينئذ هذا الخبرَ، وأنا ولىُّ ثأره، اضْرِبْ يا غلامُ؛ فضرَبهما ضرباً مبرِّحا، وأُثْقِلا بالحَديد، ووجَّه بهما إلى يوسفَ بنِ عمرَ بالكوفة، وأمَره باستصفائهما[1] وتعذيبهما حتى يَتْلَفَا، وكتَب إليه: احْبِسْهما مع ٱبنِ النَّصْرانيّة — يعنى خالدًا القَسْرِىّ — ونفسَك نفسَك إن عاش أحدٌ منهم. فعذّبَهم عذابًا شديدًا، وأخَذ منهم مالًا عظيما حتى لم يبقَ فيهم موضعٌ للضَّرْب. فكان محمد بن هشام مطروحًا، فإذا أرادوا أن يُقيمُوه أخَذوا بلِحْيته فجَذَبُوه بها. ولمّا ٱشتدّتْ عليهما الحالُ، تَحامَل[2] إبراهيمُ لينظر فى وجه محمد، فوقع عليه فماتا جميعا، ومات خالدٌ القسرىّ معهما فى يومٍ واحدٍ. فقال الوليدُ بن يزيدَ لمّا حَملهما إلى يوسفَ بنِ عمرَ:

قد راحَ نحو العِراق مَشْخَلبَهْ[3] * قُصارُه السِّجْنُ بعدَه الخَشَبهْ[4]

يركَبُها صاغِراً بلا قَتَبٍ * ولا خِطَامٍ وحَوْلَه جَلَبَهْ

فَقُلْ لدَعْجاءَ إن مررتَ بها * لن يُعْجِزَ اللهَ هاربٌ طَلَبَهْ

قد جعَل اللهُ بعدَ غَلْبَتِكم * لنا عليكم يا ذُلُّ الغَلَبَهْ

لستَ إلى هاشمٍ ولا أَسَدٍ * ولا إلى نَوْفَلٍ ولا الحَجَبَهْ[5]

لكنَّما أَشْجَعٌ أبوكَ سَلِ آلْ * كَلْبِىَّ[6] لا ما يُزَوِّقُ الكَذَبَهْ

---

(١) كذا فى ت، حـ. ومعناه أخذ أموالهما. وفى سائر النسخ: «بٱستصحابهما» وهو تحريف.

(٢) أى تكلّف التحرّكَ بعض الشىء ليرى حالة أخيه. (٣) كذا فى أكثر النسخ. قال فى اللسان: والمشخلبة: كلمة عراقية ليس على بنائها شىء من العربية، وهى تُتّخذ من الليف والخرز أمثال الحلى، وقد تسمى الجارية مشخلبة لما يُرى عليها من الخرز كالحلىّ. وفى ت: «مَخشلبة» بتقديم الخاء المعجمة على الشين المعجمة، ومعناهما واحد. (٤) أى غايته السجن بعده الصلب. (٥) يريد حجبة الكعبة. وكانت الحجابة فى بنى قصىّ، وقد بُعِث رسول الله صلى الله عليه وسلم وحجابةُ البيت فى يد شيبة بن عثمان ابن طلحة بن عبد الدار بن قصى، فأبقاها وٱختص بها أولاده من بعده، فهى فيهم الى الآن.

(٦) يريد بالكلبى محمد بن السائب بن بشر بن عمرو الكلبىّ النّسابة المعروف.

الرشيد وإسحاق حين غناه قصيدة العرجي أضاعوني البيت

قال إسحاق فى خبره : غنّيت الرشيد يوماً فى عرض الغناء :

أضاعونى وأىّ فتى أضاعوا * ليوم كريهة وسداد ثغر

فقال لى : ما كان سبب هذا الشعر حتى قاله العرجىّ ؟ فأخبرته بخبره من أوّله إلى أن مات ، فرأيته يتغيّظ كلما مرّ منه شىء . فأتبعته بحديث مقتل ابنى هشام ، فجعل وجهه يسفر وغيظه يسكن . فلما انقضى الحديث ، قال لى : يا إسحاق ! والله لولا ما حدّثتنى به من فعل الوليد لما تركت أحداً من أماثل بنى مخزوم إلا قتلته بالعرجىّ .

والصوت الآخر من رواية جحظة عن أصحابه :

صوت

إذا ما طواك الدهر يا أمّ مالك * فشأن المنايا القاضيات وشانيا

تمرّ الليالى والشهور وتنقضى * وحبّك ما يزداد إلا تماديا

خليلىّ إن دارت على أمّ مالك * صروف الليالى فابغيا لى ناعيا

ولا تتركانى لا لخير معجّل * ولا لبقاء تنظران بقائيا

الشعر للمجنون ، ومن الناس من يروى البيت الأوّل منها لقيس بن الحدادية[1] وهو جاهلىّ . والغناء لابن محرز ثانى ثقيل بالوسطى . وذكر حبش وابن المكىّ أنّ فيه لإسحاق لحناً آخر من الثقيل الثانى بالخنصر والبنصر .

(١) هو قيس فى أوّل الجزء الثالث عشر من الأغانى ، طبع بلاق ، والحدادية اسم أمه ، وهى منسوبة إلى حداد (بكسر الحاء المهملة) ابن بلادة بن ذهل بن طريف بن خلف بن محارب بن قيس بن عيلان بن مضر (راجع أنساب السمعانى فى هذه المادة) .

إلى هنا انتهى الجزء الأوّل من كتاب الأغانى ، ويليه الجزء الثانى منه .
وأوّله (أخبار مجنون بنى عامر ونسبه)

فهرس

الجزء الأوّل من كتاب الأغانى

فهـــرس

الجـــزء الأوّل من كتاب الأغانى

يشمـــل هـــذا الفهـــرس :

١ — فهرس الأعلام الواردة فى هـــذا الجزء ، وهـــذا الفهرس يشـــمل عدّة فهارس هى :

(ا) فهرس أسماء الشعراء، وهذا الفهرس حاو لجميع الشعراء الذين ورد ذكرهم فى الجزء الأوّل سواء الذين ترجم لهم أبو الفرج أو الذين ذكروا عرضا فى ثنايا الكتاب أو حواشيه .

(ب) فهرس رجال السند، وقد اكتفينا بذكر كل واحد منهم مرة واحدة فى أوّل صفحة ورد فيها الاسم كاملا. لأننا لم نر أية فائدة فى الإشارة إلى كل صفحة ورد فيها الاسم .

(ج) فهرس المغنين سواء الذين ترجم لهم أبو الفرج أو الذين ذكروا فى ثنايا الكتاب أو حواشيه .

(د) فهرس رواة الألحان ، والمراد بهم من رووا أن فلانا غنّى فى هـــذا الشعر أو صنع هذا اللحن .

(ه) فهرس الأعلام الذين لهم قصص فى الكتاب أو الذين ذكروا بمناسبات خاصة .

٢ — فهـــرس القبـــائل والأمم والبطون والعشائر والأرهاط الواردة فى هذا الجزء .

٣ — أسماء البلاد والمدائن والجبال والأودية والأنهار وغير ذلك .

٤ — فهرس أسماء الكتب التى وردت فى الكتاب أوالتى ذكرت فى حواشيه من كتب المراجعة .

٥ - فهرس القوافى وأنصاف الأبيات . وقد راعينا فى هذا الفهرس أن نأتى بالبيت الأول من القصيدة التى وردت فى الكتاب أو فى التعليقات مع ذكر أول كلمة فى البيت وقافيته وبيان عروضه .

ولولا خوف الإطالة لجعلنا هذا الفهرس شاملا لكل بيت ورد ذكره فى الكتاب سواء كان مطلعا فى الشعر أو غير مطلع ، ولكنا اكتفينا بذكر البيت الأول من القصيدة ، ومنه يستدل الباحث على أى بيت يريد بالبحث عن القصيدة التى هو فيها والاهتداء إليها بالبحث عن مطلعها . ولم نغفل أن نأتى بفهرس خاص لأنصاف الأبيات الواردة فى الكتاب ، فقد أثبتناها ووضعنا لها فهرسا خاصا .

٦ — فهرس أيام العرب والغزوات والوقائع الواردة بهذا الجزء .

٧ — فهرس الأمثال الواردة به .

٨ — فهرس الموضوعات الواردة فى الكتاب وهى التى كتبت على هوامش صحفه .

ولم نتبع فى ترتيب هذه الفهارس حذف صدور الكنى من أسماء الأعلام ولفظ "ذو" و"ذات" ونحو ذلك كما هى عادة واضعى الفهارس للكتب العربية ، ولكننا تسهيلا للبحث ، بعد الاسترشاد برأى كثير من المفكرين ، راعينا صدور هذه الكنى فى الترتيب ووضعناها فى الحرف الذى يبتدئ به فنلا وضعنا لفظ " أبو القاسم " و " أم بكر " وغيرها فى حرف الألف كما وضعنا اسم "ذى الإصبع العدوانى" مثلا فى حرف الذال

و "بنو أميه" مثلا فى حرف الباء وهكذا . وسنخرج مع كل جزء من الأجزاء التالية فهرسه الخاص به، ومن هذه الفهارس يتكوّن الفهرس العام الذى نطبعه بعد إنجاز كل أجزاء الكتاب إن شاء الله تعالى .

ملاحظات

(١) الرقم الأول يدل على رقم الصفحة ، والثانى يدل على رقم السطر ؛ فمثلا ٤٥ : ٨ يدل على صفحة ٤٥ سطر ٨ ، والرقم الذى يليه حرف « ت » يدل على رقم السطر فى التعليقات المكتوبة أسفل الصحف .

(٢) هذه الفهارس لا تشمل المقدّمة التى كتبناها أوّل الكتاب .

أحمد زكى العدوى

رئيس قسم التصحيح بدار الكتب المصرية

فهرس أسماء الشعراء

فهـرس رجال السـند

(ب)

(ن)

(هـ)

(و)

(ى)

(١) انظر الحاشية رقم (١) صفحة ٤١

فهـــرس المغنين

(ا)

(١) لا ندرى أهو إبراهيم الموصلى أم إبراهيم بن المهدى .

(س)

(ص)

(ع)

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

(م)

(ن)

(هـ)

(ى)

---

(1) انظر الكلام عليه فى الحاشية رقم ٢ ص ٣٠٦ ففيها كلام على ترجيح أنه بالزاى المعجمة لا بالراء .

فهـــرس رواة الألحـــان

فهــرس أسمـاء الأعــلام

(ا)

(ب)

(د)

(غ)

(ف)

(ق)

---

(١) لا ندرى من هو .

(ن)

(و)

(ى)

فهــرس أسمــاء القبــائل

فهرس أسماء الأماكن

(ك)

(ل)

(م)

فهرس أسماء الكتب

(ك)

(ل)

(م)

(ن)

(و)

فهرس القوافي

صدر البيت	قافيته	بحره	ص : س
و إن وراء	أثوبُ	وافــر	٣٤٠ : ٤
ثلاث حوائج	جراب	«	٢١٠ : ٦
لقد ظلموك	عريب	«	٣٠٦ : ١٧
أصاب	الريب	«	٢٧٠ : ٧
لمن نار	ما تخبو	مجزوء الوافر	٣١٧ : ١
ومقامهن	الأخشبُ	كامل	٢٠١ : ٢٠
إني وأول	متعجب	«	٢٠١ : ٢
قالت سكينة	والجلباب	«	١٦٢ : ٢
متبذلا	القب	«	٢٣٠ : ١٧
هلا ارعوت	قلبا	«	٢٠٦ : ٤
لا بل يملك	ـسي	«	٢٠٦ : ٢٠
لا بل يجيبك	ـبي	«	٢٠٦ : ٢٣
فبعثت	بجوابها	مجزوء الكامل	١٤٠ : ٧
وا بأبي	الزرنبُ	رجـز	٣١٦ : ٢٠
يا أبي	شبا	«	٦٦ : ٨ت
طال ليلي	ووصب	رمـل	١٣٣ : ١٢
فأتتها	باللعب	«	١٣٥ : ١ و ٩
إن كفي	وجب	«	١٣٥ : ١١
لج قلبي	شبابي	«	١٨٩ : ٩
يا دار أقوت	فالرحب	منسرح	٢٦٣ : ٥
قد راح	الخشبة	«	٤١٦ : ١١
ثم قالوا	والتراب	خفيـف	٧٩ : ٥
أبرزوها	أتراب	«	١٣٩ : ٣
من رسولي	والكتاب	«	٢١٩ : ٤، ٢٢٢ : ٢ و ١٢، ٢٢٥ : ٥، ٢٢٨ : ٢
أزهقت	متاب	«	٢٢٣ : ١٣
وتبدت	بالثياب	خفيـف	٢٤٠ : ٢
فتراءت	بالثياب	«	٢٤٠ : ٢ت
أقتليه قتلا	عذاب	«	٢٤٠ : ٦
أقتلني	عذاب	«	٢٤٠ : ٧ت
إنعلي بالأسير	جوابي	«	٢٤٠ : ٩ت
قال لي صاحبي	الرباب	«	٢٤١ : ٢
أذكرتني	وسحاب	«	٢٤١ : ٦
أسعداني	التسكاب	«	٣٢١ : ١٠
حن قلبي	فأجابا	«	٤٦ : ١٤، ٤٧ : ٨
إن ليلي	نصيبا	«	١٥٨ : ٤
ما على الرسم	أجابا	«	٢٣٧ : ٦
موحشا بعد	القبابا	«	٢٣٨ : ١٤ت
أحب	صاحبا	متقارب	١٣٣ : ٣، ١٦٢ : ١١
غداة تقول	الرآبا	«	١٦٣ : ٦ت

(ت)

صدر البيت	قافيته	بحره	ص : س
يقر بعيني	قرت	طـويل	٢٩٥ : ١٦، ٣٦٠ : ١
يا أرض	وحماتي	كامـل	٢٥٥ : ٥
ليس السواد	ثابت	«	٣٥٢ : ١٥
فلوت	متا	خفيـف	٢٤٢ : ٩
ولوت	أنتا	«	٢٤٢ : ١١ت

(ث)

صدر البيت	قافيته	بحره	ص : س
بالله يا ظبي	كالناكث	سريع	٣٠٢ : ١٣، ٣٠٧ : ٧

(ج)

صدر البيت	قافيته	بحره	ص : س
يا ربة البغلة	حرجا	بسـيط	٢٠٢ : ٢
قالت وعيش	لم تحرج	كامـل	١٩١ : ٢

صدر البيت	قافيته	بحره	ص س
كتبت إليك	كمـــد	مجزوء الوافر	١١ : ٢٣٥
ياصاح هل	الوجدِ	كامـل	٦ : ١٨٥
قامت تراءى	بالأسعدِ	»	١٧ : ١٨٨
زعم البوارح	الأسودِ	»	١٦ : ٣١١
أرق المحب	تَرُدُّهُ	»	٣ : ٢٥٨
عرف الديار	أبلادَها	»	١٢ : ٣٠٦ ، ٤ : ٣٠٠
إنما أزرى	البلدِ	رمـل	١٠ : ١٨٠
ليت هندا	تجدْ	»	٨ : ٢٣١ ، ٢ : ١٨٦
لم تدر	الواحدِ	سريع	١٦ : ١٦٥ ، ١ : ٧١
أقفر من	فالجمدُ	منسرح	١٢ : ٣٩٤
قل لهند	غدَا	مجزوء الخفيف	٩ : ٥٩ ، ١٠ : ٥٨
تشط	أبعدُ	متقارب	١٣ : ٨٩ ، ٩ : ٨٤
فلما لغونا	لم يرقد	»	٣ : ٨٥
فتلك التى	فقصد	»	٢ : ٨٦ ت
وآية ذلك	ينشدُ	»	٢ : ١٢٩ ، ٩ : ٨٨
صرمت	والموردُ	»	١٠ : ١٣٧
وحسن	المقودَا	»	١٠ : ٣٨١

(ر)

صدر البيت	قافيته	بحره	ص س
أمن آل نعم	فهجّرُ	طـويل	١٤ : ٧٩ ، ٦ : ٧٢ ٣ : ١٣٢
رأت رجلا	فيخسَرُ	»	١٠ : ٧٢
رأت رجلا	فيخصَرُ	»	١ : ٨٢ ، ١٢ : ٧٢ و ١٠ ، ١٣ : ١٧٣
فلما تقضى	تتغوّرُ	»	١٨ : ٨٠
وزوال كفاها	تسهرُ	»	١٨ : ٨٢
فكان مجنى	ومعصرُ	طـويل	٤ : ٨٣
أشارت	يذكرُ	»	٧ : ٨٣
وغاب قمير	سمّرُ	»	٤ : ٨٤
أالحق	طائرُ	»	١٠ : ١٢٣
وليلة	المغترُ	»	٩ : ١٣٢
بحاجة	تعذرُ	»	١٣ : ١٣٢
فلما فقدت	وأنورُ	»	٧ : ١٤٤
أتصبر عن	جديرُ	»	٣٦٤ ، ١٠ : ٢٢٥ : ١٥
بليلى	الأباعرُ	»	٦ : ٢٨٤ ، ١١ : ٢٧٨
لمن الوجا	وكسيرُ	»	٩ : ٢٩٢
إذا لم	الذكرُ	»	٨ : ٣٤٢
عرفت	امتأخرُ	»	١٠ : ٣٦١
وكدت	أطيرُ	»	٨ : ٣٦٤
فرحنا	تتغيّرِ	»	٤ : ١٣٨
أتانى كتاب	وعنبرِ	»	٥ : ٢٣٦
فلو شهدتنى	الظواهرِ	»	٢٢ : ٢٥٤
وقفت	بكرِ	»	١٠ : ٣٤٢
ألا يا عقاب	وكرِ	»	٣ : ٣٥١
أهاج	والقطرِ	»	٦ : ٣٧٤
فرشنى	يبرى	»	١٧ : ٣٧٤
ألام	والسترِ	»	١٠ : ٣٧٧
وما أنس	الوترِ	»	٢ : ٣٩٩
معى ابن غرير	نصرِ	»	٦ : ٤٠٣

صدر البيت	قافيته	بحره	ص س
أنت الفتى	أربـعُ	طـويل	١٤٨ : ٨
إذا أنت	وينفعُ	«	٢٤٧ : ١٧
فيالك	ممتّعُ	«	٣٥٨ : ١٠
فلا النفس	فترجعُ	«	٣٦٢ : ١١
أرقت لبرق	فينابيعُ	«	١٥٤ : ٦
أرقت	بلاقعُ	«	١٥٤ : ٨
يضىء	ساطعُ	«	١٥٤ : ١٠
أيا رب	صانعُ	«	١٥٤ : ١٢
فياقلب صبرا	واقـعُ	«	٢٤٢ : ١٩
بنفسى من	ضائعُ	«	٢٣٦ : ٣
سرى الهم	روائعهُ	«	٣٢٧ : ٤
خليلى عوجا	ونودّعِ	«	٥٠ : ١١
ومن أجل	الظلعِ	«	٢٧١ : ٨ ، ٢٧٣ : ٧
أريت	المقنّعِ	«	١٧٩ : ٢
ألم تسأل	بلقعَا	«	١٣١ : ٦ ، ١٧٦ : ١٣
وقرين	إصـبعَا	«	١٣٩ · ١٥
فلما تواقفنا	تتمعّا	«	١١ : ٣ ، ١٧٧ : ٤
طار الكرى	فامتنعَا	بســيط	٢٩٩ : ٢
بتّ الخليط	رجعُوا	«	٢٦٧ : ٦
إذا أمسيت	فالبقيعُ	وافـــر	٣٦٧ : ١٠
وهم منعوا	اللكيعهَ	«	٢٥٤ : ١٠
صخب	مسبعُ	كامـل	٦٤ : ٨
قد لعمرى	الوجيعِ	رمـــل	٣٧ : ٧
قالت	الراعى	سريـع	٣٢٠ : ٢

صدر البيت	قافيته	بحره	ص س
قرب جيراننا	ارتفعُوا	منسرح	٢٦٧ : ١ و ١٤
قال لى	الدموعُ	خفيف	١٢٣ : ٤
لقد شاقك	تدمـعُ	متقارب	٣٠٤ : ٢

(ف)

صدر البيت	قافيته	بحره	ص س
قـد حل	حتفُ	طـويل	٢٧ : ١
أراك طموح	ملاطفُ	«	٣٤٦ : ١٠
بكى أحد	آلفِ	«	٢٦ : ١٤
وبين الصفا	وموجف	«	٣٧٧ : ٤
زعموا بأن	يجـفُ	كامـل	٢٤٢ : ٣

(ق)

صدر البيت	قافيته	بحره	ص س
لما التقينا	ونشفقُ	طـويل	١٤٩ : ٧
وقالت	أخرق	«	١٤٩ : ٦ت
أفى رسم	ينطقُ	«	١٥٥ : ٥
بحيث التقى	تخلقُ	«	١٥٥ : ٣ت
ذكرت	يشوقُ	«	١٥٥ : ٧ت
ليالى	مؤقُ	«	١٥٥ : ٩ت
ومش	يتألق	«	١٥٥ : ١١ت
فإن يك	ذائقُـهْ	«	٣٥٤ : ١٥
ألم تسأل	نطقْ	«	١٧٧ : ١٣
فيا أسفا	العراقِ	وافـــر	٣٥ : ٣
تسربل جلد	الرقاقَا	«	٢٤٠ : ٢٢
سينصرنى	مساقِ	«	٤١١ : ٤
وكم من	الراقى	«	٤١١ : ١١

صدر البيت	قافيته	بحره	ص س
ألا يا بكر	الأرقَا	مجزوء الوافر	١٠٤ : ٧
يا راكبا	موفقْ	كامـل	١٩ : ٣
فيها خطوط	البهـقْ	رجــز	٢٣١ : ١٧
يوم تبدّى	الأطواقُ	خفيف	٤٠ : ١٢
ليت شعرى	العقيـقِ	«	٢٧ : ١٢
	(ك)		
ثم استمرّوا	رككُ	بسـيط	٣١١ : ٢٣
لقد أرسلت	حذركْ	مجزوء الوافر	٧٤: ١٥ ، ٩١ :١٣ ، ١٤٠ :١٢ ، ١٤١ : ٦ ، ٣٠٨ :١٤
فهذا سحرك	خبركْ	«	٨٨ : ١٢
صلامة	مذكّى	رجــز	٣٣٥ : ١٠
تقول	السماكِ	متقارب	١٢٤ : ٧
	(ل)		
فقلت	ليفعلُوا	طـويل	٢٧٩ : ٣
أناخوا	يتسربلُوا	«	٢٨٤ : ١٦
لقد فرح	البخلِ	«	١١٤ :١٦ ، ١١٧ : ١٧
ولست	بقليـلِ	«	١٤٣ : ١١
تصابى	زائلِ	«	١٠٠ : ٢
إذا مت	لسائلِ	«	٢١٠ : ٩
ألا قل	المشلَّلِ	«	٤٠٦ : ٦
شكوت	عليـلا	«	١٤١ : ٩
فلما	ذلـولا	«	١٤٣ : ٦
خليلى عوجا	بحـوّلَا	«	٢٨٠ : ٤

صدر البيت	قافيته	بحره	ص س
أماطت	مهلهلَا	طـويل	٤٠٤ : ٢
وماحسبت	بعـــلَا	«	٣٦٠ : ٣
جرى ناصح	قتــلِ	«	١١٥ : ٣ ، ١١٦ : ١٣
خليــلى	قبــلِ	«	١١٦ : ٨ ، ١١٧ : ٤
فقالت	أهــلِ	«	١١٦ : ١٠ ، ١١٨ : ٣
فقمن	أجلِ	«	١١٦ : ١٥
وقل للفؤاد	باطلهْ	«	٢٢٧ : ١١
إذا استبق	شمالهُا	«	٣٣٩ : ١
تجلو عوارض	معلولُ	بسـيط	٢٧٩ : ٢٠
لها من الريم	صهَلَا	«	١٢١ : ٧
قات	تُبِــلَا	«	١٣٩ : ٩
ياذا العشيرة	الأولَا	«	٢٣٧ : ١٥
ياصاحبيّ	فعــلَا	«	٢٤٤ : ١٢
لما وقفنا	أصـلا	«	٢٤٥ : ٢ت
الى جيداء	الرسولْ	وافــر	٨: ١٢ ، ٣٨٢ : ١٣
يقول فيحسن	يقولُ	«	٣٥٢ : ٣
كأن النعام	والشكولُ	«	٣٦٣: ٢٠ ، ٤٠٦: ٢
أما ان	جيـلِ	«	٣٤ : ١
أبا مروان	بانخالِ	«	٣٦٦ : ٥
أصاب	انفلالَا	«	٣٥٧ : ١٥
لمية موحشا	خللُ	مجزوء الوافر	١٨٢ : ٢٢
ألم تربع	كالخللِ	«	١٨٢ : ٥
إن وما نحروا	العقلْ	كامل	١٠٩ : ٤
فوددت	تشغلُ	«	٣٨١ : ٢

(م)

فهـــرس أنصاف الأبيـات

مرتبة حسب أوائل كلماتها

فهرس أيام العرب

فهرس الأمثال

فهـــرس الموضـــوعات

(*) للتصدير أرقام خاصة به من ٣ — ٥٩ وضعت في ذيل الصحف .

أخبار ابن سريج ونسبه

صفحة

ذكر نصيب وأخباره

أخبار ابن محرز ونسبه

٭٭٭

كَمُلَ طبع الجزء الأوّل من كتاب الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى
(الطبعة الثانية) بمطبعة دار الكتب المصرية فى شهر ربيع الثانى سنة ١٣٧١
الموافق يناير سنة ١٩٥٢ م

عبد الحميد نديم
رئيس المطبعة بدار الكتب المصرية
بالنيابة

(مطبعة دار الكتب المصرية ١١٢/١٩٤٨/٢٠٠٠)